الصياغة الجديدة

لعالم الإيمان والحرية والرفاه والسلام

تأليف:

آية الله العظمى الإمام

السيد محمد الحسيني الشيرازي

مكتبة جنان الغدير

الصياغة الجديدة

لعالم الإيمان والحرية والرفاه والسلام

آية الله العظمى

السيد محمد الحسيني الشيرازي

"دام ظله"



مكتبة جنان الغدير

الكويت - بنيد القار

إهداء إلى روح

- عبدالخضر عبدالرحيم
- حليمة حسين
- الحاج حسين أحمدي

الطبعة الرابعة

١٤١٨ - ١٩٩٨م

مكتبة جنان الغدير - الكويت - بنيد القار - ت: ٢٥٦٠٤٤٢ - ص. ب . الدسمة ١١٣٨٩

كلمة الناشر

القلم الرصين . .

والفكر الوقاد . .

والأطروحة المتماسكة ، التي تتعانق فيها النظرية مع التطبيق .

هذهِ هي أهم سمات هذا الكتاب الذي بين يد القراء الكرام .

وهي أيضاً خصائص تفردّت بها البحوث والدراسات التي قدّمها الإمام الشيرازي للساحة الإسلامية والتي تجاوزت المائتي عنوان ، وقد صنع من خلالها الإمام الشيرازي مدرسة فكرية متألقّة في عالم الثقافة الإسلامية ، وأصبح لهذه المدرسة رواد على امتداد العالم الإسلامي ، وعلى عرض الساحة الثقافية . .

وكان لمؤسسة الفكر الإسلامي ، حظوة المساهمة في نشر هذا الفكر الحضاري العملاق . . وهي تقدّم ضمن سلسلة كتب الإمام الشيرازي ، هذا الكتاب . . الصياغة الجديدة لعالم الإيمان والحرية والرفاه والسلام بثوبٍ جديد .

والذي دعاها إلى تجديد طباعة هذا الكتاب هو نفاد الكتاب من المكتبات أولاً . وحاجة الساحة الإسلامية والعالمية لمثل هذهِ الأفكار البنّاءة التي تعالج أهم مشكلات العصر . . عصر ما بعد سقوط الأمبراطورية الشيوعية وانبثاق النظام العالمي الجديد .

فقد أستبق الإمام الشيرازي الزمن ، فصدع في الصياغة الجديدة قائلاً :

والحالة التي تعيشها الدنيا في الوقت الحاضر هي حالة مرضية بكل خصائص المرض ، وما لم ترفع هذهِ الحالة إلى حالة صحية فستظل الدنيا تتخبط في دياجير وظلمات ومشاكل أسوء من المشاكل التي كانت الدنيا تتخبط فيها قبل ظهور الإسلام ، فهي جاهلية ثانية أسوء من الجاهلية الأولىٰ .

فكما زالت الجاهلية الأُولىٰ ، فستزول هذهِ الجاهلية أيضاً .

وسينتصر الفكر البناء الذي بشر به الإمام الشيرازي وكل أرباب العلم والفكر من علماء ومراجع ومثقفين إسلاميين .

﴿وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾الرعد/١٧ .

النـــاشر

الفصل الاول:

هل العالم سليم الصياغة؟

فهرست الفصل الأول

كيف تعرف الأشياء؟

هناك قاعدتان مشهورتان في الفلسفة:

القاعدة الأولى تقول: (تعرف الأشياء بأمثالها).

والقاعدة الثانية تقول: (تعرف الأشياء بأضدادها).

وكلتا القاعدتين صحيحتان، فان الانسان لا يعرف خصوصيات النهار إلاّ اذا جاء الليل، ولو كان النهار مستمّراً لم يعرف الانسان حقيقة النهار، والعكس صحيح أيضاً، كما ان الانسان لا يعرف حقيقة العطش إلا بعد معرفة حقيقة الارتواء، و بالعكس، الى غير ذلك من الأمثلة.

ومن هنا قيل في قاعدة أخرى: (حكم الامثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد) فالامور المتماثلة كلها تجوز عليها أشياء معينة، كما لا تجوز عليها أشياء معينة، فالابيض والابيض كلاهما يفرّق نور البصر وكلاهما لا يقبض نور البصر، كما ان الاسود والاسود كلاهما يقبض نور البصر وكلاهما لا يفرّق نور البصر، الى غير ذلك من الامثلة.

ومن هنا.. فانّا اذا أردنا أن نعرف عاقلاً فقد نعرفه بالقياس الى عاقل آخر، فكلاهما موزون الحركات، وكلاهما لا تبدو عليه ملامح الاضطراب والفوضى في الكلام والسكون والحركة والاكل والشرب والمشي وغير ذلك.

وقد نعرف العاقل بالمجنون، كما ان المجنون يعرف بالعاقل، فاذا رأينا عاقلاً متزن الحركات علمنا ان المجنون هو ما ليس كذلك، واذا رأينا مجنوناً فوضوي الحركة علمنا بأن العاقل ليس كذلك.

عالم العقلاء، أو عالم المجانين؟

اذا عرفنا هذه [المقدمة] القصيرة نقول: هل العالم في عصرنا هذا عالم عقلاء أو عالم مجانين؟

ولعل هذا السؤال يثير الاستغراب، اذ واضح ان العالم عالم العقلاء، وان المجانين هم أفراد قلائل يعيشون في دور المجانين ومستشفيات الاعصاب.

لكن هذا هو السطح الظاهر من الامر، ولعل التعمق في الامر يفيد غير ذلك.

ولنتسائل: المجنون من هو؟ حتى نعرف ان العالم بمجموعه مجنون أو عاقل والعاقل من هو؟ حتى نعرف هل ان العالم بمجموعه عاقل، أم لا؟!

إن المجنون:ـ هو الذي يمارس الاعمال الاعتباطية، مما يضر نفسه و يضر الآخرين، والعاقل:ـ هو الذي يمارس الاعمال بحكمة مما ينفع نفسه و ينفع الآخرين، أليس كذلك؟!

فاذا كان الجواب بالايجاب، فهل العالم يقوم بالاعمال المفيدة لنفسه ولغيره أو يقوم بالاعمال الضارة؟

واضح أن كل فرد يجيب عن هذا السؤال بقوله: أنا عاقل! وكذا كل شركة شركة، وكل حكومة حكومة.

ولكن: اذا كان العالم عالم العقلاء، فلماذا قتل الملايين خلال نصف قرن في حربين عالميتين، تركت العالم شظايا ورماداً ودماءً ودموعاً وأشلاءً ومعوقين وما الى ذلك.

ولماذا نصدق بالامم المتحدة وهي أوضح مثال للانحراف، حيث نرى منظمة الامم المتحدة مكاناً لهدر الحقوق، فالامم المتحدة تجعل الدولة الكبيرة ذات الألف مليون انسان والدولة الصغيرة ذات مائة ألف انسان على قدم المساواة في اعطاء الاصوات، فهل صحيح أن نساوي بين مائة ألف انسان و بين ألف مليون انسان؟ أليس هذا هدراً

لحقوق ألف مليون ــ إلاّ مائة ألف ــ لان مائة ألف من حكومة ذات ألف مليون تساوي مائة ألف من الحكومة الصغيرة ذات مائة ألف، فأين حق البقية؟ أوليس ذلك يشبه أن تعطي لألف انسان طعاماً ونعطي لانسان واحد بقدر ذلك الطعام، بل النسبة أبعد من ذلك، لان نسبة مائة ألف نسبة العشر، فهو مثل ان نعطي (عشرة أقراص من الرغيف) لانسان واحد، و(رغيفاً واحداً) لألف إنسان!

مثال ثالث:ــ لماذا يتكدس المال حتى يملك بعض الافراد مليارات، بينما الملايين جائعون، و بينما الملايين من الاطفال يموتون جوعاً وهل هذا من التعقل؟ فلو كان والد عائلة يعطي لولد من أولاده عشرة أقراص من الخبز و يترك عشرة آخرين من أولاده جائعين الى حد الموت، فهل يُعدّ هذا الوالد عاقلاً، وان كان هذا الوالد يعد عاقلاً، فمن هو المجنون؟!!

إذاً، ليس الجنون خاصاً بمن يقفز في الشارع، و يتسلق الجدران و يشق ملابسه و يلوث بدنه، فان المجنون أيضاً هو من يضر نفسه و يضر الآخرين.

واذا كان العالم عالم العقلاء لماذا نبني المستشفيات للعناية بالصحة، ونربي الاطباء الحاذقين، ونكدح ليل نهار لعلاج عين، أو قلب أو شفاء حمى أو ما أشبه، ثم في قبال كل ذلك نهيء وسائل التدمير الجماعية التي تخلّف ملايين الجرحى والمصابين والمعتوهين؟ هل هذا عمل العقلاء؟!

هل الوالد الذي يذهب بولد له أصابته وعكة الى الطبيب و يعتني به عناية فائقة حتى يبرء، ثم يأخذ السكين و يقطع يد ولده الآخر، أو يقلع عينه، أو يصلم أذنه، أو يجدع أنفه، أو يبتر رجله، هل يُعدّ هذا عاقلاً.

اذا كان العالم عالم العقلاء، فلماذا تُحرق المحاصيل الزراعية أمثال القمح والسكر والارز، وتلقى في البحر ملايين الاطنان من الحليب المجفف والادوية؟

بينما هناك ملايين من الناس يموتون جوعاً، أو لسوء التغذية، أو يمرضون من جهة عدم كفاية الدواء والغذاء والعناية الصحية.

أليست هذه الامور وأمثالها دليلاً على ان العالم الذي نعيش فيه قد فقد الموازين؟

القرآن الكريم يشير

وقد ألمع القرآن الحكيم في آيات متعددة الى هذه الحقيقة، فقد قال سبحانه:

«ومن يرغب عن ملّة ابراهيم إلاّ من سفه نفسه ولقد أصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين»(سورة البقرة/١٣٠)

فالذي يرغب عن ملّة شخصٍ مصطفى في الدنيا وصالح في الآخرة سفيه حقاً.

وفي آية أخرى يقول الله تعالى:

«سيقول السُّفهاء من الناس: ما ولاّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ قُل: لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراطٍ مستقيم»(البقرة/١٤٢)

فمن ينقاد الصالحين والمصلحين هو انسان سفيه، فماذا بعد الحق إلاّ الضلال؟ وماذا بعد العقل إلاّ السفاهة؟

وفي آية أخرى يقول الله سبحانه وتعالى:

«ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً»(النساء/٥)

فالناس الذين يتصرفون في الاموال تصرفاً غير حكيم هؤلاء سفهاء، ويحظر على الانسان أن يعطي المال لهؤلاء، وان كان المال لهم شرعاً، وقد سمى الله سبحانه وتعالى هذه الاموال (أموالكم) لأن مجموع المال لمجموع البشر، فاذا أعطي المال للسفيه وتصرف فيه تصرفاً غير صحيح كان معنى ذلك حدوث نقصان في مجموع أموال البشر، ولنفرض أن هنالك ألف انسان وألف دينار، و بعض هؤلاء يتصرفون تصرفاً سيئاً فاذا أعطيناهم مائة دينار وألقوها في البحر بقي ألف انسان بتسعمائة دينار فقد نقص من الاموال بهذا العمل.

و يقول الله تعالى في آية أخرى:

«وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططاً»(الجن/٤)

فالذي يقول على الله الشطط هو سفيه.

وفي رواية: (ان رسول الله(ص)، رأى إنساناً يتصرف تصرفاً سيئاً فقال: من هذا؟ قالوا: هو مجنون فقال الرسول(ص):ـــ ليس هذا بمجنون بل هو مبتلى، قالوا: فمن المجنون يارسول الله؟ قال:ـــ المجنون الذي يعصي الله تعالى).

نتائج الانحراف

ومن الواضح إن معصية الله سبحانه وتعالى إنحراف عن الطريقة المستقيمة في الحياة، وكل انحراف يسبب نتائج سيئة، فالذي يشرب الخمر يسبب لنفسه انحرافاً في الصحة، والذي يقامر يسبب لنفسه خسارة وانهياراً، والذي يزني يسبب لنفسه أمراضاً نفسية وجسمية واجتماعية، أليس هذا نوعاً من أنواع الجنون؟ والفرق ان المجنون قليل الاذى، لأن أذى المجنون لا يتعدى غالباً دائرة خاصة صغيرة، أما مجنون الشهرة أو مجنون القدرة أو مجنون السيطرة، فهؤلاء يضرون أنفسهم و يضرون ملايين الناس، ولذا ورد في الحديث:

[اذا فسد العالِم فسد العالَم].

والعالِم المنحرف لا يضر آخرته فحسب، وانما يضر دنياه قبل آخرته، كما يضر الآخرين أيضاً وعلى هذا القياس.

اذاً فعالم اليوم عالم المجانين وليس بعالم العقلاء. عالم المرضى وليس بعالم الاصحاء. عالم المنحرفين وليس بعالم المستقيمين.

ملامح المجتمع المريض

و بذلك ظهر انه لا يمكن أن يقال: (ان الاجتماع يسير) (وكل مجتمع واصل السير، وأدام قطع المراحل فهو مجتمع سليم) إذ يجب ملاحظة الروح العامة السائدة على الاجتماع، وهل انها مطابقة للمقياس الصحيح أم ليست مطابقة له؟ فان كانت مطابقة للمقياس الصحيح كان المجتمع سليماً، وأما اذا لم تكن مطابقة كان المجتمع منحرفاً ومريضاً ومجنوناً.

ولا يحتاج الامر الى أن نرجيء الامر مدة ونقول: هذا الاجتماع السائر سوف يصطدم و يتحطم كالسيارة المعطوبة التي تسير الآن سيراً معتدلاً، لكن بعد برهة من الزمن تصطدم وتحترق وتعطب! بل هنالك علامتان للمجتمع المريض:

العلامة الاولى:ـ ان نرى المجتمع وقد ظهرت فيه نواقص.

والعلامة الثانية:ـ انه سوف يتحطم.

وكلا الامرين موجودان في الاجتماع الحاضر فمثله مثل سيارة في حالة الاحتراق، و بعد مدة من الزمن تصطدم وتتحطم وتتلاشى.

فهذا الاجتماع الذي نعيش فيه يمر الآن بحالة الاحتراق، فهناك حروب، هناك ثورات، هناك جنون التسابق الى التسلح، هناك اللف والدوران والمكر والخداع والغش والاحتكار، والرأسمالية المنحرفة، والشيوعية الجنونية، هناك تمايز طبقات الى حد أن بطوناً تتخم و بطوناً تُحرم، قسمٌ يذهبون الى القبور من وراء التخمة، وقسمٌ يذهبون الى القبور بسبب الفقر والجوع والشرب، هذا واقع الاجتماع الآن..

أما المستقبل فالاجتماع آخذ في طريق الوصول الى نقطة النهاية والتحطم، حيث تفنى الحضارة التي وصل اليها الانسان منذ قرون وقرون.. أليس ذلك دليلاً على انحراف الاجتماع وعدم تعقله، وأليس هذا الواقع يلح على عقلاء العالم للتفكير في كيفية العلاج والخلاص لكل العالم، لا لأمة خاصة أو مدينة خاصة أو جماعة خاصة أو ما أشبه؟

اسباب الانحراف العالمي

محدودية الثقافة :

١ ــ نقص الثقافة، ولا نقصد نقص ثقافة خاصة كثقافة الاقتصاد او ثقافة الاجتماع او ثقافة التربية او ثقافة الجيش او ثقافة الامارة او ثقافة الحكم او ثقافة الزراعة او ما اشبه، وانما نقصد نقص ثقافة الحياة بمجموعها، فان من الضروري:ــ

أولاً:ــ أن نعرف طبيعة الانسان.

وثانياً:ــ أن نعرف ماذا يلائم طبيعته، وماذا ينافرها؟

وثالثاً:ــ أن ننظر هل الاجتماع مكوّن من الملائم أو المنافر؟ فليس من الصحيح أن نقول:ــ يجب اتباع الاكثرية، كما انه ليس من الصحيح أن نقول: يجب الحياد بعدم الاتباع والمخالفة، كما انه ليس من الصحيح أن نقول: يجب المخالفة، فان كل شيء في موضعه حسن، فاذا كانت الاكثرية مستقيمة يجب اتباعها، وان كانت منحرفة يجب مخالفتها، وان لم تكن مستقيمة ولا منحرفة، وانما بين ذلك سبيلاً، فالواجب اتباع الصحيح ومخالفة المنحرف.

الفطرة تسحق

بينما نرى انه قد سحقت مسألة الفطرة في الجهة الاولى **(معرفة طبيعة الانسان)** وقد قال الله سبحانه وتعالى:

«فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله»(الروم/٣٠)

فكما ان لكل شيء في الحياة فطرة وخاصية حسب ما قرره الله سبحانه وتعالى، كذلك نرى في الانسان فطرة خاصة، وهذه الفطرة هي التي تملي على الانسان ما يلائمها وما ينافرها، وقد قال سبحانه:

«قل كلٌّ يعمل على شاكلته»(الاسراء/٨٤)

فكما ان فطرة الحيوانات تختلف عن فطرة الاشجار.. وكما ان فطرة الاشجار

يختلف بعضها عن بعض، فكذلك للانسان فطرة خاصة، بينما نرى الآن في العالم جماعة من المفكرين والسياسيين وهم يظنون ان الانسان صفحة بيضاء يمكن ان ينقش فيها اي نقش، ولذا يتهافتون على قضايا غسل المخ وعلى مسائل الدعاية والتبليغ كيف ما شائوا.

فمثلاً ترى في البلاد الغربية كل الاجهزة منصبة على توجيه الناس الوجهة الرأسمالية، وفي البلاد الشرقية ترى كل الاجهزة منصبة الى توجيه الناس الوجهة الشيوعية، وفي بعض البلدان التوجيه الى الوجهة القومية أو ما أشبه، وذلك يسبب انفصاماً في الشخصية، فمن ناحية للانسان نداء ضمير وصياح فطرة، ومن ناحية يعمل الاعلام على خلاف ذلك، فهؤلاء الساسة والمفكرون ــ الذين يرون ان الانسان صفحة بيضاء يمكن أن ينقش فيها أي نقش أو أرض خالية يباب يمكن أن يزرع فيها أي زرع ــ من هذا المنطلق يأخذون بزمام الانسان مرة ذات اليمين ومرة ذات الشمال، مما يسبب الانفصام في الشخصية العالمية، فصار الانسان أجنبياً عن نفسه، وقد نبه على هذا القرآن الحكيم بعبارة دقيقة حيث قال سبحانه:ــ

«ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا»(الكهف/٢٨).

إن الهوى لا استقامة لها، فالرياح تهب مرة نحو الجنوب، وأخرى نحو الشمال، وثالثة نحو الغرب، ورابعة نحو الشرق، و يكون حال الانسان المتبع لهواه حال العنقود اذا انفرطت الاعناب منه فانه لا يبقى قوام لحبّات الاعناب المنفرطة حين الرفع والوضع والنقل وما أشبه.

العودة الى الفطرة

ولذا فالضروري على الانسان أن يلاحظ فطرته القويمة الخالية عن الاهواء الداخلية والمضللات الخارجية، فاذا نمت تلك الفطرة نمواً طبيعياً كان الانسان سليماً وكان المجتمع المحتوي على هؤلاء الافراد مجتمعاً سليماً، وإلاّ (بأن لم تنم الفطرة كما هي هي، وانما زرع فيها غير المناسب لها) يكون الانسان مريضاً و يكون المجتمع الذي يحتوي على هذه اللبنات الانسانية مجتمعاً مريضاً كما ابتلى العالم المعاصر بذلك.

الوئام بين الفطرة والسلوك

.. ثم بعد أن عرفنا الامر الأول ــ وهو طبيعة الانسان وفطرته لا الألوان المفروضة عليه من الداخل أو من الخارج ــ يأتي دور الامر الثاني وهو ان نعرف ماذا يلائم هذه الطبيعة، وماذا لا يلائمها؟ حتى نصنع الوئام بين الطبيعة و بين النفس، وفي هذا المجال نلمح انحرافاً آخر.. وهو: أن يكون الانسان مع الناس كيف ما كانوا، وقد اشتهر عند جماعة من الناس قديماً وحديثاً (حشر مع الناس عيد) بينما الحشر مع الناس المستقيمين عيد، أما الحشر مع المنحرفين فهو عزاء وضلال، أترى ان الانسان اذا ذهب الى الشرق هل يحشر معهم؟ ثم اذا ذهب الى الغرب هل يحشر معهم؟ وهل يمكن أن يكون عيدان للانسان: عيد الى أقصى اليمين وعيد الى أقصى اليسار؟ ان هذا هو معنى ان الانسان ينخلع عن نفسه بنفسه.

المضاعفات الخطيرة للانفصام

والواقع ان المجتمع الذي يحتوي على هذه اللبنات الانسانية ــ المنخلعة عن نفسها بنفسها ــ مجتمع منحرف ومريض مما يسبب أن يكون الانسان في ضيق من الحياة وضنك من العيش كما قال سبحانه:

«ومن أعرض عن ذكري فانَّ له معيشة ضنكاً. ونحشره يوم القيامة أعمى. قال: ربِّ لِمَ حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً؟ قال: كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى»(طه/ ١٢٤ــ١٢٦)

وإنما يبتلى الانسان في الحياة بضنك العيش لأن داخله شيء وخارجه شيء وهنالك تمزق وانفصام بين الداخل والخارج هذا من ناحية.

ومن ناحية ثانية: وجود القوانين الوضعية التي تقيد الانسان وتجعل الا ثقال على كاهله تسبب له ضيقاً وضنكاً، فهنالك ضيق وضنك نفسي، وضيق وضنك جسدي.

فسفره محظور، واقامته محظورة، وعمارته محظورة، وكذلك قل في سائر حرياته فانها كلها مكبوتة ومقيدة كما نشاهد في عالم اليوم، ففي الدنيا هويعيش في ضنك العيش وفي الآخرة هو أعمى.

ولذا كان القادة الاسلاميون في أول الاسلام عندما يواجهون الامم الاخرى التي يدعونها الى الدخول في الاسلام يقولون لهم: جئنا لاخراج الناس من عبادة الناس الى عبادة الله، ومن ضيق الارض الى سعتها.

نعم الانسان الذي يعبد الحجارة يعيش في ضنك نفسي، وازمة روحية وانفصام، ففطرته تكفر بالحجارة و بالصنم و بالآلهة البشرية، بينما مجتمعه الذي فرض هذا الانسان على نفسه اتباعه (اما خوفاً واما رغبة واما جهلا) يعبد الحجارة.. وهنا يكون الانفصام والخروج من موازين الحق والعدل والفطرة، ثم ضنك العيش وضنك الحياة، كما نشاهد هذين الامرين في زمننا الحاضر في العالم حيث رجع العالم الى الجاهلية، لكن: لهذه الجاهلية لون آخر غير اللون الذي كان للجاهلية قبل الاسلام.

معرفة التركيبة الاجتماعية

و بعد هذين الامرين ـــ أي معرفة طبيعة الانسان، ومعرفة ماذا يلائم طبيعته ـــ نأتي الى الامر الثالث: ـــ وهو هل أن الاجتماع مكوّن من الملائم أو من المنافر أو من الخليط بينهما؟ فاذا كان الاجتماع ملائماً، فهذا اجتماع سليم ويجب الانسياق معه، واذا كان الاجتماع منافراً فهذا اجتماع مريض ويجب مخالفته، واذا كان الاجتماع خليطاً منهما فهذا اجتماع صحيح وسقيم مخلوط منهما، وكما قال الله سبحانه وتعالى:

«خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً»(التوبة/١٠٢)

فيلزم اتباع الملائم واجتناب المنافر، فلا يمكن اطلاق القول بالاتباع، كما لا يمكن اطلاق القول بالاجتناب والمخالفة وهكذا لا يمكن اطلاق القول بعدم الاتباع وعدم المخالفة، اي العيش حيادياً لهم دينهم، وله دينه، وانما يلزم اتباع الصحيح ومخالفة الباطل.

بين الانسان والطبيعة

.. ثم انا نشاهد ان المواليد الثلاثة حسب المصطلح الفلسفي (النبات والحيوان والانسان) تختلف من حيث ان النبات بقي جزءاً من الطبيعة غير مطرود عنها، ولذا فهو مرتبط بالارض وهو جزء منها، وانما اهتزت الارض وربت حتى صارت في شكل النبات.

أما الحيوان فلم يطرد عن الطبيعة طرداً مطلقاً، ولم يبق على الطبيعة بقاءً مطلقاً، ولذا فهو نصف مربوط بالطبيعة، ليس له لا كل شؤون المنفصم الفطيم، ولا كل شؤون المرتبط الرضيع.

أما الانسان ــ ثالث المواليد ــ فهو: مطرود عن الطبيعة طرداً مطلقاً بسبب عقله ومعرفته وتسلطه على ذاته وتسلطه على الطبيعة، وقابليته للنمو العقلي والعاطفي والفكري.

أربعة أنواع من التنسيق

لذا كان اللازم على الانسان ان يهتم لان يعرف كيف ينسق بين نفسه (لأن الانسان ينفصم عن نفسه أحياناً كما ذكرنا) و يعرف كيف ينسق بين نفسه ومجتمعه؟ و يعرف كيف ينسق بين نفسه والطبيعة؟

وحيث يدرك الانسان بفطرته أن له إلهاً حكيماً يلزم عليه تنسيق رابع بين نفسه و بين إلهه؟ فاذا توافقت كل التنسيقات الاربعة عاش الانسان في بحبوحة الخير والرفاه والسعادة النفسية والجسدية، وان تعوقت بعض التنسيقات حصل الانهدام بقدر ذلك الانفصام.

اقسام الانفصام في الشخصية

وتتدرج الانفصامات بين انفصامات اربعة، وانفصامات ثلاثة، وانفصامين اثنين، وانفصام واحد.

وهنـاك قـسم آخر من **الانفصام** وهو الانفصام في أحد الامور الاربعة في الجملة، إذ التـنسيق والانفصام ليس (بسيطاً) حتى يكون التنسيق مطلقاً أو **الأنفصام مطلقاً**، وانما التـنـسيـق والانفصام قد يكون في أحد الامور الاربعة وقد يكون في بعض كل واحد من الامور الاربـعـة على اختلاف المراتب، ولذا نشاهد في الآيات الكريمة الاشارة الى هذين الامرين.

يقول القرآن الحكيم:

«ولـو أنـهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثيرٌ منهم ساء ما يعملون»(المائدة/٦٦)

فـاذا حـدث الـتـنـسـيـق بين كل الامور ــ والذي يتلخص في اقامة التوراة والانجيل والـقـرآن ــ لـكـانـت الحياة للانسان رغداً هنيئاً وكان الانسان سعيداً، أما اذا لم يحدث التنسيق فان الامر يكون بالعكس، ولذا يقول الله سبحانه وتعالى:

«ظـهـر الـفـسـاد في الـبـرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس ليُذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون»(الروم/٤١)

فـالفساد انما يكون بسبب عدم التنسيق بين **الامور الاربعة**، والانسان إنما يتسلم ثمرة عمله، ولذا يقول الله تعالى في آية أخرى:ــ

«قـل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين»(الروم/٤٢)

إنـهـم بـسـوء أعـمـالـهـم والانـفـصام في الامور التي يجب التنسيق بينهما ذاقوا و بال أمرهم، ثم يقول الله سبحانه وتعالى:

«فـأقـم وجـهـك للـديـن الـقـيّـم مـن قبل أن يأتي يومٌ لا مردَّ له من الله يومئذٍ يصدّعون. من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون. ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله إنه لا يحب الكافرين» (الروم /٤٣ــ٤٤ــ٤٥)

الانسان يخون الأمانة!

وعلى هـذا، فـالانسان لا يقاس بالنبات الذي هو جزء الطبيعة ولا بالحيوان الذي هو

نصف مطرود عن الطبيعة، وانما يجب أن يلاحظ نفسه منفصماً عن الطبيعة منفلتاً من مخالبها وعلى ذلك يبني حياته وانه كيف يعيش في هذه الحالة، أما اذا صار الانسان في مأكله ومشربه وملبسه ومنكحه ومسكنه وما أشبه تابعاً للحيوان ناسياً انسانيته فانه يصبح حينئذٍ كالبهائم بل أسوء منها لأنه ملك شيئاً فهدره، بينما البهيمة لا تملك ذلك الشيء، يقول الله سبحانه وتعالى مشيراً الى هذه الحقيقة وأن الكفار كيف يصبحون كالبهائم في كيفية العيش والارتباط بالطبيعة:

«والذين كفروا يتمتَّعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوىً لهم»(محمد/١٢)

«إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناتٍ تجري من تحتها الانهار»(محمد/١٢)

انهم في الحياة أنعام، والانعام لا تكون مستحقة لكرامة الجنة، فينتهي أمرهم الى النار حيث انهم ضيعوا سمّوهم وارتفاعهم أما الانعام فتصبح تراباً كما ورد في تفسير قوله تعالى:

«ويقول الكافر ياليتني كنت تراباً»(النبأ/٤٠)

حيث يرى الكافر ان الانعام تبدلت الى تراب، أما هو فلا يتبدل الى تراب، حيث انه ملك شيئاً فضيعه فيجب عليه أن يذوق وبال أمره.

هذا من ناحية كيفية العيش في الحياة، أما من ناحية انه أضاع الشيء الذي منح فلم يعبأ به، فقد قال سبحانه وتعالى:

«إن هم إلاّ كالانعام بل هم أضلُّ سبيلاً».

ويشير القرآن الحكيم الى تضييع الانسان ما شرفه الله سبحانه وتعالى به وظلم نفسه وجهل قدره، مما سبب له الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة حيث يقول:

«إنّا عرضنا الأمانة على السماوات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنَّه كان ظلوماً جهولاً»(الأحزاب/٧٢)

الفارق بين الانسان وسائر الكائنات

إن النبات ليس محتاجاً الى التعب والنصب في توفير اللوازم بنفسه وانما خلقه الله سبحانه وتعالى بحيث تتكفل السماء والارض ونحوهما بتزو يده بحاجاته تلقائياً.

أما الحيوان فانه محتاج الى ما يكفيه بأن يتعب و ينصب لأجل شبعة جوعته وارواء ظمأه وقضايا جنسه الى غير ذلك، لأنه ليس بمنزلة النبات.

أما الانسان فلأنه أبعد عن الطبيعة كان محتاجاً الى كل قضاياه، فحيث انه ليس كالملائكة بعيداً عن الطبيعة كل البعد فانه يحتاج الى توفير مسكنه وملبسه ومأكله ومشربه وغير ذلك، وليس هذا هو الفارق بينه و بين الحيوان، وانما الفارق ما يحتاجه الانسان من الامور النابعة من نفسه وروحه وكونه مرتبطاً بالسماء كارتباطه بالارض، فاذا تمكن من تصحيح التنسيق والارتباط بين هذه الجهات المتخالفة كان الانسان انساناً سليماً، والمجتمع المحتوي على مثل هذه اللبنات الانسانية مجتمعاً سليماً بينما اذا لم يتمكن من تصحيح مسيره كان الفرد فرداً غير سليم ـ أما مريضاً غاية المرض اذا حصل الاختلال في كل التنسيقات، وأما مريضاً بعض المرض اذا حصل الاختلال في بعض الجهات المحتاجة للتنسيق ـ.

أبعاد التركيبة الانسانية في نهج البلاغة

وقد أشار أميرالمؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة الى هذه الاحتياجات الانسانية النابعة من كيفية خلقته فقال:

[ثم جمع سبحانه من حزن الارض وسهلها وعذبها وسبخها تربة سنها بالماء حتى خلصت، ولاطها بالبلة حتى لزبت، فجبل منها صورة ذات احناء ووصول أعضاء وفصول، اجمدها حتى استمسكت، وأصلدها حتى صصلت لوقت معدود وأمد معلوم، ثم نفخ فيها من روحه فمثلت انساناً ذا أذهان يجيلها، وفكر يتصرف بها، وجوارح يختدمها، وأدوات يقبلها، ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل،

والاذواق والمشام والالوان والاجناس، معجون بطينة الالوان المختلفة والاشباه المؤتلفة والاضداد المتعادية والاخلاق المتباينة من الحر والبرد والبلة والجمود].

الى أن يقول «ع»:

[وأهبطه الى دار البلية وتناسل الذرية، واصطفى سبحانه من ولده انبياء أخذ على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة اماناتهم لمّا بدّل اكثر خلق الله عهدالله اليهم فجهلوا حقه واتخذوا الانداد معه واجتالتهم الشياطين عن معرفته واقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله وواتر اليهم أنبيائه ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسّى نعمته ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفائن العقول ويروهم الآيات المقدرة من سقف فوقهم مرفوع ومهاد تحتهم موضوع ومعايش تحييهم وآجال تفنيهم وأوصاب تهرمهم وأهداف تتتابع عليهم].

فالانسان في منطق الواقع الذي بيّنه الامام عليه الصلاة والسلام:

أولاً: مركب من جسد ومن روح.

وثانياً: جسده مختلط من أشياء، كما ان روحه أيضاً مختلطة من أشياء ــ كما في أحاديث أخرــ فان الجسم كما هو مختلط مما ذكره الامام(ع) كذلك الروح مختلطة من أشياء ذكرها الأئمة عليهم السلام في مسألة (جنود العقل) و(جنود الجهل) على تفسير مذكور في كتب الاحاديث، وبالفعل يجد الانسان في داخله ما ذكروه وان كنا بعد لم نعرف غور النفس وخصوصياتها ــوان كنا تمكنا أن نصل الى آفاق السماء وأعماق الارضــ.

وثالثاً: يذكر الامام عليه الصلاة والسلام كيفية التنسيق بين هذين المتضادين (الجسم والروح) ثم يبين متضادات الجسم ومتضادات الروح ماهي؟ ــوهذا هو الذي نحن بصدده الآنــ حيث انه يبقى سؤال بعد ما تقدم وهو انه كيف ينسق الانسان بين هذه الامور الاربعة سواء بعضها مع بعض أو التنسيق في داخل كل وحدة وحدة من هذه الوحدات الاربع المذكورة؟

فانه اذا تمكن الانسان من هذين التنسيقين بين الوحدات وبين كل وحدة وحدة،

فقد أصبح الانسان سليماً، والمجتمع الذي يحتوي على هذه اللبنات الانسانية مجتمعاً سليماً، بينما اذا لم يتمكن من التنسيق وحدث الانفصام والافتراق يصبح الفرد والمجتمع المبني عليه سقيماً، أما بنحو متطرف في السقم أو بنحو خفيف في السقم.

ألوان من الانفراط

.. واذ قد عرفنا كبرى الانفصام والتنسيق يأتي الكلام هنا في أمرين:ــ
الأول: الانفراط على أقسام:ــ

أولاً: الانفراط عن النفس:

وهو قد يكون في جانب النفس، وقد يكون في جانب الجسد، مثلاً:ــ كل من المتهور والجبان منفرط في جهة النفس، وكذلك كل ممن يأكل أكثر من المتعارف أو أقل منه منفرط في جهة الجسد، وقد أشار القرآن الحكيم الى الانفراط عن النفس بقوله سبحانه:

«ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون»(الحشر/١٩)

فالذي ينسى الله سبحانه وتعالى ينتهي **نسيانه** لله الى نسيانه نفسه، و يكون منفرطاً عن ذاته، أما في جهة الجسد، وأما في جهة الروح، وفي كل واحد منهما أما أن يكون الانفراط في جهة الافراط، أو في جهة التفريط.

ثانياً: الانفراط عن المجتمع:

وهو أن لا ينسق الانسان مع المجتمع، وقد قال سبحانه في صدد التنسيق مع المجتمع:

«إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم» (الحجرات/١٣)

وقال سبحانه:

«وقولوا للنّاس حسناً»(البقرة/٨٣)

الى غيرها من الآيات التي وردت بصدد التنسيق بين الانسان و بين المجتمع، فاذا لـم يـفـعل ذلك فقد انفرط عن المجتمع وحصل بينهما الانفصام، وقد قال سبحانه بصدد ما يكون بين الانسان والمجتمع من الانفصام:

«واعـتـصـموا بـحـبـل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءاً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً»(آل عمران/١٠٣)

الى أن قال:

«ولا تـكـونـوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيّنات وأولئك لهم عذابٌ عظيمٌ»(آل عمران/١٠٥)

ثالثاً: الانفراط عن الطبيعة

وذلـك لأن الله سـبـحـانـه وتـعالى سخر الطبيعة للانسان، فاذا اتخذ الانسان الطبيعة معبوداً فصار المسخَّر مسخِّراً كان معنى ذلك الانفصام عن الطبيعة.

يقول الله سبحانه وتعالى بصدد أن الطبيعة مسخرة للانسان وان الانسان الذي يمتطي الـطـبـيـعـة هو الذي لا ينفصم عنها، وانما يستعملها في شأنها كمن يستعمل المركوب في الركوب عليه.

«الله الـذي خـلـق الـسـمـاوات والارض وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الـثـمـرات رزقاً لكم وسخَّر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخَّر لكم الانهار. وسخَّر لـكـم الشمس والقمر دائبين وسخَّر لكم الليل والنهار. وآتاكم من كل ما سألـتـمـوه وإن تـعـدُّوا نـعـمـة الله لا تُـحـصـوهـا إنَّ الانـسـان لـظـلـومٌ كفَّارٌ»(ابراهيم/٣٢ـ٣٣ـ٣٤)

أما بصدد المنفصم فيقول الله سبحانه وتعالى:

«فـلـمَّـا جنَّ عليه الليل رآى كوكباً، قال: هذا ربّي فلمَّا أفل قال: لا أحبُّ الآفلين. فلما رآى القمر بازغاً قال: هذا ربّي، فلمَّا أفل قال: لئن لم يهدني ربّي

لأكوننَّ من القوم الضالّين. فلمّا رأى الشمس بازغة قال: هذا ربّي هذا أكبرُ، فلمّا أفلت قال: ياقوم إنّي بريء ممّا تُشركون»(الأنعام/٧٦ــ٧٧ــ٧٨)

الى غيرها من الآيات التي تدل على ان اناساً اتخذوا الاصنام أو الطبيعة أو نحوها الهاً لهم.

رابعاً: الانفراط عن الله

و بصدده قد قال سبحانه:ــ

«استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إنَّ حزب الشيطان هم الخاسرون. إنَّ الذين يحادُّون الله ورسوله أولئك في الأذلّين»(المجادلة/١٩ــ٢٠)

وهكذا اذا تبدل التنسيق وحصل الانفراط يعود ذلك بالوبال على الانسان.

كيف يتم التنسيق؟

وإذ قد عرفنا الانفراط في الامور الاربعة في جزئيات كل واحدة واحدة من هذه لامور على سبيل المثال يأتي دور الجواب عن السؤال الثاني وهو كيف يحصل التنسيق؟ حتى يكون الفرد سليماً؟ و يكون المجتمع ــ المتكون من اللبنات الانسانية ــ مجتمعاً سليماً؟

والجواب: ان التنسيق انما يحصل باتباع أوامر الله سبحانه وتعالى، لأن الله هو الذي خلق الانسان والمجتمع والطبيعة، وهو يعرف داء هذه الامور ودوائها وقد قال سبحانه:

«ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير»(المُلك/١٤)

فالاتباع لمناهج السماء هو الذي يتكفل التنسيق بين الوحدات المذكورة، و بين كل وحدة ووحدة في داخلها، أما اذا أعرض الانسان عن هداية السماء فانه يقع في تيه من القوانين والانظمة والافكار والعقائد التي لا تمت الى الحقائق بصلة، وقد اعترف العلماء بأن العلم ــ رغم تقدمه وكشوفه ــ لم يستطع أن يعرف حتى أجهزة الجسم كاملة،

فكيف بالنفس؟، كما انهم يعترفون بأن العلم لم يصل الى حقائق **الطبيعة، بل يعترفون** بأن هناك بوناً شاسعاً بين العلم و بين معرفة كنه الاشياء، وما وصل اليه العلم هو شيء طفيف من المعلومات المودعة في داخل الانسان جسماً ونفساً، وفي خارج الانسان سماءاً وأرضاً وطبيعة.

ضرورة وجود القانون

.. وحيث انقطع الانسان عن الطبيعة لم تعد الطبيعة قادرةعلى اعطاءه حاجاته المادية والمعنوية تلقائياً بدون العمل والجهد، (بينما الطبيعة تتمكن من امداد النبات والحيوان).

ومن هنا كان لابد للانسان من ايجاد روابط جديدة لجسمه وروحه معاً، ووضع قوانين خاصة لاستمراره في الحياة، ولا يمكن ذلك إلاّ بأن يتبع الانسان قوانين تربطه بالطبيعة من ناحية، و بالمجتمع من ناحية ثانية، وهذه القوانين أما أن تكون موضوعة من **قبل نفس الانسان ــ سواء من قبل الشعب او من قبل الاشراف او من قبل الدكتاتور ــ او ان تكون موضوعة من ناحية السماء حيث ان الانسان بدون قوانين لا يتمكن ان يعيش:**

أولاً: من ناحية التعاون.

وثانياً: من ناحية دفع التباغض.

فان الاجتماع الذي يحتاج اليه الانسان يحتوي على جهتين:

جهة التعاون: حيث كل واحد من أفراد الانسان يحتاج الى غيره في مأكله ومشربه ومسكنه ودوائه وسائر شؤونه.

وجهة دفع التباغض والتحاسد والعداء. حيث ان الاجتماع بحاجة الى قوانين تدفع مشكلاته. وحيث ان الانسان بكل أصنافه (أي الشعب والاشراف، والدكتاتور) لا يتمكن من وضع القوانين الصحيحة، فلابد أن يكون الواضع للقوانين الصحيحة هو الله سبحانه وتعالى، و بذلك يتمكن الانسان من أن يعيش حياةً سعيدة.

مواصفات القانون السليم

القانون الذي يوضع لاجل الانسان يجب أن يكون مشتملاً على أمور:ـــ

١ ــ أن يكون عاماً للجميع:

اي ان يكون عاماً لكل الناس وإلا لزم التدافع ــ أولاً ــ وكان القانون ناقصاً ثانياً، وذلك لأنه اذا وضع لجماعة من الناس قانون، ولجماعة من الناس قانون، أو وضع لجماعة من الناس قانون، ولم يوضع لجماعة من الناس قانون أورث التدافع بين الطائفتين، فان القانون هو (حدود خاصة) فاذا كان هنالك حدود في هذا الجانب، وحدود في جانب آخر، أو كان هناك حدود في هذا الجانب، ولا حدود في الجانب الآخر (أي الفوضى) لزم التدافع بين الجانبين.

مثلاً اذا قال قانون: ان الانسان حر في أن يتزوج ما يشاء من الزوجات، أو في أن تتزوج المرأة ما تشاء من الازواج، وحدّد قانون آخر هذه الحرية، فقال: (لا يحق للرجل إلاّ أن يتزوج واحدة ولا يحق للمرأة أن تتزوج إلاّ واحداً) فمن الطبيعي أن يحدث التصادم بين هذين القانونين فالرجل يريد التزوج بالثانية والمرأة تمنع، أو المرأة تريد التزوج بالثاني والرجل يمنع، وهكذا في سائر القوانين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها.

هذا بالاضافة الى ان القانون لو لم يكن عامّاً لكان ناقصاً، إذ فطرة الانسان فطرة واحدة كما هو المشاهد، كما ان فطرة الافراد المختلفة المجتمعة في جامع واحد ــ في النبات والحيوان ــ ايضاً فطرة واحدة، مثلاً:

فطرة شجرة الرمان واحدة في جميع أفرادها والاختلافات بينهما اختلافات جزئية، وكذلك فطرة الغنم فطرة واحدة وان كانت هنالك جزئيات مشخصة، وحيث ان الفطرة في كل الانواع واحدة بالنسبة الى بني النوع، فمن الطبيعي أن تكون فطرة الانسان واحدة بالنسبة الى نوعه، والفطرة هي مبعث القانون سواء القانون الذي يضعه الانسان أو القانون

الذي تضعه السماء، مع فارق أن مصدر القانون في الاول هو الانسان المحدود، ومصدر القانون في الثاني هو الله سبحانه وتعالى غير المحدود، فاذا لم يكن القانون قانوناً واحداً بالنسبة الى جميع الناس لزم التدافع والتناحر والحروب..، وما يشاهد في العالم من الحروب والتنازع فهو في كثير من الاحيان بسبب اختلاف انقانون في بلدٍ عن بلد، فهذا البلد يريد الاستعمار و يعطي الحق لنفسه أن يستعمر الآخرين، وذلك البلد لا يريد الاستعمار، أو يريد الاستعمار أيضاً للبلد الذي يريد البلد الاول استعماره، و بذلك يقع التدافع بين الجانبين و ينتهي الامر الى التحارب.

٢ ــ أن يستوعب كل أبعاد الانسان:

يلزم أن يكون القانون مستوعباً، بأن يعطي حوائج الانسان الجسدية والعقلية والعاطفية، سواء منها الحوائج الفردية أو الحوائج الاجتماعية في مختلف أبعاد الانسان، فلو لم يكن القانون كذلك حصل الاصطدام والتبعثر والانفصام من ناحية، والنقص والفراغ من ناحية ثانية، فان الانسان مركب من جسد له حوائجه، وعقل له موازينه، وخصوصياته ومزاياه، وعاطفة لها شروطها وملائماتها ومنافراتها، فاذا لم يكن القانون بهذا النحو من الاستيعاب والشمول يكون قانوناً ناقصاً، وقانوناً مصطدماً، من غير فرق بين أن يكون القانون في جهة الوضع، أو في جهة التطبيق، لأن القانون يلزم أن يراعى فيه أمران:

الأول: القانونية.

والثاني: التطبيق.

فان القانون مهما كان صحيحاً يكون له طرق في الاجراء، بعضها صحيحة و بعضها غير صحيحة، فاللازم أن يلاحظ القانون من كلتا الناحيتين، من الناحية القانونية ومن الناحية الاجرائية والتطبيقية.

٣ـ أن يوازن بين الأخذ والعطاء:

يلزم أن يكون القانون متوسطاً بين اعطاء الحاجة بقدر، وسلب الحرية بقدر، فمن الواضح أن كل قانون يسلب بقدره من حرية الانسان، ولذلك يجب أن يلاحظ في وضع القانون (الأهم والمهم) وتقدير كل جانب من الجانبين، سواء بالنسبة الى حرية الانسان ملحوظاً فيها حرية الآخرين، أو بالنسبة الى حرية الانسان ملحوظاً فيها الصالح لنفس الانسان، مثلاً: (قانون حرمة الزواج فوق الاربع) يحدد من حرية الانسان في أن يتزوج ما شاء، فاللازم أن تلاحظ مصلحة الانسان من ناحية تقييد الحرية ومصلحة الانسان من ناحية الحرية، و بالجمع بين هاتين المصلحتين يوضع القانون الذي يقول مثلاً كما في القرآن الحكيم:

«فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع»(النساء/٣)

وكذلك يجب أن تلاحظ مصلحة الفقراء والمصالح العامة من ناحية، ومصلحة كون الانسان هو الذي يتولى استخراج المال لنفسه بالتجارة أو الزراعة أو ما أشبه من ناحية ثانية، فيوضع قانون: (الضريبة) بحيث لا يجحف بهذا الطرف، ولا بذلك.

والانسان حر في أن يعمل في داره ما يشاء من فتح المذياع وما أشبه، لكن تنتهي حرية الانسان حيث تبتدء حرية الجيران، فلا يحق للانسان أن يفتح المذياع بصوت رفيع مزعج الجيران.

فالميزة الثالثة، التي يجب أن يتصف بها القانون ميزة اعطاء الحاجة بقدر، وسلب الحرية بقدر، فاذا لم يكن القانون متوسطاً بين الامرين كان ناقصاً، أما في جهة الافراط، وأما في جهة التفريط، وأوجب خبالاً أما على الفرد أو على الاجتماع، أما على الجسد، وأما على العاطفة وأما على العقل، ولذا يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الحكيم:

«وكذلك جعلناكم أمّة وسطاً»(البقرة/١٤٣)

وفي الحديث:

[خير الامور أوسطها]

ثمانية أسئلة يجيب عنها القانون:

.. وحيث قد سبق في البند الثاني انه يلزم أن يكون القانون استيعابياً ذا جوانب لا خاصاً بالجانب الاجتماعي أو غيره فقط ــ فانه حينئذ يصبح مبتوراً ومتناقضاً مع طبيعة الانسان وموجباً للترقيع في جهات حياته ــ فاللازم أن يجيب القانون عن ثمانية أسئلة بادىء ذي بدء:

السؤال الأول: من أوجدنا؟

والسؤال الثاني: كيف أوجدنا؟

والسؤال الثالث: لماذا أوجدنا؟

ومن الواضح ان الاديان السماوية تجيب على هذه الاسئلة الثلاثة بشكل يختلف عما يجيب به الطبيعيون كما أنه هناك خلاف في الخصوصيات بين نفس أجوبة الاديان وبين نفس أجوبة الطبيعيين.

ثم يأتي دور السؤال الرابع: ما هو المصير؟

والخامس: ولماذا المصير؟

والسادس: وكيف المصير؟

وهذه اسئلة ثلاثة لا اثنان، مثلاً اذا قال الأب: يلزم علينا أن نسافر فهناك اسئلة تثار من قبل العائلة: الى أين نذهب؟ ولماذا نذهب؟ وكيف نذهب هل بالطائرة؟ أو بالسيارة؟

وبعد هذه الاسئلة الستة يأتي دور سؤالين أساسيين في حياة الانسان مرتبطين بحياته الحاضرة وهما:

السؤال السابع: لماذا نستمر في الحياة؟

والسؤال الثامن: وكيف نعيش بسلام لنحظى بالرفاه الحاضر والتقدم في المستقبل؟

اذ من الواضح ان الانسان فيه فطرة التقدم، فهو لا يريد العيش بسلام فقط، وانما يضيف الى ذلك الطموح الى مستقبل أفضل.

والانسان ــ رغم فطرته التقدمية ــ قد يتقهقر أحياناً الى الوراء بسبب عوامل خاصة.

فهناك ثلاثة أمور بالنسبة الى الانسان (التقدم) و(الوقوف) و(التأخر).

لكن التقدم مخوف، اذ لا يعلم الانسان انه يتقدم الى ماذا؟ وهل انه اذا ترك حياته الحاضرة لتقدم مرجو في المستقبل هل ينجح؟ أو يسقط؟ أو انه يبدل شيئاً بشيء مماثل؟

أما الوقوف: فهو خلاف فطرة الانسان وخلاف نفسيته التقدمية.

وأما التقهقر فهو انتكاس.

يضاف الى ذلك ان الوقوف وان كان أسلم من الامرين الآخرين ــ بما ذكرنا من التخوف من التقدم والانتكاس في التأخر ــ الا ان الوقوف يستتبع التأخر، فان النفس الخلاقة تموت بذلك، والموت تأخر، ولذا ورد في الحديث:

[من ساوى يوماه فهو مغبون، ومن كان غده شراً من يومه فهو ملعون]

ثلاث طرق لتكوين المجتمع

.. ثم أنه حيث يحس الانسان احتياجه الى الاجتماع، لابد وان يشكل الاجتماع بأحد طرق ثلاث:

الأول: أن يربط نفسه بالآخرين.

الثاني: أن يربط الآخرين بنفسه.

الثالث: أن يرتبط هو والآخرون تحت لواء قانون عام، فلا قدرة في البين للالتحاق أو الاستلحاق، وانما جماعة يريدون الانضمام بعضهم الى بعض ليعيشوا بسلام.

وفي الحالات الثلاث يحس الانسان بنوع من الهدوء والسكينة في باطنه، وان كان هنالك فرق بين الحالتين الاوليين والحالة الثالثة، حيث انه في الحالتين الاوليين ــ اللتين سببت القدرة فيهما الارتباط والاسترباط ــ يكون وضع الطرفين سيئاً، مثلاً:

فرعون ربط الناس بنفسه بالقوة وادعى انه اله لهم، وانه هو مصدر القوانين فسواء كان فرعون هو الذي استلحق الناس بنفسه أو كان الناس هم الذين التحقوا بفرعون، فان الجميع ما كانوا يحسون بالراحة والطمأنينة التي كانوا يجدونها فيما اذا جعلوا أنفسهم

أمثالاً ووضعوا قوانين تساوي بينهم او دخلوا تحت مظلة قوانين سماوية ترى التساوي بين الجميع وان كان فرق بين قوانين السماء وقوانين البشر بما لا يخفى، لان الارتباط بين القوي والضعيف ارتباط خوف ورهبة، خوف الضعيف من القوي، لأنه يفعل ما يشاء، وخوف القوي من الضعيف لأنه يخاف أن يثور الضعفاء عليه و يذهبوا بسلطانه، ولذا يقول الله سبحانه وتعالى بالنسبة الى الصورة الاولى:

«يُذبّح أبنائهم و يستحيي نسائهم»(القصص/٤)

و يقول بالنسبة الى العكس:

«إنَّ هؤلاء لشرذمة قليلون وإنهم لنا لغائظون وإنَّا لجميعٌ حاذرون»(الشعراء/٥٤ــ٥٥ــ٥٦)

وفي آية أخرى:

«إنّي أخاف أن يبدّل دينكم أو أن يظهر في الارض الفساد»(غافر/٢٦)

بينما يقول الله سبحانه وتعالى في الحالة الثالثة:

«يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه و يهديهم الى صراطٍ مستقيم»(المائدة/١٦)

معطيات الانضمام الى المجتمع

ثم ان الانسان الذي ينضّم الى الاجتماع يوفر لنفسه ثلاثة امور:

الأول: خروجه عن الوحدة التي يحس بها في باطنه، فان الانسان يحس في باطنه بالوحدة والانفراد في هذا الكون الرحب، فاذا انضم الى غيره خفّت حدة هذا الاحساس.

والثاني: تكون أعماله حينئذ موجهة في وجهة خاصة، وضمن الاطار الاجتماعي الذي قبله الجميع قانوناً، وتخرج أعماله حينئذ عن كونها فرطاً وفي هذا أيضاً رغبة انسانية اذ يميل الانسان بفطرته الى النظام في قبال الانفراط والانفصام.

والثالث: يُحصّل على التعاون المحتاج اليه في تعليمه وتعلمه وصحته ومرضه وزواجه ومسكنه ومأكله ومشربه ومركبه، وغير ذلك من حاجيات الانسان الكثيرة والتي لا تعدّ ولا تحصى.

آثار الانضمام الى المجتمع

ثم انه اذا تمّ الانضمام الى الجماعة حصل أمران:

أولهما: تقوية الانسان باطناً حيث يرى الانسان انه في داخل كل انسان كما يجد كل أفراد الانسان في داخله، وهذا ما يسمى بـ(المشاركة الوجدانية) فكأنهما انسانان في جسد واحد أو كأن الاجتماع بكله انسان واحد وهذا غير (الوحدة الاعتبارية) التي تحصل خارجاً من الانضمام وانما هي (وحدة باطنية).

وقد فسّر بعض المفسرين قوله تعالى:

«من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ في الارض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً»(المائدة/٣٢)

بهذه الحقيقة، فالانسان وحدة واحدة فمن أحياها أحيا هذه الوحدة، ومن قتلها قتل هذه الوحدة، ولا يحتاج الامر الى قتل الجميع أو احياء الجميع، فالمجموع كثوب يخرق الانسان بعضه أو يخيط بعضه، فان الثوب لو انخرق جزء منه يصبح منخرقاً، وان خيط جزء منه يصبح غير منخرق.

وعلى أي حال، ففي هذا الانضمام تقوية الانسان حيث يجد كل انسان ان الكل في باطنه وانه في باطن الكل.

وثانيهما: يسبب هذا الانضمام تضعيف الانسان حيث ان فرديته واستقلاله تقل وتضعف فليس الفرد المنفرط كالفرد المنضم الى غيره في الاستقلال فان الفرد المنفرط كامل الاستقلال في ما يعمل و يأكل، و يتصرّف، أما الفرد المنضم فان كل شيء منه مقيد، (فهو مقيد في أكله وشربه، في لبسه وزواجه، في مسكنه ومركبه، في ذهابه ومجيئه، صحيح ان التقييد ليس كلياً لكنه تقييد على أي حال وهذا يسمى بـ(التقييد الاطاري).

مثلاً: الفرد الذي ينضمّ الى المسلمين يقيد في مأكله ومشربه، بأن لا يتناول خمراً او خنزيراً، وفي ملبسه بأن لا يكون ملبساً ينهى عنه الاسلام كالذهب والحرير للرجال، وفي زواجه بان لا يتزوج اكثر من اربع، الى غير ذلك.

وهكذا الفرد المنضم الى المسيحيين يقيد في حياته بأن يصلي في الكنيسة كل اسبوع مرة، وفي زواجه بأن لا يتزوج أكثر من واحدة، وفي طلاقه بأن لا يطلق زوجته.

وهكذا بالنسبة الى سائر الانضمامات الانسانية سواء كان الدين ديناً سماو ياً أو قانوناً أرضياً، وسواء كان القانون قد وضعه الأشراف أو الدكتاتور أو الشعب بمجموعه ـ كما يزعم في الحكومات الديمقراطية من أن مصدر القانون هو الشعب وحده ـ.

وحيث ان الانضمام يوجب تقو ية وتضعيفاً فاللازم أن يزن الانسان الانضمام، بأنه كم يأخذ منه؟ وكم يعطي له؟ فيعطي من استقلاله، و يأخذ من فوائد انضمامه.

وعليه: فالعلاقة الاجتماعية نقيض للوحدة والفردية وهي في نفس الوقت توجب الوحدة الاجتماعية، وهي تضعف الانانية الفردية في حال انها توجب الانانية الاجتماعية، فان الانضمام الاجتماعي نوع من التواضع، اذ معناه انك تحب نفسك وتحب غيرك، وكونك في داخله، وكونه في داخلك، بخلاف عدم الانضمام حيث يكون الانسان في تلك الحالة انانياً لا يحب انسانية الغير وحياته، وانما يحب نفسه فقط، ولذا تكون الانانية نوعاً من العجب والوحشة.

وفي كلام للامام أمير المؤمنين عليه السلام:

[لا وحشة أوحش من العجب]

فان الانسان الاناني لا يشارك المجتمع في شؤونه، لكنه بنفس القدر يظل غريباً عن المجتمع وتطوقه الوحدة والوحشة وان كان في المجتمع، بخلاف المتواضع الاجتماعي الانضماميّ حيث لا يحس بهذه الوحشة، وانما يحس بالالفة وان كان في خارج الاجتماع.

التجمّع: بين الأخذ والعطاء

ثم ان الانضمام على قسمين:

إنضمام أخذ وعطاء، وانضمام أحدهما فقط.

مثلاً: انضمام الاخوين انضمام أخذ وعطاء كل واحد يعطي الآخر و يأخذ منه، أما

انضمام الاب والام والطفل فهو انضمام الاخذ فقط من جانب الطفل والعطاء فقط من جانب الابوين، فان الابوين يحبان الولد و يقومان بخدمته و يعطيانه حوائجه، أما الولد فهو آخذ في كل ذلك، صحيح انه في كثير من الاحيان يعطي الابوان حتى يأخذا في المستقبل، كعمل النسيئة، لكنه من الصحيح أيضاً انه في كثير من الاحيان يكون عطاءاً بدون أخذ من جانب الابوين، كالابوين الهرمين الذين لا يرجوان أخذاً من جانب الولد، بالاضافة الى انه اذا وصل الولد الى مرحلة العطاء يكون أخذه وعطائه متساويين في كثير من الاحيان، اذ يصبح الابوان والولد مثل الاخوين: كل يعطي للآخر و يأخذ من الآخر.

اذا لاحظنا الانضمام والانفراط، فقد يكون الانضمام من العدم الى الوجود، وفي عكسه يكون الانفراط من الوجود الى العدم، ومثال الأول: الزوجان فانهما يتحولان من الانفراط الى الاجتماع، بينما الطلاق مثال عكسه حيث ينفرط الزوجان من الاجتماع الى الانفراد.

أنحاء علاقة الانسان بالخارج

ثم اذا لاحظنا علاقة الانسان بالخارج نراها على خمسة أقسام:

الأول: أن لا تكون له علاقة بالخارج اطلاقاً، وذلك بالانكماش على النفس.

والثاني: أن تكون العلاقة أقل من القدر المتعارف.

والثالث: أن تكون العلاقة أكثر من القدر المعتاد.

والرابع: أن تكون علاقة بقدر المعتاد، لكنها منحرفة.

والخامس: أن تكون العلاقة معتادة.

ونتمكن أن نمثل للامور الخمسة بالزواج.

فقد لا يتزوج الرجل، وقد يتزوج ــ دون القدر الذي تحتمه القاعدة ــ، وقد يتزوج كثر من القاعدة، مثلاً:

رجل ضعيف المزاج تكفيه امرأة واحدة يتزوج أكثر، أو ــ اذا كان غير متدين ــ يتزوج عشرين أو ثلاثين زوجة، كما كان معتاداً في أيام الجاهلية و يعتاد أيضاً الآن في بعض البلاد الافريقية.

وقد تكون العلاقة منحرفة، كما اذا بدلت علاقة الزواج بعلاقة الزنا واتخاذ الخليلات والاخلاء.

وهؤلاء الاربعة كلهم مرضى باستثناء العلاقة المعتادة.

وهذه الامور الخمسة كما تأتي في الزواج تأتي في الصداقة، وتأتي في الانضمام الى الاجتماع في وحدات خاصة كالحزب أو المنظمة أو الهيئة أو الجماعة أو الجمعية أو المؤسسة أو الشركة أو ما أشبه، وكذلك تأتي هذه الامور في الامة بما هي أمة بالنسبة الى سائر الامم، حيث قد تكون للامة علاقة مع سائر الامم بأقسامها الاربعة، وقد لا تكون للامة علاقة بأية أمة أخرى.

تحرّي العلاقة السليمة

والانسان يجب أن يتحرى دائماً العلاقة المستقيمة، لا الاقسام الاربعة الأخر، فان كل تلك الاقسام الاربعة الاخر ــ بالاضافة الى وضوح انها حالات مرضية سواء في الفرد أو المؤسسة أو المجتمع أو الدولة أو ما أشبه ــ لا يمكن أن تجتمع مع العلاقة المعتادة في كون كلها حقاً، وفي القرآن الحكيم:

«فماذا بعد الحق إلاّ الضَّلالُ؟» (يونس/٣٢)

ومن الواضح فلسفياً انه لا يمكن تعدد الحق في غير المصاديق الداخلة تحت كلّي واحد، فان الحق واحد، وفي قباله أباطيل كثيرة، مثلاً: الطريق بين المدينتين في خط مستقيم طريق واحد أما سائر الطرق فانها أما أن لا توصل الى المدينة، وأما أن توصل بطريق أطول وأتعاب أكثر حيث ان بين كل الاشياء خطين: خط استقامة، وخط انحراف (و بعبارة أخرى تناقض) ولا يمكن أن يكون الانحراف استقامة، كما لا يمكن الجمع بين النقيضين، وقد قرر في الفلسفة ان المحالات ــ حتى استحالة جمع الضدين، أو رفع

الضدين الذين لا ثالث لهما أو ما أشبه ــ كلها ترجع الى التناقض، والتناقض بديهي الاستحالة.

الفطرة الخلّاقة بين الهدم والبناء

ثم لما تبين ان الانعزال يزيد الانسان انكماشاً حول نفسه، كما ان العلاقة المنحرفة تسبب عطباً وخبالاً نقول: ان الانسان اذا لم يصرف فطرته الخلاقة في البناء، لابد وأن يصرف فطرته في الهدم، سواء في هدم نفسه أو هدم مجتمعه، فان أفراد الانسان والحيوان والنبات كلها خلاقة: النبات يخلق الاوراق والازهار والاثمار والاغصان وما أشبه، والحيوان أيضاً يخرج الذرية والبيض والريش والصوف ونحوها، والانسان أيضاً له حالة الخلاقية، لكن الفرق بين خلاقية الانسان وخلاقية أخويه: ان خلاقية الانسان خلاقية واعية، بينما خلاقية الحيوان والنبات غريزية كما هو المعروف في علم الحيوان وعلم النبات (وان كان هناك قول بوجود شعور في النبات والحيوان أيضاً بل هنالك قول: بأن كل الاشياء تشعر وقد أُستدل على ذلك ببعض الآيات الكريمات كقوله سبحانه:

«إنّا عرضنا الأمانة على السماوات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها»(الأحزاب/٧٢)

وكقوله:

«ياجبالُ أوِّبي معهُ»(سبأ/١٠)

وفي آية ثالثة:

«فاذا هم بالساهرة» (النازعات/١٤)

وعلى أي حال، نترك الحديث عن النبات والحيوان الى مجاله، وانما كلامنا في خلاقية الانسان، فالانسان بفطرته خلاق، وهذه النفس الخلاقة أما أن تخلق الحياة، وأما أن تخلق الدمار، والحياة المخلوقة للنفس أما تكون حياة مستقيمة أو حياة منحرفة.

مثلاً: الذي يقتل انساناً أو يهدم داراً فانه يخلق الدمار أما من يوجد الولد فقد يوجده

مستقيماً عن طريق حلال، وقد يوجده منحرفاً عن طريق حرام، وكذلك من يبني الدار قد يبنيها بناية هندسية معتدلة، وقد يبنيها بناية منحرفة غير مطابقة للقوانين والاحتياجات، والانسان اذا لم يصرف خلاقيته في البناء لابد وان يصرفها في الدمار، والدمار يشمل حتى دمار نفسه، فان الانسان المنعزل يصرف خلاقيته في الانعزال والاجتناب عن الناس مما يسبب له الدمار، وحتى ما نشاهده في بعض الناس من تمنى الموت او الانتحار، فانما مبعثه النفس الخلاقة، لان ذلك قد يكون خلقاً للفناء والدمار فيما اذا انتحر انتحاراً محرماً او تمنى الموت وهو لا يعتقد بالآخرة، وأما ان يكون خلقاً للحياة والاستقامة اذا اراد الانتقال الى مكان احسن، حيث يعتقد ان بعد الموت حياة دائمة كما قال سبحانه:

«ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون»(آل عمران/١٦٩)

ولذلك نشاهد ان من أولياء الله سبحانه وتعالى من يتمنى الموت، وقد قال الله سبحانه وتعالى حول اليهود:

«قل ياأيُّها الذين هادوا إن زعمتم أنّكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنَّونه أبدا بما قدمت أيديهم»(الجمعة/٦،٧)

نماذج من العلاقات المريضة

ثم أن العلاقة المريضة التي لا تميل الى الخارج ميلاً معتدلاً على أقسام:

منها: ميل الانسان للزواج بمحارمه كالأم والأخت والعمة والخالة، وذلك حيث انه يستوحش من الارتباط بالخارج، وكذلك ميل المرأة للزواج بمحارمها، اذ أن العلاقة المستقيمة هي العلاقة التي تكون خالية عن الحروب والتخفي والانكماش داخل اطار محدود، بينما العلاقة المنحرفة بعكس ذلك.

والشذوذ الجنسي أيضاً من الظواهر المرضية للعلاقة الخارجية، حيث يخشى كل من

الطرفين من الانبساط الى الجنس المؤنث.

وكذلك الحال في المساحقة حيث يخشى الطرفان من الانبساط الى الجنس المذكر.

هذا كله على نحو الاصل والقاعدة الكلية، وان كان هناك شواذ وشاذات يمارسون الانحراف مع وجود العلاقات المستقيمة لهم مع الجنس الآخر.

والزنا أيضاً من العلاقات المنحرفة، حيث يكون هروباً عن مسؤوليات شريك الحياة.

وكل هذه الامور ـــ بالاضافة الى كونها علاقات مرضية بالنسبة الى استقامة العلاقة الخارجية ـــ هي امور تهدم حياة العائلة، والعائلة كما نعلم هي اللبنة الصالحة لبناء الاجتماع الصالح، بينما هذه الامور لبنات منحرفة تنتهي الى بناء الاجتماع المنحرف.

كما ان من العلاقات المنحرفة، (: القومية والوطنية واللونية اللغوية والقبلية وما اشبه، فانها كلها ايضاً علاقات منحرفة، حيث يميل الانسان الى الرجوع الى اصله وما اعتاده، ويخاف و يهرب من الانبساط الى خارج هذه الاطارات التي يدور ضمنها، بينما الاخوة والانبساط الى الآخرين والسير وراء الكفاءات هي علاقات معتدلة مستقيمة لا تعطي اكثر من اخذها ولا تأخذ اكثر من عطائها.

وفي عكس ذلك أيضاً تكون العلاقة منحرفة، كما اذا ترك الانسان قومه وقبيلته وما أشبه وانبسط الى الخارج كلية، كما اذا ترك قبيلته واتخذ قبيلة ثانية، أو ترك قومه واتخذ قوماً آخرين وهكذا، فان هذا أيضاً انحراف في العلاقة، حيث لم يتمكن أن يعطي الكفائة حقها، فان الكفائة كما تكون في الخارج تكون في الداخل، فمن يحصر الامر في الخارج فهو كمن يحصر الامر في الداخل، كلاهما انحراف عن العلاقة المستقيمة وعن تحكيم الكفاءات.

الخلاّقية والجذور الأربعة

ثم أن الانسان ينقسم ــ بملاحظة الجذور ــ الى أربعة أصناف فله جذور في الطبيعة توجب ارتباطه بها بنوع من الارتباط، وان لم يكن كارتباط النبات الشديد وارتباط الحيوان المتوسط، بل ارتباط من حيث الاحتياج في الغذاء والكساء والمسكن وما أشبه.

وله جذور بالابوين توجب ارتباطه بهما.

وله جذور في الاجتماع الصغير وهو العائلة.

وله جذور في الاجتماع الكبير وهو المجتمع الذي يعيش الانسان فيه

والخلاقية الانسانية التي ذكرناها ــ سواء في الهدم أو في البناء ــ ترتبط ارتباطاً كبيراً بهذه الجذور، فالانسان الذي يعيش بين أبوين خلاّقين يكون مثلهما غالباً، وكذلك اذا كان الابوان هدامين، ولذا ورد في الحديث:

[الولد سر أبيه]

وكذلك بالنسبة الى الاجتماع الصغير، والاجتماع الكبير.

بل والخلاقية ترتبط ارتباطاً ما بالطبيعة أيضاً فبعض الطبائع التي يعيش الانسان فيها تنفخ في الانسان خلاقية الهدم، وبعض الطبائع تنفخ فيه خلاقية البناء على مختلف مراتبهما، مثلاً: البلاد الحارة تخلق الطبيعة الحادّة في الهدم أو في البناء، بينما البلاد الباردة بالعكس من ذلك كما قرر في علم الاجتماع وعلم النفس.

الأرضية الصالحة لنموّ الخلاقية

والخلاقية غالباً ان وجدت التشجيع والعناية والارضية الصالحة نمت من غير فرق بين الهدم والبناء، وان لم تجد التشجيع والعناية والارضية الصالحة لم تنم.

نعم في بعض الافراد ــ وهم قلائل ــ تنمو الخلاقية سواء وجد التشجيع والعناية أم

لا، كما انه فـي بعض الافراد لا ينفع التشجيع والعناية والارضية، وقد ورد في حديث عن الامام أميرالمؤمنين عليه الصلاة والسلام، انه قال:

[اجتماع الناس حولي لايزيدني عزة، ولا تفرقهم عني وحشة]

وذلك واضح، لأن الخلاقية الموجودة في مثل الامام(ع) خلاقية طبيعية وأصيلة، فلا يؤثر التشجيع وعدم التشجيع في الزيادة والنقيصة فيها.

آثار الجذور الأربعة:

وعلى أي حال، فلكل واحد من جذور الانسان ــ في الطبيعة أو في الابوين أو في الاجتماع الصغير أو في الاجتماع الكبير ــ خصوصيات وآثار، ولنكتفِ بمثال واحد في المقام، وهو جذور الانسان في الابوين، فالأب حيث لا يلد ولادة كولادة الأم، وحيث انه مشرف وقوام كما في الآية الكريمة:

«الرجال قوامون على النساء»(النساء/٣٤)

لذلك فان جذور الانسان بالنسبة الى أبيه جذور قانونية، وهذه الجذور القانونية تقتضي:

أولاً: ولاية الاب.

وثانياً: لا يكون الولد والبنت متساويين من جهة الارث.

حيث يلاحظ القانون، والقانون يرجّح الذكر على الانثى، لان التكاليف على الذكر.

وثالثاً: لوازم الحياة العائلية من المأكل والمشرب والمسكن وما أشبه، سواء للأم أو للولد على الاب، كما قال سبحانه:

«وعلى المولود له رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف».(البقرة/٢٣٣)

ورابعاً: تكون الدية على أقرباء الأب في الخطأ مما يسمى بـ(العاقلة) في الشريعة الاسلامية.

أما الأم فحيث انها تحمل وتلد ولادة صعبة وترضع تكون الجذور بالنسبة اليها جذوراً عاطفية، والجذور العاطفية تقتضي:

أولاً: عدم الولاية لها لأن الولاية تقتضي نوعاً من الخشونة، والخشونة لا تناسب العاطفية.

وثانياً: يكون برها آكد، حيث ورد: ان رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: يارسول الله من أبر؟ قال: أمك.

ثم قال له ثانياً: من أبر؟ قال: أمك.

ثم قال له ثالثاً: من أبر؟ قال: أمك.

ثم قال له رابعاً: من أبر؟ قال: أباك.

وثالثاً: يكون الارث متساو ياً لتساوي العاطفة بين الابن والبنت، ولذا يكون الارث متساو ياً في الشريعة الاسلامية بالنسبة الى من يرتبط بالأم كالخال والخالة ومن أشبه.

رابعاً: لوازم الحياة ليست عليها.

خامساً: العاقلة ليست من طرفها.

وما ذكرناه انما هو من الناحية القانونية، والقانون لا يلاحظ العلل وانما الحكم (على الاصطلاح الاصولي) حيث لا يلزم (الاطراد) و(الانعكاس) في (الحكمة) وانما تلاحظ الاغلبية، بينما يلاحظ في (العلة) كل فرد فرد، فان ضرب القانون يجب أن يكون على نحو العموم وإلاّ لزم الانفراط في القانون، فحيث تكون الحكمة العامة يكون القانون، واذا خرج من الحكمة ايجاباً أو سلباً فرد أو أفراد، فان القانون يجري عليه، مثلاً: قانون (التأشيرة) عند الخروج عن البلد في العالم الغربي انما وضع لأجل التنسيق العام والاحصاء وعدم التهريب وما أشبه، لكن هذا القانون يشمل رئيس الدولة أيضاً اذا أراد الخروج، فان اللازم عليه أن يحصل على التأشيرة، مع العلم بان تلك الحِكَم غير موجودة في رئيس الدولة مثلاً، وانما يشمله القانون لانه يجب أن يكون عاماً فلا ينخرم حتى يتمكن كل أحد من خرق القانون بدعوى انه خارج عن العلة التي وضع القانون بسببها.

وقد روي ان رجلاً قال لعلي عليه الصلاة والسلام:

(هل يتنجس بدن رسول الله بالموت كما يتنجس بدن سائر الناس؟ فقال علي (عليه الصلاة والسلام): لا. فقال له الرجل: فلماذا غسلتموه؟ فأجاب علي (عليه الصلاة

والسلام): (لجريان السنة).

والمراد بـ(جريان السنة) في هذا الحديث هو ان القانون اذا ضرب ووضع يلزم أن يشمل الكل، سواء كانت تلك الحكمة التي وضع القانون من أجلها موجودة في هذا الفرد الخاص أو لا؟

الطفل بين عقلانية الأب وعاطفية الأم

وكيف كان: فمن عقلانية الاب وقيمومته، وعاطفية الأم ورحمتها تنشأ في الانسان هاتان الصفتان صفة (الآمرية والزاجرية) وصفة (العطف والحنان)، فالأب يقول للأولاد: يجب أن تعملوا هذا العمل ويجب أن تتركوا ذاك، واذا خالفتم حقّ عليكم العقاب، أما الأم فانها تعطف على أبناءها أطاعوا أو عصوا ـ وان لم تكن بعض الامهات كذلك، كما ان بعض الآباء لا يمتلكون الحزم والصرامة فان الأم قد تستأسد، والأب قد ينقلب الى حمل وديع! إلاّ ان الشواذ لا توجب انخراقاً للقانون.

لماذا تتبدّل أحوال المرأة؟

ثم ان تبدل أحوال الأم العاطفية تابع لتبدل قسم من الافرازات الغددية التي قررها الله سبحانه وتعالى في الأم لأجل عدم انسياق حياة الأم العاطفية مما يوجب خللاً وخبالاً في الحياة، فقد ثبت في العلم الحديث: ان المرأة ـ بالاضافة الى تغير حالاتها النفسية والبدنية أثناء الحمل والحيض كما ألمع اليهما القرآن الحكيم ـ تطرىء عليها تغيرات بسبب الافرازات التي تفرزها الغدد مرتين في كل شهر، فانه تفرز في كل شهر هرمونات تسمى بـ(هرمونات الامومة) وتبقى فاعليتها لمدة أربعة عشر يوماً أو خمسة عشر يوماً وتصل الى ذروتها في الأيام الاخيرة حيث نرى المرأة مرة تعامل الجميع كأنهم أولادها الصغار وتكلأهم بحنانها وعطفها، ثم بعد ذلك تنقلب نفس المرأة الى إمرأة أخرى، حيث تفرز الغدد هرمونات الانوثة فترة شبيهة بفترة هرمونات الامومة السابقة وعندما تصل هرمونات الامومة ذروتها ينقلب البيت جحيماً لا يطاق، اذ تعمل الغيرة النسائية عملها وتعكر الجو

العائلي، وكثيراً ما يأخذ العجب الرجال والاولاد من أن تلك الأم الوديعة والزوجة الحنونة كيف انقلبت هكذا شرسة شديدة الحساسية والانفعال والتهجم؟! بينما الغالب يغفلون عن حقيقة أن تغير الحالات المزاجية تابع لتغير افراز الهرمونات الداخلية مما قد جعله الله سبحانه وتعالى لأجل عدم انسياق جو عاطفي عام حتى يفسد الامر عليها وعلى العائلة، فالانسان محتاج الى يدين: يد الشدة، و يد اللين، وهذه الحالة موجودة في ذات المرأة أيضاً على تفصيل مذكور في الكتب المعنية بهذا الشأن.

فوارق بين الرجل والمرأة

وعلى اي حال، فجذور الانسان الى أبيه وأمه تولد له حالة وجدانية متوسطة بين (الوجدان الاصولي) و(الوجدان العاطفي) حيث ان كلاً منهما ضروري في الحياة، لكن هذين الوجدانين في داخل الرجل يختلف عنهما في داخل المرأة، حيث انه في داخل الرجل يترجح الوجدان الذكوري، بينما في داخل المرأة يترجح الوجدان الانثوي، ولذا نجد عند الآباء أيضاً بعض العاطفة، كما نجد عند الامهات أيضاً بعض القوانين والضوابط.

أعمال لا تنسجم مع طبيعة المرأة

وتبعاً لوجدان الأم العاطفي لم يجعل الاسلام للمرأة منصب (القضاء) و(الأمارة) و(الولاية) ونحوها، بينما جعل هذه للرجل، وقد أثبتت المرأة بنفسها عدم انسجامها مع هذه المناصب، ولذا نشاهد في عالم اليوم ان المرأة لم تخترق حواجز الرئاسات والوزارات والامارات ودور القضاء وما أشبه ــ الاّ نادراًــ مع ان غالب البلاد رفضت قوانين السماء وقررت التساوي بين الرجل والمرأة في كل الشؤون وليس السبب: ان هناك حائلاً قانونياً يحول دون تسلم المرأة تلك المناصب، وانما الحائل نفسي طبيعي مودع في داخل المرأة، فانها غير منسجمة مع مثل هذه الاعمال، كالسيارة الصغيرة التي هي كاملة في حد ذاتها لكنها لا تطيق حمل الحديد والأسمنت وما أشبه، بينم لسيارة الكبير تطيق

ذلك علماً بأنها ليست صالحة لنقل المسافرين، لا من جهة نفسها، وانما من جهة المسافرين حيث ان ركوبها يسبب لهم عطباً ورضوضاً وصعوبات، فكل واحدة من السيارتين كاملة في جهاتها لكن كمال هذه يلائم نقل المسافرين، وكمال تلك يلائم حمل الحديد وما اشبه.

الجذور الروحية في الانسان

ثم ان هناك في الانسان جذوراً من قسم آخر تابعة للروح، حيث قال سبحانه:

«ونفخت فيه من روحي»(الحجر/٢٩)

وتبعاً لهذه الجذور كان الانسان أفضل من الملائكة، ولذلك أيضاً أمر الله سبحانه الملائكة بالسجود لآدم، و بهذه الجذور السماو ية يميل الانسان الى فوق، وقد قال سبحانه في صفة من مال الى الارض وترك جذوره السماو ية:

«ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث»(الأعراف/١٧٦)

طبيعة الأرض، وطبيعة السماء

ثم ان طبيعة الارض طبيعة الكلاب المتهارشة، لأن المادة محدودة، والمحدود يتنازع عليه الناس، بينما الروح لها آفاق واسعة جداً، ولا تنازع في الآفاق الواسعة.

وقد ورد في الدعاء بهذا الصدد الاستعاذة بالله سبحانه وتعالى والشكاية اليه:

[من دنيا قد استكلبتني] ــيعني: ان الدنيا تجعل الانسان كالكلبــ.

وفي حديث آخر:

[الدنيا جيفة وطلابها كلاب]

فكما ان الكلاب تتهارش على الجيفة، فكذلك من تثاقل الى الارض وقطع جذوره من السماء، أما طبيعة السماء فهي طبيعة الوحدة والصفاء والخير والوئام والانسجام، ولذا

ورد في الحديث:

[تخلقوا بأخلاق الله]

فـان الـتـخـلـق بـأخـلاق الله سـبـحـانه وتعالى يجعل الدنيا دنيا صفاء وسلام ووئام، بالاضافة الى الآخرة التي يحرزها الانسان بسبب هذا التخلق وهي جنة:

«عرضها السماوات والارض»(آل عمران/١٣٣)

فلا ضيق ولا ضنك ولا تنازع، و بهذا الصدد يقول أحد فلاسفة الشعراء:

(أرواح الخنازير والكلاب متفارقة، أما أرواح الاسود المرتبطة بالله فهي متحدة).(١)

وفي الـقـرآن الـكريم نجد التمثيل لهذه الجذور الصاعدة ولتلك الجذور الهابطة حيث يقول الله سبحانه:

«كلاّ إنَّ كتاب الابرار لفي علّيّين، وما أدراك ما علّيون، كتابٌ مّرقوم. يشهده المقربون، إنَّ الابرار لـفي نعيم، عـلـى الارائك ينظرون، تعرف في وجوههم نضرة الـنـعـيـم، يسقون من رحيق مختوم، ختامه مسكٌ وفـي ذلك فليتنافس المتنافسون، ومزاجه من تسنيم، عيناً يشرب بها المقربون»(المطففين/١٨—٢٨)

فـالابـرار الـذيـن يـبّر بعضهم بعضاً و يرتبطون بالسماء كتابهم في عليين، وهو مكان يشهد فيه المقربون من الله سبحانه وتعالى.

و يقول سبحانه بالنسبة الى من قطع جذوره بالسماء:

«كـلاّ إنَّ كـتـاب الـفُـجّـار لـفـي سجّين، ومـا أدراك مـا سجّـيـنٌ. كـتـابٌ مّرقومٌ»(المطففين/٧—٩)

وهـنـا لـيـس مـقـربون يشهدون الكتاب، لان الكتاب لا يذهب الى المقربين، وانما يذهب الى الاسفل.

وفي وصف أصحاب الجنة يقول الله تعالى:

«إلاّ قيلاً سلاماً سلاماً»(الواقعة/٢٦)

فهنا سلام وصفاء.

«وآخِرُ دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين»(يونس/١٠)

---

(١) (جـان خـوكـان وسـگـان ازهـم جدا است مـتـحـد جـانـهـاي شـيـران خـدا اسـت

فالارتباط هنا بالله وحده.

و يقول في وصف أصحاب النار:

«إنَّ ذلك لحقٌّ تخاصم أهل النار»(ص/٦٤)

فأهل النار يتخاصمون، فكما كانوا في الدنيا متخاصمين كذلك هم في الآخرة، لأن الآخرة هي آخر مطاف الدنيا، فالدنيا اذا كانت صفاءاً ووئاماً وسلاماً انتهى كل ذلك الى الآخرة الرفيعة، والعكس بالعكس،وكلما قويت هذه الجذور النابعة من الروح ساد الوئام والصفاء.

أما اذا قويت جذور الجسم ــ بكل أقسامها الاربعة التي ذكرناها ــ قوي التشاجر والتخاصم.

هكذا يصنع الأنبياء(ع)

ولذا نشاهد ان الانبياء عليهم السلام يؤيد بعضهم بعضاً، بخلاف الملوك المرتبطين بالدنيا. قال الله سبحانه في وصف الانبياء(ع):

«وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدواقل بل ملَّة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين»(البقرة/١٣٥)

حيث ان اليهود والنصارى فرقوا دينهم ولم يكونوا على ملة ابراهيم(ع)، ولذا يقول الله تعالى عقيب هذه الآية:

«قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط، وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون. فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم، صبغة الله، ومن أحسن من الله صبغة؟ ونحن له عابدون، قل: أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون، أم تقولون إنَّ ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هوداً أو نصارى؟ قل ءانتم اعلم أم الله؟ومن أظلم ممن

كتم شهادةً عنده من الله، وما الله بغافل عما تعملون، تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون»(البقر/١٣٦ــ١٤١)

فالانبياء أخوة من أمهات شتى ــ كما قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم ــ وانما ذكر الامهات دون الآباء احتراماً لعيسى المسيح عليه الصلاة والسلام، حيث لم يكن له أب، والوحدة بينهم هي صبغة الله.

«ومن أحسن من الله صبغة»(البقرة/١٣٨)

فان الصبغة في قبال صبغة الله هي صبغة التفرق، وعلى هذا فابراهيم واسماعيل واسحاق و يعقوب والاسباط عليهم السلام لم يكونوا يهوداً ولم يكونوا نصارى، وانما كانوا على صبغة الله، صبغة الوحدة والاخلاص والواقعية.

وعلى أي حال: تلك أمة قد ذهبت ومضت وأما أنتم أيها البشر المعاصرون فانكم مكلفون بأن تهتدوا بنحو تلك الهداية من الوحدة والصفاء والوئام.

.. وهكذا يصنع الملوك

أما بالنسبة الى الملوك التابعين لجذور الارض القاطعين لجذور السماء فيقول الله تعالى:

«إنَّ الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزَّة أهلها أذلَّة، وكذلك يفعلون»(النمل/٣٤)

والملوك لا يحارب بعضهم بعضاً فحسب، ولا يسببون الانشقاق فحسب في الخارج، وانما يسري ذلك الى الداخل بقول الله تعالى:

«إنَّ فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفةً منهم يذبح أبنائهم و يستحيي نسائهم»(القصص/٤)

منطق التجزئة، ومنطق التوحيد

وهاتان طبيعتان في الانسان: (طبيعة التجزئة) و(طبيعة التوحيد) فطبيعة التوحيد

تقول (جاري مثلي) و(الشارع الثاني مثل هذا الشارع الذي أنا فيه) و(المدينة الاخرى مثل المدينة التي أنا أسكنها) و(القطر الذي أنا فيه كالقطر الذي لست فيه) وكذلك يوحد.. و يوحد.. و يوحد..

بينما التجزئة تقول: (قطري خير من قطر غيري) و(بلدي خير من بلد آخر في قطري) و(شارعي خير من الشارع الآخر الذي ليست فيه) و(سكتي في هذا الشارع خير من السكة الاخرى) ثم (داري خير من دار جاري) و(أنا خير من غيري) وهكذا تنتهي التجزئة الى الفردية، بينما تنتهي الوحدة الى وئام كل العالم.

الانقطاع عن السماء=الدمار

وما نشاهده في عالم اليوم من الحروب والدمار والمنازعات والمهاترات وما أشبه ليست إلاّ وليدة قطع جذور السماء والارتباط بجذور الارض، كما قال سبحانه:

«يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثّاقلتم الى الارض رضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة»(التوبة/٣٨)

فالارتباط بالارض ارتباط بالحياة الدنيا والارتباط بالسماء ارتباط بالآخرة، والبشر حيث خرج عن مظلة الانبياء وقع في هذا التخاصم والتناحر، والله يبين هذه الحقيقة، حيث يقول:

«فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة»(المائدة/١٤)

فان قطعهم جذورهم السماو ية سبب أن يكون بينهم العداء والبغضاء الى يوم القيامة.

وفي آية أخرى يقول الله سبحانه وتعالى:

«و ينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً»(الكهف/٤)

فان القول باتخاذ الله ولداً معناه الانقطاع عن جذور السماء، والخلود الى جذور الارض، والخلود الى جذور الارض ــ باتباع الهوى وعدم اتباع هداية السماء ــ يسبب هذه التفرقة، ولذا يقول الله تعالى في فردٍ منحرف:

«ولكنّه اخلد الى الارض واتبع هواه»(الأعراف/١٧٦)
كما تقدم.

النفس.. هي المنبع

واذا لاحظنا الانسان نرى ان الامور المرتبطة به خمسة: النفس، والجسد،والتاريخ، والمحيط الاجتماعي، والمحيط الطبيعي.

والنفس هي مبعث فساد الكل، أو صلاح الكل، فهي ان ارتفعت عن جذورها المادية صلح الكل، وان انحطت الى جذورها المادية وقطعت جذورها الفوقية فسد الكل.

فالانسان الفاسد النفس تكون نفسه بؤرة للحقد والحسد والتفرقة والنفاق والبغضاء والشحناء وما الى ذلك.

النفس والجسد

كما ان الانسان الفاسد النفس يكون جسده معرضاً للآلام والمصائب سواء من داخله أو من خارجه، أما من داخله البدن فان النفس اذا صارت عليلة أثرت على البدن، لأن كل واحد من النفس والبدن يتفاعل مع الآخر، فالجسم اذا مرض مرضت النفس، والنفس اذا مرضت مرض الجسم، ولذا نرى ان الخائف يصفّر لونه حيث تؤثر نفسه في جسمه، كما نرى ان المضروب على جسمه كئيب النفس حيث يؤثر جسمه في نفسه.

النفس والتاريخ

وبالنسبة الى ثالث الامور وهو التاريخ، فالانسان قد يفسد التاريخ، وقد يصلح التاريخ، مثلاً: فرعون أفسد التاريخ، أما موسى عليه الصلاة والسلام فقد أصلح التاريخ، لأن التاريخ عبارة عن الناس الذين يعيشون في قطعة من الزمان عيشاً حسناً أو عيشاً سيئاً.

النفس والمحيط الطبيعي

والمحيط الطبيعي أيضاً تابع للانسان، فيمكن للانسان أن يصلح المحيط الطبيعي فيعمر الارض ويجري الانهار الى غير ذلك، كما انه يتمكن أن يفسد المحيط الطبيعي.

النفس والمحيط الاجتماعي

والمحيط الاجتماعي أيضاً تابع للانسان، لأن المحيط الاجتماعي انما يتكون من لبنات انسانية، فان صلحت تلك اللبنات صلح المحيط الاجتماعي والعكس بالعكس، ولذا نرى ان المجتمع الصالح هو المجتمع الذي صلح أفراده فقد قال رسول الله(ص):

[خير القرون قرني]

وذلك لأن الصحابة كانوا على الاغلب أناساً صالحين، صحيح انه كان فيهم المنافق، لكن المنافق كان شاذاً، والشاذ لا يتمكن من صبغ الاجتماع بصبغته، وانما الذي يتمكن من صبغ الاجتماع بصبغته هم الاكثرية بصورة مطلقة.

أما اذا كانت اللبنات الانسانية فاسدة فيكون المحيط فاسداً.

المحيط الاجتماعي يحدد طبيعة الحكم

ومن المحيط ــ فاسداً كان أو صالحاً ــ تنشأ الحكومات أيضاً، ففساد أو صلاح الحكومات نابع من صلاح أو فساد المحيطات، ولذا ورد في الحديث، عن رسول الله(ص):

[كيفما تكونوا يولى عليكم]

إذ من الطبيعي ان المحيط الصالح يُنشىء الافراد الصالحين الذين يصلون الى الحكم، والمحيط الفاسد يُنشيء الافراد الفاسدين الذين يصلون الى الحكم.

فالحكم أيضاً أمر سادس في هذا السُلّم: سلم النفس، والبدن، والتاريخ، والمحيط الاجتماعي، والمحيط الطبيعي، وهو جزء من المحيط الاجتماعي، فبصلاح المحيط

الاجتماعي التابع لصلاح النفس يصلح الحكم، و بفساده يفسد الحكم.

نتائج الخلود الى الأرض والارتباط بالسماء

ثم ان من يقطع جذوره بالسماء ليخلد الى الارض، ومن يقطع جذوره من الارض ليطمأن الى السماء يتلقى كل واحد منهما ــ فرداً أو جماعة أو أمة ــ جزائه الطبيعي المناسب له، فان هنالك خمسة أنواع من الجزاء يتلقاها الانسان ــ فرداً أو اجتماعاً ــ: الجزاء الشخصي، والجزاء التاريخي، والجزاء البرزخي، والجزاء المحشري، والجزاء بالجنة أو النار.

فالجزاء الشخصي هو ان الانسان المُحسن يُحسن اليه، والانسان المسيء يُساء إليه، فمن أهان الناس أهين، ومن احترم الناس احترم.

يقول الشاعر:

ومن هاب الرجال تهيبوه ‏ ‏ ‏ ‏ ومن وهن الرجال فلن يهابا

فهذا هو جزاء الانسان الشخصي الذي يتلقاه، ان خيراً فخير، وان شراً فشر.

وفي الشعر المعروف:

لا يجتني الجاني من الشوك العنب ‏ ‏ ‏ ‏ ولا من الحنظل يجتنى الرطب

وكذلك الانسان هو الذي يصنع تاريخه، إن تاريخ رحمة وخير أو تاريخ لعنة وشر.

والبرزخ ــ وهو الفاصل بين الدنيا والآخرة ــ والمحشر ــ وهو محل الحساب ــ والنار أو الجنة ــ وهو المحطة الاخيرة للانسان ــ أيضاً تابعة للانسان نفسه، والجزاء الاوفى يكون في الاخيرة، ولذا قال سبحانه وتعالى:

«**ثمَّ يُجزاه الجزاء الاوفى**»(النجم/٤١)

لأن الدنيا قطعة صغيرة، والبرزخ والمحشر أيضاً قطعتان صغيرتان بالنسبة الى المحطة الاخيرة، أي النعيم أو لجحيم.

ولذا نشاهد في التاريخ ان لا مسيء إلاّ وقد أسيء اليه على الاغلب، ولا محسن إلا وقد أحسن اليه على الاغلب.

نعم: كان هنالك شواذ من الجانبين، لكن ذلك لقانون ثانوي أهم من القانون

الاول، حيث أن الاهم يقدم على المهم، مثلاً: نشاهد ابن زياد والامام الحسين عليه الصلاة والسلام، فابن زياد قُتل شر قتلة شخصياً، ولُعن بِشر لعنة تاريخياً من يومه الى هذا اليوم، أما الامام الحسين عليه الصلاة والسلام فله تاريخ مشرق جميل.

وربما يُقال: فلماذا قتل الامام الحسين؟ فهل جوزي الحسين باحسانه أم قتل؟ أليس هذا نقيضاً للقاعدة المذكورة؟

والجواب: إن الامام الحسين عليه الصلاة والسلام اختار القتل بنفسه ولذا كان يفرّق الناس من حوله و يقول لهم:

[اذهبوا عني واتخذوا سواد هذا الليل جملاً، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أصحابي وتفرقوا في سواد هذا الليل]

فهل رأيتم من يريد البقاء والحياة وهو يفرق الناس من حوله؟

إن الامام الحسين(ع) بنفسه أراد أن يُقتل تبعاً لأرادة الله سبحانه وتعالى، لأمر أهم، حيث ورد في الحديث:

[إن الله شاء أن يراك قتيلاً، وشاء أن يرى أهلك سبايا]

فالحسين عليه السلام اختار عمله الصعب لأجل أن ينقذ، ولأجل أن يكون أسوة، (، فالجيش الذي يختار العمل الصعب في ميادين الحرب هو اختار ما اختار لأجل الانقاذ ولأجل أن يكون أسوة).

فهل يقال ان الجيش أسيء اليه؟ ان مثال هذا هو مثال الطبيب والمهندس والفقيه والخطيب الذين يختارون العمل الصعب بالدراسة والسهر وحرمان النفس عن الملذات لأجل علوّ المنزلة أو لأجل انقاذ الناس من مشاكل الحياة.. أو لغير ذلك.

وعليه فليست الجذور التي ذكرناها ـ السماوية والارضية ـ مجرد طائفتين من الجذور، وانما لكل طائفة آثارها الحسنة أو آثارها السيئة على الانسان نفسه: شخصاً وتاريخاً و برزخاً ومحشراً وجنة أو ناراً.

ولا تنسَ نصيبك من الدنيا

ولا يتوهم من الكلام السابق ان الجذور الارضية يجب قطعها قطعاً كاملاً، فان

الجذور الارضية يحتاج اليها في حدودها، وانما الكلام في عدم تحكيم الجذور الارضية وقطع الجذور السماو ية فكل جذر من الجذرين يجب ملاحظته في حدوده المقررة له، فالجذور الأرضيةهي لاعطاء حاجات الجسد ولأنماء الروح كالأرض التي تنمي الانسان والنبات والحيوان.

أما الجذور السماو ية فهي للاخوة والصفاء والرقي وعدم الامتيازات المكذو بة من اللون واللغة والقطر والقوم وما أشبه، وانما الامتياز يكون بالكفاءات فقط، والكفاءات لا توجب الامتياز المجحف بالآخرين وانما يتم الامر في حدود الكفائة، فالطبيب له مكانه، والعامل له مكانه، وليس معنى تقدم الطبيب بسبب الكفائة انه يجحف على العامل، كما انه ليس معنى كون العامل غير ذي كفائة أن يجحف على الطبيب بالثورة عليه، كما نشاهد التناقض من هذه الناحية بين الشرق والغرب،ففي الغرب تطغى الكفاءات على العمال والفلاحين ومن أشبه، وفي الشرق طغى العمال والفلاحون على الكفاءات في أول ثورة الشيوعيين، وان أخذت الكفاءات الحكومية المنحرفة أيضاً امتيازات ضد العمال والفلاحين بعد مرور برهة من الزمن.

لماذا التفاوت بين الأفراد؟

ومن هنا يأتي سؤال فلسفي هو: لماذا خلق الله الكفاءات المختلفة، فهذا أكثر استعداداً وذاك أكثر بنية، والثالث أكثر فطنة وذكاءاً وهلم جرا.. ألم يكن من الافضل أن يخلق الله سبحانه وتعالى الاشياء متساو ية حتى لا تكون هذه الامتيازات الكفائية ايضاً؟

والجواب: انما خلق الله الكفاءات المختلفة لأمرين نشعر بهما نحن ــ ولعل هناك أموراً أخر أيضاً ــ:

أولاً: لأنه جمال الكون، فالجمال انما هو بالتنوع لا باللون الواحد، فالحديقة ذات الازهار الحمراء أو الصفراء أو البيضاء أو الزرقاء فقط لا ترضي الشعور الجمالي للانسان بقدر ما ترضيها حديقة ذات أزهار مختلفة، والوان متنوعة، وعطور مختلفة، فان الاولى لوحظ فيها التساوي، لكن لم يلاحظ فيها الجمال، فان الجمال بالكبر

والصغر، والألوان المختلفة والاحجام المتباينة، والروائح المتنوعة.

ثانياً: لأن كل شيء ــ مما يُعبّر عنه في لسان الفلسفة بـ(المهية)ــ يطلب الوجود بلسان الحال، ومن جود الفياض المطلق ان يفيض الوجود على كل ما يتطلب الفيض، فيما لم يكن هنالك محذور يصادم ذلك، فطلب الوجود من (المهيات) يقتضي اعطاء كل مهية حقها، ومثل ذلك: افراد يأتون الى ساقي ماء، وكل يطلب الماء، لكن هذا إنائه صغير، وذلك إنائه كبير، وثالث إنائه مربع، ورابع إنائه مدور وخامس إنائه مستطيل.. الى غير ذلك من الاختلافات، فالمهيات ــ بلسان الحال ــ تطلب من الله سبحانه وتعالى افاضة الجود، والله يفيض الجود على الجميع لانه الجواد الكريم كما ألمع اليه في الآية الكريمة:

«أنزل من السماء ماءاً فسالت أودية بقدرها» (الرعد/١٧)

فالأودية تحتمل كل واحدة منها بقدرها من الماء النازل من السماء، وهكذا حال ماء الوجود المفاض على المهيات المختلفة التي هي مثل أودية الماء المختلفة.

وعليه، فهل من الصحيح عدم إعطاء كل ذي حق حقه؟ أو عدم التنويع الموجب للجمال؟

الله سبحانه لا يخلق الشر

وقد ذكرنا في كتاب (الاصول) أنه حتى ما نجده سيئاً فان له نوعاً من الجمال، مثلاً: كل من العقرب والحية وما أشبه له نوع من الجمال، أما الانسان الشرير، فان الله سبحانه وتعالى لم يخلقه شريراً، وانما يخلق الله الجيد في كل شيء، منتهى الامر أنه يخلق الجيد والأجود، وانما الانسان بنفسه يحوّل الطيّب سيئاً، و يبدل النعمة كفراً، قال رسول الله(ص):

[الناس معادن كمعادن الذهب والفضة] (١)

و يقول القرآن الحكيم بصدد من يبدل الخير شراً:

«ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلّوا قومهم دار

(١) (المراد انه قابل لهما، لا انه سبحانه يخلق الشر، ولذا قال (ص): (كمعادن الذهب والفضة).

البوار»؟(ابراهيم/٢٨)

فالنعمة بما هي نعمة قد تبدل بالنقمة والكفر، كالذي يصنع من الرطب الطيب خمراً خبيثة وسيئة.

وقد ذكر قسمٌ من الفلاسفة: ان الوجوه المتصورة في الخلقة خمسة، والله سبحانه يخلق منها اثنين لوجود المحذور في الثلاثة الأخر، لأن الشيء أما خير محض، وأما شر محض، وأما متساوي الخير والشر، وأما خيره أكثر من شره، وأما شره أكثر من خيره، والله سبحانه وتعالى انما يخلق (ما هو خير محض) و«(وما خيره أكثر من شره)» أما الاقسام الثلاثة الأخر ـ من (متساوي الامرين) و(ما شره أكثر) و(ما هو شر محض) ـ فان الله سبحانه وتعالى وان كان قادراً على خلقها، لكن الحكمة مانعة عن مثل خلق ذلك، فان من صفات الله سبحانه وتعالى صفة (الحكمة) الموجبة لصد سائر الصفات عن الفيضان.(٢)

مثلاً: الله سبحانه وتعالى معط ورازق وخالق وما أشبه، فاذا لم تكن (الحكمة) آخذة بأزمة تلك الصفات لكانت كل تلك الصفات (على فرض محال) تتجاوز حدودها، مثلاً يخلق الله عوض مليار من المجرات مليارات مليارات من المجرات الى غيرها من الامثلة.

لا.. للتطرف في حبّ الجذور الأرضية

.. وعلى هذا، فكل طغيان في محبة الجذور الارضية ممنوع، لأنه يسبب:

أولاً: الفساد والتمايز.

وثانياً: الجمود والسكون وعدم تقدم الحياة، فان تقدم الحياة انما هو بالكفاءات،

---

(٢) هذا من باب التشبيه وضيق التعبير.

والطغيان في محبة الارض والجذور الارضية يوجب عدم ظهور الكفاءات، ولذا قال سبحانه:

«قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارةٌ تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبَّ إليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين»(التوبة/٢٤)

إن محبة هذه الامور زائداً عن المتعارف هو فسق وخروج عن الاعتدال، والله لا يهدي الذين يخرجون عن الاعتدال عن علم وعمد، فانه سبحانه وتعالى انما يهدي من يريد الاعتدال، و يسلك الطريق المستقيم لا من يسلك الطريق المنحرف، وقد قال علي عليه الصلاة والسلام في شعر منسوب اليه:

تفرج هم واكتساب معيشة وعقل وآداب وصحبة ماجد
فان قيل في الأسفار ذل ومحنة وقطع الفيافي وارتكاب شدائد
فموت الفتى خير له من قيامه بدار هوان بين واش وحاسد

إن الخلود الى الارض ــ سواء الخلود الى بلد واحد من غير سبب أو الخلود الى الارض باعتبار الجذور القومية والجغرافية وما أشبه ــ مانع عن تقدم الانسان وتعاليه ورقيه، ولذا قرر في الاسلام (الهجرة) أما من لم يكن يحب الهجرة لمشكلاتها فقد قال الله في شأنه:

«فانها محرمةٌ عليهم أربعين سنةً يتيهون في الارض» (المائدة/٢٦)

فالانسان الذي يخلد الى الارض ولا يحب التقدم والرقي والموازين الانسانية يبقى يتيه في الارض حتى ينقلع عن تلك الجذور المنحرفة، وقد ذكر بعض المفسرين ان مدة تبدل الامم من حالة الى حالة هي أربعون سنة، حيث يذهب القوم السابقون في ظرف يقارب عشرين سنة، و ينمو القوم الذين بعدهم خلال عشرين سنة، وتكون النتيجة (أربعين سنة).

وعلى كل حال، فالجذور الارضية واجبة بقدر، و باقي الطاقات والقدرات يجب

أن تصرف الى الجذور السماو ية، ولذا قال سبحانه:

«**وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا**»(القصص/٧٧)

فللدنيا والجذور الارضية نصيب ما، واللازم على الانسان أن يصرف طاقاته في الجذور السماو ية.

وهذا الامر صعب جداً لأن الانسان يميل الى قومه ووطنه وداره وأبو يه وما أشبه، ويحب المفاخرة بها، كما كان الجاهليون يفاخرون بذكر آبائهم في منى فنهاهم الله سبحانه وتعالى عن ذلك وقال:

«**فأذكروا الله كذكركم آبائكم أو أشدَّ ذكراً فمن الناس من يقول ربَّنا آتنا في الدنيا وما له في الآخر من خلاقٍ، ومنهم من يقول ربَّنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً، وقنا عذاب النار، أولئك لهم نصيبٌ مما كسبوا والله سريع الحساب**»(البقرة/٢٠٠ـ٢٠٢)

حيث نرى في هذه الآية الكريمة ان قسماً من الناس يريدون الدنيا والآخرة، لكن ارادتهم للدنيا أضعف من ارادتهم للآخرة، حيث قال سبحانه:

«**ومنهم من يقول ربَّنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار**»(البقرة/٢٠١)

فجعل حسنة الدنيا حسنة واحدة، أما ما يرتبط بالآخرة فجعله جزئين: جزءاً ايجابياً «حسنة» وجزءاً سلبياً «وقنا عذاب النار».

و بعد ذلك قال سبحانه:

«**أولئك لهم نصيب ممّا كسبوا**»(البقرة/٢٠٢)

ثم أردف ذلك بقوله:

«**والله سريع الحساب**»(البقرة/٢٠٢)

حيث ان الدنيا تطوى بسرعة، وانما البقاء للآخرة، والجذور السماو ية هي المحكمة في الآخرة الطو يلة العريضة، مثلاً: الانسان يعيش في الدنيا خمسين سنة، أما في الآخرة فمليارات من السنوات والى ما شاء الله:

«**خالدين فيها أبداً**»(النساء/٥٧)

ترويض النفس

والانسان وان كان يميل بطبعه الى مباهج الدنيا والجذور الارضية، لكن يجب أن يجبر نفسه على الالتصاق بالجذور السماوية.

قال علي عليه الصلاة والسلام:

[فها هي نفسي أروضها على التقوى]

يعني: ان الانسان يجب عليه أن يروض نفسه و يربيها، وهذا ما نراه في كل متقدم حسب كفاءاته من فقيه وعالم ومهندس وطبيب وخطيب ومؤلف وما أشبه حيث أنه يجبر نفسه على ذلك الجانب، وهو وان كان ثقيلاً وصعباً، لكن النتائج في الدنيا والآخرة مغرية، بخلاف الانسان اذا أسلس نفسه للجذور الارضية، ولذا ورد في الحديث:

[حفّت الجنة بالمكاره، وحفّت النار بالشهوات]

وفي حديث آخر:

[أفضل الأعمال أحمزها]

ـأي أصعبهاـ فالانسان اذا أجبر نفسه على الصعاب يكون كالأب الرؤوف الذي يجبر ولده على الذهاب الى المدرسة والانقطاع عن الأشرار، وليس ذلك إلاّ لمصلحة نفس الولد ورقيّه وارتفاعه، والولد، وان توهم ان الأب يضغط عليه ويجبره بلا مبرر، لكن الواقع ان الضغط والجبر لهما مبررهما الوجيه عند العقل والشرع وسيدركه نفس الولد اذا كبر وعقل.

المقياس هو الكفاءة

ثم أن تساوى الناس ـإلاّ من جهة الكفاءاتـ هو الذي جاءت به الأديان. مثلاً: صار المسيح عليه الصلاة والسلام بلطف الله أولاً وأتعابه ثانياً في عداد خيرة الله، في

قبال اليهود الاثرياء المستكبرين الذين قالوا:

«نحن أبناء الله وأحبّائه»(المائدة/١٨)

وهكذا لما جاء المسيح جعلت الانسانية على قدم المساواة، فلا فضل لبعض على الآخر إلاّ بالتقوى ورجع اليهود الى الوراء، لكن لم يمضِ زمان حتى انحرفت المسيحية فصار المسيح أيضاً (إبن الله) وصارت الروحانية المسيحية في صفوف الدولة المستكبرة وشرعوا قانون: (دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله).

وقد أشير الى ذلك في القرآن الحكيم في آيات متعددة:

قال سبحانه:

«ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلاّ الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه، فآمنوا بالله ورسله، ولا تقولوا ثلاثة، انتهوا خيراً لكم، إنما الله إله واحدٌ، سبحانه أن يكون له ولد، له ما في السماوات وما في الارض، وكفى بالله وكيلاً. لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً. فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله، وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليماً، ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً»(النساء/١٧١ــ١٧٣)

وقال سبحانه:

«لقد كفر الذين قالوا إنّ الله هو المسيح ابن مريم، وقال المسيح يابني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرَّم الله عليه الجنة، ومأواه النار وما للظالمين من أنصار. لقد كفر الذين قالوا: إنَّ الله ثالث ثلاثة، وما من إله إلاّ إلهٌ واحدٌ، وإن لم ينتهوا عمّا يقولون ليمسَّنَّ الذين كفروا منهم عذابٌ أليمٌ. أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفورٌ رحيم. ما المسيح ابن مريم إلاّ رسولٌ قد خلت من قبله الرسل وأمه صدّيقةٌ، كانا يأكلان الطعام، أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون»(المائدة/٧٢ــ٧٥)

ويقول الله سبحانه وتعالى:

«وقالت اليهود: عزيرٌ ابن الله، وقالت النصارى المسيحُ ابن الله، ذلك قولهم بأفواههم، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل، قاتلهم الله أنى يؤفكون. اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم، وما أمروا إلاّ ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلاّ هو، سبحانه عما يشركون»(التوبة/٣٠ـ٣١)

الى غيرها من الآيات وهكذا نجد ان كل الموازين التي جاء بها المسيح عليه الصلاة والسلام لأجل ارجاع الناس الى واقعهم الانساني انقلبت، ولذا جاء رسول الله(ص) ليرد الامور الى نصابها الواقعي، وجعل المؤمنين اخوة وقد قال الله سبحانه:

«إنَّما المؤمنون إخوةٌ فاصلحوا بين اخويكم»(الحجرات/١٠)

ونقرأ في التشهد: (وأشهد أن محمداً عبده ورسوله)

كما صار الميزان الكفائة:

«إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم» (الحجرات/١٣)

وحكّمت الاستشارية كما قال تعالى:

«وشاورهم في الأمر»(آل عمران/١٥٩)

وقال :

«وأمرهم شورى بينهم»

وأصبح تعيين القيادة ــ الجامعة للشرائط ــ في زمان الغيبة بيد الناس، وسيأتي في هذا الكتاب موضوع الانتخابات من قبل الامة للقائد الذي يحكم المسلمين.

نتائج فساد النظام الاجتماعي في الغرب

ثم أنه حيث كان في الغرب الكبت الشديد من طبقة الحكام للشعوب، وحيث وجدت الطبقات المتفاوتة المبتعدة بعضها عن بعض فبعضها فوق القمة و بعضها تحت الحضيض وحيث كانت الكنيسة تتشدد تشدداً دينياً غريباً حتى أنها أحرقت ألوف العلماء وعشرات الالوف من الناس وحظرت العلم ــ حتى ترجمة التوراة والانجيل وما أشبه ــ وحيث كان تسلط بعض الاقوام على أقوام آخرين نتج عن كل ذلك أمور:

منها: الافراط في الحرية، فان كل (فعل) له (رد فعل) يساو يه في القوة و يعاكسه في الاتجاه، وقد يكون أحياناً أكثر منه (بمناسبات مذكورة في علم الاجتماع وغيره) وهذه الحرية الافراطية هي التي سببت المشاكل التي يرتطم فيها الغرب الى هذا اليوم، كما ان الطبقات المتباعدة سببت رد فعل بالتساوي الافراطي بين الناس حتى بين الرجل والمرأة اللذين لم يكن بينهما تساوٍ لا خلقة، ولا عاطفة، ولا عقلاً ـ إلاّ في جوامع مشتركة بينهما ـ كما ان تشدد الكنيسة سبب ردّ فعل بالتحلل من الدين والفضيلة جملة وتفصيلاً، وتفشي الالحاد والرذيلة بشكل مخيف، وكذلك تسلط الاقوام الآخرين سبب القومية المرتبطة باللغة واللون والأرض والقبيلة وما أشبه الى حد الافراط، البعيد عن موازين العقل، فيرجح جاهل القوم على عالم الاقوام الآخرين وصارت القومية الصنم الجديد الذي يعبد من دون الله ومن دون الموازين الانسانية، ومن القومية نشأت النازية والفاشية اللتين أغرقتا العالم في حربين عالميتين مدمرتين خلال نصف قرن فقط.

وحيث انهزم الدين عن الساحة وأخذت المادة مكانه حدث (الاستعمار) و(الاستغلال) للشعوب الاخرى، لأن المادة (كما تقدم) ضيقة فتوجب التشاجر والتناحر والاستغلال والاستعمار، أما الدين الحق فهو رحب يسع صدره مختلف الاقوام والشعوب.

وحيث حدث التطرف في رأس المال وجد رد فعل متمثل بـ(الشيوعية) حيث أن الشيوعية ـ بزعمها ـ ضد رأس المال! وان سقطت الشيوعية في بؤرة رأس مال بشكل أفضع، حيث جمعت بين (رأس مال الدولة) و(دكتاتورية الدولة) ففي الغرب كان رأس المال بيد أفراد والدولة بيد أفراد آخرين و بين هاتين المجموعتين يتوفر شيء من الحرية مما بسببه يتمكن العامل والفلاح وذو الدخل المحدود من التنفس ولو بقدر قليل، لكن في الشيوعية جمعت جماعة خاصة بين (الدولة) و(رأس المال) فسحقوا كل الطبقات، وجروا على الشعوب الويلات المعروفة.

سلامة النظام الاسلامي

أما الاسلام فحيث توفرت فيه الحريات المعقولة، ولم تكن فيه طبقات يسندها

القانون، ولا تشدد من الدين ورجاله ــ بل عفو وسماح ودعوة بالتي هي أحسن ــ ولم يكن فيه تسلط أقوام على أقوام بل كان من دخل في الاسلام يصبح كسائر المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، وانما الكفاءات تصل الى أرقى المناصب سواء في الحكم أو في العلم أو في القضاء أو في غيرها ولذلك نرى مثلاً ان سلمان الفارسي نصب حاكماً على الامبراطورية الفارسية لما فتحت ايران.. لذلك كله لم يكن في الاسلام استعمار ولا استغلال ولا ردود فعل..

وهكذا امتد الاسلام وزحف الى الامام باستثناء بعض الفترات التي سيطر فيها حكام منحرفون خرجوا عن الموازين الاسلامية جملة وتفصيلاً فأوقفوا زحف الاسلام الاصلاحي، و باستثناء الفترة الاخيرة حيث ابتعد كثير من المسلمين عن القرآن الذي كان هو خلق المسلم مما سبب تمكن الغرب والشرق من الزحف عليهم وتنصيب حكام عملاء عليهم وتبديل القوانين الاسلامية الى القوانين الوضعية الكاتبة.

وهكذا فقدت الدنيا القيادة الرشيدة، وولدت مشكلات عالمية لها أول ولا آخر لها، ارتطم الاقوام كلهم فيها ــ وان كانت على نسب مختلفة ــ.

الجاهلية الجديدة

والحالة التي تعيشها الدنيا في الوقت الحاضر هي حالة مرضية ــ بكل خصائص المرض ــ وما لم ترفع هذه الحالة الى حالة صحية فستظل الدنيا تتخبط في دياجير وظلمات ومشاكل أسوء من المشاكل التي كانت الدنيا تتخبط فيها قبل ظهور الاسلام، فهي (جاهلية ثانية) أسوء من (الجاهلية الاولى).

إن الدنيا الحاضرة دنيا مغلفة بالانانية، والاثرة، والتفاوت الطبقي، والموازين التي تحكمها هي موازين (القومية) و(الوطنية) و(المادة) و(اللغة) وما أشبه لا الموازين الانسانية، ولذا تجد كل انسان لا يرتبط بالوطن الخاص والشعب الخاص ونحو هذين الامرين غريباً ليس له اي حق في الحياة، فهو يولد في العالم الحاضر دون حق، و ينظر اليه بالشبهة والريبة، لا يزوّج، ولا يتزوج منه، و يطرد من البلاد، ولا حق له في البيع

والشراء الى غير ذلك، إلاّ في نطاق خاص وتحت شروط قاسية جداً، لم يكن لها مثيل حتى في الجاهلية الاولى.

وما دامت الدنيا لا تضع الحب مكان الكراهية، والاخوة مكان الطبقية والوطنية والقومية ونحو ذلك، وحسن الظن بدل سوء الظن، وحب الانسان بما هو انسان بدل الروابط الانانية والارضية ونحوها، والتعاون بدل التقاطع، واصالة الصحة في عمل الانسان وفي قوله بدل إصالة الفساد، وإصالة البرائة حتى تثبت الجريمة بدل إصالة الشبهة، وإصالة الحرية في كل شيء بدل إصالة الكبت.. لم يكن للعالم خلاص من المشاكل، بل أنها تزداد ضيقاً يوماً بعد يوم، حاله حال المريض فانه اذا لم يستعمل الدواء يزداد مرضه يوماً بعد يوم حتى ينتهي به الى الموت.

آفاق ضيّقة

ولما ذكرناه ـــ من ضيق الأفق الذي يحكم على بلاد عالم اليوم ـــ نرى ان الانسان الغربي والشرقي اذا قال لزملاءه: (إني لا أحب بلادي) يقابل بالاستنكار، أما اذا قال: (إني أريد إستعمار سائر البلاد أو اني أريد الاستيلاء على خيرات سائر البلاد، أو إني أريد قتل الطائفة الفلانية التي هي خارجة عن بلادي) أو ما أشبه لا يقابل بالاستنكار، إلاّ عند فئة خاصة.

إن مرد ذلك الى عدم إنسانية الفكر، وضيق الفكر ـــ سواء في القومية أو في الوطنية أو في اللغوية أو في اللونية أو ما أشبه ذلك ـــ

الأديان السماوية توسع آفاق الفكر الانساني

وقد ورد في الاسلام سعة مثل هذا الافق وهكذا في كل الاديان السماوية، بل نقل عن المسيح عليه الصلاة والسلام إنه قال:

[أحبوا أعدائكم]

وفسره البعض بأن حب الاعداء هو حب للنفس، لوجود الجذور الانسانية في كل

انسان سواء كان عدواً أو صديقاً، وفي القرآن الحكيم:

«ولا يجرمنكم شنآن قومٍ على ألاّ تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى»(المائدة/٨)

وورد في الحديث:

[إنصاف الناس من نفسك]

وفي حديث آخر:

[أحب لغيرك ما تحب لنفسك]

وفي حديث الامام أميرالمؤمنين عليه الصلاة والسلام:

[الناس أما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق]

كما أنه ورد عن النبي الاعظم(ص):

[لا فضل لعربي على عجمي إلاّ بالتقوى]

الى غير ذلك من النصوص الواردة في الاديان السماو ية.

والانسان لا ينقلع عن هذا الضيق في أفقه الفكري ـ الذي يتبعه أيضاً عمله الخارجي ـ إلاّ اذا توسعت آفاقه الذهنية ورأى الانسانية وحدة واحدة، وكما قال الشاعر:

(بنوا الانسان أعضاء جسم واحد)

(لأنهم مخلوقون من جوهر واحد)

(فاذا سبب الزمان لبعضهم ألماً)

(يتألم سائر الأفراد لألمه)

(فاذا لم تحزن لمصائب الآخرين)

(فلا ينبغي أن تُسمى إنساناً)

هذا هو منطق الاديان السماو ية، منطق العقل، والرشد الفكري وقد قال رسول الله(ص):

[مثل المؤمنين في توادهم وتحاببهم كالجسد الواحد اذا اشتكى عضو اشتكى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى]

وفي عكسه قال شاعر آخر معبّراً عن منطق أمثال الغربيين والشرقيين الذين يحصرون الامور في القوميات ونحوها:

(الناس بعضهم أعداء بعض لأنهم في الخلقة سيءّ فأسوء فاذا سبب الزمان لبعضهم ألماً فالى جهنم! فما بال سائر الاعضاء؟ إنك اذا لم تحزن لمصاب الآخرين فمن الحق أن تُسمى آدمياً)

فاذا تمكن الانسان أن يدخل تحت مظلة الانبياء عليهم السلام وأن يجعل جذوره انسانية لا عنصرية أو طائفية.. أو.. فعندئذٍ يسود الوئام والسلام، وتتبدل معامل صنع السلاح الى معامل صنع الاغذية، ولا تجد ألف مليون انسان يتضورون جوعاً بينما أفراد آخرون يسبحون في اللبن ــ كما نشاهد في عالم اليوم ــ كما لا تجد في ذلك اليوم السجون المفتحة والحاجات المعطلة، ولا تجد بعض الناس يسكنون القصور الباذخة بينما السواد الاكبر يسكنون الاكواخ و يعيشون نصف عراة، وقد جاء في نهج البلاغة عن علي عليه الصلاة والسلام قال:

[إنّ الله سبحانه فرض في أموال الاغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما متع به غني. والله تعالى جده سائلهم عن ذلك].

وروى الامدي في الغرر، عن أميرالمؤمنين عليه الصلاة والسلام قال:

(زكاة العلم نشره، وزكاة الجاه بذله، وزكاة الحلم الاحتمال، وزكاة المال الافضال، وزكاة القدرة الانصاف، وزكاة الجمال العفاف، وزكاة الظفر الاحسان، وزكاة البدن الجهاد والصيام، وزكاة اليسار برّ الجيران وصلة الارحام، وزكاة الصحة السعي في طاعة الله، وزكاة الشجاعة الجهاد في سبيل الله، وزكاة السلطان إغاثة الملهوف، وزكاة النعم إصطناع المعروف، وزكاة العلم بذله لمستحقه وإجهاد النفس في العمل به).

الى غيرها من الآيات والروايات التي تعطي للانسان آفاقاً إنسانية وسيعة حتى بالنسبة الى الكافر كما قال النبي(ص):

[لكل كبد حراء أجر]

وإذا لم تحكم هذه الموازين في المجتمع فسيكون مجتمعاً مريضاً، ولا يرجى برئه إلاّ بعوده الى مظلة الانبياء كي يرجع إلى جذوره الانسانية.

الانسان على مفترق الطرق

إن الانسان يعيش على مفترق ثلاثة طرق (أنا) و(نحن القوم أو العشيرة أو الوطن) و(نحن الانسان)، ومن المعلوم ان الانسان ـــ بحكم العقل والمنطق ـــ يجب عليه اتباع الطريق الثالث، فان (أنا) وما يشتق منه (الانانية) أفق ضيق الى أبعد حد و(نحن الوطن أو القوم أو ما أشبه) أيضاً أفق ضيق، وإن كان أوسع من الافق السابق. أما (نحن البشر) فانه يعبّر عن آفاق إنسانية واسعة رحبة.

مضاعفات النظرات الضيّقة

ولا يعود الضرر في مقولتي (أنا) و(نحن الوطن) وما اشبه الى الاطراف الأخر فقط، بل يعود أولاً و بالذات الى الدكتاتور نفسه في (أنا) والى (الوطن والقوم والقبيلة وما أشبه) في (نحن الوطن أو القوم أو نحو ذلك)، ولذا ورد في الآية الكريمة:

«قد أفلح من زكّاها» (الشمس/٩)

و ورد أيضاً:

«ونهى النفس عن الهوى»(النازعات/٤٠)

وفي الآية الكريمة:

«ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون»(الانبياء/٥٢)

فان صنم (أنا) وصنم (نحن الوطن) يشبه (الاصنام الحجرية) في العمل على تضييق دائرة الانسان.

وفي آية أخرى:

«اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله»(التوبة/٣١)

وفي آيه اخرى:

«ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله»(المائدة/١١٦)

إن كل تضييق في أفق الانسان يسبب تضييقاً على الذات في الحياة، و يُفقد الانسان المجالات الرحبة للسير والتقدم، كما يشاهد في أحوال الدكتاتوريين الذين يقولون (أنا) وفي أحوال القوميين والوطنيين والاقليميين وما أشبه الذين يحصرون دائرة أفقهم في أقوام خاصة.

وقد ورد عن الامام أميرالمؤمنين عليه الصلاة والسلام في وصية له لولده الحسن:

[لزوم سكنى المدن الكبار]

فأن هذا أيضاً نابع من نفس المنطلق، فان المدينة الصغيرة تُضيّق دائرة النشاط الانساني سواء أراد الزواج أو أراد العمل أو أراد النشاط أو غير ذلك، أما المدينة الكبيرة فتتسع دائرة الانسان فيها بقدر سعة المدينة، مثلاً: اذا عاش الانسان في قرية تحتوي على عشر عوائل انحصرت الفتاة التي يريد الزواج منها في عشرة أو ما أشبه، أما اذا سكن مدينة تحتوي على مليون انسان فانه يستطيع أن ينتخب زوجته من بين ما يقارب مائة ألف فتاة، ومن الطبيعي انه كلما إتسعت خيارات الانسان في الانتخاب كان اختياره أفضل وأجود، وهكذا في سائر الامور.

فعلى الانسان أن لا يحصر نفسه في دائرة (أنا) أو (نحن القبيلة أو نحن أهل البلد أو ما أشبه)، فان ذلك يعود بالضرر أولاً و بالذات على نفسه، وثانياً و بالعرض على غيره.

والاجتماع العالمي اليوم حيث أصبح هكذا أصبح مريضاً، بكل فروعه وشعبه وقومياته ولونياته ولغاته ورأسمالياته، ولا يتخلص العالم من هذا المرض إلاّ بتبديل (أنا) و(نحن الوطن ونحوه) الى (نحن البشر).

الرأسمالية: الصنم الجديد

وحتى ان حصر النفس في الرأسمالية المنحرفة التي ينتهجها الغرب والشرق هو أيضاً نوع من عبادة الاصنام وتضييق لآفاق النفس، فان معاني الرحمة والانسانية والعطف

والحنان وما أشبه كلها تموت في نفس الرأسماليين، حيث أنهم يرون الوف الجائعين والاطفال الذين سقطوا ضحية الامراض بسبب سوء التغذية، ومع ذلك لا يتعطفون عليهم، والاسوء من ذلك أنهم يبنون معامل السلاح لقتل الانسان وجرحه وتعويقه لمجرد ان ذلك يدر عليهم المال الوفير، وكذلك البنوك الربوية والمرابون ونحو ذلك، فانها كلها نابعة من ضيق الافق الذي يعود على الانسان أولاً بالشر ثم على غيره، وقد قال سبحانه:

«ومن أعرض عن ذكري فانَّ له معيشة ضنكاً»(طه/١٢٤)

أليس سباق التسلح حال مرضية أخذت بخناق العالم في الوقت الراهن، وكلما كان السلاح أفتك يكون سرور الرأسماليين به أكثر، لأنه أكثر إبادة لمن يتصورون من الاعداء وأكثر درّاً للربح.

الاسلام يحترم الآخرين

أما الاسلام فانه يحترم حتى الكفار، ويحنُّ حتى على القتلة، فقد ورد في الحديث أن رجلاً سبّ مجوسياً بحضرة الامام الصادق عليه الصلاة والسلام، فزجره الامام(ع) ونهاه فقال له الرجل: إنه تزوج بامّه؟ فقال عليه السلام: أما علمت ان ذلك عندهم النكاح؟

وفي حديث آخر: ان الامام الصادق قال لبعض أصحابه ما فعل غريمك؟ قال: ذاك ابن الفاعلة؟ فنظر اليه ابو عبدالله عليه الصلاة والسلام نظراً شديداً فقال الرجل: جعلت فداك انه مجوسي نكح أخته؟قال عليه السلام: أوليس ذلك من دينه ؟.

وفي وصايا الامام أميرالمؤمنين عليه السلام الى الحسن عليه السلام لما ضربه ابن ملجم قال(ع):

[بحقي عليك فأطعمه يابُنيَّ مما تأكل، واسقه مما تشرب، ولا تقيّد له قدماً ولا تغل له يداً] .

ألوان من الأنانية

ثـم انـه لا فرق في (أنا) الضيق بين أي لون من ألوان الاجتماع نحو (أنا العالم) (أنا المهـنـدس) (أنـا الـعراقي) (أنا التاجر) (أنا الشرطي) (أنا الموظف) الى غيرها، فان كل ذلك اذا كان سبباً للتعارف كان سليماً، ولذا قال سبحانه:

«إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا»(الحجرات/١٣)

أما اذا كان سبباً للامتياز والطبقية كان خاطئاً.

ولا يـظـن ان (أنـا..) لـيس بمهم، فان الانسان يخاطر حتى بحريته وأمواله وأهله بل وحيـاتـه في سبيل إبراز (أنانيته)، فان كان (أنا) صحيحاً كان معناه صحة الامور كلها، وإلاّ كان معناه الكبرياء والعدوان.

لا يقال: فـ(أنا المسلم) أيضاً كذلك؟

لأنـه يـقـال: كـلا، فـان الاسلام هو ية الصحة البشرية، فهو مثل (أنا البشر)، مضافاً اليـه الـبـرمجة السليمة لأنه لا يوجد في (البشر) البرمجة، فان البشر عبارة عن هذه الافراد المتـناثرة التي تجمعها جامعة تسمى بالبشر، أما أن هذا البشر كيف هو؟ شقي أو سعيد؟ خيّر أو شرير مستقيم أو منحرف؟ عالم أو جاهل؟ ــ والى غير ذلك ــ فليس في (البشر) أي لـون مـن هـذه الامور، أما اذا أردنا تحو يل البشر الى (البشر الصحيح المستقيم المحب للخير والمحترم للانسان).. الخ صار لونه (الاسلام).

قال سبحانه:

«صبغة الله، ومن أحسن من الله صبغةً»(البقرة/١٣٨)

ففرق بين (أنا المسلم) و بين (أنا البشر) و بين (أنا التاجر) أو ما أشبه.

ثلاثة أسئلة

ثم أن هناك أسئلة ثلاثة تعطي نتائج مختلفة حسب الاجوبة المختلفة:

السؤال الأول: ما هو الانسان؟
والسؤال الثاني: من هو الانسان؟
والسؤال الثالث: في أيّ جهة يسير الانسان؟

الانسان: روح وجسد

ففي جواب السؤال الأول: قد يقال: (الانسان جسم فقط) وقد يقال: (الانسان جسم وروح).

ولا نقصد بـ(الروح) الروح التي في الحيّ في قبال الميت، لأن كل البشر يقرّون بها، وانما المراد بـ(الروح) الروح المنفوخة في الانسان من قبل الله سبحانه وتعالى، فان الانسان مركب من ثلاثة أشياء:

١ــ جسم سفلي
٢ــ وروح علويه
٣ــ ونفس بين ذلك قد تميل الى فوق وقد تميل الى تحت.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الحكيم هذه الامور الثلاثة.

أما الجسم فهو مخلوق من:

«حماءٍ مّسنونٍ»(الحجر/٢٦ــ٢٨ــ٣٣)

ومن:

«صلصالٍ كالفخّار»(الرحمن/١٤)

وأما الروح، فان الله تعالى دائماً يقرنها بالتعظيم فيقول:

«ونفخت فيه من روحي»(الحجر/٢٩)

وأما من جهة النفس، فان الله سبحانه وتعالى يجعلها بين الامرين ــ الجسم الثقيل الارضي، والروح الخفيفة السماوية ــ فيقول:

«قد أفلح من زكاها وقدخاب من دساها»(الشمس/٩ــ١٠)

و يقول: «وهديناه النجدين»(البلد/٩٠).

و يقول:

«فاذا جاءت الطامة الكبرى، يوم يتذكر الانسان ما سعى، وبرزت الجحيم لمن يرى، فأمّا من طغى، وآثر الحياة الدنيا، فانّ الجحيم هي المأوى، وأمّا من خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى، فان الجنة هي المأوى»(النازعات/٣٤ــ٤١)

وعلى هذا، فاللازم أن يعرف الانسان انه جسم وروح ولكل واحد منهما مقوماته ومتطلباته وحاجاته.

تحديد الخصوصيات

ثم يأتي دور السؤال الثاني وهو: ان هذا الانسان الذي عرفناه ــ بجوهره وما هيته ــ ما صفته؟ مثلاً هل هو عالم أم تاجر؟ هل هو حاكم أم شعب؟ والى آخره؟ فخريج الجامعة اذا فكر بأنه ليس بعالم فانه يكون بعيداً عن الواقع، أما اذا فكر بأنه خريج ثانوية فقط، فانه يكون أقرب الى الواقع.. وهكذا.. فكلما كان تفكير الانسان مطابقاً لواقعه كان في خط الصواب، وكلما كان تفكيره أقرب الى لونه الواقعي كان أقرب الى الصواب.

وليس التفكير بالخصوصيات والكيفيات مجرد تفكير وانما له آثاره، مثلاً: اذا تصور الجاهل نفسه عالماً قديراً فعرّض نفسه للامتحان سقط وسبب له الفشل والمهانة، وكذلك اذا فكر الضعيف الجبان بأنه قوي وشجاع ثم عرّض نفسه لمواقع الهلكة سقط وأودى بحياته.. وهكذا.

فليس الجواب عن السؤال الأول، أو الثاني مجرد أمر فكري وجواب علمي، وانما يؤثران في حياة الانسان الفردية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها.

تبيّن وجهة السير

ثم يأتي دور السؤال الثالث: وهو ان الانسان في أية جهة من الجهات؟ هل هو يمشي في الجهة الصحيحة أو يمشي في الجهة المغلوطة؟ مثلاً: من يقول: (لا إله) أو من يقول:

(بتعدد الاله) أو من يقول بأن (الصنم إله) أو من يقول بأن (الله هو الاله) هؤلاء تختلف سبل حياتهم وخصوصيات سيرهم، فالمصيب فيهم يصل الى الهدف، و يكون مستقيماً، ولا يبتلى بالمشكلات وما أشبه، بينما الشخص المخطيء يبتلى بالمشكلات، فان الامور الفكريه تنتهي الى الامور الخارجية كما أن المقدمات الخارجية تنتهي الى نتائج خارجية فكما ان الانسان اذا سار قاصداً بلداً ما لكن من غير طريقه، فانه لا يصل الى ذلك البلد، كذلك الحال في كل جهات الحياة، فالمهم ان تكون للأنسان (فرضية) ثم يفكر في أن هذه الفرضية مطابقة للعقل والمنطق والواقع ام لا؟ اما إلباس الجهة التي يسير الانسان فيها بالعقل والمنطق الادعائيين فليس بمنتج، وقد قال سبحانه:

«**كلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون**»(المؤمنون/٥٣)

ومن لا يراعي المنطق والعقل والواقع في قرارة نفسه، وانما يلاحظها بالادعاء فقط يكون ممن قال الله سبحانه وتعالى في شأنه:

«**أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً**»(فاطر/٨)

والعمل السيء يراه الانسان حسناً اعتباطاً وادعاءاً ينتهي بالآخرة الى العطب والهلاك، ولذا قال سبحانه:

«**وكذلك زين لفرعون سوء عمله**»(غافر/٣٧)

وكانت نتيجة هذا العمل السيء ما يقوله الله تعالى في آية أخرى:

«**أغرقوا فأدخلوا ناراً**»(نوح/٢٥)

وانه يوم القيامة:

«**يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار**»(هود/٩٨)

.. وهكذا أفنى فرعون نفسه، وأفنى أهله و بقوا لعنة التاريخ منذ أكثر من أربعين قرناً، وآخرتهم أيضاً على ذلك المنوال السيء.

وعليه فاللازم على الانسان أن يلاحظ (شخصه) و يلاحظ (انه من هو) و يلاحظ (جهة سيره) حتى يأمن الهلاك والعطب، فاذا كان أحد هذه الامور غير صحيح فالانسان غير مستقيم والاجتماع ــ الذي يتكون من مثل هذه اللبنات الانسانية ــ

اجتماع غير مستقيم أيضاً..

نصوص في النهي عن التعصب لغير الحق

عن منصور بن حازم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

(من تَعصب أو تُعصب له فقد خلع ربقة الايمان من عنقه)

وعن السّكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

قال رسول(ص): (من كان في قلبه حبّة من خردل من عصبية بعثه الله يوم القيامة مع أعراب الجاهلية).

وعن محمد بن مسلم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

(من تعصب عصبهُ الله بعصابة من نار).

وعن حبيب بن ثابت، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال:

(لم يدخل الجنة حمية غير حمية حمزة بن عبدالمطلب وذلك حين أسلم غضباً للنبي(ص) في حديث السّلا الذي القي على النبي(ص)).

وعن داود بن فرقد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

(إنّ الملائكة كانوا يحسبون أن ابليس منهم، وكان في علم الله أنه ليس منهم، فاستخرج ما في نفسه بالحميّة والغضب وقال:

«**خلقتني من نارٍ وخلقته من طينٍ**»(الأعراف/١٢)

وعن علي بن اسباط رفعه الى اميرالمؤمنين عليه السلام قال:

(ان الله يعذب الستة بالستة: العرب بالعصبية، والدهاقين بالكبر، والامراء بالجور، والفقهاء بالحسد، والتجار بالخيانة، وأهل الرساتيق بالجهل).

وعن الزهري قال: سُئل علي بن الحسين عليهما السلام عن العصبية التي يأثم عليها صاحبها فقال:

(ان يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه، ولكن من العصبية أن يعين الرجل قومه على الظلم).

العناصر المشتركة بين الانسان وسائر الكائنات

للانسان جهات مشتركة مع الجماد ومع النبات ومع الحيوان، كما ان للانسان جهة مختصة به بما هو انسان.

فهو يشترك مع الجماد في الطول والعرض والعمق.

ومع النبات في الاحتياج الى الغذاء والهواء والنور ونحوها.

ومع الحيوان في الحس والحركة والاحتياج الى الاكل والشرب والوقاية من الحر والبرد وغير ذلك.

خصائص الانسان

أما مختصاته بما هو انسان فانه وحده بحاجة الى ما يرتبط بالروح الانسانية من (الفرضية) التي ذكرناها في الفصل السابق و(الاجتماع) و(الهوية) و(إعمال الخلاقية) و(درك الحقائق) ونحو ذلك، فاذا لم يعط الانسان حاجاته الروحية والجسدية كان مريضاً وكان الاجتماع ــ المكوَّن من هذه اللبنات المريضة ــ اجتماعاً منحرفاً.

الطريق الى المجتمع السليم

أما طريق صحة الانسان ــ فرداً أو إجتماعاً ــ فهو ان يعطى للانسان كل حاجاته الجسمية والروحية والاعطاء للحاجات الجسمية والروحية صحيحاً أو سقيماً منوط بأمرين:

الأول: النظام السائد وهو ما يسمى بالدين أو الطريقة أو الفرضية أو ما أشبه.

الثاني: المؤسسة الاجتماعية التي ركبت تركيباً صحيحاً أو سقيماً.

التأثير المتقابل بين الفرضية والمؤسسة الاجتماعية

فاذا كانت المؤسسة الاجتماعية قد ركبت صحيحاً وكانت (الفرضية) التي ينتهجها الانسان في حياته فرضية صحيحة كان الفرد صحيحاً وكان الاجتماع ــ المركب من اللبنات الفردية الانسانية الصحيحة ــ صحيحاً أيضاً، وإلاّ كان الفرد والاجتماع منحرفين ومريضين.

مثلاً اذا كانت هنالك آلهة متعددة ــ كما قال الكفار عن الرسول(ص): ــ

«أجعل الآلهة إلهاً واحداً إنّ هذا لشيء عجاب»(ص/٥)

فمن الطبيعي ان يقع بين عبّاد هذه الآلهة التحارب والتضارب، لأن هذا يقول: إلهي أفضل، وذلك يقول: إلهي أفضل.

وكذلك اذا لم يكن الانسان يعتقد بالاله واليوم الآخر، ولم ير رقيباً على نفسه وعمله فانه يكون منحرفاً تلقائياً، فلا مانع عنده من السرقة أو القتل أو الاغتصاب للفتيات وما أشبه.

فالفرضية الفكرية المنحرفة تأتي أخيراً بالانحراف، والفرضية الفكرية المستقيمة تأتي أخيراً بالاستقامة، فان كلاً من (الفرضية الفكرية) و(المؤسسة الاجتماعية) يؤثر أحدهما في الآخر.. فالفرضية الفكرية تؤثر في المؤسسة الاجتماعية لأن الانسان يبني اجتماعه حسب فكره، كما ان المؤسسة الاجتماعية تؤثر في الفرضية الفكرية ــ مستقيمة كانت أو منحرفة ــ فمن يولد في بلاد المسيحيين يكون مسيحياً على الاغلب، ومن يولد في بلاد المسلمين يكون مسلماً على الاغلب.. وعلى هذا المعدل، ولذا ورد في الحديث:

[كل مولود يولد على الفطرة، إلاّ ان أبويه هما اللذان يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه]

ومعنى الفطرة طبيعة الانسان حيث يفكر ان للكون إلهاً وخالقاً، وان هنالك يوماً يعاقب فيه الانسان على سيئاته و يثاب فيه على حسناته، وانه لابد أن يكون لخالق الكون

سفراء، هذه هي الفطرة على تفصيل مذكور في علم الكلام.

وعلى أي حال، فالمجتمع هو الذي يهوّد و ينصّر ويمجّس.

هذا بالنسبة الى صحة الفرضية أو بطلانها.

المؤسسة الاجتماعية بين المرض والسلامة

وأما بالنسبة الى صحة المؤسسة الاجتماعية أو مرضها فانا نشاهد ان المؤسسة الاجتماعية اذا كانت صحيحة تعطي للانسان الحريات المعقولة كحرية الزراعة والتجارة والصناعة والسفر والاقامة وتحصيل العلم والزواج واتخاذ المسكن والاستفادة من المباحات، ومثل هذه المؤسسة توجب صحة الافراد جسمياً وتوفر العمل لهم حتى لا يكونوا عاطلين، كما انها توفر للانسان المسكن والملبس والمأكل والمشرب والزوج أو الزوجة وغير ذلك.

أما اذا كانت المؤسسة الاجتماعية منحرفة فانها لا توفر الحريات للانسان أو توفر له حريات منحرفة ــ كحرية الزنا وحرية الربا وحرية الاحتكار وما أشبه ــ وفي كلا الحالين يسبب ذلك مرض الاجتماع، ومرض الاجتماع يسري الى الفرد، فانه قد ثبت في (علم الاجتماع) أن كل واحد من الفرد والاجتماع يؤثر في الآخر، فمثلاً: الفرد الصحيح في مؤسسة تعليمية يسبب رقيّ الطلاب، كما أن العكس كذلك، فاذا كان الاجتماع فاسداً فانه يؤثر في أفراده تأثيراً سيّئاً.

فمن هاتين الناحيتين ــ ناحية (الفرضية الذهنية) وناحية (النظام الحاكم على المؤسسات الاجتماعية) ــ تفرز صحة الأجتماع أو فساده، فاذا كانت الروح السائدة في المجتمع حبّ الآخرين والتعاون معهم وساد في الاجتماع القانون الصحيح عاش الاجتماع بخير جسماً وروحاً وأخذ في التقدم وإلاّ كان العكس.

منهج الأنبياء(ع) حول الفرضية والمؤسسة الاجتماعية

مثلاً: الانبياء عليهم السلام هم الذين أعطوا النظام الصحيح للجسم وللروح، أما

للروح فلأنهم يحكّمون العقل والاستدلال والبحث الحر، لا التقليد والعادات الباطلة كما كان يقول المشركون والمنحرفون.

«إنّا وجدنا آبائنا على أمةٍ وإنّا على آثارهم مهتدون»(الزخرف/٢٢)

ولذا كان القانون في الاسلام الحكيم قانون العقل والبحث الحر والتفكر والتدبر.

وكذلك بالنسبة الى قانون المؤسسة الاجتماعية فانه مبني في عرف الانبياء(ع) على الحب.

[أحب لغيرك ما تحب لنفسك]

ـ حباً ناشئاً عن حب الانسان بما انه انسان، لا حب الانسان للاستنفاع من ورائه ـ كما انه مبني على الكفاءات.

«إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم»(الحجرات/١٣)

وعلى احترام الآخرين وعدم اهانتهم حتى اذا كان الآخر مجرماً، فان المجرم يعاقب بقدر جريمته ـ اذا لم يعف عنه ـ ولا يُهان، وفي الحديث أن أحد الصحابة قال عن شخص مجرم (انه عقص كما يعقص الكلب) فنهره النبي(ص).

وتدعو النبوات الى توسعة حدود العلم كما قال رسول الله(ص):

[طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة]

وقال:

[اطلبوا العلم ولو بالصين]

وتوسعة العقل بانماء الملكات الصالحة، فان الارضية الموجودة في النفس قابلة للنمو، كالارض القابلة لزرع النبات فيها..

فاذا سادت في المجتمع هذه القوانين العقلية والاجتماعية تقدم الانسان الى الامام وكان المجتمع مجتمعاً سليماً، ولذا ورد في القرآن الحكيم:

«ربّنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار»(البقرة/٢٠١)

ما لله لله، وما لقيصر لقيصر!

أما ما تقوله المسيحية الحاضرة (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) فانه قانون منحرف اذ (ما لقيصر) و(ما لله) كله لله سبحانه وتعالى، بالاضافة الى انه يولّد التناقض (فما لقيصر) هو الذي أخذ عيسى المسيح وأراد أن يقتله لو لا ان رفعه الله سبحانه وتعالى فكيف يكون المائز بين (ما لقيصر) و(ما لله)؟ إلاّ أن يخضع (ما لله) لـ(ما لقيصر) كما نشاهد ذلك بالفعل في العالم الغربي، حيث ان الكنائس المسيحية خاضعة للحكومات في قوانينها، فان الحكومات هي التي تضع القوانين كافة، وعلى الكنائس اتباعها ـ إلاّ في بعض القوانين الشاذة النادرة مما لا يمكن أن يسمى (ما لله لله)ـ ولذا فان هذا القانون غير صحيح ونسبته الى السيد المسيح عليه السلام غير تامة.

أنتم أعلم بأمور دنياكم!

ومثل هذا الكلام ما رواه بعض المسلمين عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حيث زعموا أنه قال: (أنتم أعلم بأمور دنياكم)، ولكن: كيف يكون الناس أعلم بأمور دنياهم من الرسول المرتبط بالوحي؟

وكيف كان، فالصحة في الفرد وفي الاجتماع انما تكون بسلامة (الفرضية الذهنية) من ناحية و بسلامة (النظام المسيطر على المؤسسة الاجتماعية) من ناحية أخرى.

سعة مدلول المؤسسة الاجتماعية

وليس مرادنا بالمؤسسة الاجتماعية علم الاجتماع في مقابل علم الاقتصاد وعلم السياسة وما أشبه بل مرادنا بالمؤسسة الاجتماعية: الاجتماع بالمعنى العام الشامل للاقتصاد والسياسة والتربية والثقافة وغير ذلك من الامور التي تحكم الاجتماع.

تصورات خاطئة

ومن ذلك ظهر أن تصور (ان المؤسسة الاجتماعية بالمعنى الواسع هي الكل في الكل، ولا مجال بعد ذلك للفرضية الذهنية اطلاقاً) تصور غير تام فقول (فرو يد) بذلك، بل وتضييق مبعث دائرة المؤسسة الاجتماعية في الجنس فقط، وان الجنس هو الذي يسير كل شيء من الدين والاخلاق والقانون وغيرها خال عن الدليل وكذا قول (ماركس) بمثل ذلك ــ مع تفاوت ان ماركس يرى تسيير الاجتماع بكل شراشره بسبب الاقتصاد بينما (فرو يد) يبني الاقتصاد على الجنس لا الجنس على الاقتصاد ــ.

وقول ثالث بأن المسيّر للاجتماع بكل خصوصياته (حب الرئاسة).

وقول رابع بأن المسيّر (الاقتصاد الخاص) لا الاقتصاد بصورة مطلقة، فالذين يعيشون على الزراعة تسير الزراعة حياتهم في كل شؤونها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية

والتربوية والعسكرية وغيرها كما في مصر فرعون، حيث ان الزراعة كانت هي الاصل، وبنيت على الزراعة ألوهية فرعون وأنظمتهم الاجتماعية والسياسية.. الخ.

والذين يعيشون على الماء يسيّر الماء حياتهم بكل شؤونها كما في سد مأرب، ولذا لما انهدم السد تفرقوا شيعاً وانهدم القانون والدين وكل شيء عندهم.. الى غير ذلك من الاقوال التي يجدها الانسان في مختلف الكتب.

فكل هذه الاقوال لا دليل عليها، بل الدليل على خلافها، فان الذي سبب صحة الاجتماع هو (الفرضية) و(المؤسسة الاجتماعية) ـ بمعناها الوسيع ـ وعلى هذا فاللازم ان نجد اصول الامراض العالمية التي ابتلى العالم بها في هذين الامرين (الفرضية العقلية) و(المؤسسة الاجتماعية).

وحيث انحرف كلا الامرين في العالم (انحرفت الفرضية في أكثر العالم، وانحرفت المؤسسة الاجتماعية في كل العالم) نجد ان العالم ابتلى بأمراض لا قبل له بها من الحروب والثورات والامراض والفقر والجهل والفوضى والعداء والشحناء، وما الى ذلك.

الاستدلال النزيه طريق المعرفة

أما معرفة صحة (الفرضية) أو بطلانها، وصحة (النظام الحاكم على المؤسسة الاجتماعية) و بطلانه، فان ذلك لا يكون إلاّ بالاستدلال المجرد عن الاهواء، و بالبحث الحرّ النزيه، ولذا نجد القرآن الحكيم يبني كل أموره سواء في (الفرضيات الذهنية) أو في (الامور الاجتماعية ـ بالمعنى الوسيع ـ) على الاستدلال.

مثلاً: قال سبحانه وتعالى:

«ألم ترالى الذي حاجّ إبراهيم في ربه، أن آتاه الله المُلك، إذ قال إبراهيم: ربي الذي يُحيي ويُميت، قال: أنا أحيي وأميت! قال إبراهيم: فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب، فبهت الذي كفر، والله لا يهدي القوم الظالمين»(البقرة/٢٥٨)

فـ(ابـراهيـم) (عليه السلام) ــوهو من الانبياء العظام ــ بنى إستدلاله مع (نمرود) ــالـذي كـان يـدّعـي الألوهية لنفسه ــ على الاستدلال والاحتجاج، وعندئذ بهت الذي كفر.

و يـقـول الـقـرآن الحـكـيـم بـالـنسبة الى ادّعاء المسيحيين ألوهية عيسى المسيح (عليه السلام) أو بنّوته لله سبحانه ــ باعتبار أنه ولد من غير أب ــ:

«إنَّ مـثـل عيسى عند الله كمثل آدم، خلقه من ترابٍ ثم قال له كن فيكون. الحق من ربك فلا تكن من الممترين. فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبنائنا وأبنائكم ونسائنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين»(آل عمران/٥٩ــ٦١)

فـلـو كـان عيسى إلهاً أو ابن إله لأنه ولد من غير أب لكان آدم أجدر أن يكون إلهاً أو ابـن إله، لأنه خلق من غير أب ولا أم، وحيث انقطع المسيحيون في الاستدلال ولجأوا الى الـعـنـاد طرح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عليهم مسألة (المباهلة) والكل يعرف بأن مـسـألـة المبـاهلة انتهت بانسحاب المسيحيين.. فهم قد سقطوا في كلتا المرحلتين: مرحلة (الاحتجاج) ومرحلة (المباهلة) ولذا وافقوا على أن يقدموا لرسول الله(ص) الجزية.

وهـكـذا نـجـد الـقـرآن الحكيم في كل (الفرضيات العقلية) ــ والتي تسمى (اصول الـديـن)ــ يـأتي بالاحتجاج العقلي، و يقول في قبال المشركين الذين كانوا يقولون بتعدد الآلهة:

«لو كان فيهما آلهةٌ إلاّ الله لفسدتا»(الأنبياء/٢٢)

و يقول أيضاً:

«إذاً لـذهـب كـل إلـه بما خلق ولعلا بعضهم على بعضٍ سبحان الله عما يصفون»(المؤمنون/٩١)

و بالنسبة الى عصمة الامام يقول القرآن الكريم:

«قال لا ينال عهدي الظالمين»(البقرة/١٢٤)

في قصة معروفة.. الى غير ذلك.

بـل وحتى في الامور الاخلاقية والفروع يأتي القرآن الحكيم بالاستدلال، مثلاً: يقول

بالنسبة الى بعض ما كان اليهود يحرمونه و ينسبون تحريمه الى الانبياء يقول تعالى:

«كلُّ الطعام كان حلًّا لبني اسرائيل إلاّ ما حرَّم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزَّل التوراة، قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين. فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون. قل صدق الله فاتبعوا ملَّة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين»(آل عمران/٩٣ــ٩٥)

فانكم أيها اليهود اذا لم تجدوا هذا الحكم في التوراة فمن أين تأتون به؟ ثم انه كان حلالاً في شريعة ابراهيم،والحلال باق على حليته حتى يأتي الوحي بحرمته ولما لم يأت الوحي بذلك لأنه لم يكن التحريم موجوداً في التوراة فنسبة التحريم الى الله سبحانه وتعالى إفتراء بحت، وفي آية أخرى:

«ءآلله أذن لكم أم على الله تفترون؟»(يونس/٥٩)

وعلى أي حال، فتصحيح الفرضيات الباطلة **كتصحيح** الاجتماعيات السقيمة انما يكون بالبحث الحرّ الخالي عن الهوى والاغراض والشهوات، وعند ذلك يصل الانسان ــ بعقله السليم ــ الى (الواقعيات) في الفرضيات، وفي الانظمة التي يجب أن تحكم المؤسسة الاجتماعية، وحينئذٍ يخرج العالم عن المرض الى **الصحة**.

مقاييس الصحة والمرض

.. وحيث انا نتوخى التجمع السليم ونريد الابتعاد عن العالم المريض وتبديله الى عالم صحيح فهنا سؤال يطرح نفسه: وهو ان ميزان الاجتماع ما هو حتى يقاس به الصحة والمرض؟

والجواب: ان مرض الاجتماع يكون أما بمرض الفرضية، أو بالنقص في الجسم، أو بالنقص في حاجات الجسم.

سقم الفرضية

أما مرض الفرضية فهو أن تكون الفرضية غير مطابقة للقواعد العقلية، مثلاً: القاعدة العقلية تقول:

(لا يمكن أن يكون الجزء أعظم من الكل) (أو مساو ياً له) (أو أن يجتمع النقيضان) (أو أن يرتفعا) (أو أن يجتمع الضدان) (أو أن يرتفع الضدان اللذان لا ثالث لهما) (أو يتسلسل الشيء الى غير النهاية) (أو يكون معلولاً بلا علة) (أو يدور موجودان دوراً مصرحاً) (أو دوراً مضمراً) الى غيرها من القواعد فاذا رأينا الفرضية مخالفة لمثل هذه القواعد نعرف ان الفرضية مريضة، ومرض الفرضية معناه مرض الروح والفكر والذهن، وقد تقدم ان مرض الروح يسري الى الجسد ومرض الجسد والروح يسريان الى الاجتماع، لان الاجتماع مكون من لبنات انسانية.

نقص الأعضاء

وأما نقص الجسم، فهو بأن يكون الشخص فاقداً بعض الاعضاء أو القوى أو الالوان، او لا يستطيع تحريك جسمه تحريكاً معتاداً أو ما أشبه.

عدم إشباع الحاجات

وأما نقص الحاجات فبأن لا يكون له مأكل، أو لا يكون له مأكل ملائم، وهكذا في المسكن والملبس والمركب والمنكح وغير ذلك.

فاذا كان الاجتماع أو الفرد يشتكي من أحدى هذه الامراض، فان المجتمع والفرد مريض، ويجب علاجه بارجاعه الى الحالة الطبيعية المطابقة للعقل والمطابقة للمعتاد في الخلقة.

ظواهر مرضية

وبذلك يظهر، أنه لو نما جسم الانسان ولم ينم عقله، أو بالعكس، أو لم ينم كل واحد منهما، فهو مريض، مثلاً: لو كان للانسان البالغ عقلية الطفل ذي السنة، أو كان للطفل عقلية الانسان البالغ أربعين سنة مثلاً، فان هذا خارج عن المعتاد و يوجب انحرافاً في صحته.

أما بالنسبة الى الاطفال الذين هم أنبياء أو أئمة حيث انهم يتكلمون و يعقلون.

كما قال عيسى (عليه السلام) وهو في المهد:

«إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً. وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً. وبراً بوالدتي ولم يجعلني جبّاراً شقياً»(مريم/٣٠ــ٣٢)

الى غيره فهم وان لم تنم أجسامهم بعد وكان لهم عقل الانسان الكامل إلا أن كمال عقولهم لم يكن يسبب تقويض النظام، فانا نقول: (الجسم غير المكتمل اذا كان فيه عقل مكتمل يكون مريضاً) فيما اذا كانت عقلانية الطفل توجب تقويض النظام، مثلاً: الرضيع ذو العقل الكامل لا يرتضع من الثدي ولا يستعد لأن يجرى عليه ما يجرى على سائر الاطفال لخجله وحياءه وهكذا.

أما اذا لم يوجب كمال العقل في الصغير تقويض النظام، فهو من المحاسن لا المساوىء، ومن المعجزات أحياناً، اذ أنه أمرٌ خارق للعادة.

تعريفات ناقصة

وعلى كل حال، فقول بعض الفلاسفة في تعريف مرضية الاجتماع بأنها (كون المجتمع نظير المجتمع البدائي بعد مرور عشرات الالوف من السنوات على الانسان) أو (رجوع الانسان بعد الحضارة الى البداية)، إنما هو من باب المثال، وإلاّ فقد عرفت ان الميزان في الصحة والسقم ليس هذا فحسب، وانما هو كلي ينطبق على هذا المثال وعلى غيره أيضاً.

لا يمكن ارضاء الأهواء

اذاً فالمجتمع السليم هو الذي يعطي حاجات الروح والبدن في نطاق الطاقة الانسانية والطاقة الكونية، لا في نطاق الهوى والميول، فان إرضاء الهوى والميول غير ميسور في عالم الدنيا وسر أنه غير ميسور: ان الدنيا أضيق من ارضائهما حيث ان الانسان خلق للآخرة،

وانما الدنيا قنطرة فقط، مثلاً: لا يمكن أن يكون في بلد واحد مائة رئيس جمهورية كما لا يمكن أن ينال الانسان منتهى أمانيه: في العلم: بأن يحصل ــ مثلاً ــ على مائة شهادة دكتوراه في علوم مختلفة، أو في المادة: بأن يكون كل انسان صاحب الملايين أو يكون كل انسان سيداً، اذ الطاقة البدنية تأبى تحصيل مائة شهادة دكتوراه، والمادة ليست بقدر ان يكون كل انسان صاحب ملايين، والحاجات المتنوعة للانسان تأبى تساوي الناس في السيادة، بل هناك حاجة الى الكناس والعطار والخباز والخادم مهما تدخلت الآلة في حياة الانسان، فالحاجة الى هؤلاء كالحاجة الى العالم والوزير والرئيس والسفير ومن اليهم، وقد أشير في القرآن الحكيم:

أولاً: الى عدم يسر الأمرين ــ إعطاء كل حاجات الروح والجسد ــ بقوله تعالى:

«يأخذوا بأحسنها»(الاعراف/ ١٤٥)

حيث لا يمكن الاخذ بالكل: حسناً وأحسن.

وثانياً: الى لزوم التفاوت بقوله تعالى:

«انظر كيف فضَّلنا بعضهم على بعضٍ وللآخرة أكبر درجاتٍ وأكبر تفضيلاً»(الأسراء/٢١)

وقال سبحانه:

«أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعضٍ درجاتٍ ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خيرٌ مما يجمعون»(الزخرف/٣٢)

الحضارة الحديثة لا تلبيّ الحاجات

ثم أن نظرة واحدة الى عالم اليوم تفيد عدم اعطائه الحاجات، لا بالنسبة الى الامم الفقيرة والمستعمَرة (بالفتح) ولا بالنسبة الى الامم الغنية والمستعمِرة (بالكسر) كالبلاد الغربية في الوقت الحاضر حيث انها لم تتمكن أن تعطي للناس حاجاتهم، فهل كل الناس في الغرب يتمكنون أن يصلوا الى الجامعة و يتخرجوا منها؟

وهل كل الناس في الغرب أغنياء؟

وقد جاء في تقرير أنه يوجد في امريكا ــ زعيمة الرأسمالية والاستعمار في عالم اليوم ــ أكثر من ثلاثين ملايين من الفقراء الذين لا يجدون حتى أوليات العيش إلاّ بصعوبة بالغة وبمعونة الجمعيات الخيرية وما أشبه مما لا يناسب الكرامة الانسانية، وكذلك جاء في تقرير: أن سبعة ملايين عانس توجد في امريكا، ومن الواضح ان المرأة التي لا زوج لها ــ سواء لم تتزوج أصلاً كالعانس أو التي تزوجت ثم ترملت ــ تعيش في أزمة نفسية شديدة، فهل الدنيا تمكنت أن تعطي حاجات الانسان؟

هذا بالاضافة الى الخوف والقلق المسيطرين على كل العالم مما بيّنه الامام أميرالمؤمنين عليه الصلاة والسلام في كلمة له في أحوال الجاهلية، حيث قال:

[دثارها الخوف وشعارها السيف]

فالخوف في باطن الانسان، والسيف في ظاهره، والسيف في هذا اليوم هو الاسلحة الذرية والنترونية والكيمياوية وغيرها، وأيضاً: فان أكثر أهل العالم ــ اليوم ــ يعيشون في حاجة مستمرة، لا العالم الثالث فحسب، وانما البلاد الشيوعية أيضاً كالصين والاتحاد السوفيتي وما أشبه فالناس لا يحصلون فيها على أوليات الحياة.. الى غير ذلك من الامثلة.

ومن الواضح، انه اذا لم تعط حاجات الانسان تبدل المجتمع الى مجتمع العداء والبغضاء، وصرفت الخلاقية البنائية في الانسان الى خلاقية الهدم، وابتلى الانسان بالقلق والامراض، كما نشاهد كل ذلك في عالم اليوم.

علماء.. في خدمة الأنظمة الفاسدة!

والغريب في الامر أن كثيراً من العلماء الذين يجب عليهم الدفاع عن المجتمع وارجاعه الى الصحة يسيرون في ركاب الحكام والسياسيين والرأسماليين وأمثالهم من المنحرفين، فيدافعون عن هؤلاء، لا عن المجتمع، فيظهرون ان المجتمع سليم، وانه لا يمكن ان يكون اكثر سلامة من هذا الذي نشاهده اليوم! وقد انطبق على هؤلاء العلماء قوله سبحانه وتعالى:

«ياأيها الذين آمنوا إنَّ كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل و يصدُّون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم. يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون»(التوبة/٣٤ـــ٣٥)

وفي آية أخرى مثّل سبحانه وتعالى الذين يميلون الى المادة والى الحكام و يتركون هدى السماء بعالم كان في بني اسرائيل مال الى السلطان والمادة وترك الرحمن والحق فقال عنه سبحانه:

«واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين. ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أوتتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون. ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون. من يهدِ الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون. ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوبٌ لا يفقهون بها ولهم أعينٌ لا يبصرون بها ولهم آذانٌ لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضلُّ أولئك هم الغافلون»(الأعراف/١٧٥ـــ١٧٩)

فمثل هؤلاء الافراد الذين آتاهم الله سبحانه وتعالى العلم فأخذوا يخدمون الضلال والانحراف بدل ان يخدموا الرشاد والهدى والانسانية كمثل الكلب فان الكلب سواء حملت عليه او تركته يلهث و يهلث..

وهكذا العلماء الذين يلهثون ضد الطبقة المحتاجة والفقيرة والمستعمرة، سواء تكلمت ضدهم أو لم تتكلم ضدهم لانهم يخدمون السلطان والمادة، و بالنتيجة أمثال هؤلاء العلماء يظلمون أنفسهم لانهم كذبوا بآيات الله وسلكوا طريق الانحراف وهم غير مهتدين بل ضالون واضلال الله سبحانه وتعالى لهم عبارة عن تركهم وشأنهم و بعد ذلك يقول الله سبحانه وتعالى ان عاقبة هؤلاء أنهم يصلون الى النار.

«ولقد ذرأنا لجهنم» واللام للعاقبة يعني: ان عاقبتهم الذهاب الى النار اذ لهم

قلوب لكن لا يستعدون أن يفقهوا بها، ولهم أعين لكن لا يستعدون أن يبصروا بها، ولهم آذان لكن إلا يستعدون أن يسمعوا بها، بل يصرفون قلوبهم وتفكيرهم في الدفاع عن الطبقة المستعمرة المستعلية المستكبرة، و يصرفون أعينهم عن النظر الى المآسي، كما أنهم يصمون آذانهم عن سماع أنين البشرية حتى يساعدوهم.

تبريرات فاشلة

إن قسماً من علماء الغرب نسبوا المشاكل الموجودة في المجتمعات الى الاختلاف الطبيعي بين الانسان و بين الاجتماع، فمثلاً: (فرو يد) يقول: طبيعة الانسان تقتضي لميول الجنسية. و(ريكارد) يقول: طبيعة الانسان تقتضي الاقتصاد الرأسمالي. و(دارون) يقول: طبيعة الانسان من جهة البيئة توجب تنازع البقاء. و(مكيافيلي) يقول: ان طبيعة السلطة تولد المشكلة والتدافع، وكل هذه الطبايع الموجودة في الافراد تصادم طبيعة المجتمع مما يسبب المآسي والمشكلات ولهذا لا يمكن رفعها.

هكذا يقولون بينما نرى ان الواقع خلاف ذلك كله فان الانسان بفطرته خلق للتعارف لا للتحارب، ولذا قال سُبحانه:

«فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيّم»(الروم/٣٠)

وقال في آية أخرى:

«إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا»(الحجرات/١٣)

فالفطرة هي التي تقتضي التعارف لا التناكر، والتعاون لا التحارب.

ثم لننظر هل انه يكون لكل انسان زوج أو زوجة يستريح الى إلفه، ودار يسكنها، وعمل محترم يختاره و يدر عليه معاشه، وحرية معقولة توجب نموه في مختلف الابعاد؟

وهل لكل انسان امكانية التعليم الى حيث يريد من مراتب العلم الراقية، ومركب يليق به وتكافل اجتماعي لأحوال ضعفه وشيخوخته، وامكانية العلاج أبان مرضه، وأمن يستريح بسببه عن القلق؟ وهل ارادته محترمة في انتخاب من يشاء من الرؤساء؟

الى غير ذلك من سائر شؤونه؟ وهل اكتمال هذه الامور ينافي الحالة الفردية أو الحالة

الاجتماعية؟

إن الجواب سلبّي طبعاً.

وعليه فالذي سبب مشكلة الانسان هو انحراف (التفكير) و(النظام) الذي وضعه العلماء المغرضون والساسة المنحرفون ارضاءاً لشهواتهم الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية أو ما أشبه ذلك.

إذاً فالمشكلة ليست وليدة التدافع بين الفرد والاجتماع، بل هي وليدة التفكير والنظام الفاسد، ولذا نشاهد انه كلما كان التفكير والنظام أقرب الى الاستقامة في مجتمع كان المجتمع أقرب الى السلامة، أما اذا كان التفكير والنظام سليماً مطلقاً كما كان في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وزمان علي عليه الصلاة والسلام، فنرى انه لم تكن هناك مشكلة ــ وان كانت هناك مشكلة حروب يشعلها المنحرفون من الكفار، أو المنحرفون من المسلمين، كما حدث القسم الاول في أيام رسول الله(ص)، والقسم الثاني في أيام علي عليه الصلاة والسلام ــ.

نعم لا شك ان مشاكل الامم تختلف زيادة ونقيصة، فمشاكل البلاد التي لا تعيش تحت الاستعمار ولا تحت الانظمة الدكتاتورية البحتة أقل من مشاكل البلاد التي يسيطر عليها المستعمرون، ولذا نشاهد ان مشاكل الغرب اقل من مشاكل العالم الثالث والعالم الشيوعي، حيث ان هذين العالمين تغمرهما المشاكل التي لا قِبل للبشرية بها.

ثم انه يمكن ان يوجه الى القائلين بالتناقض بين الفرد والاجتماع السؤال التالي: هل الاجتماع في ضرر الفرد، او في نفعه؟

لاشك ان الاجتماع في نفع الفرد، ولكن نظرية التناقض تعطي عكس ذلك، نعم لا ريب في ان نشاط الفرد يحدّ في الاجتماع بقدر استفادته من الاجتماع، وهذا غير أن يكون الاجتماع ضاراً للفرد لحصول التناقض بين الفرد والاجتماع.

وعلى كل حال، فليست الكلية في أحد الجانبين ــ سواء جانب الفرد الى الاجتماع أو جانب الاجتماع الى الفرد ــ.

الاسلوب الاجتماعي

ثـم ان (الاسلوب الاجتماعي) عبارة عن حالة في الاجتماع ترى في أفراده، وتختلف تلك الحالة في أفراد اجتماع آخر، و يكون ذلك الاسلوب وليد خصائص معينة، كما ان ذلك الاسـلـوب يـوجب آثاراً خاصة. مثلاً: العقيدة المعينة، والثقافة الخاصة، والاخلاق الخاصة، والعوامل السياسية والاقتصادية ــمن زراعة وصناعة وغيرهاــ كل هذه الامور ــمتفاعلة بعضها في بعضــ تولد اسلوباً خاصاً في الاجتماع وهذا الاسلوب يكون غالباً ذا ثبات ودوام نسبي، وان كان يطرء عليه التغير في مدد طويلة بسبب تغير مبناه.

وكـل فـرد في المجـتـمـع انما يـعـمـل في نـطاق ذلك الاسلوب في كل شؤونه، تاركاً الاسـلـوب الـذي يـريـد لـنـفـسـه في كـثير من الاحـيـان، والاّ كان (شاذاً) ــوان كان (الـشـذوذ) قـد يـكـون صـحـيحاً بنفسه لأن الاجتماع اجتماع منحرف، اذ الشذوذ معناه الانـفـراد بـأعـمـال خـاصة، والانفراد الذي يسمى بالشذوذ متعاكس مع الاسلوب العام للاجتماع، وان كان الاسلوب العام للاجتماع صحيحاً كان الشذوذ غير صحيح، اذا لم يكن منحرفاً في جهة أخرى.

مكوّنات الاسلوب الاجتماعي

والاسلوب دائماً يكون مزيجاً من تفاعل متطلبات الفطرة والعقيدة والحاجة والاقتصاد ومـا أشـبـه، فـمـثـلاً: فـطـرة الحرية والاعتقاد بوحدة الاله، والحاجة الى الكساء والزواج والمسكن والاقتصاد الزراعي أو التجاري او الصناعي.. هذه الامور كلها تتفاعل بعضها مع بـعـض حـتـى تـعـطـي اسـلـوباً خاصاً للاجتماع، وعلى وفق ذلك التفاعل توضع القوانين والاعـراف والـعـادات، حـتـى ان القوانين السماوية انما وضعت على طبق ذلك التفاعل الـذي يـكـون بين الـفـطـرة والـعـقيدة والحاجة والاقتصاد وما الى ذلك، فلا فرق في وضع الـقـوانين مـن هذه الجهة بين أن يكون الواضع هو الله سبحانه وتعالى، أو يكون الواضع هو

الانسان ـــ بعد وضوح ان قانون الله كامل وقانون الانسان ناقص ـــ ومن غير فرق في وضع الانسان بين أن يكون الواضع فرداً دكتاتوراً، أو جماعة من الأشراف، أو الشعب بكامله.

إنهيار البُنىٰ يعني: إنهيار الاسلوب الاجتماعي

وعلى أي حال، فاذا تغيرت العقيدة أو الاقتصاد ـــ مثلاً ـــ أخذ الاسلوب الاجتماعي في الانهيار ليبنى اسلوب آخر من جديد وفق تفاعل جديد بين العوامل المؤثرة للاجتماع.
مثلاً: اذا انحرفت عقيدة التوحيد الى العقيدة بالطبيعة، أو تحوّل الاقتصاد الزراعي الى الاقتصاد الصناعي، أو غير ذلك.. اختلف الاسلوب الاجتماعي بسبب ذلك. فمثلاً: روسيا القيصرية في أيام عقيدتها بالمسيحية كان لها اسلوب خاص من الحياة، ثم لما تحولت عقيدتها الى العقيدة الشيوعية الطبيعية كان لها اسلوب آخر من الحياة، والغرب لما كان الاقتصاد الزراعي محكماً فيه كان له اسلوب خاص وليد من مزيج من العقيدة بالكنيسة والاحتياج الى الزراعة، وتحول متطلب الحياة في تلك البلاد من الزراعة الى الصناعة تحول الاسلوب الخاص، وان كانت العقيدة المسيحية باقية.

الأنماط السلوكية: حلقة الوصل

ثم ان (الاسلوب الاجتماعي) يوصله الآباء الى الانباء من طريق (النمط السلوكي) الذي يراه الابناء من آبائهم، فان (أنماط السلوك) تصوغ ذهنية واعمال الابناء وفق النمط الذي يسلكه الآباء، كما يصاغ من طريق التعليم الشفوي ضمن النصائح والقصص والصداقات والعداوات وطريق معالجة الامور.. الى غير ذلك من الامور التي نسبب نقل الاسلوب الاجتماعي من قبل الآباء الى الابناء.

النموذج الأول: محورية المادة

مثلاً: الغرب يرى ان المحور هو (المادة) فكلما يجلب المادة فهو أمر قانوني وان كان بسبب الربا، والاحتكار، وفتح المواخير، وتجارة الافيون، وصنع السلاح، والاستعمار،

والابادة الجماعية للشعوب، وغير ذلك. بينما الاسلام يرى ان المحور هو (الانسان) **فكل** ما يسعده هو القانون اللازم الاتباع، ولذا فكل تلك الامور (القانونية) في الغرب المادي خلاف (القانون) في المنطق الاسلامي.

النموذج الثاني: فصل الدين عن الدنيا

مثال آخر: المسيحية الحالية تقول: (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) فكل أمر مرتبط بالعبادة والكنيسة مرتبط بالله ـــ من صلاة ودعاء، وقراءة الانجيل وما أشبه ـــ أما الامور الدنيوية فكلها يجب أن يكون برضى (قيصر) وحسب قوانينه، بينما الاسلام يرى ما ذكره الله سبحانه وتعالى في القرآن الحكيم:

«إن الحكم إلاّ لله»(الأنعام/٥٧) **(يوسف/٦٧)**

«ألا له الخلق والأمر» (يوسف/٤٠)

فالحكم يجب أن يكون صادراً عن الله سبحانه وتعالى، وليس لأحد من الامة أو للدكتاتور أو للأشراف أو للشعب حق وضع القوانين، بل يلزم أن يؤطّر عمل الانسان برضى الله سبحانه وتعالى و بقوانينه، لا برضى قيصر وقوانين قيصر، ومن الواضح الفرق الشاسع بين القوانين التي يضعها قيصر، سواء قيصر الفردي أو الاشرافي أو الشعبي، والقوانين التى وضعت من قبل الله سبحانه وتعالى.

النموذج الثالث: دكتاتورية الأنظمة

وهكذا ـــ في مثال ثالث ـــ نرى أن العالم الشيوعي يرى الدكتاتورية في الحكم، أي جمع رأس المال والسلطة بيد انسان واحد أو جماعة واحدة وهو الحزب الشيوعي مثلاً (وانما قلنا بيد انسان واحد أو جماعة لأن مـــن طبيعة الدكتاتورية جمع القدرات الى أن تصل الى القمة كما حدث في أيام ستالين).

وعليه: فكل قانون يوضع في البلاد الشيوعية فانما يصدر عن هذا المنطلق أي منطلق الدكتاتور سواء كان فرداً أو كان حزباً، بينما الاسلام يرى لزوم ملاحظة حرية الانسان

في كل قانون يوضع طبقاً لقوله سبحانه:

«يضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم»(الأعراف/١٥٧)

ولقول علي عليه الصلاة والسلام:

[لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً]

والقانون: (الناس مسلطون على أموالهم وأنفسهم) فأي قانون يوضع ضد هذه الحرية فهو باطل في نظر الاسلام، بينما هو صحيح في نظر الشيوعية.

وحيث ان من المعلوم أن:

[حلال محمد حلال الى يوم القيامة، وحرام محمد حرام الى يوم القيامة]

هو المحكم في كل الامور، فليس مرادنا بوضع القانون في الاسلام ـ الذي يجب أن يكون مطابقاً للحرية ـ وضع القوانين الاصولية، وانما مرادنا تطبيق القوانين الكلية في الاسلام على الصغريات الخارجية، فان التطبيق بالنسبة الى الصغريات المنافية للحرية غير جائز، بينما التطبيق على الصغريات الملائمة للحرية جائز في الشريعة الاسلامية.

مثلاً: لو كانت المصلحة الاجتماعية في (رخص البضاعة) وأمكن ذلك بطريق تسعير الحاكم للبضاعة مما يسلب التاجر حريته، و بطريق استيراد الحاكم البضاعة و بيعها رخيصة مما يفتح أبواب التنافس الحرّ فيرخص التاجر بضاعته لم يجز للحاكم سلوك لطريق الاول، لان ذلك خلاف قانون: (الناس مسلطون على أموالهم وأنفسهم) وانما الواجب عليه سلوك الطريق الثاني حيث ان الطريق الثاني لا يوجب سلب التاجر حريته في التسعير.

وفي مثال ثان: اذا اضطر الحاكم الى جعل قانون ينافي حرية الناس المالية أو البدنية، وكانت هناك صغريان: صغرى تعطي ضغطاً أقل للمال أو للنفس، وصغرى تعطي ضغطاً أكثر فاللازم وضع القانون الذي يعطي الضغط الاقل لان: (الضرورات تقدر بقدرها) فان قانوناً يزيد في سلب الناس حرياتهم لا يوضع في وقت يمكن فيه الاقل من ذلك.. وهكذا في سائر القوانين التي توضع بالنسبة الى تطبيق الكبريات على الصغريات، ولذا ذكرنا في كتبنا (السياسية) ان البرلمان الذي يسمى في الغرب السلطة

التشريعية لا يمتلك عندنا سلطة (التشريع) بل له قدرة (التطبيق والتأطير) أي ان للبرلمان الحق في تطبيق القوانين الاسلامية على الصغريات الخارجية مع ملاحظة (الاسهل فالاسهل) و (الاكثر حرية فالأكثر حرية) و (الأهم والمهم) وهكذا.. بينما في الغرب ونحوه يكون للبرلمان الحق في تشريع القوانين، لانهم يقولون: (دع ما لقيصر لقيصر) فالقوانين الارضية كلها تابعة لقيصر ولا تتبع السماء.

أما في الشيوعية فالامر أفصع حيث أنهم لا يعترفون بالاله اطلاقاً فليس عندهم بند (دع ما لله لله) وانما كل منطقهم يتلخص في أنك يجب أن تكون تابعاً لقيصر في كل ما يقول و يعمل و يضع..

فهناك ــ اذاًــ فرق ظاهر بين هذه الانظمة الثلاثة: (ان القانون كله لله) (ان القانون بعضه لله و بعضه للناس) (ان القانون كله للدكتاتور).

تأثير الأنماط الفكرية في حياة الانسان

ومن الواضح: ان هذه الانماط الفكرية والعملية تؤثر في حياة الناس واسلوب عيشهم، فالاقتصاد في منطق الاسلام هو في خدمة الانسان لان (الانسان) هو المحور، بينما صار الانسان في النظام الغربي والشرقي في خدمة الاقتصاد.

كما ان العلم والعلماء في المنطق الاسلامي في خدمة الانسان بينما هم في الشرق والغرب في خدمة الاقتصاد ــ الذي أصبحت أزمته بيد الرأسماليين سواء من التجار كما في الغرب أو من الحكام كما في الشرقــ ولذا حرم الاسلام كل اقتصاد وكل علم يضر الانسان، بينما أباحهما الغرب والشرق، حيث يدران المال الوفير للرأسماليين الغربيين والشرقيين، مثلاً: الاسلام يحرم ــ بالنسبة الى العلمــ السحر والشعوذة والغناء والقيافة والكهانة وكتب الضلال وما أشبه، كما ان الاسلام ــ بالنسبة الى الاقتصادــ يحرم الربا والاحتكار وصنع المواد الضارة والاسلحة المدمرة على الاسلوب الغربي، بينما الغرب والشرق يبيحون كل ذلك، بل ويجعلون الانظمة والقوانين المسهلة لكل هذه الامور.

مستلزمات الرفاه العام

واذا كان (الانسان) هو المحور والعلم والعلماء والاقتصاد وسائر الامور في خدمة هذا المحور تكون نتيجة أعمال الانسان الاقتصادية كافية. لكل البشر بحيث يعيش الكل في رفاه وسعادة واكتفاء، لكن ذلك بحاجة الى أمرين:

الأول: عدالة القانون

القانون العادل الذي يعطي نتيجة عمل كل انسان له، و يبيح له الاستفادة من خيرات الارض، كما قرر ذلك الاسلام حيث قال سبحانه:

«وأن ليس للانسان إلاّ ما سعى» • (النجم/٣٩)

وقال رسول الله(ص):

[من سبق الى ما لم يسبق إليه مسلم فهو أحق به]

الثاني: نزاهة الحكام

اي ان يكون اجراء القانون بيد العدول من الأمة كما قرره الاسلام ايضاً، حيث قال رسول الله(ص):

[اللهم أرحم خلفائي، قيل: يارسول الله ومن خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون من بعدي و يروون حديثي وسنتي]

وفي الأحاديث: لزوم أن يكون الحاكم ــ أو الحكام في شورى المراجع ــ عدولاً، حيث قال عليه الصلاة والسلام:

[وأما من كان من الفقهاء، صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً هواه، مطيعاً لأمر مولاه،فللعوام أن يقلدوه]

جور القوانين الأرضية

بينما نشاهد في القوانين الارضية ــ سواء في السابق أو في الحال ــ ظواهر معاكسة..

منها: ان القانون منحرف، حيث ان القانون لا يعطي نتيجة عمل كل انسان له، ففي القانون الغربي تُعطى أكثر النتائج للرأسماليين من التجار ومن اليهم، وفي القانون الشرقي تُعطى أكثر النتائج للحكام، بينما يعيش الناس في فقر مدقع وسوء تعذية وما الى ذلك.

الحكّام يتلاعبون بالقوانين

وأما بالنسبة الى الحكام فحيث لا يشترط الديمقراطيون والشيوعيون في الحكام (العدالة) والخوف من الله سبحانه وتعالى يكون القانون أيضاً العوبة بيد الحكام حتى اذا فرض ان في القانون شيئاً من العدالة، فان الحكام لا يطبقون تلك العدالة الموجودة في القانون ولو بقدر ضئيل..

ففي السابق كانت القدرة المباشرة من الحكام تحول دون توزيع البضائع الاستهلاكية وسائر الحاجيات توزيعاً عادلاً، فبينما كانت للحكام مئات المقاطعات والوف الازواج كان كثيرٌ من الناس يعيشون في جوع وفقر وعرى وليس لهم حتى زوجة واحدة..

أما في الوقت الحاضر فان القدرة غير المباشرة ــ الموجودة بيد الحكام والمغلفة بستار (قانوني) من الرأسمالية والشيوعية ــ تعمل من وراء الكواليس نفس العمل السابق وتخلق بين الطبقات فجوة سحيقة، فيعيش حفنة من الناس في بحبوحة من الرفاه والعيش الرغيد الى حد التخمة في كل شيء بينما يعيش أكثرية الناس في أحضان الفقر والمرض والجهل والتأخر والتخلف وعدم التملك حتى لأ وليات الحاجيات ــ مثل المأكل والمشرب والمسكن والمنكح والمركب والرفاه والتعليم والأمن والصحة وما أشبه ــ.

وهكذا تظهر النتائج بين جعل (الانسان) هو المحور و بين جعل (المادة) هي المحور.

بين الاسلام والأنظمة البشرية

وهذه الامور الثلاثة ــ وهي (محورية الانسان أو المادة) و(استقامة القانون أو إنحرافه) و(عدالة الحاكم أو جوره) تؤثر ــ بالنتيجة ــ الاثر البالغ في إعطاء الحاجيات لكل البشر أو عدمه.

وقد وضع الاسلام القوانين الصحيحة الكفيلة بتوفير كل هذه الامور، بينما انحرفت كل هذه الثلاثة في الغرب والشرق مما أدى الى ضرر الانسان وشره مع تفاوت أن الشرق أسوء من الغرب، حيث ان بعض الحرية الموجودة في الغرب، و بعض القوانين التي تسهل لعامة الشعب الحصول على شيء من لقمة العيش غير موجودة في الشرق.

المضاعفات الخطيرة لمحورية المادة

وقد أوجبت محورية المادة آثاراً سيئة بالاضافة الى عدم حصول الانسان على لقمة العيش.

فمن تلك الآثار:

١ ــ الاستعمار:

وذلك لارضاء الجشع الرأسمالي الذي وظّف نفسه في سبيل فتح الاسواق في العالم بهدف تحصيل المواد الاولية بأرخص القيم و بتصدير أكبر قدر من المصنوعات بأغلى الاثمان، حتى ان بعض الاحصاءات تدل على ان الفرق بين المادة البسيطة و بين المادة المصنوعة يصل أحياناً الى أكثر من خمسمائة ضعف!

٢ ــ فقدان الحريات:

فان الغرب يزعم أنه عالم حر، إلا ان الحرية عندهم في الواقع ثوب مهلهل على جسد

الدكتاتورية، فان القوانين هي التي تجعل شروط العمل وقدر الاجر وساعات العمل وما أشبه، كل ذلك على نحو أمور مسبقة بحيث تضر بالاجتماع وملزمة لمن يريد العمل من العامل والفلاح والموظف وغير ذلك من ذوي الدخل المحدود ولا مجال لهم للتخلص من هذه القوانين وان زعم هؤلاء (لبساطة في تفسيرهم للامور)بأنهم احرارٌ بينما هم (في الواقع) ليسوا بأحرار، حتى ان النقابات التي يشكلها العمال هي الاخرى لا فائدة كبيرة فيها، حيث ان القوانين التي يمتلك أزمتها الرأسماليون على ما ذكرنا تفصيله في كتاب (الفقه السياسة) تكون لصالح الرأسماليين على طول الخط، سواء الرأسماليون الحكوميون كما في الشرق أو الرأسماليون التجار كما في الغرب.

٣ـ تحطيم القيم:

حيث ان محورية (المادة) تجعل كل شيء فداءاً لها، بالاضافة الى ان التنافس لجمع أكبر قدر من المادة يسبب إزالة كل عائق عن طريق سير المادة الى الامام، ومن الواضح أن الدين والاخلاق والعائلة والفضيلة وما أشبه من عوائق التقدم العشوائي للمادة، فمثلاً:

الدين والاخلاق والفضيلة تحرم قتل الناس وصنع السلاح لاجل التجارة من غير ملاحظة الموازين الدينية والاخلاقية واشاعة الفحشاء والمنكر وابحة الخمر والميسر والهروئين وما أشبه، لكن المادة الحاكمة على هذه الامور تكسح من طريقها كل ذلك، كما أن العائلة تحرم الفحشاء والمنكر وما أشبه من الاعمال الجنسية المشينة لانها ضد كيان العائلة، فالعائلة عبارة عن الوحدة المحافظة الشريفة، بينما الفحشاء والمنكر والبغاء وما أشبه كلها على خلاف ذلك، لكن المادة عن طريق فتح المواخير ومحلات الشذوذ الجنسي وما أشبه تسبب هدم العوائل:

أولاً: من حيث التصادم بينهما.

وثانياً: من حيث ان أولاد العوائل و بنات العوائل ينزلقون ـ بسبب هذه الامور ـ الى مهاوي الرذيلة والفساد.

بحوث حول الاكتساب

إن الانسان لا حق له إلاّ:

١ــ في عمله الجسمي.

٢ــ وفي عمله الفكري، بشرط أن يكونا على الطريقة المحللة. أي أن يكون العمل والفكر حلالاً، وأن يكون متعلق العمل والفكر حلالاً أيضاً.

٣ــ وإلاّ في مقدار ما يرث، مع ملاحظة أن يكون المورث قد حصل المال من الحلال من جهة العمل والفكر ومن جهة متعلقيهما.

و بعد ذلك يلزم على الانسان الذي يكتسب ــ فكرياً أو جسدياً ــ أن يلاحظ:

أولاً: عدم الاجحاف بالآخرين:

لأن الاجحاف محرم في شريعة الاسلام تبعاً لشريعة العقل.

وثانياً: عدم عمله في أجواء اكراهية:

لأن الاكراه الاجوائي كالاكراه الفردي كلاهما محرمان، فلا فرق بين أن يكره الانسان عاملاً على أن يعمل في داره بقدر كذا، أو أن يهيء أجواءاً يكون العامل مكرهاً فيها على أن يعمل ذلك العمل بنفس تلك الاجرة.

وثالثاً: عدم استغلال الآخرين المعاصرين له بأن يأخذ أكثر مما يستحق.

ورابعاً: عدم تضييع حقوق الأجيال الآتية

مثلاً: المعادن المودعة تحت الارض إنما هي حق الاجيال الحاضرة والآتية، كلٌ بقدر أن يعيش عيشاً متوسطاً بلا تقتير ولا تبذير، فاذا اخذ هذا الجيل من المعادن اكثر من حقه ــ بقدر الاسراف والتبذير ــ كان معنى ذلك انه أتلف حق الاجيال الآتية.

وخامساً: عدم الاستفادة الضارة

مثلاً: اذا كان مائة صياد على شاطيء البحر، يحصل كل واحد من البحر مقدار قوت يومه من الاسماك لم يحق لأحد الصيادين أن يسبق الى البحر و يأخذ قوت نفرين أو ثلاثة أشخاص، مما يوجب أن يبقى الآخرون جائعين، لأن الله سبحانه وتعالى جعل الخيرات للكل، فاللازم أن يستفيد الكل، لا أن يستفيد البعض ولا يستفيد البعض، قال سبحانه: «**خلق لكم**» فالكون للجميع لا للبعض فهو «لكم» لا «له».

وعن أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام:

[ما رأيت نعمة موفورة إلاّ والى جانبها حق مضيع]

والمراد بـ(الموفورة) ليس الوفرة بمعنى العيش الرغيد، بل بمعنى الاكثر من الحق حتى يكون في قباله الحق المضيع.

كيف تكون الخيرات للجميع؟

واذا لوحظت كل هذه الامور الخمسة ــ بالاضافة الى ما ذكرناه من أن للانسان الحق في العمل الفكري والجسدي و الارث، كل ذلك بشرط الحلية ــ لم يبق ذو حاجة واحدة غير موفر الحاجة، سواء في المسكن او الملبس او المركب او الزوجة او الزوج او غير ذل، كما لم يبق رأسمالي واحد على الاسلوب الغربي، او على الاسلوب الشرقي، وانما تكون الخيرات للجميع، وان كان هنالك تفاوت حسب تفاوت الكفاءات، فبعضهم يكتسب الاكثر لقوته الجسدية او لفطنته الفكرية، و بعضهم يكتسب الاقل لضعفه الجسدي او لعدم تفوقه الفكري، لكن هذا الفرق لا يوجب الفجوة الطبقية الهائلة التي تشاهد في عالم اليوم، مما انتج ان اقل من ربع العالم يعيشون عيشة رفاه او عيشة رغد، بينما بقية اهل العالم لا يجدون حتى الأوليات.

الموازنة بين السعي والربح

سؤال ملّح

لماذا يأخذ الرأسمالي والطبيب ونحوهما أكثر من حقه، بينما اللازم أن يكون المال بقدر سعي الانسان الجسدي والفكري بالاضافة الى الارث، كما ذكرنا، فيما تقدم؟

الرأسماليون يجيبون

هناك أجوبة أعدها الرأسماليون ومن اليهم للتخلص من هذا السؤال.

مثلاً: يقولون لأن الرأسمالي عرّض رأسماله للخطر، والانسان الذي خاطر بماله يجب أن يأخذ في قباله شيئاً.

و يقولون: لان الرسمالي قد زهد في أكله وشربه وما أشبه قبل ثرائه، وتعب ليل نهار حتى تمكن من جمع هذا المال، فاللازم أن يكون الربح له في قبال اتعابه وقناعته السابقة في مأكله ومشربه وما الى ذلك.

و يقولون: لأن المال عمل متراكم، فالربح في قبال العمل، وليس الربح اعتباطاً.

و يقولون: لان المعمل الذي يملكه الرأسمالي يستهلك بالعمل، فاللازم أن يعطي من الربح في قبال الاستهلاك.

و يقولون: لأن المال بحاجة الى مخزون كبير للمصارف الثقيلة، والا فمن يبني المطارات والمستشفيات وغير ذلك مما يحتاج الى الاموال الكبيرة؟ فاللازم أن يكون للمال مخزون كبير بيد الرأسماليين حتى يتمكنوا من قضاء هذه الحاجات التي هي حاجات لكل الناس وتستفيد منها الطبقات السفلى كما تستفيد منها الطبقات العليا.

و بشأن الطبيب ونحوه يقولون: لأنه استهلك ما مضى من عمره ــ عشرين سنة أو أكثر أو أقل ــ في التعلّم، وأتعب نفسه، وأسهر ليله وأجهد نهاره، حتى صار طبيباً ينفع الناس، فله أن يأخذ أموالاً ضخمة من المراجعين ليكون كفاءاً ووفاءاً لما فاته من عمره.

ردود

لكن هذه الأعذار غير وجيهة لوضوح الاجوبة عنها.

فالجواب عن الاول انه لا خطر بعد التأمين (اولاً).

وانه اذا كان المعيار (الخطر) فلماذا لا نرى مثل ذلك للعامل الذي يعمل في المنجم الذي هو أخطر على جسمه من الخطر على رأس المال للثّري؟

وأي الخطرين أكبر: خطر أن يموت الانسان أو خطر أن يخسر في ماله؟ (ثانياً).

وعن الثاني: أن يقال: ان للرأسمالي الحق في أن يأخذ بقدر ما فاته، بينما نشاهد ان الرأسمالي يأخذ أكثر وأكثر وأحياناً تصل الزيادة الى الوف الاضعاف، اذا لم تكن ملايين الاضعاف.

وعن الثالث أن يقال: ان له أن يأخذ بقدر حق العمل الذي تجسّد في المال، لا أن يكون له الاكثر من ذلك، صحيح ان المال عمل متراكم، لكن: كم للعمل من المقابل؟ هل هو هذا المقابل الهائل الذي يستفيده الرأسمالي و يأخذه من العمال ومن اليهم؟

وعن الرابع: ان حق العمل انما هو بقدر استهلاكه لا أكثر من ذلك، بينما نشاهد ان الرأسمالي يستولي على ما يربو ــ ألوف المرات ــ على قدر الاستهلاك (ولا مانع) من أن يأخذ بقدر استهلاك المعمل مثلاً: قيمة المعمل مائة ألف دينار فيكون للثري الحق في أن يأخذ بقدر مائة ألف دينار الى زمـــان وفنائه، أما أن يأخذ الرأسمالي الملايين من الدنانير فان ذلك خارج عن نطاق قدر الاستهلاك.

وعن الخامس: انه اذا صح الاحتياج الى المخزون فلماذا يكون المخزون لجماعة خاصة من الرأسماليين سواء من الرأسماليين الشرقيين وهي الحكومة، أم الرأسماليين الغربيين وهم التجار، ولماذا لا يكون المخزون مشتركاً بين الجميع؟ فالدليل لا يفي بالمقصود، فان المقصود أن يكون هنالك مخزون، وهذا صحيح، أما أن يكون المخزون للرأسماليين فحسب دون كل الناس فهذا غير صحيح، فاللازم أن يعطى لكل انسان حقه، وهذه الحقوق تتجمع، و بتجمعها يكون المخزون الذي يعطي الحاجيات الكبيرة.

وعن السادس: أولاً: انه اذا صح قول الطبيب، فلماذا لا يكون للمعلم مثل الطبيب، مع انه أيضاً قد استهلك وقته؟ وكذلك: لماذا لا يكون ذلك لموظف الدولة وهو أيضاً قد درس وتخرج من الجامعة؟

وثانياً: ما تقدم من ان للانسان أن يأخذ بقدر ما استهلك من وقته لا أكثر، وهل الطبيب ونحوه يأخذون بقدر ما استهلكوا من أوقاتهم؟

والواقع ان الطبيب انما يأخذ كثيراً لأمرين:

أحدهما: أمر ترسّبي، وثانيهما: أمر مستجد.

أما الأول: فان الاطباء كانوا قليلين في السابق، ولكثرة الاحتياج اليهم كانوا يتقاضون من واقع اجورهم ــ حسب قانون العرض والطلب ــ وهذا الامر باق الى الآن، وقد اعتاد الناس ذلك، فالاطباء لا يستعدون للتنازل عمّا اعتادوا عليه مثلاً: عملية جراحية تستغرق ساعة يتقاضى الطبيب في قبالها اجر مائة دينار، بينما غاية الامر ان يكون للساعة اجر دينار مثلاً.

أما الحالة الترسبيه الباقية من التقاليد والعادات فهي التي تعطي للطبيب الحق في أن يأخذ مائة دينار، وقد أخذ الناس يتململون من هذا الشيء، وأخذت بعض البلاد التي تسمي نفسها بـ(الاشتراكية) تقف دون هذا الشيء ــ لكن وقوفاً تفريطياً في مقابل افراط الاطباء الرأسماليين ــ فجعلت الطب مؤمماً، بينما التأميم أيضاً غير صحيح، وانما الصحيح أن يكون الطبيب حراً في عمله لكنه يتقاضى بقدر أجره لا أكثر من ذلك.

والامر الثاني المستجد: هو قلة الاطباء في كثير من البلدان في الوقت الحاضر مما سبب أن يكون عرض الطبيب قليلاً وطلب المرضى كثيراً، ومن الطبيعي انه اذا قل العرض وزاد الطلب ترتفع القيمة، وهذا غير صحيح أيضاً، اذ قلة العرض وكثرة الطلب لا توجب أن يأخذ الانسان أكثر من قدر حقه، لكن هذا هو الشيء الموجود فعلاً، وتجب معالجة الامرين ومعالجتهما انما تكون بالاخلاقيات الاجتماعية العمومية، ونسف التقاليد والعادات التي ــ وان ذهبت مبرراتها ــ لكنها ظلت باقية.

ضرورة تحديد رأس المال

ثم ان ترك (رأس المال) يفعل ما يشاء على حساب الآخرين حاله حال ترك (الجاه) يعمل ما يشاء على حساب الآخرين، فان الجاه يجب أن يكون موزعاً بين الجميع، كلٌّ بقدره، كما ان الثروة يجب أن تكون موزعة على الجميع كلٌّ بقدر حقه، وهما (المال والجاه) ـ ان تركا ـ لم يعودا يعرفان حداً للوقوف، فان هناك فرقاً بين الامور الجسمية والامور غير الجسمية، فالامور الجسمية ـ كالأكل والزوجة والشرب واللباس وما أشبه ـ لها حد تقف عنده لأن الجسم لا يتحمل أكثر من ذلك، مثلاً: الانسان لا يستطيع أن يأكل في اليوم مائة كيلوغراماً من الطعام والشراب، وجسمه لا يتحمل أن يلبس مثلاً عشرين ثوباً وهكذا.. فالجسم هو الذي يحول دون تكديس هذه الامور، وان كان **المترفون** يفعلون ذلك أحياناً، مثلاً: يحكى عن أحد الحكام العباسيين انه كان له أربعة ملايين من الملابس، وهكذا حاكم آخر كانت له أربعة آلاف من الجواري، والى غير ذلك.. إلا ان الغالب ان الانسان لا يتحمل بالنسبة الى الامور الجسمية أكثر من طاقة الجسم الاستهلاكية.

أما الامور غير الجسمية فلا حد يقف لها، وهي ممتدة إمتداداً كبيراً، فالانسان ذو الثروة يريد صبّ كل ثروات الدنيا في كيسه والانسان ذو الجاه يريد تكديس كل أقسام الجاه حول نفسه، ولذا وردت أحاديث كثيرة في هذا الشيء، مثل قولهم عليهم الصلاة والسلام:

[ما ذئبان ضاريان في زريبة غنم بأضرّ من حب المال والجاه بالنسبة الى دين الرجل المسلم].

فاللازم أن يقف الاجتماع بقوانينه الصحيحة دون تمكن فرد أو جماعة من الناس من استقطاب الاموال والثروات، ومن استقطاب الجاه والمنصب والرفعة الاعتبارية.

هذا بالاضافة الى ان في اطلاق الثروة تتقدم وتتقدم على حساب الآخرين ضرراً أخلاقياً كبيراً فانه لا وجه لأن يعيش انسان في غاية الرفاه، بينما ألوف الناس يعيشون

عيشة فقر وذل وليست لهم حتى الاوليات، ومن الواضح ان المجتمع الذي يدوس على الاخلاق مجتمع يؤذن بالفناء، وقد قال الشاعر:

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

حيث ان الروابط بين الناس انما هي روابط أخلاقية ــ من التعاون والحب والمشاركة الوجدانية وما أشبهــ وكل شيء يضر بهذه الامور الاخلاقية و يبعث على العداء والبغضاء وتباعد الطبقات بعضها عن بعض وغضب هؤلاء على هؤلاء، وهؤلاء على هؤلاء ينتهي أخيراً الى تحطم وتفسخ الاجتماع، مما يتضرر بذلك الكل، من غير فرق بين الاغنياء و بين الفقراء.

العمال بين الاقطاع والرأسمالية والشيوعية

وحيث كان الفلاحون مرتبطين بالاقطاعي كان الالتزام متقابلاً فان المالك كان يستثمر تعب الفلاح، لكن الفلاح في قبال ذلك كان يتمتع بحماية المالك وتسهيل المالك شؤون الحياة له، وان كان (الاقطاع) بهذا المعنى غير صحيح في نظر العقل والشرع على ما ذكر تفصيله في الكتب المعنية بالشؤون الاقتصادية.

أما في الرأسمالية العالمية في الوقت الحاضر فالرأسمالي يستغل العمال في قبال أجر مجرد بدون التزام بالدفاع وتهيئة وسائل الحياة.

ووجه عدم استقامة كلتا المعاملتين: ان الفلاح في القسم الاول كان مجبوراً لانه كان مرتبطاً بالارض ولا ارادة له من نفسه، وكانت الاستفادة الاكثر للمالك حيث ان الفلاح كان يعيش على لقمة عيش فقط، بالاضافة الى سائر المفاسد التي كانت مترتبة على الاقطاع.

أما في الثاني فالأجير وان لم يكن مرتبطاً بالارض ذلك الارتباط الذي كان بالنسبة الى الفلاح الا انه ايضاً مجبورٌ جبراً أجوائياً، فانه اذا لم يعمل الاجير للمالك يموت من جراء عدم وجدانه الاجرة التي يعيش بها، كما انه اذا لم يرد الرأسمالي العمل يبقى العامل عاطلاً حتى الموت، بالاضافة الى ان المالك يستفيد من الاجير اكثر من حقه بينما

يلزم ان يكون الحق موزعاً بينهما كلٌ بحسب ادارته او عمله، لكن الرأسمالي لا يقتنع بهذا القدر.

ثـم حـدثت النقابات ووضعت القوانين، و بذلك استراح الفلاح والعامل عن بعض مـظالم الاقطاعيين والرأسماليين، فتحسنت الاجور، كما تحسنت ظروف العمل بالنسبة الى الـفـلاح، وصـار الجـبـر الاجـوائـي أقـل، وحـصـل الـعـامـل والـفلاح على كفالتهما الاجتماعية، لكن بقي قدر كبير من الظلم يتطلب العلاج.

هـذا بـالـنـسـبة الى البلاد الرأسمالية اما في البلاد الشيوعية، فالعمال والفلاحون انما هـم آلـة بـسـيـطـة في مـعـمـل كبير لا شيء لهما اطلاقاً انما كل الخيرات في كيس السادة الحكام الذين جمعوا بين (الرأسمالية) و(الحكم).

وعلى أي حال، فالرأسمالي في الغرب والشرق بقي نفس الرأسمالي، يستفيد أكثر من حـقـه ألـوف المرات، بينما يعطي شيئاً قليلاً بمقدار لقمة العيش، بالاضافة الى بقاء الجبر الاجـوائـي أو المـبـاشـريّ.. الى سـائـر مـفـاسد رأس المال على ما تقدم الالماع الى بعضه، وذكرنا تفصيله في كتبنا الاقتصادية.

التعاون أو التسخير؟

لا يـقـال: الـعـمـل الاجتماعي يستلزم أن يكون هنالك رأسمالي، وأن يكون هنالك عامل، وكما قال سبحانه:

«ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً»(الزخرف/٣٢)

لأنه يقال:

أولاً: لـمـاذا يـأخـذ الرأسمالي أكثر من حقه، و يأخذ العامل الأقل، ثم يستخدم رأس المـال الانـسـان، بـيـنـمـا الـلازم ان يـسـتـخـدم الانـسـان رأس المال، فالانسان في قانون الـرأسـمـالـيـة خـرج عـن المحورية وصار خادماً للشيء، بينما يجب ان يكون الانسان هو المحور وان يكون مستخدماً للشيء.

وثـانياً: يجب أن لا يشتري الرأسمالي عمل العامل، بل يشتركان في العمل، والربح

لهما، حتى لا يكون آمر ومأمور، ولذا نهى الاسلام عن عمل الاجير (ولا نقصد بالاجير هنا الاجير في مثل البناء يبني دار غيره أو الخياط يخيط ثوب غيره بل نقصد الاجراء عند الرأسماليين) فأن يصبح الانسان أجيراً مكروه شرعاً كما وردت بذلك جملة من الروايات وان كان جائزاً في نفسه.

فقد روى الكليني بسند صحيح عن مفضل بن عمر قال: سمعت أباعبدالله(ع) يقول: (من آجر نفسه فقد حظر على نفسه الرزق).

قال: وفي رواية أخرى (كيف لا يحظره؟ وما أصاب فهو لربه الذي آجره).

نعم اذا لم يكن اكراه فردي ولا اجوائي، وكان ما يأخذه العامل عدلاً لا يكون الايجار وسيلة لتكديس رأس المال أما في الاكراه الفردي والاكراه الاجوائي الذي هو المتعارف الآن عند الرأسماليين فان معناه عدم اعطاء الاجراء حقهم، بالاضافة الى كون الانسان خادماً لرأس المال لا كون المال خادماً للانسان.

نقض غير وارد:

لا يقال: ما ذكرتم ـــ من انه من الخطأ أن تكون هنالك بين الرأسمالي و بين العامل علاقة الآمر والمأمور، والواجب أن يكون بينهما تعاون واشتراك في الربح ـــ منقوض، فان الرابطة بين المعلم والتلميذ أيضاً رابطة آمر ومأمور ومتفوق ومتفوق عليه.

لانه يقال: الرابطة بين المعلم والمتعلم رابطة الاحترام، ورابطة قصد المعلم ترفيع مستوى المتعلم، ورابطة ان المتعلم تضيق الشقة بينه و بين المعلم تدريجاً حتى يصل الى مرتبة المعلم.. وكل هذه الروابط الحسنة معكوسة في رابطة الامر بالمأمور في رأس المال، فان رابطة الامر بالمأمور رابطة السيد بالعبد، فكما ان السيد يريد استغلال العبد وليست الرابطة بينهما رابطة احترام، والشقة بين العبد و بين السيد تزداد بعداً ـــ حيث ان السيد يرتفع اكثر فأكثر والعبد ينخفض اكثر فأكثر ـــ كذلك الرابطة بين الرأسمالي والعامل

فانها:

أولاً : ليست رابطة احترام، وانما رابطة استغلال.

وثانياً : ليست رابطة ترفيع للأجير، وانما رابطة جافة تنتهي بالاخرة الى الضرر.

وثالثاً : تزداد الشقة بين الرأسمالي و بين الاجير كل يوم، فالرأسمالي يزداد ارتفاعاً، و بقدر زيادة ارتفاعه في الثروة يزداد الاجير نزولاً، فكما انه كلما زادت ثروة السيد ابتعد عن العبد أكثر، كذلك كلما زادت ثروة الرأسمالي ازداد اقتداره، وصار ذلك سبباً للكره بين الجانبين، بينما رابطة المعلم والتلميذ رابطة حب.

أما ما ذكرناه ــ من الشروط الاسلامية في الاجير ــ فليس فيه أي من هذه المحاذير، فالرابطة ليست رابطة اقتدار وانما رابطة حب، ولا تزداد الشقة بين المستأجر والاجير، وليست الرابطة رابطة الآمر بالمأمور وانما رابطة اشتراك في المنفعة، وكل واحد منهما ينظر الى الآخر بنظر الاحترام والحب لانه يرى ان الآخر سبب لتقدمه.

أنواع من الاستيجار:

والحاصل : ان هنا أموراً ثلاثة يجب ملاحظتها:

الأول : ليس الكلام في الاستيجارات الشخصية ــ لبناء عمارة أو خياطة أو ما أشبه.

الثاني : أن يكون الايجار على النحو الرأسمالي المستغل للعمال.

الثالث : أن يكون الايجار على النحو الشرعي الذي ليس فيه استغلال ولا استعباد.

وكما ان الاسلام كره أن يؤجر الانسان نفسه كما تقدم في بعض الروايات كذلك ذكر الاسلام استحباب الايجار الذي ليس بهذه المثابة، كما ان ايجار الانسان لغيره لأجل أن يكتسب الشيء غير مكروه في الاسلام، وفي هذا الصدد نقرأ قسمين من الروايات ــ كما قرأنا قبل ذلك قسماً آخر مما يفيد ان الاقسام ثلاثة ــ.

فعن علي(ع) في بيان معائش الخلق قال:

[وأما وجه الاجارة فقوله عزوجل: «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك

خير مما يجمعون»(الزخرف/٣٢)

فأخبرنا سبحانه ان الاجارة أحد معايش الخلق، اذ انه سبحانه بحكمته بيّن هممهم وارادتهم وسائر حالاتهم، وجعل ذلك قواماً لمعايش الخلق، وهو الرجل يستأجر الرجل في ضيعته وأعماله وأحكامه وتصرفاته وأملاكه، ولو كان الرجل منا يضطر الى أن يكون بناءاً لنفسه أو نجاراً أو صانعاً في شيء من جميع أنواع الصنائع لنفسه و يتولى جميع ما يحتاج اليه من اصلاح ما يحتاج اليه من الملك فمن دونه ما استقامت احوال العالم ولا اتسعوا له ولعجزوا عنه، ولكنه اتفق تدبيره لمخالفتهم بين هممهم،وكلما يطلب مما تنصرف اليه همته مما يقوم به بعضهم لبعض و يستغنى بعضهم ببعض في ابواب المعايش التي بها صلاح احوالهم.

وقد ورد في الروايات في تحريم ظلم الاجير.

١ــ ما يشمل ظلمه أولاً.

٢ــ أو ظلمه أخيراً بأن يجحف عليه أو يكرهه.

٣ــ وانه يجعل الامر عادلاً في الايجار، ثم ينقص من أجرته، فان الظلم شامل لكل ذلك.

فقد روى الصدوق، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول(ص): (من ظلم أجيراً اجرته أحبط الله عمله وحرم الله عليه ريح الجنة، وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام).. الى غيرها من الروايات الكثيرة المذكورة في باب الاجارة من الفقه الاسلامي.

والحاصل : ان الرأسمالية المنحرفة توجب:

أولاً : ظلم الاجراء حقهم.

وثانياً : كون الاستيجار بالاكراه الاجوائي أو المباشري، فالاجير مكره على أن يؤجر نفسه.

وثالثاً : ان الاجراء يحسون بنوع من المهانة مما يسبب البغضاء والتدافع بين الجانبين..

بالاضافة الى سائر مفاسد الرأسمالية على الاسلوب الغربي والشرقي، وكل ذلك خلاف العقل والشرع.

وليست الرابطة بين المعلم والتلميذ كهذه الرابطة، فانه لا إكراه، كما ان الظلم ليس بموجود، والتلاميذ يحسون بنوع من الاعتزاز لانهم يتبعون من هو أكثر منهم علماً وكفاءة، والانسان لا يحس بالمهانة اذا اتبع الاكثر علماً وكفاءة وتقوى وفضيلة، وانما يحس بالمهانة اذا اراد شخص السيادة عليه بسبب اقتداره المالي او بسبب اقتداره السلاحي مما ليس من جهة الفضيلة والكفاءة، فان نفس الانسان خاضعة للفضيلة والكفاءة، بينما لا تخضع لمن هو مثلها او دونها ولمن يريد ان يتطول عليها بسبب سلاح او عشيرة او ثروة او ما اشبه.

وهذا الحس بالمهانة ـ بالاضافة الى سائر المفاسد ـ هو من أسباب هروب الناس عن التقليد الى الاستدلال والمنطق في الامور العقائدية والعلمية، حيث ان التقليد فرض وتحميل، وفيه اهانة لكرامة الفكر الانساني، وهذا الحس أيضاً من أسباب هروب الناس من الحكام الدكتاتوريين الى الانتخابات ـ أولاً ـ والى لزوم استشارتهم بعد اختيارهم حكامهم ـ ثانياً ـ اذ ان التحميل من الحكام عليهم أو انتخابهم للحكام ثم استبداد الحكام بالحل والفصل بدون استشارتهم منهم كلاهما اهانة لكرامة الانسان.. ولذا نجد في الاسلام ذم (التقليد) كما نجد فيه مدح (الشورى).

(كل شيء في خدمة الانسان)

ثم ان كون الانسان محوراً يعطي له كل قيمة، والحقيقة ان الانسان له قيمة اما سائر الاشياء فلا قيمة لها إلا بقدر خدمتها للانسان واستفادة الانسان منها، ولذا ورد في الحديث القدسي عن الله سبحانه وتعالى:

[خلقت الأشياء لأجلك]

وقد تقدمت بعض الآيات القرآنية التي تدل على ان الكون مسخر لأجل الانسان، فاذا لم يكن (الانسان) فأي قيمة لكل هذا الكون الفسيح الواسع؟

واذا كـان الانسـان فأي نقـص اذا لـم يكـن كـل الكون ــفرضاًــ، بأن كان الانسان يعيش وحده؟

واذا كـان لـلانسان قيمة فهو محترم بنفسه وتوزن قيمة كل شيء بقدر فائدته للانسان وخدمته له، كما يقاس ضرر كل شيء بقدر ضرره للانسان، وإلا فلا فائدة ولا ضرر اذا استثنينا الانسان عن الكون، فلتجف البحار او فلتشقق الارض، او تخر الجبال هدّاً فأي ضرر يحدث اذا لم يكن الانسان في مجموعة هذه الاشياء التي في الكون؟

(الأنظمة البشرية ومحورية المادة)

أما في العالم الرأسمالي ــسواء الشرقي منه أو الغربيــ فنرى الامر بالعكس، فقد خرج الانسان عن المحورية، و بقيت المحورية للمادة والمال، فالانسان يراد لأجل الربح، فاذا أراد الشاب مثلاً الزواج سألوه عن ماله لا عن دينه وأخلاقه، كما ان الشاب بنفسه يسأل عن مال المرأة وارثها في المستقبل اذا مات أبوها أو أمها مثلاً، ولا يسأل عن أخلاقها ودينها، بالعكس من الاسلام تماماً حيث قال رسول الله(ص):

[اذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه]

بل نشاهد في العالم الغربي والشرقي انه اذا حدثت كارثة لا يلاحظ ان كم انساناً هلكوا؟ وكم انساناً جرحوا؟ وكم يداً ورجلاً بترت؟ وكم عيناً **فقئت**؟ وكم طفلاً **ايتموا**؟وكم امرأة رمّلت؟ وكم انساناً ذعروا؟ وكم قلباً وجل؟ وكم مرضاً حدث؟ وانما يقدر كل ذلك بالمال فيقال: ضرر الحرب الفلانية أو السيل الفلاني أو البركان الفلاني مائة مليون أو عشرين مليون أو ألف مليون، نعم يذكرون أرقام الخسائر لمجرد العلم كما يذكرون أرقام الدور وأرقام السيارات وما أشبه.

واذا كان الانسان قد فقد جماله وقيمته الانسانية في عالم المادة فكيف بسائر **الاشياء**؟ ولذا لا ينظر الى الاشياء بما انها أشياء، وانما ينظر الى روحها العامة وهي المادة، مثلاً لا ينظر الى الدار والبستان والكتب وما أشبه بما انها أشياء ذات حقائق، وحقائقها هي المحور، وانما ينظر اليها باعتبار القيمة، فيقال الدار الفلانية تسوى مليون

دينار، والكتاب الفلاني يساوي عشرة دنانير. وهكذا.

النتائج :

وقد عطفت المادة كل فكر الانسان الى نفسها، فأصبح الخادم مخدوماً، والسيد عبداً، وسبّب أن يعمل الكل حتى على حساب صحتهم وراحتهم ومستقبلهم وعائلاتهم وأولادهم لأجل المادة، فالمهم أن يكون للانسان مال أكثر، أما أن يفقد صحته لأجل ذلك ـ بل وأحياناً بعض أعضائه أو أحياناً عمره ـ فليس بمهم، وانما المهم أن يحصل الرأسماليون على أكبر قدر ممكن من المادة، بل وليس بمهم أن يفقد الانسان شرفه وعائلته وروابطه التي توجب له روحاً وراحة!

وكذلك نجد ان الانسان يعيش في العالم الحاضر في أكبر ازمة وفي شدة وقلق ومرض وحروب وثورات وفقر لم يعرف مثلها العالم في أي زمان من الأزمنة السابقة، ولا يحدثنا التاريخ بمثل هذه المآسي التي انصبت على الانسان، فالانسان لما كان المحور كما في تعاليم الانبياء(ع) كان الانسان كل شيء، وكان كل شيء يفدى لأجل الانسان، وكان كل شيء تلاحظ قيمته الذاتية (لا قيمته باعتبار تحوله الى المادة) وكان يخفف يوماً بعد يوم من فقر الانسان ومرضه وآلامه.

أما في هذا اليوم فالانسان يفدى لأجل المادة، فبينما في تعاليم السماء تخفف آلام الانسان يوماً بعد يوم تبعاً لاعطائه حاجياته ـ لأن كل شيء في خدمته ـ نرى في المجتمع المادي ازدياد آلام الانسان، لان الحاجات تعطى لأجل المزيد من المادة، لا لأجل الانسان، فالانسان يعطى لأجل المادة، وليس المهم بعد ذلك أن يكون أكثر أهل العالم جائعين، كما ليس المهم أن يموت كل عام خمسون مليوناً من البشر لفقدهم الغذاء والدواء والعناية، كما ليس المهم أن يقتل ملايين الناس بالوسائل الحديثة، ولا أن يبتلى ملايين الناس بمختلف العاهات والامراض من جرّاء استعمال الاسلحة الفتاكة الكيمياوية وغيرها، وكذلك ليس المهم أن يبقى المرضى مرضى، أو أن تشتد أمراض المرضى لأجل استعمال الادوية الضارة؛ ولا المهم أن يمرض الملايين لأجل استعمال

الاغذية والمساحيق والالوان الضارة، وهكذا بالنسبة الى سائر الامور، وانما المهم أن يحصل الرأسماليون ــ الحكام كما في الشرق أو التجار كما في الغرب ــ على أكثر قدر ممكن من المادة! وهذه حالة مرضية ابتلي بها العالم الغربي، ثم الشرقي، ثم صدّروا أمراضهم الى العالم الثالث، فابتلي العالم الثالث أيضاً بمثل هذه الامراض الفتاكة التي هي أسوء وأسوء من القنابل الذرية والنترونية.

موقف الانسان تجاه الغرائز الداخلية، والأشياء الخارجية

ثم ان في داخل الانسان غرائز، ولكل منها متطلبات كغريزة الجنس، حيث تريد القضايا الجنسية، وغريزة المال حيث تحرك الانسان الى تحصيل الثروة، وغريزة الجاه حيث تسيّره نحو طلب الجاه، وغيرها من سائر الغرائز الموجودة في البشر، كما ان في الخارج أشياء، يستحق بعضها الاحترام، ولا يستحق بعضها الاحترام، ومراتب الاستحقاق ــ فيما يستحق ــ مختلفة حيث يستحق بعضها الاحترام الى حد التأليه والعبودية كالله سبحانه وتعالى، أو الى حد التواضع المتزايد كالعالم العادل وكالابوين، وقد يستحق بعضها الاحترام الى حدٍ ما كاحترام الانسان للانسان بما هو انسان، كما ان بعضها لا يستحق أي احترام كالحيوان والنبات وما أشبه.

فاذا أعطى الانسان غريزة من الغرائز أكثر من حقها أحدث ذلك انفصاماً للانسان عن نفسه وابتعاداً عن شخصه، لان النفس غير المنفصمة تعطي كل شيء حقه، لا أن نزيد في حق على حساب حق آخر، وكذلك الحال اذا عبد الانسان ما لا يستحق العبادة وألّه ما لا يستحق الالوهية.

وهذا الانفصام الذي يحصل في الانسان ــ سواء بالنسبة الى الغرائز أو بالنسبة الى الاشياء الخارجية المستحقة للاحترام بقدر أو احتراماً متزايداً أو عدم استحقاق الاحترام اطلاقاً ــ يعود بالضرر على الانسان نفسه، ولذا قال سبحانه:

«أفرأيت من اتخذ الهه هواه»(الجاثية/٢٣)

أي انه يعبد هواه، فكيف ما يكون هواه يسير.

وفي آية أخرى يقول الله سبحانه وتعالى:

«اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم»(التوبة/٣١)

فان الاحبار والرهبان والمسيح بن مريم انما يستحقون قدراً من الاحترام، لا احترام الآلهة، فالمسيح(ع) يستحق احترام النبي العظيم، والعدول من الاحبار والرهبان يستحقون احترام الانسان للعالم، لا اتخاذهم آلهة وأرباباً وأخذ الاحكام منهم وان كانت مخالفة لاحكام الله سبحانه وتعالى.

كما ان الله سبحانه وتعالى يقول بالنسبة الى الانفصام في شخصية الانسان وان ذلك يعود بالضرر الى الانسان نفسه:

«نسوا الله فأنساهم أنفسهم»(الحشر/١٩)

يعني: ان الانسان الذي ينسى الله ولا يتبع أوامره فانه لا يستقيم في أموره، و بالاخرة يكون ناسياً لخير نفسه و ينفصم بنفسه عن نفسه.

وكل هذه الاقسام التي فيها انحراف عن جادة الصواب تدخل في (عبادة الصنم) سواء صنم الجنس، أو صنم المال، أو صنم الجاه، أو صنم الحجر، أو صنم البشر و أو غير ذلك من أقسام الاصنام.

انفصام الشخصية في العالم المعاصر

وقد وقع العالم المادي المعاصر في هذا الانفصام فأخذ يسير الى حيث حتفه، وقد أودى بكل منطق وعقل و برهان، و بذلك أصبح العالم المعاصر كالانسان المسحور الذي يتبع هدف الساحر لا هدف نفسه.. وتلك حالة مرضية خطيرة اذا لم تعالج تنتهي الى الفناء والدمار، ولذا قال سبحانه:

«ومن اعرض عن ذكري فان له معيشةً ضنكا، ونحشره يوم القيامة أعمى»(طه/١٢٤)

فهو يقع في ضنك العيش، والضنك ينتهي أخيراً بالفناء والدمار في الحياة الدنيا قبل الآخرة، وأما في الآخرة فله عذاب شديد، ولهذا نسمي هذه الحالة: (الانفصام عن

الشخصية) ونقول: ان هذا الشخص أجنبي عن نفسه، وهل هناك نفران حتى ينسى أحدهما الآخر كما في التعبير القرآني؟ الجواب: ان الاجنبي في الاصطلاح هو الذي نبت في بلد آخر و يعمل لا لصالح البلد الذي وجد فيه، بل لصالح بلد آخر، وهكذا مثل هذا الانسان المنفصم الذي يتبع احدى غرائزه أو يحترم من لا يستحق الاحترام اطلاقاً، أو من لا يستحق الاحترام المتزايد الذي يضفيه عليه فيحترمه احتراماً متزايداً، فانه لو كان نابتاً من نفسه كان يسير في طريق كل الغرائز لا غريزة واحدة، وكان يتجه الاتجاه الصحيح، وكانت فوائده تعود لنفسه، بينما كل ذلك بالعكس بالنسبة الى هذا الانسان المنفصم، فهو ينبت لا عن كل غرائزه، و يسير في اتجاه غير اتجاهه المستقيم وذلك يعود عليه بالضرر لا بالنفع، فان سائر الغرائز تُكبت ولا تنمو ولا تُعطى متطلباتها مما يؤدى الى الدمار والهلاك.

الانسان يعبد الجاه والمال

ومن جملة هذه الكلية: الانسان الذي يعبد المال، أو يعبد الجاه أو لا يعطي الفقير والمسكين والاجير والفلاح وسائر الناس حقهم، كما حدث كل ذلك في العالم المعاصر، فالعالم المعاصر يعبد المال عبادة متزايدة كما انه يريد الجاه ارادة لا تُحدّ، صحيح ان الديمقراطية الصورية موجودة في الغرب، لكن هذه الديمقراطية (كما تقدم) غلاف مهلهل لدكتاتورية بشعة من أبشع الدكتاتوريات، سواء بالنسبة الى داخل بلادهم أو بالنسبة الى خارج بلادهم ــ وان كانت الدكتاتورية بالنسبة الى خارج البلاد أفضع ــ وأمّا في البلاد الشيوعية، فان هذا الثوب المهلهل أيضاً غير موجود، والعالم الثالث منقسم بينهما فقسم يأخذ من الغرب وقسم يأخد من الشرق.

هذا بالنسبه الى عبادة الجاه.

أما عبادة المال فهي أوضح، فالعالم منقسم أيضاً الى من يعبد المال عبادة مطلقة كالبلاد الشيوعية، حيث ان الحكام هم الرأسماليون، أو عبادة شبه مطلقة كالبلاد الغربية، حيث ان المال بيد التجار فلم يجتمع الحكم والمال في أيد واحدة ــ وان كان

بينهما تنسيق وتعاون من أغرب أقسام التعاون كما ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب الاقتصاد من الفقه.

الاخلاق النبيلة تسحق

وأما بالنسبة الى نسيان الصفات النبيلة ــ كالرحم والمروئة والانسانية ومراعاة حقوق الانسان واحترام الآخرين والعطف على البائس والمسكين وعدم أكل حق الناس بالباطل ــ فان هذه كلها غرائز في داخل الانسان، وقد حرم منها العالم ككل، نعم أفراد قلائل يوجدون هنا، أو هناك ليس بتلك المثابة وليس الكلام فيهم، وانما في الاتجاه العام والاطار الموضوع على عالم هذا اليوم، ولذا فقد أصبح العالم منفصماً عن نفسه وأجنبياً عن ذاته وحصل على اثنينيه بين (الواقع الانساني) و بين (الاتجاه) الذي يسير فيه، واتخذ أهل العالم آلهتهم أهوائهم، والاصنام التي تعبدها أهل العالم في هذا العصر أسوء من الاصنام التي كان المشركون يعبدونها، لان المشركين الذين كانوا يعبدون الاصنام و يوجد أشباههم الآن في الهند وغيرها لا يضرون العالم هذا الضرر البالغ ــ وان كانت كل أقسام عبادة الصنم توجب ضرر الانسان، ومن ثم توجب ضرر الآخرين، لارتباط الاجتماع بعضه ببعض، فاذا تضرر فرد تضرر الآخرون، واذا تضرر اجتماع تضررت سائر الاجتماعات المرتبطة بذلك الاجتماع ــ إلا ان التاريخ لا يحدثنا بمثل هذا الضرر الكبير الذي حدث في العالم المعاصر، حيث هذه العبادة الغريبة للاصنام المالية والمنصبية والغرائزية المنحرفة.

(حضارة في بيت العنكبوت) !

وقد انهدمت انسانية الانسان بسبب هذا الصنيع الذي صنعه هو بنفسه، فأصبح المربوب رباً والمخلوق خالقاً، وانما انهدمت انسانية الانسان لانه أصبح بدون اختيار يُسيّره الجهاز الصناعي الذي حاكه حول نفسه كمن يحيك حول نفسه شبكة من السلاسل ثم يبتلى بها، حاله حال دود القز حيث ينسج حول نفسه و ينسج و ينسج ثم

يبقى هناك بلا حول ولا طول حتى يأتيه الموت فيجرعه غصة بعد غصة، فالرأسمالي يعمل للمال، والسياسي يعمل للمنصب، وسائر الناس ــ من المدير والعامل والفلاح والمؤسسة ومن اليهم ــ يبتلون بهذه الشبكة الواسعة من المال والمنصب فكلهم انما يريدون مزيجاً من المال ومن الارتفاع السياسي ولا يعرفون لا مصدر المال، ومصرف المال، ولا مصدر المواد الخام، ولا مصرفها، ولا أسواقها، ولا أي شيء منها، ولا البائع، ولا المشتري، وانما كل يعمل في موضعه من شبكة مستحكمة حوله لا يجد مخلصاً منها كما ان السياسي ايضاً يعمل في شبكة مشابهة دون ان يعرف المصدر والمورد والمصب وغير ذلك، وانما معلومات عامة عن اشياء لا يعرف اولها ولا آخرها، وقد صدق الله سبحانه في تشبيه امثال هؤلاء بالعنكبوت، فقال سبحانه:

«مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً، وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون»(العنكبوب/٤١)

فان من خصائص بيت العنكبوت انه شبكات متداخلة بعضها في البعض الآخر، لا تجد الفريسة فيها خلاصاً، وكذلك نجد المال والجاه في العالم الحاضر شبكات بعضها فوق بعض و بعضها دون بعض حتى تستحكم هذه الشبكات حول الانسان، فهو في هذه الشبكات ليل نهار، يصرف تفكيره وطاقاته وشبابه وعلمه وسائر شؤونه فيها، وليس ذلك فقط، بل انه يحكم إحاطة هذهالشبكات حول نفسه كدود القز الذي لا يزال يحكم القز حول نفسه حتى يصبح المصنوع هو الذي يقرر مصيره، وانما كان موهوناً (على حسب تعبير لقرآن الحكيم) لأنه مبني على الخيال لا على الواقع، ــ كالبيت المبني على الرمال ــ واذا بقنبلة ذرية تهدم كل هذه الحضارة التي بنوها في عشرات السنين بمليارات من الاموال وابحر من الجهود والطاقات.

وكم يكن العالم سابقاً هكذا، وانما كان (الانسان) هو السيد آنذاك، ولم تكن أية قوة تستطيع هدم الحضارة الانسانية في الزمان السابق، أما في الوقت الحاضر فقد غدى الأمر بالعكس حيث تتمكن الاسلحة الفتاكة، أن تهدم كل الحضارة وكل الروابط المادية المصنوعة في ساعات قلائل.

ولا علاج للانسان ولا خروج له عن هذا المأزق إلا ان يرجع الى نفسه، و يكون سيد

الموقف، و يترك الضار، و يأخذ بالنافع، و ينمى الغرائز كلها بشكل معتدل.

الشبكة تحيط بالجميع

وليست الثروة والسياسة جعلتا من رجال المال والسياسة مكبّلين فحسب، بل حتى الانسان العادي الذي لا يرتبط بهما صار مكبلاً أيضاً بسبب نمط الحياة، حيث فُرض هذا النمط على كل العالم.

نعم، هناك فرق بين أحجام التكبيل زيادةً ونقيصة فالمنتمون الى الاحزاب مكبلون أكثر من غيرهم، ورجال الشركات والاسهم والثروات الكبيرة مكبلون أكثر من غيرهم أيضاً أما التكبيل العام فهو للجميع.

طريق الخلاص

وليس للعالم نجاة من هذه المآسي إلا بمايلي:

١ ــ اعادة الانسان الى الاعتقاد بالله واليوم الآخر، والخوف من ربه، ومراقبته، وتطبيق قوانينه على كافة أجزاء الحياة.

٢ ــ وبذلك يرد المال الى موضعه الذي يكون فيه خادماً لا مخدوماً، وكذلك يرد الجاه الى موضعه فيكون مسؤولية لا غروراً واستعلاءاً.

٣ ــ تلقائياً بعد الأمرين السابقين ترجع الصناعة الى موضعها الصحيح حيث يجتنب الضار منها بالانسان و يؤخذ النافع، فان الصناعة كالماء يضر و ينفع وكالنار تضر وتنفع، فحيثما أخذت السياسات المنحرفة والثروة المنحرفة بأزمة الصناعة دفعت بها الى حيث الدمار والوبال وخطر ابادة الحضارة، أما اذا أخذت الثروة الصحيحة والسياسة السليمة الزمام الصناعة صرفتها الى الطريق السليم، كالنار حيث تكون بيد مجنون أو بيد عاقل، فالعاقل يستفيد في طبخه وأكله ودفئه وغير ذلك، أما المجنون فأنه يحرق بالنار نفسه وغيره.

فروق بين الثروة الحرّة والثروة المكبّلة

ثم أنه يمكن الفرق بين الثروة الحرة العقلائية والثروة المكبّلة التي نشاهدها في العالم الحاضر، ولكنها انحرفت عن طريقها المستقيم بالامور التالية:

١ ــ المالك هو الذي يحدد الاطار:

في الثروة الحرة يعطي المالك الصورة للثروة فهو يخلق لها الاطار السليم بخلاف الثروة في العالم الحاضر حيث أن أطارها وصورتها ليست بيد المالك، وانما بيد الشبكة الوسيعة التي يكون المالك جزءاً صغيراً فيها، يرتفع بارتفاعها، و ينخفض بانخفاضها، ويميل نحو اليمين والشمال حيث مالت الثروة بصورة عامة، فهو أصبح كالطائر في القفص الذي لا يتمكن أن يطير إلا في مكان محدود جداً، بينما الثروة الحرة يكون المالك كالطائر خارج القفص يتمكن أن يطير حيث ما يشاء.

٢ ــ المالك هو المسؤول عن الأرباح والخسائر:

إن المالك في نظام الثروة الحرة هو المسؤول عن الربح والضرر، أما الثروة في العالم المعاصر فلا مسؤولية للمالك، لا في الربح، ولا في الضرر، وأنما المسؤولية على المدراء الذين يجلبون المواد الخام أو الذين يصنعونها أو الذين يسّوقونها.

٣ــ القيمة بيد المالك:

في نظام الثروة الحرة تكون القيمة بيد المالك، بينما في نظام الثروة المكبّلة لا تكون القيمة بيد المالك، وانما بيد السوق، فاذا شاء المالك الحر أن يبيع غالياً أو رخيصاً لهذا أو لهذا فالاختيار بيده، أما المالك المكبّل فلا أختيار له في ذلك. وأنما الاختيار للشبكة الكبيرة المكونة من ألوف المدراء والخبراء والاسواق، بل ومواقف الزعماء وتوجياتهم

وحروبهم..

وعلى أي حال، ففي الثروة الحرة تكون القيمة بيد المالك، بينما في الثروة المكبلة ليست كذلك..

٤ ــ الثبات النسبي للقيم :

في الثروة الحرة تكون القيمة شبه ثابتة، بينما في الثروة المكبلة تضطرب القيمة وتكون في ارتفاع وانخفاض.

٥ ــ التسعير بيد المالك :

التسعير في الثروة الحرة بيد المالك، أما في الثروة المكبّلة فبيد السوق والبورصة والشبكة الاقتصادية ومن المعلوم إن في العصر الحديث تتحكم الموازين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعسكرية وغيرها بالاسواق.

٦ ــ حرية الاستفادة المطلقة من الأرض :

في مثل الارض تتحكم السوق في تبديلها بالمال فقط أو تركها أرضاً كما هي، أما في نظام الثروة الحرة فليس الامر كذلك، وانما صاحب الارض يتمكن من الاستفادة من الارض في أي شيء أراد فهو يستطيع أن يجعلها بناءاً أو حديقة أو معملاً أو أن يهبها الانسان أو يعطيها للفقراء والمساكين أو غير ذلك، أما في نظام الثروة المكبلة فالمالك لا يستطيع إلا على تبديلها الى المال فحسب، يعني ان خياراته بين أمرين فقط، أما خيارات الثروة الحرة فبين أمور، وكم فرق بين أن يختار الانسان أحد مكانين أو أن يكون حراً طليقاً يذهب حيث يشاء؟

٧ ــ لا قلق على الأسواق :

في الثروة الحرة لا قلق على السوق من المالكين، بينما في الثروة المكبلة قلق دائم على السوق حيث التنافس الخاطيء الشديد بين أصحاب الاموال.

٨ ــ القدرات بيد المالك :

في الثروة المكبلة تكون كل قدرات المالك إلا ما شذ بيد غيره فهو لا سلطة له على أمواله، كما ان السياسي لا قدرة له على السياسة فان كل القدرات تنحصر في أيدي المدراء والبورصات والأسواق وغيرها، سواء في قدرة البيع أو الشراء أو التسو يق أو نحوها، أما في الثروة الحرة فان كل القدرات بيد المالك.

٩ ــ المالك يتصرّف كما يريد :

القوانين قد حالت دون تصرّف المالك المكبّل كيف يشاء في ثروته، اذ اللازم عليه أن يتصرّف حسب القوانين الموضوعة وما أكثر تلك القوانين وأعقدها؟ بينما يكون المالك الحرّ متمكناً من التصرف في أمواله دون التدخل من القوانين.

نعم في الشريعة الاسلامية قوانين قليلة جداً تحول دون تصرف المالك كيف يشاء، مثلاً: المالك في الشريعة الاسلامية لا يتمكن أن يتصرف في ماله بتبديله الى الخمر والخنزير والمواد الضارة.

أما في هذا اليوم، فان القوانين الكابتة التي تحول دون تصرّف المالك كيف يشاء كثيرة جداً.

١٠ ــ ثبات الضرائب وقلتها :

ان قوانين الضرائب المتأرجحة تجعل الثروة فى اضطراب دائم، بينما في الثروة الحرة

لا يكون الامر كذلك، فان الضرائب في الاسلام فقط أربعة وهي ليست مجتمعة في مكان واحد، فبعض الاموال عليها (الخمس) وبعضها الآخر عليها (الزكاة) وبعض الناس عليهم (الجزية) وبعض الاراضي عليها (الخراج)..

هذه فحسب هي قوانين الضرائب الثابتة التي كان الملاكون الاحرار يعرفونها في نظام الاسلام اليوم وفي ظل نظام الثروة المكبلة فقد تأرجحت قوانين الضرائب وحسب أهواء الساسة والاقتصاديين، ومن يتحكمون بمصائر الأمم المستضعفة، ولذا نشاهد:ان الضرائب تزداد وتنقص حسب الشهوات والاهواء، وانه اذا جاء رئيس جديد الى الحكم يضع الأثرياء أياديهم على قلوبهم خوفاً من برنامجه الاقتصادي، وانه ماذا يريد أن يصنع؟

١١ ــ الثروة والأخلاق :

أصبحت الثروة غير أخلاقية لانها تقترَن بالكذب والخداع و.. وتختلط بدموع الفقراء ودماء المحرومين، وكثيراً ما يكون السلاح في خدمة الثروة حيث أن المنافس يقتل منافسه ليخلو له الجو، وأحياناً تكون الثروة بأيدي الساسة بمعنى ان السياسيين يحدثون انقلاباً في بلد مستضعف فقير حتى يمتصوا دماء الناس، كما هو المشاهد في عالم.اليوم، بينما لم يكن هذا الشيء بالنسبة في ظل نظام الثروة الحرة.

١٢ ــ وأخيراً ..:

وأخيراً لو فرض ان صار للثروة المحللة والثروة المحرمة لونان لرأى العالم آثار الدموع والدماء، ولرأت الشركات وأصحاب الاسهم ورؤوس الاموال الكبيرة على موائدهم آثار الدم والدمع، واذا تحولت ثروتهم الى أصولها ومنابعها لوجدوا انها لم تصلهم إلا بعد سقوط الأيادي المقطوعة والأرجل المبتورة والعيون المفقأة والآذان المصلومة والأنوف المجدوعة والأحشاء المتناثرة والعظام المتكسرة، كما رأوا كل تلك الويلات مجسمة امام عينهم عوض حيطان بيوتهم وستائرها والكراسي التي يجلسون عليها والطاولات التي

يكتبون عليها، بل والاقلام والاوراق التي بأيديهم، والورود النابتة في حدائقهم، ولرأوا النيران المشتعلة في بطونهم وفي سائر اعضائهم وفي جوانب بيوتهم، وقد قال سبحانه وتعالى:

«وإنَّ جهنَّم لمحيطةٌ بالكافرين»(التوبة/٤٩)

وقال تعالى:

«الذين يأكلون أموال اليتامىٰ ظُلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً»(النساء/١٠)

وقال سبحانه بالنسبة الى أكل الربا:

«لا يقومون إلاّ كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسِّ»(البقرة/٢٧٥)

فاذا انفتحت بصائر الأثرياء الذين إنحرفت ثروتهم ــ بسبب الربا ونحوه ــ لرأوا أنفسهم في حالة مجنون لا يتمكن أن يقوم، وانما اذا أراد القيام سقط على وجهه.

«لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس»(البقرة/٢٧٥)

فان هذه الثروات في الحقيقة جمعت من هذه الامور، والصورة فقط هي التي تبدلت، وأما الصورة الواقعية فهي تلك الامور التي ذكرناها، كما يشاهد ان الشجرة مثلاً تتكون من التراب وتتحول بعد مدة الى التراب، اذ الشجرة هي التراب، وانما تغيرت صورتها الى صورة الشجرةو واذا مضى زمان فانها تتحول الى التراب كالسابق وهكذا الثروات تتحول الى واقعياتها بعد قليل من الزمن (كما هو المعتقد في باب تجسم الاعمال).

الطريقة السليمة للانتاج والاستهلاك

ثم ان من مظاهر انفصام الانسان عن نفسه وانه أصبح غريباً عن الكون والمجتمع، طريقته في الانتاج والاستهلاك، فالانتاج الصحيح هو ما كان عن طريق:

١ ــ المالك الخصوصي.

٢ ــ الأكثرية.

أما اذا كان عن طريق الاقلية أو المدراء أو القانون فهو انتاج غير مستقيم لعدم سيطرة

المالك على الانتاج.

وأكثر الانتاج في العالم المادي ــ الغربي أو الشرقي ــ انما يكون عن الطرق الثلاثة الاخيرة، فصاحب المال ليس مسلطاً على عمله، وهذا الامر حصل على طريق (الاكراه الاجوائي) وان زعم صاحب المال انه يتصرف بملء رضاه.

أما من ناحية التصرف فلا يكون صحيحاً إلا بمايلي:

١ ــ أن يكون المال في مقابل العمل، سواء العمل الفكري أو الجسدي من الانسان نفسه أو من مورثه ــ فيما اذا كان الارث صحيحاً .

٢ ــ وأن يكون التصريف لأجل الحاجة الواقعية لا الحاجة الخيالية، اذ إنها نوع من السرف والتبذير والانحراف، والحاجة الخيالية أما صرف للمال بدون العنوان، وأما تزييف وأسراف في صرف الوقت، وأما حرق لحياة الانسان وطاقاته فداءاً لرأس المال، وأما تبديل للحبّ الواقعي الى الحب المزيف.

نماذج خاطئة :

وهنالك أمثلة كثيرة لذلك:

١ ــ شهادات فخرية :

كما يشتري الثري الدكتوراه الفخرية.

٢ ــ كتب المباهاة :

كما يشتري مكتبة كاملة لأجل المباهات وان لم يكن محتاجاً اليها.

و بذلك انحرفت شهادة (الدكتوراه) عن واقعها، كما انحرفت المكتبة عن واقعها الذي هو الاستفادة، ومن المعلوم ان الانحراف في الدكتوراه يعني إعطاء الانسان شيئاً ليس مستحقاً له، والانحراف في شراء المكتبة يعني تجميد الكتاب عن فائدته، ولذا ورد في الاحاديث:

[انه لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن حبّنا أهل البيت؟]

٣ ـ أدوات .. لارضاء الغرور:

كما يشتري الدار الواسعة لأجل العنوان والمباهاة، لا لأجل الاحتياج، فالصرف للدار صرف تخيلي لا واقعي، وكذلك في اشتراء السيارة والا ثاث والبستان وغير ذلك مما ليس لأجل الصرف حسب الحاجة، بل لارضاء حسّ الغرور والاستعلاء والمباهات.

٤ ـ حاجات كاذبة :

مثل ان رأس المال يوجد في الانسان احتياجاً الى أشياء ليست أولا و بالذات حاجات له، فالتصريف الصحيح هو الذي يكون وسيلة للراحة، لا هدفاً لأجل أشباع الغرور، فان ذلك يوجب ان يُرهق الانسان ليل نهار لأجل شيء خيالي ومكذوب هو ملء غروره وتمكينه من المباهات.

٥ ـ الانفصام بين الشعار والواقع :

هو نوع آخر من الغرور تمليه الاهواء على الانسان، فيصرف الحاجة بدون جعل عنوان له، مثل ان الثري يزوج بنته بمهر خمسين فلساً مثلاً ثم يشتري لها عشرة آلاف دينار من الا ثاث العصري لأجل زواجها، فانه يريد بجعل المهر خمسين فلساً اظهار نفسه بأنه فوق المال، بينما هو من أكثر الناس عبادةً للمال، فان الحقائق تظهر بالاعمال ة لا بالأقوال.

٦ ـ رأس المال يحدد ساعات العمل والفراغ:

كما يعين رأس المال أوقات العمل والفراغ، مثل ان يعين كيفية صرف الوقت في

الفراغ، مثلاً: يجعل وقت عمل العامل نصف الليل في تقسيم وجبات العمل (الشفتات) بين طائفتين أو ثلاث من العمال، أو يجعل لوقت فراغه افلاماً حربية أو خليعة أو لعب كرة القدم أو ما أشبه، بدون ملاحظة ان الاهم أن يصرف العامل وقته في ماذا؟ وانما يلاحظ رأس المال ما هو الاكثر دراً للربح وان كان بضرر المتفرج فكيف بنفعه؟؟

٧ ـ حروب تفرض على الشعوب :

كالحروب التي يفرضها الرأسماليون الغربيون والشرقيون على الشعوب، بينما يلزم أن تكون الحرب أما بآراء الكل، أو الاكثرية، ومن المعلوم كيف تهدر الحرب كل طاقات الانسان في الدمار والفناء والهلاك!

٨ ـ علاقات تجارية :

العلاقات الانسانية وبالذات مبنية على حب الانسان للانسان، لأن كل انسان يجد نفسه في داخل الآخرين ورأيهم فيه كما الآخرين في داخل نفسه ورأيه فيهم، فان الانسانية شيء واحد موزع على الافراد، ولذا ورد في الاحاديث:

[أحب لغيرك ما تحب لنفسك]

وورد قبل ذلك في الآية الكريمة :

«من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ في الارض فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً»(المائدة/٣٢)

وقد أشرنا الى ذلك في حديث سابق، أما في العالم الرأسمالي فالانسان لا يحب أخاه الانسان، وانما يحب ما يتمكن أن يستفيد منه، ولذا صارت العلاقات رياءاً وخواءاً، حتى ان مسألة الاخلاء والخليلات أصبحت علاقة ريائية مكذوبة، فكل واحد منهما يريد الآخر للذة ولاشباع رغباته الجنسية فحسب، ولا حب بينهما، وان أظهرا الحب العميق في أقوالهما، ومن المعلوم أن الحب أساس الاجتماع لا اللذة العابرة والشهوة المشتعلة، ولذا نرى في العالمين الغربي والشرقي انهدام العوائل بشكل هائل، وقد ورد في

الحديث الشريف:

[هل الدين إلا الحب]

اشارة الى ما بنيت عليه فطرة الانسان المكونة للحياة السعيدة، فالحب عبارة عن حب الله، وعن حب رسوله، وعن حب الأئمة عليهم الصلاة والسلام، وعن حب العلماء والصالحين..

والحياة انما هي لأجل الله سبحانه وتعالى والآخرة لا لذاتها، لأن حب الحياة لذاتها يوجب الفساد، كما نشاهد ذلك في العالمين الشرقي والغربي وكذلك حب العائلة وحب الانسانية وحب الحيوان و....،.....من أقسام الحب والتي هي الجذوة الاولى في الانسان وهي التي تسبب استقامة الحياة.

٩ ـ العمل فوق القدرة :

كصرف الانسان وقته أكثر من طاقته، حيث انه انحراف عن النهج المستقيم المودع في فطرة الانسان التي هي ذات حد: إن زاد عليه كان افراطاً وإن نقص كان تفريطاً، وذلك كأن يصرف الانسان أثنتي عشرة ساعة في العمل لأنه يريد أجرة متزايدة أو ست عشرة ساعة مثلاً فانه انحراف عن الحد المقرر للانسان.

١٠ ـ طاقات معطّلة :

مثل الاستغناء عن الشيء الذي فيه بعض الطاقة بعد، بالقائه في النفايات كما نشاهد في كثير من البلاد المترفة أمثال فرنسا وامريكا، فان الناس لارضاء غرورهم والمزيد من التجمل وصرف المال يلقون بالاشياء من فرش وكراسي وملابس و....،.... في الشارع أستغناءاً عنها، بينما هي طاقات قابلة للاستعمال.

١١ ـ الاعتناء بجانب واهمال جوانب أخرى :

الارتفاع فى جانب من الحياة على حساب الانخفاض في جانب آخر، كالاسراف

باطعام وسقي الكلاب والهررة الحليب واللحم وغيرها من المأكولات، والباسها وجعل المسكن لها، والوصية ببعض الاموال لأجلها، وتسهيل راحتها، وفتح الدكاكين لأجل اصلاحها، و....،.... على حساب ملايين الجائعين الذين لا يجدون لقمة خبز، أو لا يجدون ملبساً ولا مسكناً.

١٢ ــ الانحراف في تنظيم الاقتصاد :

الانحراف الموجود في تنظيم الاقتصاد بحيث يحرم كثير من الناس وتسرف كثير من المواد الاستهلاكية، فبينما نجد إن مئات الملايين من الناس يعيشون في حالة جوع وعري وفقر وسوء تغذية لعدم وجود الدواء والكساء اللازم لهم والعناية الصحية بهم، نرى ان كثيراً من البلاد المترفة تلقي بأطنان من الحليب والقمح والرز والفواكه في البحر بحجة تنظيم الاقتصاد، وليس ذلك إلا انحرافاً في المنهج العام في الاقتصاد.

١٣ ــ عدم توزيع الأعمال :

تثقيل كاهل فرد عل حساب التخفيف عن فرد آخر، بتنظيم الشؤون الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بحيث ان جماعة تمثلها الدولة تقبض على أزمة كل شيء بينما تخفف كاهل الشعب من الاشتراك في الاعمال، فالتجارة والزراعة والمواصلات.. كلها ترتبط بالدولة، وهي كقطرات قليلة في بحر الناس الكثيرين، بينما الناس يمنعون عن مزاولة الاعمال في المنهج المسمى (بالاشتراكي) والموجود غالباً في العالم الثالث تبعاً للشيوعية القائمة في شرق العالم، فان ذلك إنحراف عن المنهج القويم، اذ المنهج القويم يقسّم الاعمال والارباح، فاذا اختص جماعة بالاعمال وجماعة بالارباح كان هذا انحرافاً عن المنهج السليم.

١٤ ــ القرارات بيد النواب!

جعل القرارات بيد وكلاء الامة في العالم الديمقراطى، فانه انحراف كامل عن منهج

الواقع لانه كثيراً ما يختلف أكثرية الشعب عن أكثرية الوكلاء الذين يتخذون القرارات، بل اللازم أن يكون الوكلاء ذوي رأي خاص فيما ليس للشعب نظر خاص، أما اذا كان للشعب رأيه فاللازم أن يؤخذ بآراء أكثر الشعب مثلاً: قرارات الحروب أو الاقتصاد أو ما أشبه كثيراً ما يبتّ فيها الوكلاء بأكثرية آرائهم، بينما اذا عرضت على الشعب نرى ان أكثرية الشعب يخالفون أمثال هذه القرارات، وهذا سلب للانسان عن قدرته بسبب أجواء مكذوبة فرضت عليه، وكيف يمكن أن يعمل الوكيل كل شيء بدون رضى الأصيل؟

أما في الاسلام فان معنى اعطاء المشورة ــ الواردة في القرآن والسنّة ــ لولي الامر انه مع كونه ولي الامر لا يحق له الخروج عن رأي الاكثرية ــ بالنسبة الى غير الرسول (ص) والامام المعصوم (ع) ــ حيث انه اذا كان يحق له أن يستبد برأيه بعد المشورة لم تكن للمشورة ثمرة إلا تلطيف الجو أو أن تلقى المشورة في ذهن الحاكم شيئاً لم يكن بباله فيأخذ به، بينما ظاهر المشورة انها تعني الأخذ بأكثرية الآراء لا انها لمجرد تلطيف الاجواء او القاء رأي جديد في ذهن الحاكم ما لم يكن في ذهنه قبل المشورة.

١٥ ــ التناقض بين الرابطة الاجتماعية والرابطة الفردية :

اختلاف (الرابطة الاجتماعية) و(الرابطة الفردية) مع انهما نابعان عن حسّ واحد هو (انسانية الانسان) وبذلك انفصم الانسان عن نفسه، وصار غريباً عن ذاته، يحكم هنا بشيء ويحكم هناك بشيء آخر، بينما الحكمان يجب أن يصدرا عن مصدر واحد هو (الفطرة).

فالحب بين الافراد منهدم والاجتماع هو الذي يحترم، ولذا نشاهد ان كل واحد منا يعطي الضرائب للدولة ــ حيث انه يحترم الدولة ويحترم القوانين الموضوعة، بل وفوق ذلك فانه يعطي دمه في ظروف الحرب لوطنه وهل هذه الامور إلا لاحترامه للاجتماع ــ ولكنه هل يساعد الارملة والفقير والمحتاج؟ كلا بل نشاهد انه منقطع عن قريبه وجاره ولا يتعامل بالحب مع مشتريه وتلميذه ومعلمه و....،....

وكيف يمكن أن يجمع بين اعطاء الدم و بذل المال وصرف الوقت والطاقة بالنسبة الى الاجتماع العام، وعدم اعطاء حتى الشيء القليل لأ ية مشكلة فردية؟

القرآن يشير:

وقد ألمع الى ذلك القرآن الحكيم في وصف اليهود الذين كانوا ماديين في وقت نزول القرآن قبل أن يفرضوا سيطرتهم الرأسمالية على العالم بقوله سبحانه:

«وإذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون إلاّ الله و بالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون . ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرَّمٌ عليكم إخراجهم، أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا، و يوم القيامة يردون الى أشد العذاب، وما الله بغافل عما تعملون. أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفّف عنهم العذاب ولا هم ينصرون»(البقرة/٨٣ــ٨٦)

نشاهد في هذه الآيات ان الله سبحانه وتعالى أخذ ميثاق بني اسرائيل ــ على لسان أنبيائهم وفي الكتب المنزلة عليهم ــ بعبادة الله و بالاحسان الى الوالدين والاقرباء واليتامى والمساكين، وان يقولوا لجميع الناس حسناً، وان يخلصوا العبادة لله بأقامة الصلاة وايتاء الزكاة، كما انه أخذ ميثاقهم ان لا يسفكوا الدماء ولا يخرجوا بعضهم من الديار، ولكن بني اسرائيل خالفوا أوامر الله سبحانه وتعالى، فبعضهم يقتل بعضاً، وفريق منهم يخرج فريقاً من الديار، و يتظاهر على البعض بالاثم والعدوان، لكنهم اذا وجدوا بعضهم أسارى عند أناس آخرين فدوهم بأموالهم! فكيف يمكن الجمع بين الامرين، فاذا كان حب بالنسبة الى الافراد كان معناه أن لا يقتل بعضهم بعضاً ولا يخرج بعضهم بعضاً، ولا يظاهر، بعضهم ضد بعض، و يفادي بعضهم بماله البعض الآخر الاسير في

أيدي الآخرين، وان لم يكن حب فلماذا المفاداة؟ أفليس هذا دليلاً على انفصام في الشخصية وغربة النفس عن النفس، حيث تحكم النفس في مكان حسب الانسانية، وتحكم في مكان آخر حسب القساوة وانقطاع الحب والوحشية؟

وهذه الحالة التي كانت في بني اسرائيل أبّان نزول الآيات عمّت آلان العالمين الشرقي والغربي، لكن لا بالنسبة الى النطاق المذكور في الآيات المذكورة فحسب بل بالنسبة الى كل شيء كما ألمعنا الى جملة من ذلك في هذه البنود الخمسة عشر.

والمثال المعروف: (الدين لله والوطن للجميع) ان صح أصله يلزم أن يراد به ان المقنن لجميع القوانين هو الله تعالى، لأن الدين هو مجموع القوانين، وان الجميع لهم الحق أن يعيشوا بسلام وحب في الوطن الكبير الذي هو كل الارض، سواء كانوا مسلمين أو كفاراً، كما نجده في القوانين الاسلامية، ولذانجد ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما دخل (المدينة) ووجد فيها المهاجرين والانصار والمشركين واليهود جعل بين الجميع عهداً بالدفاع عن البلد مجتمعين وعدم اعتداء بعضهم على بعض.

أما المعنى الذي قد يراد من تلك الكلمة المشهورة من ان المراد بالدين هو ما بين الانسان و بين الله كما التزم المسيحيون وان المراد بالوطن هو الوطن القومي والجغرافي.. فهذا معنى انفصامي ايضاً اي انه انفصام الدين بعضه عن بعض، والوطن بعضه عن بعض، ومعنى انفصام الدين والوطن هو انفصام الانسان، لان الانسان المنفصم ينفصم في الدين وفي الوطن ايضاً.

وعلى كل حال لو كان المهم الانسان لشخصه الخاص فلماذا اعطاء الضريبة من المال والوقت والدم للدولة وللمجتمع؟ وان كان المهم الانسان بما انه انسان لا بما انه شخص، فلماذا عدم العطف على البائس والفقير والمحتاج؟

الانحراف في الانتاج والاستهلاك :

والحاصل : اننا نشاهد في عالم اليوم ان كثيراً من الانتاج والاستهلاك ـــ سواء للانسان أو لأوقاته أو لحاجاته ـــ من قبيل الباطل، مما معناه انحرافها عن الطريق

المستقيم فليس الانسان سيد الموقف، وانما الاجواء أو الاهواء.

وحيث تبين لزوم أن يكون العمل في قبال العمل ظهر بطلان كون النقد في قبال العمل، أو النقد في قبال النقد، لان النقد حوالة فقط، وربما كان النقد قد حصل من أتعاب الآخرين كما في الرأسمالية على قسميها الشرقي والغربي حيث يحصل النقد بسبب الاكراه الفردي أو الاكراه الاجوائي، ولذا نشاهد ما وقع في العالم ـ اليوم ـ من المفاسد والشرور، ولا علاج إلا بأن ترجع الامور الى نصابها الصحيح من الانتاج والاستهلاك والصرف الصحيح سواء للأنسان عملاً، أو للانسان فراغاً، أو لحاجياته التي يصرفها لأجل استمراره في الحياة. وإلاّ فالانحراف لا يولد إلاّ الانحراف.

وهناك أمثلة أخرى للانتاج الصحيح والفاسد، وللاستهلاك الصحيح والفاسد.

ومن المعلوم ان الانتاج الصحيح واحد وانما الانتاج الفاسد له شُعب كما ان من المعلوم ان الاستهلاك الصحيح واحد والاستهلاك الفاسد له شُعب. وانما ألمعنا الى امرين في كل منهما ألماعاً لا على طريق الحصر والتعداد.

النتائج الخطيرة :

وعلى أي حال فان ما ذكرناه هنا من الانحراف ان دل على شيء فانما يدل على ان الانسان يعيش في حالة غربة عن الكون وعن المجتمع وعن نفسه، وصدق قوله سبحانه وتعالى:

«نسوا الله فأنساهم أنفسهم»(الحشر/١٩)

فان الانسان الذي ينسى الله تعالى ينسى نفسه أولاً، ثم جسده ثانياً، ثم مجتمعه ثالثاً، ثم العالم الطبيعي الذي يعيش فيه رابعاً، بينما ان لم ينسَ الانسان الله أخذ بقوانينه فلا ينسى نفسه، ولا جسده، ولا مجتمعه، ولا عالمه الطبيعي الذي يعيش فيه.

فان هناك أربعة أمور:

الأول : الفطرة..

الثاني : الحاجة..

الثالث : الطبيعة..

الرابع : العالم المصنوع..

فالفطرة في داخل الانسان.

والحاجة انما تكون للجسد وللنفس أيضاً.

والطبيعة هي العالم الذي صنعه الله سبحانه وتعالى، والذي يعيش فيه الانسان سواء كان (عالماً طبيعياً) أو (عالماً اجتماعياً) أي سائر الناس الذين يكون الانسان معهم من مجتمع واحد يتبادلون الحاجات و العواطف والمتطلبات. والعالم المصنوع هو الذي يصنعه الانسان من الطبيعة لأجل أن يلائم حاجاته ومتطلباته.

مثلاً: الانسان بحاجة الى الاكل واللباس والمسكن والزوجة، فهو يزرع ويحصد ويخبز ليلائم أكله لا كالحيوان يأكل العشب و يلتقط الحب وكذلك يربي الاغنام ليتخذ من صوفها ملابس بعد الغزل والنسج والخياطة لا كالطيور والبهائم حيث تكتفي بما خلق عليها من الريش والوبر والشعر، وهكذا يصنع الآجر والجص والابواب الخشبية والحديدية من تراب الارض ومن الاشجار التي زرعها أو نبتت في الغابات أو المعادن ليسكن فيها بصورة الدار، أو يعملها بصورة حمام ليتنظف فيها، أو بصورة دكان ليجلس فيه وهو يبيع بضائعه، وليس كالحيوان الذي يعيش على الطبيعة في مسكنه أو بتطوير بسيط لها.

فلو استفاد الانسان من العالم الطبيعي بشكل مستقيم، وصنعه معتدلاً، وأعطى به حاجاته الحقيقية بغير افراط ولا تفريط وتبديل واختلاف في الكم أو في الكيف كان قد صرف الفطرة لاجل الحاجة، وأخذ من الطبيعة بقدر الواقع، وصنع للعالم المصنوع المحتاج اليه المتوسط بين الانسان وعالم الطبيعة طبقاً لحاجاته، وإلا كان انفصاماً في الفطرة، وتحريفاً لعالم الطبيعة، كما انه تحريف للصنع وللاستهلاك أيضاً..

مثلاً: لو أخذ ملابس كثيرة، أو أقل من المحتاج اليه، حتى أصبح عارياً عليه أمام أنظار الناس أو لم يُخط الثوب أو خاط الثوب خياطة بدقة متزايدة، أو خاطه بدون اتقان، أو لبس الثوب المهلهل، أو الثوب الضيق ـ بأن صنع الثوب على أحد النحوين ـ وكذلك اذا غالى في قيمة الثوب ـ بأن صنعه مطرزاً بالذهب واللآليء ـ أوسف في القيمة ـ بأن يكون من جل الحمير!ـ كان ذلك كله خلاف الفطرة وصرفاً غير صحيح

لانه أما قلة أخذ من الطبيعة، أو كثرة أخذ منها، أو تشديد زائد في الصنعة، أو اسفاف فيها، أو الاخذ من العالم المصنوع بقدر أزيد من حاجاته، أو بقدر أقل منها، فكل ذلك زيادة ونقيصة وتبديل وتحريف.

وكذلك الحال مع الزوجة والمعاشرة مع المجتمع فان كان هناك اسفاف ومغالات فكلاهما انحراف، وكل ذلك معناه الانفصام في الانسان عن الواقع وان يصبح الانسان غريباً عن نفسه وغريباً عن الطبيعة، وغريباً عن مجتمعه.. كما ابتلي بكل ذلك عالم اليوم، ففي جانب منه ارتفاع مغالياً فيه، وفي جانب آخر انخفاض مغالىً فيه، و بين ذلك تبديل وتحريف.

البحث عن الجذور

وغير خفي ان ما يشاهد في عالم اليوم من المظاهر السيئة في الانحراف والانفصام انما هي وليدة جذور منحرفة، فلا يمكن التخلص من هذه المظاهر السيئة إلا بتقويم الجذور وتعديلها، فان كل ظاهرة لابد لها من خلفية، والظاهرة لها آثار حسنة ان حسنت الخلفية، أو سيئة ان ساءت الخلفية، ولنمثل لذلك بمثال ملموس في جانب من جوانب الحياة وجدناه في العراق قبل الحرب العالمية الثانية، ورأينا خلافه بعد الحرب، وعلى ذلك تقاس سائر الامثلة، علماً بأن الاختلاف بين ظاهرتين حسنة وسيئة ليس من جهة وجود الحرب وكون الحرب فاصلاً بين السابق واللاحق، وانما في كل مكان من العالم كانت الظاهرتان سابقة، ولاحقة أما السابقة فهي حسنة على الاغلب للجذور الحسنة وأما اللاحقة فهي سيئة على الاغلب لتبدل الجذور من الحسنة الى السيئة، و بعد ذلك أعطت الظاهرتان آثاراً حسنة وسيئة، كل منها بحسبها.

ونتكلم حول ذلك في أربعة أمور:

الظاهرة الحسنة المبنية على الخلفية الحسنة.

والظاهرة السيئة المبنية على الجذور السيئة.

الظاهرة الحسنة :

الأول (الظاهرة الحسنة): منزل متواضع في بنائه يحتوى على عشراغرف يسكنها أب وأم لهما من الاولاد خمسة ومن البنات ثلاث وزوجوا الاولاد بخمس فتيات، كما زوجوا البنات بأكفاء وقد خرجت البنات من المنزل بدون احتياج الى معونة الأب والأم -إلا معونات بسيطة- كان الابوان قد جمعاها لهن تدريجياً من بعض الملابس والأواني والفرش.

وأما الاولاد فعندما تزوجوا اتخذ كل منهم مع زوجته غرفة من غرف البيت، لأن المهور كانت بسيطة في غاية البساطة، والاثاث كان بسيطاً في غاية البساطة، فاكتفى كل ولد مع زوجته بغرفة من غرف البيت، وبقيت غرفتان للأب والأم، وغرفة للضيوف وغرفة للأكل يجتمع الكل فيها على مائدة واحدة مع حفظ الحجاب، وغرفة للمخزن، وكان في البيت مطبخ هو مخزن للوقود كالحطب والفحم ومحفظة خشبية للأواني وكان في الدار ثلاثة سراديب سردابان كبيران وسرداب صغير: الصغير للأب والأم، وأحد السردابين الكبيرين للأولاد مع زوجاتهم -مع ستر بين كل ولد عن الولد الآخر- وسرداب لأجل صنع المخللات والخوابي وما اشبه، وفي البيت حوض يسحبون اليه الماء من البئر لأجل الاستعمال، أما ماء الشرب فيأتي به سقاؤون، ولا كهرباء في البيت، وانما كانت المصابيح النفطية المتعارفة في ذلك الزمان وكانت هنالك بئر مشتركة بين جارين كل واحد منهما ينضح منها الماء، وكان عمل العائلة صنع المخللات. وكانت الظروف مصنوعة من السفال وهناك بعض الظروف الصغيرة للمخللات كالاكواب والخوابي، وكانوا يتخذون الخل من التمر والفواكه التي كانت تزرع في نفس البلاد كالقثاء والشلجم والثوم وما اشبه، والكل يتعاونون في الطبخ والكنس وغسل الملابس وغسل المنزل وغزل المغزل لأجل اللباس وغير ذلك..

وكان أبو العائلة يشتري أول العام الأرز والسكر والشاي والفحم والدهن والحبوب والطحين لأجل حوائج السنة أو ستة أشهر، أما اللحم والفواكه والخبز فانها تشترى يوماً بعد يوم، مع أنه كان في البيت أيضاً تنور يخبزون فيه أحياناً لاسبوعهم.

وكانت حياتهم حياة عفاف وكفاف وقناعة، والرجال والنساء يتعاونون لأجل صنع المخللات اشتراءاً وعملاً و بيعاً في دكانهم المتواضع، وفي أيام الجمعة والاعياد والوفيات كانوا يذهبون الى الحرم الشريف والمزارات المقدسة، و يزورون بيوت الاقرباء والاصدقاء، وأحياناً كانوا يزورون المقابر. كما أنهم كانوا يحضرون مجالس الوعظ والارشاد. وكان الأب يعطي خمس الزائد في رأس كل عام لمرجعه كما ان الأب والأم والأولاد والزوجات كانوا يحضرون صلاة الجماعة في أكثر الايام. وقد أثرى هؤلاء بعد مدة، فاشتروا بستاناً كانوا يستعملون حطبه في وقودهم، وثماره في أكلهم ومخللاتهم، وكانوا يبيعون من البستان للانتفاع بأثمان المبيعات، و يتنزهون فيه جملة من الايام في كل عام، واذا إجتاحهم مرض كانوا يعالجونه بالادوية البسيطة الرخيصة جداً، وعند الولادة يستخدمون بعض نساء العائلة كقابلة واذا صعب الامر جاءوا بقابلة محترفة. وفي كل عام في أشهر الربيع كان الأب يغلق دكانه لذهب هو وعائلته الى زيارة الكاظمية وسامراء والمراقد المقدسة الاخرى.

وهكذا كانوا يعيشون عيشة رغيدة مرفهة بحنان ولطف وتعاون.

أما الحمام فلم يكن في البيت، وانما كانوا يستحمون في أغسالهم الواجبة والمستحبة وتنظيف أجسامهم في أشهر الصيف في داخل البيت، وفي الاشهر الاخرى كانوا يذهبون الى الحمامات العمومية.

وكان أثاثهم غالباً أثاثاً بسيطاً يقتنعون به مدة سنوات، سواء في الملابس أو الفرش أو الملاحف أو غيرها مما يحتاج اليها الانسان.

وكانوا يعيشون نظيفين حيث أنهم يعتقدون [ان النظافة من الايمان] حسب الحديث الوارد فكانوا نظيفين في أجسادهم و بيتهم وأثاثهم.

الخلفية :

وكانت الخلفية لهذه الظاهرة التي شاهدناها في هذه العائلة ــ ومثلهم كثيرون غيرهم ــ مبنية على خمسة أمور:

أولاً : الايمان بالله :

الايمان بالله واليوم الآخر، والخشية من الله في ارتكاب المعاصي أو ترك الواجبات ولذا كانوا يلتزمون بالطاعة ويجتنبون المعصية، وكانوا يلتزمون حسب المقدور بالمستحبات و يتركون المكروهات، مثلاً: يلتزمون بغسل الجمعة، كما أنهم كانوا يتركون النوم بين الطلوعين، و بعض منهم يعرف القراءة والكتابة فيقرء القرآن في كل صباح بصوت مرتفع لما ورد من ان ذلك يوجب الثواب في الآخرة والصحة والسلامة والثروة في الدنيا.

ثانياً : الفضيلة :

فقد كانوا يتمتعون بالفضائل الخلقية كالقناعة، والتعاون، وحسن الخلق، واحترام الصغير للكبير، وعفو الكبير عن الصغير، والكفاف، والعفاف، وعدم الحرص والحسد، وغير ذلك، ولهذا تمكنوا أن يتعاونوا بينهم في صفاء ووفاء ووئام. وقد حصل للعائلة بعد سنوات عدة من الاولاد. فمن الاول ثلاثة ومن الثاني اثنان، ومن الثالث اثنان أيضاً، ومن الرابع واحد، ومن الخامس أربعة.

وقد حصلوا بسبب الاصهار والانسباء ــ سواء من أبنائهم أو من بناتهم ــ على صداقات كثيرة مع عوائل متعددة كانت ثمان عوائل، فكان بينهم التزاور والتضايف والتعاون على مختلف الاصعدة.

ثالثاً : الاقتصاد السليم :

فقد كان الاكتفاء الذاتي سائداً على البلاد وكل انسان يمد رجله بقدر بساطه (كما يقول المثل المشهور) والرخص حاكم على المجتمع.

رابعاً : الخلفية السياسية :

فقد كان في الناس نوع من الرشد، فما كانت الضرائب المرهقة، كما كانت الحريات الواسعة، ولم يكن الربا والاحتكار والغش والمفاسد الاقتصادية الاخرى.. في البلاد مما تساعدها السياسة والاقتصاد المنحرف.

خامساً : المجتمع المستقيم :

حيث لم يكن في المجتمع التنافس الحقود وانما كان تنافس شريف في التقدم، وما كان السخط على العيش، بل كان المجتمع مجتمع الرضا، ولم يكن المتعارف بين الناس هضم حقوق الآخرين، وإنما كان كل واحد يعرف ان سحق حق الآخرين محرم.
وانه لا يجوز أكل أموال الناس بالباطل والتعدي على حقوق الآخرين، سواء في الاموال أو في الاعراض أو غيرها.. فهذه الخلفية التي كانت مهيمنة على أذهان كل المجتمع كانت من أسباب تلك الظاهرة.

تبدل الجذور:

١ ــ ضعف الايمان والخوف من الله سبحانه وتعالى، وارتقاب ثوابه والخشية من عقابه.

٢ ــ ضعفت الفضيلة فتبدل التعاون الى التدابر، وأخذ الحرص والطمع والتجمل

المتزايد والسرف والتبذير والانانية والكبرياء والغرور مكان الفضيلة.

٣ ــ صار الاقتصاد مرتبطاً بالخارج، من الخل الذي كان يأتي في قناني، الى أنابيب الماء واسلاك الكهرباء والقماش والمعلبات والغاز ــ الذي تبدل الحطب اليه ــ أو النفط المتزايد الذي لم يكن في السابق معروفاً بهذه الكيفية والكمية، وانما كانت العائلة تشتري النفط لأجل المصابيح بثمن زهيد ــ كما استوردت الادو ية ــ الحديثة بكثرة.

٤ ــ أخذ الربا والاحتكار والغش والخداع وأكل أموال الناس بالباطل في الظهور، ولذا احتاج الناس الى التثبت وتسجيل عقد النكاح وغير ذلك، بينما كان الانسان يكتفي سابقا بتسجيل العقد في ورقة صغيرة اذا باع داره او بستانه، منتهى الامر ان يزينوه بتوقيع عالم وشاهدين من كبار المنطقة، كما كانت القضايا تحل عند عالم المنطقة او الصنف، اما بعد ذلك وما تبدل الجذور فالقضايا لا تحل الا بالمحاكم والمحامين والرشوات و..

٥ ــ تبدل السياسة:

فجعلت الدولة الضرائب المرهقة مما سحب كثيراً من واردات الناس، وتضخم الجهاز الحكومي تضخماً كبيراً جداً، وكبتت الحريات مما أوجب عدم امكان التحرك الاقتصادي بسهولة.

٦ ــ تبدل الأخلاق:

فقد حلّ التباغض والحسد مكان التعاون وحب الخير للآخرين، وحلّ التجمل والحرص محل الكفاف والعفاف.

فكل شاب ينظر الى شاب آخر تزوج قبله مثلاً فيقول: المهر الذي دفعه فلان ألف دينار فلا يمكن أن يكون المهر الذي أدفعه أقل من ذلك، وداره أحسن وضيافته أدسم ودكانه خير وأثاثه وسيارته أجمل فتغيرت كل الجذور والخلفيات، وحتى ان أصوات

القرآن التي كانت تسمع من البيوت والدكاكين، والادعية التي كانت تتلى في الصباح والمساء والعصر كلها اختفت، واخذ أماكنها المذياع والتلفزه والموسيقى والرقص والمجون، وتقلص الحجاب تقلصاً سريعاً، وانتشرت الخمور ومحلات القمار ونوادي الفساد، وصار الشباب والشابات جيلاً منفصلاً عن الآباء والأمهات فلم يكونوا يحترمون الآباء والأمهات اطلاقاً، وانما يرمونهم بالخرافة والرجعية والجمود، كما ان الآباء أيضاً عجزوا عن نصح الاولاد لانهم رأوا أن الاولاد يقابلونهم بالسوء.

الآثار السيئة :

أما الأمر الرابع : فهو الآثار السيئة التي ترتبت على تلك الجذور التي تبدلت من الجذور الحسنة الى الجذور السيئة فهي كبيرة وكثيرة منها ــ مثلاً ــ بقاء البنين والبنات عزاباً وعوانس الى سن متأخرة، وبذلك تفشي الاستمناء والعلاقات الجنسية اللامشروعة والامراض التابعة لها كما كثر الفساد واختطاف البنات أو الاولاد لأغراض سيئة، وأخذ الشباب يسافرون مع زملائهم وزميلاتهم الى مناطق الفساد كما كثرت البطالة حيث لم تكن الاعمال المرجوة لهؤلاء الشباب. فالشباب غير مقتنعين بعمل الآباء، وانمايذهبون الى المدارس و يريدون الوظائف، وكذلك ازدادت السرقة، وارتفعت أسعار البضائع، وايجارات الدكاكين والبيوت، وأخذت تجمعات التخريب من الشباب الذين يجدى بهم من الخارج في الظهور، وكثر العداء والبغضاء والطبقات المتباعدة. ولذلك توترت العلاقات مع الانظمة فلم يتعاون معها أحد.

وتبعاً لكل ذلك كثرت الجرائم والقتل، وامتلأت السجون، وبدأ التعذيب في السجون لانتزاع الاعتراف من جمعيات التخريب أو السراق والقتلة وأمثالهم.. واذا بالمجتمع تبدل من الحسن الى السيء، وقد قال الله سبحانه وتعالى عن مثل ذلك:

«ظهر الفساد في البرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس ليُذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون»(الروم/٤١)

فظهور الفساد في البر والبحر انما هوبما كسبت أيدي الناس، لأنهم بدّلوا نياتهم

وعقائدهم وأخلاقهم واسلوبهم في الاقتصاد والسياسة والاجتماع فظهر الفساد.

وهكذا كانت الظاهرة السليمة مستندة الى خلفية سليمة، كما حصلت الظاهرة المنحرفة ذات الآثار السيئة من جذور منحرفة.

الظاهرة السلبية تعمّ :

وقد أصبح الاجتماع في الوقت الحاضر هكذا في كل العالم، مع تفاوت انحراف الخلفيات زيادة ونقيصة مما سبب تفاوت انحراف الظواهر الاجتماعية قلة وكثرة ولا علاج إلاّ بالرجوع الى الجذور وتعديلها وتصحيحها حتى تستقيم الظواهر.

ثم أن الظاهرة التي ذكرناها في التفاوت بين الاسرة السابقة ــ المبنية على الصحة ــ والاسرة الحديثة ــ المبنية على السقم ــ ليست خاصة بالاسر فقط، وانما كان ذلك مثالاً، بل ظهرت نفس الظاهرتين في المدارس والمستشفيات والمستوصفات والمعامل ودور الحكومة والشركات والدكاكين، بل ومحلات العبادة أحياناً وغيرها مع تفاوت بعضها عن بعض، فالصلاح كماء المطر اذا جاء سالت أودية بقدرها، والفساد كالنار اذا شبت كان لكل مكان نصيبه من النار، ولذا قال سبحانه:

«ولا تفسدوا في الارض بعد إصلاحها»(الأعراف/٥٦ــ٨٥)

وقال في آية أخرى:

«ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألدُّ الخصام. واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد. واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم وبئس المهاد»(البقرة/٢٠٤ــ٢٠٦)

الاسلام يعالج الجذور:

ولذا نرى ان الاسلام عالج الجذور أولاً وبالذات، وبنى الاسس الكفيلة لسعادة الانسان وعمارة الارض، ونذكر من هذه الاصول عشرين:

١ ـ أصالة الايمان : وهي (العقيدة).

٢ ـ أصالة الخضوع لله : وهي (العبادة) .

٣ ـ أصالة الخضوع للرسول(ص) ونوابه(ع) وهي (الطاعة) وتتبعها (البيعة).

٤ ـ أصالة الأخوة :

بأن يحب كل أحد لغيره ما يحب لنفسه وذلك يوجب الوحدة فيما بين الافراد.

٥ ـ أصالة التعاون :

و بذلك تتشكل الامة الواحدة التي ذكرها الله تعالى في قوله:

« كنتم خير أمةٍ أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله»(آل عمران/١١٠)

٦ ـ أصالة المساواة أمام القانون

٧ـ أصالة المسؤولية: وذلك بأن يسأل الانسان عن كل شيء من أفكاره وأعماله وأقواله.

٨ ـ أصالة الجزاء :

وذلك بأن يجازى كل انسان بعمله ان خيراً فخير، وان شراً فشر.

٩ ـ أصالة العدالة :

فان لكلٍ حقه السياسي والاجتماعي والاقتصادي وحقوقه الاخرى.

١٠ ـ أصالة العقوبة :

وذلك بمجازاة الانسان المتعدي على انسان آخر نفساً أو مالاً أو عرضاً فالزنا جزاؤه

الجلد، والقتل جزاؤه القتل وهكذا..

١١ ـ أصالة الاحسان :

وذلك باعطاء الانسان أكثر مما يأخذ. وذلك مأمور به في الشريعة الاسلامية لأجل استقامة الحياة. قال سبحانه:

«إنَّ الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي»(النحل/٩٠)

١٢ ـ أصالة الحرية :

وذلك عبر انطلاق الكفاءات.

١٣ ـ أصالة الصحّة :

في عمل المسلم وقوله وسائر شؤونه.

١٤ ـ أصالة الطهارة :

أي نظافة الانسان وأشيائه وكل شيء في الحياة ما لم يعلم انها قذرة.

١٥ ـ أصالة الاباحة :

وتعني اباحة الاشياء للانسان إلاّ ما خرج بالدليل.

١٦ ـ أصالة البراءة :

أي أن كل انسان لا يتحمل مالاً أو جرماً أو ما أشبه. مما لم يثبت.

١٧ ـ أصالة إحترام الانسان في كل شؤونه :

وهي : (الحرمة).

١٨ ــ أصالة الفضيلة :

أي التخلق بالاخلاق الحسنة فكراً وقولاً وعملاً. قال سبحانه:

«إلاّ من أتى الله بقلبٍ سليمٍ»(الشعراء/٨٩)

وقال في ضده:

«نار الله الموقدة التي تطَّلع على الافئدة»(الهمزة/٦ــ٧)

وقال سبحانه أيضاً:

«إنه عليمٌ بذات الصدور»(الملك/١٣)

هذا بالنسبة الى الفكر.

وأما بالنسبة الى القول، فقد قال سبحانه:

«وتحسبونه هيّناً وهو عند الله عظيمٌ»(النور/١٥)

الى غير ذلك مما ورد في المؤاخذة على القول أو كون القول الحسن فضيلة، كما قال سبحانه:

«ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرةٍ طيبةٍ أصلها ثابت وفرعها في السماء. تؤتي أكلها كل حينٍ باذن ربها»(ابراهيم/٢٤ــ٢٥)

وقال بالنسبة الى الكلام السيء:

«ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار»(ابراهيم/٢٦)

وأما بالنسبة الى الاعمال الجوارحية كأعمال العين والاذن والفم والبطن والفرج واليد والرجل وغيرها، فقال قال سبحانه:

«وقل آعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون»(التوبة/١٠٥)

وقال سبحانه :

«وأن ليس للانسان إلاّ ما سعى»(النجم/٣٩)

فأصالة التخلق بالاخلاق الحسنة واجتناب الرذائل هي: (الفضيلة).

١٩ ــ أصالة الملكية :

أي كون الانسان مالكاً لآثاره وما يحصله بسبب الاعمال وحيازة المباحات وما أشبه.

٢٠ ــ أصالة الارتباطات الاجتماعية :

أصالة الارتباطات النسبية والسببية كالزوجية والقرابة وهي (الصلة).

وبهذه الاصول العشرين التي ألمعنا اليها الماعاً نظّف الاسلام الجذور تنظيفاً كاملاً، وتبعاً للجذور النظيفة ظهرت الظواهر الحسنة، ولو سادت هذه الجذور في العالم (وكلها عقلية قبل أن تكون شرعية لانها كلها نابعة من الفطرة الانسانية كما ذكرناها) لصلح المجتمع، وساد الوئام والصفاء، ورفرف الخير على المجتمع وعلى الفرد.

بين مجتمع الايمان ومجتمع الكفر

وعلى هذا، فالمجتمع السليم هو المجتمع المؤمن بالله واليوم الآخر، الخاضع لأحكام الله ورسوله، ويكون الجميع فيه أخوة متساوين أمام القانون، والكل حرٌ مسؤول عن عمله بدون اكراه فردي أو اجوائي، وله أجره بدون استغلال انسان لانسان آخر، ولكل حقوقه السياسية والاقتصادية والاجتماعية على قدم المساوات ، وبقدر الكفاءات، ولو تعدى انسان على انسان آخر عوقب المتعدي، وان كان المتعدى عليه العفو، فالانسان محترم، متخلق بالفضيلة وليس عبداً لشهوة أو مال أو جاه، وهو يملك كل آثاره مما حصله، فهو مسلط على نفسه وماله في اطار عدم الاضرار بالآخرين من جيله المعاصر والاجيال الآتية، وتُحفظ في مثل هذا المجتمع أواصر العائلة والاقرباء، والاصل في هذا المجتمع بالنسبة الى كل فرد فرد (البرائة) حتى تثبت ادانته أو دينه، والاصل في عمله الصحة فلا يحمل عمله على الفساد، وكل شيء للانسان في هذا المجتمع طاهر حلال حتى يثبت

خلافه، ومثل هذا المجتمع يصبح الفرد فيه كالمجتمع العام أيضاً باطنه الأمن والحب وظاهرة التنعم والتقدم وليس مثل هذا المجتمع اجنبياً عن نفسه ومنفصماً عن ذاته، ولا له وجهان: ظاهر و باطن متخالفان، بل الظاهر والباطن والفرد والمجتمع كلها وحدة واحدة تسير الى الامام، وفي مثل هذا المجتمع يكون (الانسان) المحور وسائر الاشياء خدم له.. فهو مجتمع انماء الكفاءات والتعالي، وتبادل الحب، وتقدم الافضل فالافضل.

لكن مثل هذا المجتمع لا يوجد إلاّ تحت مظلة الانبياء(ع) أما المجتمع العالمي الحاضر الذي وجد تحت مظلة المادة والشهوة فليس الآ المجتمع الذي يتأخر يوماً بعد يوم، وهو مجتمع تحطيم الكفاءات، وتبادل البغضاء وتقديم الاسوء فالاسوء،..الخ.

الفقر في ظل الأنظمة المعاصرة :

والصياغة الجديدة التي تريد أن تقضي على الفقر والانحراف العالمي يجب أن تهدم هذا النظام الرأسمالي ـ الذي يمارسه الغرب والشرق والبلاد الدائرة في أفلاكهما ـ فان هذا النظام سبب الفقر في الغرب لسببين، وفي الشرق لثلاثة أسباب، وفي العالم الثالث لأربعة أسباب، فما دام هذا النظام موجوداً فالفقر ضارب بأجرانه على كل العالم.

أما سبب الفقر في الغرب فهو:

أولاً : سرقة الرأسماليين ثروات الفقراء تحت ستار مختلف القوانين والانظمة، كأنظمة البنوك الربوية وأنظمة الاحتكارات الجماهيرية وعدم اعطاء حق العامل والفلاح والموظف ومن اليهم بقدر ما يعملون.

ثانياً : عدم اعطاء (رأس المال) المجال لأكثرية الشعب حتى يتمكن الانسان من استثمار مواهبه، مثلاً: المثقف له من الحق أكثر من حق العامل البسيط الجاهل، والانسان اذا هُيئت له الاجواء أصبح طبيباً ومهندساً ومحامياً واستاذاً وغير ذلك، لكن الرأسمال لا يعطي المجال لهؤلاء حتى تتفتق مواهبهم وحتى يكونوا في صف العليه من القوم ،فيتأخرون، ولذا يحرمون من استثمار مواهبهم وعائدات مواهبهم التي تعود اليهم،

مثلهم في ذلك مثل انسان يعيش على معدن و يتمكن من استخراج المعدن حتى يرفع حالته ويحسن معيشته، لكن الانظمة التي وضعها الدكتاتوريون تمنع من استخراج المعدن.

يقول الامام أميرالمؤمنين عليه الصلاة والسلام في جملة حكمة بعثة الانبياء(ع):

[وليثيروا لهم دفائن العقول]

يعني أن : الانبياء(ع) يثيرون للناس دفائن عقولهم حتى يتمكنوا من الاستمتاع الكامل بالحياة ورؤية الطريق.

هذا بالنسبة الى **الفقر** في الغرب.

أما الفقر في الشرق فيضاف الى السببين الموجودين في الغرب سبب ثالث، وهو: ان الدولة المستبدة تستنفد آخر قطرة من ثروات الناس، وليس هناك في الشرق من يدافع عن العمال والفلاحين والموظفين وسائر طبقات الشعب، بينما في الغرب ديمقراطية مهلهلة، ودفاع صوري يوقف الرأسماليين والدولة عند حدهما ولو بقدر، وهذا الشيء مفقود في الشرق٠ الشيوعي.

أما في العالم الثالث (حسب المصطلح) فيضاف الى الاسباب الثلاثة سبب رابع هو: ان المواد الخام التي هي ملك طبيعي للناس يشتريها الشرق والغرب منهم بأقل قدر ممكن، وليست القيمة عادلة ،لكنهم مضطرون من البيع للشرق والغرب، ثم اذا صنع الشرق والغرب تلك المواد باعا المصنوع للعالم الثالث بأكثر من الثمن. والانظمة الموجودة في العالم الثالث ـــ وهي أنظمة تابعة للشرق أو الغرب أما بشكل صريح أو مغلف ـــ تساعد ذلك.

الحدود الجغرافية والطبقية المقيتة

ثم أنه اذا كان اختلاف سطح الثروة في بلدٍما، سابقاً، يسبب فقر جماعة وغنى جماعة كان الفقراء يعالجون المشكلة بالذهاب الى بلاد الغنى، لأن الثروة للكل، والله سبحانه وتعالى لم يخلق البشر لأن يكون بعضهم رأسماليين كبار وأصحاب مليارات وملايين،

و بعضهم يتضورون جوعاً ولا يجدون حتى لقمة العيش وغذاءاً كافياً ودواءاً ينقذهم من الامراض، ولذا كان السطح يتعادل، مثلاً: لما وجدت الثروة في اوربا نزح جماعات كبيرة من الآسيويين الى هناك،ولماظهرت امريكا نزحت الملايين من اوربا الى امريكا.

أما في الوقت الحاضر فقد جعلت الانظمة المنحرفة للبلاد سياجاً محكماً لا يتمكن الفقير من دخولها، ولذا بقي الفقراء فقراء بل ازدادوا فقراً ووصل الاغنياء الى فوق حد التخمة، بينما كان مقتضى القاعدة ان يتمكن الانسان (وهوعيال الله سبحانه وتعالى كما في الاحاديث) ان يذهب الى اي مكان شاء من الارض و يكتسب و يكد ويجتهد و يستخرج ثروات الارض.

وعلى هذا، فقد حدث شيئان كلاهما خلاف فطرة الانسان وخلاف شرائع السماء.

الشيء الأول: ان البلاد الغنية لا تتقبل الفقراء، فهناك سياج بين البلاد الغنية والبلاد الفقيرة يمنع دخول الفقراء في بلاد الاغنياء.

والسبب الثاني: ان البلاد الغنية تمتص الثروة من البلاد الفقيرة ــ كما تقدم ــ بمختلف الوسائل والسبل والانظمة والحكومات العميلة، بسبب الخبراء، بسبب تصدير المصنوعات، بسبب نهب الخيرات والمواد الخام، وغير ذلك، فبينما كان الفقراء يذهبون في السابق الى البلد الذي يزداد غنى يكونوا أغنياء (كما هوغنيٌّ أيضاً) نشاهد في الوقت الحاضر أنه لا يسمح للفقير بدخول أراضي الله الواسعة، و بالاضافة الى ذلك تمتص البلاد الغنية بقايا الثروة الموجودة في بلاد الفقراء وتكدسها فوق ثرواتها، ولذا تجد في الغرب وفي البلاد الغنية أصحاب المليارات، وتجد في البلاد الفقيرة مئات الملايين من الجائعين.

الفقراء يتحسّسون واقعهم!

ثم ان الفقراء في العالم السابق ما كانوا يحسون بمشكلة فقرهم بمقدار ما يحسون في الزمن الحاضر، فقد زاد احساس الفقراء بفقرهم حساً متزايداً مما سبب لهم عقداً نفسية ومشاكل جمة، وانما زاد احساس الفقراء بفقرهم لأسباب:

الأول : الوسائل العالمية التي أوصلت العالم بعضه ببعض، من راديوات وتلفزيونات ومدارس وكتب ومجلات وجرائد وسينماءات وأفلام وأشرطة وغير ذلك.

الثاني : الأسفار التي سببت اتصال الفقراء بالاغنياء، واتصال الاغنياء بالفقراء، فوجد الفقراء العيشة المرفهة عند الاغنياء، فازدادوا حساً بفقر أنفسهم.

الثالث : الحروب خصوصاً الحرب العالمية الثانية، حيث احتاج الغرب والشرق الى المال، فجاءوا لنهب معادن البلاد الفقيرة، فعرق الفقراء كيفية عيش الاغنياء، و بذلك ازدادوا حساً بالفقر والظلم والاضطهاد والتأخر.

الرابع: فضح كل من القدرتين العظمين ومن في فلكهما ــ يعني امريكا ومن في فلكها كالبلاد البريطانية والفرنسية والالمانية واليابانية وغيرها من هذا الجانب، وروسيا والبلاد التي في فلكها من الجانب الآخر، فضح كل منهما القدرة الاخرى، حيث ان كل قدرة ارادت استعمار الناس فضحت القدرة الاخرى بأنها تعيش في رفاه و بحبوحة من الخير، بينما البلاد الفقيرة تعيش فقراً مدقعاً، حتى تسبب هذه القدرة سحب أنظار البلاد الفقيرة الى نفسها، مما سبب تفتح عيون الفقراء والمضطهدين، ومعرفتهم كيفية تحطمهم وفقرهم وذلهم وتأخرهم ولم يكن هذا الشيء موجوداً في السابق.

الخامس : أنظمة بلاد الفقراء سببت تفتح عيون الفقراء، حيث ان الحكومات التي تسيطر على تلك البلاد على الاغلب دول دكتاتورية تهيء لنفسها كل الخيرات، فترى الشعوب كيفية حياتها المترفة، مما يوجب نطلب الشعوب مثل تلك الحياة، لكن حيث لا يتمكنون منها يقع بين الدولة والشعب التنازع والتنافر والخصام، و ينتهي الى الثورات والحروب والانقلابات وغيرذلك. مما يسبب إحساس الفقراء بالفقر أكثر فأكثر.

فالفقراء ــ بالاضافة الى ان الفقر انه أمر واقعي في بلادهم ــ فهو شيء ملموس لهم، وفرق بين مريض لا يعلم بأنه مريض، و بين مريض يعلم بأنه مريض فهذه المعرفة تسبب له آلاماً نفسية بالاضافة الى واقعه الخطير.

وعلى أي حال : فالفقراء يزدادون فقراً بصورة مستمرة لحساب تقدم بلاد الاغنياء و بصورة مستمرة.

نتائج الفقر

أما نتائج الفقر والتأخر فهي كثيرة نذكر منها عشرين:

الأول :

ضعف العقيدة وانتشار الرذيلة، وقد ورد في الحديث:

[كاد الفقر أن يكون كفراً].

وفي حديث آخر:

[الفقر سواد الوجه في الدارين]

ومن الطبيعي ان الكفر والرذيلة مقترنان.

الثاني :

ارتفاع نسبة الامراض وكثرة الموت، ولذا نشاهد ان الامراض في البلاد الفقيرة أكثر من الامراض في البلاد الغنية، كما ان الموت المبكر يوجد في البلاد الفقيرة بصورة مذهلة، وكثير من الاطفال يموتون جوعاً أو لسوء التغذية أو لعدم استقامة البيئة، بينما هذه الامور ليست موجودة في بلاد الاغنياء بهذا الشكل.

الثالث :

قلة الزواج وكثرة العذاب والعوانس، فان الزواج له تكاليفه، بحيث ان الفقير لا يتمكن من تحملها، فيبقى عازباً وعازبة، ومن الواضح ان عدم الزواج يسبب الآلام النفسية كما يسبب الآلام الجسدية والامراض وغير ذلك.

الرابع : سوء التغذية.

الخامس : تلوّث البيئة.

السادس : ارتفاع نسبة الجهل ارتفاعاً كبيراً.

السابع : كثرة النزاع، فان الفقر ــ بالاضافة الى انه بنفسه يسبب النزاع بين جانبين يتجاذبان شيئاً من الثروة ــ فهو يسبب سوء الخلق، وسوء الخلق ينتهي الى النزاع والشقاق، والطلاق في بلاد الفقراء أكثر منه في بلاد الاغنياء.

الثامن : كثرة البطالة.

التاسع : العقد النفسية.

العاشر : قلة وسائل الراحة، فان الفقير لا يتمكن من أوليات حياته فكيف يتمكن من تهيئة وسائل الراحة لنفسه ولعائلته؟

الحادي عشر: أخر المرأة تأخراً فضيعاً، وسقوط جملة منهن في بؤرة الرذيلة، أما حقوقهن السياسية والاجتماعية والاقتصادية فليس منها أثر.

الثاني عشر: قلة الاستهلاك تبعاً لقلة الدخل.

الثالث عشر: استخدام الاطفال قبل السن المقررة للخدمة، لان الفقراء يضطرون الى استخدام أطفالهم في خدمات شاقة و باجور زهيدة، لعلهم يتمكنون من سد بعض حاجاتهم الملحة الضرورية.

الرابع عشر: الدكتاتورية في الحكم، ولذا لا تجد في البلاد المتأخرة حتى بلداً واحداً ديمقراطياً حتى بقدر ديمقراطية الغرب.

الخامس عشر: قلة الوعي، والوعي الموجود شاذ نادر حتى يصح أن يقال بأنه كالعدم.

السادس عشر: يباب الصحارى، لان الصحارى لا يمكن أن تثمر إلا بالوسائل، و بالمال، هذا بالاضافة الى قانون (الاصلاح الزراعي!) الذي يفرض في أمثال هذه البلاد لأجل تحطيم الزراعة واللحوم والالبان ومنتجاتها حتى يبيع الغرب والشرق لمثل هذه البلاد: الحبوب ومنتجاتها واللحوم ومشتقاتها.

السابع عشر: قلة النظام، فان الانسان الذي لا يتمكن من سد جوعه أو ستر جسده، هل يمكن أن يفكر في جعل النظام أو ان يلتزم بالنظام؟

الثامن عشر: قلة النظافة:

أولاً : لقلة الوعي.

وثانياً : لقلة الماء.

وثالثاً : لقلة الوسائل.. الى غير ذلك.

التاسع عشر: عدم التمتع بخيرات الصناعة، فالصناعة في تلك البلاد قليلة جداً لأنهم لا يملكون القوت فهل يتمكنون من شراء السيارة والثلاجة والغسالة وغيرها؟

العشرون: عدم نمو الكفاءات، لان الكفاءات انما تتفتق في بيئة علمية حرة مشجعة لنمو الكفاءات، وكل هذه المؤهلات غير موجودة.

الى غير ذلك من العلائم والآثار والاضرار النازلة بالعالم المتأخر.

وليس علاج تأخر العالم الثالث بالمعونات وتغيير الانظمة بالانقلابات وما أشبه، والمؤتمرات ونحوها، وانما العلاج: تغيير النظام العالمي من الرأسمالية ـــ الغربية والشرقيةـــ الى النظام المالي المعتدل الذي يعطي لكل انسان حقه، ولكل انسان عمله، وكل انسان فيه حر في أن يكتسب ما يشاء بحيث لا يضر الآخرين، وأن يتعلم، وأن يسير وأن يتقدم كما يريد.

عاملان أساسيان وراء المشكلات

وأخيراً : فان كل مشاكل العالم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها ناشئة عن أمرين أساسيين:

احدهما:

عدم الايمان بالله واليوم الآخر، حتى بالنسبة الى كثير من الذين يقولون: (انا مؤمنون) **فان الايمان أحياناً شعار ولفظ واعمال مبتورة، وأحيانا يكون ناشئاً عن قلب الانسان وعمقه بأن يكون الايمان مخالطاً لحمه ودمه وظاهره و باطنه، فان الانسان المؤمن هو الذي يتقي الله في الظلم والتعدي وأكل حقوق الآخرين و يتقي الله أيضاً حتى من البطالة والاسراف والتبذير والتقتير وغير ذلك.**

والثاني:

هو الجهل، فانه ربما يكون الانسان مؤمناً واقعاً، لكنه جاهل، والجهل يوجب عدم تمكن الانسان من فهم الحياة (أي فهم الاقتصاد وفهم السياسة وفهم الاجتماع).

ولا نقصد بالجهل أن يكون الانسان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة، اذ في كثير من الاحيان (كما نشاهد في العالم الثالث وفي غير العالم الثالث) يكون خريج الجامعة والمهندس والدكتور والمحامي والطبيب وغيرهم أميين جهلاء باسلوب الحياة، فان معرفة الطب شيء ومعرفة كيفية تسيير الحياة شيء آخر، ولذا نجد في العالم الثالث ألوف الدكاترة والمهندسين والعلماء والاطباء وغيرهم من ذوي الشهادات الراقية ومع ذلك لا يتمكنون أن يفهموا كيف يعيشون؟

ومن الواضح، ان من لا يفهم كيف يعيش يعدّ جاهلاً، وان كان يعرف الكتابة والتأليف وعلاج المرضى والدفاع عن أطراف الدعاوي، والى غير ذلك.

نحو تعميم الايمان والعلم

فمن الضروري تعميم الايمان وتعميم العلم اذا أردنا اجتثاث جذور الفقر من العالم كله لا في بلادنا فحسب، بل في بلاد الشيوعيين بطريق أولى لانهم أجهل بطريق الحياة من العالم الثالث، وفي بلاد الغربيين أيضاً لأنهم أيضاً جهلاء بطريق العيش والحياة لانهم لو كانوا يعلمون طريق العيش والحياة لم تتحكم فيهم الرأسمالية الجائرة ولم يتحكم فيهم الاستعمار والاستغلال، لوضوح ان الانسان بفطرته المدعومة بالايمان والعلم يأبى حتى عن استعمار الآخرين واستغلالهم.

ولذا ورد في الاحاديث الكثيرة ــ تبعاً للآيات الشريفة ــ تأكيدات على الايمان وعلى العلم، وانا نذكر طائفة من الروايات الواردة في هذا الباب حول العلم تتميماً للمقصد.

فقد قال رسول الله(ص) :

[من عمل على غير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلح]

وعن أبي عبد الله (ع) قال:

[طلب العلم فريضة]

وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله عليه الصلاة والسلام قال: قال رسول الله(ص):

[طلب العلم فريضة على كل مسلم، ألا أن الله يحب بغات العلم]

وعن رسول الله (ص) قال:

[طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة]

وروي محمد بن علي القتال عن النبي(ص) انه قال:

[اطلبوا العلم ولو بالصين، فان طلب العلم فريضة على كل مسلم].

وعن الامام أمير المؤمنين(ع) قال:

[الشاخص في طلب العلم، كالمجاهد في سبيل الله، ان طلب العلم فريضة على كل مسلم]

وعن النبي (ص) انه قال:

[من تعلم باباً من العلم عمن يثق به كان أفضل من أن يصلي ألف ركعة]

وروي عنهم عليهم الصلاة والسلام:

[طلب العلم فريضة من فرائض الله]

وروى المجاشعي، عن الرضا عن آبائه عن علي صلوات الله عليهم أجمعين قال: قال رسول الله (ص):

[العالم بين الجهال كالحي بين الاموات ــ الى أن قال ــ: **فاطلبوا العلم فانه السبب بينكم وبين الله عزوجل وان طلب العلم فريضة على كل مسلم].**

وعن الحسين بن زيد بن علي، عن الرضا، عن علي عليهم الصلاة والسلام قال:

[طلب العلم فريضة على كل مسلم فاطلبوا العلم من مظانه واقتبسوه من أهله]

وعن رسول الله (ص) قال::

[ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساءاً جهالاً فسألوا بغير علم فضلوا أو أضلوا]

ومن الواضح، ان الافتاء بغير علم ليس خاصاً بموازين القضاء والمرافعات والشكايات، بل يشمل كل أقسام العلم كالعلوم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية والحيوية وغيرها.

وعن النبي (ص) انه قال:

[أربعة تلزم كل ذي عقل وحجى من أمتي قيل: يارسول الله وما هي؟

قال: استماع العلم وحفظه والعمل به ونشره]

وعن أبي عبد الله الصادق عليه الصلاة والسلام قال:

[أطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار]

الى غيرها من الروايات الكريمة.

تعاليم اسلامية في الكسب والتجارة
الاسلام يدعو الى التجارة والكسب:

عن المعلى بن خنيس قال رآني ابوعبدالله(ع) وقد تأخرت عن السوق فقال: (اغد الى عزك).

وعن روح، عن أبي عبدالله(ع) قال: (تسعة أعشار الرزق في التجارة).

وعن عبد المؤمن الانصاري، عن أبي جعفر(ع) قال: قال رسول الله(ص): (البركة عشرة أجزاءتسعة أعشارها في التجارة والعشر الباقي في الجلود).

قال الصدوق يعني بالجلود الغنم، واستدل بما عن الحسين بن زيد، عن أبيه زيد بن علي، عن آبائه(ع) عن النبي(ص) قال: (تسعة أعشار الرزق في التجارة، والجزء الباقي السابيا) يعني الغنم.

[أقول: ذلك محمول على زمان ورود الرواية].

وعن على(ع) ــ في حديث الاربعمائة ــ قال:

[تعرضوا للتجارات فان لكم فيها غنى عما في أيدي الناس، وان الله عزوجل يحب المحترف الامين، المغبون غير محمود ولا مأجور].

(أي لا يحمده الناس ولا يعطيه الله الاجر).

وعن علي(ع) في بيان معايش الخلق «الى أن قال» (وأما وجه التجارة فقوله تعالى:

«يأأيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه»(البقرة/٢٨٢)

فعرفهم سبحانه كيف يشترون المتاع في الحضر والسفر؟ وكيف يتجرون اذ كان ذلك من أسباب المعاش؟).

عن محمد الزعفراني، عن أبي عبدالله(ع) قال: (من طلب التجارة استغنى عن الناس، قلت: وان كان معيلاً ؟ قال:(وان كان معيلا إن تسعة أعشار الرزق في التجارة).

وعن ابن بكير عمن حدثه، عن أبي عبدالله(ع) قال: (التجارة تزيد في العقل). (لوضوح ان العقل العملي في العمل).

وعن هشام بن أحمر قال: كان أبو الحسن(ع) يقول لمصادف: (أغد الى عزك، أعني السوق).

وعن الفضل بن أبي قرة، عن أبي عبدالله(ع) (في حديث)، أن أميرالمؤمنين(ع) قال للموالي: (اتجروا بارك الله لكم، فاني سمعت رسول الله(ص) يقول: الرزق عشرة أجزاء تسعة أجزاء في التجارة وواحدة في غيرها).

وعن علي بن عقبة قال: قال ابو عبد الله(ع) لمولى له: (ياعبدالله احفظ عزك) قال: وما عزي جعلت فداك؟ قال: (غدوك الى سوقك، واكرامك نفسك).

وقال لآخر مولى له: (مالي أراك تركت غدوك الى عزك)؟ قال: جنازة أردت أن أحضرها، قال: (فلا تدع الرواح الى عزك).

وعن عبد الاعلى قال: سألت أبا عبدالله(ع)، عن قول الله:

«ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»(البقرة/٢٠١)

قال: (رضوان الله والجنة في الآخرة والسعة في المعيشة وحسن الخلق في الدنيا).

وعنه (ع) قال:

[في الدنيا رضوان الله والتوسعة في المعيشة وحسن الصحبة وفي الآخرة الجنة].

وعن رسول الله(ص) إنه مرّ في غزوة تبوك بشاب جلد يسوق ابعرة سماناً، فقال أصحابه: يارسول الله لو كانت قوة هذا وجلده وسمن ابعرته في سبيل الله لكان أحسن، فدعاه رسول الله(ص) فقال: أرأيت ابعرتك هذه، أي شيء تعالج عليها؟ فقال: (يارسول الله لي زوجة وعيال فأنا أكسب بها ما أنفقه على عيالي وأكفهم عن الناس، وأقضي ديناً علي)، قال: لعل غير ذلك؟ قال: لا، فلما انصرف قال رسول الله(ص):

[لئن كان صادقاً ان له لأجراً مثل أجر الغازي وأجر الحاج وأجر المعتمر].

وفي المقنع، قال الصادق(ع):

[من لزم التجارة استغنى عن الناس].

وروى على بن ابراهيم في تفسيره، مرسلاً في سياق قصة مريم وولادة عيس(ع) (الى أن قال): ثم استقبلها قوم من التجار فدلوها على النخلة اليابسة فقالت لهم: (جعل

الله البركة في كسبكم وأحوج الناس اليكم).

وعن أبي امامة قال: قال رسول الله(ص): (الخير عشرة أجزاء أفضلها التجارة، اذا أخذ الحق وأعطى الحق).

وعنه (ص)، انه قال:

[تسعة أعشار الرزق في التجارة].

وعنه (ص)، انه قال:

[أطيب ما أكل الرجل من كسبه وولده من كسبه].

وعن أمير المؤمنين(ع) في حديث انه قيل له: و بم الافتخار؟ قال:

[بأحدى ثلاث، مال ظاهر أو أدب بارع، أو صناعة لا يستحيي المرء منها].

وعن أبي عبد الله(ع)، انه سأل بعض أصحابه عما يتصرف فيه؟ فقال: جعلت فداك اني كففت يدي عن التجارة؟ قال: ولم ذلك؟ قال: إنتظاري هذا الامر، قال: (ذلك وأعجب لكم يذهب أموالكم لا تكفف عن التجارة والتمس من فضل الله، إفتح بابك، وابسط بساطك، وإسترزق ربك، واذا كنت في تجارتك وحضرت الصلاة فلا يشغلك عنها متجرك، فان الله وصف قوماً ومدحهم فقال:

«رجالٌ لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله»(النور/٣٧)

وكان هؤلاء القوم يتجرون، فاذا حضرت الصلاة تركوا تجارتهم وقاموا الى صلاتهم وكانوا أعظم أجراً ممن لا ينحرف و يصلي).

وفي المقنع عن الصادق(ع)، انه قال:

[لا تترك التجارة، فان تركها مذهبة العقل].

وعن ابن عباس، انه قال: كان رسول الله(ص) اذا نظر الى الرجل فأعجبه قال: له حرفة؟ فان قالوا: لا قال: سقط من عيني، قيل: وكيف ذاك يارسول الله؟ قال: (لأن المؤمن اذا لم يكن له حرفة يعيش بدينه).

وعن عبد الرحمن بن الحجاج، عن أبي عبد الله(ع) قال: ان محمد بن المنكدر كان يقول: ما كنت أرى ان مثل علي بن الحسين(ع) يدع خلفاً لفضل علي بن الحسين(ع) حتى رأيت ابنه محمد بن علي(ع) فأردت أن أعظه فوعظني، فقال له أصحابه: بأي شيء وعظك؟ قال: خرجت الى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة فلقيت محمد بن علي(ع)،

وكان رجلاً بديناً وهو متكيء على غلامين له اسودين، او موليين له، فقلت في نفسي شيخ من شيوخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا والله لأعظنه، فدنوت منه فسلمت عليه فسلم على بنهر وقد تصبب عراقاً، فقلت: اصلحك الله شيخ من اشياخ قريش في هذه الساعة في طلب الدنيا لو جائك الموت وانت في هذه الحال؟ قال: فخلى عن الغلامين من يده ثم تساند وقال: (لو جائني والله الموت وأنا في هذه الحال جائني وأنا في طاعة من طاعات الله، أكف بها نفسي عنك وعن الناس، وانما كنت أخاف الموت لو جائني وأنا على معصية من معاصي الله) فقلت: يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني.

وعن ابن فضال عن الصادق، عن أبيه، عن آبائه(ع)، عن النبي(ص) قال: (الشاخص في طلب الرزق الحلال كالمجاهد في سبيل الله).

وعن موسى بن اسماعيل بن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه(ع) قال: قال رسول الله(ص): (العبادة سبعون جزءاً أفضلها جزءاً طلب الحلال).

وفي رواية أخرى قال(ص): (العبادة عشرة أجزاء تسعة أجزاء في طلب الحلال).

أقول: الجمع بينهما بمراتب الفضل.

وعن أمير المؤمنين(ع)، انه قال:

[ما غدوة أحدكم في سبيل الله بأعظم من غدوته يطلب لولده وعياله ما يصلحهم].

وعن رسول الله(ص)، انه قال:

[إنه ليأتي الرجل منكم لا يكتب عليه سيئة وذلك انه مبتلى بالمعاش].

وعنه (ص)، انه قال:

[ان من الذنوب ذنوباً لا يكفرها صلاة ولا صدقة، قيل: يارسول الله فما يفكرها؟ قال: الهموم في طلب المعيشة].

وفي لب اللباب، عن الصادق(ع)، انه قال: إني لا ركب في الحاجة التي كفاها الله، ما أركب فيها الا لالتماس ان يراني أضحى في طلب الحال، أما تسمع قول الله:

«فاذا قُضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله»(الجمعة/١٠)

وفي الغرر، عن أمير المؤمنين(ع) انه قال: (الرحال تفيد المال).

وعن الصادق(ع)، انه قال:

[ثلاثة يدعون فلا يستجاب لهم: رجل جلس عن طلب الرزق ثم يقول: اللهم ارزقني، يقول الله تبارك وتعالى: ألم أجعل لك طريقاً في الطلب؟](الخبر).

وعن الصادق(ع) قال:

[أربعة لا يستجاب لهم دعاء: رجل جالس في بيته يقول: يارب ارزقني، فيقول له: ألم آمرك بالطلب](الخبر).

(ذكر الثلاثة مرة وأربعة مرة) باعتبار اختلاف محل الحاجة بالنسبة الى السائل.

وفي الحديث انه لما نزل قوله تعالى:

«ومن يتق الله يجعل له مخرجاً و يرزقه من حيث لا يحتسب»(الطلاق/٢ــ٣)

إنقطع رجال من الصحابة في بيوتهم واشتغلوا بالعبادة وثوقاً بما ضمن لهم، فعلم النبي(ص) ذلك، فعاب ما فعلوه، وقال:

[إني لأ بغض الرجل فاغراً فاه الى ربه يقول: اللهم ارزقني و يترك الطلب].

وعن عبدالله عن محمد، عن موسى قال: حدثنا أبي عن أبيه عن جده جعفر بن محمد، عن ابيه عن جده علي بن الحسين، عن ابيه، عن علي بن ابي طالب(ع) قال: قال رسول الله(ص): (نعم العون على تقوى الله الغنى).

وعن ذريح قال: قال ابوعبدالله(ع): (نعم العون الدنيا على الآخرة).

وعن أبي يعفور قال: قلت لأ بي عبدالله(ع): إنا لنحب الدنيا! فقال لي: تصنع بها ماذا؟ قال: أتزوج منها، وأنفق على عيالي، وأنيل أخواني، وأتصدق، قال لي: (ليس هذا من الدنيا، هذا من الآخرة).

وعن ابراهيم بن عبدالحميد، عن أبي الحسن(ع) قال: كان لقمان يقول لابنه: (يابني ان الدنيا بحر، وقد غرق فيها جيل كثير (الى أن قال): يابني خذ من الدنيا بلغة، ولا تدخل فيها دخولاً تضر فيها بآخرتك، ولا ترفضها فتكون عيالاً على الناس)(الخبر).

ومن كلام لعلي(ع) بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي يعوده، فلما رأى سعة داره قال:

[ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا، أما أنت اليها في الآخرة كنت أحوج؟ وبلى ان شئت بلغت بها الآخرة. تقرى فيها الضيف وتصل فيها الرحم وتطلع منها الحقوق مطالعها، فاذا أنت قد بلغت بها الآخرة].

وعن علي الاحمسي، عمن أخبره، عن أبي جعفر(ع)، انه كان يقول: (نعم العون الدنيا على الآخرة).

وروى الراوندي في لب الالباب، عن النبي(ص)، انه قال: (من طلب الدنيا حلالاً استعفافاً عن المسألة وسعياً على عياله وتعطفاً على جاره لقى الله ووجهه كالقمر ليلة البدر).

وفي الغرر، عن أمير المؤمنين(ع)، انه قال: (ألا وأن من النعم سعة المال، وأفضل من سعة المال صحة البدن، وأفضل من صحة البدن تقوى القلب).

وعن زياد القندي قال: كان أبوعبدالله(ع) اذا رأى اسحاق بن عمار واسماعيل بن عمار قال: (وقد يجمعهما لا قوام) يعني الدنيا والآخرة .

وروى علي بن ابراهيم (في تفسيره) قال: وذكر رجل عند أبي عبدالله(ع) الاغنياء ووقع فيهم، فقال أبوعبدالله(ع): (اسكت، فان الغني اذا كان وصولاً لرحمه، وباراً بأخوانه أضعف الله له الاجر ضعفين، لأن الله يقول:

«وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زُلفى إلاّ من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضِّعف بما عملوا، وهم في الغرفات آمنون»(سبأ/٣٧)

وروى الديلمي في ارشاد القلوب، عن أميرالمؤمنين(ع)، عن رسول الله(ص) (في حديث طويل) انه قال: (قال الله تعالى في ليلة المعراج: ياأحمد ان العبادة عشرة أجزاء، تسعة منها طلب الحلال)(الخبر).

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله(ص): هلك المثرون، قلنا: يارسول الله الا من فاعادها ثلاثاً، ثم قال: الا من فرّقه في حياته في أعمال الخير، قال: هكذا هكذا وقليل ما هم.

وروى الامدي في الغرر، عن أميرالمؤمنين(ع)، انه قال: (القبر خير من الفقر) وقال(ع): (ان اعطاء هذا المال في طاعة الله أعظم نعمة، وان انفاقه في معاصيه أعظم محنة).

وفي (نهج البلاغة) قال أميرالمؤمنين(ع) في كلام له

[وكذلك المرء المسلم البرىء من الخيانة ينتظر من الله احدي الحسنيين، أما داعي الله فما عند الله خير له، وأما رزق الله فاذا هو ذو أهل ومال ومعه دينه وحسبه ان المال والبنين حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لا قوام].

فضل كسب اليد

عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب(ع)، في قول الله تبارك وتعالى:

«وأنّه هو أغنى وأقنى»(النجم/٤٨)

قال: (أغنى كل انسان بمعيشته وأرضاه بكسب يده).

وفي مجمع البيان، روي انهم (يعني الحواريين) اتبعوا عيسى(ع) وكانوا اذا جاعوا قالوا: ياروح الله جعنا، فيضرب بيده على الارض سهلاً كان أو جبلاً فيخرج لكل انسان منهم رغيفان يأكلهما، فاذا عطشوا قالوا: ياروح الله عطشنا فيضرب بيده على الارض، سهلاً كان أو جبلاً فيخرج ماء فيشربون، قالوا: ياروح الله من أفضل منا اذا شئنا اطعمنا، واذا شئنا سقينا، وقد آمنا بك واتبعناك، قال: (أفضل منكم من يعمل بيده و يأكل من كسبه) فصاروا يغسلون الثياب بالكرا.

وفي نهج البلاغة، قال أميرالمؤمنين(ع):

[ولقد كان في رسول الله(ص) كاف لك في الاسوة (الى أن قال): وان شئت ثلثت بداود صاحب المزامير وقارىء أهل الجنة، فلقد كان يعمل سفاسيف الخوص بيده، ويقول لجلسائه (أيكم يكفيني بيعها و يأكل قرص الشعير من ثمنها)].

وفي جامع الاخبار عن النبي(ص)، انه قال: (من أكل من كد يده مر على الصراط كالبرق الخاطف).

وعنه (ص)، انه قال:

[من أكل من كد يده حلالاً فتح له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء].

وعنه (ص) قال:

[من أكل من كد يده نظر الله اليه بالرحمة ثم لا يعذبه أبدا].

وعنه (ص)، انه قال:

[من أكل من كد يده يكون يوم القيامة في عداد الانبياء و يأخذ ثواب الانبياء].

وعن عامر، عن أبي جعفر(ع) قال: قال رسول الله(ص): (ان الله عزوجل حين أهبط آدم(ع) من الجنة أمره أن يحرث بيده فيأكل من كدها بعد نعيم الجنة)(الخبر).

وعن نجم، عن أبي جعفر(ع) قال: (ان فاطمة(ع) ضمنت لعلي(ع) عمل البيت والعجين والخبز وقمّ البيت، وضمن لها علي(ع) ما كان خلف الباب نقل الحطب وأن يجيء بالطعام).

وروى الحسن بن أبي الحسن الديلمي في ارشاد القلوب قال: (روي انه ـــيعني أميرالمؤمنين(ع)ـــ لما كان يفرغ من الجهاد يتفرغ لتعليم الناس والقضاء بينهم، فاذا فرغ من ذلك اشتغل في حائط له يعمل فيه بيديه وهو مع ذلك ذاكر لله تعالى.

وفي دعائم الاسلام، عن أمير المؤمنين(ع): انه كان يعمل بيده ويجاهد في سبيل الله، الى ان قال: وأقام على الجهاد أيام حياة رسول الله(ص) ومنذ قام بأمر الناس الى ان قبضه اليه، وكان يعمل في ضياعه ما بين ذلك فأعتق ألف مملوك كل من كسب يده.

وعن أبي عمر قال: كان سلمان يسف الخوص وهو أمير على المدائن و يبيعه و يأكل منه و يقول: لا أحب أن آكل إلا من عمل يدي، وقد كان تعلّم سف الخوص من المدينة.

وفي كتاب سلمان (الى أن قال): وأما ما ذكرت اني أقبلت على سف الخوص وأكل الشعير فما هما مما يعيّر به مؤمن و يؤنب عليه، وأيم الله ياعمر لأكل الشعير وسف

الخوص والاستغناء به عن رفيع المطعم والمشرب وعن غصب مؤمن وادعاء ما ليس له بحق أفضل وأحب الى الله عزوجل وأقرب للتقوى، ولقد رأيت رسول الله(ص) اذا أصاب الشعير أكله وفرح به ولم يسخط)(الخبر).

وروى أبو عمرو الكشي في رجاله قال: كان محمد بن مسلم، رجلاً موسراً جليلاً، فقال له أبو جعفر(ع): (تواضع) فأخذ قوصرة فوضعها على باب المسجد وجعل يبيع التمر فجاء قومه، فقالوا: أفضحتنا، فقال: أمرني مولاي بشيء فلا أبرح حتى أبيع **فقالوا** : أما اذا أبيت الا هذا فاقعد في الطحانين، ثم سلموا اليه رحى فقعد على بابه وجعل يطحن.

وعن صالح، ان حدثه أتت علياً (ع) ومعه تمر يحمله فسلمت وقالت: أعطني هذا التمر أحمله؟ قال(ع): أبو العيال أحق بحمله(الخبر).

الزراعة في الاسلام

جعفر بن أحمد القمي في كتاب الغايات، عن أبي عبدالله(ع) قال: سأله رجل عنده فقال: جعلت فداك اسمع قوماً يقولون إن الزراعة مكروهة فقال: (ازرعوا واغرسوا والله ما عمل الناس عملاً أجلّ ولا أطيب منه).

وعنه عن أبيه(ع) قال:

[ما في اعمال شيء أحب الى الله تعالى من الزراعة،وما بعث الله نبياً إلا زارعاً إلا ادريس، فانه كان خياطاً].

وعن جابر عن عبد الله الانصاري قال: دخل رسول الله(ص) يوماً في بستان أم سعيد فقال: هذه الغروس غرسها كافر أو مسلم؟ فقالت: يارسول الله غرسها مسلم، فقال: (ما من مسلم يغرس غرساً يأكل منه انسان أو دابة أو طير الا ان يكتب له صدقة الى يوم القيامة).

النهي عن الحرص، وطلب الحرام

عن أبي حمزة، عن أبي جعفر(ع) قال: خطب رسول الله(ص) في حجة الوداع فقال:

(أيها الناس انه والله ما من شيء يقربكم من الجنة و يباعدكم من النار الا وقد أمرتكم به، وما من شيء يقربكم من النار و يباعدكم من الجنة الا وقد نهيتكم عنه، وان الروح الامين قد نفث في روعي انه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله، واجملوا في الطلب، ولا يحملن احدكم استبطاء شيء من الرزق ان يطلبه بغير حق، فانه لا يدرك شيء ما عند الله الا بطاعته).

وعن محمد، عن موسى قال: حدثنا أبي، عن أبيه، عن جده جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب(ع) قال: قال رسول الله(ص): (من سره ان يستجاب دعوته فليطيب كسبه).

وعن فقه الرضا(ع): (اتق في طلب الرزق واجمل في الطلب واخفض في الكسب وأعلم ان الرزق رزقان: فرزق تطلبه ورزق يطلبك، فأما الذي تطلبه فاطلبه من حلال، فان أكله حلال ان طلبته في وجهه والا أكلته حراماً وهو رزقك لابد لك من أكله).

وعن أبي عبدالله(ع) قال:

[لو كان العبد في حجرة أتاه رزقه فأجملوا في الطلب].

وفي نهج البلاغة، قال(ع):

[خذ من الدنيا ما أتاك، وتول عما يتولى عنك،فان أنت لم تفعل فأجمل في الطلب].

وعن رسائل الكليني: ان علياً(ع) قال في وصيته لولده الحسن(ع): (فأعلم يقيناً انك لم تبلغ أملك، ولا تعدوا أجلك، فانك في سبيل من كان قبلك، فخفض في الطلب وأجمل في المكسب، فانه رب طلب قد جر الى حرب، وليس كل طالب بناج، ولا كل مجمل بمحتاج، وأكرم نفسك عن دنية، وان ساقتك الى الرغب فانك لن تعتاض بما تبذل شيئاً من دينك وعرضك بثمن وان جل (الى أن قال): ما خير بخير لا ينال الا بشر و يسر لا ينال الا بعسر).

وعن أبي محمد الحسن العسكري(ع)، انه قال:

[ادفع المسألة ما وجدت التحمل يمكنك، فان لكل يوم رزقاً جديداً، وأعلم ان الالحاح في المطالب يسلب البهاء، و يورث التعب والعناء، فأصبر حتى يفتح

الله لك باباً يسهل الدخول فيه فما اقرب الصنع الى الملهوف، والا من هارب المخوف، فربما كانت الغير نوع ادب من الله، والحظوظ مراتب، فلا تعجل على ثمرة لم تدرك، وانما تنالها في اوانها، واعلم ان المدبر لك اعلم بالوقت الذي يصلح حالك، ولا تعجل بحوائجك قبل وقتها فيضيق قلبك وصدرك و يغشا القنوط].

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله(ص): (أيها الناس ان الرزق مقسوم لن يعدوا مرء ما قسم له فاجملوا في الطلب، وان العمر محدود لن يتجاوز أحد ما قدر له، فبادروا قبل نفاذ الاجل).

وعن رسول الله(ص) انه قال:

[ألا وان لكل امرء رزقاً هو يأتيه لا محالة، فمن رضى به بورك له فيه ووسعه، ومن لم يرضى به لم يبارك له فيه ولم يسعه، ان الرزق ليطلب الرجل كما يطلبه أجله].

وعن اسماعيل بن كثير، رفع الحديث الى النبي(ص) قال: لما نزلت هذه الآية:

«واسألوا الله من فضله»(النساء/٣٢)

قال: فقال أصحاب النبي(ص): ماهذاالفضل؟ أيكم يسأل رسول الله(ص) عن ذلك؟ قال: فقال علي بن أبي طالب(ع): أنا أسأله، فسأله عن ذلك الفضل ما هو؟ فقال رسول الله(ص): (إن الله تعالى خلق خلقه وقسم لهم أرزاقهم من حلها، وعرض لهم بالحرام، فمن انتهك حراماً نقص له من الحلال بقدر ما انتهك من الحرام وحوسب به).

وعن ابراهيم بن أبي البلاد، عن أبيه، عن أبي جعفر(ع)، انه قال: (ليس من نفس، ألا وقد فرض الله لها رزقاً حلالاً يأتيها في عافية، وعرض لها بالحرام من وجه آخر، فان هي تناولت من الحرام شيئاً قاصها به من الحلال الذي فرض الله لها وعند الله سواهما فضل كثير).

وعن القطب الراوندي في لب الالباب، عن النبي(ص) انه قال: (لو أن عبداً هرب من رزقه لا تبعه رزقه حتى يدركه كما ان الموت يدركه).

وعنه (ص) قال:

[من طلب الدنيا حلالاً مكاثراً مفاخراً مرائياً لقى الله يوم القيامة وهو عليه غضبان].

وعن الامدى في الغرر، عن أميرالمؤمنين(ع)، انه قال: (الرزق يسعي الى من لا يطلب).

وقال (ع):

[الارزاق لا تنال بالحرص والمغالبه].

وقال (ع):

[ذلل نفسكَ بالطاعة، وحلها بالقناعة، وخفض في الطلب، واجمل في المكتسب].

وقال (ع):

[رزقك يطلبك فارح نفسك من طلبه]

وقال (ع):

[سوف يأتيك أجلك فأجمل في الطلب سوف يأتيك ما قُدِرَ لك فخفض في المكتسب].

وقال (ع):

[ستة يختبر بها دين الرجل (الى أن قال): والاجمال في الطلب].

وقال (ع):

[عجبت لمن علم أن الله قد ضمن الأ رزاق وقدرها، وان سعيه لا يزيده فيما قدر له منها وهو حريص دائب في طلب الرزق].

وقال(ع):

[لكل رزق سعي فأجملوا في الطلب]؟

وقال (ع):

[لن يفوتك ما قسم لك فأجمل في الطلب لن تدرك ما زوي عنك فأجمل في المكتسب].

وقال (ع):

[ليس كل مجمل بمحروم].

وعن عبدالله بن سليمان قال: سمعت أبا عبدالله(ع) يقول: (إن الله عزوجل أوسع في أرزاق الحمقاء لتعتبر العقلاء، و يعلموا أن الدنيا لا تنال بالعقل ولا بالحيلة).

وعن هشام بن الحكم، عن الكاظم(ع) قال: (ياهشام إن العقلاء زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة لانهم علموا أن الدنيا طالبةٌ ومطلوبة، والآخرة طالبة ومطلوبة، فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه، ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته.

ياهشام من أرد الدنيا بلا مال، وراحة القلب من الحسد، والسلامة في الدين فليتضرع الى الله عزوجل في مسألته بأن يكمل عقله، فمن عقل قنع بما يكفيه، ومن قنع بما يكفيه إستغنى، ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى أبداً).

وعن الكراجكي في كنز الفوائد، عن رسول الله(ص)، أنه قال: (من رضى باليسير من الرزق رضى الله منه باليسير من العمل).

وقال أمير المؤمنين(ع):

[الرزق رزقان: رزق تطلبه، ورزق يطلبك، فان لم تأته أتاك].

وعن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبدالله(ع)، عن قول الله عزوجل:

«ومن يتقِ الله يجعل له مخرجاً و يرزقه من حيث لا يحتسب»(الطلاق/٢ــ٣)

قال: (في دنياه).

وعن أمير المؤمنين(ع)، إنه قال: فيما وعظ به لقمان إبنه أنه قال: (يابني ليعتبر من قصر يقينه وضعف تعبه في طلب الرزق: إن الله تعالى خلقه في ثلاثة أحوال من رزقه، وآتاه رزقه ولم يكن في واحدةٍ منها كسب، ولا حيلة إن الله سيرزقه في الحالة الرابعة.

أما أول ذلك، فانه كانَ في رحم أمه يرزقه هناك في قرار مكين، حيث لا برد يؤذيه ولا حر، ثم أخرجه من ذلك وأجرى له من لبن أمه يربيه من غير حول به ولا قوة، ثم فطم من ذلك فأجرى له من كسب أبويه برأفةٍ ورحمة من قلوبهما، حتى اذا كبر وعقل وإكتسب ضاق به أمره، فظن الظنون بربه، وجحد الحقوق في ماله وقتر على نفسه وعياله

مخافة الفقر).

وعن محمد بن مسعود العياشي في تفسيره عن أميرالمؤمنين(ع): (يابن آدم لا يكن أكبر همك يومك الذي إن فاتك لم يكن من أجلك، فان همك يوم، فان كل يوم تحضره يأتي الله فيه برزقك.

وإعلم أنك لن تكتسب شيئاً فوق قوتك إلا كنت فيه خازناً لغيرك تكثر في الدنيا به نصبك وتحظى به وارثك و يطول معه يوم القيامة حسابك، فاسعد بمالك في حياتك وقدم ليوم معادك زاداً يكون أمامك، فان السفر بعيد والموعد والمورد الجنة أو النار).

وعن الديلمي في أعلام الدين، عن الحسين(ع)، إنه قال لرجل: (ياهذا لا تجاهد في الرزق جهاد الغالب، ولا تتكل على القدر إتكال مستسلم، فان إبتغاء الرزق من السنة، والاجمال في الطلب من العفة، وليس العفة بمانعة رزقاً ولا الحرص بجالب فضلاً، وإن الرزق مقسوم والاجل محتوم، وإستعمال الحرص جالب المآثم).

وعن الصادق(ع)، انه قال:

[اذا أحب الله عبداً أهمه الطاعة وألزمه القناعة، وفقهه في الدين، وقواه باليقين وإكتفى بالكفاف، واكتنى بالعفاف، واذا أبغض الله عبداً حبب اليه المال وبسط له وأهمه دنياه ووكله الى هواه فركب العناد وبسط الفساد وظلم العباد].

وعن علي بن مهزيار رفعه قال: كان أميرالمؤمنين(ع) يقول: (قربوا على أنفسكم البعيد وهونوا عليها الشديد، وأعلموا ان عبداً وإن ضعفت حيلته ووهنت مكيدته انه لن ينقص مما قدر الله له، وإن قوى عبد في شدة الحيلة وقوة المكيدة أنه لن يزاد على ما قدر الله له).

وعن جامع الاخبار، عن رسول الله(ص)، إنه قال: (ما نظمه الشاعر):

دع الحرص على الدنيا ... وفي العيش فلا تطمع
ولا تجمع من المال ... فلا تدري لمن تجمع
ولا تدري أفي أرضك ... أم في غيرها تصرع
فان الرزق مقسوم ... وكد المرء لا ينفع

غـنـــيّ كـــل مـــن يــقـــنـــع فـــقير كـــل مـــن يـــطــمـــع

وعـن أبـي جـعـفـر (ع) قـال: قال رسول الله(ص): (الدنيا دول، فما كان لك منها أتـاك على ضـعـفـك، ومـا كـان مـنـها عليك لم تدفعه بقوتك، ومن انقطع جاؤه مما فات استراح بدنه، ومن رضى بما رزقه الله قرت عينه).

وعـن فـقـه الـرضـا(ع)، إنه قال: (وليكن نفقتك على نفسك وعيالك قصداً، فان الله تعالى يقول:

«**يسألونك ماذا ينفقون؟ قل العفو**»(البقرة/٢١٩)

والعفو الوسط، قال الله:

«**والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا**»(**الى آخره**)(الفرقان/٦٧)

وقال العالم (ع):

[ضمنت لمن إقتصد أن لا يفتقر].

وعـن ابـن الهذيل، عن أبي عبدالله(ع) قال: (ان الله قسم الارزاق بين عباده وفضل فضلاً كثيراً لم يقسمه بين أحد، قال الله:

«**وأسألوا من فضله**» (النساء/٣٢)

أقـول: الـرزق الحـلال هـو بـقـدر سعي الانسان وكفايته، فعدم السعي مذموم، وعدم تهيــؤ الاسباب لتحصيل مستوى كفاية الانسان دليل على فساد الاجتماع والسعي أكثر مـن الـطـاقـة غير صـحـيـح، والسلوك في مسالك الحرام موجب لحرمان الانسان خير الدنيا والآخرة. والروايات المختلفة تشير الى هذه الجوانب، والله العالم.

الدعاء لطلب الرزق

عـن جـابـر، عن أبي جعفر(ع) قال: (أتى رسول الله(ص) رجل من أصحاب البادية فـقال: يارسول الله إن لي بنين و بنات وإخوة وأخوات و بني بنين و بني بنات و بني أخوة و بـنـي أخـوات والمعيشة علينا خفيفة، فان رأيتَ يارسول الله أن تدعو الله أن يوسع علينا، و بـكـى، فـرقّ لـه المسلمون، فقال له رسول الله(ص): ما من دابة في الارض إلا على الله رزقـها و يعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين، من كفل بهذه الاقوات المضمونة

على الله رزقها صب الله عليه الرزق صباً كالماء المنهمر إن قليل فقليل، وإن كثير فكثير.

قال: ثم دعا رسول الله (ص) وأمّن له المسلمون.

ثـم قال أبو جعفر(ع): فحدثني من رأى الرجل في زمن عمر فسأله عن حاله؟ فقال: من أحسن من حوله حالاً وأكثرهم مالاً).

وعـن مسعدة بن صدقة، عن الصادق، عن أبيه(ع) قال: اذا غدوت في حاجتك بعد أن تـصلي الـغداة بـعد الـتـشـهد فقل: اللهم إني غدوت التمس من فضلك كما أمرتني فـأرزقـنـي مـن فـضلك رزقاً حلالاً طيباً، وأعطني فيما ترزقني العافية (تقول ذلك ثلاث مرات).

قال وسمعت جعفراً(ع) يملي على بعض التجار من أهل الكوفة في طلب الرزق، فقال له: صل ركعتين متى شئت، فاذا فرغت من التشهد، قلت: (توجهت بحول الله وقوته بلا حـول مني ولا قوة، ولكن بحولك يارب وقوتك ابرء اليك من الحول والقوة الا ما قو يتني، اللهم إني أسألك بركة هذا اليوم، وأسألك بركة أهله وأسألك أن ترزقني من فضلك رزقاً واسـعـاً حـلالاً طيباً مباركاً تسوق الي في عافية بحولك وقوتك وانا خافض في عافية (تقول ذلك ثلاث مرات).

وعن الصادق (ع) (قال، تقول):

[اللهـم إن كـان رزقـي في الـسـماء فأنزله، وان كان في الارض فأظهره وإن كـان بـعيـداً فقربه، وإن كان قريباً فأعطنيه، وإن كان قد أعطيتنيه فبارك لي فيه، وجنبني عليه المعاصي والردى]. البختري

عن الصادق، عن آبائه(ع) قال:

[من لم يسأل الله من فضله افتقر].

ومن دعائهم (ع):

[اللهـم إنـي أسألـك من فضلك الواسع الفاضل المفضل: رزقاً واسعاً حلالاً طيـباً بـلاغـاً للآخرة والدنيا هنيئاً مريئاً صباً صباً من غير منّ من أحد الا سعة من فـضـلـك، وطـيباً من رزقك، وحلالاً من وسعك تغنيني به، من فضلك أسأل، ومن يدك الملیء أسأل، ومن خيرتك أسأل، يامن بيده الخير وهو على كل شيء قدير].

وعن الصادق(ع) إطلب الرزق (بهذا الدعاء):

[ياالله ياالله أسألك بحق من حقه عليك عظيم أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن ترزقني العمل بما علمتني من معرفة حقك، وان تبسط على ما خطرت من رزقك].

وفي حديث: ان رجلاً جاء الى النبي(ص) وقال: يا رسول الله إني كنت غنياً فافتقرت، وصحيحاً، وكنت مقبولاً عند الناس فصرت مبغوضاً، وخفيفاً على قلوبهم فصرت ثقيلاً، وكنت فرحاناً فاجتمعت عليَّ الهموم، وقد ضاقت عليَّ الارض بما رحبت، وأجول طول نهاري في طلب الرزق، فلا أجد ما أتقوت به، كأنّ اسمي قد محى من ديوان الارزاق (الى ان قال): فقال له النبي(ص): إتق الله واخلص ضميرك، وادع بهذا الدعاء وهو دعاء الفرج:

[بسم الله الرحمن الرحيم: إلهي طموح الآمال قد خابت الا لديك، ومعاكف الهم قد تقطعت الا عليك، ومذاهب العقول قد سمت الا إليك، فاليك الرجاء واليك الملتجأ، ياأكرم مقصود و ياأجود مسؤول، هربت اليك بنفسي ياملجأ الهاربين بأثقال الذنوب أحملها على ظهري، وما أجد لي اليك شافعاً سوى معرفتي بأنك أقرب من رجاه الطالبون، ولجأ اليه المضطرون، وأمّل ما لديه الراغبون، يامن فتق العقول بمعرفته، وأطلق الالسن بحمده، وجعل ما امتن به على عباده كفاية لتأدية حقه صل على محمد وآله، ولا تجعل للهموم على عقلي سبيلاً، ولا للباطل على عملي دليلاً، وافتح لي بخير الدنيا ياولي الخير].

فلما دعا به الرجل وأخلص النية عاد الى حسن الاجابة.

أثر الطهارة في سعة الرزق

عن النبي (ص)، انه شكا اليه رجل قلة الرزق، فقال(ص): (ادم الطهارة يدم عليك الرزق) ففعل الرجل ذلك فوسع عليه الرزق.

وعن عبدالله بن سلام قال: قال رسول الله(ص): (من توضأ لكل حدث، ولم يكن

دخالاً على النساء في البيوتات، ولم يكن يكتسب مالاً بغير حق رزق من الدنيا بغير حساب).

النهي عن الاهتمام للرزق

عن حفص بن غياث النخعي، عن أبي عبد الله(ع) قال: (من إهتم لرزقه كتب عليه خطيئة. إن دانيال(ع) كان في زمن ملك جبار فأخذه فقال دانيال: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، والحمد لله الذي لا يخيب من دعاه، والحمد لله الذي يجزي بالاحسان إحساناً، وبالصبر نجاة».

ثم قال ابو عبدالله(ع):

[أبى الله أن يجعل أرزاق المؤمنين إلا من حيث لا يحتسبون، وأبى الله أن يقبل شهادة لأوليائه في دولة الظالمين].

أقول: حرية العمل توجب عدم معرفة الانسان مكان رزقه، وقبول الظالم شهادة المؤمن دليل على الاقتراب بينهما فليس هناك كمال الايمان.

وعن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله(ص): (يابن مسعود لا تهتمن للرزق فان الله تعالى يقول:

«وما من دابة في الأرض إلاّ على الله رزقها»(هود/٦)

وقال:

«وفي السماء رزقكم وما توعدون»(الذاريات/٢٢)

وقال:

«وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخيرٍ فهو على كلّ شيء قدير»(الأنعام/١٧)

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله(ص): (ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب: رجل يغسل قميصه وليس له بدل، ورجل لم يطبخ على مطبخ قدرينو ورجل كان عنده قوت يوم ولم يهتم لغد).

لا.. للنوم والكسل

عن نهج البلاغة، قال أميرالمؤمنين(ع):

[ما انقض النوم لعزائم الامور].

وعن الامدي في الغرر، عنه(ع): (و يح النائم ما أخسره أقصر عمله وقل أجره).

وقال (ع):

[بئس الغريم النوم يفني قصير العمر و يفوت كثير الأجر].

وعن ابن أبي حمزة قال: قلت لأ بي الحسن(ع): إن أباك أخبرنا بالخلف من بعده، فلو أخبرتنا به، فأخذ بيدي فهزها، ثم قال:

«ما كان الله ليُضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون»(التوبة/١١٥)

قال: فخفقت فقال: (مه لا تعود عينيك كثرة النوم فانها أقل شيء في الجسد شكراً).

وعن محمد بن مسلم، عن ابي جعفر(عليه السلام) قال: (إني لأ بغض الرجل يكون كسلان عن أمر دنياه فهو عن امر آخرته أكسل).

عن ابي جعفر بن محمد، عن ابيه، عن جده علي بن الحسين، عن ابيه، عن علي بن ابي طالب(ع): (للكسلان ثلاث علامات يتوانى حتى يفرط و يفرط حتى يضيع و يضيع حتى يأثم).

وعن الامدي في الغرر،عن أميرالمؤمنين(ع)، انه قال: (الكسل يفسد الآخرة).

وقال (ع):

[آفة النجح الكسل].

وقال (ع):

[من دام كسله خاب أمله].

وقال (ع):

[من التواني يتولد الكسل].

وعن عجلان بن أبي صالح قال: قال أبو عبدالله جعفر بن محمد(ع) في حديث: **(وإياك والكسل والضجر، فان أبي بذلك كان يوصيني، بذلك كان بوصية ابوه وكذلك في صلاة الليل، إنك اذا كسلت لم تؤد الى احد حقاً وعليك بالصدق والورع واداء الامانة. واذا وعدت فلا تخلف).**

كراهة الاعتماد على الأماني والتضجر من الامور

عن عمرو بن أبي المقدام عن أبي جعفر(ع)، انه قال: قال أميرالمؤمنين(ع) في وصيته لولده الحسن(ع): (إياك والاتكال على المنى فانها بضايع النوكى ومطل عن الآخرة والدنيا).

وقال (ع):

[أشرف الغنى ترك المنى].

وعن محمد، عن موسى قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن جده جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي(ع) قال: قال رسول الله(ص): (لا تمنى إلا في خير كثير).

أقول: أي كن عالي الهمة.

وعن رسول الله(ص) أنه قال:

[من تمنى شيئاً هو لله تعالى رضى لم يمت من الدنيا حتى يعطاه].

وعن علي بن أبي طالب(ع) قال:

[اذا تمنى أحدكم فليكن مناه في الخير وليكثر، فان الله واسع كريم].

وعن علي (ع) قال:

[من تمنى شيئاً من فضول الدنيا من مراكبها وقصورها أو رياشها عني نفسه ولم يشف غيظه ومات بحسرته].

وعن الصادق (ع)، انه قال لعبد الله بن جندب في وصيته له:

[ولا تنظر الى ما عندك، ولا تتمني ما لست تناله، فان من قنع شبع ومن لم

يقنع لم يشبع].

وعن الامدى في الغرر، عن أميرالمؤمنين(ع)، إنه قال: (الأماني شيمة ــ أو قال(ع) **الأماني بضائع ــ النوكى، والآمال غررالحمقى).**

وقال (ع):

[الأماني همة الجهال].

وقال (ع):

[الأماني تخدعك، وعند الحقائق تخذلك].

وقال (ع):

[إياك والمنى فانها بضائع النوكى].

وقال (ع):

[أقبح العي الضجر].

وعن رسول الله (ص)، إنه قال لرجل من بني تميم:

[ولا تضجر، فان الضجر يمنعك من الآخرة والدنيا].

إنتهزوا الفرص

عن أنس بن محمد، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن آبائه(ع) في (وصيّة النبي «ص» لعلي (ع) قال: (**يا علي بادر بأربع قبل اربع: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك).**

وعن موسى بن اسماعيل بن موسى بن جعفر، عن آبائه عن عليّ(ع) في قول الله عزوجل:

«ولا تنسى نصيبك من الدنيا»(القصص/٧٧)

قال: (لا تنس صحتك وقوتك وفراغك وشبابك ونشاطك أن تطلب بها الآخرة).

وفي (نهج البلاغة) عن أميرالمؤمنين(ع) قال:

[قرنت الهيبة بالخيبة والحياء بالحرمان والفرصة تمرّمرّ السحاب فانتهزوا فرص الخير].

وقال (ع):

[اضاعة الفرصة غصة]

وقال (ع):

[من الخرق المعاجلة قبل الامكان، والاناة بعد الفرصة].

العمل في البيت للرجل والمرأة

عن أبي البختري، عن أبي عبدالله، عن أبيه(ع) قال: تقاضا علي وفاطمة(ع) الى رسول الله (ص) في الخدمة، فقضى على فاطمة بخدمة ما دون الباب، وقضى على علي(ع) بما خلفه قال: فقالت فاطمة(ع): فلا يعلم ما داخلني من السرور الا الله باكفائي رسول الله(ص) تحمل رقاب الرجال.

وعن جامع الاخبار، عن علي(ع) قال: (دخل علينا رسول الله(ص) وفاطمة(ع) جالسة عند القدر وأنا أنقى العدس، قال: يأبا الحسن؟ قلت: لبيك يارسول الله، قال: اسمع وما أقول إلا ما أمر ربي ما من رجل يعين امرأته في بيتها الا كان له بكل شعرة على بدنه عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها (الى أن قال): ياعلي من لم يأنف من خدمة العيال دخل الجنة بغير حساب، ياعلي خدمة العيال كفارة للكبائر و يطفي غضب الرب، ومهور حور العين، و يزيد في الحسنات والدرجات، ياعلي لا يخدم العيال إلا صديق أو شهيد أو رجل يريد الله به خير الدنيا والآخرة).

إصلاح المال وترميم المعاش

عن هشام بن الحكم، عن موسى بن جعفر، انه قال، قال الحسن بن علي(ع) في حديث: (واستثمار المال تمام المروة).

وعن أبي حمزة السعدي، عن أبيه قال: أوصى أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب الى الحسن بن علي(ع)، فقال فيما أوصى به اليه: (يابني لا فقر أشد من الجهل (الى أن قال): وليس للمؤمن بد من أن يكون شاخصاً في ثلاث: مرمة لمعاش، وخطوة لمعاد، ولذة

في غير محرم).

وعن الحرث الاعور قال: قال أميرالمؤمنين(ع) للحسن ابنه(ع): يابني ماالمروة؟ فقال: (العفاف وإستصلاح المال).

وفي نهج البلاغة في وصيته للحسن(ع):

[وحفظ ما في يدك أحب الي من طلب ما في يد غيرك].

وعن فقه الرضا(ع): (واجتهدوا أن يكون زمانكم أربع ساعات، ساعة لله لمناجاته، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الاخوان الثقاة..)الخ.

الاسلام يدعو الى الاقتصاد

عن موسى قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن جده جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب(ع) قال: قال رسول الله(ص) في حديث: (وما عال امرء في اقتصاد).

وقال رسول الله (ص):

[اذا أراد الله بأهل بيت خيراً فقهم في الدين ورزقهم الرفق في معايشهم والقصد في شأنهم]،الخبر.

وعن ابن سنان، عن أبي عبدالله(ع)، في قوله تعالى:

«ولا تجعل يدك مغلولةً الى عُنُقك»(الاسراء/٢٩)

قال فضم يده وقال: هكذا فقال:

«ولا تبسطها كل البسط»(الاسراء/٢٩)

و بسط راحته، وقال هكذا.

وعن عامر بن جذاعة قال: دخل على أبي عبدالله(ع) رجل فقال: ياأبا عبدالله قرضاً الى ميسرة، فقال أبو عبدالله(ع): الى غلة تدرك؟ فقال: لا والله، فقال الى تجارة تؤدى؟ فقال: لا والله، فقال: فالى عقدة تباع؟ فقال: لا والله فقال: (فأنت إذاً ممن جعل الله له موالنا حقاً) فدعا أبو عبدالله(ع) بكيس فيه دراهم فأدخل يده فناوله قبضة، ثم قال:

(اتق الله ولا تسرف ولا تقصر وكن بين ذلك قواماً ان التبذير من الاسراف، قال الله تعالى:

«ولا تبذر تبذيرا»(الاسراء/٢٦)

إن الله تعالى لا يعذب على القصد.

وعن رسول الله (ص) انه قال:

[إن المؤمن أخذ من الله أدباً إذا وسع عليه إقتصد، واذا اقتر عليه اقتصر].

وعن أبي عبدالله(ع) قال:

[لا يصلح المرء الا على ثلاث: التفقه في الدين، وحسن التقدير في المعيشة، والصبر على النائبة].

وعن عيسى بن موسى: قال الصادق(ع): (ياعيسى المال مال الله جعله ودائع عند خلقه وأمرهم أن يأكلوا منه قصداً، و يشربوا منه قصداً، و يلبسوا منه قصداً، و ينكحوا منه قصداً، و يركبوا منه قصداً، **و يعودوا** بما سوى ذلك على فقراء المؤمنين، فمن تعدى ذلك كان أكله حراماً وما شرب منه حراماً وما لبسه حراماً وما نكحه منه حراماً، وما ركبوا منه حراماً).

وعن حماد بن عيسى، عن الصادق(ع)، انه قال: قال لقمان لابنه في حديث: (وكن مقتصداً، ولا تمسكه تقتيراً، ولا تعطه تبذيراً).

وعن فقه الرضا(ع): وليكن نفقتك على نفسك وعيالك قصداً، فان الله يقول:

«يسألونك ماذا ينفقون؟ قل العفو» **(البقرة/٢١٩)**

والعفو الوسط، وقال الله تعالى:

«والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا» **(الفرقان/٦٧)**

وعن رسول (ص)، انه قال:

[الكمال كل الكمال: الفقه في الدين، والصبر على النائبة، والتقدير في المعيشة].

وعن الآمدي في الغرر، عن أميرالمؤمنين(ع) انه قال: (**الاقتصاد ينمي القليل**).

وقال (ع):

[الاقتصاد ينمي اليسير].

وقال:

[الاقتصاد نصف المؤونة].

وقال (ع):

[لن يهلك من اقتصد].

وقال (ع):

[ليس في الاقتصاد تلف].

وقال (ع):

[من لم يحسن الاقتصاد أهلكه الاسراف].

وقال (ع):

[من اقتصد خفت عليه المؤن].

وقال (ع):

[من اقتصد في الغنى والفقر فقد إستعد لنوائب الدهر].

وقال (ع):

[من صحب الاقتصاد دامت صحبة الغنى له، وجبر الاقتصاد فقره وخلله].

وقال (ع):

[من المروة أن تقتصدفلا تسرف، وتعد فلا تخالف].

الكدّ لأجل المعيشة

عن أمير المؤمنين(ع)، انه قال:

[ما غدوة أحدكم في سبيل الله بأعظم من غدوته يطلب لولده وعياله ما يصلحهم].

وعن **الصدوق** في الهداية قال روي: (ان الكاد على عياله من حلال كالمجاهد في سبيل الله).

وعن فقه الرضا (ع): (وأعلم ان نفقتك على نفسك وعيالك صدقة، والكاد على

عياله من حل كالمجاهد في سبيل الله).

وعن النبي (ص)، انه قال:

[من طلب الدنيا حَلالاً إستعفافاً عن المسألة، وسعياً على عياله، وتعطفاً على جاره لقى الله ووجهه كالقمر ليلة البدر].

وعن النبي (ص) قال:

[الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله].

وعن ثوبان قال: قال رسول الله(ص): (أفضل دينار دينار أنفقه الرجل على عياله، ودينار أنفقه على دابته في سبيل الله، ودينار أنفقه على أصحابه في سبيل الله).

ثم قال: (وأي رجل أعظم أجراً من رجل سعى على عياله صغاراً يعفهم و يغنيهم الله به).

وعن النبي (ص)ـ إنه قال:

[ومن سعى في نفقة عياله ووالديه فهو كالمجاهد في سبيل الله].

إستحباب شراء العقار، وكراهية بيعه في الجملة

وعن موسى بن جعفر(ع) قال: حدثني أبي عن جده(ع):

[ان بايع الضيعة ممحوق، ومشتريها مرزوق].

وعن حذيفة قال. قال رسول الله(ص): (من باع داراً فلم يجعل ثمنها في مثلها لم يبارك له في ثمنها، أو قال لم يبارك له فيها).

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب(ع) قال: قيل: يارسول الله أي المال خير (الى أن قال) قيل (فأي المال بعد البقر أفضل؟ قال: الراسخات في الوحل، المطعمات في المحل، نعم المال النخل، من باعها فلم يخلف مكانها، فان ثمنها بمنزلة رماد على رأس شاهقة إشتدت به الريح في يوم عاصف).

كراهية شراء الأشياء الصغيرة للانسان الرفيع الشأن

عن أبي عبد الله(ع)، انه أوصى بعض أصحابه فقال:

[لا تكن دواراً في الاسواق، ولا تلِ شراء دقائق الاشياء بنفسك، فانه لا ينبغي للمرء المسلم ذي الدين والحسب أن يشتري دقائق الاشياء بنفسه خلا ثلاثة أشياء الغنم والابل والرقيق].

ونظر علي (ع) الى رجل من أصحابه يحمل بقلاً على يده، فقال:

[انه يكره للرجل السريّ أن يحمل الشيء الدنيّ لئلا يتجرى عليه].

وعن موسى بن اسماعيل قال: حدثنا ابي، عن ابيه، عن جده جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين عن ابيه، عن علي بن ابي طالب(ع) قال: قال رسول الله(ص): (ان الله عزوجل جواد يحب الجود ومعالي الامور، و يكره سفسافها).

الدنيا والآخرة معاً

عن ابراهيم بن عبدالحميد، عن أبي الحسن(ع) قال: كان لقمان يقول لابنه: (يابني ان الدنيا بحر وقد غرق فيها جيل كثير (الى أن قال): يابني خذ من الدنيا بلغة ولا تدخل فيها دخولاً يضر بآخرتك ولا ترفضها فتكون عيالاً على الناس)(الخبر).

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب(ع) قال: قال رسول الله(ص): **(كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يفوت).**

وعن جنادة بن أبي أميه، عن الحسن بن علي(ع)، انه قال: (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً)(الخبر).

وعن علي الأحمصي، عمن أخبره، عن أبي جعفر(ع)، انه كان يقول: (نعم العون الدنيا على الآخرة).

الاغتراب والتبكير في طلب الرزق

عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن آبائه، عن أميرالمؤمنين(ع): إن رسول الله(ص) قال: (اذا أعسر أحدكم فليضرب في الارض يبتغي من فضل الله ولا يغم نفسه).

وعن محمد بن هلال قال: قال لي جعفر بن محمد الصادق(ع): (اذا كانت لك حاجة فاغد فيها، فان الارزاق تقسم قبل طلوع الشمس، وان الله تبارك وتعالى بارك لهذه الامة في بكورها، وتصدق بشيء عند البكور، فان البلاء لا يتخطى الصدقة).

قال وعن رسول الله(ص)، انه قال:

[اللــهم بارك لأمتي في بكورها وسبتها وخميسها].

وعن النبي(ص)، انه قال:

[إن الله تبارك وتعالى بارك لأمتي في خميسها وسبتها لأجل الجمعة].

حرمة اكتساب المال من غير حله

في الخبر: (الحلال لا يأتي الا قوتاً، والحرام يأتي جرفاً جرفاً).

أقول: (فان الرأسمالية المحرمة تجمع أموال الناس بالطرق الملتوية).

وعن أبي قلابه قال: قال رسول الله(ص)، في حديث: (من كسب مالاً من غير حله أفقره الله تعالى).

وعن الحسن بن علي بن شعبه في (تحف العقول) قال: قال رسول الله(ص) في حديث طويل: (طوبى لمن اكتسب من المؤمنين مالاً من غير معصية).

وعن حذيفة بن اليمان رفعه، عن رسول الله(ص): (ان قوماً يجيؤن يوم القيامة ولهم من الحسنات أمثال الجبال، فيجعلها الله هباء منثوراً، ثم يؤمر بهم الى النار) فقال سلمان: صفهم لنا يارسول الله، فقال: (أما انهم قد كانوا يصومون و يصلون و يأخذون أهبة من الليل، ولكنهم اذا اعرض لهم بشيء من الحرام وثبوا عليه).

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، عن علي بن أبي طالب(ع) قال: (بايع الخبيثات ومشتريها في الا ثم سواء).

وعن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه، عمن ذكره، عن أبي عبدالله(ع) قال: قال رسول الله(ص): (ان أخوف ما أخاف على أمتي هذه المكاسب الحرام والشهوة الخفية والربا).

وعن سماعة قال: قال أبوعبد الله(ع): (ليس بوليّ لي من أكل مال مؤمن حراماً).

وعن عبد الله بن القاسم الجعفري، عن أبي عبدالله(ع) قال: (شوفت الدنيا لقوم حلالاً محضاً فلا يريدوها فدرجوا ثم تشوفت لقوم حلالاً وشبهة، فقالوا: لا حاجة لنا في الشبهة وتوسعوا في الحلال، ثم تشوفت لقوم حراماً وشبهة، فقالوا: لا حاجة لنا في الحرام وتوسعوا في الشبهة، ثم تشوفت لقوم حراماً محضاً فيطلبونها فلا يجدونها والمؤمن يأكل في الدنيا بمنزلة المضطر).

وعن داود الصرمي قال: قال أبو الحسن(ع): (ياداود ان الحرام لا ينمي، وان نمى لم يبارك له فيه، وما أنفقه لم يؤجر عليه، وما خلفه كان زاده الى النار).

وعن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبدالله(ع)، في قول الله عزوجل:

«وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءاً منثورا»(الفرقان/٢٣)

قال: (ان كانت أعمالهم لأشد بياضاً من القباطي فيقول الله عزوجل لها: كوني هباءً وذلك انهم كانوا اذا شرع لهم الحرام أخذوه).

الاحتكار

عن السكوني، عن أبي عبد الله(ع) قال: (الحكرة في الخصب أربعون يوماً، وفي الشدة والبلاء ثلاثة أيام، وما زاد على الأربعين يوما في الخصب فصاحبه ملعون، وما زاد على ثلاثة أيام في العسرة فصاحبه ملعون).

وعن الحلبي، عن أبي عبد الله(ع) قال: سألته عن الرجل يحتكر الطعام و يتربص به هل يصلح ذلك؟ قال: (ان كان الطعام كثيراً يسع الناس فلا بأس به، وان كان الطعام قليلاً لا يسع الناس فانه يكره أن يحتكر الطعام و يترك الناس ليس لهم طعام).

وعن ابن القداح، عن أبي عبد الله(ع) قال: قال رسول الله(ص): (الجالب مرزوق، والمحتكر ملعون).

وعن غياث، عن أبي عبد الله(ع) قال: (ليس الحكرة إلا في الحنطة والشعير والتمر والزبيب والسمن).

أقول: اذا أضرّ الناس عدم البيع: حق للحاكم الشرعي الجبر على البيع بدون اجحاف من البائع في السعر، من غير فرق بين الامور المذكورة في هذه الرواية، وغيرها).

وعن أبي مريم، عن أبي جعفر(ع) قال: قال رسول الله(ص): (أيما رجل اشترى طعاماً فكبسه أربعين صباحاً يريد به غلاء المسلمين ثم باعه فتصدق بثمنه لم يكن كفارة لما صنع).

وعن محمد بن علي بن الحسين قال: قال رسول الله:

[لا يحتكر الطعام، إلا خاطيء].

قال: (ونهى أمير المؤمنين(ع) عن الحكرة في الامصار).

وعن ورام بن أبي فراس في كتابه، عن النبي(ص)، عن جبرئيل(ع) قال: (اطلعت في النار فرأيت وادياً في جهنم يغلي، فقلت؛ يامالك لمن هذا؟ فقال: لثلاثة: المحتكرين، والمدمنين الخمر، والقوادين).

وفي نهج البلاغة، عن أميرالمؤمنين(ع) في كتابه الى مالك الاشتر قال:

[فامنع من الاحتكار، فان رسول الله(ص) منع منه، وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل وأسعار لا يجحف بالفريقين من البائع والمبتاع، فمن قارف حكرة بعد نهيك اياه فنكل وعاقب في غير اسراف].

وعن الحلبي، عن أبي عبدالله(ع) قال: سأل عن الحكرة؟ فقال: (انما الحكرة ان تشتري طعاماً وليس في المصر غيره فيحتكره، فان كان في المصر طعام أو متاع (يباع) غيره فلا بأس ان تلتمس بساحتك الفضل).

وعن أبي الفضال سالم الحناط قال: قال لي أبوعبدالله(ع): ما عملك؟ قلت حياط، وربما قدمت على نفاق، وربما قدمت على كساد فحبست، قال: فما يقول من قبلك فيه؟ قلت: يقولون محتكر، فقال: يبيعه أحد غيرك؟ قلت: ما أبيع أنا من ألف جزء

جزءاً، قال: (لا بأس انما كان ذلك رجل من قريش يقال له حكيم بن حزام، وكان اذا دخل الطعام، المدينة اشتراه كله، فمر عليه النبي(ص) فقال: ياحكيم بن حزام إياك أن تحتكر).

وعن حذيفة بن منصور، عن أبي عبد الله(ع) قال: نفد الطعام على عهد رسول الله(ص) فأتاه المسلمون، فقالوا: يارسول الله قد نفد الطعام ولم يبق منه شيء إلا عند فلان فمره ببيعه، قال، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (يافلان ان المسلمين ذكروا ان الطعام قد نفد الا شيء عندك فأخرجه و بعه كيف شئت ولا تحبسه).

وعن الحسين بن عبيد الله بن ضمرة، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب(ع) انه قال: (مرّ رسول الله(ص) بالمحتكرين فأمر بحكرتهم أن تخرج الى بطون الاسواق وحيث تنظر الابصار اليها، فقيل لرسول الله(ص): لو قومت عليهم، فغضب رسول الله(ص) حتى عرف الغضب في وجهه فقال: أنا أقوم عليهم، انما السعر الى الله يرفعه اذا شاء ويخفضه اذا شاء).

أقول: الرفع والخفض بسبب العرض والطلب، والظاهر انه لم يكن هناك ترفيع من صاحب الطعام ولذا لم يسعّره(ص).

وعن محمد بن علي بن الحسين قال: قيل للنبي(ص): لو سعرت لنا سعراً فان الاسعار تزيد وتنقص؟ فقال(ص): (ما كنت لالقي الله ببدعة لم يحدث الي فيها شيئاً، فدعوا عباد الله يأكل بعضهم من بعض، واذا استنصحتم فانصحوا).

وعن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين(ع) قال: (ان الله عزوجل وكل بالسعر ملكاً يدبره بأمره).

وعن أبي حمزة الثمالي قال: ذكر عند علي بن الحسين(ع) غلاء السعر فقال: (وما عليّ من غلائه؟ ان غلا فهو عليه ـــ أي الله ـــ وان رخص فهو عليه).

وعن يعقوب بن يزيد، عمن ذكره، عن أبي عبدالله(ع) قال: (ان الله وكل بالاسعار ملكاً يدبرها).

وعن حفص بن غياث، عن أبي عبدالله قال: (كان سنين يوسف الغلا الذي أصاب الناس ولم يتمن الغلا لأحد قط قال: فأتاه التجار فقالوا: بعنا، فقال: اشتروا،

فقالوا: تأخذ كذا بكذا فقال: خذوا وأمر فكالوهم فحملوا ومضوا حتى دخلوا المدينة فلقيهم قوم تجار، فقالوا: كيف أخذتم؟ قالوا: كذا بكذا وأضعفوا الثمن، قال: فقدم أولئك على يوسف فقالوا: بعنا؟ قال: اشتروا، قالوا: بعنا كما بعت كذا بكذا، فقال: ما هو كما يقولون، ولكن خذوا فأخذوا ثم مضوا حتى دخلوا المدينة فلقيهم آخرون فقالوا: كيف أخذتم؟ فقالوا: كذا بكذا وأضعفوا الثمن، قال: فعظم الناس ذلك الغلاء وقالوا اذهبوا بنا حتى نشتري، قال: فذهبوا الى يوسف، فقالوا: بعنا؟ فقال: اشتروا، فقالوا: بعنا كما بعت؟ فقال: وكيف بعت؟ فقالوا: كذا بكذا فقال: ما هو كذلك ولكن خذوا، قال: فأخذوا ورجعوا الى المدينة فأخبروا الناس، فقالوا: تعالوا فيما بينهم حتى نكذب في الرخص كما كذبنا في الغلا) الحديث. وفيه: انهم فعلوا عكس ما مر.

وعن السكوني، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه(ع) قال: قال رسول الله(ص): (طرق طائفة من بني اسرائيل ليلاً عذاب وأصبحوا وقد فقدوا أربعة أصناف: الطبالين، والمغنين، والمحتكرين للطعام، والصيارفة أكلة الربا منهم).

وعن الحسن بن أبي الحسن البصري (الى أن قال): ثم مشى حتى دخل سوق البصرة فنظر الى الناس يبيعون و يشترون فبكى(ع) بكاءاً شديداً، ثم قال: (ياعبيد الدنيا وعمال أهلها اذا كنتم بالنهار تحلفون و بالليل في فرشكم تنامون، وفي خلاف ذلك عن الآخرة تفعلون، فمتى تحرزون الزاد وتفكرون في المعاد؟) فقال: له رجل: انه لابد لنا من المعاش، فكيف نصنع؟ فقال أميرالمؤمنين(ع): (ان طلب المعاش لا يشغل عن عمل الآخرة، فان قلت لابد لنا من الاحتكار لم تكن معذوراً).

فولى الرجل باكياً (الخبر).

وقال أمير المؤمنين (ع):

[المحتكر آثم وعاص].

وعنه (ع) قال:

[وكل حكرة تضر بالناس وتغلي السعر عليهم فلا خير فيها].

وفي نهج البلاغة في عهده(ع) للاشتر حين ولاه مصر:

[ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات ــ الى أن قال ــ وأعلم مع ذلك ان في

كثير منهم ضيقاً فاحشا وشحاً واحتكاراً للمنافع وتحكماً في البياعات، وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة، فأمنع الاحتكار فان رسول الله(ص) منع منه ــالى أن قالــ: فمن قارف حكرة بعد نهيك اياه فنكل به وعاقب من غير اسراف].

وقال النبي (ص):

[من حبس طعاماً يتربص به الغلاء أربعين يوماً فقد بريء من الله وبريء منه].

وقال:

[من احتكر على المسلمين طعاماً ضربه الله بالجذام والافلاس].

وعن الامدي في الغرر، عن أميرالمؤمنين(ع)، انه قال: (المحتكر محروم نعمة).

وقال (ع):

[الاحتكار شيمة الفجار].

وقال :

[المحتكر البخيل جامع لمن لا يشكره، وقادم على من لا يعذره].

وعن سلم أبي الفضيل قال: قلت لأ بي عبدالله(ع): اني أجلب الطعام الى الكوفة فأحبسه رجاء أن يرجع الى ثمنه أو أربح فيه فيقال: أنت محتكر وان الحكرة لا تصلح. قال: فسألني هل في بلادك غير هذا الطعام؟ فقلت: نعم كثير فقال: (لست بمحتكر ان المحتكر أن يشتري طعاماً ليس في المصر غيره).

وعن أبي عبد الله (ع)، انه قال:

[انما الحكرة أن يشتري طعاماً ليس في المصر غيره فيحتكر، فان كان في المصر طعام أو متاع غيره أو كان كثيراً يجد الناس ما يشترون فلا بأس به، وان لم يوجد فانه يكره أن يحتكر].

وعن دعائم الاسلام، عن أمير المؤمنين(ع)، انه كتب الى رفاعة (إنه عن الحكرة، فمن ركب النهي فأوجعه ثم عاقبه باظهار ما احتكر).

الربا

عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله(ع) قال: (درهم ربا عند الله أشد من سبعين زنية كلها بذات محرم).

وعن سعد بن طريف، عن أبي جعفر(ع) قال: (أخبث المكاسب كسب الربا).

وعن سماعة قال: (قلت لأ بي عبدالله(ع): اني قد رأيت الله تعالى قد ذكر الربا في غير آية وكرره؟ قال: أتدري لم ذاك؟ قلت: لا، قال: (لئلا يمتنع الناس من اصطناع المعروف).

وعن أبي بصير، عن أبي عبدالله(ع) قال: (درهم ربا أشد عند الله من ثلاثين زنية بذات محرم مثل عمة وخالة).

وعن سعيد بن يسار قال: قال أبوعبدالله(ع): (درهم واحد ربا أعظم من عشرين زنية كلها بذات محرم).

وأقول: الاختلاف باعتبار المرابين واختلاف من يعطي الربا وسبب هذه الشدة فان الربا يوجب اختلاف الطبقات المنتهي الى ذهاب الدين والدين كما ذكرناه في (الفقه ـ الاقتصاد).

وعن زرارة، عن أبي عبدالله(ع) قال: قلت له: أني سمعت الله يقول:

«**يمحق الله الربا ويربي الصدقات**»(البقرة/٢٧٦)

وقد أرى من يأكل الربا يربوا ماله؟ فقال: (ايّ محق أمحق من درهم ربا يمحق الدين، وان تاب منه ذهب ماله وافتقر).

وعن هشام بن الحكم، انه سأل أبا عبدالله(ع)، عن علة تحريم الربا؟ فقال: (انه لو كان الربا حلالاً لترك الناس التجارات وما يحتاجون اليه، فحرم الله الربا لتنفر الناس من الحرام الى الحلال والى التجارات من البيع والشراء فيبقى ذلك بينهم في القرض).

وعن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله(ع) قال: (انما حرم الله الربا كيلا يمتنعوا من

صنائع المعروف).

وعن زرارة، عن أبي جعفر(ع) قال: (انما حرم الله عزوجل الربا لئلا يذهب المعروف).

وعن محمد بن سنان: ان علي بن موسى الرضا(ع) كتب اليه فيما كتب من جواب مسائله: (وعلة تحريم الربا لما نهى الله عزوجل عنه، ولما فيه من فساد الاموال، لان الانسان اذا اشترى الدرهم بالدرهمين كان ثمن الدرهم درهماً وثمن الآخر باطلاً فبيع الربا وشراؤه وكس على كل حال على المشتري وعلى البائع، فحرم الله عزوجل على العباد الربا لعلة فساد الاموال، كما حظر على السفيه أن يدفع اليه ماله لما يتخوف عليه من فساده حتى يؤنس منه رشد فلهذه العلة حرم الله عزوجل الربا و بيع الدرهم بالدرهمين، وعلة تحريم الربا بعد البينة لما فيه من الاستخفاف بالحرام المحرم، وهي كبيرة بعد البيان، وتحريم الله عزوجل لها لم يكن الا استخفافاً منه بالمحرم الحرام والاستخفاف بذلك دخول في الكفر، وعلة تحريم الربا بالنسبة لعلة ذهاب المعروف وتلف الاموال ورغبة الناس في الربح وتركهم القرض والقرض صنائع المعروف، ولما في ذلك من الفساد والظلم وفناء الاموال).

وعن أنس بن محمد، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن آبائه، عن النبي(ص) في وصيته لعلي(ع) قال: (ياعلي الربا سبعون جزء فأيسرها مثل ان ينكح الرجل أمه في بيت الله الحرام، ياعلي درهم ربا أعظم عند الله من سبعين زنية كلها بذات محرم في بيت الله الحرام).

وقال رسول الله(ص):

[شر المكاسب كسب الربا].

وعن النبي (ص)، في حديث قال:

[ومن أكل الربا ملأ الله بطنه من نار جهنم بقدر ما أكل وان اكتسب منه مالاً لم يقبل الله منه شيئاً من عمله، ولم يزل في لعنة الله والملائكة ما كان عنده (منه) قيراط (واحدة)].

وعنه (ع):

[اذا أراد الله بقوم هلاكاً ظهر فيهم الربا].

وعن ابراهيم بن عمر اليماني، عن أبي عبدالله(ع) قال: (الربا رباءان: ربا يؤكل وربا لا يؤكل، فأما الذي يؤكل فهديتك الى الرجل تطلب منه الثواب أفضل منها فذلك الربا الذي يؤكل وهو قول الله عزوجل:

«وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون»(الروم/٣٩)

وأما الذي لا يؤكل فهو الذي نهى الله عزوجل عنه وأوعد عليه النار).

أقول: الامام(ع) أشار الى آخر الآية.

وعن ابراهيم بن عمر، عن أبي عبدالله(ع)، في قوله:

«وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله»(الروم/٣٩)

قال: (هو هديتك الى الرجل تريد منه الثواب أفضل منها فذلك ربا يؤكل).

وعن علي (ع) قال:

[لعن رسول الله(ص) في الربا خمسة: آكله وموكله وشاهديه وكاتبه].

وعن البراء بن عازب قال: كان معاذ بن جبل جالساً قريباً من رسول الله(ص) في منزل أبي أيوب الانصاري فقال معاذ: يارسول الله أرأيت قول الله تعالى:

«يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً»(النبأ/١٨)

فقال: يامعاذ سألت عن أمر عظيم من الامر، ثم أرسل عينيه ثم قال: (تحشر عشر أصناف من أمتي أشتاتاً قد ميزهم الله تعالى من المسلمين، و بدل صورهم فبعضهم على صورة القرد (الى أن قال): و بعضهم منكسون أرجلهم من فوق و وجوههم من تحت، ثم يسحبون عليها (الى أن قال«ص»): (وأما المنكسون على رؤوسهم فأكلة الربا).

وعن أبي عبدالله(ع) قال: قال رسول الله(ص): (لما أسري بي الى السماء رأيت أقواماً يريد أحدهم أن يقوم ولا يقدر عليه من عظم بطنه، فقلت: من هؤلاء ياجبرئيل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، واذا هم بسبيل آل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشيا يقولون: ربنا متى تقوم الساعة).

أقول: كأنه لان آكل الربا كلما أراد أن يتخلص من شره سقط فيه، لما جُبل عليه من حب المال.

وعن علي (ع)، انه قال:

[ان خمسة أشياء تقع بخمسة أشياء ولابد لتلك الخمسة من النار: من أتجر بغير علم فلابد له من أكل الربا ولابد لأكل الربا من النار](الحديث).

وعن النبي(ص)، انه قال:

[اذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن في هلاكها].

وقال (ص):

[من أكل الربا ملأ الله بطنه ناراً بقدر ما أكل منه، فان كسب منه مالاً لم يقبل الله شيئاً ولم يزل في لعنة الله والملائكة ما دام عنده منه قيراط].

وعنه (ص)، (انه رأى ليلة أسري به رجالاً بطونهم كالبيت الضخم وهم على سابلة آل فرعون، فاذا أحسوا بهم قاموا ليعتزلوا عن طريقتهم فمال كل واحد منهم بطنه فيسقط حتى يطأهم آل فرعون مقبلين ومدبرين، فقلت: لجبرئيل من هؤلاء؟ قال: أكلة الربا).

وقال (ص):

[لا يقبل الله صلاة خمسة نفر: الآبق من سيده، وامرأة لا يرضى عنها زوجها، ومدمن الخمر، والعاق، وآكل الربا].

وقال (ص):

[يأتي على الناس زمان لا يبقى أحد إلا أكل الربا، فان لم يأكله أصابه من غباره].

وعن علي بن ابراهيم في تفسيره في قوله تعالى:

«**يمحق الله الربا ويربي الصدقات**»(البقرة/٢٧٦)

قال: قيل للصادق(ع): قد نرى الرجل يربى وماله يكثر؟ فقال: (يمحق الله دينه وان كان ماله يكثر).

أقول: (الربا يُمحق أخيراً، كما ذكر في علم الاقتصاد ولعله(ع) أراد ضرره

القريب، أو ان السائل ما كان يدرك نتيجة أكل الربا، ولذا ذكر الامام(ع) ما يفهم).

وعن رسول الله (ص) انه لما قبل الجزية من أهل الذمة لم يقبلها الا على شروط افترضها عليهم، منها: أن لا يأكلوا الربا، فمن فعل ذلك برئت منه ذمة الله وذمة رسوله.

وعن علي بن ابراهيم في تفسيره في قوله تعالى:

«ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين» (البقرة/٢٧٨)

فانه كان سبب نزولها انه لما أنزل الله:

«الذين يأكلون الربا»(البقرة/٢٧٥)

قام خالد بن وليد الى رسول الله(ص) فقال: يارسول الله ربا أبي في ثقيف وقد أوصاني عند موته بأخذه فأنزل الله تعالى:

«ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين، فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله»(البقرة/٢٧٨ــ٢٧٩)

قال: من أخذ الربا وجب عليه القتل).

أقول: أي مستحلاً.

وعن جامع الاخبار، عن النبي(ص)، انه قال: (لعن الله عشراً: آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده والمحلل والمحلل له)(الحديث).

نصوص في بيت المال الاسلامي

التسوية في العطاء

الاسلام يساوي بين الناس في قسمة العطاء فان أموال الدولة (التي هي الخمس والزكاة والخراج والجزية) اذا زادت عن الموظفين ومن اليهم قسمها الوالي بين الناس بالسوية واليك جملة من الروايات في ذلك:

فعن أبي عبد الله(ع) قال: لما ولي علي(ع) صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما أني والله ما أرزئكم من فيئكم هذا درهماً ما قام لي عذق بيثرب، فلتصدقكم أنفسكم، أفتروني مانعاً نفسي ومعطيكم؟

قال فقام اليه عقيل (كرم الله وجهه) فقال: فتجعلني وأسود في المدينة سواء؟

فقال (ع): (اجلس ما كان هٰهنا أحد يتكلم غيرك؟ وما فضلك عليه الا بسابقة أو تقوى).

وعن أبي مخنف الازدي قال: أتى أميرالمؤمنين(ع) رهط من الشيعة فقالوا: ياأميرالمؤمنين لو أخرجت هذه الاموال ففرقتها في هؤلاء الرؤساء والاشراف وفضلتهم علينا حتى اذا اسوثقت الامور عدت الى أفضل ما عدل الله من القسم بالسوية والعدل في الرعية.

فقال: أمير المؤمنين(ع): (أتأمروني ـ ويحكم ـ ان أطلب النصر بالظلم والجور فيمن وليت عليه من أهل الاسلام؟ لا والله لا يكون ذلك ما سمر السمير، وما رأيت في السماء نجماً، والله لو كانت أموالهم ملكي لساويت بينهم، فكيف وانما هي أموالهم؟).

أقول: الانحراف يجب أن يقوّم وان كره أقوام، كما قوم الرسول(ص) الانحراف الى الكفر وان حار به أقوام، والتقويم هو الذي سبّب بقاء الرسول(ص) وعلي(ع) وتحطّم أبي جهل ومعاوية وأضرابهما.

وعن عاصم، عن أبيه قال: أتى علياً(ع) مال من اصفهان فقسمه فوجد فيه رغيفاً فكسره سبع كسر ثم جعل على كل جزء منه كسرة ثم دعا أمراء الاسباع فأقرع بينهم أيهم يعطيه أولاً وكانت الكوفة يومئذ أسباعاً (أي سبع محلات، أو سبع قبائل).

وعن عاصم، عن أبيه، انه قال: كنت عند علي فجاءه مال من الجبل فقام وقمنا معه واجتمع الناس اليه فأخذ حبالاً وصلها بيده وعقد بعضها الى بعض ثم أدارها حول المتاع، ثم قال: (لا أحل لأحد أن يجاوز هذا الحبل) قال: فقعدنا من وراء الحبل ودخل علي(ع) فقال: أين رؤوس الاسباع؟ فدخلوا عليه فجعلوا يحملون هذا الجوالق الى هذا الجوالق وهذا الى هذا حتى قسموه سبعة أجزاء، قال: فوجد مع المتاع رغيفاً فكسره سبع كسر ثم وضع على كل جزء كسرة، ثم قال: (هذا جناى وخياره فيه).

(اذ كل جان يده الى فيه)

قال: ثم أقرع عليها فجعل كل رجل يدعو قومه فيحملون الجوالق.

وروي عن أمير المؤمنين علي(ع)، انه أمر عمار بن ياسر وعبدالله بن أبي رافع وأبا الهيثم بن التيهان أن يقسموا مالاً من الفيء بين المسلمين وقال: (اعدلوا بينهم ولا تفضلوا أحداً على أحد) فحسبوا فوجدوا الذي يصيب كل رجل من المسلمين ثلاثة دنانير فاتوا الناس، فأقبل عليهم طلحة والزبير ومع كل واحد ابنه، فدفعوا الى كل واحد منهم ثلاثة دنانير، فقال طلحة والزبير: ليس هكذا كان يعطينا عمر فهذا منكم، أو عن أمر صاحبكم؟

قالوا: هكذا أمرنا أميرالمؤمنين(ع).

فمضينا اليه(ع) فوجداه في بعض أحواله قائماً في الشمس على أجير له يعمل بين يديه، فقالا له: ترى أن ترتفع معنا الى الظل؟

قال: نعم.

فقالا له: انا أتينا الى عمالك على قسمة هذا الفيء فأعطونا كما أعطى ساير الناس.

قال: فما تريدان؟

قالا: ليس كذلك كان يعطينا عمر.

قال (ع): فما كان يعطيكما رسول الله(ص)؟ فسكتا.

فقال (ع): أليس كان النبي(ص) يقسم بين المسلمين بالسوية؟

قالا: نعم.

قال: فسنة رسول الله(ص) أولى بالاتباع عندكما أم سنة عمر؟

قالا: سنة رسول الله(ص)، ولكن لنا ياأميرالمؤمنين سابقة وعناء وقرابة، فان رأيت ان لا تسوينا بالناس فافعل.

قال: سابقتكما أسبق أو سابقتي؟

قالا: سابقتك.

قال: فقرابتكما أقرب أم قرابتي؟

قالا: قرابتك.

قال: فعنائكما أعظم أم عنائي؟

قالا: بل أنت ياأميرالمؤمنين أعظم عناءاً.

قال: فو الله ما أنا وأجيري هذا في المال إلا بمنزلة واحدة، وأومأ بيده الى الاجير الذي بين يديه..

أقول: ان ذلك الانحراف في العطاء أوجب تفرقة المسلمين والا فلوعمل كما فعله الرسول(ص) لكان الاسلام اليوم يسود العالم ولم يكن في العالم ــ اليوم ــ ألف مليون جائع.

وفي خبر آخر انه قام سهل بن حنيف فأخذ بيد عبده فقال: ياأميرالمؤمنين قد أعتقت هذاالغلام فأعطاه ثلاثة دنانير مثل ما أعطى سهل بن حنيف.

وفي خبر: انه كتب أميرالمؤمنين(ع) في أول خلافته الى حذيفة بن اليمان بالمدائن، وفيه: (وآمرك أن تجبى خراج الارضين على الحق والنصفة، ولا تتجاوز ما قدمت به اليك، ولا تدع منه شيئاً، ولا تبتدع فيه أمراً ثم أقسمه بين أهله بالسوية والعدل).

أقول ان كل ولاة رسول الله(ص) والامام(ع) كانوا يقسمون المال في بلادهم فاذا زاد عن احتياج البلد أرسلوه الى النبي(ص) والامام(ع).

وعن ذا زان قال انطلقت مع قنبر الى علي(ع) فقال: قم ياامير المؤمنين فقد خبأت لك

خبيئة.

قال: مما هو؟

قال: قم معي.

فقام؛ فانطلق الى بيته، فاذا بأسنة مملوة جامات من ذهب وفضة فقال: أميرالمؤمنين انك لا تترك شيئاً إلا قسمته فادخرت هذا لك.

قال علي(ع): (لقد أحببت أن تدخل بيتي ناراً) فسل سيفه فضربه فانتشرت من بين اناء مقطوع نصفه أو ثلثه، ثم قال: قسموه بالحصص، ففعلوا فجعل يقول: (هذا جناي وخياره فيه) (وكل جان يده الى فيه).

وفي رواية في فضائل أميرالمؤمنين(ع)، انه لمّا ترك التفضيل لنفسه وولده على أحد من الاسلام دخلت عليه أم هاني بنت أبي طالب، فدفع اليها عشرين درهماً، فسألت أم هاني مولاتها العجمية، فقالت: كم دفع اليك أميرالمؤمنين(ع) فقالت: عشرين درهماً، فانصرفت مسخطة فقال لها: (انصرفي رحمك الله وما وجدنا في كتاب الله فضلاً لاسماعيل على اسحاق).

وبعث اليه (ع) من غوص البحرين عقد لا تدري ما قيمته فقالت له ابنته أم كلثوم: أتجمّل به و يكون في عنقي فقال: (ياأبارافع أدخله في بيت المال، ليس الى ذلك سبيل حتى لا تبقى امرأة من المسلمين الا ولها مثل ذلك).

وأتىٰ أميرالمؤمنين(ع) سهل بن حنيف بمولى له أسود فقال: كم يؤتى هذا؟ فقال أميرالمؤمنين(ع): كم أخذت فقال: ثلاثة دنانير وكذلك أخذ الناس، فقال: فاعطوا مولاه مثل ما أخذ ثلاثة دنانير.

وعن حفص بن غياث قال: سمعت أبا عبدالله(ع) يقول: ــ وقد سأل عن «قسم» من بيت المال ــ فقال: (أهل الاسلام هم أبناء الاسلام، اسوّى بينهم في العطاء، وفضائلهم بينهم وبين الله أجعلهم كبني رجل واحد لا يفضل أحد منهم لفضله وصلاحه في الميراث على آخر ضعيف منقوص).

قال: وهذا فعل رسول الله(ص).

وعن أبي اسحاق الهمداني: ان امرأتين أتيتا علياً(ع) عند القسمة، احداهما من

العرب والاخرى من الموالي، فأعطى كل واحدة خمسة وعشرين درهماً وكرّاً من الطعام، فقالت العربية: ياأميرالمؤمنين أني امرأة من العرب، وهذه امرأة من العجم، فقال(ع): (والله لا أجد لبني اسماعيل في هذا الفيء فضلاً عن بني اسحاق).

وعن ربيعة وعمارة ان طائفة من أصحاب أميرالمؤمنين(ع) مشوا إليه فقالوا: ياأميرالمؤمنين اعط هذه الاموال، وفضل هؤلاء الاشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم ومن تخاف عليه من الناس فراره الى معاو ية.

فقال لهم أمير المؤمنين(ع): (أتأمروني أن أطلب النصر بالجور؟ لا والله لا أفعل ما طلعت شمس ولاح في السماء نجم، والله لو كان مالهم لي لسو يت بينهم، وكيف وانما هو أموالهم؟..).

تعجيل القسمة

عن هلال بن مسلم، عن جده قال: شهدت علي بن أبي طالب(ع) أتى بمال عند المساء، فقال: (اقسموا هذا المال).

فقالوا: قد أمسينا ياأمير المؤمنين فأخِره الى غد.

فقال لهم: (تتقبلون إني أعيش الى غد)؟

قالوا: وماذا بأيدينا!

قال: (فلا تؤخروه حتى تقسموه).

قال: فأتى بشمع فقسموا ذلك المال من غنائمهم.

وعن مجمع: ان علياً(ع) كان يكنس بيت المال كل يوم جمعة، ثم ينضحه بالماء ثم يصلي فيه ركعتين ثم يقول: (تشهدان لي يوم القيامة).

وعن علي(ع) قال: (كان خليلي رسول الله(ص) لا يحبس شيئاً لغد، وكان أبوبكر يفعل، وقد رأى عمر في ذلك ان دوّن الدواو ين وأخر المال من سنه الى سنه، وأما أنا فأصنع كما صنع خليلي رسول الله(ص) قال: وكان علي يعطيهم من الجمعة الى الجمعة وكان يقول:

(هذا جناي وخياره فيه)

(اذ كل جان يده الى فيه).

أقول: الظاهر ان هذا التأخير كان عند قلة المال، أما اذا كان يمكن تقسيمه في نفس الوقت فكان(ع) يقسّمه.

وعن مجمع التيمي: ان علي(ع) كان ينضح بيت المال ثم يتنفل فيه و يقول: (أشهد لي يوم القيامة اني لم أحبس فيك المال على المسلمين).

وعن بكر بن عيسى قال: كان علي(ع) يقول: (ياأهل الكوفة ان خرجت من عندكم بغير رحلي وراحلتي وغلامي فأنا خائن).

وكانت نفقته تأتيه من غلته بالمدينة من ينبع، وكان يطعم الناس الخل واللحم و يأكل من الثريد بالزيت ويجللها بالتمر من العجوة وكان ذلك طعامه وزعموا انه كان يقسم ما في بيت المال فلا يأتي الجمعة، وفي بيت المال شيء، و يأمر ببيت المال في كل عشية خميس فينضح بالماء ثم يصلي فيه ركعتين).

وروى القمي في تفسيره في قوله تعالى:

«واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دمائكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون»(البقرة/٨٤)

انه لما أمر عثمان بنفي أبي ذر (رحمه الله) الى الربذة دخل عليه أبوذر وكان عليلاً متوكأ على عصاه و بين يدي عثمان مئة ألف درهم قد حملت اليه من بعض النواحي وأصحابه حوله ينظرون اليه و يطمعون أن يقسمها فيهم، فقال أبوذر لعثمان: ما هذا المال؟

فقال عثمان: مائة ألف درهم حملت اليّ من بعض النواحي أريد أن أضم اليها مثلها، ثم أرى فيها رأيي.

فقال أبو ذر: ياعثمان ايهما أكثر مائة ألف درهم أو أربعة دنانير؟

فقال عثمان: بل مائة ألف درهم.

فقال أبو ذر: أما تذكر أنا وأنت دخلنا على رسول الله(ص) عشاءً فرأيناه كئيباً حزيناً فسلمنا عليه فلم يرد علينا السلام (أي رداً ببشر)، فلما أصبحنا أتيناه فرأيناه ضاحكاً

مستبشراً فقلنا له: بآبائنا وأمهاتنا، دخلنا عليك البارحة فرأيناك كئيباً حزيناً وعدنا اليك ليوم فرأيناك ضاحكاً مستبشراً؟ فقال(ص): نعم كان عندي من فيء المسلمين أربعة دنانير لم أكن قسمتها وخفت أن يدركني الموت وهي عندي وقد قسمتها اليوم فاسترحت..). الخبر.

وعن هارون بن مسلم البجلي، عن أبيه قال: أعطى علي(ع) الناس في عام واحد ثلاثة أعطية، ثم قدم عليه خراج اصفهان فقال: (أيها الناس اغدوا فخذوا، فوالله ما أنا لكم بخازن) ثم أمر ببيت المال فكنس ونضح وصلى فيه ركعتين، ثم قال: (يادنيا غرّي غيري) ثم خرج فاذا هو بحبال على باب المسجد، فقال: ما هذه الحبال؟ فقيل جيء بها من أرض كسرى فقال: (اقسموها بين المسلمين).

أقول: (ثلاثة أعطية) أي عامّة للكل أما العطاءات الأخر فكانت لأجل الجهاد ونحوه.

كيفية تقسيم الغنائم

عن معاوية بن وهب قال: قلت لأبي عبدالله(ع) السرية يبعثها الامام فيصيبون بها غنائم كيف تقسم؟ قال: (ان قاتلوا عليها مع امير امره الامام عليهم أخرج منها الخمس لله وللرسول وقسم بينهم أربعة أخماس، وان لم يكونوا قاتلوا عليها المشركين كان كل ما غنموا للامام يجعله حيث أحب.

أقول: وذلك لان الحرب يلزم أن تكون بأمر الامام ــ كما قرر في الفقه ــ.

وعن أبي الحسن(ع) في حديث قال: (يؤخذ الخمس من الغنائم فيجعل لمن جعله الله له ويقسم أربعة أخماس بين من قاتل عليه وولى ذلك) قال: (وللامام صفو المال ان يأخذ الجارية الفارهة والدابة الفارهة والثوب والمتاع مما يحب أو يشتهي فذلك له قبل قسمة المال وقبل اخراج الخمس) قال: (وليس لمن قاتل شيء من الارضين ولا ما غلبوا عليه الا ما احتوى عليه العسكر، وليس للأعراب من الغنيمة شيء، وان قاتلوا مع الامام، لان رسول الله(ص) صالح الاعراب ان يدعهم في ديارهم ولا يهاجروا على انه ان

دهـم رسـول الله(ص) مـن عـدوه دهـم ان يـسـتـفـزهـم فيقاتل بهم وليس لهم في الغنيمة نـصـيـب، وسـنـتـه جارية فيهم وفي غيرهم، والارضون التي أخذت عنوة بخيل أو ركاب فـهـي مـوقوفة متروكة في يدي من يعمرها ويحييها و يقوم عليها على ما صالحهم الوالي على قـدر طـاقـتـهـم من الحق الخراج النصف أو الثلث أو الثلثين على قدر ما يكون لهم صلاحاً ولا يـضرهم (الى أن قال): و يؤخذ بعد ما بقي من العشر فيقسم بين الوالي و بين شركائه الـذيـن هـم عـمـال الارض واكـرتها فيدفع اليهم انصبائهم على ما صالحهم عليه و يؤخذ الـبـاقـي فـيـكـون بـعـد ذلـك أرزاق أعوانه على دين الله، وفي مصلحة ما يبنونه من تقوية الاسـلام وتـقـو ية الدين في وجوه الجهاد، وغير ذلك مما فيه مصلحة العامة ليس لنفسه من ذلك قليل ولا كثير).

أقول: (الصفايا) للامام حيث انه يـهـــدي الى الناس ما فيه تقوية الاسلام وصلاح حال المسلمين، ولذا لا تقسم الصفايا بين المقاتلين.

وعـن عـبـد الـكـريـم عـن عتبة، عن أبي عبدالله(ع)، في حديث طويل انه(ع) قال لـعـمـرو بـن عـبـيـد: أرأيـت ان هـم ابـــو الجزيـة فقاتلهم فظهرت عليهم وكيف تصنع بالغنيمة؟

قـال: أخـرج الخـمـس وأقـسـم أربعة أخماس بين من قاتل عليه (الى أن قال«ع»): أرأيت الاربعة أخماس تقسمها بين جميع من قاتل عليها؟

قال: نعم.

قـال (ع): (فقد خالفت رسول الله(ص)، بيني و بينك فقهاء أهل المدينة ومشيختهم وأسـألـهـم فـانـهـم لا يختلفون ان رسول الله(ص) صالح الاعراب على ان يدعهم في ديارهم ولا يـهـاجـروا على انـه ان دهـمـهم من عدوه دهم ان يستفزهم فيقاتل بهم، وليس لهم في الـقـسـمـة نصيب، وأنت تقول بين جميعهم فقد خالفت رسول الله(ص) في كل ما قلت في سيرته في المشركين).

أقـول: انما لزمت الهجرة لتقوية الدين بكثرة الجماعة ولتعلمهم معالم الاسلام، فاذا لم يهاجروا حرموا من الغنيمة مع وجوب الجهاد عليهم.

وعـن ابـن سـنـان، عـن أبـي عبدالله (ع) قال: سمعته يقول: (من الغنية يخرج منها

الخمس و يقسم ما بقي بين من قاتل عليه وولى ذلك، وأما الفيء والانفال فهو خالص لرسول الله (ص).

أقول: الفيء ما انجلى عنها أهلها بغير حرب، والانفال رؤوس الجبال و بطون الاودية والآجام ونحوها.

وعن أبي عبدالله(ع)، انه قال:

[الغنيمة تقسّم على خمسة أخماس فتقسّم الى أربعة أخماس على من قاتل عليها، والخمس لنا أهل البيت في اليتيم منا والمسكين وابن السبيل وليس فينا مسكين ولا ابن السبيل اليوم بنعمة الله فالخمس لنا موفراً ونحن شركاء الناس فيما حضرناه في الاربعة الاخماس].

أقول: ذلك لمكان القيادة المحتاجة الى أموال كثيرة لادارة الشؤون.

وعن أمير المؤمنين (ع): ان رسول الله(ص) قال:

[ليس للعبيد من الغنيمة شيء، وان حضر وقاتل عليها فرأى الامام أو من اقامه الامام ان يعطيه على بلائه ان كان منه أعطاه من المتاع ما يراه].

أقول: وذلك لأن مصارف العبيد على مواليهم.

وعنه (ع)، انه قال:

[من مات في دار الحرب من المسلمين قبل أن يحرز الغنيمة فلا سهم له فيها، ومن مات بعد ان أحرزت فسهمه ميراث لورثته].

وعن النبي (ص) انه قسم في النفل للفارس سهمين وللراجل سهماً.

و بعث أسامة بن زيد الى أمير المؤمنين(ع) ان ابعث اليّ بعطائي، فوالله لتعلم انك ان كنت في فم الأسد لدخلت معك، فكتب اليه: (ان هذا المال لمن جاهد عليه، ولكن هذا مالي بالمدينة فاصب منه ما شئت).

وعن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله(ع) قال: سألته عن الاعراب عليهم جهاد؟ قال: (لا.. إلا أن يخاف على الاسلام فيستعان بهم).

قلت: فلهم من الجزية شيء؟

قال: لا).

عن سماعه، عن أحدهما(ع) قال: (ان رسول الله (ص) خرج بالنساء في الحرب يداوين الجرحى ولم يقسم لهن من الفيء شيئاً ولكنه نفلهن).

أقول: أي أعطاهن نافلة من الغنيمة.

وعن جميل بن دراج، عن أبي عبدالله(ع) قال: (انما تضرب السهام على ما حوى العسكر).

وعن مسعدة بن صدقة، عن جعفر، عن أبيه، عن آبائه: ان علياً(ع) قال: (اذا ولد المولود في أرض الحرب قسم له مما أفاء الله عليهم).

وعن أبي البختري، عن جعفر، عن أبيه، عن علي(ع) قال: (اذا ولد المولود في أرض الحرب أسهم له).

وعن المنهال بن عمرو، عن علي بن الحسين(ع) قال: قلت له: قوله:

«ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل»(الحشر/١)

قال: (هم أقرباؤنا ومساكيننا وأبناء سبيلنا).

أقول: ان الله سبحانه جعل الخمس للسادة والزكاة لمن عداهم، لأجل أن تكون للرسول(ص) شؤون خاصة، في أقربائه، كما له شؤون خاصة أخر، لأجل تذكير المسلمين دائماً به(ص).

الفصل الثاني:

الايمان

القرآن: أساس الحضارة الاسلامية

لاشك ان أول أساس بنيت عليه الحضارة الاسلامية ــ التي أنقذت العالم من الويلات، ودفعته الى التقدم الهائل في أبعاد الحياة ــ هو القرآن، ولذا فمن الضروري ــ اذا أردنا إعادة الحضارة الاسلامية ــ أن نبنيها على القرآن مرة ثانية.

القرآن: في النصوص الدينية

وهنا نستعرض جملة من الروايات والاحاديث الواردة حول القرآن الحكيم:

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

[عدد درج الجنة عدد آي القرآن، فاذا دخل صاحب القرآن الجنة قيل له: أرق وأقرأ، لكل آية درجة، فلا يكون فوق حافظ القرآن درجة]

وعن علي عليه الصلاة والسلام، انه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

[القلوب أربعة: فقلب فيه ايمان وليس فيه قرآن، وقلب فيه قرآن وايمان، وقلب فيه قرآن وليس فيه ايمان، وقلب لا قرآن فيه ولا ايمان.

فأما القلب الذي فيه ايمان وليس فيه قرآن كالثمرة، طيب طعمها ليس لها ريح.

وأما القلب الذي فيه قرآن وليس فيه ايمان كالأشمة طيب ريحها خبيث طعمها.

وأما القلب الذي فيه قرآن وايمان كجراب المسك ان يفتح فتح طيباً، وان وعى وعى طيباً.

وأما القلب الذي لا قرآن فيه ولا ايمان كالحنظلة خبيث ريحها خبيث طعمها].

وفي رواية قال رسول الله (ص) :

[ان هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا مأدبته ما استطعتم].

وفي رواية معاذ قال: **كنا مع رسول الله(ص) في سفر فقلت: يا رسول الله حدثنا بما لنا فيه نفع؟**

فقال: **[ان أردتم عيش السعداء، وموت الشهداء، والنجاة يوم الحشر، والظل يوم الحرور، والهدي يوم الضلالة فادرسوا القرآن، فانه كلام الرحمن، وحرز من الشيطان، ورجحان في الميزان].**

وعن رسول الله (ص)، انه قال:

[ما من مؤمن ذكر أو أنثى حر أو مملوك إلا ولله عليه حق واجب أن يتعلم من القرآن و يتفقه فيه، ثم قرأ هذه الآية: «ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تُعلمون الكتاب»(آل عمران/٧٩)

الى آخر الآية].

وجاء أبو ذر الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يارسول الله اني أخاف أن أتعلم القرآن ولا أعمل به؟!

فقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

[لا يعذب الله قلباً أسكنه القرآن]

وعن الجهني: ان النبي (ص) قال:

[لو كان القرآن في أهاب ما مسه النار].

وعن سعد، عن النبي (ص) قال:

[خياركم من تعلم القرآن وعلمه].

وعن النبي (ص) قال:

[تعلموا القرآن وتعلموا غرائبه، وغرائبه فرائضه وحدوده، فان القرآن نزل على خمسة وجوه: حلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال، فأعملوا بالحلال، ودعوا الحرام، واعملوا بالمحكم، ودعوا المتشابه، واعتبروا بالامثال]

وفي رواية: ان رسول الله (ص) قال:

[أيكم يحب أن يغدوا الى العقيق أو الى بطحاء مكة فيؤتى بناقتين كوماوين

حسنتين فيدعى بهما الى أهله من غير ماء ثم ولا قطيعة رحم؟].

قالوا: كلنا نحب ذلك يارسول الله.

قال: [لأن يأتي أحدكم المسجد فيتعلم آية خير له من ناقة، واثنتين خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث].

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص):

[أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل].

وعن النبي (ص)، انه قال:

[ثلا ثة على كثبان المسك يوم القيامة، رجل قرأ كتاب الله، وأم لله قوماً وهم به راضون].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال:

[معلم القرآن ومتعلمه يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر]

وعن أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام قال:

[ذكر رسول الله (ص) الفتنة يوماً، فقلنا: يارسول الله كيف الخلاص منها؟

فقال: بكتاب الله، فيه نبأ من كان قبلكم، ونبأ من كان بعدكم، وحكم ما كان بينكم، وهو الفصل وليس بالهزل، ما تركه جبار الا قصم الله ظهره، ومن طلب الهداية بغير القرآن ضل، وهو الحبل المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، وهو الذي لا تلبس على الالسن،ولا يخلق من كثرة القرائة،ولا يشبع منه العلماء ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لما سمعه الجن قالو: «إنا سمعنا قرآناً عجبا»(١)، وهو الذي ان قال صدق، وان حكم عدل، ومن تمسك به هداه الى الصراط المستقيم]

وفي (نهج البلاغة) قال أميرالمؤمنين (ع):

[اعلموا ان هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى، ونقصان في عمى.

واعلموا انه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا أحد قبل القرآن من غنى،

فاستشفوه من ادوائكم واستعينوا به على لأ وائكم، فان فيه شفاءاً من أكبر الداء، وهو الكفر والنفاق والعمى والضلال، فأسألوا الله به وتوجهوا اليه بحفظه، ولا تسألوا به خلقه، انه ما توجه العباد الى الله بمثله.

واعلموا انه شافع مشفع وقائل مصدق وانه من شفع القرآن له يوم القيامة مشفع فيه، ومن محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه، فانه ينادي مناد يوم القيامة إلا ان كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن، فكونوا من حرثته واتباعه، واستدلوه على ربكم، واستنصحوه على أنفسكم، واتهموا عليه آرائكم واستخشوا فيه أهوائكم].

وقال رسول الله (ص):

[ان أكرم العباد الى الله بعد الانبياء العلماء، ثم حملة القرآن، يخرجون من الدنيا كما يخرج الانبياء، ويحشرون من قبورهم مع الانبياء، ويمرون على الصراط مع الانبياء، و يأخذون ثواب الانبياء، فطوبى لطالب العلم وحامل القرآن مما لهم عند الله من الكرامة والشرف]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

[حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله، الملبسون نور الله، المعلمون كلام الله، من عاداهم فقد عادى الله، ومن والاهم فقد والى الله]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

[يوضع يوم القيامة منابر من نور وعند كل منبر نجيب من نجب الجنة، ثم ينادى مناد من قبل رب العزة: أين حملة كتاب الله؟ اجلسوا على هذه المنابر فلا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون، حتى يفرغ الله تعالى من حساب الخلائق، ثم يقال لهم: (اركبوا على هذه النجب واذهبوا الى الجنة).

وقال (ص):

(من استظهر القرآن وحفظه، وأحل حلاله وحرم حرامه، أدخله الله به الجنة وشفعة في عشرة من اهل بيته)].

وعن علي (ع)، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، انه قال:

[ألا أخبركم بالفقيه كل الفقيه.

قالوا: بلى يارسول الله.

قال: (من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤمنهم مكر الله، ومن لم يرخص لهم في معاصي الله، ومن لم يدع القرآن رغبة الى غيره لانه لا خير في علم لا تفهم فيه ولا عبادة لا تفقه فيه، ولا قراءة لا تدبر فيها)].

سر الانطلاقة الأولى

وقد كان القرآن ــ بما أوجد في المسلمين من الروح المعنوية العالية، والايمان بالله واليوم الآخر، والخوف من الجنة والنار، والتحلي بالاخلاق الحميدة ــ أول مبعث لانطلاقة المسلمين، تلك الانطلاقة المذهلة التي اعترف الغرب بأنها كانت وراء النهضة العلمية في الغرب، و بأن المسلمين هم آباء العلم الحديث.

علماء الغرب.. يعترفون

يقول **(فوستاف لوبون)**: ان المكتبات والمحابر والادوات هي مواد لابد منها في التعليم وفي البحوث، ولكن هذه الاشياء ليست في النهاية إلا مواد وعناصر، وان قيمتها تتوقف فقط على الطريقة التي تستخدم فيها، وان الانسان قد يستطيع أن يمتلأ من علوم الآخرين و يبقى مع ذلك غير آهل لأن يفكر بواسطة شخصه أو أن يوجد شيئاً ما، وقد يستطيع أن يكون تلميذاً من غير أن يقدر على أن يكون استاذاً

و يقول: وان الاكتشافات المشروحة في الفصول الآتية سوف ترينا الفائدة التي عرف العرب ان يستخلصوها من مواد الدراسة وعناصرها المجموعة بواسطتهم، وسوف نقتصر الآن على المباديء العامة التي وجهت بحوثهم، فبعد أن جعلوا من أنفسهم تلامذة فقط متخذين من مؤلفات اليونان اساتذة لهم عرفوا بعد قليل ان الاختبار والملاحظة هما أثمن من خيار الكتب، وان هذه الحقيقة التي أصبحت اليوم من البديهيات لم تكن دائماً كذلك، فان علماء القرون الوسطى قد عملوا مدة ألف عام قبل أن يفهموها).

ثـم يـقول: (ان الاختبار والملاحظة هما أسس الطرق العلمية الحديثة، ولقد اسند الى (باكون) بـصورة عامة فكرة وضع (الاختبار) مكان سلطة (الاستاذ) غير انه يجب اليوم أن نـعـتـرف بأن هاتين القاعدتين انما تعودان بصورة كاملة الى العرب، وان هذا الرأي قد صـارح بـه مـع ذلـك جميع العلماء الذين درسوا مخلفات العرب و بصورة خاصة (هامبولد) فـبـعـد ان بـرهـن هـذا الـرجـل الـفذّ ان أعلى درجة في العلم انما تكون عندما تولد بنفسها وحـسـب ارادتـهـا حـقـايـق عـلـمـية وذلك بواسطة الاختبار ان العرب قد رسموا الى هذه الدرجة غير المعروفة تقريباً عند القدامى).

ثـم يـقول: (وقال (سيدييو): ان الذي أوجد صورة خاصة لمدرسة بغداد في أول نشأتها انما هـو الـفـكـرة الـعلمية الحقيقية التي تتحكم في دراستها، وان القواعد التي كانت تدرس سابقاً من قبل الاساتذة هي الانتقال من المعلوم الى المجهول والفهم الدقيق للحقايق كي ينتقل بعد ذلك من المسببات الى الاسباب، وان لا يقبل الا ما برهن عليه الاختبار، وان الـعـرب في الـقـرن الـتـاسـع مـن المـيـلاد كانت لديهم هذه الطريقةِ الخصبة، وهي التي انـتـقـلـت بعد زمن طو يل جداً الى ايدي المحدثين وتكون الواسطة لأجل ما كان منهم في الاكتشافات).

المسلمون: آباء العلم الحديث

ولقد كتب (ديلامبر) في كتابه (تاريخ الفلك) فقال: اذا عددنا بجهد اثنين أو ثلاثة مـن المـلاحـظين فـيـمـا بين الـيونان، فانه يرى على العكس من ذلك عدد كبير منهم عند الـعرب، أما في الكيمياء فانه لا يستطيع فكر أحد ما من الملاحظين عند اليونان بينما هم عـنـد العرب يعدون بالمئات، وان اعتياد العرب على الاختبار قد أسبغ على دراساتهم هذه الـدقـة، وهـذا الابـداع اللـذين لا يمكن أبداً أن تتوقع وجودهما عند الرجل الذي ما درس الحـقـايـق إلا في كـتـب، ان دور العرب لم يقتصر فقط على تلقيط العلوم باكتشافاتهم بل عملوا على نشرها بواسطة جامعاتهم و بواسطة مؤلفاتهم وان التأثير الذي أحدثوه في اوربا مـن هـذه الناحية الاخيرة قد كان عظيماً جداً، لان العرب قد كانوا في مدة عصور عديدة

هم وحدهم الاساتذة الذين عرفتهم الامم النصرانية، واننا اليهم وحدهم مدينون في معرفة العلم القديم اليوناني اللاتيني، وان التعليم في جامعاتنا لم يتوقف عن الاعتماد على ترجمة الكتب العربية إلا في الايام الاخيرة.

و يقول (ليبرى) في صدد تأثير الحضارة الاسلامية على الحضارة العالمية في هذا اليوم: (ارفعوا العرب من التاريخ تتأخر النهضة في اوربا قروناً عدة).

و يقول (سلوريان): كان للعرب عصر مجيد عرفوا فيه بانكبابهم على الدرس وسعيهم في ترقية العلم والفن ولا نبالغ اذا قلنا ان اوربا مدينة لهم بخدمتهم العلمية، تلك الخدمة التي كانت العامل الاول والاكبر في نهضة القرنين الثالث عشر والرابع عشر للميلاد).

و يقول (و يلز): كانت طريق العربي أن ينشد الحقيقة بكل استقامة و بساطة وان يجلوها بكل وضوح وتدقيق، غير تارك منها شيئاً في ظل الابهام، وان هذه الخاصة التي جائتنا نحن الاوربيين من اليونان، وهي النور انما جائتنا عن طريق العرب ولم تهبط على أهل العصر الحاضر عن طريق اللاتين).

و يقول (البارون): ان الرومان لم يحسنوا القيام بالميراث الذي تركه اليونان، وان العرب كانوا على خلاف ذلك فقد حفظوه واتقنوه ولم يقفوا فيه عند هذا الحد، بل تعدوه الى ترقيته وطبقوه باذلين الجهد في تحسينه وانمائه حتى سلموه للعصور الحديثة).

و يقول (سيديوان): انتاج أفكار العرب الغزيرة ومخترعاتهم النفيسة تشهد بأنهم أساتذة أهل اوروبا في جميع الاشياء).

و يقول (الدكتور سارطون): ان بعض الغربيين الذين يريدون أن يستخفوا بما أسداه الشرق الى الحضارة يصرحون بأن العرب والمسلمين نقلوا العلوم القديمة ولم يضيفوا اليها شيئاً ما، هذا خطأ، بل ان العرب والمسلمين كانوا أعظم معلمين في العالم في القرون الثلاثة: الثامن والحادي، والثاني عشر للميلاد.

الى غيرها من تصريحاتهم، فانهم وان نسبوا ذلك الى (العرب) لكنه كان في الواقع من مفاخر الاسلام والمسلمين، فالمسلمون تمكنوا من أن يكونوا أساتذة العالم، لا هذا فحسب، بل تمكنوا أن يبنوا حضارة فتية تنقذ العالم من و يلاته وحروبه ومشاكله وكان ذلك في ظل القرآن وما فيه من المباديء الرفيعة والاخلاق السامية والترغيب الى الجنة

والتخويف من النار، والايمان بالله ورسوله(ص) وبما جاء به من عند ربه.

فاذا أردنا صياغة الحضارة الجديدة في العالم الحاضر لتخليصه من الشرور والمشاكل، فاللازم علينا احياء القرآن والايمان بالله و بالرسول(ص) وذكر الجنة والنار، فان ذكر الجنة والنار من المحفزات الكبيرة لانطلاق الانسان واستقامته وخدمته للانسان.

نموذجان للتأثير القرآني

وهنا نستعرض آيات من سورتين مباركتين إحداهما بالنسبة الى ذكر الجنة، والاخرى بالنسبة الى ذكر النار حتى نرى كيف انها تحفز الانسان على الاستقامة وصحة العمل والتقدم الى الامام، فان الخوف والرغبة في الانسان يدفعان الانسان الى العمل والى الوقوف في مواضع الوقوف، والى الانطلاق في مواضع الانطلاق كما هو واضح.

النموذج الأول:

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الواقعة بالنسبة الى الجنة:

«وكنتم أزواجاً ثلاثة، فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة، وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة، والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم، ثلة من الاولين وقليلٌ من الآخرين، على سرر موضونة، متكئين عليها متقابلين، يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين، لا يصدعون عنها ولا ينزفون، وفاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون،وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون، جزاءاً بما كانوا يعملون، لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قيلا سلاماً سلاما وأصحاب اليمين ما اصحاب اليمين، في سدر مخضود، وطلح منضود، وظل ممدود، وماء مسكوب، وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة، وفرش مرفوعة، انا أنشأناهن إنشاءاً، فجعلناهن ابكارا عرباً اترابا، لاصحاب اليمين، ثلة من الاولين وثلة من الآخرين»(الواقعة/٧ـ٢٦).

النوذج الثاني :

يقول سبحانه بالنسبة الى النار في سورة الفرقان:

«بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا، اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيرا، واذا القوا منها مكاناً ضيقا مقرّنين دعوا هنالك ثبورا، لا تدعوا اليوم ثبورا واحداً وادعوا ثبورا كثيرا»(الفرقان/١١ــ١٤)

«ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول ءأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل، قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآبائهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بورا، فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفاً ولانصراً»(الفرقان/١٧ــ١٩)

«يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجورا، وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءاً منثورا»(الفرقان/٢٢/٢٣)

«ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا، الملك يومئذ الحق للرحمان وكان يوماً على الكافرين عسيرا، ويوم يعض الظالم على يديه يقول: ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا، يا ويلتي لم اتخذ فلاناً خليلا، لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جائني وكان الشيطان للانسان خذولا»(الفرقان/٢٥/٢٩)

«الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكاناً وأضل سبيلا»(الفرقان/٣٤)

«والذين يقولون ربنا أصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقراً ومقاما»(الفرقان/٦٥ــ٦٦).

«يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهانا»(الفرقان/٦٩)

وقس على ذلك سائر الآيات القرآنية المتعرضة لذكر الجنة والنار والترغيب والترهيب.

الأحاديث توجه الناس نحو الايمان

ومن هنا نرى ان رسول الله (ص) وان علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما يكثران من ذكر الجنة والنار ويخوّفان منهما تخويفاً كبيراً!

ومن هنا ـ أيضاً ـ نرى في الاحاديث الكثيرة: وجوب الاعتصام بالله، والتوكل عليه، والتفويض اليه، وعدم جواز تعلق الرجاء والامل بغير الله، ووجوب الخوف منه، والجمع بين خوفه ورجائه، وهذه جملة من تلك الروايات:

فعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبدالله (ع) قال:

[أيما عبد أقبل قِبَلَ ما يحب الله عزوجل أقبل الله ما يحب، ومن اعتصم بالله عصمه الله، ومن اقبل الله قبله وعصمه لم يبال لو سقطت السماء على الارض، أو كانت نازلة نزلت على أهل الارض فشملتهم بلية كان في حزب الله تقوى من كل بلية، أليس الله يقول: «ان المتقين في مقام أمين»].

وعن مفضل، عن أبي عبد الله (ع) قال:

[أوحى الله عزوجل الى داود ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي عرفت ذلك من نيته ثم يكيده السماوات والارض ومن فيهن إلا جعلت له المخرج من بينهن، وما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي عرفت ذلك من نيته إلا قطعت أسباب المساوات من يديه، وأسخت الارض من تحته ولم أبال بأيّ واد يهلك].

وعن أبي حمزة، عن علي بن الحسين (ع) قال:

[خرجت حتى انتهيت الى هذا الحائط فاتكأت عليه، فاذا رجل عليه ثوبان أبيضان ينظر في تجاه وجهي، ثم قال: ياعلي بن الحسين هل رأيت أحداً دعا الله فلم يجبه]؟

قلت: لا.

قال: فهل رأيت أحداً توكل على الله فلم يكفه؟

قلت: لا.

قال: فهل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه؟

قلت: لا، ثم غاب عني).

أقول؛ لعله كان الخضر (ع) أو من ملائكة الله المقربين.

وعن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبدالله (ع) قال:

[ان الغنى والعز يجولان، فاذا ظفرا بموضع التوكل أوطنا].

وعن علي بن سويد، عن ابي الحسن الاول موسى بن جعفر(ع) قال: سألته عن قول الله عزوجل:

«ومن يتوكل على الله فهو حسبه»(الطلاق/٢ـ٣)

فقال: **[التوكل على الله درجات، منها: أن تتوكل في أمورك كلها، فما صنع بك كنت عنه راضياً، وان تعلم انه لا يألوك خيراً وفضلاً، وتعلم ان الحكم في ذلك له فتوكل على الله بتفويض ذلك اليه وثق به فيها وفي غيرها].**

وعن معاوية بن وهب، عن ابي عبدالله(ع) قال: **من اعطى ثلاثاً لم يمنع ثلاثاً: من اعطى الدعاء اعطى الاجابة، ومن اعطى الشكر اعطى الزيادة، ومن اعطى التوكل اعطى الكفاءة، ثم قال: أتلوت كتاب الله عزوجل:**

«ومن يتوكل على الله فهو حسبه»(الطلاق/٣)

و**«لئن شكرتم لأ زيدنكم»**(ابراهيم/٧)

وقال:

«ادعوني أستجب لكم»(غافر/٦٠)

وعن الحسين بن علوان، عن أبي عبدالله(ع) انه قرأ في بعض الكتب: (ان الله تبارك وتعالى يقول: **وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لأقطعن امل كل مؤمل من الناس غيري باليأس، ولأكسونه ثوب المذلة عند الناس ولأنحينّه من قربي، ولأ بعدنه من فضلي، أيؤمل غيري في الشدائد والشدائد بيدي، ويقرع بالفكر باب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وباب مفتوح لمن دعاني.**

فمن ذا الذي أملني بنائبة فقطعته دونها؟ ومن الذي رجاني لعظيمة فقطعت رجائه مني؟

جعلت آمال عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا بحفظي، وملأت سماواتي ممن لا يمل من تسبيحي وامرتهم ان لا يغلقوا الابواب بيني و بين عبادي فلم يثقوا بقولي، ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي انه لا يملك كشفها أحد غيري إلا من بعد اذني، فمالي أراه لاهياً عني، أعطيته بجودي ما لم يسألني ثم انتزعته عنه فلم يسألني رده وسأل غيري، افتراني ابدء بالعطاء قبل المسألة ثم اسأل فلا أجيب سائلي، أبخيل أنا فيبخلني عبدي؟

أوليس الجود والكرم لي؟ أوليس العطف والرحمة بيدي؟ أوليس أنا محل الآمال فمن يقطعها دوني؟ أفلم يخشى المؤملون أن يؤملوا غيري؟ فلو أن أهل السماوات وأهل الارض أملوا جميعاً ثم أعطيت كل واحد منهم مثل ما أمل الجميع ما انتقص من ملكي عضو ذرة، وكيف ينقص ملك أنا قيّمه، فيابؤساً للقانطين من رحمتي، و يابؤساً لمن عصاني ولم يراقبني).

وروي عن أبي عبد الله(ع) في قول الله عزوجل:

«وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون»(يوسف/١٠٦)

قال: (هو قول الرجل: لولا فلان لهلكت، ولولا فلان ما أصبحت كذا وكذا، ولولا فلان لضاع عيالي، ألا ترى انه قد جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه و يدفع عنه.

قلت: فيقول ماذا؟

قال: لولا أن منّ الله علي بفلان لهلكت).

أقول: والمراد انه لا يرى ان الشخص هو السبب، وانما السبب ما جعله الله سبحانه وتعالى سبباً.

وعن حمزة بن حمران قال: سمعت أباعبدالله(ع) يقول: ان مما حفظ من خطب رسول الله(ص) انه قال:

[أيها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم، وان لكم نهاية انتهوا الى نهايتكم، ألا ان المؤمن يعمل بين مخافتين: بين أجلٍ قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجل قد بقى لا يدري ما الله قاض فيه، فيأخذ العبد المؤمن من

نفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، وفي الحياة قبل الممات، فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من مستعتب، وما بعدها من دار إلا الجنة أو النار].

وعن الحذاء، عن أبي عبدالله(ع) قال: (المؤمن بين مخافتين: ذنب قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه، وعمر قد بقى لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك، فلا يصبح إلا خائفاً ولا يصلحه إلا الخوف).

وعن داود الرقي، عن أبي عبدالله(ع)، في قول الله عزوجل:

«ولمن خاف مقام ربه جنتان»(٤٦/الرحمن)

قال: (من علم ان الله يراه و يسمع ما يقول، و يعلم ما يعمله من خير أو شر فيحجزه ذلك عن قبيح من الاعمال، فذلك الذي خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى).

وعن اسحاق بن عمار قال: قال أبوعبدالله(ع): ياأسحاق خف الله كأنك تراه وان كنت لا تراه فانه يراك، فان كنت ترى انه لا يراك فقد كفرت، وان كنت تعلم انه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من أهون الناظرين عليك).

وعن أبي حمزة قال: قال أبوعبدالله(ع): (من عرف الله خاف الله، ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا).

وقال الصدوق من الفاظ رسول الله(ص):

[رأس الحكمة مخافة الله عزوجل]

وقال الصادق(ع):

[من خلا بذنب فراقب الله تعالى فيه واستحى من الحفظة غفر الله له جميع ذنوبه وان كانت مثل ذنوب الثقلين]

وعن أبي عبد الله(ع) قال:

[ان قوماً أصابوا ذنوباً فخافوا منها وأشفقوا فجائهم قوم آخرون فقالوا: مالكم؟

فقالوا :انا أصبنا ذنوباً فخفنا عنها وأشفقنا.

فقالوا لهم: نحن نحملها عنكم.

فقال الله تعالى: يخافون ويجترئون عليّ! وأنزل الله عليهم العذاب].

وعن الصادق، عن آبائه، وعن علي(ع) قال:

[ان المؤمن لا يصبح إلا خائفاً وان كان محسناً، ولا يمسي إلا خائفاً وان كان محسناً، لانه بين أمرين: وقت قد مضى لا يدري ما الله صانع به، وبين أجل قد اقترب لا يدري ما يصيبه من الهلكات، ألا وقولوا خيراً تعرفوا به، وأعملوا به تكونوا من أهله، صلوا أرحامكم وان قطعوكم، وعودوا بالفضل على من حرمكم، وأدوا الامانة الى من ائتمنكم وأوفوا بعهد من عاهدتم، واذا حكمتم فاعدلوا].

وعن الحرث أو المغيرة، أن أبي عبدالله(ع) قال: قلت له: ما كان في وصية لقمان؟

قال: كان فيها الاعاجيب، وكان أعجب ما فيها ان قال لابنه: (خف الله خيفة لوجئته ببر الثقلين لعذبك، وارج الله رجاءاً لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك).

ثم قال أبوعبد الله(ع): كان أبي يقول:

[ليس من عبد مؤمن الآ وفي قلبه نوران: نور خيفة ونور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا، ولو وزن هذا لم يزد على هذا].

وعن أحمد بن أبي عبد الله، بسنده الى أبي عبدالله(ع) قال: قلت له: قوم يعملون بالمعاصي و يقولون: نرجوا فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت؟

فقال: (هؤلاء قوم يترجحون في الاماني، كذبوا ليسوا براجين، من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف من شيء هرب منه).

وعن الصادق(ع) قال:

[ارج الله رجاءاً لا يجرئك على معصية، وخف الله خوفاً لا يؤنسك من رحمته]

وعن أبي ذر قال: قال رسول الله(ص): (ياأباذر ان سرك ان تكون أقوى الناس فتوكل على الله، وان سرك ان تكون أكرم الناس فاتق الله عزوجل، وان سرك ان تكون أغنى الناس فكن بما في يدي الله عزوجل أوثق منك بما في يديك).

ياأبا ذر لو ان الناس كلهم أخذوا بهذه الآية لكفتهم:

«ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، ان الله بالغ أمره، قد جعل الله لكل شيء قدرا»(الطلاق/٢ــ٣)

وقال (ص):

[لو أن رجلاً توكل على الله بصدق النية لاحتاجت اليه الامور ممن دونه فكيف يحتاج هو ومولاه الغني الحميد]

وعن النبي (ص) قال:

[من توكل وقنع ورضى كفى المطلب]

وقال الصادق (ع) لعبد الله بن جندب:

[ياجندب يهلك المتوكل على عمله ولا ينجو الجريء على الذنوب الواثق برحمة الله]

قلت: فمن ينجو؟

قال: [الذين هم بين الخوف والرجاء، فان قلوبهم في مخلب طائر شوقاً الى الثواب وخوفاً من العقاب].

وقال الكاظم (ع) لهشام بن الحكم:

[ياهشام لا يكون الرجل مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف و يرجو].

وعن أبي عبد الله(ع) قال:

[من عرف الله خاف، ومن خاف من الله دأب على العمل بطاعته والاخذ بتأديبه، فبشر المطيعين المتأدبين بأدب الله والآخذين عن الله، انه حق على الله أن ينجيهم من مضلات الفتن].

وفي رواية عن أبي ذر قال: قال رسول الله(ص): (ياأباذر يقول الله تعالى: لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أمنين، فاذا أمنني أخفته يوم القيامة، واذا خافني أمنته يوم القيامة.

ياأباذر لو ان رجلاً كان له مثل عمل سبعين نبياً لاحتقره وخشى أن لا ينجو من شر يوم القيامة.

ياأباذر ان لله ملائكة قياماً من خيفته ما يرفعون رؤوسهم حتى ينفخ في الصور النفخة الاخيرة فيقولون جميعاً: سبحانك و بحمدك ما عبدناك كما ينبغي لك أن تعبد، فلو كان

لرجل عمل سبعين صد يقاً لاستقل عمله من شدة ما يرى يومئذ).

وقال رسول الله(ص) لرجل يسمى بأبي كاهل:

[يـاأبا كاهل لن يغضب رب العزة على من كان في قلبه مخافة، ولا تأكل النار منه هدبة]

وعن أمير المؤمنين(ع)، انه قال:

[ان الله اذا جمع النـاس يوم القيامة نادى فيهم مناد، أيها الناس ان أقربكم اليوم من الله أشدكم منه خوفاً، وان أحبكم الى الله أحسنكم عملاً، وان أفضلكم عند الله منصباً أعملكم فيما عنده رغبة، وان أكرمكم عليه أتقاكم]

وعن السجاد (ع) انه قال:

[وأعـلموا عباد الله انه من خاف البيات تجافى عن الوساد، وامتنع عن الرقاد، وامسـك عـن بعض الطعام والشراب من خوف سلطان أهل الدنيا، فكيف يابن آدم مـن خـوف بيـات سلـطـان رب العـزة وأخـذه الأليم وبياته لأهل المعاصي والـذنـوب مع طـوارق المنايا بالليل والنهار، فذلك البيات الذي ليس منه منجى، ولا دونه مـلـجأ، ولا مـنه مهرب، فخافوا الله أيها المؤمنون من البيات خوف أهل اليقين وأهل التقوى، فان الله يقول:]

[ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد](ابراهيم/١٤)

الايمان : صمّام أمان

وعلى هـذا، فـلـو أردنـا الحيـاة السعيدة في الدنيا قبل الآخرة احتجنا الى الايمان بالله والـيـوم اخـر، اذ بـدون الايمان بالله واليوم الآخر و بدون التقوى و بدون الخوف من الجنة والنار لا يمكن صياغة المجتمع صياغة آمنة عن الاخطار والمشاكل.

يقول صاحب كتاب الاسلام يتحدى:

«ان خـوف الشرطة والمحكمة لا يكفي لدرء الجرائم، وانما لابد أن يكون هناك وازع في المجـتـمع يمنـع الـنـاس مـن ارتكاب الجرائم، ان الرشاوي والمحسوبيات وخدمات المحـامين الـبـارعين وشـهود الزور كل هذه العوامل تكفي لحماية المجرم من أية شرطة أو

محكمة انسانية، والمجرم لا يرهب أي عقاب لو استطاع أن يفلت من أيدي القانون، ان الشرع الآلهي يستوفي كل هذه الامور، فعقيدة الآخرة التي يحملها الشرع الآلهي هي خير وازع عن ارتكاب الجرائم وهي تكفي لتبقي احساساً للجريمة واللوم يعتمل في قرارة ضمير الانسان لو أدلى بشهادة كاذبة أمام القاضي».

ثم يقول: «ان واقعة رواها العالم الهندي الدكتور عناية الله المشرقي وهو يقول: كان ذلك يوم أحد من أيام سنة ألف وتسعمائة وتسعة (١٩٠٩) وكانت السماء تمطر بغزارة، وخرجت من بيتي لقضاء حاجة ما، فاذا بي أرى الفلكي المشهور (السير جيمس) الاستاد بجامعة كمبوردج ذاهباً الى الكنيسة والانجيل والشمسية تحت أبطه، فدنوت منه فسلمت عليه، فلم يرد عليّ، فسلمت عليه مرة أخرى فسألني ماذا تريد مني؟.

فقلت له: أمرين ياسيدي.

الأول: هو ان شمسيتك تحت أبطك رغم شدة المطر!

فابتسم السير جيمس وفتح شمسيته على الفور.

فقلت له: وأما الامر الآخر فهو ما الذي يدفع رجلاً ذائع الصيت في العالم مثلك أن يتوجه الى الكنيسة؟

وأمام هذا السؤال توقف السيرجيمس لحظة، ثم قال: عليك اليوم أن تأخذ شاي المساء عندي.

وعندما وصلت الى داره في المساء خرجت زوجته في تمام الساعة الرابعة بالضبط وأخبرتني ان السيرجيمس ينتظرني، وعندما دخلت عليه في غرفته وجدت أمامه منضدة صغيرة موضوعة عليها أدوات الشاي، وكان البروفيسور منهمكاً في أفكاره، وعندما شعر بوجودي سألني ماذا كان سؤالك؟ ودون أن ينتظر ردي بدء يلقى محاضرة عن تكوين الاجرام السماوية ونظامها المدهش وأبعادها وفواصلها اللامتناهية وطرقها وجاذبيتها وطوفان أنوارها المذهلة، حتى انني شعرت بقلبي يهتز بهيبة الله وجلاله، وأما السيرجيمس فوجدت شعر رأسه قائماً والدموع تنهمر من عينيه، و يداه ترتعدان من خشية الله، وتوقف فجأة ثم بدء يقول: (ياعناية الله) عندما القى نظرة على روائع خلق الله يبدء

وجودي يرتعش من الجلال الالهي، وعندما أركع أمام الله وأقول له: انك لعظيم! اجد ان كل جزء من كياني يؤيدني في هذا الدعاء وأشعر بسكون وسعادة عظيمين أحس بسعادة تفوق سعادة الآخرين ألف مرة. أفهمت ياعناية الله خان، لماذا أذهب الى الكنيسة؟.

و يضيف عناية الله خان قائلاً: لقد أحدثت هذه المحاضرة طوفاناً في عقلي وقلت له: ياسيدي لقد تأثرت جداً بالتفاصيل العلمية التي رو يتموها لي، وتذكرت بهذه المناسبة أية من آي كتابي المقدس (يقصد: القرآن) فلو سمحتم لي بقرائتها عليكم.

فهز رأسه قائلاً بكل سرور.

فقرأت عليه الآية التالية:

«ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود، ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك، انما يخشى الله من عباده العلماء»(فاطر/٢٧ــ٢٨)

فصرخ السير جيمس قائلاً: ماذا قلت انما يخشى الله من عباده العلماء؟ مدهش وغريب وعجيب جداً، ان الامر الذي كشفت عنه دراسة ومشاهدة استمرت خمسين سنة، من انبأ محمداً به؟ هل هذه الآية موجودة في القرآن حقيقة؟ لو كان الامر كذلك فأكتب شهادة مني ان القرآن كتاب موحى من عند الله.

و يستطرد السير جيمس قائلاً: لقد كان محمد أمياً ولا يمكنه أن يكشف عن هذا السر بنفسه ولكن الله هو الذي أخبره بهذا السر، مدهش وغريب وعجيب جداً.

السعادة: في ظل الايمان

نعم بدون الايمان الحقيقي لا يمكن أن تستقيم الحياة الدنيا ــ فكيف بالآخرة؟ــ ولذا نشاهد الحياة الحاضرة ــ حيث تخلت عن الايمان بالله ايماناً حقيقياً ــ وقد صارت بؤرة للمشاكل والحروب ونهب الاموال، والجرائم مما تزخر بها الكتب والمجلات والصحف والاذاعات والتلفزيونات والمحاكم وغيرها.

أما المجتمع المؤمن فهو بالعكس من ذلك، ولذا نشاهد ان الرسول(ص) رغم

حكومته الواسعة ـ والتي تعادل سبع حكومات في خريطة عالمنا الحاضر ـ لم يبن حتى سجناً واحداً في تلك الحكومة الشاسعة، والسبب في ذلك: ان الرسول(ص) غرس الايمان الصادق في النفوس فكان المؤمن يرعوي بنفسه عن ارتكاب الجرائم والموبقات، وكان المجتمع الاسلامي في زمانه(ص) مجتمع تعاون وتحابب وخير ورفاه، وقد قال الله سبحانه:

«كنتم خير أمة أخرجت للناس»(آل عمران/١١٠)

وقال تعالى:

«وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا»(البقرة/١٤٣)

بين حكم علي(ع) وحكم الحجاج

وعلى خطى الرسول(ص) سار الامام اميرالمؤمنين(ع) أبان خلافته الظاهرية حيث غرس في المجتمع الايمان والفضيلة والتقوى بحيث ان الكوفة ـ ونفوسها ما يقارب أربعة ملايين، ومساحتها تقارب عشرة فراسخ أو أكثر ـ لم يكن فيها الا سجن من الاعواد، فكان المسجونون يقلعون بعض الاعواد و يهربون من السجن.

ولما ملك الكوفة الحجاج بن يوسف الثقفي ـ الذي كان حكمه مبنياً على أسس مادية بحتة غير مشبعة بروح الايمان والفضيلة والتقوى ـ بنى في الكوفة سجناً يحتوي على مائة وعشرين ألف انسان ـ هذا بالاضافة الى القتلى الذين كان يقتلهم ليل نهار، وقد أحصى بعض المؤرخين قتلى الحجاج في مدة حكمه بأكثر من مائة وعشرين ألف، بينما قتلى علي(ع) الذين قتلهم بسبب الجرائم كالزنا والارتداد ـ لا يعدون حتى مائة شخص.

يعترفون على أنفسهم !

وقد كان المجتمع في زمان النبي(ص) وفي زمان الامام(ع) من الحصانة الايمانية بحيث انه اذا ارتكب أحد منهم جرماً أتى هو وأخبر النبي(ص) أو الوصي(ع) بأنه ارتكب الجرم، وطلب منهما اجراء حدود الله عليه، ومع العلم ان بعض الحدود مؤلمة

جداً.

واليكم بعض النماذج في هذا الصدد:

فقد روى أبو العباس قال: قال أبوعبدالله(ع): أتى النبي(ص) رجل فقال: اني زنيت فصرف النبي(ص) وجهه عنه.

فأتاه من جانبه الآخر ثم قال مثل ما قال، فصرف وجهه عنه.

ثم جاء الثالثة فقال: يارسول الله اني زنيت، وعذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة.

فقال رسول الله(ص): أبصاحبكم بأس ـ يعني جنّة ـ؟

فقالوا: لا.

فأقر على نفسه الرابعة فأمر به رسول الله أن يرجم.

وروى ميثم قال: أتت امرأة تجح.(١) (أي قريبة الوضع) أميرالمؤمنين(ع). فقالت: ياأميرالمؤمنين اني زنيت فطهرني طهرك الله، فان عذاب الدنيا أيسر من عذاب الآخرة الذي لا ينقطع.

فقال لها: مما اطهرك؟

فقالت: اني زنيت.

فقال لها: وذات بعل أنتِ اذ فعلت ما فعلت، أم غير ذلك؟

قالت: بل ذات بعل.

فقال لها: أفحاضراً كان بعلك اذ فعلت ما فعلت أو غائباً كان عنك؟

قالت: بل حاضراً.

فقال لها: انطلقي فضعي ما في بطنك ثم أتيني أطهرك.

فلما ولت عنه المرأة فصارت حيث لا تسمع كلامه قال: اللهم انها شهادة.

فلم تلبث ان أتته فقالت: قد وضعت فطهرني.

فتجاهل عليها فقال: اطهرك ياأمة الله مماذا؟

قالت: اني زنيت فطهرني.

قال: وذات بعل أنتِ اذ فعلت ما فعلت؟

قالت: نعم.

قال : فكان زوجك حاضراً أم غائباً؟

قالت: بل حاضراً.

قال: فانطلقي فارضعيه حولين كاملين كما أمرك الله.

فانصرفت المرأة فلما صارت منه حيث لا تسمع كلامه قال: اللهم انهما شهادتان.

فلما مضى الحولان أتت المرأة فقالت: قد أرضعته حولين فهطرني ياأميرالمؤمنين.

فتجاهل عليها وقال: اطهرك مماذا؟

فقالت: اني زنيت فطهرني.

فقال: وذات بعل أنتِ اذ فعلت ما فعلت؟

فقالت: نعم.

قال: فبعلك غائباً كان عنك اذ فعلت؟

فقالت: بل حاضراً.

قال: فانطلقي فأكفليه حتى يعقل أن يأكل و يشرب ولا يتردى من سطح ولا يتهور في بئر.

فانصرفت وهي تبكي، فلما ولّت وصارت حيث لا تسمع كلامه. قال: اللهم هذه ثلاث شهادات.

فاستقبلها عمرو بن حريث المخزومي فقال لها: ما يبكيك ياأمة الله وقد رأيتك تختلفين الى علي(ع) تسألينه ان يطهرك؟

فقالت: اني أتيت أميرالمؤمنين فسألته أن يطهرني فقال: أكفلي ولدك حتى يعقل أن يأكل و يشرب ولا يتردى من سطح ولا يتهور في بئر وقد خفت أن يأتي عليّ الموت ولم يطهرني.

فقال لها عمرو بن حريث: إرجعي اليه فأنا أكفله.

فرجعت فأخبرت أميرالمؤمنين بقول عمرو بن حريث، فقال لها أميرالمؤمنين وهو متجاهل عليها: ولم يكفل عمرو ولدك؟

فقالت: ياأمير المؤمنين اني زنيت فطهرني.

فقال: وذات بعل أنتِ اذ فعلت ما فعلت؟

قالت: نعم.

قال: أفغائباً كان بعلك اذ فعلت ما فعلت؟

قالت: بل حاضراً.

فرفع أمير المؤمنين رأسه الى السماء

فقال: اللهم انه قد ثبت عليها أربع شهادات (الى أن قال): فنظر اليه عمرو بن حريث وكأنما الرمان يفقأ في وجهه، فلما رأى ذلك عمرو قال: ياأميرالمؤمنين اني انما أردت أن أكفله اذ ظننت انك تحب ذلك، فأما اذا كرهته فاني لست أفعل.

فقال أمير المؤمنين(ع): أبعد أربع شهادات بالله؟ لتكفلنه وأنت صاغر (الى آخر الحديث).

تأتي برجليها الى المحكمة!

وفي رواية أخرى عن محمد بن سعيد، عن بعض أصحابنا قال: أتت امرأة الى عمر فقالت: ياأميرالمؤمنين اني فجرت فأقم فيَّ حدَّ الله فأمر برجمها وكان علي(ع) حاضراً، فقال له: سلها كيف فجرت؟

فقالت كنت في فلاة من الارض فأصابني عطش شديد فرفعت لي خيمة فأتيتها، فأصبت فيها رجلاً اعرابياً، فسألته الماء فأبى عليَّ أن يسقيني إلاّ أن أمكنه من نفسي، فوليت منه هاربة، فاشتد بي العطش حتى غارت عيناي وذهب لساني، فلما بلغ مني أتيته فسقاني ووقع عليّ.

فقال له علي(ع): (هذه التي قال الله عزوجل:

«فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه»(البقرة/١٧٣)

هذه غير باغية ولا عادية اليه). فخلّى عمر سبيلها.

الى غيرها من الاحاديث الواردة في مختلف الحدود والجنايات.

فأيّ عامل ــ غير الايمان ــ يرفع الانسان الى هذا الحد من النزاهة، و يدفعه الى المثول أمام النبي(ص) أو الوصي(ع) ليعترف عنده بخطأه.. مع انه يعلم ان الاعتراف يسبب

له خزياً عند الناس، وعذاباً من قبل المحكمة..

انه هو الايمان الذي لا يدخل قلباً إلاّ ويجعل صاحبه مستقيماً في عمله وسلوكه.

نماذج أخر

وليس الامر خاصاً بالزنا بل نرى أشباه هذه القضايا في باب جنايات أخر، مثلاً: ورد: أن رجلاً أتى علياً(ع) فقال: ياأميرالمؤمنين اني سرقت، فأنتهره فقال: ياأميرالمؤمنين اني سرقت فقال: أتشهد على نفسك مرتين؟ ثم قطعه.

واتي أمير المؤمنين(ع) برجل وجد في خربة و بيده سكين ملطخ بالدم واذا رجل مذبوح متشحط في دمه فقال له أميرالمؤمنين(ع): ما تقول ياذا الرجل؟

فقال: ياأمير المؤمنين أنا قتلته.

قال (ع): اذهبوا الى المقتول فادفنوه.

فلما أرادوا قتل الرجل جاء رجل مسرع فقال: ياأميرالمؤمنين والله وحق عيني رسول الله(ص) أنا قتلته وما هذا بصاحبه.

فقال أمير المؤمنين(ع): اذهبوا بهما اثنينهما الى الحسن ابني فاخبروه بقصتهما ليحكم بينهما.

فذهبوا بهما الى الحسن(ع) فأخبروه بمقالة أميرالمؤمنين(ع)، فقال الحسن(ع): ردوهما الى أميرالمؤمنين وقولوا: ان هذا قتل ونجى باقراره عن قتل ذاك، يطلق عنهما جميعاً وتخرج دية المقتول من بيت مال المسلمين فقد قال الله تعالى:

«ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً»(المائدة/٣٢)

فقال أمير المؤمنين(ع) له فما حملك على إقرارك على نفسك بقتله؟

فقال ياأمير المؤمنين: وما كنت أصنع وهل ينفعني الانكار وقد أخذت و بيدي سكين متلطخ بالدم وأنا على رجل متشحط في دمه وقد شهد على مثل ذلك، وأنا رجل كنت ذبحت شاة بجنب الخربة فأخذني البول فدخلت الخربة والرجل متشحط في دمه وأنا على الحال.

ومن هنا قال الشيخ الطوسي في النهاية: (ومتى اتهم الرجل بأنه قتل نفساً فأقرّ بأنه

قتل، وجاء آخر وأقر بأن الذي قتل هو دون صاحبه ورجع الاول عن اقراره درء عنهما القود والدية، ودفع الى أولياء المقتول الدية من بيت المال).

ثم قال: (وهذه قضية الحسن(ع) في حياة أبيه(ع)).

ترى: انه لولا الايمان بالله واليوم الآخر هل كان الرجل الثاني يأتي و يعترف على نفسه بالقتل، وهويتصور انه يقتل بسبب إقراره لينجي الذي اتهم بدون مبرر؟

أبو ذر الغفاري يختار الموت جوعاً

وهنالك قضايا أخر كثيرة من هذا القبيل في مختلف الابعاد منذ بدء الشريعة الاسلامية والى زماننا هذا مما يكشف عن أن للايمان الاثر الغريب في حياة الانسان.

فمثلاً: ما هو العامل الذي دفع أباذر الى مقاومة السلطة القائمة، حتى نُفي الى الربذة ومات هنالك جوعاً، بينما كان بأمكانه أن يداهن السلطة و يصبح كزيد بن ثابت الذي خلّف عند موته أكواماً من الذهب قسمت بين ورثته بالفؤوس.

انه هو الايمان!

عندما حكم سلمان: المدائن

وسلمان الفارسي لم يكن يتصرف ــ أبان حكمه في المدائن ــ في بيت المال قدر درهم، وإنما كان يعمل الخوص و يأكل من ثمنه، كما انه لم يكن يجلس في دار الحكومة، وانما كان قد هيأ لنفسه دكة يجلس عليها ويحكم بين الناس. و(مدائن) سلمان هي (المدائن) التي كان كسرى يحكم فيها بتلك الأبهة العظيمة والفخفخة العجيبة.

المثالية: عند الرسول(ص) وعلي(ع)

وعندما توفي رسول الله(ص) وهو رئيس حكومة كبيرة تنصبُّ عليها الاموال من كل جانب ، كان درعه مرهونة عند يهودي بخمسين صاعاً من الشعير لقوته وقوت أهله.

وعلي(ع) يرتجف من البرد لانه لا يريد التصرف في بيت مال المسلمين ويمنع

اخاه من اعطائه قدراً اضافياً من المال فوق ما اعطى سائر المسلمين، وكما قال(ع):

[حتى استماحني من بركم صاعاً]

الرسول(ص) يدعو الى الاقتصاص منه!

وقد روى الصدوق، عن ابن عباس في وفاة النبي(ص)، انه(ص) أتى الى المسجد في شدة مرضه وقال: (ان ربي عزوجل حكم وأقسم ان لا يجوزه ظلم ظالم فنشدتكم بالله أي رجل منكم كانت له قِبَل محمد مظلمة إلاّ قام فليقتص منه، فالقصاص في دار الدنيا أحب اليَّ من القصاص في دار الآخرة على رؤوس الملائكة والانبياء).

فقام إليه رجل من أقصى القوم يقال له (سوادة بن قيس) فقال له: فداك أبي وأمي يارسول الله انك لما أقبلت من الطائف استقبلتك وأنت على ناقتك العضباء و بيدك القضيب الممشوق فرفعت القضيب وأنت تريد الراحلة فأصاب بطني فلا أدري عمداً أو خطأ.

فقال (ص): (معاذ الله أن أكون تعمدت).

ثم قال: (يابلال اخرج الى منزل فاطمة فائتني بالقضيب الممشوق).

فخرج بلال وهوينادي في سكك المدينة: معاشر الناس من ذا الذي يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة، فهذا محمد(ص) يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة.

ثم قال رسول الله(ص) ــ لمّا أتاه بلال بالقضيب الممشوق ــ: (أين الشيخ)؟

فقام وقال الشيخ: ها أنا ذا يارسول الله بأبي أنت وأمي.

فقال: (تعال فاقتص مني حتى ترضى).

فقال الشيخ: فاكشف لي عن بطنك يارسول الله.

فكشف (ص) عن بطنه.

فقال الشيخ بأبي أنت وأمي يارسول الله أتأذن لي أن أضع فمي على بطنك؟

فأذن له فقال: أعوذ بموضع القصاص من بطن رسول الله(ص) من النار يوم القيامة.

فقال رسول (ص): ياسوادة أتعفو أم تقتص؟

فقال: بل أعفو يارسول الله.

فقال رسول الله(ص): اللهم اعف عن سوادة بن قيس كما عفا عن نبيك محمد(ص).

ومن الواضح، أن القضيب لو كان أصاب بطن سوادة لم يكن ذلك عن عمد، ومن المعلوم ان الخطأ ليس فيه القصاص، وانما فيه الدية ومع ذلك أراد النبي(ص) أن يعلم الحكام لزوم ملاحظة أمثال هذه الامور، فان الله سبحانه لا ينظر الى الرئيس والحاكم من خلال منصبه ومقامه، وإنما ينظر اليه كفرد من المسلمين له مالهم وعليه ما عليهم.

ولولا مراقبة الله وخوف الآخرة هل كان الرسول(ص) يقوم بمثل هذا العمل؟ وهل يوجد مثل هذا العمل إلاّ في من يخاف الله و يراقبه؟

ولذا قال(ص):

[القصاص في دار الدنيا أحب إليّ من القصاص في دار الآخرة على رؤوس الملائكة والانبياء]

دونك السوط!

وقد روى ابن شهراشوب في المناقب ان مولى لعلي بن الحسين(ع) كان يتولى عمارة ضيعة له فجاء ليطلعها، فأصاب فيها فساداً وتضييعاً كثيراً، فغاضه(ع) ما رآه وغمّه، فقرع المولى بسوط كان في يده، فلما انصرف الى منزله أرسل في طلب المولى، فأتاه فوجد الامام(ع) والسوط بين يديه فظن انه يريد عقوبته، فاشتد خوفه، وأخذ علي بن الحسين(ع) السوط ومده اليه وقال: (ياهذا قد كان مني اليك ما لم يتقدم مني مثله، فدونك السوط، واقتص مني).

فقال المولى: يامولاي والله اني ظننت انك تريد عقوبتي وأنا مستحق للعقوبة فكيف أقتص منك؟

قال(ع): ويحك اقتص.

قال: معاذ الله أنت في حِلّ وسعة.

فكرر ذلك عليه مراراً، والمولى في كل ذلك يتعاظم قوله ويحلله.

فلما لم يره يقتص قال(ع): (أما اذا أبيت فالضيعة صدقة عليك) وأعطاه اياها.

ان الامام علي بن الحسين(ع) رغم كون عمله وقرعه للعبد بالسوط في موضعه لانه أفسد وضيع كما في نفس الحديث ــ أراد أن يعلم الناس انه ليس من حق الانسان أن يضرب الآخرين ولولا ارادة الامام(ع) أن يبين للناس الخوف من الآخرة هل كان يقوم بهذا العمل؟

آه! لولا القصاص

وفي رواية أخرى يرو بها الشيخ المفيد، عن ابراهيم بن علي، عن أبيه قال: حججت مع علي بن الحسين(ع) فالتاثت الناقة عليه في مسيرها (أي أبطأت) فأشار اليها بالقضيب، ثم قال: (آه لولا القصاص) وردَّ يده عنها.

وقد أراد الامام(ع) بذلك أن يعلم المسلمين احترام حق الحيوان فلا يضرب اعتباطاً مع العلم ان الامام(ع) لم يرد أن يضرب به اعتباطاً، وانما أراد التعليم.

وهكذا فان الانسان يحاسب حتى على ما يأتيه بالنسبة الى الحيوان.

وقد روي في الجعفريات عن علي(ع) قال: قال رسول الله(ص): (رأيت في النار صاحب العباءة الذي غلّها، ورأيت في النار صاحب المحجم الذي كان يسرق الحاج بمحجمه، ورأيت في النار صاحب الهرة تنهشها مقبلة ومدبرة كانت أوثقتها فلم تكن تطعمها ولم ترسلها تأكل من حشاش الارض. ودخلت الجنة فرأيت فيها صاحب الكلب الذي أرواه من الماء).

الى هذا الحد الدقيق يوجب الايمان بالله واليوم الآخر احترام الحيوان! حتى ان اهانة الحيوان توجب العقاب ــ ولو كان الحيوان هرة ــ واكرام الحيوان يوجب الثواب ــ ولو كان كلباً ــ!

حوار بين هابيل وقابيل

واثر الايمان والخوف من الله يمكن أن نشاهده في مواقف كثيرة..

نشاهده في موقف هابيل، الذي كان يخاف الله واليوم الآخر مما جعله يقول لأخيه

انه لا يريد قتله وان أراد أخوه قابيل قتله.

يقول الله تعالى في القرآن الحكيم:

«واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قرّبا قرباناً فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر، قال: لأقتلنك، قال: انما يتقبل الله من المتقين، لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك، اني أخاف الله ربَّ العالمين، اني أريد أن تبوأ باثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين، فطوّعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين»(المائدة/٢٧–٣٠)

ابراهيم(ع) يقدم على ذبح ولده

ونشاهده أيضاً في موقف ابراهيم(ع) حيث رأى في المنام انه يذبح ولده وأن ذلك يوجب تقربه الى الله، فأقدم على ذبح ولده.

كما نرى اسماعيل(ع) وقد استعد لأن يقتل بسكين أبيه حيث علم ان ذلك ارادة الله سبحانه.

فلولا خوف الله سبحانه وتعالى هل كان الاب يقدم على هذه التضحية الرهيبة؟ وهل كان الولد يتقدم نحو الموت بخطى ثابتة وهو في ريعان الشباب؟

يقول الله تعالى بهذا الصدد:

«فلما بلغ معه السعي قال: يابُني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى؟ قال: ياأبتِ افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين، فلما أسلما وتلّه للجبين، وناديناه أن ياابراهيم، قد صدّقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين، ان هذا لهو البلاء المبين»(الصافات/١٠٢–١٠٦)

يوسف(ع) يقاوم الاغراءات

ويوسف(ع) حيث كان هو الآخر يخاف الله تعالى لم يستجب لنداء زليخا بعمل السوء معها، بل لم يستعد للاستجابة للنسوة حتى ابتلي بالسجن سبع سنوات كما في التفاسير.

يقول الله سبحانه وتعالى بهذا الصدد:

«ولما بلغ أشدَّهُ آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين، وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلّقت الابواب وقالت هيت لك، قال: معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي انه لا يُفلح الظالمون، ولقد همَّت به وهمَّ بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين، واستبقا الباب وقدّت قميصه من دُبُر»(يوسف/٢٢ـ٢٥)

«وقال نسوةٌ في المدينة: امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه، قد شغفها حُبّاً إنّا لنراها في ضلال مبين، فلما سمعت بمكرهنّ أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأً وأتت كل واحدة منهن سكيناً وقالت: أخرج عليهنِ فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن: حاش لله ما هذا بشراً ان هذا إلاّ ملك كريم. قالت: فذلكنّ الذي لمُتنّنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكوناً من الصاغرين. قال: ربِّ السجن أحبُّ اليّ مما يدعونني اليه، وإلاّ تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين، فأستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم»(يوسف/٣٠ـ٣٤).

لاحظوا هذه القطعة:

«وهمَّ بها لولا أن رأى برهان ربه»(يوسف/٢٤)

انها تصرّح بأن الايمان بالله واليوم الآخر هو الذي عصم يوسف عن زليخا وعن النسوة أيضاً.

ان تأمنه بدينار لا يؤده إليك!

والقرآن الكريم يشير في آياته الى الفرق بين من يؤمن، ومن لا يؤمن، فالمؤمن ــ مثلاً ــ يؤدي الأمانة ولو كانت كبيرة أما غير المؤمن فلا يؤديها ولو كانت صغيرة.

يقول الله سبحانه:

«ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤدّهِ إليك، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤدّهِ اليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا: ليس علينا في الاميين

سبيل، و يقولون على الله الكذب وهم يعلمون، بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحبُّ المتقين، ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم»(آل عمران/٧٥ــ٧٧)

بين يوسف(ع) وفرعون

.. ومن المنطلق ذاته ــ الايمان بالله أو عدم الايمان ــ نلمح الفرق الشاسع بين ملكين، حكم كلاهما في (مصر) لكن أحدهما كان يؤمن بالله واليوم الآخر وهو (يوسف) والآخر لم يكن يؤمن بالله واليوم الآخر وهو (فرعون) فكان يوسف مصلحاً عظيماً وكان فرعون مفسداً كبيراً.

يقول الله سبحانه وتعالى عن فرعون:

«يُذَبِّح أبناءهم و يستحيي نساءهم»(القصص/٤)

فكان يقتل الاولاد و يبقي النساء و يأسرهن لجيشه ولذو يه.

و يقول الله سبحانه عنه أيضاً:

«ونادى فرعون في قومه وقال: ياقوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي أفلا تبصرون، أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين، فلولا ألقي عليه أسورِة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين، فأستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين، فلما اسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين، فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين»(الزخرف/٥١ــ٥٦)

وأما الحاكم المؤمن ــ يوسف(ع) ــ فلم تبطره السلطة، ولم تصبه بالغرور.. بل انه يتجه ــ وهو في قمة عظمته ومجده ــ الى الله سبحانه: يشكره، و يستمده، و يستهديه..

و ينقل القرآن الكريم عنه(ع) قوله:

«ربِّ قد أتيتني من المُلك وعلّمتني من تأو يل الاحاديث فاطر السموات والارض، أنت وليّي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين»(يوسف/١٠١)

فيوسف(ع) ــ باعتباره مؤمناً ــ لم يكن يفسد أو يقتل ــ أو يتعدى وانما هو يرى ان الملك لله سبحانه وتعالى، وان مصر بعض ملك الله.

«رب قد آتيتني (من) الملك»(يوسف/١٠١)

وان الله هو الذي آتاه الملك، وان الله هو الذي علمه من تأويل الرؤيا الذي سبّب أن يصل الى الملك، حيث فسر رؤيا الملك، فلما رآه الملك وكلمه جعله وزيراً للتموين ثم أصبح بعد موت الملك ملكاً في مصر ثم انه(ع) يطلب من الله سبحانه أن يبقى على ايمانه وعمله الصالح حتى يستحق أن يدخل في الصالحين في الآخرة.

لا يسترد أمواله وهو في أمسّ الحاجة!

وكذا نشاهد ان المؤمن بالله واليوم الآخر لا يتعدى عن أحكام الله سبحانه وتعالى حتى اذا كان بعنوان المستحب أو المكروه، لأنه يخاف و يرجو ثوابه.

وقد روى الصدوق، عن ابراهيم بن هاشم: ان محمد بن عمير كان رجلاً بزازاً فذهب ماله وافتقر وكان له على رجل عشرة آلاف درهم فباع الرجل داراً له كان يسكنها بعشرة آلاف درهم وحمل المال الى بابه فخرج اليه بن أبي عمير.

فقال: ما هذا؟

فقال: هذا مالك الذي لك عليّ.

قال: ورثته؟

قال: لا

قال: وُهب لك؟

قال: لا

فقال: هو من ثمن ضيعة بعتها؟

فقال: لا

فقال:؛ ما هو؟

فقال: بعت داري التي أسكنها لأقضي ديني.

فقال: محمد بن ابى عمير: حدّثني ذريع المحاربي، عن أبي عبدالله(ع) قال: (لا

يخرج الرجل من مسقط رأسه بالدين) ابتعها فلا حاجة لي فيها، واني لمحتاج في وقتي هذا الى درهم وما يدخل ملكي من هذا درهم؟

من الولاية.. الى العري!

وقد جاء احد ولاة بني أمية الى الامام الصادق(ع) يسأله طريق التوبة، فقال له الامام(ع): اذا أردت التوبة فعليك أن تخرج من جميع أموالك.

فخرج الرجل من جميع أمواله حتى احتاج الى ملابس يلبسها فأعطاه اصدقاؤه ملابس لبدنه.

يتخلى عن ١٧ ألف دينار لأجل شبهة شرعية

ومن قصص العلماء انه جاء الى والدي ـــ رحمه الله ـــ رجل وأراد أن يسلّمه مبلغاً من الحقوق ـ وأظن المبلغ (سبعة عشر ألف دينار) وكان هذا المبلغ يعادل ما يقارب من أربعين شهراً من الرواتب التي كان يدفعها للطلبة والفقراء (قبل أربعين سنة تقريباً).. فلم يقبل الوالد ذلك لأشكال رآه في أخذ المبلغ وكلما (أصرّ صاحب المال على أن يقبله الوالد «ره» أبى وامتنع).

ولما ذهب الرجل قلت للوالد: ان هذه حقوق شرعية وانك اذا تسلّمتها تعطيها للطلاب والفقراء والمؤسسات والمشاريع الخيرية، فما هو المانع من أخذها؟

فنظر (ره) إليّ وقال: يجب علينا أن نفكر نحن في آخرتنا، لا أن يغرّنا المال الذي نراه كثيراً.

وهكذا ترك الوالد(ره) ذلك المبلغ الضخم، لأجل انه كان يخاف الله واليوم الآخر، وكان يخاف من أن يغتر بالدنيا حيث يقول الله سبحانه وتعالى:

«فلا تغرّنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور»(لقمان/٣٣)

وقال عزوجل:

«ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله

وغرّكم بالله الغرور»(الحديد/١٤)

وفي حديث عن الامام الصادق(ع)، انه قال:

[المغرور في الدنيا مسكين، وفي الآخرة مغبون، لانه باع الافضل بالادنى، ولا تعجب من نفسك، فربما اغتررت بمالك وصحة جسدك، لعلك تبقى، ولعلك اغتررت بطول عمرك وأولادك وأصحابك لعلك تنجو بهم، وربما اغتررت بجمالك ومنيتك وأصابتك وأموالك وهواك فظننت انك صادق ومصيب، وربما اغتررت بما ترى على الندم على تقصيرك في العبادة، ولعل الله يعلم من قلبك بخلاف ذلك، وربما أقمت نفسك على العبادة متكلفاً والله يريد الاخلاص، وربما افتخرت بعلمك ونسبك وأنت غافل عن مضمرات ما في غيب الله تعالى، وربما توهمت انك تدعو الله وأنت تدعو سواه، وربما حسبت انك ناصح للخلق وأنت تريدهم لنفسك أن يميلوا اليك، وربما ذممت نفسك وأنت تمدحها على الحقيقة].

الى غير ذلك مما ورد في الغرور وفي طوائف المغرورين.

فالوالد (رحمه الله) كان يخاف الله واليوم والآخر لأن له موقفاً في الآخرة يُحاسب فيه على كل شيء، وكان (ره) يقول لي مرّات ومرّات: ان الانسان يجب أن يعمل في الدنيا عملاً لا يخجله اذا فتح حسابه يوم القيامة أمام الناس.

كأن زفير النار في آذانهم

وقد روي في مشكاة الانوار، عن علي بن الحسين(ع) قال: (صلّى أميرالمؤمنين(ع) ثم لم يزل في موضعه حتى صارت الشمس على قيد رمح وأقبل على الناس بوجهه قال: والله لقد أدركنا أقواماً كانوا يبيتون لربهم سجداً وقياماً، يراوحون بين جباههم وركبهم كأن زفير النار في آذانهم، اذا ذكر الله عندهم مادوا كما يميد الشجر، كأن القوم باتوا غافلين، ثم قال، ثم قام فما رؤي ضاحكاً حتى قبض صلوات الله عليه).

تورع السيّد البروجردي«ره»

وقد نقل أحد المرافقين للسيد الروجردي (رحمه الله) انه كان يحتاط في مأكله وملبسه ومشربه ومسكنه احتياطاً كبيراً رغم الحقوق الشرعية الكثيرة التي كانت تنهال عليه، وكان له وارد من بعض أملاكه، يصرفه على شؤونه المنزلية، وذات مرة مرض السيد فقال الاطباء بأن سببه الضعف، وان اللازم أن يأكل اللحم فصنع له خادمه لحماً مقلياً، ولما ان قدم له الطعام ورأى السيد على المائدة اللحم المقلى توجه الى خادمه وقال له: من أين هذا؟ انّ واردنا لا يكفي لاضافة اللحم المقلي في الغذاء.

قال الخادم هكذا وصف الاطباء لأجل ضعفكم.

قال السيد(ره): لا، أحمل اللحم المقلي الى الفقراء واذا لم تحمل اللحم المقلي فانّي لا آكل الطعام!

وهكذا اقتنع السيد بطعامه العادي حيث رأى ان وارده من ملكه ـــ الذي خصصه لنفسه والذي ورثه من آبائه ـــ لا يفي بالمزيد.

لاحظوا: كيف ان الايمان بالله سبحانه وتعالى يمنع الانسان عن التصرف، لا التصرف السيء فقط، بل حتى عن التصرف المتعارف.

قائد الثورة يرتدي الملابس المرقّعة!

كما انه حكى أيضاً بعض العلماء أن الميرزا محمد تقي الشيرازي (رحمه الله) ـــ وهو المرجع الاعلى في زمانه وقائد ثورة الاستقلال ضد بريطانيا في العراق ـــ كان زاهداً في مأكله ومشربه وملبسه ومسكنه وان داره كانت بالايجار ـــ رغم وصول أموال كثيرة جداً اليه كان يدير بسببها الثورة والحوزات العلمية وغير ذلك، إذ كانت الاموال تجبى اليه من افريقيا ومن الاتحاد السوفيتي (البلاد الاسلامية التي ترزح الآن تحت سيطرة الشيوعيين أمثال: جمهورية آذربايجان وجمهورية قازقستان وغيرهما) ومن ايران والعراق والخليج وسائر البلاد الاسلامية

قال: رأيت ثوب الشيخ مرقعاً فقلت لولده الميرزا عبدالحسين(رحمه الله) لماذا ثوب الشيخ هكذا مع ان رؤساء العشائر والضباط وكبار العلماء والشخصيات يزورونه فيرون ان ثوبه مرقع وهذا غير مناسب؟

فأجاب الميرزا عبد الحسين: ان لوالدي مزرعة في شيراز متوارثة من آبائه تدر عليه كل سنة مائة تومان والشيخ يرى لزوم تأمين مصارف العائلة من هذه المائة تومان طوال السنة أكلاً وشرباً وملبساً وايجار دار وغير ذلك، وحيث رأينا ان هذا المبلغ لا يكفي لكل الشؤون اقتصر الشيخ على الملابس التواضعة المرقعة لأجل أن يكفي المبلغ سائر الشؤون ـ التي تصطبغ بلون المتواضعة أيضاً ـ.

الشيخ الأنصاري«ره» والوديعة

و ينقل في أحوال الشيخ الانصاري (رحمه الله) انه سأل عن أمرٍ فقال في الجواب: كانت لدي وديعة ولم يكن لي مال وكانت زوجتي في حالة الولادة وهي بأمس الحاجة الى بعض اللوازم المقوية من الاكل والدواء وما أشبه فذهبت الى الوديعة لأستقرض منها شيئاً حتى أصرفه في شؤونها، لكني فكرت: لعل صاحب الوديعة لا يرضى فرجعت، وذهبت مرة ثانية وثالثة ورابعة وخامسة وسادسة وسابعة وأخيراً: توكلت على الله واكتفينا ببعض ما في الدار وسهّل الله فوضعت الزوجة بدون الاحتياج الى مأكل زائد أو دواء أو ما أشبه.

يحرق رؤوس أصابعه كي لا يقترب الى المعصية!

و يذكر في أحوال السيد محمد باقر (المير الداماد): ان فتاة دخلت غرفته ذات ليلة ـ ضيفة ـ ولما وسوس إليه الشيطان أحرق رؤوس أصابعه على المصباح حتى يذوق الألم و يفكر في نار جهنم فلا يقترب من العصيان وعندما عرف الملك الصفوي بالقصة زوجه بنته ـ نفس تلك الفتاة ـ بعد ذلك، وعلت رتبته عند الناس.

وهكذا تكون العاقبة المحمودة لمن خاف مقام ربه، ونهى النفس عن الهوى ترى اي

حاجز غير الخوف من الله سبحانه وتعالى عصمه عن اقتراف المعصية وهو في ريعان شبابه، والفتاة وحدها في الغرفة، ولا يعلم بهما إلا الله سبحانه وتعالى؟

دور الايمان في العصر الراهن

وفي الزمن الحاضر نرى ان جمهرة كبيرة من المسلمين ــ يعدّون بمئات الملايين ــ ينطلقون من منطلق الايمان بالله سبحانه وتعالى ورجاء ثوابه وخشية عقابه ولولا ذلك لتمكنوا أن يرتكبوا الاعمال اللامشروعة في الاموال والاعراض والدماء وما أشبه.

وقد ترى انساناً يتنازع مع آخر حول دينار و يرجعان الى المحكمة لأجل إحقاق الحق، بينما نفس هذا الانسان الذي ينازع غيره حول الدينار يأتي فيعطي الى المرجع الديني ألف دينار وأكثر وأكثر حقوقاً شرعية بدون أي قسر أو جبر.

يعملون الخيرات سراً

وهكذا نرى في كثير ممن يعملون الخير سواء باعطاء الحقوق كالزكاة والمظالم وما أشبه أو مساعدة الفقراء أو بناء المساجد والمكتبات والمدارس ودور العجزة والمستشفيات والمستوصفات أو غيرها ولا يحبون أن يذكر لهم اسم بل يخفون ذلك اتباعاً لما ورد في أحاديث كثيرة من استحباب اخفاء الصدقة:

ففي الجعفريات، عن علي(ع) قال: قال رسول الله(ص):

[صنيع المعروف يدفع ميتة السوء، والصدقة في السر تطفيء غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر وتنفي الفقر].

وعن أمير المؤمنين(ع)، ان رسول الله(ص) قال:

[صدقة السر تطفيء غضب الرب، فاذا تصدق أحدكم بيمينه فليخفها عن شماله].

وعن أبي جعفر(ع)، انه قال:

(لما أخذت في غسل أبي علي بن الحسين(ع) أحضرت معي من رآه من أهل بيته

فنظروا الى مواضع السجود منه في ركبتيه وظاهر قدميه و بطن كفيه وجبهته قد غلظت من أثر السجود حتى صارت كمبارك البعير وكان صلوات الله عليه يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة، ثم نظروا الى حبل عاتقه وعليه أثر قد اخشوشن فقالوا لأ بي جعفر(ع): أما هذه فقد علمنا انها من أثر السجود، فما هذا الذي على عاتقه؟.

قال (ع): والله ما علم به أحد غيري وما علمته من حيث علم اني علمته، ولولا انه قد مات ما ذكرته، كان اذا مضى من الليل صدره قام وقد هدء كل من في منزله فأسبغ الوضوء وصلّى ركعتين خفيفتين ثم نظر الى كل ما فضل في البيت عن قوت أهله فجعله في جراب ثم رمى به الى عاتقه وخرج محتسباً يتسلل لا يعلم به أحد، فيأتي دوراً فيها أهل مسكنة وفقر فيفرّق ذلك عليهم وهم لا يعرفونه إلا انهم قد عرفوا ذلك عنه فكانوا ينتظرونه، فاذا أقبل قالوا: هذا صاحب الجراب وفتحوا أبوابهم له ففرق عليهم ما في الجراب وانصرف فارغاً، يبتغي بذلك فضل صدقة السر وفضل صدقة الليل وفضل اعطاء الصدقة بيده، ثم يرجع فيقوم في محرابه فيصلي باقي ليله فهذا الذي ترون على عاتقه أثر ذلك الجراب).

أقول: ورد مثل ذلك عن الحسن(ع) لما غسّل أباه علياً(ع) كما ورد مثل ذلك في الحسين (ع) بعد أن استشهد.

وفي رواية عن رسول الله(ص) قال: (صدقة السر تطفىء الخطيئة كما تطفىء الماء النار وتدفع سبعين نوعاً من البلاء).

وقال (ص):

[في القيامة سبعة يظلهم الله تعالى في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظلّه ــ وعدَّ منهم ــ من يتصدق بيمينه ويخفيها عن شماله].

وعنه (ص)، انه قال:

[صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفاً، وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفاً].

وفي رواية عنه (ص)، انه قال لرجل تمّنى الموت: (الموت شيء لابد منه، وسفر طويل ينبغي لمن أراده أن يرفع عشر هدايا (الى أن قال(ص) في جملة تلك الامور): البكاء

من خشية الله، وصدقة السر، وترك المعاصي، و بر الوالدين).

الأيمان يزداد رسوخاً بالدعاء

ثمَّ ان الايمان يزداد رسوخاً وقوة: بأمرين: وهما الدعاء والبكاء من خشية الله سبحانه وتعالى ومن هنا ورد التأكيد الشديد في النصوص الدينية عليهما.

قال رسول الله(ص):

[أفضل عبادة أمتي بعد قراءة القرآن الدعاء، ثم قرأ «ص»: «ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين»((غافر/٦٠)

ألا ترى ان الدعاء هو العبادة].

وقال (ص):

[لا تعجزوا عن الدعاء فانه لم يُهلك مع الدعاء، وليسأل أحدكم ربه حتى يسأله شسع نعله اذا انقطع، واسألوا الله من فضله فانه يحب أن يُسئل].

وقال (ص):

[ان الرزق ينزل من السماء الى الارض على عدد كل قطر الى كل نفس لما قدرها ولكن لله فضول فاسألوا الله من فضله]

وقال (ص):

[الدعاء سلاح المؤمن وعمود الدين وزين ما بين السماء والارض].

وفي حديث عن الصادق(ع):

[ان الدعاء أنفذ من سلاح الحديد]

وعن الصادق (ع) قال:

[أن الدعاء.. يرد القضاء المبرم بعدما أبرم ابراماً فأكثر من الدعاء فأنه مفتاح كل رحمة، ونجاح كل حاجة، ولا ينال ما عند الله إلاّ بالدعاء، فأنه ليس من باب يكثر قرعه إلاّ أوشك أن يفتح لصاحبه].

وعن رسول الله(ص)، انه قال:

[ألا أدلكم على سلاح ينجيكم من عدوكم و يدرّ أرزاقكم.

قالوا: بلى

قال: تدعون ربكم بالليل والنهار، فان الدعاء سلاح المؤمنين].

وفي نهج البلاغة، عن علي(ع) في وصيته لابنه الحسن(ع):

[وأعلم ان الذي بيده خزائن السماوات والارض قد اذن لك في الدعاء، فتكفل لك بالاجابة، وأمرك ان تسأله ليعطيك، وتسترحمه ليرحمك، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه، ولم يلجئك الى من يشفع لك اليه، ولم يمنعك ان سألت من التوبة ولم يعاجلك بالنقمة، ولم يفضحك حيث الفضيحة، ولم يشدد اليك في قبول الأنابة، ولم يناقشك بالجريمة، ولم يؤيسك بالرحمة، بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة، وحسب سيئتك واحدة، وحسب حسنتك عشرا، وفتح لك باب المتاب وباب الاستعتاب فاذا ناديته سمع نداءك، واذا ناجيته علم نجواك، فافضيت اليه بحاجتك، واثبتته ذات نفسك وشكوت اليه همومك، واستكشفته كروبك، واستعنته على أمورك وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على اعطائه غيره من زيادة الأعمار وصحة الأبدان وسعة الارزاق، ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك من مسائلته فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته واستمطرت شآبيب رحمته (الى أن قال«ع»): فليكن مسائلتك فيما يبقى لك جماله، و يُنفى عنك وباله، والمال لا يبقى لك، ولا تبقى له].

وفي رواية عن النبي(ص)، عن جبرئيل، عن الله عزوجل: (ياعبادي كلكم ضال الاّ من هديته، فأسألوني الهداية أهدكم، وكلكم فقير إلاّ من أغنيته فأسألوني الغنى أرزقكم، وكلكم مذنب إلاّ من عافيته فأسألوني المغفرة أغفر لكم، ومن علم اني ذو قدرة على المغفرة فاستغفرني بقدرتي غفرت له ولا أبالي.

(الى أن قال سبحانه): ولو ان أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم و يابسكم اجتمعوا فيتمنى كل واحد ما بلغت أمنيته فأعطيته لم يتبين ذلك في ملكي، كما لو أن أحدكم مرّ على شفير البحر فغمس فيه أبرة ثم انتزعها ذلك فاني جواد ماجد وأجد عطائي

فاذا أردت شيئاً فانما **اقول: كن فيكون)**.

.. والبكاء أيضاً

وأما البكاء فقد ورد في القرآن الكريم آيات حوله:

قال سبحانه:

«قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجداً، و يقولون: سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا. ويخرّون للاذقان يبكون و يزيدهم خشوعاً»(الاسراء/١٠٧ــ١٠٩)

وقال تعالى:

«أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سُجَّداً وبُكياً»(مريم/٥٨)

وقال سبحانه:

«أفمن هذا الحديث تعجبون، وتضحكون ولا تبكون، وأنتم سامدون»(النجم/٥٩ــ٦١)

وهنالك احاديث كثيرة وردت بهذا الشأن:

فعن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه: عن الحسين بن علي، عن علي(ع) في خبر في حالات النبي(ص):

[ان رسول الله كان يبكي حتى يبتل مصلاه خشية من الله عزوجل]

وروى السيد ابن طاووس في (فلاح السائل) عن(حبّة العُرني)قال: بينا أنا ونوف نائمان في رحبة القصر إذ نحن بأميرالمؤمنين(ع) في بقية من الليل واضعاً يده على الحائط شبه الواله وهويقول:

«ان في خلق السماوات والارض»(البقرة/١٦٤)

(الى آخر الآية)، ثم جعل يقرأ هذه الآيات ويمر شبه الطائر فقال: أراقد يا حبّة أم

رامق؟

قلت: رامق

ثم قلت: هذا أنت تعمل هذا العمل فكيف نحن؟

فأرخى عينيه فبكى ثم قال لي: يا حبة ان لله موقفاً ولنا بين يديه موقف لا يخفى عليه شيء من اعمالنا، يا حبة ان الله اقرب اليك وإليَّ من حبل الوريد، يا حبة، انه لن يحجبني ولا إياك عن الله شيء.

ثم قال: أراقد يانوف؟

قلت: لا ياأميرالمؤمنين ما أنا براقد، ولقد أطلت بكائي هذه الليلة.

فقال: يانوف ان طال بكاؤك في هذا الليل مخافة من الله عزوجل قرَّت غداً عيناك بين يدي الله عزوجل.

يانوف، انه ليس من قطرة من عين رجل من خشية الله إلاّ أطفأت بحاراً من النيران، يانوف انه ليس من رجل أعظم منزلة عند الله من رجل بكى من خشية الله وأحب في الله وأبغض في الله، يانوف من أحب في الله لم يستأثر على محبته ومن أبغض لم ينل مبغضيه خيراً عند ذلك استكملتم حقايق الايمان ثم وعظهما وذكرهما (وقال في آخر الحديث)، فكونوا من الله على حذر فقد انذرتكما، ثم جعل يمر وهو يقول: ليت شعري في غفلاتي امعرض أنت عني أم ناظر اليّ وليت شعري في طول منامي وقلة شكري في نعمك على ما حالي؟

قال: فوالله ما زال في هذا الحال حتى طلع الفجر.

وفي رواية عن نوف قال:

[لقد رأيت امير المؤمنين(ع) في بعض مواقفه، وقد ارخى الليل سدوله وغارت نجومه وهو قابض بيده على لحيته يتململ كتململ السليم و يبكي بكاء الحزين].

وعن رسول الله (ص)، انه قال:

[ما من عمل إلاّ وله وزن وثواب إلاّ الدمعة فانها تطفيء غضب الرب، ولو أن عبداً بكىٰ من خشية الله في أمّة لرحم الله تلك الامة ببكائه].

الايمان في النصوص الدينية

هذه هي ملامح الايمان

عن عمرو بن ثابت، عن أبي جعفر(ع) قال: قال رسول الله(ص) لعلي(ع): (ياعلي أوصيك في نفسك بخصال فاحفظها ثم قال: اللهم أعنه.

أما الاولى فالصدق لا يخرجن من فيك كذبةٌ أبداً.

والثانية الورع لا تجترين على خيانة أبداً.

والثالثة الخوف من الله كأنك تراه.

والرابعة كثرة البكاء من خشية الله عزوجل يبني لك بكل دمعة بيت في الجنة.

والخامسة بذل دمك ومالك دون دينك.

والسادسة الأخذ بسنتي في صلاتي وصيامي وصدقي، أمّا الصلاة فالخمسون ركعة، وأمّا الصوم فثلاثة أيام في كل شهر خميس في أوله، وأربعاء في وسطه، وخميس في آخره، وأمّا الصدقة فجهدك حتى يقال: أسرفت ولم تسرف.

وعليك بصلاة الليل وعليك بصلاة الليل وعليك بصلاة الليل، وعليك بصلاة الزوال، وعليك بقراءة القرآن على كل حال، وعليك برفع يديك في الصلاة، وتقليبهما، عليك بالسواك عند كل وضوء صلاة، عليك بمحاسن الاخلاق فاركبها، عليك بمساوي الاخلاق فاجتنبها).

وعن الحسن بن عطية، عن أبي عبدالله(ع) قال: (المكارم عشر فان استطعت أن تكون فيك فلتكن فانها تكون في الرجل ولا تكون في ولده، وتكون في ولده ولا تكون في أبيه، وتكون في العبد ولا تكون في الحرّ: صدق الناس، واداء الأمانة، وصلة الرحم، وأقراء الضيف، واطعام السائل، والمكافاة على الصنايع، وصدق اللسان، والتذمّم للجار، والتذمّم للصاحب، ورأسهن الحياء).

وعن عبد الملك بن غالب، عن أبي عبدالله(ع) قال: (ينبغي للمؤمن أن يكون فيه ثماني خصال: وقور عند الهزاهز، صبور عند البلاء، شكور عند الرخاء، قانع بما رزقه الله لا يظلم الاعداء، ولا يتحامل للاصدقاء، بدنه منه في تعب، والناس منه في راحة، أن العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والعقل أمير جنوده، والرفق أخوه، والبرّ والده).

وعن جابر، عن أبي جعفر(ع) قال: سُئل أميرالمؤمنين(ع) عن الايمان، فقال: (إنَّ الله عزَّوجل جعل الايمان على أربع دعائم: على الصبر، واليقين، والعدل، والجهاد، فالصبر من ذلك على أربع شعب، الشوق والأشفاق، والزهد، والترقب (الى أن قال) واليقين على أربع شعب، تبصرة الفطنة، وتأويل الحكمة، ومعبرة العبرة، وسنة الاولين، والعدل على أربع شعب، على غامض الفهم، وغمر العلم، وزهرة الحكم، وروضة الحلم (الى أن قال) والجهاد على أربع شعب: على الامر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن، وشنآن الفاسقين).

وعن أبي حمزة، عن علي بن الحسين(ع) قال: (المؤمن ينصت ليسلم، و ينطق ليغنم، ولا يحدث أمانته الاصدقاء، ولا يكتم شهادته من البعداء، ولا يعمل شيئاً من الخير رياءً ولا يتركه حياءً ان زكى خاف ما يقولون، و يستغفر الله لما لا يعلمون، ولا يغرّه قول من جهله، ويخاف احصاء ما عمله).

وعن هشام بن الحكم، عن أبي الحسن موسى بن جعفر(ع) قال: ياهشام كان أميرالمؤمنين(ع) يقول: (ما عُبد الله بشيء أفضل من العقل، وما تم عقل امرىء حتى تكون فيه خصال شتى: الكفر والشر منه مأمونان، والخير والحسن منه مأمولان، وفضل ماله مبذول، وفضل قوله مكفوف، نصيبه من الدنيا القوت، لا يشبع من العلم دهره، الذل أحب اليه مع الله من العزّ مع غيره، والتواضع احب اليه من الشرف، يستكثر قليل المعروف من غيره و يستقل كثير المعروف من نفسه، و يرى الناس كلّهم خيراً منه، وانه شرهم في نفسه، وهو تمام الامر).

وعن أحمد بن محمد بن خالد، عن بعض من رواه، رفعه الى أبي عبدالله(ع) قال: (المؤمن له قوة في دين، وحزم في لين، وايمان في يقين، وحرص في فقه، ونشاط في هدى، و برّ في استقامة، وعلم في حلم، وكيس في رفق، وسخاء في حق، وقصد فى غنى، وتحمل

في فاقة، وعفو في قدرة، وطاعة لله في نصيحة، وانتهاء في شهوة، وورع في رغبة، وحرص في جهاد، وصلاة في شغل، وصبر في شدّة، وفي الهزاهز وقور، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور، ولا يغتاب ولا يتكبر، ولا يقطع الرحم، وليس بواهن ولا فظ ولا غليظ ولا يسبقه بصره، ولا يفضحه بطنه، ولا يغلبه فرجه، ولا يحسد الناس، يعيَّر ولا يعيِّر، ولا يسرف، ينصر المظلوم، و يرحم المسكين، نفسه منه في عناء، والناس منه في راحة، لا يرغب في عزّ الدنيا، ولا يجزع من ذلها، للناس همّ قد أقبلوا عليه، وله همّ قد شغله، لا يرى في حلمه نقص، ولا في رأيه وهن، ولا في دينه ضياع، يرشد من استشاره، و يساعد من ساعده، و يكيع عن الخنا والجهل).

عن أحدهما، عن أميرالمؤمنين(ع) أنّه سأل رسول الله(ص) عن صفة المؤمن فقال: (عشرون خصلة في المؤمن، فان لم تكن فيه لم يكمل ايمانه، أن من أخلاق المؤمنين ـ ياعلي ـ الحاضرون الصلاة، والمسارعون الى الزكاة، والمطعمون للمسكين، الماسحون لرأس اليتيم، المطهرون أطمارهم، المتزرون على أوساطهم، الذين إن حدثوا لم يكذبوا، وان وعدوا لم يخلفوا، وان أئتمنوا لم يخونوا، وان تكلّموا صدقوا، رهبان الليل، أسد بالنهار، صائمون النهار، قائمون الليل، لا يؤذون جاراً، ولا يتأذى بهم جار، الذين مشيهم على الارض هون، وخطاهم على بيوت الأ رامل وعلى أثر الجنائز جعلنا الله وايا كم من المتقين).

عن ابن ابي يعفور، عن ابي عبدالله(ع) قال: (إنَّ شيعة عليّ(ع) كانوا خمص البطون، ذبل الشفاه، أهل رأفة وعلم وحلم يعرفون بالرهبانية، فاعينوا على ما أنتم عليه بالورع والاجتهاد).

وعن عمرو بن أبي المقدام، عن أبيه، وعن أبي جعفر(ع) قال: قال أميرالمؤمنين(ع): (شعيتنا المتباذلون في ولايتنا، المتحابون في مودّتنا، المتزاورون في احياء أمرنا، الذين اذا غضبوا لم يظلموا، وان رضوا لم يسرفوا، بركة على من جاوروا، سلم لمن خالطوا).

وعن أبي حمزة الشمالي، عن عبدالله بن الحسن، عن أمّه فاطمة بنت الحسين بن علي(ع) قال: قال رسول الله(ص): (ثلاث خصال من كن فيه استكمل خصال الايمان: اذا رضى لم يدخله رضاه في باطل، واذا غضب لم يخرجه الغضب من الحق، واذا قرر لم

يتعاط ما ليس له).

وعن أبي بصير، عن أبي عبدالله(ع) قال: قال أميرالمؤمنين(ع): (أن لأهل الدين علامات يعرفون بها: صدق الحديث، وأداء الأمانة، ووفاء العهد، وصلة الارحام، ورحمة الضعفاء، وقلّة المراقبة للنساء ــ أو قال وقلة المواتاة للنساء ــ، وبذل المعروف، وحسن الجوار، وسعة الخلق، واتباع العلم، وما يقرب الى الله (الى أن قال) إن المؤمن نفسه منه في شغل، والناس منه في راحة، اذا جن عليه الليل افترش وجهه، وسجد لله بمكارم بدنه، يناجي الذي خلقه في فكاك رقبته ألا فهكذا كونوا).

وعن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين(ع) قال: (من أخلاق المؤمن الانفاق على قدر الاقتار، والتوسع على قدر التوسع، وانصاف الناس، وابتداؤه اياهم بالسلام عليهم).

وعن أبي عبيدة، عن أبي جعفر(ع) قال: (انما المؤمن الذي اذا رضى لم يدخله رضاه في أثم ولا باطل، وان سخط لم يخرجه سخطه من قول الحق، والذي اذا قدر لم تخرجه قدرته الى التعدي الى ما ليس له بحق).

وعن مهزم الأسدي قال: قال ابو عبدالله(ع): (يامهزم شيعتنا من لا يعدو صوته سمعه، ولا شحناه يديه، ولا يمتدح بنا معلنا(١)، ولا يجالس لنا عائباً، ولا يخاصم لنا قالياً، وان لقى مؤمناً أكرمه، وان لقى جاهلاً هجره (الى أن قال) شيعتنا من لا يهرّ هرير الكلب، ولا يطمع طمع الغراب، لا يسأل عدوّنا وان مات جوعاً)(الحديث).

وعن محمد بن عرفة، عن أبي عبدالله(ع) قال: قال النبي(ص): (ألا اخبركم بأشبهكم بي؟ قالوا: بلى يارسول الله، قال: أحسنكم خلقاً، وألينكم كنفاً، وأبّركم بقرابته، وأشدكم حبّاً لاخوانه في دينه، وأصبركم على الحق، وأكظمكم للغيظ، وأحسنكم عفواً، وأشدكم انصافاً في الرضا والغضب).

وعن اسحاق بن عمّار، عن أبي عبدالله(ع) قال: (المؤمن حسن المعونة، خفيف المؤنة، جيّد التدبير لمعيشته، ولا يلسع من جحر مرّتين).

وعن أحمد بن أبي عبدالله، عن أبيه، في حديث مرفوع الى النبي(ص) قال: (جاء

---

(١) يعني: حين يضر المدح

جبرئيل فقال: يارسول الله ان الله أرسلني اليك بهديّة لم يعطها أحداً قبلك.

قال رسول الله(ص) ما هي؟ قال: الصبر وأحسن منه.

قال : وما هو؟ قال : الزهد وأحسن منه.

قال : وما هو؟ قال : اليقين وأحسن منه.

قال : قلت : وما هو ياجبرائيل؟ قال: إنَّ مدرجة ذلك التوكل على الله عزَّوجل.

فقلت : وما التوكل على الله؟ قال: العلم بأن المخلوق لا يضرّ ولا ينفع ولا يعطى ولا ينفع، واستعمال اليأس من الخلق، فاذا كان العبد كذلك لا يعمل لأحد سوى الله ولم يرج ولم يخف سوى الله، ولم يطمع في أحد سوى الله، فهذا هو التوكل.

قلت : ياجبرائيل فما تفسير الصبر؟ قال: تصبر في الضرّاء كما تصبر في السرّاء، وفي الفاقة كما تصبر في الغنى، وفي البلاء كما تصبر في العافية، فلا يشكو حاله عند المخلوق بما يصيبه من البلاء.

قلت : فما تفسير القناعة؟ قال: يقنع بما يصيب من الدنيا يقنع بالقليل، و يشكر اليسير.

قلت : فما تفسير الرضا؟ قال : الراضي لا يسخط على سيّده أصاب من الدنيا أو لا يصيب منها، ولا يرضى لنفسه باليسير من العمل.

قلت : ياجبرائيل فما تفسير الزهد؟ قال: يحبّ من يحبّ خالقه، و يبغض من يبغض خالقه، و يتحرّج من حلال الدنيا، ولا يلتفت الى حرامها، فان حلالها حساب، وحرامها عقاب، و يرحم جميع المسلمين كما يرحم نفسه، و يتحرّج من الكلام كما يتحرّج من الميتة التي قد اشتد نتنها، و يتحرّج عن حطام الدنيا وزينتها كما يتجنب النار أن يغشاها، وان يقصّر أمله، وكان بين عينيه أجله.

قلت : ياجبرائيل فما تفسير الاخلاص؟ قال: المخلص الذي لا يسأل المخلوق فقد أقرّ لله بالعبودية، واذا وجد فرضاً فهو عن الله راض، والله تبارك وتعالى عنه راضٍ، واذا أعطى الله عزَّوجل فهو على حدّ الثقة بربه.

قلت : فما تفسير اليقين؟ قال: المؤمن يعمل لله كأنه يراه، فان لم يكن يرى الله فان الله يراه، وان يعلم يقيناً أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه،

وهذا كلّه أغصان التوكّل ومدرجة الزهد).

طاعة الله: هي المنجىٰ

عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر(ع) قال: (لا تذهب بكم المذاهب فوالله ما شيعتنا إلا من أطاع الله عزَّوجلّ).

وعن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر(ع): (أن رسول الله(ص) قال: إنه لا يُدرك ما عند الله إلاّ بطاعته).

وعن جابر، عن أبي جعفر(ع) قال: قال لي: (ياجابر أيكتفي من ينتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت فوالله ما شيعتنا الاّ من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون ياجابر الاّ بالتواضع والتخشع والامانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة، والبرّ بالوالدين، والتعاود للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام، وصدق الحديث وتلاوة القرآن، وكف الالسن عن الناس الا من خير وكانوا أمناء عشائرهم في الاشياء، «الى أن قال:» أحب العباد الى الله عزوجل أتقاهم وأعملهم بطاعته ياجابر والله ما تتقرب الى الله عزوجل: إلا بطاعته، وما معنا براءة من النار، ولا على الله من حجّة، من كان لله مطيعاً فهو لنا وليّ، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدوّ، وما تنال ولايتنا إلا بالعمل والورع).

وعن عمرو بن خالد، عن أبي جعفر(ع) قال: (والله ما معنا من الله براءة، ولا بيننا وبين الله قرابة، ولا لنا على الله حجّة، ولا تتقرب الى الله إلا بطاعة فمن كان منكم مطيعاً لله تنفعه ولايتنا، ومن كان منكم عاصياً لله لم تنفعه ولايتنا ويحكم لا تغتروا ويحكم لا تغتروا).

وعن مروان بن مسلم، عن أبي عبدالله عن آبائه(ع) عن رسول الله(ص) قال: قال الله عزوجل: (أيّما عبد أطاعني لم أكله الى غيري وأيّما عبد عصاني وكلته الى نفسه، ثم لم أبالِ في أيّ وادٍ هلك).

وعن أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله(ع) عن قول الله عزوجل:

«إتقوا الله حق تقاته»(آل عمران/١٠٢)
قال: (يطاع فلا يعصى، و يذكر فلا ينسى، و يشكر فلا يكفر).

أداء الفرائض

عن ابي حمزة الثمالي قال: قال علي بن الحسين(ع): (من عمل بما إفترض الله عليه فهو من خير الناس).

وعن محمد الحلبي عن ابي عبدالله(ع) قال: قال الله تبارك وتعالى (ما تحبّبَ اليَّ عبدي بأحبّ ممّا افترضت عليه).

وعن السكوني، عن ابي عبدالله(ع) قال: قال رسول الله(ص): (إعمل بفرائض الله تكن أتقى الناس).

وعن ابي حمزة عن علي بن الحسين(ع) قال: (من عمل بما إفترض الله عليه فهو من أعبد الناس).

وعن السكوني، عن الصادق، عن آبائه (ع) قال: قال رسول الله(ص): (اعمل بفرائض الله تكن من اتقى الناس، وارض بقسم الله تكن من اغنى الناس، وكفّ عن محارم الله تكن من اورع الناس، واحسن مجاورة نم جاورك تكن مؤمناً، وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مسلماً).

إجتناب المحارم

عن ابراهيم بن عمر اليماني، عن أبي جعفر(ع) قال: (كلّ عين باكية يوم القيامة غير ثلاث: عين سهرت في سبيل الله، وعين فاضت من خشية الله، وعين غضت عن محارم الله).

وعن أبي عبيدة، عن أبي عبدالله(ع) قال: (من أشد ما فرض الله على خلقه ذكر الله كثيراً ثم قال: لا أعني سبحان الله والحمدُ لله ولا إله إلا الله والله أكبر ثم قال: لا أعني ذكر الله عندما أحلَّ وحرَّم، فان كان طاعة عمل بها وإن كان معصية تركها).

وعن سليمان بن خالد قال: سألت أبا عبدالله(ع) عن قول الله عزوجل:

«وقَدِمنا الى ما عملوا من عملٍ فجعلناه هباءً منثوراً»

قال :(أما والله إن كانت أعمالهم أشد بياضاً من القباطي ولكن كانوا اذا عرض لهم الحرام لم يدعوه).

وعن السكوني، عن أبي عبد الله(ع) قال: قال رسول الله(ص): (من ترك معصية الله مخافة الله تبارك وتعالى أرضاه يوم القيامة).

وعن أبي عبد الله(ع) في رسالته الى أصحابه قال: (وإياكم أن تشره أنفسكم الى شيء حرَّم الله عليكم فانَّ من انتهك ما حرَّم الله عليه في الدنيا حال الله بينه و بين الجنة ونعيمها ولذتها وكرامتها القائمة الدائمة لأجل الجنة أبد الآبدين «الى أن قال» وإياكم والاصرار على شيء مما حرَّم الله في القرآن ظاهره و باطنه وقد قال: ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون).

وعن أحمد بن محمد بن عيسى، قال: حدثني جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه عن علي(ع) قال: قال رسول الله(ص): (يقول الله تبارك وتعالى لابن آدم إن نازعك بصرك الى بعض ما حرَّمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقين ولا تنظر، وإن نازعك لسانك الى بعض ما حرّمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقين فأطبق فلا تتكلم، وان نازعك فرجك الى بعض ما حرَّمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقين فأطبق ولا تأت حراماً).

وعن زيد الشحام قال: قال ابوعبدالله(ع): (ما ابتلى المؤمن بشيء أشد عليه من خصال ثلاث قيل: وما هي؟ قال: المواساة في ذات يده، والأنصاف من نفسه، وذكر الله كثيراً، أما إني لا أقول لكم: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولكن ذكر الله عند ما أحلَّ له وعند ما حرَّم عليه).

وعن محمد بن حمران، عن أبي عبدالله(ع) قال: (من قال: لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة، وإخلاصه أن يحجزه لا إله إلا الله عما حرَّم الله).

وعن مسعدة بن زياد، عن الصادق عن آبائه(ع) أن النبي(ص) قال: (من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلّت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن، ومن عصى الله فقد نسي الله وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن).

وعن أبي بصير، عن أبي عبدالله(ع) قال: (من أشد ما عمل العباد إنصاف المرء من نفسه، ومواساة المرء أخاه، وذكر الله على كلّ حال، قال: قلت: أصلحك الله وما وجه ذكر الله على كل حال؟ قال: يذكر الله عند المعصية يهمّ بها فيحول ذكر الله بينه و بين تلك المعصية، وهو قول الله:

«إنَّ الذين إتقوا اذا مسَّهم طائفٌ من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون»(الأعراف/٢٠١)

وعن أبي بصير قال: قال الصادق جعفر بن محمد(ع): (من أقام فرائض الله واجتنب محارم الله وأحسن الولاية لأهل بيتي وتبرّء من أعداء الله فليدخل من أيّ أبواب الجنة الثمانية شاء).

وعن زيد الشحام قال: سمعت أبا عبدالله(ع) يقول: (إحذروا سطوات الله بالليل والنهار، فقلت وما سطوات الله؟ قال: أخذه على المعاصي).

إيثار رضى الله على هوىٰ النفس

عن أبي حمزة، عن أبي جعفر(ع) قال: قال الله عزّوجل: (وعزتي وجلالي وعظمتي وبهائي وإرتفاعي لا يؤثر عبد مؤمن هواي على هواه في شيء من أمر الدنيا إلا جعلت غناه في نفسه، وهمته في آخرته وضمنت السماوات والأرض رزقه، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر).

وعن أبي حمزة، عن أبي جعفر(ع) قال: قال رسول الله(ص) يقول الله عزّوجل: (وعزّتي وجلالي وكبريائي ونوري وعلّوي وإرتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواه على هواي إلا شتت عليه أمره، ولبست عليه دنياه، وشغلت قلبه بها، ولم آته الا ما قدرت له، وعزّتي وجلالي وعظمتي ونوري وعلوي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواي على هواه إلا استحفظته ملائكتي، وكفلت السماوات والأرضين رزقه، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر، واتته الدنيا وهي راغمة).

وعن اسماعيل بن محمد، عن أبي عبدالله(ع) قال: إن الله عزّوجل يقول: (إني لست كلّ كلام الحكمة أتقبل، إنما أتقبل هواه وهمّه، فان كان هواه وهمه في رضاي

جعلت همه تقديساً وتسبيحاً).

مسؤولية الجوارح

عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبدالله(ع) قال: (إن الله فرض الايمان على جوارح ابن آدم وقسّمه عليها وفرّقه فيها، فليس من جوارحه جارحة إلا وقد وكلت من الايمان بغير ما وكلت به اختها «الى أن قال» فأما ما فرض على القلب من الايمان فالاقرار والمعرفة والعقد والرضا والتسليم بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً واحداً لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، وإن محمداً عبده ورسوله(ص) والاقرار بما جاء من عند الله من نبي أو كتاب، فذلك ما فرض الله على القلب من الاقرار والمعرفة وهو علمه، وهو قول الله عزوجل:

«الاّ من أكرِهَ وطمئن بالايمان»(النحل/١٠٦)

وقال :

«ألا بذكر الله تطمئن القلوب»(الرعد/٢٨)

وقال :

«إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يُحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويُعذّب من يشاء»(البقرة/٢٨٤)

فذلك ما فرض الله على القلب من الاقرار والمعرفة فهو عمله، وهو رأس الايمان.

وفرض الله على اللسان القول والتعبير عن القلب بما عقد عليه وأقرَّ به قال تبارك وتعالى اسمه:

«وقولوا للناس حُسناً»(البقرة/٨٣)

وقال :

«وقولوا آمنّا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحنُ له مسلمون»(العنبكوت/٤٦)

فهذا ما فرض الله على اللسان وهو عمله. وفرض على السّمع ان يتنزّه عن الاستماع

الى مـا حـرَّم الله، وان يـعـرض عـمّا لا يحل له مما نهى الله عزوجل عنه، والاصغاء الى ما اسخط الله عزوجل فقال: عزوجل في ذلك:

«وقـد نـزَّل عـليكم في الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يُكفر بها و يُستهزأ فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيره»(النساء/١٤٠)

ثم استثنى موضع النسيان فقال سبحانه:

«وإما يُنسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين»(الأنعام/٦٨)

وقال :

«فـبشر عبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب»(الزمر/١٧ــ١٨)

وقال تعالى :

«قـد أفـلـح المـؤمـنـون الـذين هم في صلا تهم خاشعون، والذين هم عن اللّغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون»(المؤمنون/١ــ٤)

وقال سبحانه :

«واذا سمعوا اللّغو أعرضوا عنه»(القصص/٥٥)

وقال :

«واذا مرّوا باللّغو مرّوا كِراماً»(الفرقان/٧٢)

فـهذا ما فرض الله على السمع من الايمان أن لا يصغي الى ما لا يحل له وهو عمله وهو من الايمان.

وفـرض على البصر أن لا ينظر الى ما حرَّم الله عليه، وان يعرض عما نهى الله عنه ممّا لا يحلّ له وهو عمله وهو من الايمان، فقال تبارك وتعالى:

«قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم»(النور/٣٠)

أن يـنـظـروا الى عـوراتـهـم، وإن يـنـظـر المرء الى فرج أخيه ويحفظ فرجه أن ينظر إليه وقال:

«وقل للمؤمنات يغضُضن من أبصارهنَّ ويحفظن فروجهن»(النور/٣١)

من أن تنظر إحداهنَّ الى فرج أختها وتحفظ فرجها من أن ينظر اليه.

ثم نظم ما فرض على القلب والبصر واللسان في آية أخرى فقال:

«وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم»(فصّلت/٢٢)

يعني بالجلود الفروج والأفخاذ وقال:

«ولا تقفُ ما ليس لك به علمٌ إن السمع والبصر والفؤاد كلٌّ أولئك كان عنه مسؤولا»(الأسراء/٣٦)

وفُرض على اليدين أن لا يبطش بهما الى ما حرَّم الله، وأن يبطش بما الى ما أمر الله عزوجل وفرض عليهما من الصدقة وصلة الرحم والجهاد في سبيل الله والطهور للصلوات، فقال تعالى:

«ياأيُّها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فأغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وأمسحوا برؤوسكم وأرجالكم الى الكعبين»(المائدة/٦)

وقال :

«فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فأمّا منّاً بعدُ وأما فداءاً حتى تضع الحرب أوزارها»(محمد/٤)

فهذا ما فرض الله على اليدين لأن الضرب من علاجهما.

وفرض على الرجلين أن لا يمشي بهما الى شيء من معاصي الله، وفرض عليهما المشي الى ما يرضي الله عزوجل فقال:

«ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً»(الأسراء/٣٧).

وقال :

«وأقصد في مشيك وأغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير»(لقمان/١٩)

وقال : ـــ فيما شهدت به الأيدي والأرجل على أنفسهما وعلى أربابهما من تضييعهما لما أمر الله به وفرضه عليها ـــ:

«اليوم نختم على أفواههم وتُكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون»(يس/٦٥)

فهذا أيضاً مما فرض الله على اليدين، وعلى الرجلين وهو عملهما وهو من الايمان.

وفرض على الوجه السجود له بالليل والنهار في مواقيت الصلاة فقال:

«يا أيّها الذين آمنوا إركعوا واسجدوا واعبدوا ربّكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون»(الحج/٧٧)

فهذه فريضة جامعة على الوجه واليدين والرجلين، وقال في موضع آخر:

«وأنَّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً»(الجن/١٨)

(الى أن قال): فمن لقى الله حافظاً لجوارحه موفياً كل جارحة من جوارحه ما فرض الله عليها لقى الله عزوجل مستكملاً لايمانه وهو من أهل الجنة، ومن خان في شيء منها أو تعدى ممّا أمر الله عزوجل فيها لقى الله ناقض الايمان (الى أن قال): و بتمام الايمان دخل المؤمنون الجنة، والبنقصان دخل المفرطون النار).

وعن الحسن بن هارون قال: قال لي ابو عبدالله(ع) في قوله تعالى:

«إنَّ السمع والبصر والفؤاد كلُّ أولئك كان عنه مسؤولا» الأسراء/٣٦)

قال: يُسأل السمع عما سمع، والبصر عما نظر اليه والفؤاد عما عقد اليه).

وعن محمد بن مسلم، عن بعض الأصحاب؟ عن أبي عبدالله(ع) قال: (الأيمان لا يكون الا بعمل، والعمل منه، ولا يثبت الايمان الا بعمل).

عن عبدالله بن مسكان، عن بعض اصحابه، عن ابي عبدالله(عليه السلام) قال: (من أقرّ بدين الله فهو مسلم ومن عمل بما امر الله فهو مؤمن).

وعن جميل بن دراج قال: سألت ابا عبدالله(ع) عن الايمان فقال: (شهادة أن لا إله إلا الله وان محمداً(ص) رسول الله قال: قلت: أليس هذا عمل؟ قال: بلى، قلت: فالعمل من الايمان؟ قال: لا يثبت الايمان بالعمل والعمل منه).

التقوى

عن أبي عبيدة، عن أبي جعفر(ع) قال: كان أميرالمؤمنين(ع) يقول: (لا يقلّ عمل مع تقوى، وكيف يقلّ ما يتقبل).

وعن مفضل بن عمر قال: كنت عند أبي عبدالله(ع) فذكرنا الاعمال، فقلت أنا: ما أضعف عملي، فقال: مه استغفر الله، ثم قال لي: (إن قليل العمل مع التقوى خيرمن كثير بلا تقوى)، قلت: كيف يكون كثيربلا تقوى؟ قال(ع): (نعم مثل الرجل يطعم طعامه و يرفق جيرانه و يوطي رحله فاذا إرتفع له الباب من الحرام دخل فيه فهذا العمل بلا تقوى. و يكون الآخر ليس عنده فاذا إرتفع له الباب من الحرام لم يدخل فيه).

وعن الهيثم بن واقد قال: سمعت الصادق جعفربن محمد(ع) يقول: (من أخرجه الله عزوجل من ذل المعاصي الى عزّ التقوى أغناه الله بلا مال، وأعزّه بلا عشيرة، وآنسه بلا أنيس، ومن خاف الله أخاف الله من كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء، ومن رضى من الله باليسيرمن الرزق رضا منه باليسيرمن العمل، ومن لم يستح من طلب المعاش خفّت مؤنته ونعم أهله، ومن زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه، و بصره عيوب الدنيا داءها ودواءها، وأخرجه من الدنيا سالماً الى دار لسلام.

وقال علي(ع):

[اتق الله بعض التقى وان قلّ، واجعل بينك وبين الله ستراً وان رق].

الورع

عن عمرو بن سعيد بن هلال الثقفي، عن أبي عبدالله(ع) قال: (أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد، واعلم انه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه).

وعن يزيد بن خليفة قال: وعظنا ابو عبدالله(ع) فأمر وزهد ثم قال: (عليكم بالورع فأنه لا ينال ما عند الله الاّ بالورع).

وعن ابن ابي يعفور، عن ابي عبدالله(ع) قال: (لا ينفع أجتهاد لا ورع فيه).

وعن فضيل بن يسار قال: قال ابوجعفر(عليه السلام): (إن اشد العبادة الورع).

وعن حديد بن حكيم قال: سمعت أباعبدالله(ع) يقول: (إتقوا الله وصونوا دينكم بالورع).

وعن حنان بن سدير قال: قال ابوعبدالله(ع) في حديث: (إنّما أصحابي من إشتد ورعه، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، هؤلاء أصحابي).

وعن علي بن أبي زيد، عن أبيه قال: كنت عند أبي عبدالله(ع) فدخل عليه عيسى بن عبدالله القمي فرحب به وقرّب مجلسه ثم قال: (ياعيسى بن عبدالله ليس منا ولا كرامة من كان في مصر فيه مأة ألف أو يزيدون وكان في ذلك المصر أحد أورع منه).

وعن ابن أبي يعفور قال: قال ابوعبدالله(ع): (كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير فان ذلك داعية).

وعن عبيد الله بن علي، عن أبي الحسن الأول(ع) قال: كثيراً ما كنت أسمع أبي يقول: (ليس من شيعتنا من لا تتحدث المخدرات بورعه في خدورهن وليس من أوليائنا من هو في قرية فيها عشرة آلاف رجل فيهم خلق الله أورع منه).

وعن ابراهيم الكرخي، عن أبي عبدالله(ع) قال: سمعته يقول: (لا يجمع الله لمؤمن الورع والزهد في الدنيا إلا رجوت له الجنة).

وعن جابر، عن أبي جعفر(ع) في حديث قال: (لا تنال ولايتنا إلا بالعمل والورع).

وعن أحمد بن محمد المنصوري، عن عم أبيه، عن علي بن محمد، عن آبائه عن الصادق(ع) أنه قال: (عليكم بالورع فانه الدين الذي نلازمه وندين الله تعالى به ونريده ممن يوالينا لا تتعبونا بالشفاعة).

العفّة

عن منصور بن حازم، عن أبي جعفر(ع) قال: (ما عبادة أفضل عند الله من عفّة بطن وفرج).

وعن السكوني، عن أبي عبدالله(ع) قال: قال رسول الله(ص): (أكثر ما تلج به امتي النار الا جوفان: البطن والفرج).

وعن أبي بصير قال: قال رجل لأ بي جعفر(ع) إن ضعيف العمل قليل الصيام، ولكني أرجو أن لا آكل إلا حلالاً، قال: فقال له (أي الاجتهاد أفضل من عفة بطن وفرج).

وعن عبد الله بن ميمن القدّاح، عن أبي عبدالله(ع) قال: (كان أميرالمؤمنين(ع) يقول: أفضل العبادة العفاف).

وعن محمد بن علي بن الحسين باسناده عن أميرالمؤمنين(ع) في وصيته لمحمد بن الحنفية قال: (ومن لم يعط نفسه شهوتها أصاب رشده).

وعن أنس قال : قال رسول الله(ص): (من ضمن لي إثنين ضمنتُ له على الله ألجنة، من ضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه ضمنت له على الله الجنة يعني ضمن لي لسانه وفرجه).

وفي عقاب الاعمال عن رسول الله(ص) من خطبة له: (ومن قدر على امرأة أو جارية حراماً فتركها مخافة الله حرَّم الله عليه النار وآمنه من الفزع الأكبر وأدخل الجنة، فان أصابها حراماً حرَّم الله عليه الجنة وأدخله النار).

وعن المفضّل قال: قال ابوعبدالله(ع): (إنما شيعة جعفر من عفّ بطنه وفرجه وإشتد جهاده وعمل لخالقه ورجا ثوابه وخاف عقابه، فاذا رأيت أولئك فأولئك شيعة جعفر).

وجوب الاجتناب عن الكبائر

عن عبدالله بن مسكان، عن ابي عبدالله(ع) قال: قال اميرالمؤمنين(ع): (ما من عبد إلا وعليه أربعون جّنة حتى يعمل أربعين كبيرة، فاذا عمل أربعين كبيرة انكشفت عنه الجنن).

وعن محمد بن علي بن الحسين قال: قال الصادق(ع): (من إجتنب الكبائر يغفر الله جميع ذنوبه، وذلك قول الله عزوجل:

«إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيئاتكم، وندخلكم مدخلاً كريماً»(النساء/٣١).

وعن عباد بن كثير قال: سألت ابا جعفر(ع) عن الكبائر، فقال: (كل ما أوعد الله عليه النار).

وعن الحسن بن زياد العطّار، عن أبي عبد الله(ع) في حديث قال: (قد سمّى الله المؤمنين بالعمل الصالح مؤمنين، ولم يسم من ركب الكبائر وما وعد الله عزوجل عليه النار مؤمنين في قرآن ولا أثر ولا سماهم بالايمان بعد ذلك الفعل).

وروي أنه سُأل الصادق(ع) عن قول الله عزوجل:

«إن الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء»(النساء/١٦)

دخلت الكبائر في مشية الله؟ قال: (نعم إن شاء عذّب عليها وإن شاء عفا).

وعن أبي بصير، عن أبي جعفر(ع) في حديث الاسلام والايمان قال: (الايمان من شهد أن لا إله إلا الله (الى أن قال) ولم يلق الله بذنب أوعد عليه بالنار، قال ابو بصير: جعلت فداك وأينا لم يلق الله بذنب أوعد الله عليه النار؟

فقال : (ليس هو حيث تذهب إنما هو من لم يلقَ الله بذنب أوعد الله عليه بالنار ولم يتب منه).

وعن سهل بن اليسع قال: سمع الرضا(ع) بعض أصحابه يقول: (لعن الله من حارب علياً(ع))، فقال له: (قل الا من تاب وأصلح) ثم قال: (ذنب من تخلف عنه ولم يتب أعظم من ذنب من قاتله ثم تاب).

وعن ابراهيم بن العباس قال: كنت في مجلس الرضا(ع) فتذاكرنا الكبائر وقول المعتزلة فيها: أنها لا تغفر، فقال الرضا(ع): قال ابوعبدالله(ع) قد نزل القرآن بخلاف قول المعتزلة، قال الله عزوجل:

«وإنّ ربّكَ لذو مغفرة للناس على ظلمهم»(الرعد/٦)(الحديث)

وعن جندب الغفاري ان رسول الله(ص) قال: ان رجلاً قال يوماً والله لا يغفر لفلان، فقال الله عزوجل: (من ذا الذي تألىّ عليّ ان لا أغفر لفلان، فانيّ قد غفرت لفلان وأحبطت عمل الثاني بقوله: لا يغفر الله لفلان).

تحريم الاصرار على الذنب ووجوب المبادرة الى التوبة والاستغفار

عن أبي بصير قال: سمعت ابا عبدالله(ع) يقول: (لا والله لا يقبل الله شيئاً من طاعته على الاصرار على شيء من معاصيه).

وعن السكوني، عن أبي عبدالله(ع) قال: قال رسول الله(ص): (من علامات الشقاء جود العين، وقسوة القلب، وشدة الحرص في طلب الدنيا والاصرار على الذنب).

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبدالله(ع) قال: (لا صغيرة مع الاصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار).

وعن جابر، عن أبي جعفر(ع) في قول الله عزوجل:

«**ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون**»(آل رمان/١٣٥)

قال الاصرار أن يذنب الذنب فلا يستغفر الله ولا يحدث نفسه بالتوبة فذلك الاصرار.

إياكم.. ومحقرات الذنوب

عن أبي اسامة زيد الشحام قال ابوعبدالله(ع): (اتقوا المحقّرات من الذنوب فانها لا تغفر: قلت وما المحقّرات؟ قال: الرجل يذنب الذنب فيقول: طوبى لي ان لم يكن لي غير ذلك).

وعن سماعة قال: سمعت ابا الحسن(ع) يقول: لا تستكثروا كثير الخير، ولا تستقلّوا قليل الذنوب فان قليل الذنوب تجتمع حتى يكون كثيراً، وخافوا الله في السر حتى تعطوا من أنفسكم النصف).

وعن زياد : قال ابوعبد الله(ع): (إن رسول الله(ص) نزل بأرض قرعاء فقال لأصحابه: ايتوا بحطب.

فقالوا : يارسول الله نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب.

فقال (ص) : فليأت كل إنسان بما قدر عليه.

فجاءوا به حتى رمـــوا به بين يديه بعضه على بعض.

فقال رسول الله (ص) : هكذا تجتمع الذنوب.

ثم قال : إياكم والمحقّرات من الذنوب، فان لكل شيء طالباً الا وإن طالبها يكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في امام مبين).

وفي (نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين(ع) أنه قال:

[أشد الذنوب ما إستهان بها صاحبه].

وعن الحسين بن زيد، عن الصادق عن آبائه(ع) في حديث المناهي ان رسول الله(ص) قال: (لا تحقروا شيئاً من الشر وإن صغر في أعينكم ولا تستكثروا شيئاً من الخير وان كثر في أعينكم، فانه لا كبير مع الاستغفار ولا صغير مع الاصرار).

وعن محمد بن سليمان، عن رجل، عن محمد بن علي(ع) انّه قال لمحمد بن مسلم في حديث: (لا تستصغرنّ حسنةً ان تعملها، فانك تراها حيث يسرّك، ولا تستصغرنّ سيئة تعملها فانك تراها حيث تسوءك).

وعن ابن أخي الفضيل، عن أبي جعفر(ع) قال: (من الذنوب التي لا تغفر قول الرجل: ليتني لا أواخذ الاّ بهذا).

وعن محمد بن علي الكراجكي قال: روى أحد الأئمة(ع) انّه قال: قال رسول الله(ص): (إن الله كتم ثلاثة في ثلاثة: كتم رضاه فى طاعته، وكتم سخطه في معصيته، وكتم وليّه في خلقه، فلا يستخفن أحدكم شيئاً من الطاعات، فانه لا يدري في أيّها رضا الله، ولا يستلقن أحدكم شيئاً من المعاصي فانه لا يدري في أيّها سخط الله ولا يزرين أحدكم بأحد من خلق الله فانه لا يدري أيهم وليّ الله).

قال : ومن كلامه (ع): (لا تنظروا الى صغير الذنب ولكن انظروا الى ما إجترأتم).

في جملة من الأمور المنهيّ عنها

عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبدالله(ع) قال: قال رسول الله(ص): (إن أول ما

عُصي َالله به ستة: حب الدنيا، وحب الرياسة، وحب الطعام، وحب النوم، وحب الراحة، وحب النساء).

وعن جابر بن عبدالله قال: (قال رسول الله(ص) ألا أخبركم بشرار رجالكم؟ قلنا: بلى يارسول الله، قال: شرار رجالكم البهات الجري الفحاش الآكل وحده، والمانع رفده، والضارب عبده، والملجي عياله).

وعن يزيد الصائغ، قلت لأ بي عبدالله(ع): رجل على هذا الامر إن حدث كذب، وان وعد أخلف، وإن ائتمن خان، ما منزلته؟ قال: (هي أدنى المنازل من الكفر وليس بكافر).

وعن أبي حمزة، عن ابي جعفر(ع) قال: (خطب رسول الله(ص) الناس فقال: ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله، فقال الذي يمنع رفده و يضرب عبده، و يتزود وحده، فظنوا أن الله لم يخلق خلقاً هو شرٌ من هذا).

وعن يونس، عن بعض أصحابه، عن أبي عبدالله(ع) قال: قال رسول الله(ص): (ألا أخبركم بأبعدكم مني شبهاً)؟ قالوا: بلى يارسول الله، فقال: الفاحش المتفحش البذيء البخيل المختال الحقود الحسود القاسي القلب والبعيد من كل خيريرجى، غير المأمون من كل شر يبقى).

وعن ميسر، عن ابيه، عن أبي جعفر(ع) قال: قال رسول الله(ص): (خمسة لعنتهم وكل نبي مجاب: الزائد في كتاب الله والتارك لسنتي، والمكذب بقدر الله، والمستحل من عترتي ما حرَّم الله، والمستأثر بالفيء المستحل له).

وعن أبي حمزة، عن علي بن الحسين(ع) قال: (إن المنافق ينهى ولا ينتهي و يأمر بما لا يأتي، اذا قام الى الصلاة اعترض، قلت: يابن رسول الله وما الاعتراض؟ قال الالتفات، واذا ركع ربض، يمسي وهمه العشاء وهومفطر، و يصبح وهمه النوم ولم يسهر، إن حدثك كذبك، وإن ائتمنته خانك، وإن غبت اغتابك، وان وعدك أخلفك).

وعن ابن مسعود، عن النبي(ص) في وصية طويلة قال: سيأتي أقوام يأكلون طيب الطعام وألوانها و يركبون الدواب، و يتزينون بزينة المرأة لزوجها، و يتبرجون تبرج النساء وزينتهن مثل الملوك الجبابرة، هم منافقو هذه الامة في آخر الزمان، شاربون

بالقهوات، لاعبون بالكعاب، راكبون الشهوات، تاركون الجماعات، راقدون عن العتمات، مفرطون في الغدوات، يقول الله تعالى:

«فخلف من بعدهم خلفٌ أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيّا»(مريم/٥٩)

وعن الصادق جعفر بن محمد،عن آبائه(ع) قال: قال رسول الله(ص): (إن الله تبارك وتعالى كره لكم أيتها الامة أربعاً وعشرين خصلة، ونهاكم عنها، كره لكم العبث في الصلاة، وكره المنّ في الصدقة، وكره الضحك بين القبور، وكره التطلع في الدور، وكره النظر الى فروج النساء، وقال: يورث العمى، وكره الكلام عند الجماع وقال يورث الخرس، وكره النوم قبل العشاء الآخرة، وكره الحديث بعد العشاء الآخرة، وكره الغسل تحت السّماء بغير ميزر، وكره المجامعة تحت السماء، وكره دخول الانهار إلا بميزر، وقال: في الانهار عمّار وسكّان من الملائكة وكره دخول الحمام إلا بميزر، وكره الكلام بين الآذان والاقامة في صلاة الغداة حتى تنقضي الصلاة، وكره ركوب البحر في هيجانه، وكره النوم فوق سطح ليس بمحجر وقال: من نام على سطح ليس بمحجر فقد برئت منه الذمة وكره أن ينام الرجل في بيت وحده، وكره للرجل أن يغشى امرأته وهي حائض، فان غشيها وخرج الولد مجذوماً أو أبرص يلومنَّ إلا نفسه، فان فعل وخرج الولد مجنوناً فلا يلومنَّ إلا نفسه، وكره ان يكلّم الرجل مجذوماً إلا أن يكون بينه و بينه قدر ذراع، وقال: فرّ من المجذوم فرارك من الأسد، وكره البول على شط نهر جار، وكره أن يحدث الرجل تحت شجرة مثمرة قد أينعت، أو نخلة قد أينعت يعني أثمرت وكره الرجل أن ينتعل وهو قائم، وكره أن يدخل الرجل البيت المظلم الا أن يكون بين يديه سراج أو نار، وكره النفخ في الصلاة).

وعن سعيد بن علاقة، قال: سمعت أميرالمؤمنين(ع) يقول: (ترك نسج العنكبوت في البيت يورث الفقر، والبول في الحمام يورث الفقر، والاكل على الجنابة يورث الفقر، والتخلل بالطرفاء يورث الفقر، والتمشط من قيام يورث الفقر، ونزك القمامة يورث الفقر واليمين الفاجرة تورث الفقر، والزنا يورث الفقر، وإظهار الحرص يورث الفقر، والنوم بين العشائين يورث الفقر، والنوم قبل طلوع الشمس يورث الفقر، واعتياد الكذب يورث

الفقر، وكثرة الاستماع الى الغناء يورث الفقر، وردّ السائل الذّكر بالليل يورث الفقر، وترك التقدير في المعيشة يورث الفقر، وقطيعة الرحم تورث الفقر).

ثم قال (ع) :

[ألا أنبئكم بعد ذلك بما يزيد في الرزق؟ قالوا: بلى ياأميرالمؤمنين، قال: الجمع بين الصلاتين يزيد في الرزق، وكسح الغناء يزيد في الرزق، ومواساة الأخ في الله عزوجل يزيد في الرزق، والبكور في طلب الرزق يزيد في الرزق والاستغفار يزيد في الرزق، واستعمال الأمانة يزيد في الرزق، وقول الحق يزيد في الرزق، واجابة المؤذن تزيد في الرزق، وترك الكلام على الخلاء يزيد في الرزق، وترك الحرص يزيد في الرزق وشكر النعم يزيد في الرزق، واجتناب اليمين الكاذبة يزيد في الرزق، والوضوء قبل الطعام يزيد في الرزق، وأكل ما يسقط من الخوان يزيد في الرزق، ومن سبّح الله كل يوم ثلاثين مرة دفع الله عنه سبعين نوعاً من البلاء أيسرها

وعن ابن عباس،عن النبي (ص) انه قال في حجة الوداع: (إن من أشراط القيامة اضاعة الصلاة، واتباع الشهوات، والميل مع الأهواء، وتعظيم المال، و بيع الدنيا بالدين، فعندها يذاب قلب المؤمن في جوفه كما يذاب الملح في الماء مما يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيّره).

ثم قال: (إن عندها يكون المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، و يؤتمن الخائن ويخون الأمين، و يصدّق الكاذب، و يكذّب الصادق).

ثم قال: (فعندها أمارة النساء ومشاورة الاماء، وقعود الصبيان على المنابر، و يكون الكذب ظرفاً، والزكاة مغرماً والفيء مغنماً، ويجفو الرجل والديه و يبر صديقه).

ثم قال: (فعندها يكتفي الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، و يغار على الغلمان كما يغار على الجارية في بيت أهلها، و يشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، و يركبن ذوات الفروج السروج فعليهم من أمتي لعنة الله).

ثم قال: (ان عندها تزخرف المساجد كما تزخرف الكنائس، وتحلى المصاحف، وتطول المنارات، وتكثر الصفوف والقلوب قباضة، والألسن مختلفة).

ثم قال: (فعند ذلك تحلّى ذكور أمتي بالذهب و يلبسون الحرير والدّيباج، و يتخذون

جلود النمر صفاقاً).
ثم قال: (فعندها يظهر الربا، و يتعاملون بالغيبة والرشا، و يوضع الدين، وترفع الدنيا).
ثم قال: (وعندها يكثر الطلاق فلا يقام لله حدّ ولن يضّر الله شيئاً).
ثم قال: (وعندها تظهر القينات والمعازف، وتليهم شرار أمتي).
ثم قال: (وعندها يحج أغنياء أمتي للنزهة، ويحج أوساطها للتجارة ويحج فقراؤهم للرّياء والسمعة، فعندها يكون أقوام يتعلمون القرآن لغير الله فيتخذونه مزامير، و يكون أقوام يتفقّهون لغير الله، و يكثر أولاد الزنا، و يتغنون بالقرآن، و يتهافتون بالدنيا).
ثم قال: (وذلك اذا انتهكت المحارم، واكتسب المآثم، وتسلّط الأشرار على الأخيار، و يفشو الكذب، وتظهر الحاجة، وتفشى الفاقة، و يتباهون في الناس و يستحسنون الكوبة والمعازف، و ينكر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر «الى أن قال:» فأولئك يدعون في ملكوت السماء الأرجاس الأنجاس)(الحديث).

احذروا أهواءكم.. كما تحذرون أعداءكم

عن أبي عبد الله(ع) انه قال:
[احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم، فليس بشيء أعدى للرجال من اتباع أهوائهم وحصائد ألسنتهم].
وعن يحيى بن عقيل قال: قال أميرالمؤمنين(ع): (إنما أخاف عليكم إثنين: إتباع الهوى، وطول الأمل، أمّا إتباع الهوى فانه يصدّ عن الحق، وأما طول الأمل فينسى الآخرة).
وعن عبد الرحمن بن الحجّاج قال: قال لي ابو الحسن(ع): (اتق المرتقى السهل اذا كان منحدره وعراً).
قال: وكان (ع) يقول: (لا تدع النفس وهواها، فان هواها في ردائها، وترك النفس وما تهوي اذاها، وكف النفس عما تهوى دواؤها).

مضاعفات الذنوب

عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله(ع) قال: (أما إنّه ليس من عرق يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض إلا بذنب، وذلك قول الله عزوجل في كتابه:

«ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم و يعفو عن كثير»(الشورى/٣٠)

قال: ثم قال وما يعفو الله أكثر مما يواخذ به).

وعن مسمع، عن أبي عبدالله(ع) قال: قال رسول الله(ص): (إن العبد ليُحبس على ذنب من ذنوبه مأة عام، وإنه لينظر الى أزواجه في الجنة يتنعمّن).

وعن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر(ع) قال: (ما من نكبة تصيب العبد إلا بذنب وما يعفو الله أكثر).

وعن طلحة بن زيد عن أبي عبدالله(ع) قال: كان أبي(ع) يقول: (ما من شيء أفسد للقلب من خطيئة ان القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير أعلاه أسفله).

وعن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر(ع) قال: (إن العبد ليذنب الذنب فيزوى عن الرزق).

وعن الفضيل، عن أبي جعفر(ع) قال: (ان الرجل ليذنب الذنب فيدرء عنه الرزق وتلا هذه الآية:

«إذ أقسموا ليصرِمُنها مُصبحين، ولا يستثنون فطاف عليها طائفٌ من ربك وهم نائمون»(القلم/١٧/١٩)

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله(ع) يقول: (اذا أذنب الرجل خرج من قلبه نكتة سوداء، فان تاب انمحت، وان زاد زادت حتى تغلب على قلبه فلا يفلح بعدها أبداً).

وعن بن فضال، عن أبي عبدالله(ع) قال: (إن الرجل يذنب الذنب فيحرم صلاة الليل، وإن العمل السيّيء أسرع في صاحبه من السكين في اللحم).

وعن زرارة، عن أبي جعفر(ع) قال: (ما من عبد الا وفي قلبه نكتة بيضاء فاذا أذنب ذنباً خرج من النكتة نكتة سوداء، فان تاب ذهب ذلك السواد، وان تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض فاذا غطى البياض لم يرجع صاحبه الى خير أبداً، وهو قول الله عزوجل:

«بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون»(المطففين/١٤)

وعن أبي عمرو المدايني، عن أبي عبدالله(ع) قال: سمعته يقول: كان أبي يقول: (إن الله قضى قضاءاً حتماً لا ينعم على العبد بنعمة فيسلبها اياه حتى يحدث العبد ذنباً يستحق بذلك النقمة).

وعن يونس بن يعقوب، عن أبي عبدالله(ع) إنه قال: (إن أحدكم ليكثر الخوف من السلطان، وما ذلك الا بالذنوب فتوقوها ما إستطعتم ولا تمادوا فيها).

وعن العباس بن هلال الشامي قال: سمعت الرضا(ع) يقول: (كلما أحدث العبد من الذنوب ما لم يكونوا يعملون أحدث لهم من البلاد ما لم يكونوا يعرفون).

وعن جعفر الجعفري، عن جعفر بن محمد، عن أبيه(ع) قال: قال رسول الله(ص): (من أذنب ذنباً وهو ضاحك دخل النار وهو باكي).

وعن مفضل بن عمر، عن أبي عبدالله(ع) قال: (يامفضل اياك والذنوب وحذّرها شيعتنا، فوالله ما هي الى أحد أسرع منها اليكم، ان أحدكم لتصيبه المعرة من السلطان وما ذلك الا بذنوبه، وإنّه ليشدد عليه عند الموت وما ذاك الا بذنوبه).

وعن عمرو بن عثمان، عن رجل، عن أبي الحسن(ع) قال: (حقّ على الله أن لا يعصى في دار أضحاها للشمس حتى تطهرها).

وعن الهيثم بن واقد الجزريّ قال سمعت ابا عبدالله(ع) يقول: (إن الله عزوجل بعث نبياً من أنبيائه الى قومه وأوحى اليه ان قل لقومك إنه ليس من أهل قرية ولا ناس كانوا على طاعتي فأصابهم فيها سراء فتحولوا عما أحبّ الى ما أكره الاّ تحولت لهم عما يحبون الى ما يكرهون، وليس من أهل قرية ولا أهل بيت كانوا على معصيتي فأصابهم فيها ضراء فتحولوا عما أكره الى ما أحب الاّ تحولت لهم عما يكرهون الى ما يحبون، وقل لهم: إنّ رحمتي سبقت غضبي، فلا تقنطوا من رحمتي فانه لا يتعاظم عندي ذنب أغفره، وقل

لهم: لا يتعرضوا معاندين لسخطي، ولا يستخفوا بأوليائي فان لي سطوات عند غضبي لا يقوم لها شيء من خلقي).

وعن عباد بن صهيب، عن أبي عبدالله(ع) قال: يقول الله عزوجل: (اذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني).

كفىٰ بالندم: توبة!

عن أبي العباس، قال: قال ابوعبدالله(ع): (من سرته حسنته وسائته سيئته فهو مؤمن).

وعن عمرو بن عثمان عن بعض أصحابه، عن أبي عبدالله(ع) قال: سمعته يقول: (إن الرجل ليذنب الذنب فيدخله الله به الجنة قلت: يدخله الله بالذنب الجنة؟
قال: نعم إنه يذنب فلا يزال خائفاً ماقتاً لنفسه فيرحمه الله فيدخله الجنة).

وعن أبان بن تغلب قال: سمعت ابا عبدالله(ع) يقول: (ما من عبد أذنب ذنباً فندم عليه، الا غفر الله له قبل أن يستغفر، وما من عبد أنعم الله عليه نعمة فعرف انها من عند الله الا غفر الله له قبل أن يحمده).

وعن علي الجهضمي، عن أبي جعفر(ع) قال (كفى بالندم توبة).

وعن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر(ع) قال: قال عليّ بن الحسين(ع): (أربع من كن فيه كمل ايمانه، ومحِّصت عنه ذنوبه: من وفى لله بما جعل على نفسه للناس، وصدق لسانه مع الناس، واستحيى من كل قبيح عند الله وعند الناس، ويحسن خلقه مع أهله).

لا تذع سيئاتك

عن العباس مولى الرضا(ع) قال: سمعته يقول: (المستتر بالحسنة يعدل سبعين حسنة، والمذيع بالسيئة مخذول، والمستتر بالسيئة مغفور له).

التوبة التي لا رجعة فيها

عن معاوية بن وهب قال: سمعت ابا عبدالله(ع) يقول: (اذا تاب العبد توبة نصوحاً أجلّه الله بستر عليه من الدنيا والآخرة.

قلت : وكيف يستر عليه؟

قال : ينسي ملكيه ما كتبا عليه من الذنوب، و يوحي الى جوارحه اكتمي عليه ذنوبه، و يوحي الى بقاع الارض اكتمي ما كان يعمل عليك من الذنوب فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشي من الذنوب).

وعن أبي بصير قال: قلت لأ بي عبدالله(ع):

«ياأيُّها الذين آمنوا توبوا الى الله توبةً نصوحا»(التحريم/٨)

قال : (هو الذنب الذي لا يعود فيه أبدا).

قلت وأيّنا لم يعد؟

فقال : (ياأبا محمد إن الله يحب من عباده المفتن التواب).

وعن جابر، عن أبي جعفر(ع) قال: سمعته يقول: (التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمقيم على الذنب وهو مستغفر منه كالمستهزيء).

وعن أبي بصير، عن أبي عبدالله(ع) قال: سمعته يقول: (أوحى الله الى داود النبي(ع) ياداود ان عبدي المؤمن اذا أذنب ذنباً ثم رجع وتاب من ذلك الذنب واستحيى مني عند ذكره غفرت له وانسيته الحفظة وأبدلته الحسنة ولا أبالي وأنا أرحم الراحمين).

وعن السكوني، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه(ع) قال: قال رسول الله(ص): (إن لله فضولاً من رزقه ينحله من شاء من خلقه والله باسط يده عند كلّ فجر لمذنب الليل هل يتوب فيغفر له و يبسط يده عند مغيب الشمس لمذنب النهار هل يتوب فيغفر له).

وعن الرضا عن آبائه (ع) قال: قال رسول الله(ص): (مثل المؤمن عند الله تعالى كمثل ملك مقرب وإن المؤمن عند الله لأعظم من ذلك وليس شيء أحب الى الله تعالى من مؤمن تائب ومؤمنة تائبة).

وعن حفص بن غياث قال: قال ابوعبدالله(ع): (لا خير في الدنيا الا لرجلين: رجل يزداد في كل يوم احساناً، ورجل يتدارك ذنبه بالتوبة)الحديث.

وعن بن طاووس عن الرضا، عن آبائه(ع) قال: (قال رسول الله(ص): إعترفوا بنعم الله ربكم وتوبوا الى الله من جميع ذنوبكم فان الله يحب الشاكرين من عباده).

شروط التوبة

عن محمد بن أحمد بن هلال قال: سألت أبا الحسن الأخير(ع) عن التوبة النصوح ما هي؟ فكتب(ع): (أن يكون الباطن كالظاهر وأفضل من ذلك).

ومن(نهج البلاغة) عن أميرالمؤمنين(ع) إن قائلاً قال بحضرته: استغفر الله.

فقال: ثكلتك أمك أتدري ما الاستغفار؟ الاستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معان:

أولها الندم على ما مضى.

والثاني العزم على ترك العود اليه أبدا.

والثالث أن تؤدي الى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله عزوجل أملس ليس عليك تبعه.

والرابع أن تعمد الى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها.

والخامس أن تعمد الى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالاحزان حتى يلصق الجلد بالعظم و ينشأ بينهما لحم جديد.

والسادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول: أستغفر الله.

وعن كميل بن زياد، انه قال: قلت لأميرالمؤمنين(ع) العبد يصيب الذنب فيستغفر الله.

تجديد التوبة وإن تكرر نقضها

عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر(ع) قال: (يامحمد بن مسلم ذنوب المؤمن اذا تاب منها مغفورة له فليعمل المؤمن لمّا يستأنف بعد التوبة والمغفرة أما والله إنها ليست الا لأهل الايمان).

قلت : فان عاد بعد التوبة والاستغفار من الذنوب وعاد في التوبة.

قال : (يامحمد بن مسلم أترى العبد المؤمن يندم على ذنبه و يستغفر منه و يتوب ثم لا يقبل الله توبته)؟

قلت : فأنه فعل ذلك مراراً يذنب ثم يتوب و يستغفر.

فقال : (كلّما عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة وانّ الله غفور رحيم يقبل التوبة و يعفو عن السيئات، فاياك أن تقنط المؤمنين من رحمة الله).

وعن أبي جميلة قال: قال ابو عبدالله(ع): (إن الله يحب العبد المفتن التواب ومن لا يكون ذلك منه كان أفضل).

وعن الديلمي قال: قال رجل يارسول الله(ص) إني أذنب فما أقول اذا تبت؟

قال : استغفر الله.

فقال : إني أتوب ثم أعود.

فقال : كلما أذنبت استغفر الله.

فقال : إذن تكثر ذنوبي.

فقال : (عفو الله أكثر فلا تزال تتوب حتى يكون الشيطان هو المدحور).

تلافي ما فات.. بدون تأخير

عن أبي حمزة، عن عليّ بن الحسين(ع) قال: كان أميرالمؤمنين(ع) يقول:(إنماالدهر ثلاثة أيام أنت فيما بينهن، مضى أمس بما فيه فلا يرجع أبدا، فان كنت عملت فيه خيراً لم تحزن لذهابه، وفرحت بما أستقبلته منه، وإن كنت فرّطت فيه فحسرتك شديدة

لذهابه وتفريطك فيه وانت من غد في غرّة، لا تدري لعلك لا تبلغه وان بلغته لعلّ حظك فيه التفريط مثل حظك في الامس «الى أن قال»: وانما هو يومك الذي أصبحت فيه، وقد ينبغي لك أن عقلت وفكرت فيما فرطت في الامس الماضي مما فاتك فيه من حسنات ان لا تكون إكتسبتها ومن سيئات ان لا تكون أقصرت عنها، «الى أن قال»: فاعمل عمل رجل ليس يأمل من الايام الا يومه الذي أصبح فيه وليلته، فاعمل أو دعْ والله المعين على ذلك).

وعن هشام بن سالم، عن بعض أصحابه، عن أبي عبدالله(ع) قال: (إن النهار اذا جاء قال: ياابن آدم اعمل في يومك هذا خيراً أشهد لك به عند ربك يوم القيامة، فانيّ لم آتك فيما مضى، ولا آتيك فيما بقى، فاذا جاء الليل قال مثل ذلك).

وعن أحمد بن محمد بن يحيى، باسناده عن أبي عبدالله(ع) أنه قال: (المغبون من غبن عمر ساعة بعد ساعة).

تشديد التحفظ عند ازدياد العمر

عن أبي بصير قال: قال ابو عبدالله(ع): (إنّ العبد لفي فسحة من أمره ما بينه و بين أربعين سنة، فاذا بلغ أربعين سنة أوحى الله عزوجل الى ملكيه قد عمرت عبدي هذا عمرا فغلظا وشدّدا وتحفظا واكتبا عليه قليل عمله وكثيره وصغيره وكبيره).

وعن أحمد بن محمد بن خالد رفعه عن أبي جعفر(ع) قال: (اذا أتت على الرجل أربعون سنة قيل له: خذ حذرك فانك غير معذور، وليس ابن الأربعين أحق بالحذر من ابن العشرين، فان الذي: يطلبها واحد وليس براقد، فاعمل لما أمامك من الهول، ودع عنك فضول القول).

وفي (نهج البلاغة) عن أميرالمؤمنين(ع):

[العمر الذي أعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة].

وعن محمد بن علي بن الحسين قال: سئل الصادق(ع) عن قول الله عزوجل:

«أوَلم نعمّركم ما يتذكر فيه من تذكر»(فاطر/٣٧)

فقال . (توبيخ لابن ثمانية عشر سنة).

وعن يعقوب بن سالم، عن الصادق جعفر بن محمد(ع) قال: (ثلاث من لم تكن فيه فلا يرجى خيره أبدا: من لم يخش الله في الغيب، ولم يرع في الشيّب، ولم يستح من العيب).

وعن أبي بصير قال: قال ابو عبدالله(ع): (اذا بلغ العبد ثلاثاً وثلاثين سنة فقد بلغ أشدّه، واذا بلغ أربعين سنة فقد بلغ منتهاه، فاذا طعن في واحد وأربعين فهو في النقصان، و ينبغي لصاحب الخمسين أن يكون كمن كان في النزع).

المبادرة الى الحسنة بعد السيئة

عن يونس بن ظبيان قال: قال ابوعبدالله(ع) في حديث: (من أحبَّ أن يعلم ما له عند الله فلينظر ما لله عنده، ومن خلا بعمل فلينظر فيه، فان كان حسناً جميلاً فليمض عليه، وان كان سيئاً قبيحاً فليجتنبه فانّ الله أولى بالوفا والزيادة ومن عمل سيئة في السّر فليعمل حسنة في السر، ومن عمل سيئة في العلانية فليعمل حسنة في العلانية).

وعن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله(ع) قال: كان علي بن الحسين(ع) يقول: (و يل لمن غلبت آحاده أعشاره).

فقلت له : وكيف هذا، قال: (أما سمعت الله عزوجل يقول:

«من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها»(الأنعام/١٦٠)

فالحسنة الواحدة اذا عملها كتبت له عشرا، والسيئة الواحدة اذا عملها كتبت له واحدة، فنعوذ بالله ممن يرتكب في يوم واحد عشر سيئات، ولا يكون له حسنة واحدة فتغلب حسناته سيئاته).

وعن أبي بصير، عن أبي عبدالله(ع) قال: (إن الله عزوجل أوحى الى عيسى(ع): ما اكرمت خليفة بمثل ديني، ولا أنعمت عليها بمثل رحمتي اغسل بالماء ما ظهر، وداو بالحسنات ما بطن، فانك اليّ راجع شمر، فكلّما هوآت قريب، واسمعني منك صوتاً

حزيناً).

وعن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر الباقر(ع) قال: سمعته يقول: (ما أحسن الحسنات بعد السيئات، وما أقبح السيئات بعد الحسنات).

وعن أبي ذر قال: قال رسول الله(ص): (إتق الله حيثما كنت، وخالق الناس بخلق حسن، واذا عملت سيئة فاعمل حسنة تمحوها).

حكم التوبة في اللحظات الأخيرة

عن بكير، عن أبي عبدالله أو عن أبي جعفر(ع) في حديث: (إنّ الله عزوجل قال لآدم(ع): جعلت لك انّ من عمل من ذريتك سيئة ثم استغفر غفرت له.

قال : يارب زدني.

قال : بسطت لهم التوبة حتى تبلغ النفس هذه.

قال : يارب حسبي).

وعن زرارة، عن أبي جعفر(ع) قال: (اذا بلغت النفس هذه ــ وأهوى بيده الى حلقه ــ لم يكن للعالم التوبة، وكانت للجاهل توبة).

وعن أبي فضال، عمن ذكره، عن أبي عبدالله(ع) قال: قال رسول الله(ص): (من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته).

ثم قال : (إن السنة لكثير، من تاب قبل موته بشهر قبل الله توبته).

ثم قال : (إن الشهر لكثير، ثم قال (من تاب قبل موته بجمعة قبل الله توبته)، ثم قال: (وإن الجمعة لكثير، من تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته).

ثم قال : (إنَّ يوماً لكثير، من تاب قبل أن يعاين قبل الله توبته).

عن معاوية بن وهب (في حديث) إن رجلاً شيخاً كان من المخالفين عرض عليه ابن أخيه الولاية عند موته فأقرّ بها وشهق ومات، قال فدخلنا على أبي عبدالله(ع)، فقال (هو رجل من أهل الجنة) قال له علي بن السّرى: إنه لم يعرف شيئاً من هذا غير ساعته تلك. قال: (فتريدون منهُ ماذا؟ قد والله دخل الجنة).

وعن زرارة، عن أبي عبدالله(ع) قال: (لمّا أعطى الله ابليس ما أعطاه من القوة، قال آدم: يارب سلطت ابليس على ولدي، وأجريته منهم مجرى الدم من العروق وأعطيته ما أعطيته. فما لي وولدي)؟

قال : (لك ولولدك السيئة بواحدة، والحسنة بعشر أمثالها).

قال : يارب زدني.

قال : (التوبة مبسوطة الى أن تبلغ النفس الحلقوم).

قال : يارب زدني.

قال : (أغفر ولا أبالي).

قال : حسبي (الحديث).

قال الصدوق : وسئل الصادق(ع) عن قول الله عزوجل:

«وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال: إني تبت الآن»(النساء/١٨)

قال (ع) : (ذاك اذا عاين أمر الآخرة).

وعن جابر، عن أبي جعفر(ع) في حديث (إن رسول الله(ص) دعا رجلاً من اليهود وهو في السياق الى الاقرار بالشهادتين فأقرَّ بهما ومات، فأمر الصحابة أن يغسلوه و يكفنوه ثم صلى عليه، وقال: الحمد لله الذي نجى بي اليوم نسمة من النار).

وعن ابراهيم بن محمد الهمداني قال: قلت لأ بي الحسن علي بن موسى الرضا(ع) لأيّ علّة أغرق الله عزوجل فرعون وقد آمن به وأقرَّ بتوحيده؟ قال: (لأنه آمن عند رؤية البأس والايمان عند رؤية البأس غير مقبول، وذلك حكم الله تعالى ذكره في السلف والخلف قال الله تعالى:

«فلّما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا»(غافر/٨٤ــ٨٥)

الاشتغال بصالح الأعمال عن الأهل والمال

عن سويد بن غفلة قال: قال أميرالمؤمنين(ع): (إنّ إبن آدم اذا كان في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة مُثل له ماله وولده وعمله فيلتفت الى ماله فيقول: والله إني كنت عليك حريصاً شحيحاً، فمالي عندك؟ فيقول: خذ مني كفأك.

قال فيلتفت الى ولده فيقول: والله إني كنت لكم محباً وإني كنت عليكم محامياً فماذا عندكم.

فيقولون : نوديك الى حفرتك نواريك فيها.

قال : فيلتفت الى عمله فيقول: والله إني كنت فيك لزاهداً وإن كنت لثقيلا.

فيقول : أنا قرينك في قبرك و يوم نشرك حتى أعرض أنا وأنت على ربك)(الحديث).

وعن مسعدة بن زياد، عن الصادق، عن آبائه(ع) قال: قال علي(ع): (إنّ للمرء المسلم ثلاثة أخلاء: فخليل يقول له: أنا معك حياً وميتاً وهو عمله وخليل يقول له: أنا معك حتى تموت وهو ماله فاذا مات صار للوارث، وخليل يقول له: أنا معك الى باب قبرك ثم أخليك وهو ولده).

عرض العمل على الله ورسوله(ص) والأئمة(ع)

عن أبي بصير، عن أبي عبدالله(ع) قال: (تعرض الاعمال على رسول الله(ص) أعمال العباد كل صباح، أبرارها وفجّارها فاحذروها وهو قول الله عزوجل:

«وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله»(التوبة/١٠٥)

وسكت (ع).

وعن سماعة، عن أبي عبدالله(ع) قال: سمعته يقول: (ما لكم تسوؤن رسول الله(ص).

وفي عيون الاخبار عن الرضا عن آبائه، عن علي بن الحسين(ع) قال: (إن أعمال هذه الأمة ما من صباح إلا وتعرض على الله تعالى).

وعن سدير، عن أبي جعفر(ع) قال: قال رسول الله(ص) وهو في نفر من أصحابه: (ان مقامي بين أظهركم خير لكم، وأن مفارقتي اياكم خير لكم فان الله يقول:

«ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون»(الأنفال/٣٣)

«الى أن قال»: وأما مفارقتي اياكم خير لكم فان أعمالكم تعرض عليّ كل اثنين وخميس، فما كان من حسن حمدت الله عليه، وما كان من سيء استغفرت لكم).

وأقول لعل هناك عرضاً إجمالياً كل يوم، وعرضاً تفصيلياً كل اثنين وخميس).

وعن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر(ع) قال: (إن أعمال العباد تعرض على نبيكم كلّ عشية خميس فليستحي أحدكم أن يعرض على نبيّه العمل القبيح).

وعن بريد العجلي قال: قلت لأ بي جعفر(ع):

«اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون».

فقال: (ما من مؤمن يموت ولا كافر فيوضع في قبره حتى يعرض عمله على رسول الله(ص) وسرّوه).

وعن عبد الله بن ابان الزّيات قال: قلت للرضا(ع): ادع الله لي ولأهل بيتي.

فقال: أما تعلمون أن أعمالكم تعرض عليه فاذا رأى فيها معصية ساءه ذلك فلا تسوؤا

فقال: (أولست أفعل إنّ أعمالكم لتعرض عليّ في كل يوم وليلة).

قال فاستعظمت ذلك.

فقال لي: (أما تقرأ كتاب الله عزوجل:

«وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون»(التوبة/١٠٥)

قال: هو والله علي بن أبي طالب«ع»).

ضرورة جهاد النفس

عن أبي عبد الله(ع) انه قال: (أن النبي (ص) بعث سرية فلما رجعوا قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر فقيل: يارسول الله ما الجهاد الأكبر قال: جهاد النفس).

وعنه (ع) أنه قال لرجل:

[اجعل قلبك قريناً براً، وولداً واصلاً، واجعل عملك والداً تتبعه، واجعل نفسك عدواً تجاهده، واجعل مالك عارية تردّها].

وعن رسول الله (ص) قال :

[الشديد من غلب نفسه]

وعن المفضل بن عمر قال: قال الصادق جعفر بن محمد(ع): (من لم يكن له واعظ من قلبه وزاجر من نفسه ولم يكن له قرين مرشد استمكن عدوّه من عنقه).

وعن جعفر بن محمد، عن آبائه(ع) في وصية النبي(ص) لعلي قال: (ياعلي أفضل الجهاد من أصبح لا يهم بظلم أحد).

وعن شعيب العقرقوفي، عن الصادق(ع) قال: من ملك نفسه اذا رغب واذا رهب واذا إشتهى واذا غضب واذا رضى حرَّم الله جسده على النار).

وقال (ع) :

[إن أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه].

ذم النفس وتأديبها ومقتها

عن الحسن بن الجهم قال: سمعت ابا الحسن(ع) يقول: (إن رجلاً في بني اسرائيل عبد الله أربعين سنة، ثم قرب قرباناً فلم يقبل منه فقال لنفسه: ما أتيت الا منك، وما الذنب الا لك، قال: فأوحى الله عزوجل اليه: ذمّك لنفسك أفضل من عبادتك أربعين سنة).

وعن عبد الله بن الحسن باسناده قال: قال رسول الله(ص): (من مقت نفسه دون مقت الناس آمنه الله من فزع يوم القيامة).

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا

عن ابراهيم عن عمر اليماني، عن أبي الحسن الماضي(ع) قال: (ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فان عمل حسناً استزاد الله، وان عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب اليه).

وعن أبي حمزة الثمالي: كان علي بن الحسين(ع) يقول: (ابن آدم انك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك، وما كانت المحاسبة من همّك وما كان الخوف لك شعاراً، والحزن لك دثاراً، ابن آدم إنك ميت ومبعوث وموقوف بين يدي الله فاعدّ جواباً).

وعن أنس قال: قال رسول الله(ص): (لذكر الله بالغدوّ والآصال خير من حطم السيوف في سبيل الله عزوجل يعني من ذكر الله بالغدوّ وتذكرّ ما كان منه عن ليله من سوء عمله واستغفر الله وتاب عليه إنتشر وقد حطت سيئاته، وغفرت ذنوبه، ومن ذكر الله بالآصال وهي العشيات وراجع نفسه فيما كان منه يومه ذلك من سرفه على نفسه واضاعته لأمر ربه فذكر الله واستغفر الله تعالى وأناب راح ليله وقد غفرت له ذنوبه).

وفي (نهج البلاغة) عن أميرالمؤمنين(ع) قال:

[من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن خاف أمن، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم).

وعن أبي ذر، في وصية النبي(ص)، إنه قال: ياأباذر حاسب نفسك قبل أ ن تحاسب فانه أهون لحسابك غداً، وزن نفسك قبل أن توزن، وتجهّز للعرض الاكبر يوم تعرض لا تخفى على الله خافية «الى أن قال»: ياأباذر لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه، فيعلم من أين مطعمه، ومن أين مشربه، ومن أين ملبسه، أمن حلال أو من حرام ياأباذر من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين أدخله النار].

وعن الحسن بن على العسكري(ع) في تفسيره، عن آبائه، عن علي(ع) عن النبي(ص) قال: (أكيس الكيسين من حاسب نفسه، وعمل لما بعد الموت).

فقال رجل : (ياأميرالمؤمنين كيف يحاسب نفسه)؟

قال : (اذا أصبح ثم أمسى، رجع الى نفسه، وقال: يانفسي إن هذا يوم مضى عليك لا يعود أبداً، والله يسألك عنه بما أفنيته، فما الذي عملت فيه أذكرت الله أم حمدته، أقضيت حوائج مؤمن فيه أنفسّت عنه كربه احفظته بظهر الغيب في أهله وولده أحفظته بعد الموت في مخلفيه أكففت عن غيبة أخ مؤمن أأعنت مسلماً، مالذي صنعت فيه؟ فيذكر ما كان منه، فان ذكر انه جرى منه خير حمد الله وكبرّه على توفيقه، وان ذكر معصية أو تقصيراً إستغفر الله وعزم على ترك معاودته).

وروى يحيى بن الحسن بن هارون الحسيني عن الحسن بن علي(ع) قال: قال رسول الله(ص): (لا يكون العبد مؤمناً حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه والسيد عبده)الحديث.

إصلاح النفس

عن ابن خديجة قال: دخلت على أبي الحسن(ع) فقال لي: (إن الله تبارك وتعالى أيّد المؤمن بروح منه يحضره في كل وقت يحسن فيه و يتقي، و يغيب عنه في كل وقت يذنب فيه و يعتدى، فهي معه تهتز سروراً عند احسانه، وتسبح في الثرى عند اساءته، فتعاهدوا عباد الله نعمه باصلاحكم أنفسكم تزدادوا يقيناً، وترجوا نفيساً ثميناً، رحم الله امرءاً هم بخير فعمله، أو همّ بشرّ فارتدع منه، ثم قال: نحن نريد الروح بالطاعة لله والعمل له).

وعن أحمد بن محمد بن خالد رفعه قال: قال ابو عبدالله (ع): (أقصر نفسك عمّا يضرها من قبل أن تفارقك، واسع في فكاكها كما تسعى في طلب معيشتك، فان نفسك رهينة بعملك).

وفي (نهج البلاغة) عن أميرالمؤمنين(ع) أنه قال:

[من أصلح ما بينه وبين ألله أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له دنياه].

وقال (ع) :

[من أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن عمل لدينه كفاه الله دنياه، ومن أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس].

بين الخوف والرجاء

عن الحرث بن المغيرة أو أبيه، عن أبي عبدالله(ع) قال: قلت له ما كان في وصيّة لقمان؟

قال : (كان فيها الأعاجيب، وكان أعجب ما كان فيها ان قال: لابنه: خف الله خيفةً لو جئته ببر الثقلين لعذبك، وأرج الله رجاءاً لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك).

ثم قال ابو عبدالله (ع): كان أبي يقول: (ليس من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نوران: نور خيفة، ونور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا).

وعن ابن أبي نجران، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله(ع) قال: (قلت له: قوم يعملون بالمعاصي و يقولون: نرجوا، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت، فقال: هؤلاء قوم يترجحون في الاماني كذبوا، ليسوا براجين، من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف من شيء هرب منه).

وعن الحسين بن أبي سارة قال: سمعت أبا عبدالله(ع) يقول: (لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف و يرجو).

وعن أبي حمزة الثمالي قال: قال الصادق جعفر بن محمد(ع): (أرج الله رجاء لا يجرئك على معصيته وخف الله خوفاً لا يؤيسك من رحمة الله).

وفي (نهج البلاغة) عن أميرالمؤمنين(ع) أنه قال قال: في خطبة له:

[يدعي بزعمه انه يرجو الله كذب والعظيم ماله لا يتبين رجاؤه في عمله، وكلّ راج عرف رجاؤه في عمله إلا رجاء الله فانه مدخول، وكل محقق إلا خوف الله

فانه معلول، يرجو الله في الكبير، و يرجو العباد في الصغير فيعطي العبد ما لا يعطي الرب، فما بال الله جلّ ثناؤه يقصر به عما يصنع لعباده أتخاف أن تكون في رجائك له كاذباً، أويكون لا يراه للرجاء موضعاً، وكذلك إن هو خاف عبداً من عبيده أعطاه من خوفه ما لا يعطي ربّه فجعل خوفه من العباد نقداً وخوفه من خالقه ضماراً ووعداً].

وعن حمزة بن حمران قال: سمعت ابا عبدالله(ع) يقول: إنّ ممّا حفظ من خطب رسول الله(ص) أنه قال: (أيها الناس إن لكم معالم فانتبهوا الى معالمكم، وإن لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم، ألا إن المؤمن يعمل بين مخافتين: بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، و بين أجل قد بقى لا يدري ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد المؤمن من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، وفي الشبيبة قبل الكبر، وفي الحياة قبل المات فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا مستعتب وما بعدها من دار إلا الجنة أو النار).

وعن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي عبدالله(ع) قال: (المؤمن بين مخافتين: ذنب قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه، وعمر قد بقى لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك فلا يصبح إلا خائفاً، ولا يصلحه إلاّ الخوف).

وعن داود الرقي، عن ابي عبدالله(ع) في قول الله عزوجل:

«ولمن خاف مقام ربه جنتان»(الرحمن/٤٦)

قال :

[من علم ان الله يراه و يسمع ما يقول]

و يعلم ما يعمله من خير أو شر فيجزه ذلك عن القبيح من الاعمال فذلك الذي خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى.

وعن اسحاق بن عمار قال: قال أبو عبدالله(ع): (يا إسحاق خف الله كأنك تراه، وان كنت لا تراه فانه يراك، وان كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت، وان كنت تعلم أنه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من أهون الناظرين اليك).

وعن أبي حمزة قال: قال أبو عبد الله(ع): (من عرف الله خاف الله ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا).

وعن رسول الله (ص) :

[رأس الحكمة مخافة الله عزوجل].

وعن علي بن عزاب قال: قال الصادق جعفر بن محمد(ع): (من خلا بذنب فراقب الله تعالى فيه واستحيى من الحفظة غفر الله عزوجل له جميع ذنوبه وإن كانت مثل ذنوب الثقلين).

وعن أبي عبد الله(ع) قال: (إنّ قوماً أصابوا ذنوباً فخافوا منها وأشفقوا فجاءهم قوم آخرون فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: إنا أصبنا ذنوباً فخفنا منها وأشفقنا، فقالوا لهم: نحن نحملها عنكم. فقال الله تعالى يخافون ويجترئون عليّ فأنزل الله عليهم العذاب).

البكاء من خشية الله

عن الحسين بن زيد، عن آبائه(ع) عن النبي(ص) في حديث المناهي فقال: (ومن ذرفت عيناه من خشية الله كان له بكل قطرة قطرت من دموعه قصر في الجنة مكلّل بالدرّ والجواهر، فيه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر).

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد(ع): (كان فيما وعظ الله به عيسى بن مريم(ع) ان قال: ياعيسى أنا ربك ورب آبائك الأولين ـ الى أن قال ـ ياعيسى ابن البكر البتول إبك على نفسك بكاء من قد ودّع الأهل، وقلا الدنيا، وتركها لأهلها، وصارت رغبته فيما عند الله).

وعن أبي أيوب، عن الرضا(ع) قال: (كان فيما ناجى الله به موسى(ع) انه ما تقرب الي المتقرّبون بمثل البكاء من خشيتي، وما تعبد لي المتعبدون بمثل الورع عن محارمي، ولا تزين فيّ المتزينون بمثل الزهد في الدنيا عمّا يهم الغنى عنه).

فقال موسى: ياأكرم الأكرمين فما أثبتهم على ذلك؟ فقال: ياموسى أما المتقربون لي بالبكاء من خشيتي فهم في الرفيق الاعلى لا يشركهم فيه أحد ، وأما المتعبدون لي بالورع عن محارمي فاني أفتش الناس عن أعمالهم ولا أفتشهم حياءً منهم وأما المتزينون لي بالزهد في الدنيا فاني أبيحهم الجنة بحذافيرها يتبوؤن منها حيث يشاؤن).

وعن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله(ع) قال: (ما من شيء الآ وله كيل ووزن الآ الدموع، فان القطرة تطفيء بحاراً من نار فاذا إغرورقت العين بمائها لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة، فاذا فاضت حرّمها الله على النار ولو أن باكياً بكى في أمة لرحموا).

وعن محمد بن مروان، عن أبي عبدالله(ع): (ما من عين الا وهي باكية يوم القيامة الا عيناً بكت من خوف الله، وما اغرورقت عين بمائها من خشية الله عزوجل الا حرّم الله سائر جسده على النار).

وعن أبي حمزة، عن أبي جعفر(ع) قال: (ما من نظرة أحب الى الله عزوجل من قطرة دموع في سواد الليل مخافة الله لا يراد بها غيره).

وعن محمد بن مروان، عن أبي عبدالله(ع) قال: (كل عين باكية يوم القيامة الا ثلاثة أعين: عين غضت عن محارم الله، وعين سهرت في طاعة الله، وعين بكت في جوف الليل من خشية الله).

قسوة القلب : دليل الشقاء

عن السكوني، عن أبي عبدالله(ع) قال: قال أميرالمؤمنين(ع): (لمّتان: لمّة من الشيطان ولمّة من الملك، فلمّة الملك الرقّة والفهم، ولمّة الشيطان السهو والقسوة).

وعن أنس بن محمد، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن آبائه(ع) في وصية النبي(ص) لعلي(ع): (ياعلى أربع خصال من الشقاء: جمود العين وقساوة القلب، وبعد الأمل، وحب البقاء).

وعن الاصبغ بن نباتة قال: قال أميرالمؤمنين(ع): (ما جفت الدّموع الاّ لقسوة القلب، وما قست القلوب الا لكثرة الذنوب).

وعن السكوني، عن جعفر بن محمد، عن آبائه، عن النبي(ص) قال: (من الشقاء جمود العين وقسوة القلب، وشدة الحرص في طلب الدنيا، والاصرار على الذنب).

الايمان بالقدر الالهي

عن صفوان الجمال، عن أبي عبدالله(ع) قال: (كان علي بن أبي طالب(ع) يقول: لا يجد عبد طعم الايمان حتى يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطيه، وان ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وإن الضار النافع هو الله عزوجل).

وعن صفوان الجمال قال: سألت ابا عبدالله(ع) عن قول الله عزوجل:

«وامّا الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنزٌ لهما»(الكهف/٨٣)

فقال: (أما انه ما كان ذهباً ولا فضة، وإنما كان أربع كلمات: لا إله إلا أنا، من أيقن بالموت لم يضحك سنّة، ومن أيقن بالحساب لم يفرح قلبه، ومن أيقن بالقدر لم يخش الاّ الله).

وعن زيد الشحام، عن أبي عبدالله(ع): (إن أميرالمؤمنين(ع) جلس الى حائط مائل يقضي بين الناس فقال بعضهم: لا تقعد تحت هذا الحائط فانه معور، فقال أميرالمؤمنين(ع) حرس امرء أجله) فلما قام سقط الجدار.

وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبدالله(ع) قال: (من صحة يقين المرء المسلم أن لا يرضى الناس بسخط الله، ولا يلومهم على ما لم يؤته الله، فان الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره، ولو أن أحدكم فرَّ من رزقه كما يفرُّ من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت، ثم قال: إن الله بعدله وقسطه جعل الروح والراحة في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن بالشك والسخط).

وعن سعيد بن قيس الهمذاني قال: نظرت يوماً من الحرب الى رجل عليه ثوبان فحركت قوسي فاذا هو أميرالمؤمنين(ع) فقلت ياأميرالمؤمنين في مثل هذا الوضع؟ فقال: (نعم ياسعيد بن قيس إنه ليس من عبد الا وله من الله عزوجل حافظ وواقية معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل، أو يقع في بئر، فاذا نزل القضاء خلّيا بينه وبين كل شيء).

وعن محمد بن الحسين الرضي في (نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين(ع) أنه قال: (كفى بالموت حارساً)

وجوب الاعتصام بالله

عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبدالله(ع) قال: (أيما عبد أقبل قبل ما يحبّ الله عزوجل اقبل الله اقبل ما يحبّ ومن اعتصم بالله عصمه الله، ومن اقبل الله قبله وعصمه لم يبال لو سقطت السماء على الارض، او كانت نازلة نزلت على اهل الارض فشملتهم بليّة كان في حزب الله بالتقوى من كلّ بليّه، أليس الله يقول:

«إن المتقين في مقام أمين»(الدخان/٥١)

وعن مفضل، عن أبي عبدالله(ع) قال: (أوحى الله عزوجل الى داود، اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي عرفت ذلك من نيّته ثم يكيده السماوات والارض ومن فيهن الاّ جعلت له المخرج من بينهن، وما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي عرفت ذلك من نيّته الا قطعت أسباب السماوات من يديه، وأسخت الارض من تحته ولم أبالِ بأي واد يهلك).

التوكل على الله والتفويض

عن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين(ع) قال: (خرجت حتى أنتهيت الى هذا الحائط فاتكأت عليه، فاذا رجل عليه ثوبان أبيضان ينظر في تجاه وجهي ثم قال: ياعلي بن الحسين مالي أراك كئيباً حزيناً (الى أن قال) ثم قال: ياعلي بن الحسين(ع) هل رأيت أحداً دعا الله فلم يجبه؟ قلت: لا

قال : فهل رأيت أحداً توكل على الله فلم يكفه؟ قلت: لا .

قال : فهل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه؟ قلت: لا، ثم غاب عنّي).

وعن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبدالله(ع) قال: (إن الغنى والعز يجولان فاذا ظفرا بموضع التوكل أوطناه).

وعن معاوية بن وهب، عن أبي عبدالله(ع) قال: (من أعطى ثلاثاً لم يمنع ثلاثاً: من أعطى الدعاء أعطى الاجابة، ومن أعطى الشكر أعطى الزيادة، ومن أعطى التوكل أعطى الكفاية، ثم قال: أتلوت كتاب الله عزوجل:

«ومن يتوكل على الله فهو حسبه»(الطلاق/٣)

وقال :

«لئن شكرتم لأ زيدنكم»(ابراهيم/٧)

وقال :

«إدعوني أستجب لكم»(غافر/٦٠)

قطع الأمل من غير الله

عن الحسين بن علوان عن أبي عبدالله(ع) أنه قرأ في بعض الكتب إن الله تبارك وتعالى يقول: (وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لأقطعنّ أمل كل مؤمل من الناس غيري باليأس ولألبسنّه ثوب المذلة عند الناس، ولأنحينّه من قربي ولأ بعدنّه من فضلي أيؤمل غيري في الشدائد والشدائد بيدي؟ و يرجو غيري، و يقرع بالفكر باب غيري و بيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة، و بابي مفتوح لمن دعاني؟ فمن ذا الذي أمّلني لنائبة فقطعته دونها، ومن الذي رجاني لعظيمة فقطعت رجاءه مني؟ جعلت آمال عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا بحفظي، وملأت سماواتي ممن لا يملّ من تسبيحي، وأمرتهم أن لا يغلقوا الابواب بيني و بين عبادي فلم يثقوا بقولي ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي أنه لا يملك كشفها أحد غيري إلا من بعد إذني، فمالي أراه لاهياً عني أعطيته بجودي ما لم يسألني، ثم إنتزعته عنه فلم يسألني ردّه، وسأل غيري، أفتراني أبدء بالعطاء قبل المسألة، ثم أسأل فلا أجيب سائلي أبخيل أنا فيبخلني عبدي؟ أوليس الجود والكرم لي أوليس العفو والرحمة بيدي؟ أوليس أنا محل الآمال فمن يقطعها دوني؟ أفلا يخشى المؤمّلون أن يؤمّلوا غيري؟ فلو أن أهل سماواتي وأهل أرضي أمّلوا جميعاً ثم أعطيت كلّ واحد مثل ما أمّل الجميع ما إنتقص من ملكي عضد ذرة، وكيف ينقص ملك أنا قيمه؟

فيا بؤساً للقانطين من رحمتي و يابؤساً لمن عصاني ولم يراقبني).

وعن أحمد بن فهد قال: روي عن أبي عبدالله(ع) في قول الله عزوجل:

«وما يؤمن أكثرهم بالله الاّ وهم مشركون»(يوسف/١٠٦)

قال : هو قول الرجل: لو لا فلان لهلكت ولو لا فلان ما أصبت كذا أو كذا، ولو لا فلان لضاع عيالي، ألا ترى أنه قد جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه و يدفع عنه.

قلت فيقول: ماذا؟ يقول لو لا أن منَّ الله عليّ بفلان لهلكت.

قال : نعم لا بأس بهذا أو نحوه).

وجوب حسن الظن بالله، وتحريم سوء الظن به

عن محمد بن اسماعيل بن بزيع، عن ابي الحسن الرضا(ع) قال: (أحسن الظن بالله، فان الله عزوجل يقول: أنا عند ظن عبدي المؤمن بي ان خيراً فخيراً وإن شراً فشراً).

وعن أحمد بن عمر، عن أبي الحسن الرضا(ع) قال: (فاحسن الظن بالله، فان ابا عبدالله(ع) كان يقول: من حسن ظنه بالله كان الله عند ظنه به، ومن رضى بالقليل من الرزق قُبِلَ منه اليسير من العمل).

وعن يزيد بن معاوية، عن أبي جعفر(ع) قال: وجدنا في كتاب علي(ع) إن رسول الله(ص) قال على منبره: (والذي لا إله إلا هو ما أعطى مؤمن قط خير الدنيا والآخرة إلا بحسن ظنه بالله، ورجائه له، وحسن خلقه، والكف عن اغتياب المؤمنين، والذي لا إلا هو لا يعذب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار والا بسوء ظنه بالله ونقصير من رجائه له، وسوء خلقه، واغتاب المؤمنين، والذي لا إله إلا هو لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله الا كان الله عند ظن عبده المؤمن، لأن الله كريم بيده الخير يستحي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن الظن ثم يخلف ظنه ورجاءه فاحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه).

وعن سفيان بن عُيينة قال: سمعت ابا عبدالله(ع) يقول: (حسن الظن بالله أن لا ترجو إلا الله، ولا تخاف إلا ذنبك).

وعن محمد بن علي بن الحسين باسناده الى وصية علي(ع) لمحمد بن الحنفية قال: (ولا يغلبنَّ عليك سوء الظن بالله عزوجل فانه لن يدع بينك و بين خليلك صلحاً).

وعن عبد الرحمن بن الحجّاج، عن أبي عبدالله(ع) قال: (إن آخر عبد يؤمر به الى النار فيلتفت فيقول الله جل جلاله اعجلوه، فاذا أتى به قال له: عبدي لِمَ التفت فيقول: يارب ما كان ظني بك هذا فيقول الله جلَّ جلاله عبدي ما كان ظنك بي؟ فيقول: يارب كان ظني بك أن تغفر لي خطيئتي وتدخلني جنتك قال: فيقول الله جل جلاله: ملائكتي وعزتي وجلالي وآلائي وارتفاع مكاني ما ظنّ بي هذا ساعة من حياته خيراً قط ولو ظنّ بي ساعة من حياته خيراً ما روعته بالنار، أجيزوا له كذبه وادخلوه الجنة، ثم قال ابو عبدالله(ع): ما ظن عبد بالله خيراً إلا كان له عند ظنّه، وما ظنّ به سوءاً إلا كان الله عند ظنّه به، وذلك قول الله عزوجل:

«وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم اراد كم فأصبحتم من الخاسرين».

وعن محمد بن اسماعيل بن بزيع، عن أبي الحسن الرضا(ع) قال: قال لي: (أحسن الظن بالله فان الله عزوجل يقول: أنا عند ظن عبدي بي فلا يظن بي إلا خيراً).

وعن ابن رئاب قال: سمعت ابا عبدالله(ع) يقول: (يؤتى بعبد يوم القيامة ظالم لنفسه فيقول الله ألم آمرك بطاعتي؟ ألم أنهك عن معصيتي؟

فيقول: بلى يارب، ولكن غلبت عليَّ شهوتي فان تعذبني فبذنبي لم تظلمني فيأمر الله به الى النار فيقول: ما كان ظنّي بك، فيقول: ما كان ظنك بي؟ قال: كان ظني بك، أحسن الظن فيأمر الله به الى الجنة، فيقول الله تبارك وتعالى: لقد نفعك حسن ظنك بي الساعة).

السير وراء العقل

عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر(ع) قال: (لما خلق الله العقل استنطقه، ثم قال له أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحبُّ إليَّ

منك، ولا أكملتك الآ فيمن أحب أما أني إياك آمر وإياك أنهي وإياك أعاقب وإياك أثيب).

وعن الاصبغ بن نياتة، عن علي(ع) قال: (هبط جبرئيل(ع) على آدم فقال: ياآدم أني أمرت أن أخيرك واحدة من ثلاث فاخترها ودع إثنين، فقال له آدم: ياجبرئيل وما الثلاث؟ فقال: العقل والحياء والدين، فقال آدم: فاني قد إخترت العقل، فقال جبرئيل للحياء والدين إنصرفا ودعاه، فقالا: ياجبرئيل انا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان، قال: فشأنكما). وعرّج.

وعن محمد بن عبد الجبار، عن بعض أصحابنا رفعه الى أبي عبدالله(ع) قال: قلت له: ما العقل؟ قال: (ما عُبد به الرحمن واكتسب به الجنان، قال: قلت: فالذي كان في معاو ية؟ قال: تلك النكراء، تلك الشيطنة، وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل).

وعن الحسن بن الجهم قال: سمعت الرضا(ع) يقول: (صديق كل امرءٍ عقله وعدوّه جهله).

وعن اسحاق بن عمار، قال: ابوعبدالله(ع): (من كان عاقلاً كان له دين، ومن كان له دين دخل الجنه).

وعن هشام بن الحكم قال: قال لي ابو الحسن موسى بن جعفر(ع): (ياهشام إنّ الله بشّر أهل العقل والفهم في كتابه فقال:

«فبشّر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب»(الزمر/١٧ــ١٨)

(الى أن قال): ياهشام إن لقمان قال لابنه: تواضع للحق تكن أعقل الناس، وإن الكيس لدى الحق يسير، يابني إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيها عالم كثير فليكن سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الايمان، وشراعها التوكل، وقيّمها العقل، ودليلها العلم، وسكانها الصبر، ياهشام إن لكل شيء دليلاً، ودليل العقل التفكّر، ودليل التفكّر الصمت، ولكل شيء مطيّة ومطيّة العقل التواضع، وكفى بك جهلاً أن تركب ما نهيت عنه (الى أن قال) ياهشام ان لله على الناس حجتين حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأمّا الظاهرة فالرسل والانبياء والأئمة وأما الباطنة فالعقول(الى أن قال) ياهشام كيف

يزكو عند الله عملك وأنت قد شغلت قلبك عن أمر ربك وأطعت هواك على غلبة عقلك؟ ياهشام ان العاقل رضى بالدوّن من الدنيا مع الحكمة ولم يرض بالدوّن من الحكمة مع الدنيا، فلذلك ربحت تجارتهم، إن العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب وترك الدنيا من الفضل، وترك الذنوب من الفرض، ياهشام إن العاقل نظر الى الدنيا والى أهلها فعلم انها لا تنال الا بالمشقة، ونظر الى الآخرة فعلم أنها لا تنال الاّ بالمشقة).

ترجيح العقل على الشهوة

عن الحسين بن زيد عن الصادق عن آبائه(ع) عن رسول الله(ص) (في حديث) قال: (من عرضت له فاحشة أو شهوة فاجتنبها مخافة الله عزوجل حرّم الله عليه النار وآمنه من الفزع الاكبر، وأنجز له ما وعده في كتابه في قوله تعالى:

«ولمن خاف مقام ربه جنّتان»(الرحمن/٤٦)

ألا ومن عرضت له دنيا وآخرة فاختار الدنيا على الآخرة لقى الله عزوجل يوم القيامة وليست له حسنة يتقي بها النار، ومن اختار الآخرة وترك الدنيا رضى الله عنه وغفر له مساوي عمله).

وعن عبد الله بن سنان قال: سألت ابا عبدالله جعفر بن محمد الصادق(ع) فقلت: الملائكة أفضل أم بنو آدم؟ فقال: قال أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب(ع): (إن الله ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركب في البهائم شهوة بلا عقل، وركب في بني آدم كلتيهما، فمن غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم).

وعن السكوني، عن جعفر، عن أبيه، عن آبائه(ع) قال: قال رسول الله(ص): (طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد لم يره).

وعن محمد بن الحسين الرضى رحمه الله في (نهج البلاغة) عن أميرالمؤمنين(ع) انه قال: (كم من شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً).

وعن النبي (ص) :

[كم أكلة منعت أكلات].

وعن اسماعيل بن مهران، عن بعض رجاله، عن أبي عبدالله(ع) قال: (العقل دليل المؤمن).

وعن السريّ بن خالد، عن أبي عبدالله(ع) قال: قال رسول الله(ص): (ياعليّ لا فقر أشدّ من الجهل، ولا مال أعود من العقل).

وعن أبي عمر العجمي، عن أبي عبدالله(ع) قال: (خمس من لم يكن فيه لم يكن فيه كثير مستمتع، قلت: وما هي؟ قال: العقل والأدب والدين والجود وحسن الخلق).

وعن سهل بن زياد رفعه قال: قال أميرالمؤمنين(ع): (العقل غطاء ستير والفضل جمال ظاهر، فاستر خلل خلقك بفضلك وقاتل هواك بعقلك، تسلم لك المودة، وتظهر لك المحبة).

التفكر في ما يوجب الاعتبار والعمل

عن السكوني عن أبي عبدالله(ع) قال: كان أميرالمؤمنين(ع) يقول: (نبّه بالفكر قلبك، وجاف عن الليل جنبك، واتق الله ربك).

وعن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن بعض رجاله، عن أبي عبدالله(ع) قال: (أفضل العبادة إدمان التفكر في الله وفي قدرته).

وعن معمر بن خلاد قال: سمعت ابا الحسن الرضا(ع) يقول: (ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم إنّما العبادة التفكر في أمر الله عزوجل).

وعن اسماعيل بن بشير قال: كتب هارون الرشيد الى أبي الحسن موسى بن جعفر(ع) عظني وأوجز، قال: فكتب اليه: (ما من شيء يراه عينك إلا وفيه موعظة).

وعن يونس بن عبد الرحمن، عن رجل عن أبي عبدالله(ع) قال: (كان أكثر عبادة أبي ذر رحمه الله التفكر والاعتبار).

وعن الحسين الصيقل قال: قلت لأ بي عبدالله(ع) تفكر ساعة خير من قيام ليلة؟ فقال نعم، قال رسول الله(ص) وتفكر ساعة خير من قيام ليلة، قلت: كيف يفكر؟ قال: يمرّ بالدار والخربة فيقول: أين بانوك؟ أين ساكنوك؟ مالكِ لا تتكلمين؟

فكّر في العاقبة

وعن مسعدة بن صدقه، عن أبي عبد الله(ع) قال: (إن رجلاً أتى النبيّ(ص) فقال له: يارسول الله أوصني، فقال له: فهل أنت مستوص إن أنا أوصيتك؟ حتى قال له ذلك ثلاثاً، وفي كلها يقول الرجل نعم يارسول الله(ص) فقال له رسول الله(ص): فأني أوصيتك اذا أنت هممت بأمر فتدبّر عاقبته فان يك رشداً فأمضه وان يك غياً فانته منه).

وعن محمد بن علي بن الحسين باسناده عن أميرالمؤمنين(ع) في وصيته لمحمد بن الحنفية قال: (من إستقبل وجوه الآراء عَرِفَ مواقع الخطأ، ومن تورط في الامور غير ناظر في العواقب فقد تعرّض لمفظعات النوائب، والتدبير قبل العمل يؤمنك من الندم، والعاقل من وعظ بالتجارب، وفي التجارب علم مستأنف،ومن تقلب الاحوال علم جواهر الرجال).

وفي (نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين(ع) أنه قال:

[لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه].

وعن أبي قتادة القمي قال: قال ابوعبدالله(ع): (ليس بحازم من لا ينظر في العواقب، والنظر في العواقب تلقيح للقلوب).

وعن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر(ع) قال: (أتى رجل رسول الله(ص) فقال: علّمني يارسول الله قال: عليك باليأس مما في أيدي الناس فانّه الغنى الحاضر.

قال : زدني يارسول الله(ص)قال: إياك والطمع فانّه الفقر الحاضر.

قال : زدني يارسول الله.

قال: اذا هممت بأمر فتدبّر عاقبته، فان يك خيراً ورشداً فاتبعه، وان يك غيّاً فاجتنبه).

لا.. لكفران النعمة

عن سدير قال : سأل رجل ابا عبدالله(ع) عن قول الله عزوجل:

«قالوا ربَّنا باعِد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم»(سبأ/١٩)

فقال : (هؤلاء قوم كانت لهم قرى متصلة ينظر بعضها الى بعض، وأنهار جارية، وأموال ظاهرة، فكفروا بنعم الله وغيروا ما بأنفسهم عن عافية الله فغيّر الله ما بهم من نعمة الله، وإن الله لا يغير ما بقوم حتي يغيروا ما بأنفسهم، فأرسل الله عليهم سيل العرم فغرق قراهم وخرّب ديارهم، وأذهب بأموالهم، وأبدلهم مكان جناتهم جنتينَ ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل، ثم قال:

«ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلاّ الكفور»(سبأ/١٧)

وعن عبد الله بن اسحاق الجعفري، عن أبي عبدالله(ع) قال: (مكتوب على التوراة: إشكر من أنعم عليك، وأنعم على من شكرك، فانه لا زوال للنعماء اذا شُكرت، ولا بقاء لها اذا كُفرت).

الفصل الثالث:

الحرية في الاسلام

حديث الحرية في الاسلام، حديث طويل يحتاج الى مجلدات من الكتب لبحث مختلف الحريات الممنوحة من قِبَل الاسلام.

والذي يظهر للمتتبع ان الحريات الممنوحة في الاسلام مائة في مائة، بينما الحريات الممنوحة في العالم المسمّى بـ(العالم الحرّ) عشرة في المائة أو أقل منه.

حدود الحرية

فقد أعطى الاسلام للانسان حرية الفكر، وحرية القول، وحرية العمل، لكن في الاطار المعقول الصحيح (من عدم الاضرار بالآخرين وعدم الاضرار البالغ بالنفس) حتى ان الاكل والشرب المضرّين ضرراً بالغاً لا يجوزان لأنهما ضرار بالنفس، والسباب بالقول، والضرب ونحوهما غير جائزة لانها أضرار بالآخرين، والاستفادة من مواهب الحياة أكثر من القدر الصحيح لا يجوز، لانه اضرار بالاجيال القادمة.

وقد حدَّد رسول الله(ص) كل فكر وقول وعمل بعدم الضرر، وقال(ص):

[لا ضرر ولا ضرار في الاسلام]

في قصة سمرة.

ففي حديث زرارة، عن أبي جعفر(ع) قال: **[ان سمرة بن جندب كان له عذق في حائط لرجل من الانصار، وكان منزل الانصاري في وسط البستان، فكان يمر به الى نخلته ولا يستأذن، فكلّمه الانصاري أن يستأذن اذا جاء فأبى سمرة، فلما أبى جاء الانصاري الى رسول الله(ص) فشكاه اليه وأخبره بالخبر، فأشار اليه رسول الله(ص) وأخبره بقول الانصاري وشكايته، وقال: اذا أردت الدخول فاستأذن، فأبى، فساومه الرسول(ص) حتى بلغ به من الثمن ما شاء الله فأبى أن يبيع]** فقال(ص): **[لك بها عذق يمد لك في الجنة]** فأبى أن يقبل، فقال رسول الله(ص) للانصاري: **[اذهب فاقلعها وارم بها اليه، فانه لا ضرر ولا ضرار].**

وفي رواية أخرى، عن زرارة، عن أبي جعفر(ع) نحوه، إلا انه قال: فقال له رسول الله(ص): [انك رجل مضار، ولا ضرر ولا ضرار على مؤمن] قال: ثم أمر بها فقلعت ورمى بها اليه، فقال له رسول الله(ص): **[إنطلق فاغرسها حيث شئت].**

نصوص حول الحرية

وكيف كان، فحديث الحرية في القرآن الحكيم، وفي الاحاديث، وفي الفقه الاسلامي متواتر بل وفوق التواتر.

قال سبحانه:

«فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر»(الغاشية/٢١ـ٢٢)

وقال تعالى:

«وما أنت عليهم بجبار»(ق/٤٥)

وقال عزّمن قائل:

«يضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم»(الأعراف/١٥٧)

وفي آية أخرى:

«لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي»(البقرة/٢٥٦)

وفي آية خامسة، قال سبحانه:

«لكم دينكم ولي دين»(الكافرون/٦)

وفي حديث عن الامام أميرالمؤمنين(ع):

[لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً]

وفي الشعر المعروف لسيد الشهداء العظيم في كربلاء:

آليت لا أقتل إلا حرّا وان رأيت الموت شيئاً نكرا

وقال الامام الحسين(ع) للحر بن يزيد الرياحي:

[ما أخطأت أمك اذ سمتك حراً، فأنت حر في الدنيا وسعيد في الآخرة]

بل ان الاسلام اذا رأى الانسان لا يقبل الحرية المطلقة في الآخرة يطلب منه أن يكون حراً في الدنيا، فقال قال الامام الحسين(ع) لمن جاء لمحاربته:

[ان لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم].

وقال عبد الله بن سلام، سمعت أباعبدالله(ع) يقول: كان علي بن أبي طالب(ع) يقول: **[الناس كلهم أحرار إلاّ من أقر على نفسه بالعبودية، وهو مدرك من عبد أو**

أمة، ومن شهد عليه بالرق صغيراً كان أو كبيراً].

وفي حديث عن أبي جعفر(ع) قال: قضى علي(ع):

[الناس كلهم أحرار إلاّ من أقر على نفسه بالملك وهو بالغ، أو من قامت عليه البينة]

الى آخر الحديث.

الحرية للأديان الأخرى

وفي روايات متواترة نرى الزام الاسلام كل أهل ذي دين بما يلتزمون به، حيث يقرّ لهم الحرية في دينهم، مثل ما ورد عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر(ع) قال: سألته عن الاحكام؟ قال: **[تجوز على أهل كل ذي دين بما يستحلون].**

وفي رواية أخرى، عن أبي الحسن(ع) انه قال: **[الزموهم بما التزموا به].**

وعن الصادق(ع) انه قال:

[كل قوم دانوا بشيء يلزمهم حكمهم]

ولذا نرى ان الاسلام لا يتعرض للمجوسي ونحوه ان نكح أمه وأخته حيث ان ذلك جائز في دينه ـ وان كان دينه في الواقع مزيفاً ـ لان الاسلام لا يريد الاكراه، للقاعدة المعروفة: (القسر لا يدوم) وانما يريد اعطاء الحرية لكل انسان فيما يعمل حسب معتقده، وانما يناقشه بالمنطق، ولذا قال سبحانه:

«ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن»(النحل/١٢٥)

وفي روايات متعددة، **[ان المجوس يورثون على ما يعتقدون وان لكل قوم نكاحاً].**

فقد روى الكليني(ره)، عن أبي عمير، عن عبدالله بن سنان، قال: **[قذف رجل مجوسياً عند أبي عبدالله]** فقال له الصادق(ع): **[مه]** فقال الرجل: **[انه ينكح أمه وأخته]**، فقال: **[ذاك عندهم نكاح في دينهم].**

وفي رواية الغوالي: **[ان رجلاً سبَّ مجوسياً بحضرة الصادق(ع)، فزبره ونهاه]**

فقال له: **[انه تزوج بأمه]** فقال(ع): **[أما علمت ان ذلك عندهم النكاح؟]**

وفي رواية أخرى، عن الصادق(ع)، انه قال: **[لا ينبغي ولا يصلح للمسلم أن يقذف يهودياً ولا نصرانياً ولا مجوسياً بما لم يطلع عليه منه]** وقال: **[أيسر ما في هذا أن يكون كاذباً]**.

وفي رواية أخرى، عن الصادق(ع)، انه قال لبعض أصحابه: **[ما فعل غريمك؟]** قال: **[ذاك ابن الفاعلة فنظر اليه ابو عبدالله(ع) نظراً شديداً**، فقال: **[جعلت فداك انه مجوسي نكح اخته]**، قال: **[أوليس ذلك من دينه النكاح؟]**

لا اكراه على الاعتراف

ونرى في القانون الاسلامي: ان الحاكم لا يحق له اكراه أحدٍ على الاعتراف، بل حتى على التكلم.

فقد روى ابن شهر اشوب في المناقب: **[ان عمير بن وائل الثقفي أمره حنظلة بن أبي سفيان أن يدعي على علي(ع) ثمانين مثقالاً من الذهب وديعة عند محمد(ص)، وانه(ص) هاجر من مكة، وانك وكيله، فان طلب بينة الشهود فنحن معشر قريش نشهد عليه واعطوه على ذلك مائة مثقال من الذهب، منها قلادة عشرة مثاقيل لهند، فجاء وادعى على علي(ع) فاعتبر(ع) الودائع كلها ورأى عليها أسامي أصحابها، ولم يكن لما ذكره عمير خبر فنصح له نصحاً كثيراً]**، فقال: **[ان لي من يشهد بذلك وهو أبو جهل وعكرمة وعقبة بن أبي معيط وأبو سفيان وحنظلة]**، فقال(ع): [مكيدة تعود على من دبرها، ثم أمر الشهود أن يقعدوا في الكعبة، ثم قال لعمير: ياأخا ثقيف اخبرني الآن حين دفعت وديعتك هذه الى رسول الله(ص) أي الاوقات كان؟]

قال: ضحوة نهار فأخذها بيده ودفعها الى عبده.

ثم استدعي علي(ع) بأبي جهل فسأله عن ذلك؟ قال: ما يلزمني ذلك!

ثم استدعى بأبي سفيان وسأله فقال: دفعها عند غروب الشمس وأخذها من يده

وتركها في كمه.

ثم استدعى حنظلة وسأله عن ذلك؟ فقال: كان وقت وقوف الشمس في كبد السماء وتركها بين يديه الى وقت انصرافه.

ثم استدعى بعقبة، فسأله عن ذلك؟ فقال: تسلمها بيده وانفذها في الحال الى داره وكان وقت العصر.

ثم استدعى بعكرمة وسأله عن ذلك؟ فقال: كان عند بزوغ الشمس أخذها فانفذها من ساعته الى بيت فاطمة(ع).

ثم أقبل(ع) على عمير، وقال له: أراك قد أصفّر لونك وتغيّرت أحوالك!

قال عمير: أقول الحق ولا يفلح غادر، و بيت الله ما كان لي عند محمد(ص) وديعة، وانهما حلاني على ذلك، وهذه دنانير وعقد هند عليها اسمها مكتوب) الى آخر الخبر.

فانا نرى في هذا الخبر ان الامام(ع) لما سأل أبا جهل عن الخصوصيات، وقال أبو جهل: (ما يلزمني ذلك) لم يجبره الامام(ع) على شيء.

شمولية الحرية

فالحرية ـ إذاً ـ عامة لجميع الناس حتى الكفار، في مختلف أنواع الحقول.

منها: الحرية الفكرية ـ أي حرية البحث والمناقشة في البحوث العلمية والبحوث الدينية ـ.

ومنها الحرية الاقتصادية ـ أي حرية الاكتساب بجميع أنحاءها ـ.

ومنها الحرية الدينية ـ أي التسامح نحو الاديان الاخرى ـ.

تعيين الحاكم بانتخاب الامة

ومنها: الحرية السياسية التي تتناول العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وان الحاكم يجب أن يكون باختيار الامة وممن يتوفر فيه رضى الله سبحانه وتعالى وسائر الشروط

الاسلامية ــ وهي كلها شروط يؤكد عليها العقل كأن يكون عالماً بالغاً عادلاً، الى غير ذلك مما ذكره الفقهاء في أول مباحث التقليد ــ

وقد ذكرنا جملة من الروايات المرتبطة باختيار الحاكم في كتاب: (الحكم في الاسلام) وفي غيره من بعض كتبنا الاسلامية.

ونكتفي هنا بذكر رواية واحدة رواها سليم بن قيس الهلالي في (كتابه) عن أميرالمؤمنين(ع)، انه قال: (الواجب في حكم الله وحكم الاسلام على المسلمين بعد ما يموت امامهم أو يقتل ضالاً كان أو مهدياً، ان لا يعملوا عملاً ولا يقدموا يداً ولا رجلاً قبل أن يختاروا لأنفسهم إماماً عفيفاً عالماً ورعاً عارفاً بالقضاء والسنة يجبي فيئهم و يقيم حجهم وجمعهم ويجبي صدقاتهم الى آخر الخبر.

كلمة التوحيد: رمز الحرية

وان من تأمل في كلمة (لا إله إلا الله) ــ التي ذكرت في القرآن والسُنة الوف المرات والتي يرددها المسلمون في شعائرهم في وقت الصلاة وغيرها ــ يجد في هذه الكلمة رمز الحرية وجوهرها، فقد كان (كسرى) يعتبر إلهاً من سلالة الآلهة، فكان يقضي بالموت أو يهب الحياة، كما كان (قيصر الرومان) إلهاً، ومخالفته مخالفة لأ وامر الله وقد ذكر المسيحيون في كتبهم المقدسة:(دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) فالدين لله والحياة لقيصر والقساوسة في اوربا وغيرها وكانوا يعتبرون أنفسهم الواسطة بين الله و بين الناس و يدعون ان بيدهم صحكوك الجنة من شاءوا أدخلوه فيها، ومن شاءوا أخرجوه منها وأدخلوه النار.

وكذلك كانت الحال عند البوذيين في الهند، وفي الصين وعند غيرهم، وقد قال بنو اسرائيل لموسى(ع):

«**اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة**»(الأعراف/١٣٨)

وحتى الحجارة كانت إلهاً عند كثير من العرب وغير العرب، ولها خدامها وكذلك كان للتقاليد الباطلة والخرافات سلطة ونفوذ على الانسان، بل نجد في هذا اليوم ملايين

الاصنام في الهند والصين واليابان ونجد في بلاد الشيوعيين أصناماً بشرية كثيرة أمثال لينين وماركس ومن أشبههم، وقد كانت الانسانية قبل بزوغ الاسلام ـ كما هو الانسان المعاصر ـ ترزح في كثير من البلاد تحت ألف قيد وقيد وشرط وشرط وعبودية وعبودية، لكن عندما أعلن الرسول العظيم(ص) شعاره:

[لا إله إلا الله]

فجّر الثورة على كل هذه القيود، وأعلن انه لا سيد إلا سيد واحد وهو الله سبحانه وتعالى، ويجب أن لا يطاع إلا هو وحده. وللمرء أن يقيم صلة مباشرة بينه و بين الله.

أمّا الانبياء والائمة عليهم السلام فهم سفراء الوحي الذين ينقلون اوامر الله سبحانه وتعالى الى الانسان.

ونحن نجد في كتاب لبعض المؤلفين الغربيين المترجم الى العربية باسم (تراث فارس) انه كان الملك عند الايرانيين القدماء أقرب المخلوقات الى الله، وكانوا حين يتحدثون اليه لا يذكرون اسمه بل يقولون (أنتم الآلهة).

وقد كانت ديانة المجوسية تضفى على الملك تلك القدسية، فأوامره مقدسة وسلالته فوق البشر وحكمه هو حكم الله.

وكذلك نجد هذه الظاهرة عند سائر الحكام قبل الاسلام، بل كانوا يعبرون عن الملك (بالرب)، وحين أرسل كسرى شخصين الى رسول الله(ص) ليقتلاه و يذهبا برأسه المبارك الى كسرى وجدهما الرسول قد حلقا لحيتيهما وفتلا شاربيهما فقال(ص)لهما: من أمركما بهذا؟ قالا: (ربنا) ـ يعنيان كسرى ـ فقال الرسول(ص) لهما: (لكن ربي أمرني باعفاء لحيتي وقص شاربي) ثم قال لهما: (ان ربي قتل ربكما)

فنجد في هذا الحديث وفي غيره التعبير عن الملك بـ(الربّ) مجاراة لهما.

بل نجد في القرآن الحكيم ان اليهود والنصارى كانوا يتخذون أنبيائهم ابناءاً لله، وأحياناً شركاء الله، وإنهم كانوا يقولون بالنسبة الى الأحبار والرهبان مثل تلك المقالة.

قال سبحانه:

«وقالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل، قاتلهم الله أنّى يؤفكون؟ اتخذوا

أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم، وما أمروا الا ليعبدوا إلهاً واحداً، لا إله إلاّ هو سبحانه عما يشركون، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الاّ ان يتم نوره ولو كره الكافرون، هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون»(التوبة/٣٠ـ٣٣).

وكذلك في آيات أخر.

١٠٠ نموذج للحريات الاسلامية

أمّا في الاسلام فالاله واحد ولا قيود ولا كبت والحريات متوفرة وللألماع نذكر جملة منها هنا:

فمن الحريات الاسلامية:

(١) حرية العبادة في أي مكان، صلاةً وصوماً وطهارة وذكراً لله، وقراءة القرآن، ودعاءاً لله.

أما الصلاة ففيها الحرية المطلقة، وقد قال النبي(ص):

[جُعلت لي الأرض مسجداً وتراباً طهورا].

(٢) والحرية في البيع.

(٣) والحرية في الشراء.

(٤) والحرية في الرهن.

(٥) والحرية في الضمان.

(٦) والحرية في اختراع أي عقد جديد لم يمنع عنه الشارع.

(٧) والحرية في الكفالة.

(٨) والحرية في الصلح.

(٩) والحرية في التأمين.

(١٠) والحرية في الشركة.

(١١) والحرية في المضاربة.

(١٢) والحرية في المزارعة.

(١٣) والحرية في المساقاة.

(١٤) والحرية في حيازة الارض.

(١٥) والحرية في حيازة المباحات.

(١٦) والحرية في الوديعة.

(١٧) والحرية في العارية.

(١٨) والحرية في الاجارة.

(١٩) والحرية في الوكالة.

(٢٠) والحرية في الوقف.

(٢١) والحرية في الصدقة.

(٢٢) والحرية في العطية.

(٢٣) والحرية في الهبة.

(٢٤) والحرية في السكنى.

(٢٥) والحرية في العمرى.

(٢٦) والحرية في السبق.

(٢٧) والحرية في الرماية.

(٢٨) والحرية في الوصية.

(٢٩) والحرية في النكاح للرجل وللمرأة دواماً وانقطاعاً.

(٣٠) والحرية في الطلاق.

(٣١) والحرية في الخلع.

(٣٢) والحرية في الرضاع.

(٣٣) والحرية في السفر.

(٣٤) والحرية في الاقامة.

(٣٥) والحرية في فتح المحل.

(٣٦) والحرية في الاقرار.

(٣٧) والحرية في الجعالة.

(٣٨) والحرية في الطباعة.

(٣٩) والحرية في قدر المهر وسائر الخصوصيات المرتبطة بالنكاح.

(٤٠) والحرية في امتهان أية مهنة شاءها الانسان.

(٤١) والحرية في الثقافة بأن يطلب العلم النافع له وللبشر وللحيوان والنبات وغير ذلك فينتهي الى أن يكون طبيباً أو مهندساً أو محامياً أو خبير سياسة، أو اقتصاد او غير ذلك، أو أن يكون فقيهاً أو خطيباً أو مؤلفاً أو نحو ذلك.

(٤٢) والحرية في العهد.

(٤٣) والحرية في اليمين.

(٤٤) والحرية في النذر.

(٤٥) والحرية في تناول الأطعمة المحللة بأي كيفية شاء.

(٤٦) والحرية في احياء الموات.

(٤٧) والحرية في الأخذ بالشفعة.

(٤٨) والحرية في الارث بأن يكون الارث للورثة على ما بيّنه الرسول(ص) (حسب الموازين الاسلامية) فقد قال:

[من ترك ضياعاً فعليّ، ومن ترك مالاً فلورثته].

والمراد بالضياع العائلة التي لا كفيل لها، بينما القوانين الوضعية تجعل جملة من الارث ــ قد تصل أحياناً الى تسعين في المائة ــ من نصيب الحكومة (كما هو معروف).

(٤٩) والحرية في المراجعة الى أي قاضٍ شرعي.

(٥٠) والحرية في الشهادة والاستشهاد.

(٥١) والحرية في اختيار الدية، أو القصاص، أو العفو في الموارد الخاصة.

(٥٢) والحرية في الزراعة.

(٥٣) والحرية في الصناعة.

(٥٤) والحرية في العمارة.

(٥٥) والحرية في كون الانسان بدون جنسية ولا هوية ولا ما أشبه من الرسوم المتعارفة الآن.

(٥٦) والحرية في اصدار الجريدة.

(٥٧) والحرية في اصدار المجلة.

(٥٨) والحرية في امتلاك محطة الاذاعة.

(٥٩) والحرية في امتلاك محطة التلفزيون للبث.

(٦٠) والحرية في العمل.

(٦١) والحرية في ابداء الرأي.

(٦٢) والحرية في التجمع.

(٦٣) والحرية في تكوين النقابة.

(٦٤) والحرية في انشاء الجمعيات.

(٦٥) والحرية في انشاء المنظمة.

(٦٦) والحرية في انشاء الحزب.

(٦٧) والحرية في الانتخاب.

(٦٨) والحرية في الامارة.

(٦٩) والحرية في الولاية.

(٧٠) والحرية في السفارة.

(٧١) والحرية في انتخاب أية وظيفة من وظائف الدولة.

(٧٢) والحرية من جهة عدم جواز رقابة الحكومة على الناس بأجهزة الانصات والتليفون أو ما أشبه من اساليب المباحث والبوليس السرّي.

(٧٣) والحرية في إنجاب أي عدد من الأولاد.

(٧٤) والحرية في عدد الزوجات الى أربع على نحو الدوام، أو أكثر على نحو الانقطاع.

(٧٥) والحرية في العقيدة، قال سبحانه:

«لا اكراه في الدين»(البقرة/٢٥٦)

(٧٦) والحرية في كيفية الاكل والشرب واللباس وما أشبه.

(٧٧) والحرية في الذهاب والرجوع من البيت والى البيت ليلاً أو نهاراً في قبال أن

بعض البلاد كموسكو ونحوها من بلاد الشيوعيين لا حرية للانسان فيها أن يسافر إلاّ بمقدار خاص، وكذلك لا حرية في أيام منع التجوّل في سائر البلاد.

(٧٨) والحرية في بناء المساجد.

(٧٩) والحرية في بناء المدارس.

(٨٠) والحرية في بناء الحسينيات.

(٨١) والحرية في بناء المستشفيات.

(٨٢) والحرية في بناء المستوصفات.

(٨٣) والحرية في بناء دور النشر.

(٨٤) والحرية في بناء دور الثقافة.

(٨٥) والحرية في بناء الخانات والفنادق.

(٨٦) والحرية في بناء دور الولادة.

(٨٧) والحرية في بناء دور العجزة.

(٨٨) والحرية في فتح البنوك.

(٨٩) والحرية في الدخول في اتحاد الطلبة.

(٩٠) كما ان للانسان الحرية في الخروج من أية مؤسسة أو وظيفة أو ما أشبه إلاّ اذا ربط نفسه بشرط ونحوه.

(٩١) والحرية في اختيار نوع آثاث الدكان والمنزل وما أشبه.

(٩٢) والحرية في انتقاء أي نوع من أنواع السيارات ونحوها.

(٩٣) والحرية في كيفية المعاملة.

(٩٤) والحرية في الاقراض والاقتراض.

(٩٥) والحرية في اعطاء التولية في الوقف ونحوه لأي أحد.

(٩٦) والحرية في جعل الاسم لأي شخص، أو لأي محل مرتبط به، فلا يرتبط جعل الاسم باجازة الدولة كما هو المتعارف في كثير من البلاد الآن.

(٩٧) والحرية في فتح حقول الدواجن.

(٩٨) والحرية في تقليد أي مرجع شاء جامع للشرائط.

(٩٩) والحرية في انتخاب أي خطيب أراد.

(١٠٠) والحرية في تسجيل العقد ونحوه عند أي عالم في مقابل عدم الحرية في ذلك بالنسبة الى غالب الدول حيث يقيّدون الانسان بتسجيل عقده ونحوه عند دائرة خاصة.

الى غيرها من الحريات الكثيرة الموجودة في الاسلام.

تقييد الانسان في القوانين الوضعية

في قبال هذه الحريات نرى الكبت في القوانين الوضعية في بلاد العالم ممّا يسمى ببلاد العالم الحر، وفي بلاد الاسلام و بقية العالم الثالث.

أما في بلاد الشيوعية فليس للحرية عين ولا أثر، وقد ذكرنا: ان الحريات الموجودة فيما يسمى بالعالم الحر لا تكون إلاّ بقدر العشر أو أقل من العشر من الحريات الممنوحة في الاسلام، فلا حرية عندهم في الاجارة والعمارة والصناعة والزراعة والتجارة وحيازة المباحات، ولا حرية للانسان حيث يقيّد بالجواز والهو ية والجنسية ونحوها، كما يقيد بتأشيرة الدخول والخروج، وكذلك الكمرك والضرائب وقيود دفن الميت وقيود تسجيل الاملاك والزواج، وأيضاً تكبت الحريات بسبب اجهزة التجسس، كما انه لا حرية في فتح المحلات إلا مع اجازات خاصة مسموح بها في ما يسمى بالقانون، وكذلك لا حرية بالنسبة الى انشاء المعامل إلاّ بقيود خاصة، الى غير ذلك من الوف القوانين الكابتة لمعاملات الناس من رهن ومضار بة وزراعة وغيرها.

سبق الاسلام وامتيازه

الحريات والحقوق الانسانية الموجودة حالياً في القوانين الوضعية ــ بالاضافة الى انها مقتبسة من الاسلام ــ حيث لم يكن لهذه الحريات أثر في العالم الغربي والعالم غير الغربي قبل الاسلام، كما يعرف ذلك من يراجع التاريخ انما هي أقل من الحرية الموجودة في الاسلام.

ويمكن أن يقارن بين الاسلام والقوانين الوضعية ليظهر سبق الاسلام وامتيازه.

١ ـ لا جنسية خاصة للحاكم

القوانين تنص ـ على الأغلب ـ على تجنس رئيس الدولة وأبو يه بجنسية تلك الدولة بينما هذا الشرط شرط فاسد في نفسه ولم يذكره الاسلام في قانونه.

أما انه فاسد في نفسه فلأن المهم الكفاءة لا اللغة واللون والجنسية وما أشبه ـ فضلاً عن ملاحظة جنسية الابو ين ـ فان الاسلام جعل الميزان هو التقوى ـ بالاضافة الى الشروط المقررة في الشريعة الاسلامية من العلم ونحوه ـ فقد قال سبحانه وتعالى:

«انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم»(الحجرات/١٣)

ومن الواضح ان هذا هو الميزان الصحيح العقلي ولذا نجد في زعماء الاسلام (سواء المدراء والرؤساء والعلماء وغيرهم) مختلف الجنسيات واللغات وما أشبه، فربما كان المرجع عراقياً وربما كان ايرانياً وربما كان من جنسية أخرى. كما ان حكام الدولة الاسلامية كانوا من مختلف الجنسيات كالعربي والفارسي والكردي وغيرهم، وانا لا نريد أن نقول: ان الملوك والرؤساء الذين حكموا البلاد الاسلامية كانوا جميعاً على حق، وانما نقول: ان الاسلام لم يشترط هذا الشرط وكون الحاكم ذا جنسية خاصة، ولذا لم يكن المسلمون يريدون من حكامهم سوى أن يكونوا عدولاً يعملون طبق أوامر الله سبحانه وتعالى، فان الاسلام لا يعترف بالحدود الجغرافية المصطنعة، والحواجز النفسية، والتفرقات العنصرية، وانما المسلمون أمة واحدة وكلهم أخوة.

قال سبحانه:

«انما المؤمنون أخوة»(الحجرات/١٠)

وقال تعالى:

«ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون»(الأنبياء/٩٢)

ومن هنا قال الشاعر:

وكل أرض بها الاسلام لي وطن
وحيث يذكر اسم الله تلقاني

٢ ـ للشعب حق انتخاب الحاكم

نجد في القوانين الوضعية نصاً على حق الشعب في انتخاب الحاكم أو رئيس الدولة، وهذا ما قرره الاسلام من قبل، حيث قرر انتخاب الحاكم كما ذكرنا تفصيله في الكتب الاسلاميةو لكن هذا (الانتخاب) في القوانين الوضعية تقابله (البيعة) في الدساتير الاسلامية.

ومن الواضح الفرق بين الكلمتين فـ(الانتخاب) معناه الموافقة على رئاسة الحاكم، اما (البيعة) فمعناها أن يبيع الانسان نفسه لله سبحانه وتعالى و يوافق على رئاسة الرئيس مع التعهد له بمعاونته على الحق و بردعه عن الباطل و بالجهاد في سبيل الله.

يقول القرآن الكريم:

«ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم، فمن نكث فانما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً»(الفتح/١٠)

و يقول:

«اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله»(الممتحنة/١٢)

٣ ـ ضرورة الاشتراك في الانتخابات

نجد في القوانين الحديثة نصاً بضرورة اشتراك المواطن في الانتخابات الرئاسية ونحوها. وقد سبق الاسلام الى ذلك حيث ورد في الحديث الشريف:

[من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية]

بل قد روي عن رسول الله(ص) انه قال: (من مات وليس في عنقه بيعة فقد مات ميتة جاهلية).

ومن الواضح ان القوانين الحديثة لم تشترط في انتخابات الرئاسة شروطاً وهي في غاية الاهمية بالنسبة الى الرئيس، كالعدالة ونحوها، بينما نجد هذا الشرط الهام والمصيري موجوداً في القوانين الاسلامية، فقد قال(ع):

[من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه].

وربما يكون وجه ذكر هذه الشروط في هذا الحديث ان عمل كل من الجوانح والجوارح أما سلبي أو ايجابي فالاقسام أربعة: فان (صائناً لنفسه) سلب عملي، و(حافظاً لدينه) ايجاب قلبي، و(مخالفاً لهواه) سلب قلبي، و(مطيعاً لأمر مولاه) ايجاب عملي (وان كان يمكن أن يقال في هذه الامور الاربعة غير ذلك أيضاً).

٤ ــ حق التصويت للمرأة والطفل

في كثير من بلدان العالم الى اليوم نص يحرم على المرأة المشاركة في الانتخابات العامة، بينما قد تقدم ان الاسلام جعل الحق لهنّ في البيعة في الآية المتقدمة.

بل نجد انه يحق لأولياء الأطفال المشاركة في البيعة نيابة عن أولادهم، لأن الحاكم يتصرف في شؤونهم أيضاً.

فمثلاً: الأب الذي له أولاد أربعة له خمسة أصوات: صوت لنفسه وأربعة أصوات للمولّى عليهم، فاذا شاء الاولياء كان لهم الحق في ذلك، بينما لا يوجد حق كهذا للآباء في القوانين الحاضرة، فاذا قرر الاسلام عدم جواز الاقتراب من أموال الاطفال إلاّ بالتي هي أحسن، كما قال سبحانه:

«ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده»(الاسراء/٣٤)

الى غيره من نصوص متعددة.

فبشكل أولى لا يصح انتخاب حاكم الدولة (الذي يتصرف في شؤون الاطفال أيضاً، وفي كل المجالات المتعلقة بالطفل) الا مع مراعاة مصلحة الطفل بالنحو الاحسن وذلك لا يتم الا بان يكون للاطفال أيضاً حق التصويت و يعطى هذا الحق للأب باعتباره ولياً عليهم.

٥ـ الرقابة على الحكام

نجد في القوانين الوضعية (حق محاسبة الحكام والمسؤولين عن تصرفاتهم) فللناس الحق في اعلان الرأي المعارض بالكلام أو الكتابة أو ما أشبه.

وفي الاسلام نجد أفضل من هذا، فللشعب حق محاسبة الحاكم وهي. قربة ولها أجر وتسمى بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال سبحانه:

«كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر»(آل عمران/١١٠)

وقال تعالى:

«وأتمروا بينكم بمعروف»(الطلاق/٦)

وفي الحديث:

[وهل الدين الاّ النصيحة، قيل: لمن؟ قال(ص):لله ولرسوله ولأئمة المسلمين]

والنصيحة معناها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واعطاء المشورة والتقويم وغير ذلك.

ومن الواضح، ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة أوسع وأكثر عمقاً، فليس الامر مجرد محاسبة عابرة، بل محاسبة يُسأل عنها الانسان أمام الله وأمام الشعب وأمام الأجيال.

قال سبحانه:

«واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً، قالوا: معذرة الى ربكم لعلهم يتقون»(الأعراف/١٦٤)

وقال في آية أخرى:

«كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون»

بل فوق ذلك نجد ان الاسلام يرى ان الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يلزم أن يكون هو عاملاً بالمعروف وتاركاً للمنكر، والا كان مستحقاً للوم والعقاب، ففي الآية

الكريمة:

«يـاأيـها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون؟ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون»(الصف/٢ــ٣)

وقال علي(ع):

[لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له، الناهين عن المنكر العاملين به]

والــوجه واضح، فان الآمر اذا لم يأتمر، والناهي اذا لم ينزجر سبّب ذلك السخرية بالدين، بالاضافة الى عدم الأئتمار والانتهاء.

٦ــ حق عزل الحاكم

في جملة مـن القـوانين العـالمية نجد حق الشعب في اسقاط الحاكم أو الحكومة، وقد سبـق الاسـلام القـوانين في ذلك بل جعله واجباً شرعياً، فاذا لم يعمل الحاكم بالقوانين الاسلامية أو سقط من الصلاحية وجب اسقاطه وعزله.

وقد ورد الحديث الشهير ألذي ذكره المحقق الحلّي ــقدس سره ــ في المعتبر:

[لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق]

ومن كتاب رسول الله الى أهل البحرين عندما ولىّ عليهم(العلاء بن الحضرمي)ــعلى مـا ذكـر في بـعـض الـتواريخــ انه(ص) كتب: (وأنا أشهد الله تعالى على من وليته شيئاً قـلـيـلاً أو كـثيراً من أمور المسلمين فلم يعدل فيهم انه لا طاعة له وهو خليع مما وليته، وقد برئت ذمم المسلمين معه من المسلمين).

الى غير ذلك من الاحاديث العامة والخاصة بهذا الصدد.

٧ــ وأمرهم شورى بينهم

جـعـل الاسـلام في موازينه السياسية (الشورى) حين لم تكن ديمقراطية في أي بلدان العالم، حيث قال سبحانه:

«أمرهم شورى بينهم»(الشورى/٣٨)

فما دام النبي(ص) أو الامام المعصوم(ع) موجوداً فلا حق لأحد في ردّه ـ لأنه منصوب من قبل الله سبحانه ـ كما لا حق لأحد في ردّ الاحكام الاسلامية كالصلاة والصيام وغير ذلك.

وأما في عصر الغيبة ـ كعصرنا هذا ـ فان الحكم يكون بالقيادة المرجعية الجماعية المنتخبة من قبل المسلمين، وقد ذكرنا في جملة من كتبنا: ان (الفقهاء المراجع العدول) هم أعلى قيادة في البلاد الاسلامية، حيث ينتخبهم الناس، فاذا كان في البلاد الاسلامية مثلاً عشرة مراجع للتقليد بأن انتخبهم الناس مراجع لهم، حسب قول الامام(ع):

[فارجعوا فيه الى رواة حديثنا]

وقول الرسول(ص) ـ قبل ذلك ـ:

[اللهم ارحم خلفائي]

فكل هؤلاء قادة للأمة في امور التقليد، فكل مقلد يرجع الى مرجعه في الصلاة والصيام والحج ونحو ذلك أما في مصالح المسلمين العامة ـ كالصلح والسلم وسائر شؤون الدولة ـ فعلى السلطة العليا في الدولة المكونة من المراجع أن يستشير بعضهم بعضاً كما يستشيرون الامة (على حسب تفصيل معروف).

وقد جعل علي(ع) للمسلمين حق المشورة عليه بأن يعطوه الرأي، كما قال الله سبحانه وتعالى:

«وشاورهم في الامر، فاذا عزمت فتوكل على الله»(آل عمران/١٥٩)

فان كانت الآراء مختلفة بين أقلية وأكثرية، فالاكثرية هي المتبعة وذلك حاكم على دليل (التقليد) حسب موازين الحكومة المذكورة في اصول الفقه.

واذا لم تكن هناك أقلية وأكثرية بأن تساوى **العددان** ـ مثلاً ـ كانوا عشرة قد استقر رأي خمسة منهم على الحرب واستقر رأي خمسة منهم على السلم فمقتضى القاعدة **(القرعة) لانها لكل امر مشكل حسب ما ورد في روايات عديدة.**

ثم اللازم اتباع الاكثرية ـ فيما لو حدثت هناك أقلية وأكثرية ـ فليس لاحد من السلطة العليا أو الامة عدم اتباع الاكثرية، فان الاستشارة ليست لاجل تطييب الخاطر

فقط ثم يمشي كل في طريقه والا كانت الدكتاتورية بعينها.

ولا يخفى ان من أهم أسباب هزيمة المسلمين في هذا القرن: استبداد الحكام، فانهم يأتون الى الحكم أما بالوراثة، وأما بالانقلاب العسكري، أو يأتون بالثورات الشعبية، لكنهم يستبدون بالامر بعد ذلك، ويحكّمون الدكتاتورية، و يقتلون المعارضين و يزجونهم في السجون و يعذبونهم و يصادرون أموالهم، الى غير ذلك مما هو مشاهد في بلاد الاسلام.

بينما نرى نجاح الاسلام سابقاً معتمداً على الاستشارية، حتى ان الرسول(ص) على عظمته ــ كان يستشير وأخذ برأي أصحابه في قصص معروفة.

والاستشارة هي أحدى موازين الحاكم الصالح بأن يستشير في كل شيء، وفي التاريخ انه نادى أحد الحكام المسلمين فقهاء عصره وطلب منهم الدعاء الى الله لينصر جيشه على الاعداء، فلما هزم الجيش أخذ يعاتبهم قائلاً: انكم غير صالحين والا لما رد الله دعاءكم خائباً!!

فقال له أحدهم: ليس العيب فينا نحن وحدنا ولكنه فيك أنت أيضاً!!

فدهش الحاكم وقال له لم؟

قال العالم: لان رسول الله(ص) يقول:

[لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليوشك أن يسلط الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم]

فأنت نشرت الفساد والظلم ونحن قصرنا في اعطاء الرأي وهذه الهزيمة هي غضب الله علينا أجمعين.

وفي أثناء الفتح الاسلامي لأ رض فارس طلب قائد جيش الفرس أن يلتقي بالقائد المسلم قبل المعركة ليتفاوض معه في حقن الدماء، وبعد أن عرض الفارسي مقالته قال المسلم: امهلني حتى أستشير القوم، فدهش القائد الفارسي وقال: ألست أمير الجند؟

قال: نعم.

قال الفارسي: لكنّا لا نؤمر علينا من يشاور.

فقال له المسلم: لهذا نحن نهزمكم دائماً، أما نحن فلا نؤمر علينا من لا يشاور.

وقضايا استشارات المسلمين موجودة في التاريخ بكثرة، ولو جُمعت لكانت كتاباً ضخماً ولنقس هذه القصة بقصة الصهيونية العالمية، فقدقال(موشى|دايان)في مذكراته عن (حرب ألف وتسعمأة وسبع وستين ميلادية):انه كان يتعجب من أمر الجيوش العربية فبعض الوحدات كانت تقاتل بشراسة ورجولة حتى آخر رمق وآخر طلقة، و بعض الوحدات في نفس الجيش كانت تستسلم دون طلقة واحدة، ولم يعرف السر في ذلك، الى أن استسلم أحد القادة العرب ومعه جنوده وجميع أسلحتهم فأخذ يسأله هل أخذت رأي زملائك الضباط والجنود قبل أن تأمرهم بالاستسلام لنا؟

فقال العربي في كبرياء: اننا لا نستشير من هم دوننا في الرتبة؟

فقال له: ولهذا السبب نحن نهزمكم دائماً.

ثم يستطرد موشي ديان قائلاً: ان الضابط اليهودي مهما علت رتبته يأكل مع جنوده، و يعيش بينهم كأحد منهم، ويحضر معهم دروس الدين ثم هو بعد ذلك دائم الاستشارة لهم والتفاهم معهم ولا يخفى عدم وجود هذه الحالة بهذه الصورة التي يصورها ديان في اسرائيل نعم ذلك موجود في الجملة وهو من أسرار تقدمهم.

ولذا قال علي(ع):

[الله الله في القرآن لا يسبقنكم بالعمل به غيركم]

فان المراد ليس الصلاة والصيام والحج(١) وانما أنظمة الاسلام وقوانينه الموجبة لتقدم المسلمين في ميادين الحياة كالنظام والنظافة والاستشارة والانتخابات الحرة والحرية وما أشبه، وقد تركها المسلمون جملة وتفصيلاً إلاّ بعض بقع بيضاء يجدها الانسان في حياة المسلمين، بينما غير المسلمين أخذوا بهذه الامور فتقدموا على المسلمين.

ثم انه اذا فرض حدوث اختلاف بين السلطة العليا والامة في أمر كان على الامة أن يتخذوا منهج الله سبحانه وتعالى في اتباع السلطة العليا العادلة، حيث قال:

«يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم، فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا»(النساء/٥٩)

---

(١) فان غير المسلم لا يعمل بهذه الشرائع الواردة في الأسلام.

ومن حسن الحظ ان الاحكام الشرعية واضحة للجميع، وهي ان لم تكن واضحة في بعض خصوصياتها الا انها واضحة في أصولها العامة واذا انحرفت السلطة العليا عن موازين الاسلام ــ فرضاً ــ فاللازم على الامة اصلاحها او اسقاطها والوقوف بوجهها.

ففي حديث مرويّ عن رسول الله(ص)، انه قال:

(الا انّ رحى الاسلام دائرة فدوروا حول الاسلام حيث دار، الا ان القرآن والسلطان سيفترقان فلا تفارقوا الكتاب، ألا انه سيكون عليكم أمراء مضلون يقضون لأنفسهم ما لا يقضونه لكم ان أطعتموهم أضلوكم، وان عصيتموهم قتلوكم، قالوا: وما نصنع يارسول الله؟ قال: كما صنع أصحاب عيسى نشروا على المناشير، وحملوا على الخشب، والذي نفسي بيده لموت في طاعة الله خير من حياة في معصية الله).

وفي أحاديث متعددة:

[من مات دون مظلمة فهو شهيد، ومن مات دون كلمة الحق فهو شهيد، وأفضل من ذلك كلمة حق عند امام جائر]

وقد رأينا ان أباذر الغفاري وحجر بن عدي وغيرهما من أكابر أصحاب رسول الله وأصحاب علي وأصحاب الحسن والحسين وغيرهم من الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين قتلوا دون قول الحق، ومن وقوفهم الصامد تمكنوا من تغيير السلطة الى الاقرب فالاقرب الى الاسلام.

٨ــ المقياس: الايمان والكفاءة

سبق الاسلام كل الانظمة في عدم التفرقة والتمييز بين الناس، فالصلاحية لادارة الحكم والوصول الى أعلى مراتب الدولة لكل من له الكفاءة والمؤهلات الشرعية مع اختيار أكثرية الامة له فلا تمييز بين الناس الا بسبب الكفاءة، والحاكم الذي ينتخب لا يهم أن يكون من أي لون من الالوان، وأية خصوصية من الخصوصيات.

فالاسلام ينفي تمايز الناس بالفقر والغنى، كما نشاهد ذلك في المجتمع الرأسمالي أو الاقطاعي، فلا يكون للاغنياء في الاسلام نفوذ خاص أو فرص أكثر بسبب انهم أغنياء وأثرياء (لا بسبب الكفاءة) بل قال الله تعالى:

«كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم»(الحشر/٧)
فالرأسمالية بالمعنى الاسلامي المذكور في القرآن الحكيم:
«فلكم رؤوس أموالكم لا تَظلمون ولا تُظلمون»(البقرة/٢٧٩)
صحيحة، أما الرأسمالية بالمعنى الغربي فهي غير صحيحة في الاسلام.

كما ان الاسلام ينفي التمايز الوراثي فكون هذا ابناً للحاكم لا يصحح كونه حاكماً، وكونه من أقرباء الحاكم لا يصحح كونه حاكماً، بل اللازم الانتخاب الحر كما ورد في الاخبار التي ذكرنا جملة منها في كتاب (الحكم في الاسلام).

وقد جاء القرآن الحكيم بهذا المبدء صراحة في قصة ابراهيم(ع)، حيث قال:
«واذ ابتلى ابراهيم ربُه بكلمات فاتمهن، قال: اني جاعلك للناس إماماً قال: ومن ذريتي؟ قال: لا ينال عهدي الظالمين»(البقرة/١٢٤)

فان ابراهيم(ع) طلب لذريته الامامة، وأجابه الله على ذلك بالتنبيه على ان الامامة لا تكون إلا **بالكفاءة** وأما الظالم مهما كان فانه لا يصلح للامامة سواء الامامة من قبل الله تعالى بالنبوة والوصاية وأما بالنيابة عنهما عليهما السلام.

وقد ذكر العلماء في الكتب الاصولية بكلا شقيها (اصول العقائد واصول الفقه) تفصيلاً في هذه الآية المباركة، كما ذكرنا ذلك أيضاً في (كتاب الاصول).

وكذلك يرفض الاسلام التمايز **الطبقي** كالنبلاء وأصحاب الدم الازرق (كما يعبرون بذلك)، في القرآن الكريم:
«ان أكرمكم عند الله أتقاكم»(الحجرات/١٣)

بل كل هذه الامور تعتبر من بديهيات **الاسلام، فاللغة والجنس واللون والعشيرة والاقليم** وما أشبه لا تسبب تمايز انسان على انسان في ادارة الحكم، كما لا تسبب هذه الامور تمايز انسان على انسان في مرجعية التقليد أو القضاء أو الامارة أو الشهادة أو أمامة الجماعة أو غير ذلك.

٩ــ تكافؤ الفرص

تنصّ القوانين العالمية على مبدء (تكافؤ الفرص بين الناس) ــ كبند من بنود الحرية العامة ــ ومؤدى هذا البند ان كل انسان يمتلك القابلية الذاتية فله الحق في الوصول الى أعلى مناصب الدولة بدون تدخل المحسوبية والمنسوبية والقرابة وما أشبه.

وقد سبق الاسلام الى ذلك، وطبّقه المسلمون عملياً فنجد في المسلمين ــ الذين وصلوا الى الحكم أو الى العلم أو الى الثروة أو الى القوة ــ مختلف الجنسيات والقوميات والالوان واللغات وما أشبه.

وقد روي عن رسول الله(ص)، انه قال:

(من ولى من أمور الناس شيئاً وولّى عليهم أحداً محاباةً أو لقرابة وهويعلم ان فيهم من هو أصلح منه فليتبوء مقعده من النار).

١٠ــ سيادة القانون

ان مما يكفل الحرية في دساتيرعالم اليوم هو(سيادة القانون) في علاقة السلطة بالشعب، وعلاقة الشعب بالسلطة، فالقانون هو السيّد، لا القدرة والمال والعشيرة وما أشبه.

ومن الواضح ان منبع الدساتير الاسلامية: القرآن الحكيم، وسنة رسول الله، والروايات الواردة عن الأئمة الطاهرين(ع) وفي كل ذلك نجد لزوم سيادة القانون:

«ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون»(المائدة/٤٤)

وفي آية أخرى:

«فأولئك هم الفاسقون»(المائدة/٤٧)

وفي آية ثالثة:

«فأولئك هم الظالمون»(المائدة/٤٥)

وفي روايات متواترة عن النبي(ص) انه قال: (اني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبدا)، مما يدل على ان العترة عدل للكتاب، فقولهم: يجب أن يكون كالكتاب قانوناً عند المسلمين لا يتعدون عنهما.

وأما السنة الطاهرة لرسول الله(ص)، فهناك روايات متواترة حول وجوب الاخذ بها.

وفي الروايات انه(ص) قال: (اللهم ارحم خلفائي قيل: يارسول الله ومن خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون من بعدي و يروون حديثي وسنتي).

فاللازم سيادة القانون على كافة الامة حتى ان الرسول(ص) على عظمته محكوم بالقانون، قال سبحانه:

«ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً، اذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات»(الاسراء/٧٤ــ٧٥)

١١ــ المحافظة على «حقوق الانسان»

ان الاسلام سبق القوانين الوضعية في الزام الدولة بصيانة الحقوق الحيوية لكل نسان، وهي: (حق الحياة) و(حق الحرية الشخصية) و(حق الملكية الخاصة) وغيرها.

فقد قال سبحانه بالنسبة الى الحق الأول:

«من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً»(المائدة/٣٢)

وفي رواية: (من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله)، وقد قرر في الاسلام القصاص والديه حتى في الغمز بالكف ونحوها.

وأما حق الحرية الشخصية أي أن يكون الانسان آمناً على حريته، فلا يحبس أو يعتقل أو تحدد اقامته أو ما أشبه ذلك من حقه في كل حرياته إلا في الموارد المنصوصة عليها في القرآن والسنة المطهرة. فذالك واضح لكل أحد، وقد ورد في ذلك متواتر الروايات، وقد اشتهرت قاعدة: (الناس مسلطون على أموالهم وأنفسهم). بل قامت الادلة الاربعة في الشريعة الاسلامية على ذلك.

وأما حق الملكية الخاصة ــ بأن يكون الانسان آمناً على ماله فلا يصادر، وعلى رزقه فلا يضار فيه، وعلى عمله فلا ينقل منه أو يعزل عنه بسبب معارضته للدولة أو ما أشبه ذلك، فالدليل عليه قوله سبحانه:

«فلكم رؤوس أموالكم لا تَظلمون ولا تُظلمون»(البقرة/٢٧٩)

وقد قرر الاسلام في المال أربعة حقوق واجبة هي (الخمس) و(الزكاة) و(الجزية) و(الخراج).

وأما سائر أموال الناس فهي لهم، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في بعض كتبنا لاقتصادية.

ولذا نجد (السجن) نادراً في الاسلام ندرة قليلة جداً، واذا أخذ الاسلام بالزمام فكل مائة انسان يحبس في القوانين الدنيوية لا يحبس منهم في الاسلام الا واحد أو ما أشبه.

أما التخليد في السجن فليس إلا ثلاثة، حسب ما روي عن علي(ع) انه قال: (لا يخلد في السجن إلا لثلاثة: الذي يمسك على الموت، والمرأة ترتد حتى تتوب، والسارق بعد قطع اليد والرجل)(١).

وفي متواتر الروايات ما جمعه الرسول(ص) في جملة هي قوله المروي عنه: (كل مسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه).

ولا يخفى أن تخصيص المسلم في هذه الرواية من باب ان الكلام مع المسلمين، وانه العنصر الذي يهتم به الاسلام أولاً و بالذات لانه المتبع للحق، والا فمن الواضح ان الذمي دمه وماله وعرضه حرام أيضاً حتى ورد في حديث عنه(ص) انه قال:

[من آذى ذمياً فقد آذاني]

١٢ ــ حرية العقيدة والشعائر الدينية

قوانين الدولة الديمقراطية في الوقت الحاضر تنصّ على حرية العقيدة وحرية ممارسة الشعائر الدينية.

وقد سبق الاسلام الى ذلك في القرآن وسيرة النبي والأئمة(ع) فقد قال سبحانه:

«لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي»(البقرة/٢٥٦)

---

(١) ثم يمكن أن يشمل هؤلاء عفو الامام ــ كما ذكرناه في كتبنا السياسية ــ

وقال تعالى:

«لكم دينكم ولي دين»(الكافرون/٦)

وقال جل اسمه:

«فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر»(الغاشية/٢١ــ٢٢)

وقال جل اسمه:

«وما أنت عليهم بجبار»(ق/٤٥)

وقال تبارك ذكره:

«وأمرت لأعدل بينكم، الله ربنا وربكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، لا حجة بيننا وبينكم، الله يجمع بيننا، واليه المصير»(الشورى/١٥)

والنبي (ص) لم يجبر أحداً على تغيير عقيدته، كما ان الامام أميرالمؤمنين(ع) لم يجبر أحداً على ذلك، والكل يعلم ان الرسول(ص) استولى على عدة دول كانت مشركة أو يهودية أو مجوسية أو مسيحية فلم يجبرهم على تغيير دينهم كما ذكرنا تفصيل ذلك في بعض الكتب الاسلامية، والبلاد انما دخلت في الاسلام لما رأوا من صحة عقيدته وحسن قوانينه.

١٣ــ عدم جواز تفتيش البيوت

في قوانين عالم اليوم تجد النص على حرمة المساكن، فلا يجوز دخولها ولا تفتيشها بدون اذن أهلها إلا بأمر اضطراري ثانوي (والضرورات تقدر بقدرها).

وقد سبق الاسلام هذه القوانين في جعل ذلك، ففي القرآن الحكيم:

«ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلك خير لكم لعلكم تذكرون، فان لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى ايؤذن لكم، وان قيل لكم ارجعوا، فارجعوا هو أزكى لكم، والله بما تعملون عليم»(النور/٢٧ــ٢٨)

وقصة عمر وتجسسه في الليل ودخوله في دار انسان من الحائط مشهورة، حيث انه وجد في دار جماعة يشربون الخمر فتسوّر الحائط ودخل الدار ونهرهم عن عملهم، فقالوا:

ان أخطأنا خطأً واحداً فقد أخطأت ثلا ثة أخطاء: أخطأت حين تجسست والله يقول:

«**ولا تجسسوا**»(الحجرات/١٢)

وأخطأت حين تسلقت الدار والله يقول:

«**وأتوا البيوت من أبوابها**»(البقرة/١٨٩)

وأخطأت حيث لم تسلم والله يقول:

«**حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها**»(النور/٢٧)

١٤ــ لا تجسس على الأفراد

وقد نصت القوانين في العالم الديمقراطي على سرية أمور الانسان التي يريد اخفاءها كالمراسلات والمحادثات التلفونية، والدور والمحلات التي يجتمع فيها الانسان مع أصدقائه وأعوانه وغيرهم.

وقد سبق الاسلام الى ذلك، فقد روى الحلبي، عن أبي عبدالله(ع) في حديث قال: (أيما رجل اطلع على قوم في دارهم لينظر الى عوراتهم ففقأوا عينه أو جرحوه فلا دية عليهم).

وعن عبيد بن زرارة، عن أبي عبدالله(عط قال: (اطلع رجل على النبي«ص» من شق الباب، فقال له النبي: لو أعلم انك تثبت لي لقمت اليك بالمشقص حتى أفقأ به عينيك، قال: فقلت له: وذاك لنا؟ فقال: ويحك ــ أوو يلك ــ أقول لك: ان رسول الله فعل، وتقول ذلك لنا!).

ج: (١)

وعن الحسين بن زيد، عن الصادق، عن آبائه(ع)، عن النبي(ص) في حديث المناهي: (انه نهى أن يطلع الرجل في بيت جاره، وقال: من نظر الى عورة أخيه المسلم، أو عورة غير أهله متعمداً أدخله الله مع المنافقين الذين كانوا يبحثون عن عورات الناس، ولم يخرج من الدنيا حتى يفضحه الله إلا أن يتوب).

١٥ــ حق اللجوء السياسي

وكذلك نجد في القوانين الوضعية حق اللجوء السياسي وقد سبق الاسلام في ذلك.

فقد قال سبحانه:

«وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله، ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون»(التوبة/٦)

بل فوق ذلك قد ورد في بعض الروايات منع قتل بعض الحيوانات، حيث قال(ع): (فانه استجار ببيتك، وكل طير استجار ببيتك فأجره).

وفي الاسلام يجب الدفاع عن المستجير ضد ــ أي نوع من أنواع الظلم والاضطهاد يوجهان اليه حتى اذا كان كافراً محترماً، فان دفع الظلم ورفع الظلم واجبان على المسلم، بل في الحديث:

[من نادى ياللمسلمين فلم يجيبوه فليسوا بمسلمين]

وفي حديث عن عيسى(ع):

[التارك مداوات الجريح والجارح له سواء]

١٦ــ الحرية السياسية

وفي قسم من عالم اليوم نرى الحرية السياسية، وذلك عن طريق ابداء الرأي في وسائل الاعلام واصدار الصحف والكتب، ونصب محطات التلفزيون والاذاعة وغيرها.

وقد سبق الاسلام في هذه الحرية القوانين الوضعية، فقد قرر: (الامر بالمعروف) و(النهي عن المنكر) و(ارشاد الجاهل) و(تنبيه الغافل) و(النصيحة لأئمة المسلمين) و(كون الانسان حراً إلا في الحرام) و(ان الانسان مسلط على ماله ونفسه). والحريات السياسية المتقدمة كلها داخلة في هذه الامور كما هو واضح.

ومنه يعلم، حق الانسان في المعارضة الصحيحة، فان الانسان له حق أن يعارض الدولة بالمظاهرة والاضراب وما أشبه اذا رأى ذلك حقاً، لا أن يعارض الدولة الشرعية لطلب منصب أو جاه أو شبههما من الاغراض غير الشرعية، وعلى الدولة أن تقابل

المعارضين بكل لين ولطف.

وفي الحديث: انه حدث في الكوفة في زمان الامام أميرالمؤمنين(ع) اضراب مضادة مرة، ومظاهرة معارضة مرة أخرى فلم يزد الامام(ع) إلا انه أرسل الامام الحسن(ع) لينصحهم حيث (كانوا على باطل) فلما أبوا من القبول قرأ الامام(ع) هذه الآية:

«ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولّى ونصله جهنم وسائت مصيرا»(النساء/١١٥)

واكتفى بذلك!

ومن الواضح، ان المضربين والمتظاهرين ضد الامام(ع) كانوا على باطل، وان الامام(ع) كان على حق، وقد قال رسول الله(ص):

[علي مع الحق والحق مع علي]

و[علي مع القرآن والقرآن مع علي].

إلا ان الامام(ع) لم يزد على تذكيرهم بحكم الله سبحانه وتعالى، فلما رآهم يتركون الحكم عامدين لم يمسهم بسوء، وانما بين مصيرهم السيءَ في الآخرة.

١٧ـ حق التجمع والتنظيم

حق التجمع والاجتماع ونحوهما، وحق تشكيل الجمعيات والمنظمات والاحزاب.. كل ذلك مكفول في الاسلام، وقد سبق الاسلام القوانين الوضعية في ذلك، فقد جعل الرسول(ص) المهاجرين والانصار جماعتين و يستفاد من أحاديث متعددة انه كلما ضغطت عليه جماعة منهما كان يلتجيء الى الجماعة الاخرى.

ففي حديث: ان رسول الله(ص) قال في قصة مشهورة:

[لو سلك الناس وادياً وسلك الانصار وادياً لسلكت مسلك الانصار وتركت مسلك الناس]

وفي حديث آخر انه عند وفاته(ص) حينما لغط القوم عنده وكانوا من المهاجرين وقال بعضهم (ان الرجل ليهجر) واختلفوا قال رسول الله(ص):

[قوموا عني فانه لا ينبغي النزاع عند نبيّ]

فلما خرجوا أمر بعض الناس بطلب الانصار طلبوهم فجاؤا وتكلم معهم بما أحب أن يوصي.

وفي رواية ان حزبين من الانصار كانا يتراميان فقال النبي(ص) أنا مع الحزب الذي فيه ابن الادرع.

بل يظهر من الروايات وجود المهاجرين والانصار كحزبين الى زمان أميرالمؤمنين(ع) حيث أعطى (قرظة) وهو من أصحاب رسول الله(ص) راية الانصار يوم صفين.

الى غير ذلك من الموارد المتوفرة في السيرة الطاهرة.

بل ان ذلك هو مقتضى القاعدة المشهورة عند الفقهاء المستنبطة من الآيات والروايات (الناس مسلطون على أموالهم وأنفسهم) يشمله قوله تعالى:

«ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون»(آل عران/١٠٤)

وتشمله أيضاً بدلالة الاقتضاء الآية المباركة التي تقول:

«فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون»(التوبة/١٢٢)

١٨ــ حرية المرأة

أما حرية المرأة في الشؤون الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتر بو ية وغيرها فهي واضحة.

فقد قال الله سبحانه وتعالى:

«لهن مثل الذي عليهن بالمعروف»(البقرة/٢٢٨)

وفي آية أخرى:

«فاستجاب لهم ربهم اني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض»(آل‌عمران/١٩٥)

وقال تعالى:

«ان المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، والقانتين والقانتات، والصادقين والصادقات، والصابرين والصابرات، والخاشعين والخاشعات، والمتصدقين والمتصدقات، والصائمين والصائمات، والحافظين فروجهم، والحافظات، والذاكرين الله كثيراً والذاكرات، أعدّ الله لهم مغفرة وأجراً عظيما، وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينا»(الأحزاب/٣٥ـ٣٦)

الى غير ذلك من الآيات والروايات التي تدل على المساواة بين الرجل والمرأة في كل الشؤون ـ إلا ما خرج بالدليل ـ كما قال سبحانه:

«الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله»(النساء/٣٤)

الى غير ذلك من الاحكام الخاصة للمرأة ـ فانه في غير تلك الاحكام الخاصة يتساوى الرجل والمرأة في كل الشؤون.

وقد كانت النساء يحضرن مسجد رسول الله(ص) في صلوات الجماعات، كما كن يحضرن خطب رسول الله(ص).

و يظهر من بعض الروايات ان النبي(ص) أمر بعض النساء بأن تؤم النسوة في الصلاة كما ورد في حديث انه(ص) أمر (أم ورقة) أن تؤمّهن.

بل يظهر من كتاب (كامل الزيارة) ان بعض المساجد كان يرتادها النساء فقط غالباً في زمان الامام أميرالمؤمنين(ع).

فعن مالك بن ضمرة العنبري قال: قال لي أميرالمؤمنين(ع): (تخرج الى المسجد الذي في جنب دارك تصلي فيه)؟

فقلت له ياأمير المؤمنين ذاك المسجد تصلي فيه النساء.. الى آخر الرواية.

وفي رواية الغوالي عن النبي، انه قال(ص): (اذا استأذنت أحدكم امرأته الى المسجد فلا يمنعها).

والمشهور بين الفقهاء ان للزوج حقّين على الزوجة: حق الخروج عن الدار ـ فلا يجوز لها الخروج بدون اذنه ـ وحق الاستفراش فاذا أراد ذلك يجب عليها بذل نفسها، أما

الطبخ والكنس والرضاع وما أشبه فليس للرجل حق عليها.

وقد مارست المرأة في عهد الرصول(ص) أنواعاً من العمل السياسي والتثقيفي وغيرها، وقد تقدم أخذ النبي(ص) البيعة من النساء.

قال تعالى:

«يأأيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً، ولا يسرقن، ولا يزنين، ولا يقتلن أولادهن، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن، ولا يعصينك في معروف، فبايعهن واستغفر لهن الله، ان الله غفور رحيم»(الممتحنة/١٢)

ولذا بايع رسول الله(ص) النساء، فجعل في إناء ماءاً ووضع يده المباركة في الاناء ثم أخرجها منه، وأمر النساء أن يضعن أيديهن في ذلك الاناء دليلاً على البيعة.

وروى الجعفريات بسند الأئمة الى علي(ع) قال: (كان رسول الله«ص» لا يصافح النساء، فكان اذا أراد أن يبايع النساء أتى بأناء فيه ماء فيغمس يده ثم يخرجها ثم يقول: اغمسن أيديكن فيه فقد بايعتكن)، فالبني(ص) لم يصرف النظر حتى عن مثل هذا الامر.

ولذلك أيضاً بايعت المرأة في (غدير خم) مع الامام أميرالمؤمنين(ع) بهذه الصورة.

وكما آخى الرسول(ص) بين الرجل والرجل من أصحابه، كذلك آخى بين المرأة والمرأة كما هو مذكور في التواريخ.

وقد كان النبي(ص) يستصحب النساء حتى في الحروب، وكنّ يقمن بدور المداوي والمسعف والطبيب وكذلك استصحبهن في سفره الى الحج.

بل يظهر من جملة من الروايات انه(ص) كان يشترك في اجتماعاته النساء والرجال وكانت النساء يسألن منه المسائل بل وقد يطلبن منه في نفس الاجتماع الزواج.

فقد روى محمد بن مسلم، عن أبي جعفر(ع) قال: (جاءت امرأة الى النبي فقالت: زوجني.

فقال رسول الله(ص) : من لهذهِ؟

فقام رجل فقال: أنا يارسول الله، زوجنيها.

فقال: ما تعطيها؟

فقال: مالي شيء!

قال: لا.

فأعادت، فأعاد رسول الله(ص) الكلام، فلم يقم أحد غير هذا الرجل، فأعادت، فقال رسول الله(ص) في المرة الثالثة: أتحسن من القرآن شيئاً؟

قال: نعم.

قال: قد زوجتكها على ما تحسن من القرآن فعلمها اياه).

وفي رواية سهل الساعدي: ان النبي(ص) جاءت اليه امرأة فقالت يارسول الله اني وهبت نفسي لك، فقال(ص): لا أربة لي في النساء.

فقالت: زوجني بمن شئت من أصحابك.

فقام رجل فقال: يارسول الله زوجنيها؟

فقال: هل معك شيء تصدقها؟

فقال: والله ما معي إلا ردائي هذا.

فقال: ان أعطيتها اياه تبقى ولا رداء لك، هل معك شيء من القرآن؟

فقال: نعم سورة كذا وكذا.

فقال (ص): زوجتكها على ما معك من القرآن).

وفي رواية ثالثة: (ولعلها قصة ثالثة أيضاً) قال له رسول الله(ص): أتحسن القرآن؟

قال: نعم سورة.

فقال: علّمها عشرين آية.

و يظهر من جملة من الروايات ان الزواج في الاسلام كان سهلاً، لأن الامر ليس أكثر من أن يكون هبة الرجل نفسه للمرأة، وهبة المرأة نفسها للرجل (لا هبة اصطلاحية، وانما الركنان هما الزوجان حسب الواقع) ولذا كان المهر أمراً ثانو ياً.

فعن علي (ع) انه أتى رجل الى رسول الله(ص) فقال: يارسول الله أردت أن أتزوج هذه المرأة؟

قال: وكم تصدقها؟

قال: ما عندي شيء.

فنظر الى خاتم في يده فقال: هذا الخاتم لك؟

قال: نعم.

قال: فزوجها عليه.

وفي رواية صفوان، عن أبي الحسن(ع) في حديث انه قال: (وقد كان الرجل عند رسول الله(ص) يتزوج المرأة على السورة من القرآن، والدرهم، وعلى القبضة من الحنطة).

الى غيره من الروايات مما يجب أن يرجع المسلمون اليها اذا أرادوا الخير والسعادة.

و يظهر من الروايات ان النساء، كن يسألن عن النبي(ص) وعن الخلفاء من بعده في مجمع الرجال، وكن يتكلمن و يعلقن على كلام الرسول(ص) والخلفاء.

فقد روى الشيخ الطبرسي في مجمع البيان: ان النبي(ص) بايعهن وكان على الصفا، وكان رجل من الصحابة أسفل وهند بنت عتبة متنقبة متنكرة مع النساء خوفاً أن يعرفها رسول الله(ص)، فقال (ص): (أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً).

فقالت هند: انك لتأخذ علينا أمراً ما رأيناك أخذته على الرجال. وذلك انه(ص) بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط.

فقال النبي (ص): (ولا تسرقن).

فقالت هند: ان أبا سفيان رجل ممسك واني أصبت من ماله هنات فلا أدري أيحل ام لا؟

فقال أبو سفيان: ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال، فضحك رسول الله(ص) فعرفها(ص) فقال لها: وانك لهند بنت عتبة.

فقالت: نعم فاعف عما سلف يانبي الله، عفا الله عنك.

فقال: (ولا تزنين).

فقالت هند: أوتزني الحرة؟

فتبسم أحد الصحابة لما جرى بينه و بينها في الجاهلية.

فقال (ص): (ولا تقتلن أولادكن).

فقالت هند: ربيناهم صغاراً وقتلتموهم كباراً فأنتم وهم أعلم ــ وكان ابنها حنظلة

ابن أبي سفيان قتله علي بن أبي طالب(ع) يوم بدر. فضحك عمر وتبسم النبي(ص).

ولما قال (ص): (وتأتين ببهتان) قالت هند: والله ان البهتان قبيح، وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق.

ولما قال (ص): (ولا يعصينك في معروف) قالت هند: ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك!!

١٩ــ حرية انتخاب الرئيس الأعلى للدولة

حرية انتخاب الرئيس الأعلى للدولة، وقد سبق الاسلام القوانين الوضعية في ذلك.

روى سليم بن قيس الهلالي في (كتابه) عن أميرالمؤمنين(ع) انه قال: (الواجب في حكم الله وحكم الاسلام على المسلمين بعدما يموت امامهم أو يقتل، ضالاً كان أو مهدياً ان لا يعملوا عملاً ولا يقدموا يداً ولا رجلاً قبل أن يختاروا لأنفسهم اماماً، عفيفاً عالماً ورعاً عارفاً بالقضاء والسنة، ويجبي فيئهم و يقيم حجهم ويجبي صدقاتهم).

وقد ذكرنا جملة من الروايات بهذا الشأن في كتاب: (الحكم في الاسلام) وغيره.

٢٠ــ انتخاب مرجع التقليد والقاضي

اختيار القاضي ومرجع التقليد وامام الجماعة ومن أشبه انما هو بيد الامة وبملء حريتهم.

فقد روى أحمد بن الفضل الكناسي قال: قال لي أبوعبدالله(ع): أي شيء بلغني عنكم؟

قلت: ما هو؟

قال: بلغني انكم أقعدتم قاضياً بالكناسة.

قلت: نعم جعلت فداك، رجل يقال لعروة القتات وهو رجل له حظ من عقل نجتمع عنده ونتكلم ونتساءل ثم يرد ذلك اليكم.

قال: لا بأس.

وفي رواية التقليد (من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخلفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه).

وفي رواية أخرى: (انظروا الى رجل منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا فاتخذوه حكماً، فاني قد جعلته عليكم حاكماً).

بل وجعل الاسلام للمفتي والقاضي ومن أشبه الحرية في أن يجيب السائل على حسب علمه.

فعن معاذ بن مسلم النحوي، عن أبي عبدالله(ع) قال(ع): بلغني انك تقعد في الجامع فتفتي الناس.

قلت: نعم، وأردت أن أسألك عن ذلك قبل أن أخرج، اني أقعد في المسجد فيجيء الرجل فيسألني عن الشيء، فاذا عرفته بالخلاف لكم أخبرته بما يفعلون، ويجيء الرجل أعرفه بمودتكم وحبكم فأخبره بما جاء عنكم، ويجيء الرجل لا أعرفه ولا أدري من هو، فأقول جاء عن فلان كذا، وجاء عن فلان كذا، فأدخل قولكم فيما بين ذلك.

فقال لي: أصنع كذا فاني كذا أصنع.

وقد ذكرنا في بعض كتبنا مسألة الحرية في استئناف القضاء وتميزه لما دل على ذلك من فعل رسول الله(ص)، حيث اشترى ناقة من الاعرابي فأنكر الاعرابي اعطاء رسول الله الثمن له فتقاضيا الى أحد الصحابة، ثم تقاضيا الى صحابي ثان، ثم تقاضيا الى علي(ع) ثالثاً، مما يدل على صحة الاستئناف والتمييز المتعارفين في هذا الزمان.

الخلاصة

وهكذا سبق الاسلام القوانين الوضعية في ما ذكرناه وفي غير ذلك من الامور، فان الاسلام لم يترك صغيرة ولا كبيرة من تعاليم الحرية واصطلاحاتها لفظاً ومعنى وتطبيقاً الا بيّنها، سواء ما ورد منها في دراسات علم السياسة أو الدساتير الوضعية أو اعلان حقوق الانسان مع ثلاثة فروق:

الأول: ان الاسلام سبق القوانين الوضعية كلها في اعطاء هذه الحريات، وبيانها،

وتقرير العقاب على من خالفها.

الثاني: ان الاسلام أكثر حرية وأوسع حتى ان الحريات الموجودة فيما يسمى بالعالم الحر لعلها لا تصل الى عُشر الحريات الاسلامية (كما ألمعنا الى ذلك).

الثالث: ان الاسلام يلتقي مع الدساتير الوضعية في كثير من الامور ويختلف عنها في أمور أخرى.

أما الامور التي يتفق معها فدائماً يلاحظ ان التعبير الاسلامي ـــ سواء في القرآن أو في السنة ـــ أكثر دقة وأبعد عمقاً وغوراً، وأفضل أداءاً للمعنى المقصود من التعبيرات الدارجة والمستعملة في عصرنا هذا، والتي وضعها جملة من العلماء المفتين والمشرعين بعد جهد وتنقيب واقتباس من الاسلام أيضاً اذ لا يخفى ان القوانين الاسلامية انتقلت بسبب علماء الاندلس الى البلاد الغربية، بالاضافة الى ما ترجم لهم من الكتب الاسلامية (والتي منها شرايع الاسلام للمحقق الحلي وغيره).

وأما الامور التي يختلف الاسلام فيها مع القوانين الوضعية، فدائماً نجد ان رأي الاسلام هو الاسلم والاصلح للفرد والمجتمع، فمثلاً: جملة من القوانين الوضعية تبيح الزنا واللواط والخمر والقمار واستعمال المخدرات كالهروئين، مع وضوح ان كل ذلك ضار ضرراً بالغاً، حتى ان عقلاء الغرب يرفعون أصواتهم بوجوب الكف عن هذه الامور ومن هنا نرى ان البلاد الغربية بعضها: تحلل و بعضها: تحرم، وحتى ان البلد الواحد أحياناً يحرم وأحياناً يحلل، مثلاً: امريكا حرمت الخمر مدة مديدة ثم حللتها تحت ضغوط كبيرة من الرأسمالية المنحرفة، الى غير ذلك من الامثلة الكثيرة.

ولا علاج للعالم ان أراد أن يسترد كرامته وحريته وسيادته وعزته وانسانيته إلا بالرجوع الى الحريات المقررة في الاسلام حسب الموازين المذكورة في الكتاب والسنة الشريفة.

الفصل الرابع:

السلام

الحرب أسوأ شيء عرفه الانسان

الحرب أسوأ شيء عرفه الانسان في تاريخه الطويل، لانها توجب قتل الانسان ونقص أعضائه، وفقد قواه وتشويهه، كما توجب هدم العمران، وإثارة البغضاء والشحناء بين البشر، وإيراث الاجيال العقد النفسية، وأيضاً تسبب إلقاء المقاتلين في أسر الحرب، ولذا يكون من اللازم تجنب الحرب بأية قيمة، واذا إضطر الانسان الى الحرب ــ لان عدوه جره اليها ــ كان الواجب أن يقتصر فيها على أقصى درجات الضرورة.

وكذلك اللازم على البشر عامة أن يضعوا حداً للحروب نهائياً حتى لا تقع في المستقبل.

الحرب ظاهرة مرضية

والحرب وان كانت ظاهرة منذ القديم ــ بل قيل أنها مؤيدة من قبل القرآن الحكيم في الجملة، حيث قال سبحانه:

«ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض»(البقرة/٢٥١)

بل قال البعض بأنها مظهر من مظاهر (تنازع البقاء) الذي هو وصف طبيعي ملازم لجميع الكائنات الحية لا ينفك عنها، وإنه سُنة من سُنن الاجتماع البشري ــ إلا أن اللازم الحيلولة دون وقوعها، فان المرض أيضاً ظاهرة بشرية منذ القدم، وكذلك احتراق المدينة أو الدار أو الدكان وكذلك جرف السيل، وسائر العوامل الطبيعية التي تؤذي الانسان، لكن كل ذلك لا يجعل من الحرب أمراً لابد منه، فليست الحرب حقيقة أولية، وإنما هي ظاهرة ثانوية تقع بسبب شراسة بعض الافراد.

ولذا قال جماعة من العلماء: إن الحرب في ذاتها قبيحة لما فيها من قتل النفوس والتخريب والتدمير، وقد قال سبحانه مؤيداً لذلك:

«كتب عليكم القتال وهو كرهٌ لكم، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌ لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون»(البقرة/٢١٦)

فان الظاهر من هذه الآية أن القتال لو كان أمراً طبيعياً لما قال سبحانه:

«وهو كره لكم»

فالحرب ظاهرة اجتماعية تمليها الغرائز الفاسدة وليست أمراً طبيعياً في البشر...

الحرب هي الخيار الأخير

ولذا نجد رسول الله(ص) لم يقدّم على حرب واحدة، وانما كان الرسول يحارب دفاعاً عن النفس، وكان(ص) لا يلتجأ الى الحرب الدفاعية أيضاً إلا بعد فقدان الخيارات التي كانت عبارة عن الامور التالية:

الحياد أولاً: كما حدث بين الرسول(ص) و بين الحبشة فـ(الحياد) هو أول مراحل عدم إعتداء بعض على بعض، ثم بعد الحياد يأتي دور (العهد) أو (معاهدة عدم الاعتداء) ــ على الاصطلاح الحديث ــ كما عاهد رسول الله(ص) ــ في المدينة المنورة ــ: اليهود المشركين وكما عاهد(ص) : كفار مكة في صلح الحديبية.

الاسلام.. عن قناعة

و بعد هذين الامرين يأتي دور (الاسلام) فاذا أسلم الطرف الآخر فقد حقن ماله ودمه ولا عدوان الا على الظالمين.

والاسلام ليس أمراً قسرياً كما هو واضح، وانما هو عبارة عن الادلة القاطعة التي توجب إقتناع العقل بصحة المبدء والمعاد والرسول والشريعة وغيرها.

الجزية.. أخيراً

واذا لم يكن الامر حياداً ولا عهداً ولا إسلاماً يأتي دور (الجزية) كما عمله الرسول(ص) مع نصارى نجران، فان الجزية نوعان:

النوع الأول: جزية أهل الذمة الذين يعيشون تحت لواء الاسلام فالجزية تؤخذ من الكفار كما يؤخذ الخمس والزكاة من المسلمين، وقد ذكرنا في كتبنا الفقهية: إن

(الجزية) تؤخذ من مطلق الكافر، خلافاً للمشهور، فان الكفار الذين يعيشون تحت لواء الاسلام يؤخذ منهم مال لا بعنوان الخمس والزكاة وانما بعنوان الجزية، سواء كانوا أهل كتاب كاليهود والنصارى والمجوس أو كانوا غير أهل كتاب كالوثنيين والمشركين.

النوع الثاني: ما يؤخذ من الكفار الذين ليسوا تحت لواء الاسلام، وانما يؤخذ ذلك لاجل عناد أولئك بعد ظهور الحق لهم كما فعل(ص) بنصارى نجران حيث بحث مع علمائهم حول حقية الاسلام لكنهم أفحموا، ثم باهل معهم لكنهم أحجموا، فأي شيء بعد هذين إلا العناد؟ والمعاند يلزم أن يخفف من غلواء عناده بما يرجعه الى الحق تدريجياً.

يقول الله سبحانه، في قضية نصارى نجران:

«إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون، الحق من ربك فلا تكن من الممترين، فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم، فقل: تعالوا ندع أبنائنا وأبنائكم، ونسائنا ونسائكم، وأنفسنا وأنفسكم، ثم نبتهل الى الله فنجعل لعنة الله على الكاذبين إن هذا لهو القصص الحق ومامن إلهٍ إلا الله، وإن الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليمٌ بالمفسدين، قل: ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فان تولوا فقولوا: اشهدوا بانا مسلمون»(آل عمران/٥٩ــ٦٤)

حروب الرسول(ص) كانت دفاعية

واذا إنقطعت كل هذه الوسائل والسبل يأتي دور (الحروب الدفاعية) ولذا إتصفت كل حروب رسول الله بصبغة (الدفاع).

فمثلاً كان أول اصطدام للمسلمين بقريش ــ حيث تعرضت (سرّية) عبدالله بن جحش لقوافل قريش القادمة من الشام بقيادة أبي سفيان ــ رداً على اعتداء المشركين حيث انهم اعتدوا على رسول الله(ص) وأصحابه طيلة عشر سنوات، فقتلوا بعضاً منهم، وشردوا بعضاً الى الحبشة، وبعضاً الى المدينة، وعذبوا جلة منهم، وهتكوا أعراضهم كما في قصة سمية أم عمار، وصادروا دورهم وأموالهم في مكة المكرمة، ثم لم يكتفوا بذلك

حتى أتوا الى القبائل العربية المحيطين بالمدينة المنورة وأرشوهم ليمنعوا قوافل رسول الله من المرور في أراضيهم، أي أنهم ضربوا حصاراً إقتصادياً حول المدينة المنورة مما هدد المسلمين بالموت جوعاً ومن الواضح ان الحصار الاقتصادي الدفاعي من الوسائل المشروعة المستخدمة في الحروب، فالمسلمون أرادوا بهذه السرية وبما تلاها (كغزوة بدر وما أشبه)، ضرب الحصار الاقتصادي حول أهل مكة المحاربين للرسول(ص) من باب المعاملة بالمثل.

أما بقية غزوات الرسول وحروبه وسراياه فكانت أما لنقض العهد من قبل الطرف الآخر، كما فعله يهود بني قينقاع في المدينة ومشركو قريش في نقض صلح الحديبية.

وأما لرد العدوان كما في غزوة أحد والخندق.

أو لشن حرب وقائية كما في قصة مؤته، حيث ان الفرس والروم أخذا في الاعتداء على الدولة الاسلامية، فقد أحيط الاسلام بأعداء من الفرس والروم يريدون بالاسلام كل سوء وأخذ هؤلاء ينتهزون الفرص المواتية للانقضاض عليه وإجتثاث جذوره في عقر داره وقتل الرسول(ص) وإبادة المسلمين، وقد شرعوا في ذلك بالفعل، فهرقل عظيم الروم قتل جماعة من ولا ته أسلموا في بلاد الشام.. وكل ذلك أعطى للرسول(ص) الحق الشرعي والعرفي والقانوني في الدفاع.

وكذلك الفرس فان كسرى عظيم الفرس أمر واليه على اليمن بأن يرسل بعض جلاوزته الى المدينة المنورة ليأتوا برأس الرسول الاعظم(ص) الى كسرى، لكن الرسل الذين أتوا الى المدينة المنورة آبوا بخفي حنين حيث رأوا التفاف المسلمين العظيم حول الرسول(ص) وحاجّهم الرسول في قصة مذكورة في التواريخ.

أقل قدر من الضحايا

ثم أن الرسول(ص) كان يتحرى أقل قدر من القتل والاسر في حروبه بما لا يذكر العالم مثله لا قبل الاسلام ولا بعده.

فمثلاً: يذكر أحد الكتّاب أن جميع القتلى من الطرفين (المسلمين والمشركين) لم يتجاوز ألفاً وبضعة أشخاص في كل الحروب التي خاضها الرسول(ص) ــ والتي كانت

أكثر من ثمانين حرباً ـــ.

و يذكر كاتب آخر إن عدد الذين قتلوا في جميع الحروب هم ألف وثمانية عشر شخصاً.

و يذكر مؤلف ثالث: (إن عدد الكفار والمسلمين الذين قتلوا في جميع الحروب لم يتجاوز ألف وأربعمائة).

وهذا أكثر عدد ذكر في هذا الموضوع، بينما الدكتور محمد حميد الله في كتابه (محمد ص) يذكر: أن محمداً(ص) ـــ مع أنه إستولى على أكثر من مليون ميل مربع مما يعادل كل أوروبا باستثناء روسيا، ومع أنه كان يسكن هذه المنطقة ملايين من البشر ـــ لم يقتل في كل حروبه ـــ من طرف المسلمين ـــ إلا مائة وخمسون مسلماً.

و يضيف: أن هذا العدد يعادل: قتيلاً واحد في كل شهر ـــ تقريباً ـــ.

وليس هذا إلاّ لأجل احترام الاسلام للدماء وتجنبه القتل مهما أمكن.

الاسراف في القتل والتعذيب

وعلى عكس حكومة الرسول(ص) نجد سائر الحكومات التي كانت تسرف في إراقة الدماء ما تجد الى ذلك سبيلاً.

وقد ذكر المؤرخون: إن الآشوريين كانوا قساة غلاظ الاكباد وكانوا يدمرون المدن التي يفتحونها بعد حصارها و يتفننون في القتل والتعذيب والتمثيل، وكانوا يكافؤن الجنود عن كل رأس مقطوع يحمل من ميدان المعركة بجائزة، وقد يعمدون الى قتل جميع الاسرى في ساحة المعركة عند كثرتهم، لكن لا يستهلكوا الطعام والشراب أو لئلا يكونوا خطراً على مؤخرة (الجيش) وكان الملوك والرؤساء يرأسون هذه المجازر، و يبدئون المجازر أولاً بفقأ العيون وقطع الرقاب من الاسرى، أما الامراء والاشراف من الاسرى فكانوا يعذبون قبل القتل، فتصلم آذانهم، وتجدع أنوفهم، وتقطع ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم، أو تسلخ جلودهم وهم أحياء، أو تشوى أجسامهم فوق النار، أو يلقى بهم من أبراج عالية.

وكان الملك الذي ارتقى عرش آشور عام سبعمائة وخمس وأربعين قبل الميلاد يصلب الاسرى على الخوازيق، بينما يقوم الرماة بقتلهم بالسهام والمدقات.

وفي بعض الحروب استخدم الاسرى لجرّ العربات المحملة بالخشب بدلاً من الدواب.

صور رهيبة من وحشية المغول

يقول صاحب كتاب (أسرى الحرب) في قصة المغول: (عرف المغول بالقسوة والوحشية وسفك الدماء، كما إشتهر جنكيز خان مؤسس إمبراطوريتهم بالبطش والقتل وحب التدمير والابادة.

وفي حروبهم إشتبكوا مع شاه خوارزم علاء الدين فأحرق المغول (بخارا) ونهبوا ثرواتها وإغتصبوا النساء وسيق الاسرى الى (سمرقند)، ولما صعب عليهم اللحاق بالفرسان أمر جنكيزخان بقتل كل من يتخلف عن السير وإستحالت (بخارا) الى أنقاض وخرائب.

ولاقت (سمرقند) المصير نفسه حيث نهبت وقتل السكان وأسروا ثلاثين ألفاً من أمهر الصناعين، وأرسلهم جنكيزخان الى أبنائه في الشمال، كما جندوا عدداً كبيراً لاستخدامهم في الاشغال العسكرية والنقل.

وفي (خراسان) جمعوا الاهالي في ساحة واسعة وأمروهم أن يكتف بعضهم بعضاً ثم شرعوا بذبحهم فقتلوا سبعين ألفاً.

ولما إحتلوا (مرو) وزعوا سكانها على المحاربين المغول ووزع كل منهم نصيبه، ولم يبقوا إلا على أربعمائة صانع لحاجة الجيش اليهم، وعلى بعض الافراد لاتخاذهم عبيداً، ولاقت بقية المدن نفس هذا المصير.

ولما سمع المغول ان بعض الاهلين رقدوا بين جثث القتلى أصدر الاوامر بفصل الرؤوس عن أجسادها واتبعوا ذلك في جميع معاركهم اللاحقة.

وكانوا يطاردون الفارين، كما يطارد الصياد فريسته.

واستخدموا شتى أنواع الحيل لاخراج المختبئين من مخابئهم، مثلاً: أرغموا مؤذناً من أسراهم على الآذان للصلاة وخرج المسلمون من مكامنهم معتقدين بذلك ذهاب الغزاة الذين كانوا لهم بالمرصاد فأبادوهم.

وكانوا يحرقون الغلات والمحاصيل قبل مغادرتهم المدن ليموت من إختبىء أو فر من السكان جوعاً.

وكانت سياسة جنكيزخان في حروبه ذبح جميع جنود الحاميات وسكان المدن والسلب والنهب وغرق الاسرى.

واذا قاومت مدينةٌ (المغول) صنعوا بها الافضع، فقد قاومت (نيسابور) بضعة أيام فكان جزائها ذبح الرجال والنساء الاطفال.

وصنع المغول في (روسيا) ما صنعوا في دولة خوارزم فأبادوا ودمروا وأحرقوا وأسروا عدداً من قواد الروس عن طريق الغدر والخيانة فكبلوهم بالاغلال وأقاموا فوقهم البسط وجلس عليها كبار قادة المغول ليطعموا وليمة النصر بينما كان القادة الروس يموتون إختناقاً.

ثم عاد المغول الى (منغوليا) فخربوا مدينة (بلغار) ونهبوا جميع مدن (البازان) ودكّوا أبنيتها وحرقوا (موسكو) وحاصروا (تلوتير).

ولما قصّ النبلاء شعورهم وإختبئوا في الكنائس ولبسوا مسوح الرهبان أمر المغولي باحراق الكنيسة والمدينة فهلك الجميع ودمرت النيران مدناً أخرى.

وتابع هولاكو الزحف في غرب آسيا حتى وصلوا الى (تبريز) وإتجهوا الى (بغداد) قاعدة القيادة العباسية فحاصروا بغداد أربعين يوماً ونصبوا المنجنيقات على جميع القلاع والحصون وأمطروها بالحجارة والنار المشتعلة وأحدثوا ثغرة كبيرة في أسوارها وأحرقوا المنازل، ولما رأى الخليفة انه لا علاج الا بالصلح طلب الصلح وأبدى استعداده للتسليم شريطة الابقاء على حياته وحياة السكان، وخرج مع ثلاثة آلاف من القضاة والاعيان والاشراف لملاقات هولاكو، فخان الاتفاق وغدر بهم كما فتك بسكان المدينة، فأمر هولاكو بنهب المدينة وذبح سكانها ووطئت أجساد المستغيثين بحوافر الخيل واغتصبت النساء وسالت الدماء في الشوارع مدة ثلاثة أيام حتى أصبح ماء دجلة لعدة أميال أحمر قانياً، وأستبيحت المدينة ستة أسابيع، فذبحوا السكان، وانتهكوا الحرمات، وأحرقوا الدور، وتهاوت القصور، وتقوضت الجوامع والضرايح بسبب النار أو بسبب المعاول، وذبحوا المرضى في المستشفيات، وقتلوا طلاب العلم والاساتذة في المدارس، ونبشوا قبور

الاوليـاء وأضرحة الأئمة الصالحين، وأحرقوا جثث الاموات، واستمرت المذابح عدة أيام وأمست (بغداد) خراباً بلقعاً، وهلك من سكانها أكثر من مليون ونصف.

وعبـر المغـول الفـرات متـجهين صوب الجزيرة يطاردون الاهلين فيقتلون و يسلبون فـأبـادوا جميـع سكان (الرها) و(جران) و(نصيبين) وذبحوا في (حلب) خمسين ألفاً وسبوا عشرة آلاف من نسائها وأطفالها.

وفـعـلـوا أيضاً في غالب بلاد الاسلام هذا الفعل، مثلاً: لما علم تيمورلنك بمقتل جماعة مـن رجـاله وجنوده الذين دخلوا مدينة (اصفهان) غضب وأصدر أمره الى الجيش باقتحام المدينة، وان يعود كل جندي مع رأس قتيل من أهلها، ونفذ الجيش الامر، وتحولت المدينة الى مجزرة بـشـريـة مروعـة، وتكدست عند المساء سبعون ألف جمجمة من الضحايا، فأمر تيمور أن تقام منها أبراج في شوارع المدينة.

وكذلك لما وصلوا الى بعض المدن ذبحوا السكان وأشعلوا النار في المدينة.

الحروب الحديثة لا تقل سوءاً

وهكذا نجد الامر في الحروب الحديثة، بل وأسوأ من ذلك.

فـامـريـكـا قـتـلـت بـالـقـنـبلة الذرية ربع مليون انسان في اليابان في ظرف ساعات وأحرقت كل شيء.

ولـما جـاء البريطانيون الى العراق عاملوا الناس أسوء معاملة، وكانوا يقتلون الجرحى، ولا يرحمون الاسير، ويخرجون الجثث من القبور طمعاً في الثياب والملابس.

وفي الـسـودان كـانـت الجـيـوش الـبـريطانية تقطع رؤوس المقتولين وترسلها الى لندن ليجعلوا الجماجم مطفئة سكائر حقداً على المسلمين.

وفي ليبيا قتل الايطاليون نصف الشعب الليبي الذي كان يبلغ المليون في ذلك اليوم، فـقـتـلـوا مـنـهـم نصف مليون بأبشع قتلة، وكانوا يمثلون بالجثث و يعذبون الاحياء تعذيباً بشعاً.

وكذلك صنع الفرنسيون بالجزائر فقتلوا من تسعة ملايين مليوناً ونصف المليون و بعض حـصـاءات تـقـول انـهـم قـتلوا منهم مليونين وكانوا يمثلون بالجثث، و يعذبون الاحياء

تعذيباً قاسياً قليل النظير.

وفي الحرب بين الهند والباكستان الشرقية (بنغلادش) قتل من الناس أكثر من ثلاثة ملايين جوعاً وتعذيباً وقتلاً كما مات بعضهم لأجل إنتشار الأو بئة.

والروس قتلوا من المسلمين في تاجكستان وتركمنستان وغيرهما من البلاد الاسلامية التي إستولوا عليها خمسة ملايين من المسلمين بمختلف أنواع القتل من الاحراق والغرق والتعذيب الى حد الموت والرمي بالرصاص وغير ذلك.

كما أن الروس في الوقت الراهن قتلوا أكثر من مليون انسان في افغانستان، وقد إمتلأت سجونهم بالابرياء وعذبوا الناس بأبشع أنواع التعذيب.

كما قتل الامريكيون في فيتنام وفي غير فيتنام عدداً هائلاً يُعدّ بالملايين وكانوا يعذبون الاحياء ويحرقون المحاصيل.

وهكذا يرى العالم في العصر الحديث أبشع أنواع القتل والتعذيب والحرق والاهانة لكرامة الانسان، وقصة الحرب العالمية الاولى والحرب العالمية الثانية مشهورتان مذكورتان في الكتب.

إزدياد أخطار الحرب في العصر الراهن

وقد ذكرنا في كتاب (فقه الاجتماع) في مبحث أخطار الحرب: إن اللازم على الامم أن تسعى بكل جدها لتعميم السلام في الزمن الحاضر حيث ازدادت أخطار الحرب زيادة كبيرة غير متصورة، وسبب هذه الزيادة أمور، منها:

الاسلحة الفتاكة التي اكتشفها العلم.. واستعمال هذه الاسلحة في الحروب يوجب نسف الحضارة من غير فرق بين الحروب المحدودة والحروب العالمية فان الحروب المحدودة تهدم ــ أيضاً ــ بقدرها، مثلاً: في حرب لبنان قتل وجرح من البشر زهاء مائة وخمسين ألف، وفي الحرب العراقية الايرانية قُدر مجموع القتلى والجرحى بأكثر من مليون ونصف كما قدرت خسائر الحرب بأكثر من خمسمائة مليار دولار.

أما اذا إتفقت حرب عالمية ــ لا سمح الله ــ فان الحضارة ربما تنتهي، وقد ذكر في تقرير أنه كان مخطط امريكا ضد روسيا أن تدمر في حرب نوو ية خاطفة خمس وثمانين في

المائة من منشآتها الصناعية.

وقد كدست كل من روسيا وامريكا في مخازنها من الاسلحة الفتاكة ما يكفي لابادة البشر سبع مرات.

وفي تقرير انه: توجد عند الاتحاد السوفيتي قنابل اذا ألقيت واحدة متوسطة منها على مدينة كنيو يورك، أفنت في لحظة واحدة كل ما كان في شعاع مائتين وخمسين ميلاً مربعاً.

الى غير ذلك من الاسلحة الفتاكة الرهيبة والتي لا تشكل أسلحة الحرب العالمية الثانية في قبالها إلا مثل الاسلحة القديمة البدوية ـ كالسيف والرمح ـ بالنسبة الى المدفع والدبابة.

مضاعفات الحرب

والحرب بالاضافة إلى الهلاك والتدمير:

اولاً: تخلف مشوهي الحرب والجرحى الذين سيعانون طول حياتهم من ويلاتها فان الاسلحة الفتاكة توجب مختلف الامراض والتشويهات في الانسان والحيوان والارض وغيرها.

وقد جاء في تقرير: أن روسيا إشترت خمسة وعشرين مليون عضواً صناعياً ـ كاليد والرجل والعين ـ لأجل المشوهين، بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية. هذا بالاضافة الى ان الحرب الذرية تذر الديار بلاقع لا تصلح لانبات النبات الى آماد بعيدة.

وثانياً: تلتهم الحرب الاقتصاد التهاماً موحشاً، فان الدول تحوّل أجهزتها أبان الحرب الى أجهزة حربية مما يستنفذ المال، ويوجب الفقر سنوات عديدة بالنسبة الى الدول المتحاربة.

وقد ذكر «غوستاف لوبون» إن (أسبانيا) لم تستعد نشاطها منذ حارب الصليبيون المسلمين، وقد مرت على الحرب زهاء عشرة قرون.

كما ذكر مؤرخ آخر: إن العراق لم يستعد نشاطه منذ تخريب المغول له زهاء سبعة قرون.

وقد صرفت امريكا في الحرب الباردة عام ألف وتسعمائة وثلاثة وخمسين(م) أربعاً وسبعين في الالف من إنتاجها. فاذا ترتبت هذه النتائج التدميرية في الاقتصاد على الحرب الباردة، فماذا يكون الحال في الحرب الساخنة؟.

وبالاضافة الى الدول المتحاربة تلتهم الحرب اقتصاد سائر الدول المرتبطة بها، حيث إن الاقتصاد في العصر الراهن لا يختص برقعة محددة من الارض فان الدول تشابكت في الاقتصاد تشابكاً كبيراً فالبضائع التجارية بمختلف أقسامها تستورد من كافة الدول الى الدول الأخر.

واذا علمنا أن الدول المحايدة إسماً ليست محايدة حقيقة نعرف كيف تلتهم الحرب إقتصاديات كل الدول.

والكل يذكر كيف وقع العالم في ضيق شديد أبان الحرب العالمية الثانية سواء في الدول المحاربة أو غير المتحاربة.

ثالثاً: كما إن الحرب توجب التخلف الحضاري للبلاد المتحاربة وللبلاد التي ترتبط بها بل ولسائر بلاد العالم، اذ تتحول كل الدول الى (دولة حرب) وتتوقف الخدمات الثقافية والصناعية والزراعية والتربوية وغيرها توقفاً كبيراً مما يوجب تجمد الحضارة بل وتقهقرها، حيث ان الحرب تستقطب جمهرة كبيرة من مختلف العلماء الذين هم محور تقدم الحضارة، وقد ذكرت بعض الصحف ان مصر وحدها خسرت عند تحطيم خط (بارليف) الاسرائيلي زهاء عشرين ألف من المهندسين والخبراء والاطباء ومن اليهم.

نحو تعميم السلام

ثم اللازم ـــ لأجل انهاء الحرب في العالم ـــ وتعميم السلام أن تبدل معامل الاسلحة الى معامل الاغراض السلمية، ولا يقال: إن الاغراض الحربية انما توجب أشغال ملايين العمال؟ فان كثيراً من هؤلاء العمال يمكن أن تمتصهم المعامل التي تعمل للاغراض السلمية. كما يمكن جعل مناهج الاسكان وصحة ولوازم كل أهل العالم وكذلك مناهج لغزو الفضاء ، وغير ذلك واذا فرض انه بقى فائض من العمال ليس لهم عمل فلا يستلزم ذلك بطالتهم لانهم يشتغلون بالعلم و بالعبادة و بالتنزه بعد توزيع العمل عليهم وعلى

غيرهم.

مثلاً: لنفرض عشرة ملايين عامل كل واحد منهم يشتغل ثمان ساعات في مختلف الشؤون الصناعية والزراعية، وخمسة ملايين منهم يشتغلون في السلاح، فهؤلاء اذا إشتغلوا في الاغراض السلمية يبقى مليونان بلا عمل لان ثلاثة ملايين من الخمسة تتمكن الاغراض السلمية من إمتصاصهم وفي هذه الحالة يوزع العمل على مجموع العشرة، وتخفف من ساعات العمل، ففي المثال: بدل أن يشتغل كل عامل ثمان ساعات حتى يشتغل خمسة ملايين منهم في السلاح يشتغل كل عامل ست ساعات وخمسي ساعة وفي الباقي أي الساعة وثلاثة أخماس الساعة يشتغلون في العلم تعليماً وتعلماً وتجربة، وفي العبادة الموجبة لخير الدنيا والآخرة، وفي التنزه بالاسفار وغيرها.

وليس من الصحيح أن نقول: إننا نصنع السلاح فنقتل الناس لكي لا تكون بطالة! فهو مثل أن تكون هنالك عائلة ونصفهم له عمل ونصفهم لا عمل له فنقول: إن النصف الذي لا عمل له يشتغل بقتل هذا النصف الذي له عمل لأجل أن لا يبقى النصف الذي لا عمل له فارغين عن العمل؟

إن هذا منطق لا يقبله عقل أو شرع، بل هو منطق الانحراف فحسب.

فاللازم ــ اذاً ــ أن نوجد العمل السلمي للعاملين في مصانع الاسلحة، كما يلزم أن نوجد العمل للذين يشتغلون في الامور العسكرية من الضباط والقواد، والمراتب والجنود وغيرهم.

نعم يبقى قلة منهم لاحتمال الطوارىء، والآخرون اذا تدربوا فانما يتدربون بقدر، و يكونون كجيش إحتياط لا كجيش متفرغ، وقد ذكرنا في بعض الكتب ان ايران في أيام المجدد الشيرازي وقصة تحريم التتن كانت لها زهاء عشرة ملايين جيش احتياطي ــ هم كل الناس ــ وعشرة آلاف مسلح لأوقات السلم.

وعلى أي حال، فاللازم حل مشكلة الحرب بهذه الصورة أو بصورة أخرى.

هذا من ناحية السلاح كمّاً.

وأما من ناحية السلاح كيفاً، فاللازم أن تخفف الاسلحة، يعني: أن تكون هناك لجان لتبديل الاسلحة المتطورة الى الاسلحة الخفيفة ــ كالبندقية وما أشبه ــ ثم تبديل

الاسلحة الخفيفة الى الاسلحة البدائية ـ كالسيف والرمح ـ فانه من الغلط أن يهيىء الانسان سلاحاً يبيد نفس المسلح وعدوه.

وهذا شيء ممكن اذا تمكنا من التعبئة العامة، لأجل السلام، فتبطل بذلك معامل الاسلحة و يستخدم العمال في سائر الشؤون، وتحل الجيوش الكبيرة وتدمّر الاسلحة المعقدة لترجع الى أسلحة خفيفة، وربما تنتهي الدنيا الى سلاح السيف وقد ورد في بعض الاحاديث المعنية بشأن الامام المهدي ـ عجل الله تعالى فرجه ـ انه يحمل السيف ـ وفي بعض الروايات انه سيف (ذو الفقار) وهو السيف الذي استخدمه الامام أميرالمؤمنين(ع) في معارك الاسلام، وفي بعض الاحاديث أن هذا السيف نزل من السماء على رسول الله(ص) فأعطاه علياً(ع) وأصبح فيما بعد من جملة المواريث المقدسة التي توراثه الأئمة الطاهرون(ع) حتى إنتهى الى الامام المهدي(ع) ـ.

ولذا ورد في الاحاديث: إن محور الحرب للامام(ع) وأصحابه هو ما بين مكة والكوفة، وهذه مسافة قصيرة جداً، أما بقية البلاد فانها ستلتفّ تحت لوائه(ع) بدون حرب.

قلع جذور الحرب

وقد ذكرنا في كتاب (فقه الاجتماع): أن حفظ السلام لا يمكن بمجرد الاعلام ومنظمات السلام، لان السلام ليس أمراً سطحياً، كما أن الحرب ليست أمراً سطحياً، بل اللازم قطع جذور الحرب حتى يسود السلام، وجذور الحرب هي (حرمان الانسان) مما يوجب له الثورة ضد الطبقة التي حرمته، واسباب الحرمان هي (الاستعمار) (والاستغلال) (والاستبداد في الحكم، أو في المال، أو في العلم) فاللازم لمن يريد قطع جذور الحرب أن يحول بين مثيري الحرب و بين مآربهم وذلك باشاعة الوعي السياسي والاقتصادي والاجتماعي، فان الوعي السياسي يوجب عدم استسلام الشعب للدكتاتوريين سواء كانت دكتاتوريتهم دكتاتورية صريحة كالحكومات الوراثية والانقلابية، أو مغلّفة كالحكومات التي تنادي بالديمقراطية، لكنها في مخالب رأس المال أو مخالب الحزب الواحد، كأمريكا و بريطانيا وفرنسا وروسيا والصين ونحوهم.

والوعي الاقتصادي يمنع كون المال بيد جماعة معينة سواء تسلّمت تلك الجماعة بيدها مقاليد الحكم أيضاً ــ كروسيا ــ أولا ــ كأمريكا ــ.

والوعي الاجتماعي يوجب أن يعرف الانسان تساوي المجتمع في العلم والحكم والمال وانما.

««كلُّ امرء بما كسب رهين»(الطور/٢١)

«وان ليس للانسان الاّ ما سعى»(النجم/٣٩)

ولا طبقة مختارة، فاذا رأى ان العلم ــ مثلاً ــ خاص بجماعة لان لهم المال أو الحكم أو الحزب علم بانحراف المجتمع ولزوم تعديله حتى يعم العلم الجميع، وهكذا بالنسبة الى الحكم والمال.

والعالم أخذ يتوجه ــ تدريجياً ــ الى مثل هذا الوعي، فقد كان الحكم العالمي مدة بيد بريطانيا، ثم بيد امريكا ثم بين قوتين: امريكا وروسيا، لكن الحكم توزع في الوقت الحاضر بيد أكبر قدر من الدول.. توزع بين امريكا وروسيا واوربا والصين، صحيح انه لا توجد في المجال العسكري إلاّ الدولتان إلا أنه توجد مراكز قوى متعددة في المجال السياسي، ولكل مركز حلف جماعي، وفي المجال الاقتصادي توجد الدولتان بالاضافة الى اوربا الغربية والصين واليابان، وفي المجال الذري توجد الهند وغيرها أيضاً، مما سبب خروج الدنيا تدريجياً عن الاحتكار.

كما ان الشيوعية أخذت تتحطم بسبب انفصال الصين ومحاولة انفصال بولونيا، وتململ بعض البلاد الأخر الدائرة في فلك الشيوعية، بالاضافة الى أنها إفتضحت أكبر إفتضاح، وخصوصاً عند غزوها ــ سابقاً ــ للمجر وتشيكوسلوفاكيا وحالياً: أفغانستان. والرأسمالية أخذت تتحطم لبنة لبنة فخرجت اليابان وفرنسا عن «إمبراطوريتهما» والاستعمار البريطاني والامريكي أخذا يترنحان للسقوط هنا وهناك و بالاخص في الشرق الاوسط حيث ظهرت مفاسد اسرائيل.

وعليه فان إعطاء الوعي للبشرية صار أسهل، صحيح أن الحياد الآن ليس ممكناً، ولا صحيحاً ــ حيث ان الانسان لا يصح أن يسكت أمام الظالم ــ الا أن الوعي المتململ أخذ يعمل لايجاد الحياد السليم، أما الحياد الذي كان قبل عشرين سنة فقد كان ــ في

الواقع ــ تغطية للعملاء فهل كاسترو عميل الشرق محايد؟ وهل ناصر عميل امريكا كان محايداً؟ والى غير ذلك.

وعلى أي حال، يلزم زيادة الوعي لتنقلع جذور الحرب والتي هي عبارة عن انحصار العلم والحكم والمال بيد أقلية البشر في قبال حرمان الاكثرية.

والوعي كما يعطي الثلاثة بيد الكل كذلك يقرب الناس بعضهم الى بعض، و يكوّن بينهم علاقات أكثر فلا يتمكن المتعصبون المنحرفون من إستغلال البشر في مآربهم الشخصية، ولذا نرى انه كلما زاد الوعي إنكمشت القوميات، واندثرت الطائفيات المنحرفة، وقبرت العرقيات واللونيات والجغرافيات وما أشبه.

فضح «الحرب بالوكالة»

كما أن اللازم قبل الوصول الى النتيجة النهائية وهي السلام الشامل ــ فضح (الحروب بالوكالة) والحيلولة دون وقوعها وذلك بعدة وسائل هي:ــ

أولاً: تحجيم العلاقات بين الدول الصغيرة والدول الكبيرة، حتى لا يتمكن الكبار من إيكال الصغار في الحروب كما هي العادة الآن.

ثانياً: فضح القواعد العسكرية للدول الكبيرة في أراضي الدول الصغيرة.

ثالثاً: فضح التحالفات العسكرية بين الدول الصغيرة التي تدور في فلك الكبار، وبيان ان هذه الدول الصغار المتحالفة لا تريد بالاحلاف إلا خدمة تلك الدول الكبيرة.

رابعاً: تقوية العلاقات بين الدول المتجاورة حتى لا تتمكن الدول الكبار من ايقاع الحرب بينها.

خامساً: (وهو الأهم من كل ذلك): ايجاد الوعي للشعوب الصغيرة حتى لا تكون العوبة بيد حكوماتها التي تنفذ أوامر الاسياد.

كما أن اللازم ايجاد الوعي للشعوب مطلقاً حتى لا يقعوا فريسة جشع الرأسماليين والحكام الدكتاتوريين، سواء كانوا دكتاتوريين صريحين ــ كروسيا ــ أو دكتاتوريين مغلفين بثوب مهلهل من الديمقراطية ــ كبريطانيا وفرنسا وامريكا ــ فان هاتين الطبقتين من الحكام الرأسماليين هم الذين يشعلون الحروب دائماً، وفي ركابهم العلماء المنحرفون

الدينيون كالكنيسة ـ والمدنيون كأصحاب الخبرات والشهادات.

وصدق رسول الله(ص) حيث روي عنه انه قال: (طائفتان في أمتي اذا صلحتا صلحت أمتي، واذا فسدتا فسدت أمتي، قيل: يارسول الله ومن هما؟ قال: العلماء والامراء).

والظاهر أن الرسول(ص) لم يذكر (المال) في هذا الحديث لان كان له دور بسيط في الزمن السابق فلم تكن قد ظهرت هذه الرأسماليات المنحرفة جداً والتي ليست من الاسلام وليس الاسلام منها في شيء، فقد كان مشعلوا الحروب سابقاً: الامراء المنحرفون، والعلماء المزيفون، فكانوا يتعاونون في ظلم الشعوب، ولهذا نبّه رسول الله(ص) الى خطرهما مع وضوح انه نُبّه في الاسلام الى خطر كون المال (دولة بين الاغنياء) كما ذكرنا بعض هذا البحث في موضوع المال.

الاسلام يعتبر الحرب: حالة إستثنائية

وعلى أي حال، فالاسلام يدعو الى السلام و يعتبر السلم هو الاصل والحرب هي الاضطرار.

قال الله سبحانه :

«يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة، ولا تتبعوا خطوات الشيطان»(البقرة/٢٠٨)

قال الله سبحانه:

«وان جنحوا للسّلم فأجنح لها وتوكل على الله»(الانفال/٦١)

وقال سبحانه:

«ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن إستطاعوا»(البقرة/٢١٧)

وقال سبحانه:

«لقد كان لكم فيهم أسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول، فان الله هو الغنيُّ الحميد، عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودةً، والله قديرٌ، والله غفورٌ رحيم، لا ينها كم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين

ولـم يخرجـوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يُحبُ المقسطين، إنما ينـهـا كـم الله عـن الـذيـن قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتوهم فأولئك هم الظالمون»(الممتحنة/٦ــ٩)

فنرى إن الاسلام يأمر بمحاربة من لا يزال يقاتل المسلمين و يريد الاعتداء، و ينهى عـن موادة أمثال هؤلاء، أما الذين لم يقاتلوا المؤمنين ولم يخرجوهم فالله سبحانه يلمّح الى برّهم والاقساط اليهم وان كانوا كفاراً.

الى غيـرها من الآيات القرآنية الكثيرة التي اذا جمعت مع الجهاد تكون النتيجة: ان الجـهـاد والحـرب حـكـم ثـانوي إضطراري، وان السلم هو الحكم الأ وّلي، كما ألمعنا اليه فيما سبق.

وفي حديث قال علي(ع) لعسكره قبل لقاء العدو بصفين:

[لا تقاتلوهم حتى يبدئوكم، فانكم بحمد الله على حجة، وترككم إياهم حتى يبدئوكم حجة أخرى لكم عليهم]

وفي كـتـاب الامـام أميرالـمؤمنين الى أهل الامصار يقص فيه ما جرى بينه و بين أهل صفين، قال(ع):

[وكـان بـدء أمـرنا التقينا والقوم من أهل الشام، والظاهر ان ربنا واحد ونبينا واحـد ودعوتنا الى الاسلام واحدة ولا نستزيدهم في الايمان بالله والتصديق برسوله ولا يـستزيدوننا، الامر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه براء، فقلنا تعـالـوا نـداوي مـا لا يـدرك الـيـوم باطفاء الثائرة وتسكين العامة حتى يشتد الامر ويستـجـمـع فـنقوى على وضع الحق مواضعه، فقالوا: بل نداويه بالمكابرة، فأبوا حـتـى جـنـحـت الحـرب وركـدت ووقـيـت نيـرانها وحمست، فلما عركتنا واياهم ووضـعـت مخالبها فينا وفيهم أجابوا عند ذلك الى التي دعوناهم اليه فأجبناهم الى مـا دعـوا وسـارعـنـاهـم الى مـا طـلبوا حتى استبانت عليهم الحجة وانقطعت منهم المعذرة].

وقال (ع) لولده الحسن:

[لا تدعونّ الى مبارزة]

وإنظروا الى هذا الحديث المروي عن الامام الصادق(ع) حيث قال: (إن رسول الله(ص) كان اذا أراد أن يبعث سرية دعاهم فأجلسهم بين يديه ثم قال لهم: سيروا باسم الله و بالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله، لا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبياً ولا إمرأة، ولا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا اليها، وأيما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر الى رجل من المشركين فهو جار حتى يسمع كلام الله، فان تبعكم فأخوكم في الدين، وإن أبى فأبلغوه مأمنه واستعينوا بالله عليه). (٢)

وفي رواية: ان الامام أميرالمؤمنين(ع) كان اذا حضرت الحرب يوصي المسلمين بكلمات فيقول: (تعاهدوا الصلاة وحافظوا عليها واستكثروا منها وتقربوا بها فانها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً).

وكان يقول:

[لا تقاتلوهم حتى يبدئوكم]

---

(٢) (السرّية) فرقة عسكرية تتكون من حوالي إثني عشر مقاتلاً ــ غالباً ــ

من هدي الاسلام في الحرب

الحرب ضرورة قصوى، والضرورات تقدر بقدرها، خصوصاً في مثل الحرب التي هي الدمار والفناء وابادة الحياة ولذا نرى الاسلام يجعل للحرب قيوداً وشروطاً، مع انه أوجب الجهاد الابتدائي والدفاعي كما هو معروف في كتب الفقه، وانما جعل هذه الشروط والقيود الكثيرة حتى لا تكون الحرب الا بقدر الضرورة الشديدة، ثم اذا انتهت الحرب يعفو الاسلام، و يغفر، و يطلق سراح المجرمين مهما وجد الى ذلك سبيلاً كما سنشاهد ذلك في الفصول التالية من هذا الكتاب:

١ــ اشتراط اذن الوالدين

عن أبي عبدالله الصادق(ع) قال: (جاء رجل الى رسول الله(ص) فقال: يارسول الله اني راغب في الجهاد نشيط.

قال: فجاهد في سبيل الله فانك ان تقتل كنت حياً عند الله ترزق، وان تمت فقد وقع أجرك على الله، وان رجعت خرجت من الذنوب كما ولدت.

فقال: يارسول الله أن لي والدين كبيرين يزعمان انهما يأنسان بي و يكرهان خروجي.

فقال رسول الله(ص) اقم مع والديك، فوالذي نفسي بيده لانسهما بك يوماً وليلة خير من جهاد سنة).

وعن جابر قال: أتى رسول الله(ص) رجل فقال: اني رجل نشيط واحب الجهاد ولي والدة تكره ذلك.

فقال النبي(ص): أرجع فكن مع والدتك، فوالذي بعثني بالحق لانسها بك ليلة خير من جهاد في سبيل الله سنة.

وروى ابن عباس انالنبي(ص) جاءه رجل فقال: يارسول الله أجاهد؟
فقال االك أبوان؟
فقال : نعم.
فقال : ففيهما فجاهد.
وروي عن أبي سعيد الخدري : ان رجلاً هاجر من اليمن الى رسول الله(ص)
فقال له رسول الله(ص) هل لك أحد باليمن؟
فقال : أبوان.
قال(ص) أذنا لك؟
قال : لا.
فقال : أرجع فاستأذنهما فان أذنا لك فجاهد، والا فبّرهما.

٢ ــ سقوط الجهاد عن طوائف

ففي حديث عن الحسن بن محبوب، عن بعض أصحابه قال: كتب أبو جعفر(ع) في رسالته الى بعض خلفاء بني أمية ــ الى ان قال: في ذم الخلفاء الذين يكلفون ما لم يأمر به الله عزوجل، قال(ع): ثم كلف الاعمى والاعرج والذين لا يجدون ما ينفقون على الجهاد بعد عفو الله عزوجل اياهم، و يكلف الذين يطيقون ما لا يطيقون.

أقول : وذلك حسب ما جاء في القرآن الحكيم بهذا الصدد، قال سبحانه :

«لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة، وكلاً وعد الله الحسنى، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً، درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيما»(النساء/٩٥ــ٩٦)

وقال سبحانه :

«قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون، فان تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً، وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليما، ليس على الاعمى حرج، ولا على الاعرج حرج، ولا على

المريض حرج، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار، ومن يتول يعذبه عذاباً أليماً»(الفتح/١٦)

وقد روي عن زيد بن ثابت: (انه لم يكن في آية نفي المساوات بين المجاهدين والقاعدين استثناء غير اولى الضرر فجاء ابن أم مكتوم وكان أعمى وهو يبكي، فقال: يارسول الله كيف لمن لا يستطيع الجهاد؟ ففشيه الوحي ثانياً ثم أسرى عنه، فقال(ص): اقرأ غير أولى الضرر فالحقناه، والذي نفسي بيده لكأني أنظر الى ملحقها عند صدع في الكتف).

وقد ذكرنا في كتاب: (الفقه: الجهاد) انه يسقط الجهاد عن طوائف ستّ: الاعمى، والاعرج، والمريض، والذي لا يجد النفقه، والذي يكون الجهاد عليه ضرراً، والذي يكون عليه حرجاً في الجملة.

كما ان الجهاد يسقط عن المجنون والعبد والهرم.

قال رسول الله(ص):

[رفع القلم عن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يستفيق].

وعن علي(ع) انه قال:

[ليس على العبيد جهاد].

وهنالك روايات أخر في هذا الصدد.

٣ ـ لا جهاد على المرأة

وعن الاصبغ بن نباته قال: قال أميرالمؤمنين(ع): (كتب الله الجهاد على الرجال والنساء، فجهاد الرجل بذل ماله ونفسه حتى يقتل في سبيل الله، وجهاد المرأة أن تصبر على ما ترى من أذى زوجها وغيرته «عشرته»).

وفي حديث آخر:

[وجهاد المرأة حسن التبعل]

وعن علي (ع) انه قال:

[ليس على العبيد جهاد ما استغنوا عنهم، ولا على النساء جهاد، ولا على من لم يبلغ الحلم].

وعن علي (ع) أيضاً قال: قال رسول الله(ص):

[كتب الله الجهاد على رجال أمتي والغيرة على نساء أمتي، فمن صبر منهن واحتسبت أعطاها الله أجر شهيد].

وعن السيد علي بن طاوس في اللهوف قال رأيت حديثاً: ان (وهب) كان نصرانياً ــ الى أن ذكر مقتله وخروج أمه في المعركة ــ قال: فقال لهما الحسين(ع): (ارجعي يا أم وهب، أنت وابنك مع رسول الله(ص) فان الجهاد مرفوع عن النساء).

وعن حفص بن غياث «في حديث»: انه سأل أباعبدالله(ع) عن النساء كيف سقطت الجزية عنهن ورفعت عنهن؟ فقال: لان رسول الله(ص) نهى عن قتل النساء والولدان في دار الحرب الا ان يقاتلن، فان قاتلن فامسك عنها ما أمكنك ولم تخف خللاً. فلما نهى عن قتلهن في دار الحرب كان (ذلك) في دار الاسلام أولى، ولو امتنعت ان تؤدي الجزية لم يمكن قتلها، فلما لم يمكن قتلها رفعت الجزية عنها ولو أمتنع الرجال أن يؤدوا الجزية كانوا ناقضين للعهد وحلت دماؤهم وقتلهم، لان قتل الرجال مباح في دار الشرك، وكذلك لا يقتل المقعد من أهل الذمة والاعمى والشيخ الفاني والمرأة والولدان في أرض الحرب، فمن اجل ذلك رفعت عنهم الجزية.

٤ ــ لا تجوز الحرب مع غير الامام العادل أو نائبه

عن يونس قال: سأل أبا الحسن(ع) رجل وأنا حاضر فقال له: جعلت فداك ان رجلاً من مواليك بلغه ان رجلاً يعطي سيفاً وقوساً في سبيل الله فأتاه فأخذهما منه (وهو جاهل بوجه السبيل) ثم لقيهُ أصحابه فأخبروه ان السبيل مع هؤلاء لا يجوز وأمروه بردهما.

قال (ع): فليفعل.

قال: قد طلب الرجل فلم يجده وقيل له: قد قضى الرجل.

قال (ع): فليرابط ولا يقاتل.

قال: في مثل قزوين وعسقلان والديلم وما أشبه هذه الثغور؟

فقال: نعم.

قال: فان جاء العدو الى الموضع الذي هو فيه مرابط كيف يصنع؟

قال(ع): يقاتل عن بيضة الاسلام.

قال: يجاهد؟

قال(ع): لا إلا أن يخاف على دار المسلمين.

أرأيتك لو ان الروم دخلوا على المسلمين لم ينبغ لهم أن يمنعوهم.

قال (ع): يرابط ولا يقاتل وان خاف على بيضة الاسلام والمسلمين قاتل فيكون قتاله لنفسه ليس للسلطان، لان في دروس الاسلام دروس ذكر محمد(ص).

وعن بعضهم، عن ابي عبدالله(ع) قال: سألته عن رجل دخل أرض الحرب بأمان فغز القوم الذين عليهم قوم آخرون.

قال (ع): (على المسلم أن يمنع نفسه ويقاتل عن حكم الله وحكم رسوله، وأما أن يقاتل الكفار على حكم الجور وسنتهم فلا يحل له ذلك).

وعن ابي عروة السلمي، عن ابي عبدالله(ع) قال: (سأل رجل فقال: أني كنت اكثر الغزو وأبعد في طلب الاجر وأطيل في الغيبة فحجر ذلك عليّ فقالوا: لا غرو الا مع امام عادل فما ترى أصلحك الله؟

فقال أبو عبدالله(ع): ان شئت ان أجمل لك أجملت، وان شئت ان الخص لك لخصت.

فقال: بل اجمل.

فقال (ع): ان الله يحشر الناس على نياتهم يوم القيامة..)

قال فكأنه اشتهى أن يلخص له قال: فلخص لي أصلحك الله.

فقال (ع): هات.

فقال الرجل: غزوت فواقعت المشركين فينبغي قتالهم قبل أن أدعوهم.

فقال (ع): ان كانوا غزوا وقوتلوا وقاتلوا فانك تجتري بذلك، وان كانوا قوماً

لم يغزوا ولم يقاتلوا فلا يسعك قتالهم حتى تدعوهم.

فقال الرجل: فدعوتهم فأجابني مجيب واقرّ بالاسلام في قلبه وكان في الاسلام فجير عليه في الحكم وانتهكت حرمته وأخذ ماله واعتدي عليه فكيف بالمخرج وأنا دعوته؟

فقال (ع): انكما مأجوران على ما كان من ذلك وهو معك يحوطك من وراء حرمتك ويمنع قبلتك و يدفع عن كتابك ويحقن دمك خير من أن يكون عليك يهدم قبلتك و ينتهك حرمتك و يسفك دمك ويحرق كتابك.

٥ ــ الدعوة الى الاسلام.. أولاً

عن السكوني، عن أبي عبد الله(ع) قال: قال أميرالمؤمنين(ع) بعثني رسول الله(ص) الى اليمن فقال: (ياعلي لا تقاتلن أحداً حتى تدعوه الى الاسلام، وأيم الله لئن يهدي الله عزوجل على يديك رجلاً خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاؤه ياعلي).

وعن دعائم الاسلام، عن علي(ع) انه قال:

[لا يغزى قوم حتى يدعوا].

يعني اذا لم يكن بلغتهم الدعوة، وان أكدت الحجة عليهم بالدعاء فحسن.

وعن الغوالي، عن النبي(ص) قال: (لا نقاتل الكفار الا بعد الدعاء).

وعن دعائم الاسلام قال: روينا عن أبي عبدالله عن أبيه، عن آبائه عن أميرالمؤمنين(ع) (ان رسول الله(ص) كان اذا بعث جيشاً أو سرية أوصى صاحبها بتقوى الله في خاصة نفسه، ومن معه من المسلمين خيراً، وقال: اغزوا بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله(ص) ولا تقاتلوا القوم حتى تحتجوا عليهم بأن تدعوهم الى شهادة ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله، والاقرار بما جاء به من عند الله، فأن أجابوكم فأخوانكم في الدين ادعوهم حينئذ الى النقلة من ديارهم الى دار المهاجرين (الى آخر الحديث...).

٦ ـ الاقتصار على القدر الضروري

عن أبي عبد الله(ع) قال: (كان رسول الله(ص) اذا أراد أن يبعث سرية دعاهم فأجلسهم بين يديه، ثم يقول: سيروا بسم الله و بالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله، لا تغلوا ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا شيخاً ولا صبياً ولا امرأة، ولا تقطعوا شجراً الا ان نضطروا اليها، وأيما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر الى أحد من المشركين فهو جار حتى يسمع كلام الله، فا تبعكم فاخوكم في الدين وان أبى فابلغوه مأمنه واستعينوا بالله).

وعن أبي عبد الله(ع) قال: (ان النبي(ص) كان اذا بعث أميراً على سرية أمره بتقوى الله عزوجل في خاصة نفسه، ثم في أصحابه عامة، ثم يقول: اغز بسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ولا متبتلاً في شاهق، ولا تحرقوا النخل، ولا تغرقوه بالماء، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تحرقوا زرعاً لانكم لا تدرون لعلكم تحتاجون اليه، ولا تعقروا من البهائم ما يؤكل لحمه الا مالبد لكم من أكله، واذا لقيتم عدواً للمسلمين فادعوهم الى احدى ثلاث، فان هم أجابوكم اليها فاقبلوا منهم وكفوا عنهم: ادعوهم الى الاسلام فان دخلوا فيه فأقبلوا منهم وكفروا عنهم، وادعوهم الى الهجرة بعد الاسلام، فان فعلوا فأقبلوا منهم وكفوا عنهم، وان أبوا أن يهاجروا واختاروا ديارهم وأبوا أن يدخلوا في دار الهجرة كانوا بمنزلة أعراب المؤمنين يجري عليهم ما يجري على أعراب المؤمنين، ولا يجري لهم في الفيء ولا في القسمة شيئاً الا ان يهاجروا في سبيل الله، فان أبوا هاتين فادعوهم الى اعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون، فان أعطوا الجزية فاقبل منهم وكف عنهم، وان أبوا فاستعن بالله عزوجل عليهم وجاهدهم في الله حق جهاده، واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك على أن ينزلوا على حكم الله عزوجل فلا تنزل بهم ولكن انزلهم على حكمكم، ثم اقض فيهم بعد ما شئتم فأنكم ان أنزلتموهم على حكم الله لم تدروا تصيبوا حكم الله فيهم أم لا، واد حاصرتم أهل حصن فان اذنوك على أن تنزلهم على ذمة الله وذمة رسوله فلا تنزلهم ولكن

أنزلهم على ذممكم وذمم آبائكم واخوانكم فانكم أن تخفروا ذممكم وذمم آبائكم واخوانكم كان أيسر عليكم يوم القيامة من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله«ص»).

وعن أبي عبدالله، عن أبيه، عن آبائه عن أمير المؤمنين(ع): **(ان رسول الله(ص) كان اذا بعث جيشاً او سرية أوصى صاحبها بتقوى الله في خاصة نفسه ومن معه من المسلمين خيراً، وقال: اغزوا بسم الله وفي سبيل الله «الى أن قال»: ولا تقتلوا وليداً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ــ يعني ان لم يقاتلوكم ــ ولا تمثلوا ولا تغلوا ولا تغدروا).**

وعن السكوني، عن أبي عبد الله(ع) قال: قال أميرالمؤمنين(ع): (نهى رسول الله(ص) أن يلقى السم في بلاد المشركين).

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، عن أبيه عن علي(ع): (ان رسول الله(ص) **نهى** أن يلقى السم في بلاد المشركين).

وفي حديث ان رسول الله(ص) نصب المنجنيق على أهل الطائف وقال(ص):

[ان كان معهم في الحصن قوم من المسلمين فأوقفوهم معهم ولا يتعمدهم بالرمي وارموا المشركين وانذروا المسلمين ان كانوا أقيموا مكرهين ونكبوا عنهم ما قدرتم والا فان أصبتم منهم أحداً ففيه الديه].

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي(ع) قال: قال رسول الله(ص):

[لا تقتلوا في الحرب إلا من جرت عليه المواسي].

وعن الدعائم، قال رسول الله(ص) في وصيته: (لا تقتلوا وليداً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة).

وفي الحديث: ان سعد بن معاذ حكم في بني قريضة بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم وأمر بكشف مؤتزهم، فمن انبت فهو من المقاتله ومن لم ينبت فهو من الذراري وصوبه النبي(ص).

٧ ــ لا حرب مع اعطاء الأمان أو الصلح

عن أبي عبد الله(ع) قال: قلت له: ما معنى قول النبي(ص): (يسعى بذمتهم أدناهم).

قال (ع): (لو ان جيشاً من المسلمين حاصروا قوماً من المشركينى فاشرف رجل فقال: أعطوني الأمان حتى ألقى صاحبكم وأناظره فأعطاهم أدناهم الأمان وجب على أفضلهم الوفاء به).

وعن أبي عبد الله(ع) قال:

[لو ان قوماً حاصروا مدينة فسألوهم الأمان، فقالوا: لا، فظنوا انهم قالوا: نعم، فنزلوا اليهم كانوا آمنن].

وقال أمير المؤمنين (ع):

[من ائتمن رجلاً على دمه ثم خان به فأنا من القاتل بريء، وان كان المقتول في النار].

وفي عهد أمير المؤمنين(ع) للأشتر رحمه الله تعالى:

[لا تدفعن صلحاً دعاك اليه عدولله فيه رضى، فان الصلح دعة لجنودك، وراحة من همومك، وأمناً لبلادك، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فأن العدو ربما قارب ليتغفل، فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن، وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة وألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء وادع ذمتك بالامانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت فأنه ليس من فرائض الله سبحانه شيء للناس عليه أشد اجتماعاً مع تفريق أهوائهم وتشتيت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما اسبلوا عن عواقب الغدر، فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهدك ولا تختلن عدوك فانه لا يجتري على الله الا جاهل شقيّ وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته وحريماً يسكنون منعته و يستعيضون الى جواره فلا ادخال ولا مدالسة ولا خداع فيه، ولا تعقد عقداً يجوز فيه العلل، ولا تعولن على لحن قول بعد التأكد

والـتوثقة، ولا يدعوك ضيق أمر لزمه فيه عهد الله الى انفساخه بغير الحق فان صبرك على ضـيق ترجوا انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وان تحيط بك فيه من الله طلبته لا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك].

وعن علي(ع)، انه قال: خطب رسول الله(ص) في مسجد الخيف فقال:

[رحـم الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها و يبلغها الى من لم يسمعها، فرب حامل فقه وليس بفقيه، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه. ثلاث لا تغل عليهن قلب امـرء مـسـلـم: اخـلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم، فـان دعوتهم محيطة من ورائهم، والمسلمون أخوة تكافيء دماؤهم، و يسعى بذمتهم أدناهم، فاذا أمن من أحد من المسلمين أحداً من المشركين لم يجز أن يخفر ذمته].

وعن أمير المؤمنين(ع) انه قال:

[اذا أومـى أحـد من المسلمين أو أشار بالأمان الى أحد من المشركين فنزل على ذلك فهو في أمان].

وعن أبي عبد الله(ع)، انه قال:

[الأمان جائز بأي لسان كان].

وعن أمير المؤمنين(ع) قال:

[أوفوا بعهد من عاهدتم].

وعن علي(ع) قال:

[اذا أومى أحد من المسلمين الى حد من أهل الحرب فهو أمان].

وعـن أبـي عـبـد الله(ع) قـال: سألته عن قريتين من أهل الحرب لكل واحدة منهما مـلـك على حـده اقتتلوا ثم اصطلحوا، ثم أن أحد الملكين غدر بصاحبه فجاء الى المسلمين فصالحهم على أن يغزوا تلك المدينة؟ فقال أبو عبدالله(ع):

[لا ينبغي للمسلمين أن يغدروا ولا يأمروا بالغدر ولا يقاتلوا مع الذين غدروا، ولكنهم يقاتلون المشركين حيث وجد وهم لا يجوز عليهم ما عاهد عليه الكفار].

وعن أبي عبد الله(ع) قال: قال رسول الله(ص):

[يجيء كل غادر بأمام يوم القيامة مائلاً شدقه حتى يدخل النار].

وعن الاصبغ بن نباته قال: قال أميرالمؤمنين(ع) ذات يوم وهو يخطب على المنبر في الكوفة: (أيها الناس لولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس. الا ان لكل غدرة فجرة، ولكل فجرة كفرة، الا وان الغدر والفجور والخيانة في النار).

وعن علي(ع) ان رسول الله(ص) قال فيما عهد اليه:

[واياك والغدر بعهد الله والاخفار لذمته، فان الله جعل عهده وذمته أماناً أمضاه بين العباد برحمته، والصبر على ضيق ترجو انفراجه خير من غدر تخاف تبعاته وسوء عاقبته].

وفي حديث قال أميرالمؤمنين(ع):

[الوفاء توأم الصدق، ولا أعلم جنة أوفى منه، وما يغدر من علم كيف المرجع، ولقد أصبحنا في زمان قد اتخذ أكثر أهله الغدر كيساً، ونسبهم أهل الجهل فيه الى حسن الحيله، ما لهم؟ قاتلهم الله، قد يرى الحوّل القلب وجه الحيله ودونه ما نع من أمر الله ونهيه فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها و ينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين].

وقال (ع):

[الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، والغدر لأهل الغدر وفاء عند الله].

أقول أشار (ع) الى قاعدة الأهم والمهم وليس معناه الغدر، بل معناه ان أمر الله أهم من الوفاء للغادر بأن يعتذر عن البقاء مع الغادر لأنه يريد الوقاية.

وعن النبي (ص) قال:

[أربع من كن فيه فهو منافق الى أن قال: واذا عاهد غدر]

وعن أمير المؤمنين (ع) قال:

[أسرع الأشياء عقوبة رجل عاهدته على أمر وكان من نيتك الوفاء به ومن نيته الغدر بك].

٨ ـ وقف اطلاق النار في الأشهر الحرم

عن العلاء بن الفضيل قال: سألته عن المشركين أيبتديهم المسلمون بالقتال في الشهر الحرام؟ فقال(ع): اذا كان المشركون يبتدؤونهم باستحلاله، ثم رأى المسلمون انهم يظهرون عليهم فيه وذلك قول الله عزوجل:

«الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص»(البقرة/١٩٤)

والروم في هذا بمنزلة المشركين لأنهم لم يعرفوا للشهر الحرام حرمه، ولا حقاً فهم يبدؤون بالقتال فيه وكان المشركون يرون له حقاً وحرمة فاستحلوه فاستحل منهم أهل البغي يبتدؤون بالقتال).

وعن علي ابن ابراهيم في تفسيره: (الأشهر الحرم رجب مفرد وذو القعدة وذو الحجة ومحرم متصلة، حرم الله فيها القتال و يضاعف فيها الذنوب وكذلك الحسنات).

٩ ـ الأسير لا يقتل

عن الزهري، عن علي بن الحسين(ع) «في حديث» قال: (اذا أخذت أسيراً فعجز عن المشي ولم يكن معك محمل فأرسله ولا تقتله، فانك لا تدري ما حكم الامام فيه)، وقال: (الاسير اذا أسلم فقد حقن دمه وصار فيئاً).

وعن عبد الله بن ميمون قال: أتى علي(ع) بأسير يوم صفين فبايعه فقال علي(ع): (لا أقتلك إني أخاف الله رب العالمين) فخلى سبيله وأعطاه سلبه الذي جاء به.

وعن أمير المؤمنين(ع) انه قال: (أسَرَ رسول الله(ص) يوم بدر أسارى وأخذ الفداء منهم، فالامام مخير اذا أظفره الله بالمشركين من ان يقتل المقاتلة و يأسرهم ويجعلهم في الغنائم و يضرب عليهم السهام، ومن رأى المن عليه منهم مَنّ).

وعن بشير، عن أبي عبد الله(ع) قال: قلت له: اني رأيت في المنام أني قلت لك: ان القتال مع غير الامام المفترض طاعته حرام مثل الميتة والدم ولحم الخنزير فقلت لي: نعم هو كذلك.

فقال أبو عبد الله(ع): (هو كذلك هو كذلك).

وعن سماعه، عن أبي عبد الله(ع) قال: (لقي عباد البصري علي بن الحسين(ع) في طريق مكة، فقال له: ياعلي بن الحسين تركت الجهاد وصعوبته واقبلت على الحج ولينه، ان الله عزوجل يقول:

«ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله»(التوبة/١١١)

فقال علي بن الحسين(ع): (اتمّ الآية).

فقال:

«التائبون العابدون»(التوبة/١١٢)

فقال علي بن الحسين(ع): اذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحج.

وعن محمد بن عبد الله السمندري قال: قلت لأ بي عبد الله(ع): (اني أكون بالباب، يعني باب الابواب، فينادون السلاح فأخرج معهم؟

فقال لي أرأيتك ان خرجت فأسرت رجلاً فأعطيته الأمان وجعلت له من العقد ما جعله رسول الله(ص) للمشركين أكان يفون لك به.

قلت: لا والله جعلت فداك ما كانوا يفون لي به.

قال (ع): فلا تخرج .

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله، عن آبائه(ع) قال: (لا يخرج المسلم في الجهاد من لا يؤمن على الحكم ولا ينفذ في الفيء أمر الله عزوجل، فأنه ان مات في ذلك المكان كان معيناً لعدونا في حبس حقنا، والاشاطة بدمائنا، وميتته ميتة جاهلية).

وعن جعفر بن محمد(ع) في حديث شرائع الدين قال:

[والجهاد واجب مع امام عادل، ومن قتل دون ماله فهو شهيد].

وعن بشارة المصطفى، عن كميل، عن أميرالمؤمنين(ع) انه قال: (يا كميل لا غزو إلاّ مع امام عادل).

وعن السيد علي بن طاوس في كتاب كشف اليقين، بسنده الى رسول الله(ص) في

خبر المعراج: ان الله سبحانه وتعالى أوحى اليه(ص): (المشي على الأقدام الى الجهاد معك ومع الأئمة من ولدك).

وعن الشعبي قال: (لما أسر علي(ع) الاسرى يوم صفين فخلى سبيلهم أتوا معاو ية وقد كان عمرو بن العاص يقول: لأسرى أسرهم معاو ية اقتلهم، فما شعروا إلا بأسراهم قد خلى سبيلهم علي(ع)، فقال معاو ية: ياعمرو لو أطعناك في هؤلاء الاسرى لوقعنا في قبيح من الامر ألا ترى قد خلى سبيل أسرانا، فأمر بتخلية من في يديه من أسرى علي(ع)، وقد كان علي(ع) اذا أخذ أسيراً من أهل الشام خلى سبيله إلا أن يكون قد قتل من أصحابه أحداً فيقتله به، فاذا خلى سبيله فان عاد الثانية قتله ولم يخل سبيله ـ الخبر.

أقول: (قتله) في حالات الضرورة لان الامام كان يخلي سبيل الاسرى أيضاً كما في التواريخ و يأتي في قصة أصبغ بن ضرار ذلك.

١٠ ـ لا يقتل من أخرج كرهاً

عن دعائم الاسلام، عن أميرالمؤمنين(ع) قال: قال رسول الله(ص) يوم بدر: (من استطعتم أن تأسروا من بني عبدالمطلب فلا تقتلوهم فانهم إنما أخرجوا كرهاً).

١١ ـ مزيد من السماح مع غير ذي الفئة

عن حفص بن غياث قال: سألتُ أبا عبدالله(ع) عن الطائفتين من المؤمنين أحداهما باغية والاخرى عادلة فهزمت الباغية العادلة؟ قال: (ليس لأهل العدل أن يتبعوا مدبراً ولا يقتلوا أسيراً ولا يجهزوا على جريح..).

وفي حديث أبي حمزة، عن علي بن الحسين(ع) قال: (إن علياً كتب الى مالك وهو على مقدمته يوم البصرة بأن لا يطعن في غير مقبل، ولا يقتل مدبراً، ولا يجهز على جريح، ومن أغلق بابه فهو آمن..).

وعن عبد الله بن شريك، عن أبيه قال: لما هزم الناس يوم الجمل قال أميرالمؤمنين(ع): (لا تتبعوا مولياً ولا تجهزوا على جريح، ومن أغلق بابه فهو آمن).

وعن حسن بن علي بن شعبه، عن أبي الحسن الثالث(ع): (إن علياً يوم الجمل لم يتبع مولياً ولم يجهز على جريح، ومن ألقى سلاحه أمنه، ومن دخل داره أمنه).

وفي رواية: (اذا إنهزم أهل البغي وكانت له فئة يلجؤون اليها طلبوا وأجهز على جرحاهم واتبعوا وقتل ما أمكن اتباعهم وقتلهم، وكذلك سار أميرالمؤمنين(ع) في أصحاب صفين، لان معاو ية كان وراءهم، واذا لم يكن له فئة لم يطلبوا ولم يجهز على جرحاهم لانهم اذا ولّوا تفرقوا، وكذلك رو ينا عن أميرالمؤمنين(ع) انه سار في أهل الجمل لما قتل طلحة والز بير وقبض على عائشة وانهزم أصحاب الجمل نادى مناديه: (لا تجهزوا على جريح ولا تتبعوا مدبراً، ومن ألقى سلاحه فهو آمن)، ثم دعا ببغلة رسول الله(ص) الشهباء فركبها، ثم قال: تعال يافلان وتعال يافلان حتى جمع اليه زهاء ستين شيخاً كلهم من همدان قد شكوا الا ترسة وتقلدوا السيوف ولبسوا المغافر فسار وهم حوله حتى انتهى الى دار عظيمة فاستفتح ففتح له، فاذا هو بنساء يبكين بفناء الدار فلما نظرن اليه صحن صيحةً واحدة وقلن: (هذا قاتل الأحبة) فلم يقل لهن شيئاً، وسأل عن حجرة عائشة ففتح له بابها ودخل وسمع بينهما كلام شبيه بالمعاذير (لا والله) و(بلى والله) ثم إنه(ع) خرج فنظر الى إمرأة فقال لها: (اليَّ ياصفية) فأتته مسرعة فقال: ألا تبعدين هؤلاء يزعمن اني قاتل الأحبة لو كنت قاتل الأحبة لقتلت من في هذه الحجرة ومن في هذه، ومن في هذه) وأومأ(ع) الى ثلاث حجر فذهبت اليهن فما بقيت في الدار صائحة إلا سكنت ولا قائمة إلا قعدت. قال الاصبغ ــ وهو صاحب الحديث ــ (وكان في احدى الحجرات عائشة ومن معها من خاصتها، وفي الاخرى مروان بن الحكم وشباب من قريش، وفي الاخرى عبدالله بن الز بير وأهله)، فقيل للأصبغ: فهلا بسطتم أيديكم على هؤلاء، أليس هؤلاء كانوا أصحاب القرحة فلم إستبقيتموهم؟ قال: ضر بنا بأيدينا الى قوائم سيوفنا وحددنا أبصارنا نحوه لكي يأمرنا فيهم بأمر فما فعل و واسعهم عفواً).

وقال الشيخ المفيد في كتاب الكافئة في أبطال تو بة الخاطئة عن أبي مخنف لوط بن يحيى، عن عبدالله بن عاصم، عن محمد بن بشير الهمداني قال: (ورد كتاب أميرالمؤمنين(ع) مع عمر بن سلمة الاوحى الى أهل الكوفة فكبر الناس تكبيرة سمعها عامة الناس، وإجتمعوالها في المسجد ونوديَ الصلاة جامعة فلم يتخلف أحد وقرء

الكتاب، فكان فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله أميرالمؤمنين الى قرظة بن كعب ومن قبله من المسلمين سلام عليكم، فاني أحمد اليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فانا لقينا القوم الناكثين ـــ الى أن قال(ع) ـــ فلما هزمهم الله أمرت أن لا يتبع مدبر، ولا يجهز على جريح ولا يكشف عورة، ولا يهتك ستر ولا يدخل دار إلاّ بأذن وآمنت الناس).

وعن حبة العرني قال في حديث: فلما كان يوم الجمل و برز الناس بعضهم لبعض (الى أن قال): فولى الناس منهزمين فنادى منادي أميرالمؤمنين(ع): (لا تجهزوا على جريح ولا تتبعوا مدبراً ومن أغلق بابه فهو آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن).

وعن محمد بن الفضيل بن عطا مولى مزينة قال: حدثني جعفر بن محمد(ع)، عن أبيه(ع)، عن محمد بن علي(ع) ابن الحنفية قال: كان اللواء معي يوم الجمل (الى أن قال) ثم أمر مناديه فنادى: (لا يدفعن على جريح ولا يتبع مدبر، ومن أغلق بابه فهو آمن).

وروي أنه كان من أهل الشام بصفين رجل يقال له: الأصبغ بن ضرار وكان يكوّن طليعة مسلحة فندب له علي(ع) الاشتر فأخذه أسيراً، من غير أن يقاتل، وكان علي(ع) ينهى عن قتل الاسير الكافّ فجاء به ليلاً وشد وثاقه وألقاه مع أضيافه ينتظر به الصباح، وكان الاصبغ شاعراً مفوهاً فأيقن بالقتل ونام أصحابه فرفع صوته وأسمع الاشتر أبياتاً يذكر فيها حاله و يستعطفه فغدا به الاشتر على علي(ع)، فقال: ياأميرالمؤمنين هذا رجل من المسلحة لقيته بالأمس، والله لو علمت أن قتله لحق قتلته، وقد بات عندنا الليله وحركنا، فان كان فيه القتل فأقتله، وان غضبنا فيه وإن كنت فيه بالخيار فهبه لنا، قال: (هو لك يامالك، فاذا أصبت أسير أهل القبله فلا تقتله، فان أسير أهل القبله لا يفادى ولا يقتل). فرجع به الاشتر الى منزله وقال: لك ما أخذنا معك، وليس لك عندنا غيره.

وعن سلام قال: شهدت يوم الجمل (الى أن قال): ولما انهزم أهل البصرة نادى منادي علي(ع): (لا تتبعوا مدبراً، ولا من ألقى سلاحه، ولا تجهزوا على جريح، فان القوم قد ولّوا وليس لهم فئة يلجؤون اليها جرت السنة بذلك في قتال أهل البغي).

وعن دعائم الاسلام، عن علي(ع)، انه سأله عمار حين دخل البصرة، فقال:

ياأميرالمؤمنين بأي شيء تسير في هؤلاء؟ قال(ع): (بالمنّ والعفو كما سار النبي(ص) في أهل مكة).

وعن موسى بن طلحة بن عبيدالله ــ وكان فيمن أسر يوم الجمل وحبس مع من حبس من الاسارى بالبصرة فقال ــ كنت في سجن علي(ع) بالبصرة حتى سمعت المنادي ينادي أين موسى بن طلحة بن عبيدالله؟

قال: فاسترجعت واسترجع أهل السجن وقالوا يقتلك.

فأخرجني اليه فلما وقفت بين يديه قال لي: ياموسى

قلت : لبيك ياأميرالمؤمنين.

قال : قل أستغفر الله.

قلت : أستغفر الله وأتوب اليه ثلاث مرات.

فقال لمن كان معي من رسله: خلّوا عنه وقال لي: اذهب حيث شئت وما وجدت لك في عسكرنا من سلاح أو كراع فخذه واتق الله فيما تستقبله من أمرك واجلس في بيتك.

فشكرت وانصرفت وكان علي(ع) قد أغنم أصحابه ما أجلب به أهل البصرة الى قتاله (أجلبوا به، يعني أتوا به في عسكرهم) ولم يعرض لشيء غير ذلك ــ الحديث ــ.

وعن عبد الله بن جعفر الحميري، بسنده عن جعفر، عن أبيه(ع): (أن علياً(ع) لم يكن ينسب أحداً من أهل حربه الى الشرك، ولا الى النفاق ولكنه كان يقول: هم اخواننا بغوا علينا).

١٢ ــ إتمام الحجة على العدو، وعدم البدء بالهجوم

روى العياشي بسنده الى أبي عبدالله(ع): إن علياً(ع) قال لاصحابه يوم البصرة: (لا تعجلوا على القوم حتى أعذر فيما بيني وبين الله تعالى وبينهم) فقام اليهم فقال لأهل البصرة: هل تجدون عليّ جوراً في الحكم؟ قالوا: لا.

وعن دعائم الاسلام، عن أميرالمؤمنين(ع)، إنه خطب بالكوفة فقام رجل من الخوارج

فقال: لا حكم إلا لله، فسكت أميرالمؤمنين(ع) ثم قام آخر وآخر، فلما أكثروا قال: (كلمة حق يراد بها باطل لكم عندنا ثلاث خصال: لا نمنعكم مساجد الله أن تصلوا فيها ولا نمنعكم الفيء ما كانت ايديكم مع أيدينا، ولا نبدأكم بحرب حتى تبدؤونا).

وعن عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه: ان أميرالمؤمنين(ع) كان يأمر في كل موطن لقينا فيه عدوّنا فيقول: (لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم، فانكم بحمد الله على حجة، وتركُكم اياهم حتى يبدؤوكم حجة أخرى لكم، فاذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ولاتجهزوا عل جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل).

قال الكليني: وفي كلام آخر له(ع): (واذا لقيتم هؤلاء القوم غداً فلا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم، فان بدؤوكم فانهدوا اليهم).

وروى الشيخ المفيد في الارشاد في سياق مقتل أبي عبدالله(ع) ووصوله الى نينوى وممانعة الحر قال: فقال له زهير بن القين: إني والله لا أرى أن يكون بعد الذين ترون الا أشد مما ترون يابن رسول الله إن قتال هؤلاء القوم الساعة أهون من قتال من يأتينا من بعدهم، ولعمري ليأتينا من بعدهم ما لا قبل لنا به.

فقال الحسين(ع) : (ما كنت لأ بدأهم بالقتال) ثم نزل (وساق الحديث الى أن ذكر قصة يوم عاشوراء) قال: فنادى شمر بن ذي الجوشن لعنه الله بأعلى صوته: ياحسين أتعجلت بالنار قبل يوم القيامة؟

فقال الحسين(ع) : (من هذا؟ كأنه شمر بن ذي الجوشن).

فقالوا: نعم.

فقال : يابن راعية المعزى أنت أولى بها صلياً.

ورام مسلم بن عوسجة ان يرميه بسهم فمنعه الحسين(ع) من ذلك، فقال له: دعني حتى أرميه، فان الفاسق من أعداء الله وعظماء الجبارين وقد أمكن الله منه.

فقال له الحسين(ع): (لا ترمه فاني أكره أن أبدأهم بالقتال).

١٣ ــ عدم التعرض للنساء

روى الكافي في حديث مالك بن أعين، عن أميرالمؤمنين(ع)، انه قال في جملة ما قال: (ولا تمثلوا بقتيل، واذا وصلتم الى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً، ولا تدخلوا داراً ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم الا ما وجدتم في عسكرهم، ولا تهيجوا امرأةً بأذى وان شتمن أعراضكم وسببن امرأكم وصلحاءكم فانهن ناقصات القوى والانفس والعقول، وقد كنا نؤمر بالكف عنهن وهن مشركات، وان كان الرجل ليتناول المرأة فيُعيّر بها وعقبه من بعده).

أقول : قد ذكرنا في أول كتاب النكاح من شرح العروة معنى قوله(ع) بانهن ناقصات العقول والحظوظ والايمان.

١٤ ــ عدم قتل الرسل

روى عبد الله بن جعفر الحميري في قرب الاسناد، عن جعفر بن محمد(ع)، عن أبيه(ع)، عن آبائه(ع) قال: قال رسول الله(ص): (لا يقتل الرسل).

وعن دعائم الاسلام، عن أميرالمؤمنين(ع)، أنه قال: (اذا ظفرتم برجل من أهل الحرب فزعم أنه رسول اليكم، فان عُرِفَ ذلك وجاء بما يدل عليه فلا سبيل لكم عليه حتى يبلغ رسالته و يرجع الى أصحابه، وإن لم تجدوا على قوله دليلاً فلا تقبلوا منه).

١٥ ــ تحريم القتال على غير سنّة

عن زيد بن علي عن آبائه(ع) قال: قال رسول الله(ص): (اذا إلتقى المسلمان بسيفهما على غير سنّة فالقاتل والمقتول في النار.

قيل يارسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول؟

قال: لأنه أراد قتالاً).

وعن دعائم الاسلام، عن علي(ع) إن رسول الله(ص) قال فيما عهد اليه: (وإياك

والتسرع الى سفك الدماء لغير حلها، فانه ليس شيء أعظم من ذلك تبعه).

١٦ــ لا حرب للجبناء

روي الجعفريان، بسنده الى رسول الله(ص) إنه قال: (من أحس من نفسه جبناً فلا يغزو).

١٧ــ عدم قتل الذميّ

روي جعفر بن أحمد القمي عن المطلب ان النبي(ص) قال: (من قتل رجلاً من أهل الذمة حرم الله عليه الجنة التي توجد ريحها مسيرة اثني عشر عاماً).

١٨ــ احترام كرماء الكفار

عن محمد بن جرير الطبري قال: لما ورد سبي الفرس الى المدينة أراد عمر بن الخطاب بيع النساء، وأن يجعل الرجال عبيداً، فقال أمير المؤمنين(ع): إن رسول الله(ص) قال: إكرموا كريم كل قوم.

فقال عمر: قد سمعته يقول: اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وان خالفكم.

فقال أمير المؤمنين(ع): هؤلاء قوم قد القوا اليكم السلم ورغبوا في الاسلام، ولابد من أن يكون فيهم ذرية، وأنا أشهد الله وأشهدكم اني قد أعتقت نصيبي منهم لوجه الله.

فقال المهاجرون والانصار: وقد وهبنا حقنا لك ياأخا رسول الله(ص).

فقال: اللهم اني أشهد أنهم قد وهبوا الي حقهم وقبلته وأشهدك اني قد أعتقتهم لوجهك.

فقال عمر لِمَ نقضتَ عليّ عزمي في الاعاجم، وما الذي رغبك عن رأيي فيهم؟

فأعاد عليه ما قال رسول الله(ص) في اكرام الكرماء.

فقال عمر: قد وهبت لله ولك ياأبا الحسن ما يخصني وساير ما لم يوهب لك.

فقال أمير المؤمنين(ع): اللهم اني أشهد ما قاله وعلى عنقي اياهم.

فرغب جماعة من قريش أن يستنكحوا النساء، فقال أميرالمؤمنين(ع): هؤلاء لا يكرهن على ذلك ولكن يخيرن ما اخترنه عمل به.. الخبر.

١٩ــ إستحباب عدم أخذ السلب

روى علي بن أسباط، عن ابن فضال، عن الصادق(ع)، عن أبيه(ع)، عن آبائه(ع): (ان علياً(ع) كان يباشر القتال بنفسه وكان لا يأخذ السلب).

٢٠ــ عدم قتل الاطفال

كما يدل على ذلك الاخبار المتقدمة ومنها الواردة في تصديق رسول الله(ص) حكم سعد، حيث أمر أن لا يقتل من لم يبلغ الحلم من رجال اليهود.

٢١ــ عدم قطع الاشجار، وعدم قطع الماء

روي عن رسول الله(ص)، إنه نهى عن قطع الشجر المثمر أو احراقه ــيعني في دار الحرب وغيرهاــ إلا أن يكون ذلك من صلاح للمسلمين، فقد قال الله عزوجل:

«ما قطعتم من لينة أوتركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين»(الحشر/٥)

كما أنه ورد: ان رسول الله لما أراد غزو خيبر دلّه بعض اليهود على ماء كان يجري لهم، وقال له: إن قطعت الماء عنهم استسلموا، فقال رسول الله(ص): لا أفعل ذلك فلم يقطع الماء عنهم.

كما ان علياً(ع) لم يقطع الماء عن أصحاب معاو ية.

القتل في منظار الاسلام

الاسلام جعل القتل والقتال في أقصى درجات الضرورة، ولذا شدد في قتل الناس ــ ظلماً ــ تشديداً كبيراً.

وفيمايلي عرض لبعض النصوص الواردة في هذا الحقل.

١ ــ تشدد الاسلام في قتل الناس ظلماً

عن بعضهم قال: سألت أبا جعفر(ع)، عن قول الله عزوجل:

من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعاً»(المائدة/٣٢)

قال: (له في النار مقعد إن قتل الناس جميعاً لم يرد إلا ذلك المقعد).

أقول: مع وضوح ان عذابه أشد كما يأتي وهذا لا فادة ان قتل انسان واحد ليس أمر هيّناً.

عن حمران قال: قلت لأ بي جعفر في معنى قول الله عزوجل:

«من أجل(٢) ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعاً»(المائدة/٣٢)

قال: قلت: كيف كأنما قتل الناس جميعاً، فربما قتل واحداً؟ فقال(ع): (يوضع في موضع من جهنم اليه ينتهي شدة عذاب أهلها لو قتل الناس جميعاً لكان انما يدخل ذلك المكان). قلت: قتل آخر؟ قال(ع): (يضاعف عليه).

وعن أبي اسامة زيد الشحام، عن أبي عبدالله: ان رسول الله(ص) وقف بمنى حين قضى مناسكها في حجة الوداع (الى أن قال):

(٢) أي من ذلك الأجل، فان الأجل بمعنى الوقت.

فقال: أي يوم أعظم حرمة؟

فقالوا: هذا اليوم.

فقال: فأي شهر أعظم حرمة؟

فقالوا هذا الشهر.

قال: فأي بلد أعظم حرمة؟

قالوا: هذا البلد.

قال: (فان دمائكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم، هذا في بلدكم،هذا الى يوم تلقونه فيسألكم عن أعمالكم، ألا هل بلّغت)؟

قالوا: نعم.

قال: اللهم أشهد. ألا من عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها فانه لا يحل دم امرىء مسلمٍ ولا ماله الا بطيبة نفسه، ولا تظلموا أنفسكم ولا ترجعوا بعدي كفاراً).

وعن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين(ع) قال: قال رسول الله(ص): (لا يغرنكم رحب الذراعين بالدم، فان له عند الله قاتلا لا يموت).

قالوا: يارسول الله(ص) وما قاتل لا يموت؟

فقال: النار).

وعن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر قال: قال رسول الله(ص): (أول ما يحكم الله فيه يوم القيامة الدماء فيوقف القاتل والمقتول بينهما، ثم الذين يلونهما من أصحاب الدماء حتى لا يبقى منهم أحد، ثم الناس بعد ذلك حتى يأتي المقتول بقاتله فيستشخب في دمه وجهه فيقول: هذا قتلني، فيقول: أنت قتلته؟ فلا يستطيع أن يكتم الله حديثاً).

وعن أبي الجارود، عن أبي جعفر(ع) قال: (ما من نفس تقتل نفساً إلا وهي تحشر يوم القيامة متعلقة بقاتله بيده اليمنى ورأسه بيده اليسرى وأوداجه تشخب دماً يقول: يارب سل هذا فيم قتلني، فان كان قتله في طاعة الله أثيب القاتل الجنة وأذهب بالمقتول الى النار، وان كان في طاعة فلان، قيل له: أقتله كما قتلك ثم يفعل الله فيهما بعد مشيئته).

وعن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله قال: (لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم

يصب دماً حراماً) قال: (ولا يوفق قاتل المؤمن متعمداً للتوبة).

أقول: اي أنه مقتضٍ لذلك.

وعن عبد الله بن سنان، عن رجل، عن أبي عبدالله قال: (لا يدخل الجنة سافك للدم، ولا شارب الخمر، ولا مشاء بنميم).

وعن حنان بن سدير، عن أبي عبدالله(ع) في قول الله عزوجل:

«ومن قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً»(المائدة/٣٢)

قال: (هو واد في جهنم لو قتل الناس جميعاً كان فيه ولو قتل نفساً واحدة كان فيه).

وعن محمد بن سنان، فيما كتب اليه الرضا(ع) في جواب مسائله: (حرم الله النفس لعلة فساد الخلق في تحليله لو أحل وفنائهم وفساد التدبير).

وعن أبان، عمن أخبره، عن أبي عبدالله(ع)، سأل عمن قتل نفساً متعمداً؟ قال: (جزائه جهنم).

وعن حفص بن البختري، عن أبي عبدالله(ع) قال: (ان امرأة عذبت في هرة ربطتها حتى ماتت عطشاً).

وعن الحلبي، عن أبي عبدالله(ع) قال:(أن أعتى الناس على الله من قتل غير قاتله ومن ضرب من لم يضربه).

وعن سليمان بن خالد قال: سمعت أبا عبدالله(ع) يقول: (أوحى الله الى موسى بن عمران(ع)، ان ياموسى قل للملأ من بني اسرائيل؛ اياكم وقتل النفس الحرام بغير حق، فان من قتل منكم نفساً في الدنيا قتلته مائة ألف قتلة مثل قتله صاحبه).

أقول: ذلك كما ينتج الحب ألوف الحبّاب، فان الآخرة نتيجة الدنيا.

وعن عبد الرحمن بن مسلم، عن أبيه قال: قال أبو جعفر(ع): (من قتل مؤمناً متعمداً أثبت الله على قاتله جميع الذنوب، و بريء المقتول منها، وذلك قول الله عزوجل:

«اني أريد أن تبوء بأثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار»(المائدة/٢٩)

وعن أيوب بن عطية الحذاء قال: سمعت أبا عبدالله يقول: ان علياً(ع) وجد كتاباً في قراب سيف رسول الله(ص) مثل الاصبع فيه: (ان أعتى الناس على الله القاتل غير

قاتله، والضارب غير ضاربه، ومن والى غير مواليه فقد كفر بما أنزل الله على محمد(ص)، ومن أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فلا يقبل منه صرفاً، ولا عدلاً، و لا يحل لمسلم أن يشفع في حد).

أقول: المراد الكفر العملي.

وروى السيد المرتضى في رسالة المحكم والمتشابه نقلاً من تفسير النعماني، باسناده عن علي(ع)، في حديث قال: (وأما ما لفظه خصوص ومعناه عموم، فقوله عزوجل:

«من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً»(المائدة/٣٢)

فنزل لفظ الآية في بني اسرائيل، خصوصاً وهو جار على جميع الخلق عاماً لكل العباد من بني اسرائيل وغيرهم من الامم ومثل هذا كثير).

وعن جعفر بن محمد، عن زيد بن أسلم: ان رسول الله(ص) سأل عمن أحدث حدثاً أو آوى محدثاً ما هو؟ فقال: (من ابتدع بدعة في الاسلام، أو قتل بغير حد، أو من انتهب نهبة يرفع اليها المسلمون أبصارهم، أو يدفع عن صاحب الحدث، أو يعينه).

وعن جعفر بن محمد، عن آبائه(ع)، في وصية النبي لعلي(ع) قال: (من انتمى الى غير مواليه فعليه لعنة الله، ومن منع أجيراً أجره فعليه لعنة الله، ومن أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله.

قيل: يارسول الله وما ذلك الحدث؟ قال: القتل ـ الى أن قال ـ ياعلي(ع) ان أعتى الناس على الله القاتل غير قاتله، والضارب غير ضاربه، ومن تولى غير مواليه فقد كفر بما أنزل الله عزوجل).

وعن أمية بن يزيد قال: قال رسول الله(ص): (من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل). قيل يارسول الله(ص) وما الحدث؟

قال: (من قتل نفساً بغير نفس، أو مثّل مثله بغير قود، أو ابتدع بدعة بغير سنة، أو انتهب نهبة ذات شرف). فقيل: ما العدل؟ قال: (الفدية) قيل: ما الصرف؟ قال (التوبة).

٢ ـ تحريم الاشتراك في القتل، والسعي فيه والرضا به

عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر(ع) قال: (ان الرجل ليأتي يوم القيامة ومعه قدر محجمة من دم فيقول: والله ما قتلت ولا شركت في دم، فيقال بلى ذكرت عبدي فلاناً. [أي عند من قتله].

وعن أبي حمزة، عن أحدهما(ع) قال: (أتى رسول الله فقيل له: يارسول الله قتيل في (جهينه)، فقام رسول الله يمشي حتى انتهى الى مسجدهم، وتسامع الناس فأتوه فقال: من قتل ذا؟

قالوا: يارسول الله ما ندري.

فقال: قتيل بين المسلمين لا يدري من قتله!

والذي بعثني بالحق لو ان أهل السماء والارض شركوا في دم امرء مسلم ورضوا بذلك لأكبهم الله على مناخرهم في النار، أو قال: (على وجوههم).

وعن حماد بن عثمان، عن أبي عبدالله(ع) قال: (يجيء يوم القيامة رجل الى رجل حتى يلطخه بالدم والناس في الحساب فيقول: ياعبدالله مالي ولك؟

فيقول: أعنت عليّ يوم كذا وكذا بكلمة فقتلت).

وعن ابن أبي عمير، عن غير واحد، عن أبي عبدالله(ع) قال: (من أعان على مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه: أيس من رحمة الله).

وعن مسعدة بن زياد، عن جعفر بن محمد، عن آبائه(ع) ان رسول الله(ص) قال: (ان أشر الناس يوم القيامة المثلث، قيل: يارسول الله وما المثلث؟ قال: الرجل يسعى بأخيه فيقتله فيهلك نفسه وأخاه وامامه).

٣ ـ ثبوت الارتداد باستحلال قتل المؤمن

عن سعيد الازرق: عن أبي عبدالله(ع) في رجل قتل رجلاً مؤمناً؟ قال: (يقال له: مت أي ميتة شئت، ان شئت يهودياً، وان شئت نصرانياً).

وعن محمد بن سالم، عن أبي جعفر(ع) في حديث قال: (لما اذن الله لنبيه في الخروج من مكة الى المدينة أنزل عليه الحدود وقسمة الفرائض وأخبره بالمعاصي التي أوجب الله عليها و بها النار لمن عمل بها، وأنزل في بيان القاتل:

«ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها،وغضب الله عليه ولعنه، وأعدّ له عذاباً عظيماً»(النساء/٩٣)

ولا يلعن الله مؤمناً، قال الله عزوجل:

«ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا، خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيرا»(الأحزاب/٦٤ــ٦٥)

وعن علي بن الحسين قال: قال رسول الله(ص): (سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه من معصية الله، وحرمة ماله كحرمة دمه).

٤ ــ تحريم الضرب بغير حق

عن الحلبي، عن أبي عبد الله(ع) قال: قال رسول الله(ص): (ان أعتى الناس على الله عزوجل من قتل غير قاتله، ومن ضرب من لم يضربه).

وعن مثنى، عن أبي عبدالله(ع) قال: وجد في قائم سيف رسول الله صحيفة: (ان أعتى الناس على الله القاتل غير قاتله، والضارب غير ضاربه، ومن ادعى لغير أبيه فهو كافر بما أنزل على محمد(ص)..).

وعن الوشا قال: سمعت الرضا(ع) يقول: قال: رسول الله(ص): (لعن الله من قتل غير قاتله، أو ضرب غير ضاربه).

وعن الثمالي قال: قال(ع): (لو ان رجلاً ضرب رجلاً سوطاً لضربه الله سوطاً من النار).

وعن الفضيل بن سعدان، عن أبي عبدالله(ع) قال: (كانت في ذوابة سيف رسول الله(ص) صحيفة مكتوب فيها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على من قتل غير قاتله، أو ضرب غير ضاربه، أو أحدث حدثاً، أو آوى محدثاً).

وعن الحسين بن زيد، عن الصادق، عن آبائه، عن النبي(ص) في حديث المناهي قال: (ومن لطم خد امرىء مسلم أو وجهه بدد الله عظامه يوم القيامة وحشر مغلولاً حتى يدخل جهنم إلا أن يتوب).

وعن الرضا، عن آبائه، عن علي(ع) قال: (ورثت من رسول الله كتابين: كتاب الله، وكتاباً في قراب سيفي، قيل: ياأميرالمؤمنين وما الكتاب الذي قراب سيفك؟! قال: من قتل غير قاتله، أو ضرب غير ضارب به فعليه لعنة الله).

وعن علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر(ع) قال: ابتدر الناس الى قراب سيف رسول الله(ص) بعد موته، فاذا صحيفة، صغيرة وجدوا فيها: (من آوى محدثاً فهو كافر، ومن تولى غير مواليه فعليه لعنة الله، وأعتى الناس على الله من قتل غير قاتله، أو ضرب غير ضاربه).

٥ ــ لا.. للانتحار

عن أبي ولاد الحناط قال: سمعت أبا عبدالله(ع) يقول: (من قتل نفسه متعمداً فهو في نار جهنم خالداً فيها).

قال الصادق(ع): (من قتل نفسه متعمداً فهو في نار جهنم خالداً فيها، قال الله عزوجل:

«ولا تقتلوا أنفسكم، ان الله كان بكم رحيما، ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً فسوف نصليه نارا، وكان ذلك على الله يسيرا»(النساء/٢٩ــ٣٠)

وعن أبي بصير، عن أبي جعفر(ع) قال: ذكر عند رسول الله(ص) رجل من أصحابه يقال له (قرنان) يحسن معونته لاخوانه، وذكره فقال: انه من أهل النار فأتي رسول الله(ص) وقيل: ان قرنان استشهد، فقال: يفعل الله ما يشاء ثم أتي فقيل: انه قتل نفسه، فقال: أشهد اني رسول الله).

وعن أبي سعيد الخدري قال: كنا نخرج في الغزوات مرافقين تسعة وعشرة، فنقسم العمل بعضنا في الرحال و بعضنا يعمل لأصحابه و يسقي ركابهم و يصنع طعامهم، وطائفة تذهب الى النبي(ص)، فاتفق في رحلتنا رجل يعمل عمل ثلاثة نفر يخيط

ويسقي ويصنع طعاماً، فذكر ذلك للنبي(ص) فقال: ذلك رجل من أهل النار، فلقينا العدو وقاتلناهم فخرج وأخذ الرجل سهماً فقتل به نفسه، فقال أشهد اني رسول الله وعبده.

وعن ناجية عن أبي جعفر(ع) في حديث قال: (إن المؤمن يبتلى بكل بلية ويموت بكل ميتة الا أنه لا يقتل نفسه).

٦ــ تحريم قتل الانسان ولده وان كان من الزنا

عن ابراهيم ابن أبي البلاد، عمن ذكره، عن أبي عبدالله(ع) قال: (كانت في زمن أميرالمؤمنين(ع) امرأة صدق يقال لها: (أم قنان) فأتاها رجل من أصحاب علي(ع) فوافقها مهتمة، فقال لها مالي أراك مهتمة؟

قالت: مولاة لي دفنتها فنبذتها الارض مرتين.

قال: فدخلت على أمير المؤمنين فأخبرته فقال: إن الارض لتقبل اليهودي والنصراني فما لها؟ إلاّ أن تكون تعذب بعذاب الله، ثم قال: أما أنه لو أخذت تربة من قبر رجل مسلم فألقى على قبرها لقرّت.

قال: فأتيت أم قنان فأخبرتها فأخذوا تربة من قبر رجل مسلم فألقى على قبرها فقرّت فسأل عنها ما كانت؟ فقالوا: كانت شديدة الحب للرجال، لا تزال قد ولدت والقت ولدها في التنور.

٧ــ حرمة الاجهاض

عن اسحاق بن عمار قال: قلت لأبي الحسن(ع): المرأة تخاف الحمل فتشرب الدواء فتلقي ما في بطنها؟ قال: لا، فقلت: انما هو نطفة، فقال: إن أول ما يخلق نطفة.

٨ـ عظم جريمة من قتل مؤمناً لأجل إيمانه

عن أبي عبد الله قال: (سأل عن المؤمن يقتل المؤمن متعمداً أهل له توبة؟ فقال: ان كان قتله لايمانه فلا توبة له، وان كان قتله لغضب أو لسبب من أمر الدنيا فان توبته أن يقاد، وإن لم يكن علم به إنطلق الى أولياء المقتول فأقرَّ عندهم بقتل صاحبهم، فان عفوا عنه فلم يقتلوه أعطاهم الدية وأعتق نسمة، وصام شهرين متتابعين، وأطعم ستين مسكيناً، توبة الى الله عزوجل).

أقول: المراد بـ(**لا توبة له**) شدة الذنب حتى كأنه لا توبة له، والا فكل الذنوب لها توبة كما دلت عليه الادلة.

وعن سماعة، عن أبي عبدالله(ع) قال: سأل عن قول الله عزوجل:

«**ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم**»(النساء/٩٣)

قال: (من قتل مؤمناً على دينه فذاك المتعمد الذي قال الله عزوجل:

«**واعدّ له عذاباً عظيماً**»(النساء/٩٣)

قلت: فالرجل يقع بينه و بين الرجل شيء فيضربه بسيفه فيقتله؟ فقال: ليس ذاك المتعمد الذي قال الله عزوجل.

٩ـ كفارة قتل المؤمن

عن عيسى الضرير قال: قلت لأ بي عبد الله(ع): رجل قتل رجلاً متعمداً ما توبته؟ قال: يمكّن من نفسه.

قلت: يخاف أن يقتلوه؟ قال: فليعطهم الديه.

قلت: يخاف أن يعلموا ذلك؟ قال: فلينظر الى الديه فليجعلها صُرراً ثم لينظر مواقيت الصلاة فيلقيها في دارهم).

وعن اسماعيل الجعفي قال: قلت لأ بي جعفر(ع): الرجل يقتل الرجل متعمداً؟ قال: (عليه ثلاث كفارات يعتق رقبة، و يصوم شهرين متتابعين، و يطعهم ستين

مسكيناً)، وقال: (أفتى علي بن الحسين(ع) بمثل ذلك).

وعن أبي المعزا، عن أبي عبدالله(ع) في الرجل يقتل العبد خطأ؟ قال: (عليه عتق رقبة وصيام شهرين متتابعين وصدقة على ستين مسكيناً). قال: (فان لم يقدر على الرقبة كان عليه الصيام، فان لم يستطع الصيام فعليه الصدقة).

وعن سماعة قال: سألته(ع) عمن قتل مؤمناً متعمداً هل له من توبة؟ قال: (لا حتى يؤدي ديته الى أهله و يعتق رقبة، و يصوم شهرين متتابعين، و يستغفر الله و يتوب اليه فيتطوع، فاني أرجو أن يتاب عليه اذا فعل ذلك).

قلت: فأن لم يكن له مال؟ قال: (يسأل المسلمين حتى يؤدي ديته الى أهله).

وعن الحلبي، عن أبي عبدالله في حديث أنه سأله عن رجل قتل مملوكه؟ قال: (يعتق رقبة، و يصوم شهرين متتابعين، ثم التوبة بعد ذلك).

١٠ ــ عقوبة قتل المؤمن

عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه، عن علي(ع) قال: قال رسول الله(ص): (إن في جهنم وادياً يقال: سعيرا اذا فتح ذلك الوادي ضجت النيران منه، أعده الله تعالى للقتالين).

وعن الصادق(ع) قال:

[أوحى الله الى موسى بن عمران قل للملأ من بني اسرائيل: إياكم وقتل النفس الحرام بغير حق، من قتل منكم نفساً في الدنيا قتله في النار مائة ألف قتلة مثل قتلة صاحبه].

وعن أمير المؤمنين(ع) إنه قال في قول الله حكاية عن أهل النار:

«ربنا أرنا اللذين أضلاّنا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الاسفلين»

قال: [إبليس وإبن آدم الذي قتل أخاه، لان هذا أول من عصى من الجن، وهذا أول من عصى من الانس].

وعن أمير المؤمنين(ع)، إنه قال:

[سفك الدماء بغير حقها يدعو الى حلول النقمة وزوال النعمة].

وعن النبي (ص) قال:

[ما عجت الأرض الى ربها كعجتها من دم حرام يسفك عليها].

وعنه (ص)، إنه قال:

[لقتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا].

وعنه (ص) قال:

[يأتي المقتول بقاتله يشخب دمه في وجهه، فيقول الله: أنت قتلته فلا يستطيع أن يكتم الله حديثاً فأمر به الى النار].

وعنه (ص) قال:

[أول ما ينظر الله بين الناس يوم القيامة الدماء].

وعن ابن عباس قال: سمعت النبي(ص) يقول: (يأتي المقتول يوم القيامة معلقاً رأسه باحدى يديه، ملبتباً قاتله بيده الاخرى، تشخب أوداجه دماً حتى يرفعا الى العرش، فيقول المقتول لله تبارك وتعالى: ربِّ هذا قتلني، فيقول الله عزووجل للقاتل: تعست، فيذهب به الى النار).

وعنه (ص)، إنه قال في حديث:

[ولا يقتل القاتل حين يقتل وهو مؤمن].

وعنه (ص) قال:

[أبغض الناس الى الله: ملحد في الحرم، ومبتغ في الاسلام سنة الجاهلية، ومطلب امرء بغير حق يهريق دمه].

وعنه (ص) قال:

[لزوال الدنيا أيسر على الله من قتل المؤمن].

وعنه (ص) قال:

[أول ما يقضي يوم القيامة الدماء].

وعن أيوب بن نوح، عن الرضا، عن آبائه(ع) قال: قال رسول الله(ص): (خمسة لا

تطفى نيرانهم ولا تموت أبدانهم: رجل أشرك، ورجل عقّ والديه، ورجل سعى بأخيه الى السلطان فقتله، ورجل قتل نفساً بغير نفس، ورجل أذنب ذنباً وحمل ذنبه على الله عزوجل).

وعن أبي اسحاق السبيعي قال: سمعت البراء بن عازب وزيد بن أرقم قالا: كنا عند رسول الله(ص) يوم غدير خم ونحن نرفع أغصان الشجر عن رأسه(ص) فقال: (لعن الله من ادعى الى غير أبيه، ولعن الله من تولى الى غير مواليه، والولد للفراش، وليس للوارث وصية، وقد سمعتم مني ورأيتموني، الا من كذب عليَّ متعمداً فليتبوء مقعده من النار، الا إن دمائكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا).

وعن النبي(ص) إنه خطب لما أراد الخروج الى تبوك بثنية الوداع، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

[أيها الناس إن أصدق الحديث كتاب الله ــ الى أن قال ــ سباب المؤمن فسوق، وقتال المؤمن كفر، وأكل لحمه معصية، وحرمة ماله كحرمة دمه].

وعن رسول الله(ص) أنه أتي بقتيل وجد في دور الانصار فقال: هل يعرف؟ قالوا نعم يارسول الله، قال:

[لو أن الأمة إجتمعت على قتل مؤمن لأكبها الله في نار جهنم].

وعنه (ص) قال:

[من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة، جاء يوم القيامة وهو آيس من رحمة الله].

وعن أبي سعيد الخدري قال: وجد قتيل على عهد رسول الله(ص) فخرج مغضباً حتى رقى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (يقتل رجل من المسلمين لا يدري من قتله؟ والذي نفسي بيده لو أن أهل السماوات والارض إجتمعوا على قتل مؤمن أو رضوا به لأدخلهم الله في النار، والذي نفسي بيده لا يجلد أحد أحداً إلا جلد غداً في نار جهنم مثله). الحديث.

وعن النبي (ص) قال:

[لو أن أهل السماوات السبع وأهل الأرضين السبع إشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله جميعاً في النار].

وعن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر(ع) يقول: (إن العبد يحشر يوم القيامة وما يدمى دماً فيدفع اليه شبه المحجمة أو فوق ذلك، فيقول له: هذا سهمك من دم فلان، فيقول: يارِبِّ إنك قبضتني وما سفكت دماً، قال: بلى سمعت من فلان كذا وكذا فرو يتها عنه فنقلت حتى صار الى فلان الجبار فقتله عليها فهذا سهمك من دمه).

وفي رواية أن الخوارج لما خرجوا من (الحرور) إستعرضوا الناس فقتلوا العبد الصالح عبدالله بن خباب بن الارت عامل علي(ع) على النهروان على شط النهر فوق خنزير وذبحوه وقالوا: ما ذبحنا لك ولهذا الخنزير إلا واحداً، و بقروا بطن زوجته وهي حامل، وذبحوها، وذبحوا طفله الرضيع فوقه فأخبروه(ع) بذلك، الى أن قال: فرجع(ع) الى النهروان واستعطفهم فأبوا الاّ قتاله وإستنطقهم بقتل ابن جناب فأقروا كلهم كتيبة بعد كتيبة، وقالوا لنقتلنك كما قتلناه، فقال(ع): والله لو أقرّ أهل الدنيا كلهم بقتله هكذا وأنا أقدر على قتلهم به لقتلتهم ــ الخبر.

أقول: الظاهر أن المراد اشتراكهم في ذنب القتل.

وعن اسحاق بن عمار عن أبي عبدالله(ع)، إنه تلا هذه الآية:

«ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله و يقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون»(البقرة/٦١)

فقال: (والله ما ضربوهم بأيديهم ولا قتلوهم بأسيافهم ولكن سمعوا أحاديثهم فأذاعوها فاخذوا عليها فقتلوا فصار قتلاً وإعتداءاً ومعصية).

وعن رفاعة النحاس قال: قال لي ابو عبدالله(ع): (يا رفاعه الا أحدثك بأشد أهل النار عذاباً؟) قلت: بلىٰ، قال: (من أعان على مؤمن بشطر كلمة).

وعن أمير المؤمنين(ع) انه قال:

[الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم، ولكل داخل في باطل إثمان: إثم الرضا به، وإثم العمل به].

وقال (ع):

[من أعان على مؤمن فقد بريء من الاسلام].

وعن علي (ع) قال:

[أبغض الخلق الى الله عزوجل من جرد ظهر مسلم بغير حق].

وعن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبدالله(ع) قال: قال أميرالمؤمنين(ع): (أيها الناس إن الله تبارك وتعالى أرسل اليكم الرسول، وأنزل اليه الكتاب بالحق وأنتم أميون عن الكتاب، ومن أنزله وعن الرسول، ومن أرسله على حين فترة من الرسل وطول محنة من الامم وإنبساط من الجهل ـ الى أن قال ـ: والدنيا متهجمة في وجوه أهلها مكفهرة مدبرة غير مقبلة، ثمرها الفتنة، وطعامها الجيفة، وشعارها الخوف، ودثارها السيف، مزقتم كل ممزق، وقد أعمت عيون أهلها، وأظلت عليها أيامها قد قطعوا أرحامهم، وسفكوا دمائهم، ودفنوا في التراب الموؤذة بينهم من أولادهم، يختارون دونهم طيب العيش ورفاهية، خفوض الدنيا لا يرجون من الله ثواباً ولا يخافون والله منه عقاباً حيهم أعمى يحس وميتهم في النار مبلس) (الخطبة).

وعن علي بن ابراهيم في قوله تعالى:

«واذا الموؤدة سُئلت بأيّ ذنبٍ قُتِلَت»(التكوير/٨ـ٩)

قال: (كانت العرب يقتلون البنات للغيرة، فاذا كان يوم القيامة سألت الموؤدة بأي ذنب قتلت؟).

وعن رسول الله(ص)، إنه قال:

[أكبر الكبائر أن تجعل لله أنداداً وهو خلقكم، ثم أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك ـ الخبر].

وعن عبد الله بن مسعود قال: قلت لرسول الله(ص): أي ذنب أعظم؟ قال: (أن تجعل لله شريكاً).

وعن النبي (ص) قال:

[إن أعتى الناس على الله القاتل غير قاتله، والقاتل في الحرم، والقاتل بذحل الجاهلية].

وعن علي بن ابراهيم في تفسيره في قوله تعالى:

«ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه، وأعدَّ له عذاباً عظيماً»(النساء/٩٣)

قال (ع):

[من قتل مؤمناً على دينه لم تقبل توبته، ومن يقتل نبياً أو وصي نبي فلا توبة له لأنه لا يكون مثله فيقاد به، وقد يكون الرجل بين المشركين واليهود والنصارى يقتل رجلاً من المسلمين على أنه مسلم، فاذا دخل في الاسلام محاه الله عنه لقول رسول الله(ص): (الاسلام يجبّ ما كان قبله)].

أي يمحو، لأن أعظم الذنوب عند الله هو الشرك بالله، فاذا قبلت توبته في الشرك قبلت فيما سواه فأما قول الصادق(ع):

[فليست له توبة].

فانه عنى من قتل نبياً أو وصياً فليست له توبة لانه لا يقاد أحد بالانبياء إلا الانبياء، و بالاوصياء الاّ الاوصياء، والانبياء والاوصياء لا يقتل بعضهم بعضاً، وغير النبي والوصي لا يكون مثل النبي والوصي فيقاد به وقاتلهما لا يوفق للتوبة).

وروى محمد بن علي بن شهرآشوب في المناقب قال: كان الزهري عاملاً لبني أميه فعاقب رجلاً فمات الرجل من العقوبة، فخرج هائماً وتوحش ودخل الى غار فطال مقامه تسع سنين، وحج علي بن الحسين(ع) فأتاه الزهري، فقال له علي بن الحسين(ع) اني أخاف عليم من قنوطك ما لا أخاف عليك من ذنبك فابعث بديةٍ مسلّمة الى أهله واخرج الى أهلك ومعالم دينك، فقال له: فرّجت عني ياسيدي، الله أعلم حيث يجعل رسالته ورجع الى بيته فلزم على بن الحسين(ع) وكان يُعد من أصحابه.

الفصل الخامس:

من عوامل تقدم المسلمين عند ظهور الاسلام

نذكر في هذا الفصل جملة من الامور التي سببت تقدم المسلمين ذاك التقدم الهائل وإنقاذهم للعالم من براثن الكفر والجهل والمرض والغفلة والفوضى والحروب وما أشبه التي شملت العالم قبل بزوغ الاسلام. ولابد ــ في سبيل إعادة العالم الى استقراره ورفاهه وحريته وسلامته من جديد ــ من تحلي المسلمين بهذه الصفات والتي ذكرت في القرآن الحكيم في مئات الآيات، وفي السيرة الطاهرة في الوف الروايات، كما طبقها الرسول(ص)، و بعض خلفائه على المسلمين أبان حكمهم.

والامور التي نذكرها في هذا الفصل عشرة:

أولاً: تجنب الملذات المعوقة عن الانطلاق.

ان المسلم كان يتجنب الملاذ فلا يهتم بالحياة بقدر اهتمامه بانقاذ الناس واخراجهم من الظلمات الى النور.

ونذكر هنا جملة من الآيات المذكورة في القرآن الحكيم في هذا الصدد.

قال سبحانه:

«الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون»(التوبة/٢٠)

وقال سبحانه:

«قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم، وأموال إقترفتموها، وتجارة تخشون كسادها، ومساكن ترضونها، أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره، والله لا يهدي القوم الفاسقين»(التوبة/٢٤)

فنرى في هذه الآية المباركة ان الواجب على الانسان المسلم أن يتجنب كل المشتهيات من آباء وأبناء واخوان وأزواج وعشيرة وأموال وتجارة ومساكن و يستعيض عن كل ذلك بالحب لله ولرسوله والجهاد في سبيله، والا فانه ليس من الاسلام في شيء، و يسميه الله سبحانه وتعالى فاسقاً فيقول:

«فتربصوا حتى يأتي الله بأمره»(التوبة/٢٤)

حيث ان الله يأتي بأمره بسبب مؤمنين من هذا الطراز.

«**والله لا يهدي القوم الفاسقين**»(التوبة/٢٤)

فالمسلم الذي لا يكون الله ورسوله والجهاد في سبيله أحب اليه من هذه الامور فهو فاسق في منطق القرآن خارج عن أوامر الله تعالى:

وقال تعالى:

«**ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين**»(النساء/٧٥)

فالقتال أما لأجل تطهير الافكار عن الخرافة وتطبيق شريعة الله، وأما لأجل انقاذ المستضعفين من براثن المستكبرين.

وقال سبحانه ليذكر المسلمين بما يجب عليهم:

«**ياأيها الذين آمنوا ان كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم، يوم يحمى عليها في نار جهنم، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون**»(التوبة/٣٤ــ٣٥)

وهذه الآية الكريمة تعريض بالذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله، فاللازم على المسلم أن لا يكنز الذهب والفضة، بل ينفق الذهب والفضة في سبيل الله، حسب الموازين المقررة في الشريعة الاسلامية وجوباً واستحباباً.

ويقول سبحانه:

«**ياأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم: انفروا في سبيل الله، اثاقلتم الى الارض؟ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة؟، فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل، إلاّ تنفروا يعذبكم عذاباً أليما، ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً، والله على كل شيء قدير**»(التوبة/٣٨ــ٣٩)

فاللازم على المسلم أن ينفر في سبيل الله سواء كان سبيل الجهاد، أو سبيل التبليغ، أو سبيل الاصلاح والهداية أو سائر السبل، ولا يجوز أن يثاقل الى الارض من جهة مال أو زوجة أو تجارة أو مسكن أو ما أشبه، والا كان راضياً بالحياة الدنيا بدلاً من الآخرة،

واللازم على المسلم أن يعلم ان الحياة الدنيا بالنسبة الى الآخرة متاع قليل، وانه اذا لم ينفر في سبيل الله فان الله سيعذبه عذاباً أليماً، وانه يذهب و يأتي بعده غيره ممن لا يكون مثله.

و يقول الله سبحانه:

«انفروا خفافاً وثقالاً، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون، لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لا تبعوك، ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم، والله يعلم انهم لكاذبون»(التوبة/٤١ــ٤٢)

وفي هذه الآية يأمر الله سبحانه وتعالى بالنفر، سواء كان الانسان خفيفاً أو ثقيلاً، خفيفاً من جهة الجسد أو ثقيلاً، شاباً أو شيخاً، مديناً أو غير مدين، بديناً أو غير بدين، واللازم عليه أن يجاهد بماله و بنفسه في سبيل الله، وان لا يفرق بين السفر القريب والسفر البعيد والهدف البعيد والهدف القريب، وان هؤلاء الذين يفرقون بين السفرين و يفرقون بين الخفيف والثقيل انما يهلكون أنفسهم وعند الله هم الكاذبون.

ثم يقول الله سبحانه وتعالى:

لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم، والله عليم بالمتقين، إنّما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم، فهم في ريبهم يتردّدون»(التوبة/٤٤/٤٥)

فاللازم أن لا يستأذن المؤمن بالنسبة الى الجهاد بماله و بنفسه سفراً وحضرا، والذي يستأذن فهو عند الله غير مؤمن وهو عند الله مرتاب القلب وان كان يصلي و يصوم ويحج و يلتزم بكثير من لوازم الايمان.

و يقول سبحانه وتعالى:

«ولوا أرادوا الخروج لأعدوا له عدة، ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين»(التوبة/٤٦)

فالمسلم اذا أراد الخروج أعدّ العدة وذلك دليل ارادته الحركة، ومن لا يعدّ العدة فهو مبغوض عند الله سبحانه وتعالى و يكره الله انبعاثه فيثبطه ويجعله قاعداً مع القاعدين.

و يقول سبحانه:

«قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين؟ ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا، فتربصوا إنا معكم متربصون؟ قل انفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم، انكم كنتم قوماً فاسقين، وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى، ولا ينفقون الا وهم كارهون، فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم، انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا، وتزهق أنفسهم وهم كافرون، ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون، لو يجدون ملجأ أومغارات أومدّخلاً لولوا اليه وهم يجمحون»(التوبة/٥٢ــ٥٧)

ففي هذه الآيات يذكر الله سبحانه وتعالى المؤمنين ــ الذين يستعدون للحركة مع رسول الله(ص) حسب أوامره ــ ان لهم احدى الحسنيين، أما حياة سعيدة، وأما جنة عرضها السماوات والارض، وأما غير هؤلاء من الذين لا يتحركون يلازمون ملاذهم، فالله سبحانه وتعالى أما يعذبهم بأيدي المؤمنين أو يعذبهم بعذاب من عنده، ثم ان هؤلاء لا تقبل نفقاتهم سواء أنفقوا طوعاً أو كرهاً لانهم كانوا قوماً فاسقين، والله سبحانه وتعالى انما يتقبل من المتقين، ثم ان الله سبحانه وتعالى لا يتركهم وشأنهم ولا يقبل ايمانهم، وانما يقول ان الله لا يقبل نفقاتهم لانهم كفروا بالله و برسوله، وحتى ان صلاتهم ليست صلاة مقبولة عند الله، لان اتيانهم بالصلاة في حالة الكسل، وانفاقهم في حالة الكره منهم، فهؤلاء حتى اذا كانت أجسامهم جميلة وأولادهم كثيرين فان ذلك من أسباب عذابهم.

«ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون»(التوبة/٥٥)

ثم يقول الله: (انهم يحلفون بأنهم منكم، لكنهم ليسوا منكم، بل انهم قوم جبناء، ولو أنهم وجدوا ملجأ يلجؤون اليه أو مغارات في الكهوف أو مدخلاً أي أماكن يتمكنون من الدخول فيها لولوا اليه وهم يجمحون بصورة مسرعة حتى يتجنبوا الاخطار.

فانظروا الى هذه الآيات الكريمات أي عمل تعمل بقلوب المسلمين؟ وكيف

تجنبهم الملذات المانعة من تبليغ رسالة الله سبحانه وتعالى ومن انقاذ المستضعفين من أيدي المستكبرين.

ثم يصف الله الذين لا يتصفون بهذه الصفات الموجبة للانطلاق والحركة حتى يتجنب المؤمنون أن يكونوا مثلهم بقوله:

«رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون، لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون، أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم»(التوبة/٨٧ــ٨٨)

نعم لا بأس على الذين لا يتمكنون، ولذا قال سبحانه:

«ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ولرسوله ما على المحسنين من سبيل، والله غفور رحيم»(التوبة/٩١)

وهكذا كان شأن المسلمين السابقين تجنب الملاذ لأجل الله، ولأجل رسوله.

ثانياً: الاستهانة بالأخطار في سبيل الهدف

قال سبحانه:

«الا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهمّوا باخراج الرسول وهم بدؤوكم أول مرة؟، أتخشونهم؟، فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين»(التوبة/١٣)

حيث نفى سبحانه وتعالى في هذه الآية خشية المؤمن من شيء غير الله سبحانه وتعالى فالله أحق أن يخشوه اذا كانوا مؤمنين.

وقال سبحانه:

«أم حسبتم أن تتركوا ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجةً والله خبير بما تعملون»(التوبة/١٦)

فاللازم على الانسان المسلم أن يجاهد في سبيل الله، ولا يتخذ من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجةً يلج اليها ويخرج منها، بل يلزم أن يكون دخوله وخروجه الى

حكم الله ومن حكم الله سبحانه وتعالى، فصدروه ووروده يكون حسب القوانين الاسلامية فقط.

والاعمال الصالحة ليست بمنزلة الاستهانة بالاخطار والجهاد في سبيل الله، قال سبحانه:

«أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله، والله لا يهدي القوم الظالمين، الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله، وأولئك هم الفائزون»(التوبة/١٩ــ٢٠)

فالمسلم هو الذي يستهين بالاخطار، ويجاهد في سبيل الله، و يترك ماله وأهله و يهاجر، وليس من يعطي الحاج الماء و يعمر المسجد الحرام (على ثوابهما) كمثل هذا الانسان.

وقال سبحانه:

«ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون و يُقتَلون، وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله؟، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم»(التوبة/١١١)

وهذه الآية تدعو الانسان الى أن يخرج من نفسه وماله في قبال ان له الجنة، ولم يخصص النفس بشيء ولا المال بقدر، وانما اللازم أن يبيع الكل فيقتل و يقتل، ومن الواضح صعوبة أن يبيع الانسان نفسه وماله، كما ان من الصعوبة أن يقاتل فيقتل و يقتل.

وفي آية أخرى:

«لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم»(التوبة/١١٧)

(الى أن قال سبحانه):

«وما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه، ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدوّ نيلاً الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين، ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون»(التوبة/١٢٠ــ١٢١)

فالمسلم يجب أن يتبع الرسول في ساعة العسرة، ومن المعلوم ان ما يسميه الاسلام والقرآن (عسرة) هو أشد العسرات ــ كما ورد في التواريخ ــ كما ان الخوف أحياناً يصل بالانسان الى ان كاد يزيغ قلبه، وهذا أيضاً شيء يصعب تحمّله على الانسان، فاللازم أن يوقع الانسان نفسه في مثل هذه المشاكل والمهالك اذا اقتضت طبيعة العمل ذلك.

والحرب والسفر وقطع الفيافي توجب أن يصيب الانسان الظمأ والنصب والمخمصة، وكل هذه الامور صعبة وأخطارها تكون أحياناً جسيمة.

ثالثاً: الطاعة المطلقة للقيادة

قال سبحانه:

«واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا»(النساء/٦١)

فوصف المنافقين بأن هم الذين لا يطيعون الرسول، أما المؤمنون فانهم يطيعون الرسول في كل صغيرة وكبيرة.

ثم قال سبحانه:

«وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله، ولو انهم، اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً، فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت و يسلموا تسليما، ولو انا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو أخرجوا من

ديـاركـم مـا فـعـلوه الا قليل منهم، ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتا»(النساء/٦٤ـ٦٥)

(الى أن قال):

«ومـن يـطـع الله والـرسـول فـأولـئـك مـع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا»(النساء/٦٩)

فـان الـواجـب على المسلم أن يكون هكذا حتى انه لا يجد في نفسه حرجاً مما قضى الرسول في كل كبيرة أو صغيرة، والا لم يكن مؤمناً.

وقال سبحانه:

«ان الله ومـلائـكـتـه يصلّون على الـنـبـي يـاأيـهـا الـذيـن آمـنـوا صلوا عليه وسلموا تسليما»(الأحزاب/٥٦)

فالمؤمن مأمور بالتسليم للنبي(ص) في كل اموره.

وحـيـث كـان المسلمون يسلّمون لرسول الله في كل كبيرة وصغيرة، وكانت قيادة الـرسـول(ص) قـيادة شعبية الى أبعد حد مما يوجب التفاف المسلمين حوله سبب ذلك تـقـدمـهـم، ولـذا نرى المسلمين يخوضون تحت لواء رسول الله أكثر من ثمانين حرباً في مـدة عشر سنوات، أي بمعدل ثمانية حروب في كل سنة، وحرب ونصف في كل شهر وإذا لاحـظـنـا ان الحـروب والاسـفـار الـسابقة كانت تستغرق وقتاً كبيراً في الذهاب والايـاب وقـطـع الفيافي، كما كانت تستلزم في كثير من الاوقات الجوع والعطش وما أشبه لعلمنا مدى حدود طاعة الجماهير لرسول الله(ص).

رابعاً: الرغبة الصادقة في الانقاذ

فقد كان المسلمون يتحرقون شوقاً لانقاذ المستضعفين ونشر كلمة الله في الارض.

قال سبحانه :

«واذا سـمـعـوا مـا أنـزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا مـن الحـق، يـقـولـون: ربـنـا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين، وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين، فأثابهم الله بما قالوا

جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين»(المائدة/٨٣ــ٨٥)

فأيّ شوق في النفس يوجب أن تفيض العين بالدمع بسبب معرفتها الحق؟ وطبيعي جداً بعد ذلك أن يندفع مثل هذا الانسان الى الأمام دون أن يلوىٰ على شيء حتى يصل الى الهدف، كما كان أصحاب رسول الله(ص) كذلك.

وفي آية أخرى :

«**ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألاّ يجدوا ما ينفقون**»(التوبة/٩٢)

فان هؤلاء كانوا يريدون الجهاد، ولكن بعد الطرق وعدم التمكن من المشي وعدم توفر الراحلة لهم كانت تسبب ان تفيض أعينهم من الدموع حزناً وأسفاً على عدم تمكنهم من الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى.

خامساً : الأخلاقيات المثالية للقاعدة

فقد كانت تسود القاعدة الأخلاقيات النموذجية سواء فيما بينهم، أو مع العدو، أو في أنفسهم، وكان ذلك مما أوجب دخول الناس في دين الله أفواجاً، فان الانسان بطبيعته يلتف حول ذوي الأخلاق الرفيعة، بينما يتبرأ الناس من الذين لا أخلاق لهم بل ان الانسان يتبرأ من نفسه اذا رأى في ذاته مواصفات سيئة.

وفي هذه الآيات المباركات تتجلى الأخلاقيات الرفيعة التي أمر الله بها فوفرها المسلمون في أنفسهم.

قال الله سبحانه:

«**لقد نصركم الله في مواطن كثيرة و يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين**»(التوبة/٢٥)

فان المحارب اذا رأى كثرة عدده تملكه الغرور والكبر، لكن حتى هذا الاحساس الباطني ممنوع في الاسلام كما يظهر من ذمّ الآية للمسلمين في يوم حنين لعجبهم

بكثرتهم، فاللازم أن تكون نفوس المسلمين مطمئنة بنصر الله سبحانه وتعالى لا غروراً وكبرياء ، ولذا قال بعد ذلك:

«ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين، ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم»(التوبة/٢٦ــ٢٧)

وفي آية أخرى يقول سبحانه:

«ومنهم الذين يؤذون النبي و يقولون: هو أُذُن قل: أُذُنُ خير لكم يؤمن بالله، و يؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم، والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم»(التوبة/٦١)

فالله سبحانه وتعالى يصف النبي بأنه (اذن) و بأنه (رحمة)، وقد تحلى المسلمون بهذه الصفات الرفيعة اقتداءاً برسول الله(ص) ومن المعلوم مدى التأثير الذي يخلقه (أذن) أو (رحمة) في المجتمع.

وقال سبحانه:

«ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر و يتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم»(التوبة/٩٩)

(ثم قال):

«خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلِّ عليهم ان صلاتك سكن لهم، والله سميع عليم»(التوبة/١٠٣)

فقد كان المسلمون يبذلون الاموال في سبيل تقدم الاسلام، حتى ان بعضهم كان يعطي نصف ماله أو أكثر في سبيل تقدم الاسلام والمسلمين، ومن المعلوم ان صفة الكرم والبذل من الصفات التي توجب تقدم الامة الى الأمام، وفي قبالهم البخلاء الذين كانوا مذمومين ولم يكن المسلمون الاوائل بخلاء الا نادراً.

قال سبحانه:

«ان الله لا يحب من كان مختالاً فخورا، الذين يبخلون و يأمرون الناس بالبخل

ويكتمون ما أتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً، والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قرينا»(النساء/٣٦ــ٣٧)

فالمختال الفخور والذي يبخل و يأمر الناس بالبخل و يكتم ما أتاه الله من فضله والذي ينفق أمواله رئاء الناس، كل هؤلاء يعتبرون كافرين عند الله سبحانه وتعالى حيث قال سبحانه:

«واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً»(النساء/٣٧)

وهؤلاء الذين ينفقون رئاء الناس قرناء الشيطان حيث قال:

«ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قرينا»(النساء/٣٨)

وكذلك قال سبحانه:

«ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم؟ بل الله يزكّي من يشاء ولا يظلمون فتيلاً»(النساء/٤٩)

فمن أخلاق المسلم أن لا يزكّي نفسه، بل ان يرى نفسه دائماً دون المستوى المطلوب منه.

وقال سبحانه:

«لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم، فان تولوا فقل: حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم»(التوبة/١٢٨ــ١٢٩)

فاللازم في الأخلاقيات الاسلامية أن يكون المسلم كالرسول عزيز عليه عنت المسلمين، حريص عليهم رؤوف رحيم بهم.

وقال سبحانه:

«ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، ان الله يعلم ما تفعلون. ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً تتخذون ايمانكم دخلاً بينكم أن

تكون أمّة هي اربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبيّن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون»(النحل ٩٠ــ٩٢)

(الى أن قال):

«ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً إنما عند الله هوخير لكم ان كنتم تعلمون»(النحل/٩٥)

فالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى، والتجنب عن الفحشاء والمنكر والبغي، والوفاء بعهد الله سبحانه وتعالى، وعدم نقض اليمين، وعدم كون المجتمع متفرقاً كالمرأة التي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً،، وعدم اتخاذ الايمان دخلاً موجبة للمفسدة بأن يكون الايمان منطلقاً لأمر نفسي سيء ــ هو أن تكون أمة هي أربى من أمةٍ ــ وعدم الاشتراء بعهد الله ثمناً قليلاً هذه أخلاقيات رفيعة ايجابية تارة وسلبية اخرى، وقد كان المسلمون يتصفون بها وهي التي سببت تقدمهم ذلك التقدم السريع المتجذر الهائل.

وقال سبحانه:

«ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعمّا يعظكم به ان الله كان سميعاً بصيرا»(النساء/٥٨)

(الى أن قال):

«ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك، وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به، ويريد الشيطان أن يضلّهم ضلالاً بعيداً»(النساء/٦٠)

فالله سبحانه وتعالى يأمر بأداء الأمانات الى أهلها، سواء كانت أمانات مالية أو أمانات أرضية أو أمانات علمية أو غيرها، وان على الانسان اذا حكم بين الناس أن يحكم بالعدل سواء الصديق أو العدو أو القريب أو الغريب أو الرحم او غير الرحم او الجار او غير الجار وهكذا.

كما ان اللازم على الانسان فيما لو وقعت له مشكلة أن لا يتحاكم الى الطاغوت بل عليه أن يتحاكم الى الله والى الرسول(ص) والى المنصوبين من قبله.

وقال سبحانه:

«ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدُّوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب»(المائدة/٢)

وقال سبحانه:

«يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألاّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى، واتقوا الله، ان الله خبير بما تعملون»(المائدة/٨)

فاللازم على المسلم أن **لا توجب** عداوته لقوم أن لا يحكم بالحق وان يعتدي، كما ان اخراجه من دياره وصده عن المسجد الحرام، حيثما يريد زيارته لا يوجب أن يعتدي أو لا يعدل، بل اللازم عليه العدل والتعاون على البر والتقوى وعدم التعاون على الاثم والعدوان، والتقوى من الله سبحانه وتعالى في كل ذلك، فانه ان لم يفعل ذلك كما أمر، فان الله شديد العقاب.

وعلى الانسان أن يكون قواماً لله (والقوام كما هو معروف صيغة مبالغة، يعني دائم القيمومة لأجل الله سبحانه وتعالى، لا لأجل المال ولا لأجل الرئاسة، ولا لأجل الأهل، ولا لأجل الشهوة، ولا لأجل المنصب أو ما أشبه) «شهداء بالقسط» أي يشهد بالقسط ولا يسبب له شنآن قوم على ان لا يعدل، فان العدل هو أقرب للتقوى. واللازم على الانسان أن يتقي الله في كل هذه الامور، فان الله خبير بما يعمله الانسان واذا عمل بهذه الامور وكان مؤمناً فقد وعده الله سبحانه وتعالى مغفرة وأجراً عظيماً.

أما من كفر وكذب فأولئك أصحاب الجحيم كما قال سبحانه في ذيل الآية الثانية:

«وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم»(الفتح/٢٩)

وقال سبحانه:

«ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله

لا يحب كل مختال فخور، الذين يبخلون و يأمرون الناس بالبخل ومن يتولّ فان الله هو الغني الحميد»(الحديد/٢٢ـ٢٤)

فالـلازم على الانـسـان أن لا يهتم بالمصائب، ولا يفرح بما يأتيه، وان لا يكون مختالاً فخوراً، ولا يكون بخيلاً، ولا يأمر الناس بالبخل.

ثم قال سبحانه:

«**لقد أرسلنا رُسُلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس، وليعلم الله من ينصره ورُسُله بالغيب إن الله قوي عزيز**»(الحديد/٢٥)

فالهدف المهم من ارسال الرسل أن يقوم الناس بالقسط، وان يدفعوا المعتدي بسبب الحديد الذي فيه بأس شديد.

وهذه كانت صفة رسول الله وصفة أصحابه ـ إلا من خرج منهم ـ فقد كانوا متصفين بهذه الصفات الرفيعة التي أوجبت تقدمهم الى الأمام ذلك التقدم المعروف.

سادساً: عدم التمايز في الحقوق

عدم ترفع بعضهم عن بعض، فالشخص بمجرد اسلامه يكون كسائر المسلمين في كل الشؤون من الصلاة والصيام والحج والنكاح والطلاق والارث والجهاد والاشتراك في بيت المال وكونه طرف المشورة فيكون متساو ياً في كل الجهات مع سائر المسلمين، بل إن الرسول(ص) على عظمته كان يستشيرهم كما تقدم في قوله سبحانه:

«**شاورهم**»(آل عمران/١٥٩)

وفي قوله

«**وأمرهم شورى بينهم**»(الشورى/٣٨)

وتلمح طرفاً من هذا التساوي في قوله سبحانه:

«**إنَّ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض، والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا، وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر، إلاّ على قوم**

بينكم وبينهم ميثاق، والله بما تعملون بصير»(الأنفال/٧٢)
(الى أن قال):
«والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله، والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم»(الأنفال/٧٤)

فكان المسلم يؤوي المسلم في داره و ينصره، و يواليه، وكلهم وحدة واحدة في كل الشؤون، كلهم سواء أمام القانون الاسلامي.

وقد قال رسول الله(ص):

[مثل المؤمنين في توادهم وتحاببهم كالجسد الواحد اذا اشتكى عضو اشتكت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى].

وفي رواية أخرى، عنه(ص): (من نادى ياللمسلمين فلم يجيبوه فليسوا بمسلمين).

الى غير ذلك من مظاهر عدم ترفع بعضهم على بعض فكان الشريف يزوج الوضيع والغني يعاشر الفقير، والقوي يساوي الضعيف، وكانوا يتساوون في كل الشؤون، و بنفس هذا الخلق الرفيع صار المسلمون وحدة واحدة يقابلون العالم كله، و بذلك وغيره من الدساتير السماو ية تمكنوا من ذلك التقدم السريع.

سابعاً: العدل والاحسان

فقد قال سبحانه:

«إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى، و ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون»(النحل/٩٠)

وفي هذه الآية دليل على وجوب الاحسان أيضاً اضافة الى العدل لأنه:

أولاً: أردف بالعدل، والعدل واجب.

ثانياً: وقع مأموراً به، ومادة (الأمر) تدل على الوجوب كما قرره الاصوليون.

ثالثاً: قورن بالنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي والثلاثة محرمات فما في مقابلها واجب.

بالاضافة الى قوله تعالى:

«**يعظكم لعلكم تذكرون**»(النحل/٩٠)

حيث يكون الظاهر منه الوجوب.

وقورن أيضاً بالآية التي بعدها، وهي قوله سبحانه:

«**واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم، ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، ان الله يعلم ما تفعلون، ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا**»(النحل/٩١ــ٩٢)

ومن الواضح ان الوفاء بالعهد واجب ونقض الايمان والتفرق محرمان.

وفي آية أخرى:

«**ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين، ان يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما، فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا، وإن تلوا أو تعرضوا، فان الله كان بما تعملون خبيرا**»(النساء/١٣٥)

فالعدل واجب ولو على النفس والوالدين والاقربين، سواء كانوا أغنياء أو فقراء، فان الله أولى بهما، وفي قبال ذلك اتباع الهوى، ومن تجاوز عن العدل أو أعرض عنه، فان الله خبير بما يعمل وسوف يحاسبه في الدنيا وفي الآخرة.

وفي آية أخرى:

«**وإن خفتم ألاّ تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع، فان خفتم ألاّ تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألاّ تعولوا**»(النساء/٣)

وقال سبحانه:

«**فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب، وأمرت لأعدل بينكم، الله ربنا وربكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، لا حُجة بيننا وبينكم، الله يجمع بيننا واليه المصير**»(الشورى/١٥)

فالله سبحانه وتعالى أمر النبي(ص) بالعدل بين الجميع بالاضافة الى الاستقامة وعدم اتباع الاهواء كان ذلك خلق المسلمين لانهم اتبعوا(ص) في عدالته.

الى غيرها من الايات الواردة في العدل بمختلف الالفاظ.

وكذلك بالنسبة الى آيات الاحسان.

قال سبحانه:

«وإذ أخذنا بني اسرائيل لا تعبدون إلاّ الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين، وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، ثم توليتم إلاّ قليلاً منكم وأنتم معرضون»(البقرة/٨٣)

فالاحسان بالنسبة الى الوالدين وذي القربى واليتامى والمساكين والقول للناس جميعاً بالحسن هو الامر الواجب الذي أخذ الله عليه ميثاق الامم قبل المسلمين، وفي ذلك تعريض بأنه يجب على المسلمين أن يتبعوا ذلك كله، كما يدل عليه «لا تعبدون إلا الله» وقوله «وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة».

وفي آية أخرى:

«واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً، وبذي القربى واليتامى والمساكين، والجار ذي القربى، والجار الجُنب، والصاحب بالجنب، وابن السبيل وما ملكت أيمانكم، ان الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً»(النساء/٣٦)

فان الانسان الذي لا يحسن يحسب في عداد المختال المتكبر الذي يفتخر بما عنده و يترفع على الناس ومن الواضح ان المختال الفخور عمله حرام.

وفي آية أخرى:

«فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤوك يحلفون بالله إن أردنا إلاّ إحساناً وتوفيقاً»(النساء/٦٢)

وقال تعالى:

«ما على المحسنين من سبيل»(التوبة/٩١)

وفي آية أخرى:

«والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبُلنا، وإن الله لمع المحسنين»(العنكبوت/٦٩)

الى غيرها من الآيات الواردة في العدل والاحسان.

ثامناً: الوحدة والوفاق

قال سبحانه:

«واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءاً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون»(آل عمران/١٠٣)

(الى أن قال):

«ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم»

وقال سبحانه:

«إنَّ الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء، إنَّما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون»(الأنعام/١٥٩)

وقال سبحانه:

«فأقم وجهك للدين حنيفاً، فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيّم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين، من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً، كل حزب بما لديهم فرحون»(الروم/٣٠ــ٣٢)

فالمفرق يعتبر من المشركين، وهو خارج عن زمرة المسلمين الذين لهم الصفات السابقة من اقامة الوجه للدين والانابة الى الله والتقوى واقامة الصلاة، الى غيرها من الآيات المباركات.

تاسعاً: التعبئة العامة

قال سبحانه:

«انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير

لكم ان كنتم تعلمون»(التوبة/٤١)

فليست الامة الاسلامية: من يعمل بعضها و يترك بعضها الآخر العمل، وانما هم وحدة واحدة في إقدامهم وفي إحجامهم وفي كل شؤون حياتهم.

وفي آية أخرى:

«محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم، تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا، سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما»(الفتح/٢٩)

وفي جملة من التواريخ انهم كانوا (رهبان الليل أسود النهار) وقيام المسلمين بالليل كان تعبئة روحية تدفعهم، الى المضي قدماً، قال سبحانه:

«بسم الله الرحمن الرحيم: ياأيها المزمل، قم الليل إلا قليلا، نصفه أو أنقص منه قليلا، أو زد عليه ورتّل القرآن ترتيلا، إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً، إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلا، إن لك في النهار سبحاً طويلا، واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا»(المزمل/١ــ٨)

(الى أن قال):

«إن ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك، والله يقدر الليل والنهار علم ان لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤا ما تيسر من القرآن، علم ان سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله، وآخرون يقاتلون في سبيل الله، فاقرءوا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضاً حسنا، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجرا، واستغفروا الله إن الله غفور رحيم»(المزمل/٢٠)

ففي هذه الآيات المباركات تعبئة نفسية كثيرة الى جانب العمل ــ باستثناء الذين هم مرضى، والذين هم يضربون في الارض لابتغاء فضل الله، والذين يقاتلون في سبيل الله، فان هؤلاء لا يتمكنون من قراءة القرآن والقيام بالليل كاملاً كما يتمكن الآخرون،

أما المرضى فهم غير قادرين وأما الضاربون في الارض والمقاتلون فهم يعملون بما عبأوا به أنفسهم من ابتغاء فضل الله والمقاتلة في سبيل الله.

عاشراً: الاستهانة بالظالمين

الاستهانة بالحكومات القائمة و بالكفار، فانهم كانوا ينظرون اليهم نظرة ازدراء وكانوا يرون ان الواجب عليهم تقويمهم عن الانحراف في العقيدة وفي السلوك وما أشبه.

قال سبحانه:

«براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين، فسيحوا في الارض أربعة أشهر واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين، وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله بريء من المشركين، ورسوله فان تبتم فهو خير لكم، وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم»(التوبة/١ـ٣)

فالله سبحانه يتبرء من المشركين و يعلن انهم لا يتمكنون من تعجيز الله سبحانه وتعالى والانفلات من يد المسلمين المطيعين لأوامر الله سبحانه وانهم اذا تابوا كان خيراً لهم أما اذا تولوا فان الله سبحانه وتعالى يبشرهم بعذاب أليم، يعني في الدنيا وفي الآخرة.

ثم قال سبحانه:

«فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد، فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلو سبيلهم إن الله غفور رحيم»(التوبة/٥)

(الى أن قال):

«وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون، ألا تقاتلون قوماً نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة؟ أتخشونهم؟ فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين، قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم و ينصركم عليهم و يشف صدور قوم مؤمنين، ويُذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم

حكيم»(التوبة/١٢ــ٢٥)

وقال سبحانه:

«يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم و يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»(التوبة/٣٢ــ٣)

وقال سبحانه:

«وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة وأعلموا أن الله مع المتقين»(التوبة/٣٦)

وقد ذكر الله سبحانه في القرآن كيف أباد الأمم السابقة الذين لم يطيعوا أوامر الانبياء(ع) وانه سبحانه وتعالى يبيد الذين لا يطيعون أوامر رسول الله(ص)، فقال:

«ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات؟ أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون»(التوبة/٧٠)

وقال سبحانه:

«كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً، فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذّ ى خاضوا، أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون»(التوبة/٦٩)

فهذه الآيات المباركات تعطي للمسلم روحاً قوية، وتذكرة بأنه يتمكن من التغلب على الكافرين مهما كان لهم من الاموال والاولاد والقوة والشدة.

وقال سبحانه:

«يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهمّوا بما لم ينالوا وما نقموا إلاّ أن أغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيراً لهم وإن يتولّوا يعذبهم الله عذاباً أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الارض من ولي ولا نصير»(التوبة/٧٤)

فالذين لا يطيعون الرسول ولا يأتمرون بأوامره يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا وفي الآخرة، ولا يتصوروا ان لهم في الدنيا ولياً أو نصيراً، وانما الله سبحانه وتعالى ينصر أولياءه على أعدائه مهما كان الاعداء من القوة والمنعة.

وقال سبحانه:

«وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلاً وكنا نحن الوارثين، وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون»(القصص/٥٨ـ٥٩)

فالمسلمون كانوا يعلمون أنهم اذا ركزوا لواء العدل ونشروا الحق ولم يقبل الناس منهم، فان الله من ورائهم يهلك أولئك الظالمين الذين لا يقبلون الحق.

وقال سبحانه:

«ان فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبنائهم ويستحيي نسائهم انه كان من المفسدين، ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين، ونمكّن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون»(القصص/٤ـ٦)

(الى أن قال سبحانه):

«واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون، فأخذناه وجنوده فنبذناهم في أليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين، وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون، وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين»(القصص/٣٩ـ٤٢)

فالمستكبرون والحكام الظالمون وجنودهم ووزراؤهم يأخذهم الله سبحانه وتعالى أخذ عزيز مقتدر ويجعلهم في الدنيا والآخرة لعناء ومقبوحين.

وقال سبحانه:

«فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصباً ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون»(العنكبوت/٤٠).

فقسم من الكفار أهلكهم الله سبحانه وتعالى بسبب الحاصب الذي كان يحصبهم بالحجارة، ومنهم من أخذته الصيحة اذ صاح عليهم الملك صيحة كبيرة فأهلكهم، ومنهم من خسف الله به الأرض، ومنهم من أغرقه الله.

ثم قال سبحانه:

«مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون»(العنكبوت/٤١)

فبيوت غير أولياء الله سبحانه وتعالى من العتاة والجبابرة والظلمة والكفرة مثلها كبيت العنكبوت، و بيت العنكبوت من أوهن البيوت.

ثم قال سبحانه:

«ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون»(العنكبوت/٤٢ــ٤٣)

فالله بعزته يأخذ، و بحكمته يترك، وهذه أمثلة يضربها الله للناس حتى يعلموا ان الله قادر على كل شيء ومنتقم من الظالمين.

(الى أن قال سبحانه):

«و يستعجلونك بالعذاب، ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون، يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين»(العنكبوت/٥٣ــ٥٤)

هذه أمور عشرة سببت تقدم المسلمين وهنالك مواصفات أخر تحلى بها المسلمون فسببت حركتهم تلك الحركة السريعة التي أدهشت العالم.

التطبيق العملي للقرآن عند المسلمين الأوّلين

وقد كان المسلم في العصر الأول يعمل بالقرآن لا كبعض الازمنة المتأخرة حيث يشتغل المسلم بعلمه وتفسيره وقراءته وتجويده وما أشبه تاركاً العمل، وانما كان المسلم اذا سمع آيات القرآن مضى على طبقها ولذلك نماذج كثيرة.

مثل ما ورد ان اعرابياً جاء الى رسول الله(ص) وشهد الشهادتين وأسلم، ثم قال: يارسول الله ما هو تكليفي الآن؟

فقال النبي(ص) في جملة ما قال له: (تعلم القرآن).

فأخذ أحد المسلمين يعلّمه سورة الزلزلة وقرأ عليه:

«بسم الله الرحمن الرحيم: اذا زلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها، وقال الانسان ما لها، يومئذ تحدث أخبارها، بأن ربك أوحى لها، يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره»(الزلزلة/١ــ٨)

فقام الاعرابي يريد الانصراف، فقال له المعلم المسلم: اصبر حتى أعلمك بعض السور الاخر.

فقال الاعرابي: كفاني ذلك.

فقال: كيف؟

قال: اني لم أكن أحتاج الى كل هذه السورة أيضاً حتى أستقيم في طريق الاسلام، بل تكفيني آيتان فقط هما قوله سبحانه:

«فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره»(الزلزلة/٧ــ٨)

فاني علمت ان الاسلام في هاتين الكلمتين المباركتين.

وهكذا كان المسلمون ينطلقون عن المنطلق القرآني، لهدم الفساد، و بناء الاصلاح.

ولقد كان المسلم يعلم انه المنصور من قبل الله سبحانه وتعالى، كما قال تعالى:

«ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين، انهم لهم المنصورون، وان جندنا لهم الغالبون»(الصافات/١٧١ــ١٧٣)

فالمسلم من جند الله ومن أتباع المرسلين فهو **اذاً** منصور وغالب، فلم يكن يهن ولا يحزن، وانما كان يقدم و يتقدم، يهدم و يبني على أساس صحيح، وكان في ذهنه دائماً قوله سبحانه:

«ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين»(آل عمران/١٣٩)

كما كان في ذهنه دائماً قول النبي الاعظم(ص):

[الاسلام يعلو ولا يعلى عليه]

المسلمون قبل الاسلام وبعده

فبينما كان المسلمون قبل تشرفهم بالاسلام يخافون من كل شيء واذلاء خانعين كما وصفهم القرآن الحكيم بقوله:

«واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون ان يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون»(الأنفال/٢٦)

اذا بهم يصبحون أعزة وسادة على من سادهم في الامس من الفرس والروم.

وقد ذكر المؤرخون ان رسل المسلمين لما وردوا مجلس (يزدجرد) الملك الفارسي المعروف قال لهم يزدجرد: اني لا أعلم في الارض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوء ذات بين منكم، وقد كنا نوكل بكم قرى الضواحي حتى لا تغزوكم الناس، فان كان عددكم كثر فلا يغرنكم منا، وان كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتاً الى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكاً يرفق بكم.

فقال له أحد الرسل: (أيها الملك أنك قد وصفتنا بصفة لم تكن بها عالماً فأما ما ذكرت من سوء الحال فما كان أسوء حالاً منا، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات ونرى ذلك طعامنا، وأما المنازل فانما هي ظهر الارض، ولا نلبس الا ما غزلنا من أوبار الابل وأشعار الغنم، ديننا ان يقتل بعضنا بعضا وان يبغي بعضنا على بعض، وان كان أحدنا ليدفن ابنته وهي حية كراهة أن تأكل من طعامه وكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك فبعث الله الينا رجلاً الى آخر ما ذكره ابن كثير الدمشقي في كتاب البداية والنهاية).

وقد جاء في هذا الكتاب أيضاً: انه بعث أمير الفرس يطلب رجلاً من المسلمين ليكلمه، فذهب اليه المغيرة بن شعبة فذكر من عظم ما رأى عليه من لبسه ومجلسه وفيما خاطبه به من الكلام في احتقار العرب واستهانته بهم وانهم كانوا أطول الناس جوعاً

وأبعد الناس داراً، وأقذر الناس قدراً، وقال: ما يمنع هؤلاء الاساورة حولي إن ينتظموكم بالنشاب الا تنجساً من جيفكم، فان تذهبوا نخلي عنكم، وان تأبوا نزركم مصارعكم.

قال: فتشهدت وحمدت الله وقلت: لقد كنا أسوء حالاً مما ذكرت حتى بعث الله رسوله (الى آخر كلامه).

وفي هذا الكتاب أيضاً انه ذكر الوليد بن مسلم ان (ماهان) طلب خالداً ليبرز اليه فيما بين الصفين فيجتمعا في مصلحة لهم فقال ماهان: انا قد علمنا ان ما اخرجكم من بلادكم الجهد والجوع فهلموا الى ان أعطي كل رجل منكم عشرة دنانير وكسوة وطعاماً ما فترجعون الى بلادكم، فاذا كان من العام المقبل بعثنا لكم بمثلها (الحديث).

وقد كان المسلمون يخافون الفرس والروم مخافة كبيرة لما جبلوا عليه من الخوف قبل الاسلام حتى ان الطبري ذكر: انه عندما أراد المسلمون فتح فارس تخوفوا من الفرس وعجبوا كيف يستطيعون أن يحاربوهم، وكان وجه فارس من أكرم الوجوه اليهم وأثقلها عليهم لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم وقهرهم الامم (الى آخر ما ذكره).

لكنهم بالاسلام تمكنوا من التقدم ومن جعل الفرس مسلمين وفتح بلادهم فأصبحت الشوكة الفارسية ــ الزردشتية ــ خبرا بعد عين وصدق فيهم قول الله تعالى:

فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق»(سبأ/١٩)

كما صدق قوله سبحانه:

«وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها»(الأعراف/١٣٧)

ومن الواضح، انه لم يكن لأولئك المسلمين على الاغلب علم وتجربة، وانما كان الايمان وتلك الاخلاقيات الرفيعة التي ملئوا بها من مشاش رأسهم الى أخمص قدمهم هو الذي يحركهم حتى قال ابن كُثير: كان المسلمون يجيئون بعض تلك الدور في بلاد فارس فيجدون البيت ملآناً الى أعلاه من أواني الذهب والفضة، ويجدون من الكافور شيئاً كثيراً فيحسبونه ملحاً، وربما استعمله بعضهم في العجين فوجدوه مراً حتى تبينوا أمره.

ذهول المؤرخين الغربيين من تقدم المسلمين

وحيث ان الغربيين والشرقيين لم يتمكنوا من التعمق في سبب تقدم المسلمين -والتي ذكرنا جملة منها- تعجبوا من هذا التقدم الهائل يقول أحد مؤرخيهم وهو (جبون):

(بقوة واحدة ونجاح واحد زحف العرب على خلفاء اغسطس في الروم، واصطخر في فارس، وأصبحت الدولتان المتنافستان في ساعة واحدة فريسة لعدو لم يزل موضع الازدراء والاحتقار منهما، في عشر سنوات من أيام حكم الخليفة الثاني الذي أخضع العرب لسلطانه ستة وثلاثين ألفاً من المدن والقلاع وأنشأوا أربعة عشر ألفاً من المساجد لعبادة المسلمين، وعلى رأس قرن من هجرة محمد(ص) من مكة امتد سلطان خلفائه من الهند الى المحيط الاطلنطيكي ورفرف علم الاسلام على أقطار مختلفة نائية كفارس وسورية ومصر وافريقيا واسبانيا).

و يقول المؤرخ الامريكي (ستودارد): (كاد يكون نبأ نشوء الاسلام النبأ الاعجب الذي دون في تاريخ الانسان، ظهر الاسلام في أمة كانت من قبل ذلك العهد متضعضعة الكيان والبلاد منحطة الشأن فلم يمض على ظهوره عشرة عقود حتى انتشر في نصف الارض ممزقاً ممالك عالية الذرى مترامية الاطراف، وهادماً أدياناً قديمة كرّت عليها الحقب والاجيال ومغيراً ما بنفوس الامم والاقوام، و بانياً عالماً حديثاً متراص الاركان هو عالم الاسلام، كلما زدنا استقصاءاً في سر تقدم الاسلام وتعاليه زادنا ذلك العجب العجاب بهراً فارتددنا عنه بأطراف خاسرة وقد عرفنا إن سائر الاديان العظمى انما نشأت نسير في سبيلها سيراً بطيئاً ملاقية كل صعب حتى كان أن قيض الله لكل دين منها ما أراده له من ملك ناصر وسلطان قاهر انتحل ذلك الدين ثم أخذ في تأييده والذب عنه حتى رسخت أركانه ومنعت جوانبه في بطل النصرانية (قسطنطين) والبوذية (اسوكا) والمزدكية (قباء كسرى) وكل منهم ملك جبار أيّد دينه الذي انتحله بما استطاع من القوة والايد، وليس الامر كذلك في الاسلام، الاسلام الذي نشأ في بلاد صحراوية تجوب فيها

شتى القبائل الرحالة التي لم تكن من قبل رفيعة المكان والمنزلة في التاريخ، فلسرعان ما شرع يتدفق و ينتشر وتتسع رقعته في الارض مجتازاً أفظع الخطوب وأصعب العقبات دون أن يكون من الامم الاخرى عون يذكر ولا أزر مشدود، وعلى شدة هذه المكاره فقد نصر الاسلام نصراً مبيناً عجيباً، اذ لم يكد يمضي على ظهوره أكثر من قرنين حتى باتت راية الاسلام خفاقة من (البرانس) حتى (هملايا) ومن صحاري أواسط آسيا حتى صحاري أواسط أفريقية).

و يقول مؤرخ آخر هو (بيشر) في كتابه (تاريخ اوربا) (لم يكن هنالك في جزيرة العرب قبل الاسلام أثر لحكومة عربية أو جيش منتظم أو طموح سياسي عام، كان العرب شعراء خياليين محاربين وتجاراً لم يكونوا سياسيين إنهم لم يجدوا في دينهم قوة تشبتهم أو توحدهم، أنهم كانوا على نظام منحط من الشرك. و بعد مائة سنة حمل هؤلاء المتوحشون والخاملون لانفسهم قوة عالمية عظيمة، انهم فتحوا سورية ومصرو بلادفارس، ملكوا باكستان الغربية وجزءاً من سنجاب، انهم انتزعوا افريقية من البيزنطينيين والبربر واسبانيا الى حدود فرنسا في الغرب والقسطنطينية في الشرق، ومخرت أساطيلهم المصنوعة في الاسكندرية وموانيء سورية في البحر المتوسط، واكتسحت الجزائر اليونانية، وتحدت القوة البحرية للامبراطورية البيزنطينية. لم يقاومهم الفرس و بربر جبال الاطلس انهم شقوا طريقهم بسهولة حتى صعب أن يقف في وجههم واقف و يعرقل سيرهم في الفتح والاستيلاء أحد لم يعد البحر المتوسط بحر الروم، بل أصبح حوضاً عثمانياً لا سيطرة فيه لغير الترك و وجدت الدول النصرانية من أقصى أوربا الى أقصاها منذرة مهددة بحضارة شرقية مبنية على دينٍ شرقي).

و يقول أحد المؤلفين الشيوعيين: (ان الانسان ليدهش اذا تأمل السرعة الغريبة التي تغلب بها طوائف صغيرة من الرحالين الذين خرجوا من صحراء العرب مشتعلين بحماسة دينية على أقوى دولتين في الزمن القديم، لم يمض خمسون سنة على بعثة محمد(ص) حتى غرز أتباعه علم الفتح على حدود الهند في جانب وعلى ساحل بحر الاطلانطيكي في جانب آخر. ان خلفاء دمشق الاولين حكموا على امبراطورية لم تكن لتقطع في أقل من خمسة أشهر على أسرع جمل، وحتى نهاية القرن الاول للهجرة كان الخلفاء أقوى ملوك

العالم، كل نبي جاء بمعجزات آية لما يقول و برهاناً على صدقة، ولكن محمداً(ص) هو أعظم الانبياء وأجلّهم اذ كان انتشار الاسلام أكثر آيات الانبياء وأروعها إعجاباً وخرقاً للعادة. إن امبراطورية اغسطس الرومية بعد ما وسعها بطلها (تراجان) نتيجة فتوح عظيمة في سبعة قرون لم تساو المملكة العربية التي أسست في أقل من قرن. إن الامبراطورية الاسكندرية لم تكن في إتساعها الا كسراً من كسور مملكة الخلفاء الواسعة، إن الامبراطورية الفارسية قاومت الروم زهاء ألف سنة، ولكنها غلبت وسقطت أمام سيف الله في أقل من عشر سنوات».

و يقول (بورفري) و(بلانونوف): (ان العرب الذين أفاضوا من الجزيرة لفتح الامصار لم يكونوا عصائب لا تحصى ولا تعد تدفقت على الشرق المتمدن، فقد أحصى مؤرخ العرب الجيش الاول للمسلمين في اليرموك بثلاثة آلاف ثم أرسل اليهم الخليفة بنجدة أبلغتهم سبعة آلاف وخمسمائة مقاتل، وأخيراً تنامى عددهم أربعة وثلاثين ألفاً، وأما عدد الروم فقال العرب: انه كان مائة ألف وقيل ثلاثين ألفاً وقيل ثلاثمائة ألف مقاتل ولم يزده مؤرخ بيزنطية على أربعين ألفاً، وعلى كل حال كان العدد الاكبر لاعداء العرب وهكذا في حروب فارس).

المخبر لا المظهر هو سر الانتصار

ومن الواضح، ان المسلمين لم يكونوا يحاربون بالعدد والعدة، وانما كانوا يحاربون بالايمان والاندفاع وبروح الفضيلة والتقوى، فكانوا يتحلون بالمخبر دون المظهر، ولذا قال في كتاب (البداية والنهاية): كان المسلمون تزدريهم أعين الروم والفرس لمّا خرجوا لقتالهم، وكانوا يسخرون من سلاحهم ونبالهم وثيابهم و يضحكون. قال أبو وائل أحد الذين شهدوا القادسية: (كان الفرس يقولون للمسلمين: لا يد لكم ولا قوة ولا سلاح، ما جاء بكم؟ أرجعوا، قال: قلنا: ما نحن براجعين! فكانوا يضحكون من نبلنا).

وكان سعد قد بعث طائفة من أصحابه الى كسرى يدعونه الى الله قبل الوقعة،

فاستأذنوا على كسرى، فأذن لهم، وخرج أهل البلد ينظرون الى أشكالهم وأرديتهم على عواتقهم، وسياطهم بأيديهم، والنعال في أرجلهم وخيولهم الضعيفة، وخطها الارض بأرجلها وجعلوا يتعجبون منها غاية العجب و يقولون: كيف يحارب مثل هؤلاء جيوشاً كثيرة العدد والعُدة؟

و يقول (ماكس): (يكاد يكون مستحيلاً ان نفهم كيف ان أعراباً منتمين الى عشائر ليست عندهم العدد والاعتدة اللازمة يهزمون في مثل هذا الوقت القصير جيوش الرومان والفرس الذين كانوا يفوقونهم مراراً في الاعداد والعتاد وكانوا يقابلونهم وهم كتائب منظمة).

الفرق بين الجيش الاسلامي وجيش الأعداء

نعم كم كان الفرق بين جيوش الاسلام الذين كانوا يريدون أحد الحسنيين: أما الشهادة وأما الفوز، و بين جيوش الروم والفرس الذين كانوا يقيّدون أنفسهم بالسلاسل ــ أحياناً ــ لئلا ينهزموا، ويحفرون لهم الارض لئلا يندحروا أو ينسحبوا من ميدان القتال، ثم لا يغني عنهم هذا شيئاً فكانوا ينهزمون انهزاماً عظيماً.

وقد نقل أحد مراجع التقليد انه كان في ثورة (العشرين) في جملة من يحاربون البريطانيين في العراق، فرأى هذا العالم في فرقته جندياً من الجنود المسلمين يقول العالم: فقلت له: ان هناك ملكين يتحاربان: الملك الاسلامي العراقي الشيخ محمد تقي الشيرازي والملك البريطاني وهو جورج فما شأنك أنت في المعركة؟ (قلت ذلك حتى أختبر نفسيته، ولم يكن الجندي يعلم اني من رجال الدين لأني كنت في لباس الجنود لا في لباس العلماء).

فلما قلت له هذا الكلام اغرورقت عيناه بالدموع وقال لي: ياهذا ما تقول؟ انها ليست حرب ملكين ملك عراقي وملك بريطاني، وانما هي حرب بين الاسلام والكفر، ووالله لو هُزمنا في هذه الحرب لم تقم للمسلمين قائمة).

فكان المسلم يحارب هكذا بينما كان الكفار يسلسلون أنفسهم، ويحفرون لهم الارض

لئلا ينهزموا.

وقد كان المسلمون مندفعين أشد الاندفاع للتقدم، ومعرضين عن زهرة الحياة الدنيا ـ التي هي فتنة على تعبير الله سبحانه وتعالى، حيث قال:

«زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى»(طه/١٣١)

وكانوا يسمعون قوله تعالى:

«لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد. متاع قليل»(آل عمران/١٩٦ـ١٩٧)

وقوله سبحانه:

«ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون»(الأنبياء/١٠٥)

وقوله سبحانه:

«وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً»(النور/٥٥)

وقول رسول الله(ص) للمسلمين ـ على ما في بعض التواريخ ـ:

[ان الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وان أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض].

وقوله (ص):

[اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله].

ويذكرون قول الله تعالى:

«ان ينصركم الله فلا غالب لكم، وان يخذ لكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده؟ وعلى الله فليتوكل المؤمنون»(آل عمران/١٦٠)

وقوله سبحانه:

«كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين»(البقرة/٢٤٩)

الأعداء يلمسون الحقيقة المرّة!

وقد شعر الأعداء بهذه الحقيقة لما رأوا من صدق المسلمين في قولهم وفي عملهم.

فقد روى (ابن كثير): ان هرقل لما انتهى به خبر زحف المسلمين قال لأهل الشام: (ويحكم ان هؤلاء أهل دين جديد وانهم لا لأحد بهم، فأطيعوني وصالحوهم بما تصالحونهم على نصف خراج الشام، و يبقى لكم جبال الروم، وان أنتم أبيتم ذلك أخذوا منكم الشام وضيقوا عليكم جبال الروم كان الامر كما قال.

كما انه قبل ذلك في غزوة حنين قال بعض كبار العشائر لقومه الذين أرادوا محاربة رسول الله(ص): اطيعوني هذه المرة وخالفوني كل مرة، اطيعوني ولا تحاربوا محمداً(ص) فانه لا يقف شيء أمامه. لكنهم خالفوه وحاربوا الرسول(ص) في حنين وكان مصيرهم الفشل على كثرة عددهم وعُددهم حتى ان جملة من التواريخ ذكروا ان عددهم كان فوق الثلاثين ألفاً، بينما جيش النبي(ص) لم يكن أكثر من اثني عشر ألفاً، ولذا كتب أمراء المسلمين في اليرموك الى الحاكم يعلمونه بما وقع من الامر العظيم وما يقابلونه من خطر داهم وان هناك احتمال فشل المسلمين لكثرة الاعداء وعددهم الذي لا قبل لهم به فكتب اليهم الحاكم: (ان اجتمعوا وكونوا جنداً واحداً، والقوا جنود المشركين، فأنتم أنصار الله والله ناصر من نصره وخاذل من كفر به، ولم يؤت مثلكم عن قلة ولكن من تلقاء الذنوب فاحترسوا منها).

ولما استشار عمر الامام أميرالمؤمنين(ع) في بعض الحروب التي وقعت بين المسلمين وبين الكفار في العراق في وقعة نهاوند قال له علي(ع):

[ان هذا الامر لم يكن نصره وخذلانه بكثرة ولا قلة، هو دينه الذي أظهره وجنده الذي أعزه وأمدّه بالملائكة حتى بلغ ما بلغ، فنحن على موعد من الله، والله منجز وعده وناصر جنده].

نعم: لم يكن يهمّ المسلمين الذين اتصفوا بتلك الصفات الرفيعة القلة والكثرة، وتفوق العدو عدداً وعُددا، بل كان الايمان والفضيلة والتقوى وما سبق من الصفات النبيلة التي كانوا يتحلّون بها هي التي تدفعهم الى الأمام.

وقد قال علي (ع) ــ كما في نهج البلاغة ــ وقد شاوره عمر بن الخطاب في الخروج الى غزو الروم بنفسه:

[وقد وكل الله لأهل هذا الدين باعزاز الحوزة وستر العورة والذين نصرهم وهم أقلاّء لا ينتصرون ومنعهم وهم قليل لايمتنعون حيّ لا يموت].

هذه كانت مواصفات المسلمين :

و يظهر من كلام الامام أميرالمؤمنين(ع) ــ في وصف القوم الذين كانوا مع رسول الله(ص) ــ يظهر منه وجه انتصارهم على الاعداء حيث يقول:

[أين القوم الذين دعوا الى الاسلام فقبلوه، وقرئوا القرآن فأحكموه، وهيّجوا الى القتال فولّهوا وله اللقاح الى أولادها، وسلبوا السيوف أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً وصفاً صفاً، بعض هلك وبعض نجا، لا يبشرون بالاحياء، ولا يعزون عن الموتى، مره العيون من البكاء، خمص البطون من الصيام، ذبل الشفاه من الدعاء، صفر الالوان من السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين، أولئك اخواني الذاهبون، فحق لنا ان نظمأ اليهم ونعض الايدي على فراقهم].

الى آخر كلامه (ع).

الجرأة والاقدام

وقد كان المسلمون يخاطرون بأعمارهم، و يأتون بأعمال خارقة للعادة، وذلك ثقة منهم بنصر الله واعتماداً على وعده، حتى انهم لما أرادوا محاربة كسرى في المدائن، كان الفاصل بينهم دجلة، فتحيروا فيما يعملون، لكنهم أخيراً خاضوا بخيولهم في هذا النهر الواسع العميق وكان بعضهم يتحدث مع بعض وكأنهم سائرون على البر ولما رآهم الفرس من الجانب الثاني من النهر قال بعضهم لبعض (ديوان آمدند). يعني جاء الجن العفاريت والغيلان، ثم كانوا يقولون (ديوانگان ديوانگان). يعني هؤلاء المسلمون

مجانين وكان سلمان الفارسي يساير سعداً في الماء فجعل سعد يقول: (حسبنا الله ونعم الوكيل، والله لينصرن الله وليه، وليظهرن الله دينه، وليهزمن الله عدوه ان لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات) فقال له سلمان: (ان الاسلام جديد ذللت لهم والله البحور كما ذلل لهم البر، أما والذي نفس سلمان بيده ليخرجن منه أفواجاً كما دخلوا أفواجا) ثم خرج جميعهم من الماء لم يغرق منهم أحد، وكان بعضهم يركبون خيولهم وبعضهم يسبحون في الماء بدون خيول، ومراد سلمان بقوله (ان الاسلام جديد) انه فتى وله قوة وجدة وليس هرماً وشيخاً لا يتمكن من التغلب على الصعاب، وكان الامر كما قال سلمان رضوان الله عليه.

وقد روى المؤرخون ان المسلمين بلغهم ان (هرقل) نزل بـ(مآب) في مائة ألف من الروم، ومائة ألف من المستعربة ـ وهم العرب الذين اعتنقوا النصرانية ـ وكان المسلمون لا يزيدون على ثلاثة آلاف، ولما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على (معان) ـ وهي قرية في الطريق ـ ليلتين ينظرون في أمرهم، وقالوا نكتب الى رسول الله(ص) نخبره بعدد عدونا فأما أن يمدنا بالرجال وأما أن يأمرنا بأمر فنمضي له.

قالوا: فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال: (ياقوم والله ان التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة انما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فانما هي احدى الحسنيين أما ظهوراً وأما شهادة).

فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة ومضوا.

النقلة البعيدة كما تصفها الزهراء(ع)

وقد وصفت الصديقة الطاهرة(ع) في خطبتها المشهورة رسول الله(ص) وما كانت عليه أعراب الجاهلية قبل ظهور الاسلام وما صاروا عليه بعد الاسلام بقولها:

[فقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم، فان تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم ولنعم المعزى اليه(ع)، فبلّغ الرسالة صادعاً بالنذارة، مائلاً عن مدرجة

المشركين ضارباً ثبجهم، آخذاً بأكظامهم وداعياً الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة يكسر الاصنام و ينكث الهام حتى انهزم الجمع، وتعزى الليل عن صبحة، وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاق الشياطين، وطاح وشيظ النفاق، وانحلت عقد الكفر والشقاق، وفهتم بكلمة الاخلاص في نفر عن البيض الخماص، وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطيء الاقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون الورق، أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فانقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد(ص) بعد اللتيا والتي، وبعد ان مني ببهم الرجال، وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، أونجم قرن للشيطان وفغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفيء حتى يطأ ضماخها بأخمصه، ويخمد لهيبها بسيفه، مكدوداً في ذات مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله مشمراً ناصحاً مجداً كادحاً).

نعم هكذا كانوا قبل الاسلام، وهكذا صاروا بعد الاسلام.

وفي التواريخ : انه جاء رجل الى القائد الاسلامي يوم اليرموك فقال: اني قد تهيأت لأمري فهل لك من حاجة الى رسول الله(ص)؟ قال: نعم تقرأه عني السلام وتقول يارسول الله إنّا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً.

وقد قال أحد النصارى العرب للقائد الاسلامي المحارب للروم: ما أكثر الروم وأقل المسلمين! فقال القائد: و يلك أتخوفني بالروم؟ انما تكثر الجنود بالنصر، وتقل بالخذلان، لا بعدد الرجال.

يعرضون عن زخارف الدنيا

وكان من عدم اهتمامهم بزخارف الدنيا، واستصغارهم للكفار، واعتمادهم على وعد الله سبحانه وتعالى ان (ربعي بن عامر) أرسل الى (رستم) قائد الجيوش الفارسية فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق (الوسادات) المزركشة المذهبة، والزرابي

(الطنافس) الرفيعة، واظهروا اليواقيت، اللالىءالثمينة والزينة العظيمة، وعلى (رستم) تناجه وغير ذلك من الامتعة الثمينة وجلس على سرير من ذهب ودخل (ربعي) بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه و بيضته على رأسه فقال رستم له: ضع سلاحك.

فقال اني لم آتكم بنفسي وانما جئتكم حين دعوتموني، فان تركتموني هكذا وإلاّ رجعت.

فقال رستم : إئذنوا له.

فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق بدون اعتناء بما يصيب تلك النمارق من الرمح.

فقال له رستم : ما جاء بكم؟

فقال : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا الى سعتها، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام، فأرسلنا بدينه الى خلقه لندعوهم اليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفنى الى موعود الله.

قال رستم : وما موعود الله ؟

قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقى.

فقال رستم : قد سمعت مقالتكم، فهل لكم أن تؤخروا هذا الامر حتى ننظر فيه وتنظروا؟

فقال : نعم كم أحبُّ اليكم: يوم أو يومين؟

قال : لا، بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا.

فقال : ما سنّ لنا رسول الله(ص) أن نؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث، فأنظر في أمرك وأمرهم، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل.

فقال رستم : أسيدهم أنت ؟

قال : لا، ولكن المسلمين كالجسد الواحد.. يجير أدناهم على أعلاهم.

فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال: هل رأيتم قط أعزّ وأرجح من كلام هذا الرجل؟

فقالوا : معاذ الله أن تميل الى شيء من هذا وتبيع دينك الى هذا الكلب، أما ترى الى

ثيابه؟

فقال : ويلكم لا تنظروا الى الثياب، وانظروا الى الرأي والكلام والسيرة، ان العرب يستخفون بالثياب والمأكل و يصونون الأحساب).

وقد دخل بعض قادة الجيش الاسلامي أيضاً على (رستم) وقعد معه على السرير فصاحوا عليه فقال: (ان هذا لم يزدني رفعة ولم ينقص صاحبكم) فقال رستم (صدق).

وهكذا لم يكن المسلمون يأبهون بزخارف الدنيا و بالعزة والفخفخة.

وفي نهج البلاغة: انه لقى الامام (ع) عند مسيره الى الشام دهاقين الانبار فترجلوا له واشتدوا بين يديه فقال لهم الامام(ع): ما هذا الذي صنعتموه؟

فقالوا : خُلُقٌ منا نعظم به امراءنا.

فقال (ع) : والله ما ينتفع بهذا أمراؤكم، وانكم لتشقّون به على أنفسكم في دنياكم، وتشقّون به في آخرتكم، وما أخسر المشقة وراءها العقاب واربح الدعة معها الامان من النار).

فالامام (ع) لم يرض حتى بتظاهرة فرحية أمامه من مجموعة دهاقين.. فكم كانوا يستهينون بالدنيا و بزخارفها و بالاعداء و بجحافلهم؟

وفي التاريخ ان عبد الله بن عباس قال: دخلت على أميرالمؤمنين(ع) بذي قار وهو يخصف نعله، فقال لي: ما قيمة هذه النعل؟

فقلت : لا قيمة لها.

قال (ع) : والله لهي أحبّ إليَ من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً.

ثم خرج (ع) فخطب الناس فقال:

[إن الله بعث محمداً(ص) وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ولا يدعى نبوة، فساق الناس حتى بوّأهم محلتهم وبلغهم منجاتهم فاستقامت قناتهم واطمأنت صفاتهم، أما والله ان كنت لفي ساقتها حتى تولت بحذافيرها ما ضعفت ولا جبنت].

وفي كلام آخر له (ع) :

[فَطِرت بانامها، واستبددت برهانها، كالجبل لا تحركه القواصف، ولا تزيله

العواصف، لم يكن لأحد فيّ مهمز ولا لقائل فيّ مغمز، الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له، والقويّ عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه، رضينا عن الله قضاءه وسلمنا لله أمره].

يقتلون آباءهم وابناءهم!

وفي كلام آخر له (ع) قال:

[ولقد كنا مع رسول الله (ص) نقتل آباءنا وأبناءنا واخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك الا ايماناً وتسليماً ومضياً على اللقم وصبراً على مضض الألم وجداً في رد العدو، ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما أيّهما يسقي صاحبه كأس المنون؟ فمرّة لنا من عدونا ومرة لعدونا منا، فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت وأنزل علينا النصر حتى استقر الاسلام ملقياً جرانه ومتبوئاً أوطانه].

ومراده (ع) بقتل الآباء والأبناء والأخوان والأعمام، ان المسلمين لم يكونوا يبالون بأرحامهم اذا كانوا في جيش الكفار فان الاسلام قد قطع الرحم بين المؤمن والكافر، وانما كانوا يحاربونهم حتى يستقيم الاسلام و يتقدم الى الأمام.

الأعداء يعترفون !

نعم تلك الاخلاق الرفيعة التي نفخها فيهم القرآن الحكيم وتعلّموا من رسول الله (ص) هي التي سببت تقدمهم أمام العالم وكأنهم من حديد، وكأن العالم من خزف، وقد روى أبو اسحاق قال: كان أصحاب رسول الله (ص) لا يثبت لهم العدوّ فواق ناقة (أي مدة حلبها) عند اللقاء فقال هرقل ــ وهو على انطاكية لما قدمت الروم منهزمة ــ و يلكم اخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشراً مثلكم؟

قالوا : بلى.

قال : فأنتم أكثر أم هم؟

قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل مواطن.

قال : فما بالكم تنهزمون؟

فقال شيخ من عظمائهم : من أجل انهم يقومون الليل و يصومون النهار و يوفون بالعهد و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يتناصفون بينهم، ومن أجل أنّا نشرب الخمر ونزني ونركب الحرام وننقض العهد ونغصب ونظلم ونأمر بالسخط وننهى عما يرضي الله ونفسد في الارض.

فقال الملك : أنت صدقتني

أمير المؤمنين (ع) يصف طلائع المسلمين

وقد وصف أمير المؤمنين(ع) (كما في نهج البلاغة) أمثال هؤلاء فقال:

[كان لي فيما مضى أخ في الله، كان يعظمه في عيني صغر الدنيا في عينه، وكان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر اذا وجد، وكان أكثر دهره صامتاً، فان قال قدّ القائلين (أي كفهم عن القول) ونفعهم ونقع غليل السائلين، وكان ضعيفاً مستضعفاً، فان جاء الجد فهو ليث غاب وصلّ واد، لا يدلي بحجة حتى يأتي قاضياً، وكان لا يلوم أحداً على ما يجد العذر في مثله حتى يسمع اعتذاره، وكان لا يشكو وجعاً إلا عند برئه، وكان يفعل ما يقول، ولا يقول ما لا يفعل، وكان اذا غلب على الكلام لم يغلب على السكوت، وكان على ما يسمع أحرص منه على ما يتكلم، وكان اذا يدهمه أمران نظر أيهما أقرب الى الهوى فخالفه. فعليكم بهذه الخلائق فالزموها وتنافسوا فيها فان لم تستطيعوها فاعلموا أن أخذ القليل خير من ترك الكثير].

العدو يستطلع أحوال المسلمين

وقد سأل هرقل رجلاً كان قد أسر مع المسلمين فقال: أخبرني عن هؤلاء القوم؟

فقال أخبرك كأنك تنظر اليهم: هم فرسان بالنهار رهبان بالليل، لا يأكلون في

ذمتهم إلا بثمن، ولا يدخلون إلا بسلام، يقفون على من حاربوا حتى يأتوا عليه.

فقال هرقل : لئن كنت صدقتني ليملكنّ موضع قدمي هاتين.

وقد وصف رجل من الروم المسلمين لرجل من أمراء الروم فقال: (جئتك من عند رجال دقاق يركبون خيلاً عتاقا، أما الليل فرهبان، وأما النهار ففرسان، يريشون النبل و يبرونها و يثقفون القنا، لو حدثت جليسك حديثاً ما فهمه عنك لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر).

قال: فالتفت ذلك الأمير الى أصحابه وقال لهم: أتاكم منهم ما لا طاقة لكم به.

الكفار يفضلون ولاية المسلمين!

وقد كان المسلمون يتورعون عن أذى الناس، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين الى أبعد حد، ومن هنا أحبّهم الآخرون وان كانوا غير مسلمين.

فقد روى البلاذري في فتوح البلدان قال: حدثني أبو حفص الدمشقي قال: حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال: (بلغني انه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع و بلغ المسلمين أقبالهم اليهم لوقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج وقالوا قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم.

فقال أهل حمص: لولايتكم وعدلكم أحبّ الينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ولندفعن جنود هرقل عن المدينة مع عاملكم.

ونهض اليهود فقالوا : والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا ان نغلب فنجهد.

فأغلقوا الأبواب وحرسوها).

وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود وقالوا: ان ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا الى ما كنا عليه، والا فانا على أمرنا ما بقي للمسلمين عدد فلما هزم الله الكفرة وأظهر المسلمين فتحوا مدنهم للمسلمين وأدوا الخراج.

نعم لقد كان المسلمون خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف، و ينهون عن

المنكر، و يؤمنون بالله، يحلون ما أحل الله، ويحرمون ما حرم الله، ولهذا نصرهم الله سبحانه وتعالى على أعدائهم.

أما المنافقون منهم فكانوا قليلين والرسول(ص) والمسلمون لم يتمكنوا من ذلك التقدم الهائل بالمنافقين، فان المنافق لا يزيد الامر لا خبالاً، وانما الذين آمنوا بالله ورسوله كانوا كثيرين، و بهم فتح الله المدن وأقام العدل ونشر الاسلام.

الامام علي (ع) يصف المتقين

وقد وصف المتقين ــ الذين كانوا كثيرين في أصحاب النبي(ص)ــ الامام أميرالمؤمنين(ع) لصاحبه همام، فقال في جملة كلامه:

[فالمتقون فيها هم أهل الفضائل، منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع، غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم، نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء، ولولا الاجل الذي كتب لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً الى الثواب وخوفاً من العقاب، عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنة كمن قد رآها وهم فيها منعمون، وهم والنار كمن قد رآها وهم فيها معذبون، قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة، صبروا أياماً قصيرة، أعقبتهم راحة طويلة، تجارة مربحة يسرها لهم ربهم، ارادتهم الدنيا فلم يريدوها، وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها.

أما الليل فصافّون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلا، يحزنون به أنفسهم، و يستثيرون به دواء دائهم، فاذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا اليها طمعاً وتطلعت نفوسهم اليها شوقاً وظنوا أنها نصب أعينهم، واذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا اليها مسامع قلوبهم وظنوا ان زفير جهنم وشهيقها في اصول آذانهم، فهم حانون على أوساطهم، مفترشون لجباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم، يطلبون الى الله تعالى فكاك رقابهم.

وأما النهار فحلماء علماء أبرار أتقياء قد براهم الخوف بري القداح، ينظر اليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض، و يقولوا قد خولطوا وقد خالطهم أمر عظيم، لا يرضون من أعماهم بالقليل، ولا يستكبرون الكثير، فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعماهم مشفقون، اذا زكى أحدهم خاف مما يقال له فيقول: (أنا أعلم بنفسي من غيري وربي أعلم بي من نفسي، اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني أفضل مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون).

فمن علامة أحدهم انك ترى له قوة في دين، وحزماً في لين، وايماناً في يقين، وحرصاً في علم، وعلماً في حلم، وزهداً في غنى، وخشوعاً في عبادة، وتجملاً في فاقة، وصبراً في شدة، وطلباً في حلال، ونشاطاً في هدى، وتحرجاً عن طمع، يعمل الاعمال الصالحة وهو على وجل، يمسي وهمه الشكر، و يصبح وهمه الذكر، يبيت حذراً، و يصبح فرحاً، حذراً لما حذر من الغفلة وفرحاً لما أصاب من الفضل والرحمة، ان استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب، قرة عينه فيما لا يزول، وزهادته فيما لا يبقى، يمزج الحلم بالعلم، والقول بالعمل، تراه قريباً أمله، قليلاً زلله، خاشعاً قلبه، قانعة نفسه، منجوراً أكله، سهلاً أمره، حريزاً دينه، ميتة شهوته، مكظوماً غيظه، الخير منه مأمول، والشر منه مأمون، ان كان في الغافلين كتب في الذاكرين، وان كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين، يعفو عمن ظلمه، و يعطي من حرمه، و يصل من قطعه، بعيداً فحشه، ليناً قوله، غائباً منكره، حاضراً معروفه، مقبلاً خيره، مدبراً شره، في الزلازل وقور، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور، لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن يحب، يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه، لا يضيع ما استحفظ، ولا ينسى ما ذكر، ولا ينابز بالالقاب، ولا يضار بالجار، ولا يشمت بالمصائب، ولا يدخل في الباطل، ولا يخرج من الحق، ان صمت لم يضمه صمته، وان ضحك لم يعل صوته، وان بغى عليه صبر، حتى يكون الله هو الذي ينتقم له، نفسه منه في عناء، والناس منه في راحة، أتعب نفسه لآخرته، وأراح الناس من نفسه، بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة، ودنوه ممن دنى منه لين ورحمة، ليس تباعده بكبر وعظمة، لا دنوّه بمكر وخديعة].

ولذا نرى ان (فتوح البلدان) يروى ان (رتبيل) ملك رخج سجستان لما جاءته رُسل يزيد بن عبد الملك يطالبونه بالخراج قال: ما فعل قوم كانوا يأتوننا خماص البطون سود الوجوه من الصلاة، نعالهم خوص؟

قالوا : انقرضوا.

قال : أولئك أوفى منكم عهداً وأشد بأساً، وان كنتم أحسن منهم وجوهاً.

ثم لم يعط أحداً من عمال بني أمية ولا عمال أبي مسلم على سجستان من تلك الا تاوات شيئاً.

أجل لقد أثر القرآن وأخلاق رسول الله(ص) فيهم فصاروا أولئك الابطال الزهاد بالليل، الشجعان بالنهار، وتمكنوا من ايجاد موج في العالم غيرّه من يومهم الى هذا اليوم.

«ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، واذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرّد له»(الرعد/١١)

ومن الواضح ان الانسان ان أراد الخير والرشد والصلاح والتقدم والخدمة وفقه الله، وان أراد الانسان غير ذلك تركه الله وشأنه وخذله ولم يكن له ناصر في الارض ولا في السماء.

وقد حصل المسلمون على تلك الصفات الرفيعة من جراء عملهم بالقرآن الحكيم واتباعهم لسيرة الرسول(ص).

الأطمئنان بنصر الله

وقد كان النبي (ص) يثير في المسلمين الروح العالية الوثابة في كل مناسبة و يعدهم انهم هم الذين يملكون زمام الارض فيقول لهم:

[إتبعوني تكونوا ملوكاً في دنياكم وتحظوا بجنات عرضها السماوات والارض في آخرتكم].

مثلاً في حرب الخندق لما استعصت صخرة على المسلمين وكان المسلمون محاصرين من قبل الكفار يخافون أن يتخطفهم الناس في هذا الظرف العصيب جاء رسول الله(ص)

وأمر بأن يرش الماء على تلك الصخرة العاتية و بعد قليل من الزمن جاء بمعول وضرب على الصخرة ضربة شديدة فانقدح منها النار،وقال(ص)**(الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام)** (ومعنى ذلك انه سيفتح المسلمون الشام) ثم ضربها(ص) ضربة ثانية وقال:**(الله اكبر وقصورالمدائن)**(أي أعطيت الامبراطورية الفارسية).

ثم ضربها (ص) ضربة ثالثة وقال: **(الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن)!!**

بيد ان بعض المنافقين الذين كانت قلوبهم خواء سخروا من كلام الرسول(ص) قائلين ان محمدأيبشرنا بفتح الشام وفارس واليمن. ونحن لا نأمن على أنفسنا.

لكن الرسول (ص) كان يعلم ما يقول: وكان ذلك بتسديد من الوحي و بواقعية هذا الدين الذي فيه من الوثوق بالنفس الشيء الكبير.

فكما يحق لصانع السيارة والطائرة والقطار والباخرة أن يقول: (اني سأغزو بصناعتي هذه كل العالم وان الدواب والبغال والحمير والسفن الشراعية ستخلى مكانها لما صنعنا).

وكما يحق لمكتشف الكهرباء أن يقول: (ان الكهرباء هي التي ستغزو العالم وتدخل البيوت والمصانع في شرق الارض وغربها وان المصابيح النفطية والشموع ستخلى مكانها للكهرباء).

كذلك كان يحق للرسول (ص) أن يقول بلسان القرآن الحكيم:

«هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا»(الفتح/٢٨)

و يقول في آية أخرى:

«هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»(الصف/٩)

والعالم اليوم بحاجة الى تلك الروحية النقية الوثابة المقدامة حتى تتمكن البشرية من بناء عالم جديد ملؤه الحرية والسلام والايمان والرفاه.

الحلم وسعة الصدر

وانا نجد في التاريخ الاسلامي أمثلة كثيرة من تلك الروح العالية والصفات الرفيعة ولنذكر مثلاً بهذا الصدد قصة أحد القادة الاسلاميين وهو مالك الاشتر (رحمه الله) فقد كان قائداً كبيراً للجيش الاسلامي، ولكنه بالرغم من ذلك كان يختار لنفسه الملابس المتواضعة، فعلى رأسه عمة من صوف، وعلى جسده قباء متواضع بحيث لا يتميز عمن عداه.

وبينما هو في بعض الأيام يخترق سوق الكوفة، اذا استهزأ به رجل عادي جهلاً بمكانته، لكن مالك الاشتر لم يلتفت اليه ومضى في طريقه وبعد شيء من الزمن علم الرجل انه هو مالك فخاف وانخطف لونه وذعر لما كان يعرف من شدة بأسه وسطوته وجرأته وشجاعته وكثرة القادة المحيطين به، فانطلق الرجل يبحث عن مالك فلم يجده إلا في المسجد فجثا بين يديه يعتذر اليه فقال له مالك: هل تدري ما جاء بي الى المسجد؟

قال الرجل: لا.

قال: انما جئت لأستغفر لك ذنبك!!

إن هذا القائد والعشرات من أمثاله في التاريخ الاسلامي لدليل على سعة آفاق نفسيتهم، وكما قال علي(ع):

[آلة الرئاسة سعة الصدر].

فهم بينما كانوا شجعاناً في ساحات القتال كانوا شجعاناً في ساحات النفس، والعفو شيمة لهم، ولذا التف العالم حولهم التفافاً منقطع النظير، والعالم اليوم بحاجة الى مثل هذه القيادة الرشيدة، وهذه الاخلاقيات الرفيعة وهذه القوانين الوضاءة حتى يتمكن الناس من استرجاع ما فقدوه بسبب الحضارات الغربية والشرقية.

ملامح المؤمن في القرآن الكريم

ولنختم هذا الفصل بذكر خمس وعشرين آية من الآيات التي تذكر ملامح المؤمنين

والتي بسببها تقدموا على العالم كما سنذكر بعدئذ خمس وعشرين آية تتناول الرذائل التي اتصف بها الكفار و بسببها تأخروا.

(١) قال سبحانه:

«ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون»(التوبة/١٨)

(٢) قال سبحانه:

«وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار»(التوبة/٢٠)

(٣) قال سبحانه:

«ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله»(البقرة/٢١٨)

(٤) قال تعالى:

«الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم»(البقرة/٢٧٤)

(٥) قال تعالى:

«للذين أتقوْا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله، والله بصير بالعباد، الذين يقولون ربنا إننا آمنا فأغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار، الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار»(آل عمران/١٥ـــ١٧)

(٦) وقال سبحانه:

«ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله»(آل عمران/١٦٩ـــ١٧٠)

(٧) قال تعالى:

«الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض»(آل عمران/١٩١)

(٨) قال تعالى:

«انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً، وعلى ربهم يتوكلون، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم»(الأنفال/٢ـ٤)

(٩) قال تعالى:

«والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم»(الأنفال/٧٤)

(١٠) قال تعالى:

«انما يعمر مساجد من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين»(التوبة/١٨)

(١١) قال تعالى:

«الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون»(التوبة/٢٠)

(١٢) قال تعالى:

«المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله»(التوبة/٧١)

(١٣) قال تعالى:

«التائبون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين»(التوبة/١١٢)

(١٤) قال تعالى:

«للذين أحسنوا الحسنى وزيادة»(يونس/٢٦)

(١٥) قال تعالى):

«انما يذكر أولوا الألباب، الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق، والذين يصلون ما أمر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار، جنات عدن يدخلونها»(الرعد/٣٤ــ٣٥)

(١٦) قال عز من قائل:

ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى»(طه/٧٥)

(١٧) قال تعالى :

«قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون، والذين هم عن اللغو معرضون، والذين هم للزكاة فاعلون، والذين هم لفروجهم حافظون، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون، والذين هم على صلواتهم يحافظون، أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون»(المؤمنون/١ــ٥ــ٨ــ١١)

(١٩) قال تعالى:

«ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون، والذين هم بآيات ربهم يؤمنون، والذين هم بربهم لا يشركون، والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون، أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون»(المؤمنون/٥٧ــ٦١)

(٢٠) قال تعالى:

«وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقراً ومقاماً، والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً، والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاماً، والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراماً، والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً، أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً»(الفرقان/٦٣ــ٧٥)

(٢١) قال تعالى:

«ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة والوثقى»(لقمان/١٢)

(٢٢) قال تعالى:

«ان المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، والقانتين والقانتات، والصادقين والصادقات، والصابرين والصابرات، والخاشعين والخاشعات، والمتصدقين والمتصدقات، والصائمين والصائمات، والحافظين فروجهم، والحافظات، والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً»(الأحزاب/٣٥)

(٢٣) قال تعالى:

«ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور. ليوفيهم أجورهم و يزيدهم من فضله»(فاطر/٢٩)

(٢٤) قال سبحانه:

«والذي جاء بالصدق وصدّق به أولئك هم المتقون، لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين»(الزمر/٣٣ــ٣٤)

(٢٥)قال تعالى :

«وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون. والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون»(الشورى/٣٦ــ٣٩)

(٢٦) قال سبحانه :

«ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون»(الاحقاف/١٣)

(٣٠) قال تعالى:

«إن المصّدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم، والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم»(الحديد/١٨ــ١٩)

(٣١) قال سبحانه:

«للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون، والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون، والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا أغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم»(الحشر/٨ــ١٠)

(٣٢) قال تعالى:

«يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون، ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا، وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماءاً فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ان الله كان عفواً غفورا»(النساء/٤٣)

(٣٤) قال سبحانه:

«كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون»(البقرة/١٨٣)

(٣٥) قال تعالى:

«والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم»(النور/٢٦)

(٣٦) قال تعالى:

«يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون، فان لم تجدوا فيها أحد فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون

عليم»(النور/٢٧ــ٢٨)

(٣٧) قال سبحانه:

«قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم، ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أوآبائهن أوآباء بعولتهن أوأبنائهن أوأبناء بعولتهن أواخوانهن أو بني اخوانهن أوبني أخواتهن أونسائهن أوما ملكت ايمانهن أوالتابعين غير أولي الاربة من الرجال أوالطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون»(النور/٣٠ــ٣١)

(٣٨) قال تعالى:

«وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم، وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله»(١النور/٣٢ــ٣٣)

(٣٩) قال سبحانه:

«لا تعبدون الا الله وبالوالدين احساناً وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة»(البقرة/٨٣)

(٤٠) وقال تعالى:

«وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت أحداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيىء الى أمر الله، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين، انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون»(الحجرات/٩ــ١٠)

(٤١) قال تعالى:

«قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له

الدين كما بدأكم تعودون»(الأعراف/٢٩)

(٤٢) قال سبحانه:

«يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين، قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون»(الأعراف/٣١ـ٣٢)

(٤٣) قال سبحانه:

«واجعلنا للمتقين اماما»(الفرقان/٧٤)

(٤٤) قال تعالى:

«وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون»(التوبة/١٠٥)

(٤٥) قال سبحانه:

«وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا لعلهم يحذرون»(التوبة/١٢٢)

(٤٦) قال تعالى:

«وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون، وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين، والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين»(آل عمران/١٣٢ـ١٣٦)

(٤٧) قال تعالى:

«يسألونك ماذا ينفقون؟ قل: ما أنفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم»(البقرة/٢١٥)

(٤٨) قال سبحانه:

«ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم ان الله عزيز حكيم»(البقرة/٢٢٠)

(٤٩) قال سبحانه:

«وأقيموا الشهادة لله»(الطلاق/٢)

(٥٠) قال سبحانه:

«وإن كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون»(البقرة/٢٨٠)

ومن الواضح، ان الآيات المباركات التي وردت في الأخلاق الرفيعة والسلوك الانساني الجميل كثيرة جداً وانما ذكرنا هذه الآيات كنموذج فقط.

علائم الكافر في القرآن الحكيم:

أما الملكات والصفات السيئة التي توجب تأخر الانسان ــ مما اجتنبها المسلمون بدء الاسلام وكان الكفار متصفين بها ولهذا سقطوا أمام المسلمين، كما ان كثيراً من المسلمين اتصفوا بهذه الملكات والاعمال السيئة في هذا القرن، وبذلك سقطوا أمام الكفار ــ فهي كثيرة أيضاً في الآيات الكريمة ونحن نذكر منها كنموذج خمسة وعشرين مورداً فقط:

(١) قال سبحانه:

«ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب: لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون. لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون»(الحشر/١١ــ١٢)

(٢) قال تعالى:

«وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق»(سبأ/١٩)

(٣) قال سبحانه:

«ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب»(غافر/٢٨)

(٤) قال سبحانه:

«فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه»(الزمر/٣٢)

(٥) قال سبحانه:

«ألم تر الى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون»(المجادلة/١٤)

(٦) قال سبحانه:

«ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول واذا جاءوك حيوك بما لم يحيّك به الله»(المجادلة/٨)

(٧) قال سبحانه:

«إن المجرمين في ضلال وسعر، يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مسَّ سقر»(القمر/٤٧ـ٤٨)

(٨) قال سبحانه:

«قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون»(الذاريات/١٠ـ١١)

(٩) قال سبحانه:

«فهل عسيتم إن توليتم ان تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم»(محمد/٢٢ـ٢٣)

(١٠) قال سبحانه:

«فلا تطع المكذبين. ولا تطع كل حلاف مهين، هماز مشاء بنميم. مناع للخير معتد أثيم، عتلّ بعد ذلك زنيم»(القلم/٨ـ١٠ـ١٣)

(١١) قال سبحانه:

«وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون»(فصلت/٦ـ٧)

(١٢) قال سبحانه:

«ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء

عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم»(الفتح/٦)

(١٣) قال سبحانه:

«وبرزت الجحيم للغاوين»(الشعراء/٩١)

(١٤) قال سبحانه:

«ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم»(النور/٢٣)

(١٥) قال سبحانه:

«ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم»(النور/١٩)

(١٦) قال سبحانه:

«الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله»(النور/٢)

(١٧) قال سبحانه:

«والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة»(النور/٤)

(١٨) قال سبحانه:

«ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا»(الكهف/٢٨)

(١٩) قال سبحانه:

«إن المبذرين كانوا اخوان الشياطين»(الاسراء/٢٧)

(٢٠) قال سبحانه:

«والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار»(الرعد/٢٥)

(٢١) قال سبحانه:

«الا لعنة الله على الظالمين، الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا»(هود/١٨ــ١٩)

(٢٢) قال سبحانه:

«المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر و ينهون عن المعروف و يقبضون أيديهم»(التوبة/٦٧)

(٢٣) قال سبحانه:

«إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون»(الأنفال/٥٥)

(٢٥) قال سبحانه:

«ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب»(الأنفال/١٣)

(٢٥) قال سبحانه:

«لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون»(الأعراف/١٩٧)

(٢٦) قال سبحانه:

«الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا»(الأعراف/٥١)

(٢٧) قال سبحانه:

«والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون»(الأعراف/٣٦)

(٢٨) قال سبحانه:

«والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله»(المائدة/٣٨)

(٢٩) قال سبحانه:

«انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله و يسعون في الأرض فساداً ان يقتّلوا أو يصلّبوا أوتقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أوينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم»(المائدة/٣٣)

(٣٠) قال سبحانه:

«لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم»(النساء/١٤٨)

(٣١) قال سبحانه:

«ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبينا»(النساء/١١٩)

(٣٢) قال سبحانه:

«ومن يكسب خطيئة أواثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً واثماً مبينا»(النساء/١١٢)

(٣٣) قال سبحانه:

«الذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت»(النساء/٧٦)

(٣٤) قال سبحانه:

«ان الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً»(النساء/٣٦)

(٣٥) قال سبحانه:

«الذين يبخلون و يأمرون الناس بالبخل و يكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذاباً مهينا»(النساء/٣٧)

(٣٦) قال سبحانه:

«ومن يعص الله ورسوله و يتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين»(النساء/١٤)

(٣٧) قال سبحانه:

«ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة»(آل عمران/١٨٠)

(٣٨) قال سبحانه:

«ان الذين يكفرون بآيات الله و يقتلون النبيين بغير حق و يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم»(آل عمران/٢١)

(٣٩) قال سبحانه:

«الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس»(البقرة/٢٥٧)

(٤٠) قال سبحانه:

«ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين»(البقرة/١٩٠)

(٤١) قال سبحانه:

«ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون»(البقرة/١٥٩)

(٤٢) قال سبحانه:

«أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار»(البقرة/١٧٥)

(٤٣) قال سبحانه:

«فو يل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فو يل لهم مما كتبت أيديهم وو يل لهم مما يكسبون»(البقرة/٧٩)

(٤٤) قال تعالى :

«الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه و يقطعون ما امر الله به ان يوصل و يفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون»(٢٧/البقرة)

(٤٥) قال تعالى :

«اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين»(١٦/البقرة)

(٤٦) قال تعالى :

وتأكلون التراث أكلاً لما»(١٩/الفجر)

(٤٧) قال تعالى :

«واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا»(١٦/الاسراء)

(٤٨) قال تعالى :

«ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع آذاهم وتوكل على الله وكفىٰ بالله وكيلاً»(٤٨/الاحزاب)

(٤٩) قال تعالى :

«فـاذا مـس الانـسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم بل هي فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون، قد قالها الذين من قبلهم فما اغنىٰ عنهم ما كـانـوا يـكـسـبـون، فاصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيـئـات مـا كـسـبـوا ومـا هم بمعجزين، أو لم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون»(٤٩-٥٢/الزمر)

(٥٠) قال تعالى :

«ان الانـسـان خـلـق هـلـوعا، اذا مسه الشر جزوعا، واذا مسه الخير منوعا، الا المصلين، الذين هم على صلاتهم دائمون»(١٩-٢٣/المعارج)

الفصل السادس:

الاسس الخمسة

لقد كان من أسباب تقدم الأسلام ذلك التقدم السريع، واخذه بزمام العالم في أول ظهوره أنه مبني على اسس، منها خمسة لها إسلوب خاص في الدستور والنظام الأسلامي وهي:ــ

الأول : الدولة.

الثاني : الأمة.

الثالث : الأخوة.

الرابع : الشريعة.

الخامس : الحرية.

ونحن نلمح الى كيفية هذه الأمور في الأسلام، ونرى أنها إذا أحييت كما قرره الأسلام يأخذ الأسلام بزمام المبادرة في العالم مما يسبب التقدم السريع للاسلام والصياغة الجديدة لعالم مليء بالمشاكل والأزمات.

أولاً : الدولة الأسلامية

والدولة في الأسلام مبنية على أمور:

١ ــ العدل والأحسان

حتى مع الأعداء، وحتى في الأمور الطفيفة.

قال سبحانه:

«يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه * وليكتب بينكم كاتب بالعدل، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب * وليملل الذي عليه الحق * وليتق الله ربه * ولا يبخس منه شيئاً * فان كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل»(٢٨٢/البقرة).

وقال سبحانه:

«يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله * شهداء بالقسط * ولا يجرمنكم شنآن

قوم على أن لا تعدلوا * إعدلوا هو أقرب للتقوى * وأتقوا الله إن الله خبير بما تعملون * وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم»(٨ـ١٠/المائدة).

هذه الآيات المباركة تأمر بالعدل حتى مع الأعداء. وتبيّن ان الذي يعدل في كل حال هو الذي عمل الصالحات، أما اذا لم يعدل فهو داخل في الذين كفروا وكذبوا بآياتنا.

وفي آية ثالثة:

«**وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب * فلذلك فأدع واستقم كما أمرت * ولا تتبع أهوائهم * وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير**»(١٤ـ١٥/الشورى).

إلى غيرها من الآيات المباركة.

نصوص كريمة:

كما انه ورد في الروايات طائفة كبيرة تدل على وجوب العدل:

فعن أبي عبد الله(ع) قال:

[اتقوا الله واعدلوا فأنكم تعيبون على قوم لا يعدلون].

وعن الحلبي، عن أبي عبد الله(ع) قال:

[العدل أحلى من الماء يصيبه الظمآن، ما أوسع العدل إذا عدل فيه وان قل].

وعن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله(ع) قال:

[العدل أحلى من الشهد وألين من الزبد وأطيب ريحا من المسك].

أقول: لأن العدل يصيب الروح، وهذه الأمور ماديات ومن الواضح أن ما يصيب الروح من الراحة مما يناله الجسد من الشهوات.

وعن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله(ع) قال:

[ثلاث هـم أقـرب إلى الله عـزوجل يوم القيامة حتى يفرغ من الحساب: رجل لـم تـدعـه قـدرتـه في حال غضبه الى ان يحيف على من تحت يديه، ورجل مشى بين أثنين فلم يمل مع أحدهما على الآخر شعيرة، ورجل قال الحق فيما له وعليه].

وعن الفضل بن شاذان، عن الرضا(ع) قال:

[إستعمال العدل والأحسان مؤذن بدوام النعمة].

وعن الصادق(ع)، أنه سأل عن صفة العدل من الرجل؟ فقال:

[إذا غض طرفه من المحارم، ولسانه عن المآثم، وكفه عن المظالم].

وروي أبوالبركات، عن النبي(ص) انه قال:

[عدلُ ساعة خير، من عبادة سبعين سنة قيامُ ليلها وصيام نهارها].

[الـعدل ميزان الله في الأرض، فمن أخذه قاده إلى الجنة، ومن تركه ساقه الى النار].

وروى سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت علياً(ع) يقول: قال رسول الله(ص):

[إن أشـد الناس ندامة وحسرة رجل دعا عبداً إلى الله فأستجاب له فأطاع الله فدخل الجنة، وأدخل الداعي النار بترك عمله واتباع هواه بعصيانه لله].

إرشادات إسلامية حول العدل والظلم

العدلُ ومعطياته :

عن ابي اسحاق الجرجاني، عن ابي عبدالله(ع) قال:

[إنّ الله جـعـل لمن جـعـل له سلطانا اجلا ومدّة من ليال وايام وسنين وشهور، فـأن عـدلـوا في الـنـاس أمـر الله صـاحـب الـفـلك ان يبطى بأدارته فطالت أيامهم وليـاليـهـم وسـنـينهم وشهورهم، وان جاروا في الناس فلم يعدلوا أمر الله صاحب الـفـلـك فـأسـرع بـأدارتـه فـقـصر لـياليهم وأيامهم وسنينهم وشهورهم، وقد وفى الله عزوجلّ بعدد الليالي والشهور]

وعن محمد بن مسلم، عن ابي عبدالله(ع) قال:

[ثلاث هم أقرب الخلق الى الله عزّوجَلّ يوم القيامة حتى يفرغ من الحساب: رجل لم تدعه قدرته في حال غضبه الى ان يحيف على من تحت يديه ورجل مشى بين اثنين فلم يمل مع احدهما على الآخر بشعيرة، ورجل قال الحق فيما عليه].

لا يجوز لمن وصف عدلاً أن يخالفه الى غيره

عن ابن ابي يعفور، عن ابي عبدالله(ع) قال:

[انّ من اعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثم خالفه الى غيره].

وعن قتيبة الاعشى، عن ابي عبدالله(ع) قال:

[ان من اشد الناس عذابا يوم القيامة من وصف عدلا وعمل بغيره].

وعن ابي بصير، عن ابي عبدالله(ع) قال: في قول الله عزو وجلّ: «فكبكبوا فيها هم والغاوون» [يا ابا البصير قوم وصفوا عدلا بألسنتهم ثم خالفوه الى غيره].

الظلم في الدنيا :

ظلمات في يوم القيامة :

عن الوليد بن صبيح، عن ابي عبدالله(ع) قال:

[ما من مظلمة أشّد من مظلمة لا يجد صاحبها عليها عونا الا الله].

وعن هشام بن سالم، عن ابي عبدالله(ع) قال: قال رسول الله(ص):

[اتقوا الظلم فأنه ظلمات يوم القيامة].

وعن زرارة، عن ابي جعفر(ع) قال:

[ما من احد يظلم مظلمة الآ اخذه الله بها في نفسه وماله، فأمّا الظلم الذي بينه وبين الله فأذا تاب غفر له].

وعن ابي حمزة الثمالي، عن ابي جعفر(ع) قال: لمّا حضر عليّ بن الحسين(ع) الوفاة ضمّني إلى صدره ثم قال:

[يا بني اوصيك بما اوصاني به ابي حين حضرته الوفاة ـ ومماذكر أنّ اباه اوصاه به قال: يا بني اياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله].

وعن حفص بن عمّار، قال: قال ابي عبدالله(ع)قال: قال أميرالمؤمنين(ع):

[من خاف القصاص كف عن ظلم الناس].

وعن عليّ بن سالم قال: سمعت اباعبدالله(ع) يقول:

[ان الله عزوجل يقول: وعزتي وجلالي لا اجيب دعوة مظلوم دعاني في مظلمة ظلما ولأحد عنده مثل تلك المظلمة].

وعن زيد بن علي بن الحسين، عن ابائه(ع) قال:

[يأخذ المظلوم من دين الظالم اكثر مما يأخذ الظالم من دنيا المظلوم].

وعن محمد بن عبدالله الأرقط، عن جعفر بن محمد(ع) قال:

[من ارتكب احدا بظلم بعث الله من ظلمه مثله او على ولده او على عقبه من بعده].

أقول: الظلمة نواة تُعطي الظلم فيقتطف الثمر اما نفس الشخص او عقبه.

وعن السّكوني، عن جعفر بن محمد، عن ابيه، عن ابائه(ع) قال: قال أميرالمؤمنين(ع):

[اعظم الخطايا اقتطاع مال امرىء مسلم بغير حق].

وجوب رد المظالم الى اهلها

عن سعد بن طريف، عن ابي جعفر(ع) قال:

[الظلم ثلاثة: ظلم يغفره الله، وظلم لا يغفره الله، وظلم لا يدعه الله، فأمّا الظلم الذي لا يغفره فالشرك وأمّا الظلم الذي يغفره فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله، واما الظلم الذي لا يدعه فالمداينة بين العباد].

وعن شيخ من النخع قال: قلت لابي جعفر(ع): انيّ لم ازل واليا منذر من الحجاج الى يومي هذا، فهل لي من توبة؟ قال فسكت، ثم اعدت عليه، فقال:

[لا حتى تؤديّ الى كل ذي حقّ حقه].

وعن ابي بصير قال: سمعت اباعبدالله(ع) يقول:

[من اكل من مال اخيه ظلما ولم يرّده اليه اكل جذوة من الناريوم القيامة].

وعن ابي عبيدة الحذّا قال: قال ابوجعفر(ع): قال رسول الله(ص):

[من اقتطع مال مؤمن غصبا بغير حقّه لم يزل الله معرضا عنه ماقتا لأعماله التي يعملها من البرّ والخير لا يثبتها في حسناته حتى يرد المال الذي اخذه الى صاحبه].

الظالم والمعين له والراضي بالظلم: شركاء!

عن طلحة بن زيد، عن ابي عبدالله(ع) قال:

[العامل بالظلم والمعين له والراضّي به شركاء ثلاثتهم].

وعن عبدالله بن سنان، عن ابي عبدالله(ع) قال:

[من عذر ظالما بظلمه سلّط الله عليه من يظلمه، فأن دعا لم يستجب له، ولم يأجره الله على ظلامته].

وعن انس بن محمد، عن ابيه، عن جعفر بن محمد، عن ابائه (ع) في وصية النبي(ص) لعلي(ع) قال:

[يا عليّ شر الناس من باع اخرته بدنياه، وشرّمنه من باع اخرته بدنيا غيره].

وعن عبدالله بن سنان قال: سمعت اباعبدالله (عليه السلام) يقول:

[من اعان ظالماً على مظلوم لم يزل الله عليه ساخطاً من معونته].

وفي (نهج البلاغة) عن اميرالمؤمنين(ع) انّه قال:

[للظالم من الرّجال ثلاث علامات: يظلم من فوقه بالمعصية ومن دونه بالغلبة، ويظاهر للقوم الظلمة].

تحريم طلب الرئاسة مع عدم الوثوق بالعدل:

عن معمر ابن خلاّده عن ابي الحسن(ع) انه ذكر رجلا فقال: انه يحب الريّاسة، فقال:

[ما ذئبان ضاريان في غنم قد تفرق رعاؤها باضرّ من دين المسلم من الريّاسة].

وعن ابي عبدالله(ع) قال:

[من طلب الريّاسة هلك].

وعن عبدالله بن مسكان قال: سمعت اباعبدالله(ع) يقول:

[ايّاكم وهؤلاء الرّؤساء الذّين يترأسون، فوالله ما خفقت النعال خلف الرجّل الآ هلك واهلك].

وعن جويرية بن مسهر قال: اشتددت خلف اميرالمؤمنين(ع) فقال:

[يا جويرية انّه لم يهلك هؤلاء الحمقى الا بخفق النعال خلفهم].

وعن ابي الربيع الشاميّ، عن ابي جعفر(ع) قال لي:

[يا ابا الرّبيع لا تطلبن الرّياسة ولا تكن ذنبا، ولا تأكل الناس بنا فيفقرك الله].

وعن محمد بن مسلم قال: سمعت اباعبدالله(ع) يقول:

[اترى لا اعرف خياركم من شراركم؟ بلى والله ان اشرار كم من احب ان يوطأ عقبه انّه لابد من كذّاب او عاجز الرأي].

وعن القاسم بن عون، عن علي بن الحسين(ع) في حديث انه قال له:

[اياك ان تترأس فيضعك الله وأياك ان تستأكل بنا فيزيدك الله فقرا واعلم انك ان تكن ذنبا في الخير خير لك من ان تكون رأسا في الشر].

وعن الحسين بن زيد، عن الصادق، عن ابائه، عن النبي(ص) في حديث المناهي قال:

[الا ومن تولى عرافة قوم اتى يوم القيامة و يداه مغلولتان الى عنقه فأن قام فيهم بأمر الله اطلقه الله وان كان ظالماهوى بهفي نار جهنّم وبئس المصير].

٢ ـ قلة الضرائب

حيث ان الضرائب الأسلامية عبارة عن (الخمس) و (الزكاة) و (الجزية) و (الخراج) كما ذكرنا تفصيله في فصل سابق، وذكرنا انه بسبب قلة الضرائب كان حكم المسلمين أحب الى أهل البلاد وان كانوا كفارا من حكم بني دينهم عليهم فأن الجزية التي تؤخذ من الكفار شيء قليل جداً.

ففي رواية زرارة، عن الصادق(ع)، انه سأله: ما حدّ الجزية على أهل الكتاب، وهل عليهم في ذلك شيء موظف لا ينبغي ان يجوز الى غيره؟ فقال(ع):

[ذلك ان الامام يأخذ من كل انسان منهم ما شاء على قدر وما يطيق، انما قوم فدوا انفسهم من ان يستعبدوا اويقتلوا فالجزية تؤخذ منهم على قدر ما يطيقون له ان يأخذ منهم حتى يسلموا]. الحديث

وقال ابن مسلم، قلت لأ بي عبدالله(ع): أرأيت مما يأخذ هؤلاء من هذا الخمس من أرض الجزية و يأخذ من الدهاقين جزية رؤوسهم أما عليهم في ذلك شيء موظف؟ فقال:

[كان عليهم ما أجازوا على أنفسهم وليس للأمام أكثر من الجزية ان شاء الأمام وضع ذلك على رؤوسهم وليس على أموالهم شيء، وان شاء فعلى أموالهم وليس على رؤوسهم شيء].

فقلت: فهذا الخمس؟ فقال:

[انما هذا شيء كان صالحهم عليه رسول الله(ص)].

وعن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر(ع) في أهل الجزية يؤخذ من أموالهم ومواشيهم سوى الجزية؟ قال (لا).

وعن مصعب بن يزيد الانصاري قال: استعملني اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب(ع) على أربعة رساتيق، وأمرني ان أضع على كل جريب زرع غليظ درهماً ونصفا، وعلى كل

جريب وسط درهما، وعلى كل جريب زرع رقيق ثلثي درهم، وعلى كل جريب كرم عشرة دراهم، وعلى كل جريب نخل عشرة دراهم، وعلى كل جريب البساتين التي تجمع النخل والشجر عشرة دراهم، وأمرني أن ألقي كل نخل شاذ عن القرى لمارة الطريق وأبن السبيل، ولا أخذ منه شيئاً، وأمرني ان أضع على الدهاقين الذين يركبون لبراذين و يتختمون بالذهب على كل رجل منهم ثماني وأربعين درهما، وعلى أوساطهم التجار منهم على كل رجل منهم أربع وعشرين درهماً، وعلى سفلتهم وفقرائهم اثنى عشر درهما على كل انسان منهم، قال: فجبيتها ثمانية عشر ألف ألف درهم في سنة.

فأنظروا الى هذه الجزية القليلة جدا والتي لا تتعدى ثمانية وار بعين درهماً كل عام على كبار التجار والأشراف وأصحاب الأرياف وثمانية وار بعين درهم تقارب أربعة وعشرين مثقالاً من الفضة، ومثقال الفضة كان رخيصاً جداً، فقبل أربعين سنة كان مثقال الفضة يعادل أربعة فلوس، فتكون الضريبة أقل من مائة فلس على كل انسان ثري في كل سنة ــ واذا علمنا ان كل فلس آنذاك كان ثمن ربع كيلو خبزاً ظهر قلة الجزية.

وفي رواية المفيد، عن اميرالمؤمنين(ع)، انه جعل على اغنيائهم ثمانية واربعين درهماً، وعلى اوساطهم أربعة وعشرين درهماً، وجعل على فقرائهم اثنى عشر درهما، وكذلك صنع عمر بن الخطاب قبله وانما صنعه بمشورته.

وعن ابن أبي يعفور، عن أبي عبدالله(ع) قال:

[ان أرض الجزية لا ترفع عنهم الجزية، وانما الجزية عطاء المهاجرين، والصدقة لأهلها الذي سمى الله في كتابه فليس لهم من الجزية شيء].

ثم قال:

[ما أوسع العدل].

ثم قال:

[ان الناس يستغنون اذا عدل بينهم، وتنزل السماء رزقها، وتخرج الأرض بركتها بأذن الله].

أقول: الامام أميرالمؤمنين(ع) انما وضع الجزية على الرأس وعلى الأرض، لأن الأرض كانت مفتوحة عنوة، والأرض المفتوحة عنوة يؤخذ منها الخراج سواء من المسلم

أو من الكافر لأنها أراضي المسلمين كما ذكر في الروايات وذكرها الفقهاء في كتب مفصلة.

تسهيلات

ثم ان الجزية لا تؤخذ من جماعة منهم، كما انه يسمح لهم بأعطاء الجزية حتى من **ثمن الخمر والخنزير** ــ وان كانا محرمين في الشريعة الأسلامية ويحرم التعامل بهما ــ وذلك للتوسعة عليهم والزامهم بما التزموا به.

وقد روي عن علي(ع) انه قال:

[الجزية على أحرار أهل الذمة الرجال البالغين، وليس على العبيد ولا على النساء ولا على الأطفال جزية، يؤخذ من الدهاقين وأمثالهم من أهل السعة والمال على كل رجل منهم ثماني واربعون درهماً كل عام، ومن أهل الطبقة الوسطى أربع وعشرون درهماً، ومن أهل الطبقة السفلى أثنى عشر درهماً وعليهم مع ذلك الخراج لمن كانت له الأرض منهم من كبير أو صغير أو رجل أو امرأة فالخراج على الأرض، ومن أسلم منهم وضعت عنه الجزية ولم يوضع عنه الخراج لأن الخراج من الأرض].

وقال(ع):

[انه رخص في أخذ العروض مكان الجزية بقيمة ذلك].

وعن أبي عبدالله(ع) انه قال:

[ومن استعين به من أهل الذمة على حرب المشركين طرحت عنه الجزية].

وعن الصادق، عن آبائه، عن أميرالمؤمنين(ع): ان رسول الله(ص) قال:

[من وضع عن ذمي جزية أوجبه الله عليه أو يشفع له في وضعها عنه فقد خان الله ورسوله وجميع المؤمنين].

وعن النبي(ص) انه قال:

[لا تقوم الساعة حتى يؤكل المعاهد كما يؤكل الخضر].

أقول: في هاتين الروايتين منع عن الأفراط والتفريط، بوضع الجزية أو أخذ الجزية زائداً وقد سمى النبي(ص) ذلك أكلاً للمعاهد.

وعنه (ص) انه نهى عن التعدي على المعاهدين.

وعن جابر الجعفي قال: سمعت اباجعفر(ع) يقول في حديث:

[لا جزية على النساء].

وعن أبي جعفر(ع) قال:

[الجزية عطاء المجاهدين والصدقة لأهلها الذين سماهم الله في كتابه ليس من الجزية].

وعن أبي عبدالله(ع)

[انه رخص في أخذ الجزية من ثمن الخمر والخنازير لأن أموالهم أكثرها من الحرام والربا].

وعن محمد بن مسلم قال: سألت أباعبدالله(ع) عن صدقات أهل الذمة وما يؤخذ من جزيتهم من ثمن خمورهم وخنازيرهم وميتتهم؟ قال:

[عليهم الجزية في أموالهم تؤخذ من ثمن لحم الخنزير أو خمر فكلما أخذوا منهم من ذلك فوزر ذلك عليهم وثمنه للمسلمين حلال يأخذونه في جزيتهم].

الى غيرها من الروايات.

الرفق في الجباية

ثم أن أخذ الجزية منهم ليس بالعنف، فقد قال رجل من ثقيف ـ وكان من عمال أميرالمؤمنين(ع) ـ: استعملني علي بن أبي طالب(ع) على بانقيا وسواد من سواد الكوفة، ثم قال لي:(إذا اردت ان تتوجه الى عملك فمرّبي) قال: فأتيته فقال لي:(اياك ان تضرب مسلما أو يهوديا أو نصرانيا في درهم خراج أو تبيع دابة عمل في درهم، فأنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو).

وفي ختام هذا الفصل نذكر هذه الرواية حول الضرائب والمكوس:

(قال نوف: بت ليلة عند أميرالمؤمنين(ع) فكان يصلي الليل كله ويخرج ساعة بعد ساعة فينظر الى السماء و يتلو القرآن قال: فمر بي بعد هدوء من الليل فقال: يا نوف اراقد انت أم رامق؟! قلت: بل رامق ارمقك ببصري يا أميرالمؤمنين قال: يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة، أولئك الذين اتخذوا الأرض بساطا، وترابها فراشا، ومائها طيبا، والقرآن دثارا، والدعاء شعارا، وقرضوا من الدنيا تقريضاً على منهاج عيسى بن مريم(ع)، ان الله عزوجل أوحى إلى عيسى بن مريم قال للملأ من بني اسرائيل لا يدخلون بيتاً من بيوتي الا بقلوب طاهرة وأبصار خاشعة وأكف نقيه، وقل لهم: اعلموا اني غير مستجيب لأحد منكم دعوة ولأحد من خلقي قبله مظلمة ثم قرضوا الدنيا قرضا على منهاج المسيح يا نوف ان داود(ع) قام في مثل هذه الساعة من الليل، فقال: انها ساعة لا يدعو فيها عبد ربه إلا استجيب له الا ان يكون عشاراً او عريفاً او شرطياً او صاحب عرطبة ــ وهي الطنبور ــ او ــ صاحب كوبة ــ وهي الطبل).

٣ ــ تيسير الشؤون:

وذلك بقلة الموظفين وعدم الحاجب.

قلة الموظفين:

أما قلة الموظفين فقد ذكرنا في بعض كتبنا السياسية: ان الموظفين في الدولة الأسلامية قليلون جداً لأنهم مشرفون فقط، وانما الاعمال بيد الناس، و يعني ذلك انه اذا قامت الدولة الأسلامية في الزمن الحاضر كانت القطارات والمطارات والمعامل والمستشفيات والمدارس والشوارع وغيرها كلها بأيدي الناس، والدولة تشرف على ان لا يجحف بعضهم ببعض، و بذلك تبعد الدولة عن نفسها مشاكل كثيرة وتتمكن من القيام بما القي عليها من الواجبات خير قيام.

لا حاجب في الأسلام

واما انه لا حاجب فكلنا نعلم ان رسول الله(ص) قد استولى على سبع دول في خريطة عالم اليوم، ولم يكن له حاجب وكان كل المسلمين يتمكنون من اللقاء به في أي وقت بل كان بعضهم يسيء الأدب و يتكلم معه من وراء الحجرات، و يصيح: (يا محمد اخرج الينا) حتى ورد قوله سبحانه:

«ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون، ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم»(٤ـ٥/الحجرات).

وكذلك لم يكن لعلي(ع) ـ وهو رئيس أكبر دولة في زمانه ـ حاجب.

وقد ورد في جملة من الروايات النهي عن اتخاذ الحاكم حاجباً.

مثل ما كتبه اميرالمؤمنين(ع) الى عامله على مكة قثم بن العباس قال:

[ولم يكن لك الى الناس سفير الا لسانك، ولا حاجب الا وجهك، ولا تحجبن ذا حاجة عن لقائك بها].

وفي رواية عن زيد الشحام قال: سمعت الصادق(ع) يقول:

[من تولى أمراً من امور الناس فعدل وفتح بابه ورفع ستره ونظر في امور الناس كان حقاً على الله عزوجل ان يؤمن روعته يوم القيامة و يدخله الجنة].

ومفهوم هذه الرواية انه ان لم يفعل كذلك خوفه الله سبحانه وتعالى ولم يدخله الجنة، ومن الواضح ان التهديد بمثل ذلك معناه الحرمة.

البساطة الشاملة

هذا بالأضافة الى بساطة الخليفة والوالي والقاضي وسائر موظفي الدولة في كل شؤونهم من المأكل والمشرب والملبس وغير ذلك، كما ذكرنا جملة من الأدلة على ذلك في بعض كتبنا السياسية وألمعنا اليه هنا في أحوال رسول الله(ص) وأحوال علي(ع).

٤ ـ الشورى

حيث ان الدولة في الأسلام مبنية على الشورى في كل شؤونها، ومن الضروري تحكيم الشورى في الدولة الأسلامية وفي العالم أجمع، فيجب ان تكون كل الأمور ـ من القرية الى العاصمة ومرورا بالمعمل والمصنع والمطار واتحاد الطلبة والمدارس والجامعات وغيرها ـ مبنية على الشورى، فأنها تظهر الكفاءات، وتقدم الضوابط وتزيل الروابط والرشاوي والمحسوبية والمنسوبية وما أشبه، بينما الدكتاتورية بالعكس، فالشورى تنتهي بالمجتمع الى القمة، والدكتاتورية تنزل به الى الحضيض.

وفي الحديث: ان رسول الله(ص) كان أكثر الناس استشارة.

كما تقدم ان علياً(ع) جعل من حق الأمة عليه ان يستشيرهم.

وفي أحاديث كثيرة إن من وظيفة المسلم (النصيحة) و يراد بها اعطاء المشورة والنصح لأمام المسلمين، كما ان من وظيفته النصح لغيره ايضا ففي رواية عن علي(ع) انه قال رسول الله(ص):

[ان انسك الناس نسكا انصحهم جيبا واسلمهم قلباً لجماعة المسلمين].

وفي حديث قال رسول الله(ص):

[من يضمن لي خمساً أضمن له الجنة، قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: النصيحة لله عزوجل، والنصيحة لرسوله، والنصيحة لكتاب الله، والنصيحة لدين الله، والنصيحة لجماعة المسلمين].

وعن السكوني، عن أبي عبدالله(ع) قال: قال رسول الله(ص):

[أعظم الناس منزلة يوم القيامة افشاهم في أرضه بالنصيحة لخلقه].

٥ ـ توزيع الأموال بالسّوية على المسلمين

المال يكون لجميع الناس حسب الكفاءات والأعمال، ثم اذا زاد المال على ذلك في بيت المال قسّم بين المسلمين على السوية.

قال سبحانه:

«ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فللّـه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فأنتهوا وأتقوا الله ان الله شديد العقاب»(٧/الحشر).

فقد منع الله سبحانه وتعالى ان يكون المال دولة بين الأغنياء كما نجده الآن في الدول الرأسمالية والدول الشيوعية على حد سواء، ففي الدول الرأسمالية يكون المال دولة بين الرأسماليين، وفي الدول الشيوعية يكون المال دولة بين الحكام فقط، بينما الأسلام يرى توزيع المال حسب الكفاءة والعمل واذا زاد شيء فأنه يكون لجميع المسلمين بل ولغير المسلمين من العجزة ونحوهم.

ففي رواية ان بعض القوم اشاروا على علي(ع) بعدم العدالة وعدم التقسيم بالسوية، فقال أميرالمؤمنين(ع): (أتأمروني ويحكم ان اطلب النصر بالظلم والجور فيمن وليت عليه من أهل الأسلام؟ لا والله لا يكون ذلك ما سمر السمير وما رأيت في السماء نجماً، والله لو كانت أموالهم ملكي لساويت بينهم فكيف وانما هي أموالهم؟).

وفي رواية اخرى، عن حفص قال: سمعت أباعبدالله(ع) يقول: وسأل عن قسم بيت المال؟ فقال:

[أهل الأسلام هم أبناء الأسلام أسوّي بينهم في العطاء، وفضائلهم بينهم وبين الله، أجعلهم كبني رجل واحد لا يفضل أحد منهم لفضله وصلاحه في الميراث على آخر ضعيف منقوص].

قال:

[وهذا هو فعل رسول الله(ص)] الحديث.

وفي حديث آخر، عن أبي اسحاق الهمداني: ان امرأتين أتتا عليا(ع) عند القسمة أحداهما من العرب والأخرى من الموالي، فأعطى كل واحدة خمسة وعشرين درهماً وكرّاً من الطعام، فقالت العربية: يا أميرالمؤمنين اني امرأة من العرب وهذه امرأة من العجم! فقال علي(ع): (والله لا أجد لبني اسماعيل في هذا الفيء فضلاً على بني اسحاق).

وبُعث اليه(ع) من غوص البحر شيء لا يدرى قيمته، فقال له ابنته ام كلثوم،

أتجمل به، يكون في عنقي، فقال(ع): (يا ابا رافع ادخله في بيت المال، ليس الى ذلك سبيل حتى لا تبقى امرأة من المسلمين الا ولها مثل مالكِ).

وقام (ع) خطيباً بالمدينة فقال:

[يا معشر المهاجرين والأنصار يا معشر قريش اعلموا والله اني لا ارزئكم(١) من فيئكم شيئاً ما قام لي عذق بيثرب، أفتروني مانعا نفسي ومطيعكم؟ ولأسوّين بين الأسود والأحمر].

فقام إليه عقيل بن أبي طالب فقال: تجعلني وأسود من سودان المدينة واحداً؟

فقال له: (اجلس رحمك الله أما كان ههنا من يتكلم غيرك؟ وما فضلك عليه الا بسابقة أو تقوى).

إلى غيرها من الروايات التي تدل على إستواء المسلمين بالنسبة الى بيت المال الأسلامي لا كما يعتاد الآن في كثير من البلاد أو في اكثرها من انحصار المال في يد رؤساء الدولة والتجار الكبار ومن أشبه في حين لا يجد كثير من الشعب حتى مسكناً، أو قوتا ولباسا كافيين، ولا يجد كثير من الشباب من المال ما يتمكنون من الزواج الى غير ذلك من مظاهر الطبقية التي نهى عنها الأسلام، فأن الأسلام دين الكفاءة لا دين الطبقية والقومية والعنصرية وما أشبه.

٦ ــ العفو:

فقد كان رسول الله(ص) ــ وتبعه علي(ع) ــ يعفو عن المجرمين ما وجد إلى ذلك سبيلاً، وكان الأعداء يقابلون الرسول(ص) بالحقد والأذى فلا يدعو عليهم، وانما كان يقول:

[اللهم أهد قومي فأنهم لا يعلمون].

فلم يكن أمره (ص) العفو عنهم فحسب، وإنما طلب الهداية، وأراد لهم الخير.

---

(١) أي لا أنقصكم.

النبي(ص) يعفو عمن حاول قتله

وفي التاريخ: ان النبي(ص) كان نائما وقت الضحى في بعض غزواته في ظل شجرة وحده بعيدا عن اصحابه وكانوا هم ايضاً نائمين، فجائه (غورث بن الحارث) ووقف على النبي(ص) مصلتا سيفه وصاح به: من يمنعك مني يا ابا القاسم؟

فقال النبي(ص): الله، فأنزلقت رجل ابن الحارث، وسقط السيف من يده، فبدر النبي(ص) الى السيف واخذه ورفعه على غورث قائلاً له: يا غورث من يمنعك مني الآن؟

فقال: عفوك وكن خير آخذ.

فتركه النبي(ص) وعفا عنه، فجاء الى قومه وقال لهم: والله جئتكم من عند خير الناس.

اللهم اهد قومي فأنهم لا يعلمون!

وفي رواية: اشتد اذى المشركين للرسول(ص) يوم أحد إذ قتل عمه حمزة، ومُثّل بجسده الشريف، وقطعت كبده وأصابع يديه ورجليه، وجدع انفه، وصُلمت أذناه، وفعل به ما فعل وقُتل العشرات من المسلمين فتقدم بعض الصحابة الى النبي(ص) واقترح عليه ان يدعو عليهم ليعذبهم الله بعذاب من عنده كما كان يعذب الكفار الأولين، لكن النبي قال:

[اني لم أبعث لعاناً، ولكن بعثت داعيا ورحمة، اللهم اهد قومي فأنهم لا يعلمون].

إذهبوا فأنتم الطلقاء

وقد عفى الرسول(ص) عن أهل مكة ــ عاصمة الشرك التي حاربت الرسول(ص) أكثر من عشرين سنة بكل انواع المحاربة ــ لكن الرسول(ص) لما انتصر عليهم قال كلمته المشهورة:

[اذهبوا فأنتم الطلقاء].

لا هذا فحسب، بل انه جعل راية لأبي سفيان وأرسله مع كتيبة الى غزوة حنين وأعطى له تلك العطية الجزيلة التي تقدم ذكرها.

وهكذا كان الرسول(ص) وعلي(ع) يعفوان عن المجرمين.

فالدولة الأسلامية ــ اذاً ــ مبنية على العفو وقد ذكرنا بعض النماذج الآخر بهذا الصدد في هذا الكتاب.

٧ ــ الأولوية للكفاءات

اي ملاحظة الكفاءات في تولية الأمور لا المحسوبيات والمنسوبيات.

فقد روي في كتاب: (الحرية السياسية في الأسلام) عن رسول الله(ص) انه قال:

[من ولي من امور المسلمين شيئاً فأمّر عليهم أحدا محاباة فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم].

وقال (ص):

[من ولي من امور المسلمين شيئاً فولىّ رجلا وهو يجد من هو اصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله].

وقال (ص) أيضاً:

[من ولي من امور المسلمين شيئاً فولى رجلا لمودة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله].

و يقول الأمام اميرالمؤمنين(ع) في عهده لمالك:

[فولّ من جنودك انصحهم في نفسك لله ولرسوله ولامامك، وانقاهم جيباً، وافضلهم حلما، ممن يبطأ عند الغضب، و يستريح الى العذر، و يرأف بالضعفاء، و ينبو على الأقوياء، وممن لا يثيره العنف، ولا يقعد به الضعف].

و يقول (ع):

[ثم ألصق بذوي المروءات والأحساب واهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة، فأنهم جماع من الكرم وشعب من العرف].

و يقول (ع):

[ثم أعرف لكل امرء منهم ما ابلى، ولا تضمّن بلاء امرء الى غيره، ولا تقصرن به دون غاية بلائه، ولا يدعونك شرف امرء الى ان تعظم من بلائه ما كان صغيرا، ولا ضعة امرء الى ان تستصغر من بلائه ما كان عظيما].

و يقول (ع):

[ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الامور، ولا تمحكه الخصوم، ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصر من الفيء الى الحق اذا عرفه، لا تشطط نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون اقصاه، واوقفهم في الشبهات، وأخذهم بالحجج، وأقلت تبرما بمراجعة الخصم، واصبرهم على تكشف الامور، واصرمهم عند تضاحي الحكم، ممن لا يزدهيه إطراء، ولا يستميله اغراء].

و يقول (ع):

[ثم انظر في امور عمالك فأستعملهم اختبارا، ولا توهم محاباةً وأثرة (المحاباة الاعطاء مجاناً والأثرة: الاستبداد) فأنهما جماع من شعب الجور والخيانة (اي يجمعان فروع الجور والخيانة) وتوخّ منهم اهل التجربة والحياء من اهل البيوتات الصالحة والقدم في الأسلام المتقدمة فأنهم اكرم اخلاقا واصح اعراضا، واقل في المطامع إشرافاً، وابلغ في عواقب الأمور نظراً].

و يقول (ع):

[ثم انظر في حال كتابك فولّ على امورك خيرهم، واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك أسرارك بأجمعهم بوجوه صلاح الأخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجترء بها عليك في خلاف نصب حضره ملاء، ولا تقصر به العقلة عن ايراد مكاتبات عمالك عليك واصدار جواباتها على الصواب عنك فيما يأخذ لك و يعطى منك، ولا يضعف عقدا اعتقده لك، ولا يعجز عن اطلاق ما عقد عليك، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الامور، فأن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل، ثم لا يكن اختيارك اياهم على فراستك واصطلامتك (الاصطلامة السكون والثقة) وحسن الظن منك، فان الرجال يتعرضون لفراسات الولاة وتصنعهم وحسن خدمتهم، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء، ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثراً، واعرفهم بالأمانة وجها، فأن ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت امره].

الى غيرها من الروايات الكثيرة في هذا الباب والتي تدل على لزوم العمل في الدولة حسب الكفاءات لا حسب المحسوبيات والمنسوبيات، وقد قال الله سبحانه:

«ولا تبخسوا الناس اشيائهم»(٨٥/الاعراف).

فأن الانسـان اذا أخّـر ذا الكفاءة وقدم غيره عليه فقد **بخس** الناس حقهم كما هو **واضح.**

ثانياً : الأمة الأسلامية

الأمة الأسلامية هي أمة واحدة في جميع الشؤون، فلا حدود جغرافية او لونية اولغوية او غيرها، وانما هي امة واحدة، وكل فرد فيها متساو كسائر الافراد الآخرين.

قال سبحانه:

«كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله، ولو آمن اهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون»(١١٠/آل عمران).

وقال تعالى:

«ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واؤلئك لهم عذاب عظيم»(١٠٥/آل عمران).

وقال سبحانه:

«وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فأتقون، فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون، فذرهم في غمرتهم حتى حين. أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون»(٥٢ـ٥٦/المؤمنون).

فكل من فرقَ الامة هو في غمرة حتى حين و يكون مصيره ما ذكره الله سبحانه وتعالى في عاقبة من خالف حكمه.

وقال سبحانه:

«ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فأعبدون، وتقطعوا امرهم بينهم كل الينا راجعون»(٩٢ـ٩٣/الانبياء).

الى غيرها من الآيات والروايات.

نتائج وحدة الأمة :

واذا كانت الامة واحدة اسقطت الحدود الجغرافية من بينها .كما كان المسلمون كذلك في زمن رسول الله(ص) وفي زمن الأمام اميرالمؤمنين(ع)، واسقطت الكمارك فلا كمارك بين قطر وقطر لانها تصبح بلدا واحدا بالأضافة الى ان المكوس حرام في الشريعة الأسلامية كما بيناه مكرراً، وحين ذاك يحصل الاكتفاء الذاتي في كل شيء مثلاً: اراضي السودان زراعية بينما اراضي الكويت نفطية، وهناك بلاد تزخر بالأ يدي العاملة، فتتعاون هذه الثلاثة: (الأرض ــ المال ــ اليد العاملة) لكي تؤمّن قسماً من الاكتفاء الزراعي للأمة الاسلامية وكذلك تتوفر القوة الضاربة العسكرية حيث يكون المسلمون جميعاً يدا واحدة على من سواهم.

تكافؤ المسلمين في منظار الاسلام

وقد ورد في روايات كثيرة تكافؤ دماء المسلمين من غير فرق بين جميع اصنافهم، وانهم يد واحدة على من سواهم، وان ادناهم اذا أعطى الأمان او الذمة للكفار قبل منه ذلك.

فعن ابن ابي يعفور، عن الصادق(ع) قال: خطب رسول الله(ص) بمنى (الى ان قال):

[المسلمون اخوة تتكافىء دمائهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم].

وعن أميرالمؤمنين(ع) عن رسول الله(ص) انه قال:

[المؤمنون تتكافىء دمائهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم فهذا يوجب القصاص في النفس وفيما دون النفس بين القوي والضعيف والشريف والمشروف والناقص والسوي والجميل والذميم والمشوه والوسيم لا فرق في ذلك بين المسلمين].

وعن غوالي اللئالي، عن النبي(ص) انه قال:

[المسلمون بعضهم اكفاء بعض].

وعن السكوني، عن أبي عبدالله(ع) قال: قلت له: ما معنى قول النبي(ص) يسعى بذمتهم ادناهم؟ قال:

[لو أن جيشاً من المسلمين حاصروا قوماً من المشركين فاشرف رجل فقال: اعطوني الأمان حتى ألقى صاحبكم واناظره فأعطاه ادناهم الأمان وجب على أفضلهم الوفاء به].

وعن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبدالله(ع):

[ان علياً(ع) اجاز امان عبد مملوك لأهل حصن من الحصون وقال: هو من المؤمنين].

وعنه أميرالمؤمنين(ع) انه قال: خطب رسول الله(ص) في مسجد الخيف فقال:

[رحم الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها و يبلغها الى من لم يسمعها فرب حامل فقه وليس بفقيه ورب حامل فقه الى من هو افقه منه. ثلاث لا يغل عليهن قلب امرء مسلم: اخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم فأن دعوتهم محيطة من ورائهم والمسلمون اخوة تتكافىء دمائهم و يسعى بذمتهم ادناهم فأذا أمن احد من المسلمين أحداً من المشركين لم يخفر ذمته].

وعن علي(ع) قال: قال رسول الله(ص):

[ليس للعبد من الغنيمة شيء الا من جمع المتاع، وأمانه جائز، وأمان المرأة اذا هي اعطت القوم الأمان].

مضاعفات التمزق والانشقاق

والحقيقة ان ما يصيب المسلمين من القتل من جهة الشرقيين والغربيين ــ سواء كان في ليبيا في ايام الاحتلال الايطالي أو في السودان في أيام الاحتلال البريطاني أو في فلسطين أو في لبنان أو في سوريا أو في مصر أو في الاردن أو في العراق أو في ايران أو في

باكستان أو في بنكلادش أو في أفغانستان أو في أرتيريا او في فيليبين أو في برما أو في الهند أو في الجمهوريات الست الروسية او في غيرها ــ فانه مسبب عن تمزق الأمة الأسلامية واذا عادت الامة الأسلامية الى وحدتها المقررة في الكتاب والسنة لم يقع اي شيء من ذلك، واصبح المسلمون يتمكنون من السير في بلاد الله العريضة دون ان ترفع الحدود الزائفة في وجوههم ولم يكن المسلم يحتاج الى ما يسمى بـ(كارت الزيارة) مما ابتدعه الاستعمار البريطاني في بلاد المسلمين حتى كان المسلم هناك غريب لأنه ليس من أهل البلد وكأن البلد ليس جزءاً من البلاد الاسلامية.

فمن الضروري اسقاط الحدود الجغرافية ونحوها حتى تعود الامة الى وحدتها السابقة وتحل بذلك كثير من مشاكلها الراهنة.

ثالثاً : الاخوّة الاسلامية

الاخوة الاسلامية كما قال سبحانه وتعالى:

«انما المؤمنون اخوة»(١٠/الحجرات).

فالعربي والفارسي والهندي والاندنوسي والتركي وغيرهم كلهم اخوة، لا تمايز بين أحدهم في اي شيء، وهم متساوون أمام القانون الاسلامي، فلا قوميات ولا اقليميات ولا لغات ولا ألوان تفصل بعض المسلمين عن بعض.

وقد آخى رسول الله(ص) بين الرجال بعضهم مع بعض، كما آخى بين النساء بعضهن مع بعض عندما ورد المدينة المنورة.

الاسلام يلغي العصبيات الجاهلية

ولا تعصب في الاسلام اطلاقا. فعن منصور بن حازم، عن أبي عبدالله(ع) قال:

[من تعصب اوتعصب له فقد خلع ربقة الايمان من عنقه].

وقد نقل ذلك عن رسول الله(ص) ايضاً، والمراد بمن تعصب له يعني انه يرضى بذلك أو يأمر بذلك.

وعن السكوني، عن أبي عبدالله(ع) قال: قال رسول الله(ص):

[من كان في قلبه حبة خردل من عصبية بعثه الله يوم القيامة مع اعراب الجاهلية].

وفي رواية اخرى عن علي بن ابي طالب(ع) قال: قال رسول الله(ص):

[من كان في قلبه مثقال خردل من عصبية جعله الله تعالى يوم القيامة مع اعراب الجاهلية].

نموذج عملي

ولا بأس ان نذكر هنا قصة اسامة فقد كان ابوه (زيد بن حارثة) عبداً تجري في عروقه دماء أفريقية، وكانت أمة (ام ايمن) جارية حبشية سوداء.

ومن بين هذين ولد (أسامة) الذي وصفه التاريخ بأنه كان (قصيراً،شديدالسمرة،في أنفه نفطس ، فخطفته قبيلة عربية في غارة من غارات الجاهلية.

وباعوه في سوق عكاظ فاشتراه (حكيم بن خزام) وأهداه لعمته (خديجة) زوجة النبي(ص)، فوهبت خديجة عبدها زيداً للرسول(ص) قبل ان يبعث، فاعتق النبي(ص) زيدا، وعندما تعرف والد زيد على مكان ابنه جاء يطلب استرجاعه، لكن زيداً اختار صحبة النبي(ص) على الرجوع الى أبيه، فاتخذه النبي(ص) بمثابة الولد.

فالنبي(ص) لا يرى اللون ولا يرى القومية ولا يرى الخصوصيات التي هي من هذا القبيل، وانما المسلمون اخوة، بل ان المسلم اذا سبق ان عمل سوءاً ثم اسلم فان الاسلام يجبّ عما قبله (كما ورد ذلك في أحاديث متواترة).

النبي(ص) يتوقف لأسود

وفي التاريخ انه توقفت ناقة النبي(ص) على رأس موكب الحجاج فتعطل الموكب كله (وفي بعض التواريخ ان الموكب كان يشتمل على مائة وثمانين الف انسان) وتطلع الناس ليروا من هو ذلك الذي ينتظره رسول الله(ص) و يعطل سير الحجاج من أجله؟ فاذا بهم يرون ان قد جاء غلام اسود افطس قد ترك الجدري آثاره في وجهه! وتحركت التفرقة العنصرية والطبقية في نفوس جماعة من الذين كانوا جديدي العهد بالأسلام فقالوا: أمن أجل هذا الغلام الأسود الأفطس يوقف النبي(ص) السير؟! فأن أمثاله من العبيد السود في الجزيرة العربية (بَلْه) في امبراطورية الروم والفرس ـــ كان يحضر عليهم

حتى لمس شراب أو طعام السادة، وكان يحضر عليهم دخول بيوت السادة، ومكانهم انما هو في الاصطبلات والمراعي، ولم تكن توكل اليهم الآ الاعمال الدنسة بل كانوا يصارعون الأسود لتسلية السادة! وحتى مطلع عصر ما يسمى بالتحرر في اروبا كانت هناك اسلحة خاصة لا يحق لغير النبلاء استخدامها، أما الدخول في المحلات العامة المخصصة للسادة، والركوب على المراكب الفارهة، والتعلم للقراءة والكتابة فكانت محرمة حتى على الطبقات السافلة من الاحرار فكيف بالعبيد؟ فما قيمة عبد أسود فتك الجدري بوجهه في عالم ينقسم الى سادة وعبيد، الى أبيض وملونين، الى روم وفرس وجزيرة عرب، والى قبائل وعشائر، والى أصحاب هذا الصنم، و ينقسم السادة فيه ايضاً الى طبقات ومراتب، و ينقسم العبيد فيه الى درجات وخصوصيات، ادناها واوضعه مرتبة العبد الاسود! أو أيّ مستقبل ينتظر هذا العبد الأفطس الاسود؟ انه المستقبل المشرق! لأنه جاء في زمان رسول الله(ص) الذي يقول:

[لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأحمر على اسود الا بالتقوى].

نعم كان أسود سعيد الحظ، جاء في لحظة نادرة من عمر الدنيا، لحظة ظهور الاسلام، ولحظة اندفاق حضارة جديدة لا تقسم الناس الى الوان ولا الى اصول ولا الى اعراق، ولا تقسم الناس بسبب التقسيمات الجغرافية والقومية والقبلية وما اشبه. ان ثورة رسول الله(ص) ليست ثورة لأجل تحرير المستذلين والمستعبدين والمستضعفين فحسب بل، انها تضعهم في الصف الاول، في صف كل المسلمين، من غير فرق بين عربهم وعجمهم، وشرقيهم وغربيهم وأسودهم وأبيضهم.

اسامة : قائداً للجيش

ولذا نرى ان النبي(ص) عندما جهز جيشا لمقاتلة الروم ــ احدى القوتين العظميين في ذلك اليوم ــ جعل رئيس هذا الجيش (أسامة) وفيه كبار الصحابة والمهاجرين والانصار وقال(ص) مكرراً: (انفذوا جيش اسامة لعن الله من تخلف عن جيش اسامة).

وقد ذكر المؤرخون ان اسامة كان ذكياً منذ صغره ومندفعاً نحو الامام وكان عمره

اثـنـي عشر عـاماً عندما تقدم للتطوع في غزوة احد ـــ وفي تلك الفترة كان الصبية يتزاحمون على الـتـطـوع في الجـيـش لـما يـعلمون من قيادة رسول الله(ص) الصحيحة الصالحة المؤمنة المـسـتـشـيرة المتصلة بالسماء، حتى ان بعضهم كان يحتال بأن يلبس حذاء عالي الكعب لـكـي يـطـيـل قامته ويخدع المسؤول عن الفحص، وعندما نجحت حيلة احدهم جاء أهل صـبـي آخـر يحـتـجـون عـنـد النبي(ص) لان تطوع ابنهم رُفض بينما قُبل تطوع من هو في سـنـه!، وقـد رُفـض تـطـوع اسامة في غزوة (احد) ولكنه عاد في العام التالي وقُبل طلبه في غزوة الخندق.

وفي مـوقعة حنين انهزم جيش المسلمين ولم يثبت الا النبي(ص) وعشرة من المسلمين كـمـا ذكر التاريخ وكان أحد أولئك الثابتين: أميرالمؤمنين(ع)، و بعض أولاد العباس، وكان منهم اسامة بن زيد وكان عمره اذ ذاك بين خمس عشرة سنة وسبع عشرة سنة (لهذا وغيره أثبت النبي(ص) ان المهم الكفاءات لا سائر الموازين الجاهلية.

وكـان الـنبي(ص) على حبه لأسامة لا يعطيه اكثر من حقه بينما اشتبه اسامة مرتين في تـاريـخ الـنـبـي(ص) كـمـا يـذكـر المؤرخون، فقد اغرت المكانة التي يتمتع بها أسامة عـنـد الـنـبـي(ص) ــ حـتـى كـان يُلقب بالحبيب ابن الحبيب ــ أغرت بعض المنحرفين بـاسـتـغـلالهـا لتعطيل سيادة القانون، فطلبوا من اسامة ان يشـفـع لوقف تنفيذ القانون في امرأة سرقت ولكن الـنـبي نهاه في حزم وقال له: (لا تشفع في حدٍ ابدا).

وهـكـذا لـقـنه الرسول(ص) ان القانون الاسلامي غير قابل للخرق، فمهما كانت محبة الـرسول(ص) له فليس معنى ذلك تعطيل شريعة الله سبحانه وتعالى لاجله، فأن الاسلام لا يقبل الوساطات والشفاعات والرشوات في تغيير قوانين الله سبحانه وتعالى.

وفي مـرة اخـرى يـتـلقى (الحبيب ابن الحبيب) اسامة درساً من الرسول(ص)، حيث ارسـله الرسول(ص) الى بعض الغزوات فجرد اسامة سيفا على رأس رجل، فهتف الرجل قـائـلا (لا الـه الا الله) ولـكـن اسـامـة لم يعتن بذلك لظنه انه انما يقول: (لا اله الا الله) حـقـنـا لـدمـه ونـفـاقا فقتل الرجل وعاد واخبر رسول الله(ص) بالقضية، فغضب الرسول وقـال: مـاذا تـفـعـل بـلا اله الا الله؟ يعني انه لماذا قتلته بعد ان شهد الشهادة، والشهادة تحمي دم الانسان وعرضه وماله.

واعتذر اسامة بأن الرجل انما قالها ليهرب من الموت، فقد ظل على رفضه وعدواته حتى ادركه السيف فرد الرسول(ص) عليه قائلاً: (هلا شققت عن قلبه)؟. فأنه ليس في الاسلام الا الظواهر، ولا حكم على القلوب وقد قال سبحانه:

«ولا تقولوا لمن القى إليكم السلام لست مؤمنا»(٩٤/النساء).

فأن القلوب بيد الله تعالى، حتى ان الاسلام اذا كان عن نفاق فان كلمة الشهادة تحقن دم الانسان وماله وعرضه، ولهذا لم يتعرض الرسول(ص) لاشد المنافقين نفاقاً امثال عبدالله بن أبّي، وابي عامر الراهب ونحوهما، كما لم يتعرض علي(ع) لاشد المنافقين امثال ابن الكوّا والاشعث بن قيس ومن اشبه، فهذا هو الاسلام الذي يقرب البعيد حتى اذا كان كافرا مسالما او منافقا.

امة متآخية ، وقيادة رشيدة

نعم هكذا كانت الاخوة الاسلامية تحت قيادة ذلك القائد العظيم وبمثل تلك القيادة الرشيدة وأولئك المسلمين المضحين المتفانين الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه تقدم الاسلام ذاك التقدم الهائل وتمكن من انقاذ البشرية من مظالم الحكام وقساوة القوانين انه رسول الله(ص) الذي كان لا يأنف ان يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد والجارية فيقضي حاجته، وكان يخصف حذاء الرجل المسكين، ويخيط ثوب الأرملة، و يعود المريض حتى اليهودي الذي كان يؤذيه و يصب على رأسه في كل يوم طبقاً من الرماد ولم يكن (ص) يغلق دونه الابواب، ولا يحول دون مقابلته حجاب، ولا يغدى عليه بالجفان والالوان، ولا يراح عليه بالأطعمة والاشربة اللذيذة. وكان من اراد مقابلته (ص) يقابله اما في داره المتواضعة او في المسجد او في الشارع او في اي مكان آخر، لم يمتلك (ص) قميصين قط ولا رداءين ولا أزارين ولا نعلين، وكانت له مخدة من جلد حشوها ليف، وكان ينام احيانا على حصير يؤثر في جنبه واحيانا على عباءة تثنى طيتين، وذات مرة طوتها زوجته اربع طيات فلما نام عليها بلغ من لينها ورفاهيتها ان استغرق في النوم فلما آفاق نهى زوجته عن ذلك وامرها ان تعيد العباءة الى وضعها الاول طيتين.

وكانت ثروة الجزيرة العربية وغيرها من البلاد التي خضعت له تأتيه كالسيل،

ولكن ما دامت البشرية قد كتب عليها ان تعيش قرونا عديدة وفيها الفقير والغني والجائع والشبعان فخير نظام تصل اليه هو النظام الذي يجعله في جانب الفقراء، فما كان (ص) يشبع، وقد تقدمت جملة من الروايات في سيرته وأخلاقه(ص).

ولو تكونت الامة الاسلامية من جديد وعادت الاخوة الاسلامية على ما كانت عليه، وغدت الامة تحت قيادة رشيدة متبعة لقيادة رسول الله(ص) لأمكن تخليص العالم من و يلاته وصياغة العالم صياغة جديدة يسود فيها كل خير ورفاه.

التفرقة الفظيعة في العصر الراهن

لكننا ــ مع الاسف ــ نرى تبدل الاخوة الاسلامية الى الامتيازات والطبقات والعنصريات، فمثلاً: في العراق نرى الجنسية (الف) والجنسية (باء) والجنسية (جيم) بالنسبة الى العرب العراقيين، وجنسية (الف) وجنسية (باء) وجنسية (جيم) بالنسبة الى المواطنين الاكراد، وجنسية (عربي غير عراقي وغير مصري) وجنسية (عربي غير عراقي مصري) في عصر عبد السلام عارف حيث تمت الوحدة بين العراق و بين مصر. وجنسية (غير عربي) و (من لا جنسية له) اطلاقا. فهذه عشرة اقسام من الافراد في بلد واحد وكلهم مسلمون وكلهم اخوة، والأغرب من ذلك ان راديوات هذه البلاد تتلوا ليل نهار

«ان اكرمكم عند الله اتقاكم»(١٣/الحجرات).

«انما المؤمنون اخوة»(١٠/الحجرات).

«ان هذه امتكم امة واحدة»(٩٢/الأنبياء).

لكنها مجرد شعارات لا عمل وراءها، فكل بلدة من البلاد الاسلامية لها أحكامها وخصوصياتها وقياداتها وتفرقاتها وامتيازاتها، فقد عدنا الى ما كانت البشرية عليه قبل ظهور الاسلام، بل صرنا اسوء واسوء واسوء، وقد قال الله سبحانه وتعالى:

«ومن أعرض عن ذكري فأن له معيشة ضنكا»(١٢٤/طه).

نسأل الله سبحانه وتعالى ان يوفق المسلمين لاعادة حكم الاسلام دولة وامة واخوة وقانوناً حتى ينهضوا بأنفسهم و بالعالم أجمع الى حيث الخير والرفاه، وما ذلك على الله بعزيز.

رابعاً : الشريعة الأسلامية

يجب ان تـكون الشريعة الأسلامية هي السائدة في البلاد بدلا عن القوانين الوضعية، والقوانين الأسلامية كثيرة جداً، الا اننا نلمع الى بعضها هنا.

الحقوق الجنائية

مثل: حكم الحقوق فقد ورد في الحديث:

[فان حقوق المسلمين لا تبطل].

وفي حديث آخر:

[لا يتوى حق امرء مسلم].

فأن الأسلام جعل للحق حرمة مهما كان صغيراً حتى (ارش الخدش) و (ارش الغمز) كما في رواية عن الامام الصادق(ع) مذكورة في الوسائل، بل وفوق ذلك، فقد بعث رسول الله(ص) (خالد بن الوليد) مع جماعة في مهمة الدعوة الى الاسلام الى (بني جذيمة) وهم بنو المصطلق وكان قد سبق ان أسلموا ـــ ولم يأمرهم بقتال، فأوقع بهم خالد وقتل منهم جماعة لترة كانت بينه و بينهم، فبلغ الخبر رسول الله(ص) فبكى النبي(ص) وقام وصعد المنبر ورفع يديه الى السماء وقال ثلاثا:(اللهم اني ابرء اليك مما صنع خالد بن الوليد).

ثم دعا النبي(ص) علي بن ابي طالب(ع) فدفع اليه سفطا ـــ أي صندوقاً من الذهب ـــ وأمره ان يذهب الى (بني جذيمة) و يدفع اليهم ديات الرقاب، وما اذهب من موالهم، فجاء علي(ع) وقسم المال كما يلي:

أولاً: دفع ديات المقتولين ظلما الى ورثتهم، عن كل واحد منهم الف دينار ذهب.

ودفع اليهم ثانياً: ثمن كل جنين غرة اي أعطى عوض الجنين، أما عبدا وأما أمة.

ودفع اليهم ثالثاً: ثمن ما فقدوه من المبالغ والعقل.

ودفع اليهم رابعاً: ثمن ما ربما فقدوه مما لا يعلم بفقده، مما احتمل ان أخذه خالد أو

من كان معه أو مما تلف اثناء القتال.

ودفع اليهم خامساً: ثمناً لروعة نسائهم وفزع صبيانهم.

ودفع اليهم سادساً: مقابل كل مال فقدوه مثله من المال.

ودفع اليهم سابعاً: بقية المال ليرضوا عن رسول الله(ص).

ودفع اليهم ثامناً: ما يفرح به عيالهم وخدمهم بقدر ما حزنوا.

ثم رجع علي(ع) الى النبي(ص) واخبره بما فعل من توزيع الذهب بثمانية أقسام قائلاً:

[يا رسول الله عمدت فأعطيت لكل دم دية، ولكل جنين غرة، ولكل مال مالا، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لميلغة كلابهم وحبلة رعاتهم، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لروعة نسائهم وفزع صبيانهم، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لما يعلمون وما لا يعلمون، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم ليرضوا عنك يا رسول الله.

فتهلل وجه النبي(ص) وضحك حتى بدت نواجده، وقال: يا علي (اعطيتهم ليرضوا عني، رضى الله عنك) ثم قال (ص):

[يا علي انما انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي].

الحقوق السياسية

وقال علي(ع) في كتابه الى مالك الاشتر:

[ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمن، فأن في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً، واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسماً من غلات صواف الاسلام في كل بلد، فأن للأقصى منهم مثل الذي للادنى، وكل قد استُرعيت حقه، فلا يشغلنك عنهم بطرٌ فانك لا تُعذر بتضييعك التافه لاحكامك الكثير المهم، فلا تشخص همك عنهم، ولا تصعر خدك لهم، وتفقد امور من لا يصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال ففرغ لأ ولئك ثقتك من اهل الخشية والتواضع فليدفع اليك امورهم، ثم اعمل فيهم بالاعذار الى الله يوم تلقاه فأن هؤلاء من بين

الرعية احوج الى الانصاف من غيرهم وكل فاعذر الى الله في تأدية حقه اليه، وتعهد اهل اليتم وذوي الرقة في السن ممن لا حيل له ولا ينصب للمسألة نفسه وذلك على الولاة ثقيل والحق كله ثقيل وقد يخففه الله على اقوام طلبوا العاقبة فصبروا انفسهم ووافقوا بصدق ما اودى الله لهم، واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه لله الذي خلقك وتقعد عنهم جندك واعوانك من احراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع فأني سمعت رسول الله(ص) يقول في غير موطن (لن تقدس امة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع) ثم حمل الخرق منهم والعيّ ونح عنهم الضيق الأنف يبسط الله عليك بذلك ابواب رحمته و يوجب لك ثواب طاعته، واعط ما اعطيت هنيئا وامنع في اجمال واعذار].

الاحوال الشخصية

ومثل: مسائل الزواج كالتعدد، والمهر، وحرمة اتخاذ الأخلاء والخليلات وما اشبه.

ومسائل الطلاق: الطلاق الرجعي والطلاق الخلعي وطلاق المبارات وغيرها، واحتياج الطلاق الى الشهود.

ومسائل الارث: مثل للذكر مثل حظ الانثيين، وطبقات الارث: الطبقة الاولى والطبقة الثانية والطبقة الثالثة، ومسائل الحبوة، وارث الزوجة وغيرها.

قضايا المرأة

ومثل مسائل اشتراك المرأة في كل الشؤون مع الرجل بلا افراط ولا تفريط وهي كثيرة وقد ألمعنا اليها في بعض كتبنا.

حق العامل والفلاح

ومثل مسائل حق العامل والفلاح بدون رأسمالية أو شيوعية تضغط على العامل والفلاح أو رب العمل أو رب الارض على الموازين المقررة في الشريعة الأسلامية

احياء الموات

ومثـل مسـائل احياء الموات، حيث ان الاسلام جعل (من أحيى أرض الموات فهي لـه) و (من سبق اليه مسلم فهو أحق به) في اطار عدم اجحافه بحق الاخرين على تفصيل ذكره الفقهاء في كتاب احياء الموات.

وكذلك مسائل الحدود، والديات، والقصاص، على التفصيل المذكور هناك.

القضاء الاسلامي

ومثـل مسـائل حل المنازعات بالاسلوب الاسلامي من جهة القاضي والشهود حيث تعتبر فيهم العدالة، وكذلك عدم وجود السجن، وعدم الغرامة، وعدم التبعيد الا نادراً جداً.

اصالة الحل

(واصالة الحل) في عمل الانسان لقوله (ع):

[كل شيء لك حلال حتى تعرف انه حرام بعينه فتدعه من قبل نفسك].

اصالة الطهارة

(واصالة الطهارة) في كل شيء الا ما علم نجاسته لقوله (ع):

[كل شيء لك طاهر حتى تعلم انه قذر]

اصالة الصحة

(واصالة الصحة) في عمل الانسان لقوله (ع):

[ضع امر اخيك على احسنه].

بـل ورد في الاحـاديث ان المرأة اذا قالت انها ليست بذات زوج لا يلزم التحقيق في

امرها مثل خبر يونس قال سألته (ع) عن رجل تزوج امرأة في بلد من البلدان فسألها: لك زوج؟ فقالت: لا ، فتزوجها، ثم ان رجلاً اتاه فقال هي امرأتي فانكرت المرأة ذلك، ما يلزم الزوج؟ فقال (ع): (هي امرأته، الا ان يقيم البينة) وخبر عبدالعزيز قال سألت الرضا(ع) قلت: جعلت فداك ان اخي مات، وتزوجت امرأته، فجاء عمي فادعىٰ انه كان تزوجها سراً فسألتها عن ذلك فانكرت اشد الانكار وقالت: ما بيني و بينه شيء قط فقال (ع): (يلزمك اقرارها و يلزمه انكارها) وخبر ميسر قلت لأ بي عبدالله(ع): ألقى المرأة في الفلاة الذي ليس فيه احد فأقول لها: ألك زوج؟ فتقول: لا، فأتزوجها؟ قال (ع): (نعم هي المصدقة علىٰ نفسها).

وخبر أبان بن تغلب، قلت لأ بي عبدالله(ع): اني اكون في بعض الطرقات فأرى المرأة الحسناء ولا أمن ان تكون ذات بعل او من العواهر؟ قال(ع): (ليس هذا عليك وانما عليك ان تصدقها في نفسها).

وخبر محمد بن عبدالله الاشعري قال: قلت للرضا(ع): الرجل تزوج بالمرأة فيقع في قلبه ان لها زوجا؟ فقال (ع): (وما عليه؟ أرأيت لوسألها البينة فهل يجد من يشهد ليس لها زوج).

الى غير ذلك من الاحكام الشرعية التي جعلها الشارع وقررها لأحترام الانسان وعرضه وماله ودمه.

اصل اليسر وتوابعه

وكذلك (أصل اليسر) في الأحكام الأسلامية كما قال سبحانه:

«يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر»(١٨٥/البقرة).

وقال سبحانه:

«ما جعل عليكم في الدين من حرج»(٧٨/الحج).

وتبعا لذلك اليسر فقد رفعت عدة امور عن الانسان، فعن أبي عبدالله(ع) قال: قال رسول الله(ص):

[رفع عن امتي تسعة اشياء: الخطأ والنسيان وما اكرهوا عليه وما لا يعلمون ومالا يطيقون وما اضطروا اليه والحسد والطيرة والتفكر في الوسوسة في الخلق مالم

ينطق بشفته   وعن الصادق(ع) انه قال:

[رفع الله عن هذه الامة ما لا يستطيعون وما استكرهوا عليه وما نسوا وما جهلوا حتى يعلموا]

وكذلك سقوط الحد مع الاشتباه، فقد ورد (ان الحدود تُدرء بالشبهات) سواء شبهة الحاكم او شبهات الحكم او شبهة من فاعل المنكر، كما ان الحد يرفع عن المستكره والمستكرهة والمضطر والمضطرة وما اشبه.

فعن علي(ع) انه كان يقول:

[ليس على المستكره حد ولا على المستكرهة]

ينطق بشفة]

وعن أبي عبدالله(ع)، قال رسول الله(ص):

[رفع عن امتي أربع خصال: خطأها ونسيانها وما اكرهوا عليه وما لم يطيقوا وذلك قول الله عزوجل:

«ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به»(٢٨٦/البقرة).

وعن علي(ع):

[ليس على المستكرهة حد اذا قالت اني استكرهت]

وعن ابي بصير، عن الصادق(ع) قال: (قضى اميرالمؤمنين في امرأة اعترفت على نفسها ان رجلا استكرهها، قال: هي مثل المسبية لا تملك نفسها، لو شاء لقتلها، ليس عليها حد ولا نفي).

وعن أميرالمؤمنين(ع) انه قال في حديث:

[ولا شيء على المرأة اذا كان اكرهها ولها مهر مثلها في ماله]

وعن أميرالمؤمنين(ع) أنه أتي بأمرأة أخذت مع رجل يفجر بها فقالت: يا أميرالمؤمنين والله ما طاوعته لكن استكرهني، فدرء عنها الحد.

وفي رواية عن اميرالمؤمنين(ع) قال:

[ادرئوا الحدود بالشبهات]

كما انه:

[لا ضرر ولا ضرار في الاسلام]

في بحث طويل يذكره الفقهاء..

والواقع: انه لا توجد أمثال هذه الاحكام في أي قانون أو شريعة حسب تتبعنا لهما.

الى غيرها من الاحكام الشرعيه التي تسبب سهولة الدين و يسر الحكم ما أوجب التفاف الناس حول الاسلام.

القيمة الحقوقية للفقه الاسلامي

واخيراً نـنقل مقتطفاً من مقدمة كتاب (المدخل الفقهي العام الى الحقوق المدنية في البلاد السورية) يشير الى اهمية الفقه الاسلامي لدى علماء الغرب فيقول: (عقدت شعبة الحقوق الشرعية من المجمع الدولي للحقوق المقارنة مؤتمراً للبحث في الفقه الاسلامي في كلية الحقوق من جامعة باريس تحت اسم (اسبوع الفقه الاسلامي) برئاسة أحد العلماء الغربيين وهو استاذ في التشريع الاسلامي في كلية الحقوق بجامعة باريس، ودعت اليه عدداً كبيراً من اساتذة كليات الحقوق العربية وغير العربية وكليات الازهر ومن المحامين الفرنسيين والعرب وغيرهم ومن المستشرقين... وفي ختام المؤتمر وضع المؤتمرون بالاجماع هذا التقرير الذي نترجمه فيما يلي:

بناءاً على الفائدة المتحققة من المباحث التي عرضت أثناء اسبوع الفقه الاسلامي وما جرى حولها من المناقشات التي تلخص منها بوضوح:

أولاً : ان مبادىء الفقه الاسلامي لها قيمة حقوقية تشريعية لا يمارى فيها.

ثانياً : ان اختلاف المذاهب الفقهية في هذه المجموعة الفقهية العظمى ينطوى على ثروة من المفاهيم والمعلومات ومن الاصول الحقوقية التي هي مناط الاعجاب و بها يتمكن الفقه الاسلامي ان يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة والتوفيق بين حاجاتها.

ولا يخفى انا نعتقد ان الفقه الاسلامي مقدم على الفقه الروماني والفقه الغربي

والفقه الشرقي في القوانين، وان المقارنة تظهر هذا التقدم بكل وضوح وجلاء كما ذكرنا بعض البنود في هذا الصدد، وللتفصيل يراجع كتب معنية بهذا الشأن.

خامساً : الحرية الاسلامية

فأن الأسلام دين الحرية بجميع معنى الكلمة كما تقدم بعض الكلام حول ذلك، والحرية الاسلامية اكثر من الحرية الغربية عشر مرّات او اكثر، وقد استنبط الفقهاء من الآيات والروايات القاعدة الفقهية المشهورة (الناس مسلطون على اموالهم وانفسهم) وهذه القاعدة تعطي الوف الحريات للأنسان، فهو حر في ان ينتخب مرجع تقليده، وهو حر في ان ينتخب رئيس دولته، وهو حر في ان ينتخب نواب مجلسه، وهو حر في ان ينتخب امام جماعته، وهو حر في ان ينتخب قاضيه، وهو حر في ان يسافر، و يبني، و يزرع، و يتاجر، و يكتسب، و يسبق الى المباحات، و يستملك الاراضي.. خلافا للغرب حيث ان معظم الحرية للرأسمالية، وخلافا للشرق حيث ان الحرية للدولة فقط.

حرية الاديان الاخرى

بل ان للكفار في ظل الاسلام حرياتهم التي ليست لهم تلك الحريات في اديانهم انفسهم او قوانين حولهم.

وقد روى ابن شهر اشوب في المناقب انه كتب رسول الله(ص) عهداً لحي سلمان بكازرون جاء فيه:

هذا كتاب من محمد رسول الله(ص) سأله الفارسي سلمان وصيته لاخيه مهاد بن فروخ بن مهيار واقاربه واهل بيته وعقبه (الى ان قال):

[وقد رفعت عنهم جز الناصية والجزية والخمس والعشر وسائر المؤن والكلف]

(الى آخر الكتاب) قال: والكتب الى اليوم في ايديهم.

وفي رواية اخرى:

[وقد رفعت عنهم جز الناصية والزنارة والجزية الى الخمس والعشر وسائر المؤن والكلف بأيديهم على بيوت النيران وضياعها واموالها ولا يمنعون من اللباس الفاخرة والركوب وبناء الدور والاصطبل وحمل الجنائز واتخاذ ما يجدون في دينهم

ومذاهبهم]

(الى آخر الكتاب) وفي آخره (كتب علي بن ابي طالب(ع) بأمر رسول الله(ص) بحضوره).

وقد ذكرنا فيما سبق ان الكفار الذين يعيشون في ذمة الاسلام يباح لهم أن يعملوا بدينهم وفي رواية:

[الزموهم بما التزموا به]

تساؤلات حول تطبيق الاسلام

ولنختم هذا الفصل بأجوبة لأسئلة حول تطبيق الاسلام يكثر الاستفسار عنها:

فلسفة توزيع القدرة

السؤال الأول: لماذا تُوزع القدرة بين الاحزاب؟

والجواب: لانه بدون ذلك لا ضمان لبقاء الحكم، ولذا نرى ان البلاد الدكتاتورية تسقط الواحدة تلو الاخرى، ولا ينفع ان يكون في البلاد مجلس استشاري أو مجلس يسمى (مجلس الشورى) أو وحتى مجلس البرلمان اذا لم يكن وراء المجلس الاحزاب الحرة.

واللازم في البلاد الاسلامية ان توزع القدرة بين الاحزاب الحرة الاسلامية المنتهية الى المرجعية لما ذكرناه ولئلا يتمكن طرف من التعدّي على الناس كما هو الشأن في الحكومات الدكتاتورية الاستبدادية.

هذا بالاضافة الى ان الاحزاب الحرة هو مقتضى ما طبقه رسول الله(ص) من حزبي المهاجرين والانصار والى انه مقتضى منح الاسلام الحرية للناس، فلماذا لا يتمكن جماعة من تكوين الحزب بينما يكون للحكومة حزب؟

الرسول(ص) يوزع القدرة

السؤال الثاني: اذا كان الأمر هكذا فلماذا لم يوزع الرسول(ص) القدرة؟

والجواب: الرسول(ص) وزع القدرة بين المهاجرين والانصار، ولذا نشاهد انه كلما ضغط عليه المهاجرون التجأ الى الانصار، وكلما ضغط عليه الانصار التجأ الى المهاجرين في قصص مذكورة في التاريخ، وقد ألمعنا الى بعضها في هذا الكتاب وفي غير هذا الكتاب.

و يأتي هنا سؤال وهو انه اذا كان النبي(ص) وزع القدرة بين الاحزاب فلماذا نرى ان أحدى القدرتين انسحبت من الميدان بعد وفاة النبي(ص)؟

والجواب: ان الامام أميرالمؤمنين(ع) انما انسحب من الميدان لأنه رأى ان الاعداء محيطون بالمدينة المنورة وغيرها من البلاد الاسلامية وان اصل الاسلام في خطر، فتجاوز عن حقه، ولذا قال (ع) لفاطمة(ع): (اذا وضعت السيف فيهم لم تسمعي بعد ذلك هذا الأسم) اي اسم رسول الله(ص) وقد قال (ع) لما خاطبه العباس وابو سفيان في ان يبايعا له بالخلافة:

[أيها الناس شقوا امواج الفتن بسفن النجاة، وعرجوا عن طريق المنافرة، وضعوا تيجان المفاخرة، افلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح، هذا ماء آجن ولقمة يغص بها آكلها، ومجتني الثمرة لغير وقت ايناعها كالزارع بغير ارضه، فان أقل يقولوا: حرص على الملك وأن اسكت يقولوا: جزع من الموت، هيهات بعد اللتيا والتي، والله لأ بن أبي طالب أنس بالموت من الطفل بثدي أمه بل اندمجت على مكنون علم لو بُحت به لأضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة]

لماذا شورى المراجع؟

والسؤال الثالث: لماذا شورى المراجع؟

والجواب: لانه بدون شورى المراجع يكون محذوران:

الاول: المحذور الشرعي وهو انه لا يحق لبعض المراجع الذين هم خلفاء رسول الله(ص) ووكلاء الامام(ع) ان يستبد بالأمر، ولنفرض ان الرسول(ص) أرسل أربعة وكلاء الى بلد ليكونوا حكاماً فهل يحق لأحدهم او لأثنين منهم أو حتى لثلاثة منهم ان يدفعوا الآخرين أو الآخر عن حقه و يستبدوا بالأمر؟ وهكذا في زمان غيبة الامام(ع) حيث يقول:

[جعلته عليكم حاكما]

فالفقيه حاكم من قبل الامام(ع)، فأذا اختارهم الناس كان الواجب ان تكون بينهم شورى لأدارة الحكومة.

المحذور الثاني: ان من الطبيعي ان يعارض الفقهاء الخارجون عن الشورى وجماعتهم المقلدون لهم الدولة لانهم يرون عدم شرعية بعض قوانينها ، ومن الواضح ان الدولة التي يبنيها جماعة و يعارضها جماعة يكون مصيرها الفشل.

بين التقليد وشورى المراجع

السؤال الرابع: اذا كان شورى المراجع هو الذي يدير الحكم بأكثرية الآراء فماذا يَكون حال التقليد؟

والجواب: يكون التقليد في الامور الشخصية حسب رأي مرجعه، مثل الصلاة والصوم والحج والنكاح والطلاق وما أشبه، أما الامور العامة للبلاد ــ كالحرب والسلم وترجيح الاقتصاد الصناعي على الاقتصاد الزراعي أو بالعكس الى غير ذلك من المسائل العامة ــ فأنها تكون حسب أكثرية المراجع فان قوله سبحانه:

«**امرهم شورى**»(٣٨/الشورى).

حاكم على أدلة التقليد على الاصطلاح الاصولي لانه اذا حُكّم الشورى حتى في المسائل التقليدية لا يبقى للتقليد مجال، أما اذا حكم التقليد بقي للشورى مجال، فبين الدليلين (حكومة) واذا فرضنا ان المراجع أربعة اختلف الطرفان فلم تكن (اكثرية) او كانوا خمسة فأختلفا و بقي احدهم محايداً فهنا يكون دور القرعة.(والقرعة لكل امر مشكل) كما في الاحاديث الواردة عن النبي(ص) والأئمة الطاهرين(ع).

لا ضرائب في الاسلام

والسؤال الخامس: هل تأخذ الدولة الضرائب؟

الجواب: لا، وانما تكتفي بالضرائب الاربع المقررة في الاسلام: (وهي (الخمس)

و(الزكاة) و(الجزية) و(الخراج) ودلك لقلة الموظفين في الدولة الاسلامية ولأن الدولة الاسلامية انما تكون مشرفة فقط ولا تتدخل في كل الشؤون فلا تحتاج الدولة الى مال كثير، فكل الامور بيد الناس كالمطارات والقطارات والمستشفيات والمعامل والمصانع وغيرها وعلى هذا فوارد الدولة من الموراد الاربعة كثير، ولا تحتاج الدولة الى اكثر من ذلك، ولذا كان الرسول(ص) وخلفاؤه يقسمون الأموال الزائدة على الناس، مع انهم لم يكونوا يأخذون غير هذه الضرائب الاربع.

جيش الدولة الاسلامية

السؤال السادس: وماذا تفعل الدولة الاسلامية بالجيش؟

الجواب: الجيش جيش شعبي على ما ذكرناه في بعض الكتب الاسلامية، وليس الجيش كالجيش في الزمن الحاضر مما يكلف الدولة و يكلف الامة رهقاً.

الحدود الجغرافية

السؤال السابع: هل للدو لاسلامية حدود؟

الجواب: أما الحدود بالنسبة الى البلاد الاسلامية فلا، لانه لا حدود بين البلاد الاسلامية لما ذكرناه سابقا، وانما كل بلاد الاسلام وطن واحد. وقوله (ع):

[حب الوطن من الايمان]

انما يراد به الوطن الاسلامي لا الوطن بمعنى العراق أو مصر أو ايران او ما اشبه، واما بالنسبة الى خارج الدولة الاسلامية فحيث ان الاعداء يجعلون لبلدهم الحدود فالدولة الاسلامية مضطرة لجعل الحدود على بلدها والا فالارض ارض الله تعالى، والمسلمون هم عباد الله لهم الحق في ان سيروا في ارض الله كما يريدون، فالحدود في الدولة الاسلامية الكبيرة انما هي من باب الاضطرار حتى لا تحدث الفوضى، ومن الواضح ان الضرورات تقدر بقدرها.

الاسلام يلغي المكوس

السؤال الثامن: هل في الاسلام مكوس؟

والجواب: لقد جعلت الدولة الفارسية والدولة الرومية وغيرهما قبل الاسلام (العشارين) الذين كانوا يأخذون العشر من البضائع، فلما جاء الاسلام ابطل ذلك وورد في الحديث ان الدواب تلعن العشارين وفي حديث عن الامام اميرالمؤمنين(ع):

[ان العشار لا يستجاب دعاؤه]

كما تقدم في بحث (الايمان) الى غيرهما من الاحاديث.

نعم هناك (١) فروق التجارة (٢) وفروق التضخم (٣) وخوف الضرر على البلاد الاسلامية اذا هاجمتها البضائع، او هربت منها البضائع، وهذه الامور جائزة شرعا كما ذكرنا تفصيله في بعض كتبنا الاقتصادية واما (المكوس) فهي غير هذه الامور الثلاثة وهي محرمة في الاسلام.

هل توجد الجنسية والهوية في الاسلام

السؤال التاسع: هل توجد الجنسية والهوية وما اشبه في الدولة الاسلامية؟

والجواب: كل هذه الامور من مخترعات الغرب اخترعوها لتقييد الانسان سواء في بلادهم او في بلادنا او سائر البلدان. ولم يكن من هذه الامور أثر عند المسلمين من أول الاسلام الى قبل مائة سنة، فأن الاسلام يعطي لكل انسان الحرية في كل شؤونه باستثناء الشؤون المحرمة كالمعاملة بالربا والاحتكار والزنا والقمار وما اشبه ــ وإلاّ فالزراعة والتجارة والصناعة والثقافة والسفر والاقامة والعمران وغيرها كلها محللة في الشريعة الاسلامية فلماذا الجنسية والهوية وما اشبه؟

شروط تحقق (العنوان الثانوي)

السؤال العاشر: ما هي موازين (العنوان الثانوي) الذي قد يتفوه به العلماء في بعض الامور؟

الجواب: يشترط في تطبيق (العنوان الثانوي) بالنسبة الى الفرد ان يرى الفرد انه دخل ــ حقيقة ــ في العنوان الثانوي حتى يطبق عليه حكمه، مثلا: الصحيح يصلي بالوضوء والمريض يصلي بالتيمم، والصحيح يصوم والمريض يفطر، فاذا احسّ الفرد بأنه مريض صح له ان يتيمم كما صح له ان يفطر، وقد قال رجل للأمام الصادق(ع) بأنه مريض فهل يفطر ام لا؟ فكتب اليه الامام (ع):

[بسم الله الرحمن الرحيم: «بل الانسان على نفسه بصيرة»(١٤/القيامة).

أما العناوين الثانوية العامة لكل بلاد الاسلام فاللازم:

أولاً: ان يميزها شورى المراجع فلا حق لبعض المراجع ان يميز ذلك، كما لا حق لمجلس الامة او مجلس الوزراء او من اشبه ان يميزوا ذلك لان العنوان الثانوي لا ينطبق على جميع الامة بسبب مجلس الامة او بسبب مجلس الوزراء او بسبب مجلس الاعيان او ما اشبه، بل اللازم ان يعينه شورى المراجع الذين هم وكلاء الأئمة والأمة مأمورة بالأخذ منهم لا الاخذ من سواهم.

وثانياً: ان لا يصبح ذلك قانونا بل يكون خلاف القانون من باب الاضطرار والضرورات تقدر بقدرها.

فكلما كان هنالك عنوان ثانوي ينطبق عليه هذان الشرطان فهو عنوان ثانوي حقيقي يجب على المسلمين اتباعه، اما اذا فقد احد الشرطين فليس عنوانا ثانويا ولا يجوز تطبيقه على البلاد الاسلامية.

كيف تُحلُّ مشكلة الطوائف؟

السؤال الحادي عشر: كيف يكون الحكم بين الشيعي والسني؟

والجواب: في المجلس الاعلى للمسلمين في الدولة الاسلامية ذات الالف مليون مسلم يحكم اكثرية السنة على السنة ويحكم اكثرية الشيعة على الشيعة (من الفقهاء والعلماء الذين اجتمعوا في مجلس الشورى الاعلى).

واما بالنسبة الى امور المسلمين كافة فاللازم اكثرية المجلسين فأنهم هم الذين يحكمون، فأذا فرضنا ان في المجلس الاعلى عشرة من السنة وعشرة من الشيعة فاذا ارادوا

الحكم على كافة المسلمين فاللازم ستة او اكثر من السنة وسته او اكثر من الشيعة، لا ان يكون المعيار الاكثرية المطلقة، مثلا: كان هناك احد عشر، عشرة من الشيعة وواحد من السنة، فأن هذا غير منطبق على الموازين بل المنطبق على موازين الشورى ما ذكرناه وقد فصلنا هذا الامر في كتاب مستقل، والاقلية من الشيعة او من السنة في اي بلدمن البلدان لا يُضيق عليهم اطلاقا وانما كل طائفة من هاتين الطائفتين لهم قضاؤهم المستقل وصلوات جماعتهم وسائر شؤونهم، وقد كان الامر هكذا في كثير من الاعصر الاسلامية كما شاهدنا بعض ذلك في لبنان وفي بغداد وفي الكويت وفي غيرها حيث كان هنالك القضاء الشيعي والقضاء السني، والاوقاف الشيعية والاوقاف السنية، والاعلام السني والاعلام الشيعي، وهكذا اما البحث الحر وحرية العقيدة وحرية الرأي وحرية التأليف فلكل شأنه في الاطار الاسلامي كما هو القانون العام لبلاد الاسلام على ان لا يتجاوز احد على الموازين الاسلامية وهذا شيء سهل، وفي العالم المعاصر مثال لهذا الامر. حركة المؤتمر التي حررت الهند عن البريطانيين مارست عملها مع انه كان في الهند مائة وخمسون مذهباً، وسبعمائة لغة، وثلاثة الاف قومية، وستمائة حكومة، ومع ذلك تمكن الجميع ان يتحركوا معاً ويحرروا بلادهم عن السلطة البريطانية ــ وان خرجت الهند من ايدي المسلمين التي حكموها اكثر من الف سنة وقد كان ذلك خسارة كبيرة الا ان الكلام في ان الطوائف تمكنوا ان يصافق بعضهم بعضا ويحرروا البلاد من سلطة الاجنبي المستعمر ــ فليتصافق في البلاد الاسلامية السنة والشيعة. لانقاذ بلادهم من سلطة المستعمرين الغربيين والشرقيين ومن التبضع والتشتت وسيادة القوانين الارضية بدل القوانين السماوية. وقد رأينا نحن المسلمين كيف ان الغربيين كانت بينهم الحروب الدينية والحروب الحدودية وما اشبه ثم تعقلوا وجمعوا انفسهم حول موازين ثابتة وقوانين مضبوطة وتعاونوا فيما بينهم وجعلوا الشورى مكان السيف، وهكذا يجب علينا نحن المسلمين ان نجمع انفسنا بكل قومياتنا ولغاتنا وحدودنا واقليمياتنا ومذاهبنا المختلفة كما امر الله سبحانه وتعالى، قال سبحانه:

«واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا»(١٠٣/آل عمران).

وقال سبحانه:

«واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم اعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا»(١٠٣/آل عمران).

وقال تعالى:

«ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم»(٤٦/الانفال).

الى غيرها من الآيات والروايات الآمرة بالتعاون والتجمع وتحكيم الشورى بأكثرية الآراء في الاطار الاسلامي ــ الذي هو الكتاب والسنة والاجماع والعقل ــ والله الموفق المستعان.

الفصل السابع:

«من وحي السيرة النبوية»

من الضروري على القيادة (الجماعية طبعاً) التي تريد انقاذ العالم في هذا اليوم أن تتصف بهذه الصفات التي نجدها عند رسول الله(ص) فأنه (ص) بمثل هذه الصفات تمكن من انقاذ الناس من الجاهلية الاولى التي كانت مخيمة على كل عالم ذلك اليوم ــمن غير فرق بين الجزيرة العربية و بين دولتي الفرس والرومــ.

ونذكر هذه الصفات في فصول:

النبي(ص) يعمل اجيراً وزارعاً وراعياً :

فقد استأجرت خديجة النبي(ص) على ان تعطيه بكرين و يسير مع غلامها ميسرة الى الشام.

وعن جابر بن عبدالله قال: كنا مع رسول الله(ص) بمر الظهران يرعى الغنم، وان رسول الله(ص) قال:

عليكم بالاسود فانه أطيبه.

قالوا: ترعى الغنم؟

قال (ص): نعم، وهل نبي إلا رعاها.

وقال عمار(رض) كنت: أرعى غنيمة أهلي، وكان محمد(ص) يرعى ايضاً، فقلت: يا محمد هل لك في (فخ) فأني تركتها روضة برق؟ قال: نعم فجئتها من الغد وقد سبقني محمد(ص) وهو قائم يذود غنمهُ عن الروضة. قال: اني كنت واعدتك فكرهت أن أرعى قبلك.

النبي(ص) وحسن العهد:

روي: ان عجوزاً دخلت على النبي(ص) فألطفها، فلما خرجت سألته عائشة عنها فقال: (انها كانت تأتينا في زمن خديجة وان حسن العهد من الايمان).

وعن أبي الحميساء قال: (بايعت النبي(ص) قبل ان يبعث فواعدنيه مكانا فنسيته يومي والغد فأتيته اليوم الثالث، فقال(ص): يا فتى لقد شققت عليّ، انا ها هنا منذ ثلاثة أيام!).

وعن أبي عبد الله(ع) قال: (ان رسول الله(ص) وعد رجلاً الى الصخرة فقال: انا لك ها هنا حتى تأتي فاشتدت الشمس عليه، فقال له أصحابه: يا رسول الله لو انك تحولت الى الظل، قال: وعدته الى ها هنا وان لم يجيء كان منه المحشر).

النبي(ص) والقيادة الرفيعة :

كان النبي(ص) أحكم الناس وأحلمهم وأشجعهم وأعدلهم وأعطفهم.

وكان (ص) اذا خطب حمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال:

[أما بعد، فان أصدق الحديث كتاب الله وأفضل الهدى هدى محمد(ص) وشر الامور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة]

و يرفع صوته وتحمر وجنتاه و يذكر الساعة وقيامها حتى كأنه منذر جيش.

وعن أبي البختري، عن جعفر، عن أبيه(ع):(ان المساكين كانوا يبيتون في المسجد على عهد رسول الله(ص)، فأفطر النبي(ص) مع المساكين الذين في المسجد ذات ليلة عند المنبر في (برقة) فأكل منها ثلاثون رجلاً ثم ردت الى أزواجه شبعهن).

وعن ابن ابي يعفور قال: سمعت أباعبدالله(ع) يقول: (ان رجلا من الانصار أهدى الى رسول الله(ص) صاعا من رطب، فقال رسول الله(ص) للخادم التي جاءت به: ادخلني فانظري هل تجدين في البيت قصعة أو طبقاً فتأتيني به، فدخلت ثم خرجت اليه فقالت: ما أصبت قصعة ولا طبقاً، فكنس رسول الله(ص) بثوبه مكانا من الارض، ثم قال لها: ضعيه ها هنا على الحضيض).

وعن هشام وغيره، عن أبي عبدالله(ع) قال: (ما كان شيء أحب الى رسول الله(ص) من ان يظل خائفاً جائعاً في الله عزوجل.

وعن أنس بن مالك قال: ان رسول الله(ص) مر على صبيان فسلم عليهم وهو مغذ.

وعن أبي ذر قال: كان رسول الله(ص) يجلس بين ظهراني أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل، فطلبنا الى النبي(ص) ان يجعل مجلساً يعرفه الغريب اذا أتاه فبنينا له دكانا من طين وكان يجلس عليه ونجلس بجانبيه.

وسئلت عائشة ما كان النبي(ص) يصنع اذا خلا؟ قالت: يخيط ثوبه ويخصف نعله و يصنع ما يصنع الرجل في أهله.

وعنها انها قالت: كان أحب العمل الى رسول الله(ص) الخياطة.

وعن ابن مسعود قال: أتى النبي(ص) رجل بكلمة فأرعد فقال: هون عليك فلست بملك انما أنا ابن امرأة كانت تأكل القد.

وعن انس بن مالك قال: خدمت النبي(ص) تسع سنين فما أعلمه قال لي قط هلاّ فعلت كذا وكذا، ولا عاب عليّ شيئاً قط.

وعن أبي سعيد الخدري يقول: كان رسول الله(ص) حيّياً لا يُسأل شيئاً الا أعطاه.

وعن جابر بن عبد الله قال: غزا رسول الله(ص) احدى وعشرين غزوة بنفسه شاهدت منها تسعة عشر وغبت عن اثنتين فبينا انا معه في بعض غزواته اذا اعيا ناضحي تحتي بالليل فبرك، وكان رسول الله(ص) في آخرنا في آخريات الناس فيزجي الضعيف و يردف و يدعو لهم، فانتهى اليّ وأنا أقول يا لهف امياه وما زال لنا ناضح سوء.

فقال : من هذا؟

فقلت : أنا جابر بأبي انت وامي يارسول الله.

قال : ما شأنك؟!

قلت : اعيا ناضحي.

فقال : أمعك عصا؟

فقلت : نعم.

فضربه ثم بعثه، ثم اناخه ووطىء على ذراعه وقال: اركب فركبت فسايرته فجعل جملني يسبقه فأستغفر لي تلك الليلة خمساً وعشرين مرة فقال لي : ما ترك عبد الله من الولد يعني أباه.

قلت : سبع نسوه.

قال : أبوك عليه دين.

قلت : نعم.

قال : فأذا قدمت المدينة فقاطعهم فأن أبوا فاذا حضر جذاذ نخلكم فأذني.

وقال : هل تزوجت؟

قلت : نعم.

قال : بمن؟

قلت : بفلانة بنت فلان بأيم كانت بالمدينة.

قال : فهلا فتاة تلاعبها وتلاعبك.

قلت : يا رسول الله كنّ عندي نسوة خرق يعني أخواته، فكرهت أن آتيهن بأمرأة خرقاء، فقلت: هذه أجمع لأمري.

قال : أصبت ورشدت.

ثم قال : بكم اشتريت جملك؟

فقلت : بخمس اواق من ذهب!.

قال : قد أخذناه.

فلما قدم المدينة اتيته بالجمل، فقال: يا بلال أعطه خمس اواق من ذهب يستعين به في دين عبدالله وزده ثلاثاً واردد عليه جمله.

قال : هل قاطعت غرماء عبدالله؟

قلت : لا يا رسول الله.

قال : اترك وفاءً

قُلت: لا

قال : لا عليك اذا حضر جذاذ نخلكم فأذني فأذنته فجاء فدعالنا فجذذنا واستوفى كل غريم ما كان يطلب تمرا وفاءً وبقى لنا ما كنا نجذ واكثر، فقال رسول الله(ص): ارفعوا ولا تكيلوا، فرفعناه واكلنا منه زمانا.

وعن ابن عباس قال: كان رسول الله(ص) اذا حدث الحديث أو سأل عن الأمر كرره ثلاثاً ليفهم و يفهم عنه.

وروى عن زيد بن ثابت قال: ان النبي(ص) كنا اذا جلسنا اليه ان أخذنا بحديث في ذكر الآخرة أخذ معنا، وان أخذنا في الدنيا أخذ معنا، وان أخذنا في ذكر الطعام والشراب أخذ معنا، فكل هذا أحدثكم عن رسول الله(ص).

وكان (ص) كثير التبسّم ــ مع كثرة مهامّه ومشكلاته حتى عدوا من اسمائه (ص): (الضحوك).

كما كان (ص) حسن الخلق، مع كثرة همومه.

وروي ان رجلاً اعترض النبي(ص) يسأله فصاح به الناس، فقالوا: دعوا الرجل أربّ مّالَه.

وعن زرارة، عن أبي جعفر(ع) قال: دخل يهودي على رسول الله(ص) وعايشة عنده، فقال: السام عليكم، فقال رسول الله(ص): عليك.

ثم دخل آخر فقال مثل ذلك، فرد عليه كما رُد على صاحبه.

ثم دخل آخر فقال مثل ذلك، فرد رسول الله(ص) كما رد على صاحبه.

فغضبت عائشة فقالت: عليكم السام والغضب واللعنة يا معشر اليهود يا اخوة القرود والخنازير.

فقال لها رسول الله(ص): يا عائشة ان الفحش لو كان ممثلاً لكان مثال سوء، ان الرفق لم يوضع على شيء قط إلا زانه ولم يرفع عنه قط إلا شانه.

وفي حديث ان رسول الله(ص) كان يأتيه الاعرابي فيهدي له الهدية، ثم يقول: مكانه اعطنا ثمن هديتنا فيضحك رسول الله(ص)، وكان (ص) اذا اغتم بقول: ما فعل الاعرابي ليته اتانا.

وعن أبي عبد الله(ع) قال: كان رسول الله(ص) يقسم لحظاته بين أصحابه، فينظر الى ذا و ينظر الى ذا بالسوية.

قال: ولم يبسط رسول الله(ص) رجليه بين أصحابه قط، وان كان ليصافحه الرجل فما يترك رسول الله(ص) يده من يده حتى يكون هو التارك، فلما فطنوا لذلك كان الرجل اذا صافحه قال بيده فنزعها من يده.

وكان (ص) يمزح ولا يقول الا حقا.

قال انس: مات نغير لأبي عمير وهو ابن لام سليم، فجعل النبي(ص) يقول: يا اباعمير ما فعل النغير. (النغير طائر يشبه العصفور).

وكان حادي بعض نسوته خادمه (ابخشة) فقال (ص) له: يا ابخشة ارفق بالقوارير.

وفي رواية: لا تكسر القوارير (تشبها للنساء بالزجاج).

وكان (ص) له عبد أسود في سفر فكان كل من اعيا ألقى عليه بعض متاعه حتى حمل شيئاً كثيراً، فمر به النبي(ص) فقال: أنت سفينة، فاعتقه.

وقال رجل: احملني يا رسول الله فقال: انا حاملوك على ولد ناقة فقال: ما أصنع بولد ناقة؟ قال (ص): وهل يلد الابل الا النواق؟

واستدبر (ص) رجلاً من ورائه وأخذ بعضده وقال: من يشتري هذا العبد؟ يعني انه عبد الله.

وقال (ص) لشخص: لا تنس يا ذا الأذنين!

وعن زيد بن أسلم، انه (ص) قال لامرأة (وذكرت زوجها): أهذا الذي في عينيه بياض؟ فقالت: لا ما بعينيه بياض، وحكت لزوجها فقال: أما ترين بياض عيني أكثر من سوادهما؟

ورأى (ص) جملاً عليه حنطة فقال: تمشي الهريسه.

عن ابن عباس: انه (ص) كسى بعض نسائه ثوبا واسعا فقال لها: البسيه واحمدي الله وجرّي منه ذيلا كذيل العروس.

وقالت عجوز من الانصار للنبي(ص): ادع لي بالجنة، فقال (ص): ان الجنة لا يدخلها العجز ثم قال: أما سمعت قول الله تعالى:

«أنا أنشأناهن إنشاءاً فجعلناهن ابكارا»(٣٥ــ٣٦/الواقعة).

وقال (ص) للعجوز الاشجعية: يا أشجعية لا تدخل العجوز الجنة وقال لبلال والاسود كذلك وقال للعباس عمه والشيخ كذلك، ثم قال (ص) لهم ينشئهم الله كأحسن ما كانوا وذكر أنهم يدخلوا الجنة شبانا منورين وقال: ان اهل الجنة جرد مرد مكحلون.

وقال (ص) حين قال رجل شعر:

انت نبي الله حقاً نعلمه

ودينك الاسلام ديناً نعظمه

نبغي مع الاسلام شيئاً نقضمه

ونحن حول ديننا ندندن

قال: يا علي اقض حاجته فأشبعه علي(ع) وأعطاه ناقة وجلة، وتمر.

أقول: (ندندن) الدندنة هي كلام تسمع نغمته ولا يُفهم.

وجاء أعرابي فقال: يا رسول الله(ص) بلغنا ان المسيح يعني الدجال يأتي الناس بالثريد وقد هلكوا جميعاً جوعاً أفترى بأبي انت وامي ان أكف من ثريده تعففا وتزهدا،

فضحك رسول الله(ص)، ثم قال: بل يغنيك الله بما يغني به المؤمنين.

ورأى صهيباً يأكل تمراً، فقال (ص): أتأكل التمر وعينك رمدة، فقال يا رسول الله اني امضغه من هذا الجانب وتشتكى عيني من هذا الجانب.

ونهى (ص) أبا هريرة عن المزاح فسرق نعل النبي (ص) ورهن بالتمر وجلس بحذائه (ص) يأكل، فقال (ص): يا أباهريرة ما تأكل، فقال: نعل رسول الله(ص).

وقال: سويبط المهاجرين لنعيمان البدري اطعمني وكان على الزادفي سفر فقال: حتى نجيء الأصحاب، فمروا بقوم فقال لهم: سويبط تشترون مني عبداً لي؟ قالوا: نعم، قال: انه عبد له كلام وهو قائل لكم اني حر، فأن سمعتم مقاله تفسدوا عليّ عبدي فأشتروه بعشرة قلائص ثم جاؤوا فوضعوا في عنقه حبلاً، فقال نعيمان: هذا يستهزىء بكم واني حر، فقالوا: قد عرفنا خبرك وانطلقوا حتى أدركهم القوم وخلصوه فضحك النبي(ص) من ذلك حيناً (لما سمع الخبر).

ورأى نعيمان مع اعرابي عكة عسل فأشتراها منه وجاء بها الى بيت عائشة في يومها وقال: خذوها يُظهر للنبي(ص) انه أهداها له، ومرّ نعيمان والأعرابي على الباب، فلما طال قعوده قال: يا هؤلاء ردوها على ان لم تحضر قيمتها. فظهرت لرسول الله(ص) القصة فوزن له الثمن، وقال لنعيمان: ما حملك على ما فعلت؟ فقال: رأيت رسول الله(ص) يحب العسل، ورأيت الأعرابي معه العكه، فضحك النبي(ص) ولم يظهر له نكرا.

وروى ان رسول الله(ص) كان يقول (اني لأمزح ولا أقول إلا حقا).

وعن حسن بن علي(ع) قال: سألت خالي هندا عن صفة رسول الله(ص)؟ فقال: اذا كان غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غضّ طرفه وكان جل ضحكه التبسم.

كرمه (ص) وتيسيره الأمور للناس

وكان (ص) اكرم الناس كفاً وكان يؤثر غيره على نفسه فيبت جائعاً ليطعم غيره وقد قالت عائشة: كنا نأكل الاسودين (اي الماء والتمر) ونطعم الناس الاحمرين)اي الخبز واللحم).

وروي عن الصادق(ع): ان رسول الله(ص) أقبل الى (الجعرانه) فقسم فيها الاموال وجعل الناس يسألونه فيعطيهم حتى الجؤوه الى الشجرة فأخذوا ابُرده وخدشت ظهره حتى جلوه عنها وهم يسألونه فقال ايها الناس والله لو كان عندي عدد شجر تهامة نعما لقسمته بينكم ثم ما الفيتموني جبانا ولا بخيلا.

ولقد كان (ص) يجيز الرجل الواحد بالمائة من الابل.

وقال اعرابي: ان محمداً (ص) يعطي عطاء من لا يخاف الفقر.

وفي رواية (حول الامام اميرالمؤمنين(ع) انه كان قد اقتدى بالرسول(ص) فكان يجلس جلسة العبد، و يأكل اكله العبد، و يطعم الناس خبز البر واللحم، و يرجع الى اهله فيأكل الخبز والزيت وان كان ليشتري القميص السنبلاني ثم يخير غلامه خيرهما ثم يلبس الباقي، فاذا جاز أصابعه قطعه، واذا جاز كعبه حذفه، وما ورد عليه أمران قط كلاهما لله رضاً إلا أخذ بأشدهما على بدنه، ولقد ولي (ع) الناس خمس سنين فما وضع آجرة على أجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا اقطع قطيعة، ولا أورث بيضاء ولا حمراء الا سبع مائة درهم فضلت من عطاياه أراد أن يبتاع لأهله بها خادما وقد كان (ع) مديونا لما أستشهد بثمانمائة ألف درهم.

وفي حديث ان رسول الله(ص) كان يحمل الناس من خلقه ما يطيقون.

وقد ورد في الحديث انه (ص) قال:

[رُفع عن امتي تسعة: الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه، وما لا يعلمون، وما

لا يطيقون، وما اضطروا إليه والطيرة، والحسد، والتفكر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشفته].

وروي: ان رجلاً أتى النبي(ص) فقال: ما عندي شيء ولكن ابتع علي فأذا جاءنا شيء قضيناه.

قال الراوي: فقلت: يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه.

قال: فكره النبي(ص).

فقال الرجل: انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا.

قال: فتبسم النبي(ص) وعرف السرور في وجهه.

وعن انس قال: كان رسول الله(ص) أشجع الناس وأحسن الناس وأجود الناس.

وقال: فزع أهل المدينة ليلاً فأنطلق الناس قبل الصوت قال: فتلقاهم رسول الله(ص) وقد سبقهم وهو يقول: (لن تراعوا) وهو على فرس لأ بي طلحة وفي عنقه السيف.

عبادته (ص) وتعاهده لعبادة أصحابه :

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله وأبي جعفر(ع) قالا: كان رسول الله(ص) اذا صلى قام على أصابع رجليه حتى تورمت، فأنزل الله تعالى:

«طه»(١/طه).

وهي بلغة طيّ يا محمد

«ما انزلنا عليك القرآن لتشقى»(٢/طه).

وروي: انه (ص) لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت النحل لما سمع من دندنتهم بذكر الله والتلاوة.

القيادة الرشيدة المتواضعة

عن أبان الأحمر، عن الصادق جعفر بن محمد(ع) قال: (جاء رجل الى رسول الله(ص) وقد بلي ثوبه فحمل اليه اثنى عشر درهماً، فقال: ياعلي خذ هذه الدراهم فإشتر لي ثوبا ألبسه، قال علي(ع): فجئت الى السوق فأشتريت له قميصاً بأثنى عشر درهما وجئت به الى رسول الله(ص) فنظر اليه فقال: يا علي غير هذا أحب ألي، أترى صاحبه يعيلنا؟

فقلت : لا أدري.

فقال: انظر فجئت الى صاحبه، فقلت: ان رسول الله(ص) قد كره هذا يريد ثوبا دونه فأقلنا فيه فرد عليّ الدراهم وجئت به الى رسول الله(ص) فمشى معي الى السوق يبتاع قميصاً فنظر الى جارية قاعدة على الطريق تبكي فقال لها رسول الله(ص): ما شأنك.

قالت يا رسول الله ان أهل بيتي اعطوني أربعة دراهم لأشتري لهم بها حاجة فضاعت فلا اجسر ان ارجع اليهم.

فأعطاها رسول الله(ص)أربعة وقال: ارجعي الى أهلك.

ومضى رسول الله(ص) الى السوق فأشترى قميصاً بأربعة دراهم ولبسه وحمد الله وخرج، فرأى رجلاً عرياناً يقول: من كساني كساه الله من ثياب الجنة، فخلع رسول الله(ص) قميصه الذي اشتراه وكساه السائل.

ثم رجع الى السوق فأشترى بالاربعة التي بقيت قيمصا آخر فلبسه وحمد الله ورجع الى منزله، واذا الجارية قاعدة على الطريق، فقال لها رسول الله(ص): ما لَكِ لا تأتين أهلك.

قالت: يا رسول الله(ص) اني قد أبطأت عليهم وأخاف أن يضربوني فقال رسول الله(ص): مرّي بين يدي ودليني على أهلك.

فجاء رسول الله(ص) حتى وقف على باب دارهم، ثم قال: السلام عليكم يا أهل الدار فلم يجيبوه، فأعاد السلام فلم يجيبوه فأعاد السلام، فقالوا: عليك السلام يا رسول الله

ورحمة الله و بركاته.

فقال لهم: ما لكم تركتم اجابتي في اول السلام والثاني؟!

قالوا: يا رسول الله سمعنا سلامك فأحببنا ان تستكثر منه.

فقال رسول الله(ص): ان هذه الجارية أبطأت عليكم فلا تؤاخذوها.

فقالوا: يا رسول الله هي حرّة لممشاك.

فقال رسول الله(ص): الحمد لله ما رأيت اثنى عشر درهما أعظم بركة من هذه، كسى الله بها عريانين، واعتق بها نسمة).

وعن ابن طريف، عن ابن علوان، عن جعفر، عن أبيه(ع):(ان رسول الله(ص) لم يورث دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا وليدة ولا شاة ولا بعيرا، ولقد قبض (ص) وان درعه مرهونة عند يهودي من يهود المدينة بعشرين صاعا من شعير استلفها نفقة لأهله).

وعن محمد بن قيس، عن أبي جعفر(ع) قال: قال رسول الله(ص):

[خمس لا ادعهن حتى الممات:

الاكل على الحضيض مع العبيد،

وركوبي الحمار مؤكفا،

وحلبي العنز بيدي،

ولبس الصوف،

والتسليم على الصبيان، لتكون سنة من بعدي].

وعن جرير بن عبد الله: (ان النبي(ص) دخل بعض بيوته فأمتلأ البيت ودخل جرير فقعد خارج البيت فأبصره النبي(ص) فأخذ ثوبه فلفه فرمى به اليه وقال: اجلس على هذا، فأخذ جرير فوضعه على وجهه فقبله).

وعن جابر قال: (كان رسول الله(ص) اذا خرج مشى أصحابه أمامه وتركوا ظهره للملائكة).

وعن أنس بن مالك قال: (كنا اذا أتينا النبي(ص) جلسنا حلقة).

وعن علي(ع) قال: ما صافح رسول الله(ص) أحداً قط فنزع يده من يده حتى يكون هو الذي ينزع يده وما فاوضه أحد قط في حاجة أو حديث فأنصرف، حتى يكون الرجل

ينصرف.

وما نازعه الحديث حتى يكون هو الذي يسكت.

وما رأى مقدما رجله بين يدي جليس له قط.

ولا عرض له قط أمران الا أخذ بأشدهما.

وما انتصر نفسه من مظلمة حتى ينتهك محارم الله فيكون حينئذ غضبه لله تبارك وتعالى.

وما أكل متكئاً قط حتى فارق الدنيا.

وما سأل شيئاً قط فقال: لا.

وما رد سائلاً حاجة الا بها أو بميسور من القول.

وكان أخف الناس صلاةً في تمام.

وكان أقصر الناس خطبة وأقله هذراً.

وكان يعرف بالريح الطيب اذا أقبل.

وكان اذا اكل مع القوم كان أول من يبدء وآخر من يرفع يده.

وكان اذا أكل مما يليه، فأذا كان الرطب والتمر جالت يده.

واذا شرب شرب ثلاثة انفاس وكان يمص الماء مصاً ولا يعبه عباً.

وكان يمينه لطعامه وشرابه وأخذه وأعطائه كان لا يأخذه الا بيمينه ولا يعطي الا بيمينه، وكان شماله لما سوى ذلك من بدنه.

وكان يحب التيمن في كل اموره في لبسه وتنعله وترجله.

وكان اذا دعا دعا ثلاثاً، واذا تكلم تكلم وترا، واذا استأذن استأذن ثلاثاً.

وكان كلامه فصلاً يتبينه كل من سمعه، واذا تكلم رأى كالنور يخرج من بين ثناياه، واذا رأيته قلت افلج الثنيتين وليس بأفلج.

وكان نظره اللحظ بعينه.

وكان لا يكلم أحداً بشيء يكرهه.

وكان اذا مشى كأنه ينحط من صبب.

وكان يقول: ان خياركم احسنكم اخلاقاً.

وكان لا يذم ذواقاً ولا يمدحه ولا يتنازع أصحابه الحديث عنده.

وكان المحدث عنه يقول: لم أر بعيني مثله قبله ولا بعده(ص).

وكان (ص) يؤتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة أو يسميه فيأخذه فيضعه في حجره تكرمه لأهله، فربما بال الصبي عليه فيصيح بعض من رآه حين بال فيقول (ص): لا تزرموا بالصبي فيدعه حتى يقضي بوله ثم يفرغ له من دعائه أو تسميته و يبلغ سرور أهله فيه ولا يرون انه يتأذى ببول صبيهم، فأذا انصرفوا غسل ثوبه بعد.

ودخل رجل المسجد وهو جالس وحده فتزحزح له، فقال الرجل: في المكان سعة يا رسول الله، فقال (ص):

[ان حق المسلم على المسلم اذا رآه يريد الجلوس اليه ان يتزحزح له].

وروي: ان رسول الله(ص) قال:

[من أحب ان يمثل له الرجال فيتبوء مقعده في النار].

وقال (ص):

[لا تقوموا كما تقوم الأعاجم بعضهم لبعض].

(وكان الاعاجم يتواضع بعضهم لبعض الى حد الركوع).

وروي عن أبي عبدالله(ع) قال: (كان رسول الله(ص) اذا دخل منزلا قعد في أدنى المجلس حين يدخل).

وروي عنه (ع): (ان رسول الله(ص) قال:

[اذا أتى أحدكم مجلسا فليجلس حيث ما انتهى مجلسه].

وكان صلى الله عليه وآله يأكل كل الاصناف من الطعام وكان يأكل ما أحلّ الله له مع أهله وخدمه.

اذا أكلوا ومع من يدعوه من المسلمين على الارض وعلى ما أكلوا عليه، ومما أكلوا إلا ان ينزل به ضيف فيأكل مع ضيفه.

وكان يقول (ص):

[أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد].

وعن أبي عبدالله(ع) قال: (ما أكل رسول الله(ص) متكئاً منذ بعثه الله عزوجل نبياً

حتى قبضه الله اليه تواضعا لله عزوجل، وكان (ص) اذا وضع يده في الطعام قال: بسم الله بارك لنا فيما رزقتنا وعليك خلفه.

وما ذم رسول الله(ص) طعاماً قط كان اذا أعجبه أكله، وإذا كرهه تركه، وكان (ص) ما عاف من شيء فأنه لا يحرمه على غيره).

وعن المعلى بن خنيس قال: قال أبوعبدالله(ع): ما أكل نبي الله وهو متكىء منذ بعثه الله جل وعز، وكان يكره ان يتشبه بالملوك.

العدالة الاجتماعية

عن أميرالمؤمنين(ع) قال: ان يهودياً كان له على رسول الله(ص) دنانير فتقاضاه فقال له: يا يهودي ما عندي ما أعطيك فقال: فاني لا افارقك يامحمد حتى تقضيني فقال: اذاً أجلس معك فجلس معه حتى صلى في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة، وكان أصحاب رسول الله(ص) يتهددونه و يتواعدونه، فنظر رسول الله(ص) اليهم فقال: ما الذي تصنعون به؟ فقالوا: يا رسول الله يهودي حبسك فقال (ص): لم يبعثني ربي عزوجل بأن أظلم معاهداً ولا غيره، فلما علا النهار قال اليهودي: اشهد ان لا اله الا الله، واشهد أن محمداً عبده ورسوله، وشطر مالي في سبيل الله.

وعن عنبسه بن مصعب، عن أبي عبدالله(ع) قال: سمعته يقول: (أتى النبي(ص) بشيء فقسمه فلم يسع أهل الصفة جميعاً فخصَّ به اناساً منهم، فخاف رسول الله(ص)ان يكون قد دخل قلوب الآخرين شيء فخرج اليهم فقال: معذرة الى الله عزوجل واليكم يا أهل الصفة انا أوتينا بشيء فأردنا ان نقسمه بينكم فلم يسعكم فخصصت به اناساً منكم خشينا جزعهم وهلعهم.

جوانب من حياته (ص)

عن الحسن الصيقل قال: سمعت أباعبد(ع) يقول: مرت إمرأة بدو ية (بذيه) برسول الله(ص) وهو يأكل وهو جالس على الحضيض فقالت: يامحمد والله انك لتأكل

أكل العبيد وتجلس جلوسه، فقال لها رسول الله(ص): ويحك اي عبد أعبد مني.

قـالت: فناولني لقمة من طعامك فناولها، فقالت: لا والله الا التي في فمك، فأخرج رسول الله(ص) اللقمة من فمه فناولها فأكلتها، قال ابوعبدالله(ع): فما أصابها داء حتى فارقت الدنيا.

وكـان (ص) اذا أكـل الخبـز واللـحم خاصة غسل يديه غسلاً جيداً ثم مسح بفضل الماء الذي في يده وجهه.

وكان (ص) لا يأكل وحده ما يمكنه وقال:

[الا انبئـكـم بشراركم؟ قالوا: بلى، قال: من أكل وحده وضرب عبده ومنع رفده].

وكـان (ص) اذا شـرب بـدء فـسمى وحسا حسوة وحسوتين، ثم يقطع فيحمد الله ثم يعـود، فـيسمى ثم يزيد في الثالثة ثم يقطع فيحمد الله وكان له في شربه ثلاث تسميات وثـلاث تحـمـيـدات، ويمص الماء مصاً ولا يعبه عباً، و يقول: ان الكباد من العب، وكان (ص) لا يتنفس في الماء اذا شرب، فأن أراد ان يتنفس أبعد الاناء عن فيه حتى يتنفس.

وكـان يـشـرب في الاقـداح الـتـي تـتخذ من الخشب وفي الجلود، و يشرب في الخزف و يشرب بكفيه يصب الماء فيهما و يشرب و يقول: ليس اناء أطيب من اليد.

وقـال انس بن مالك: كانت لرسول الله(ص) شربة يفطر عليها وشربة للسحر، وربما كـانـت واحـدة، وربما كانت لبنا، وربما كانت الشربة خبزاً يماث فهيأتها له (ص) ذات لـيـلـة فاحتبس النبي(ص) فظننت ان بعض أصحابه دعاه فشربتها حين احتبس، فجاء (ص) بعد العشاء بساعة فسألت بعض من كان معه هل كان النبي(ص) افطر في مكان أو دعـاه أحـد، فـقـال: لا فبت بليلة لا يعلمها الا الله من غم ان يطلبها مني النبي(ص) ولا يجدها فيبيت جائعاً فأصبح صائما، وما سألني عنها ولا ذكرها حتى الساعة.

ولـقد جاءه (ص) ابن خولى بأناء فيه عسل ولبن فأبى ان يشربه، فقال: شربتان في شـربـة وانـاءان في انـاء واحـد، ثـم قال: ما احرمه ولكني اكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدا وأحب التواضع، فأن من تواضع لله رفعه الله.

وكان يحب الدهن و يكره الشعث و يقول: ان الدهن يذهب البؤس.

وكان (ص) يتطيب بالمسك حتى يرى وميضه في مفرقه وكان يستجمر بالعود القماري، وكان يعرف في الليلة المظلمة قبل ان يرى بالطيب، فيقال: هذا النبي(ص).

وكان لا يعرض عليه طيب إلاّ تطيب به و يقول: هو طيب ريحه خفيف محمله، وان لم يتطيب وضع إصبعه في ذلك الطيب.

وكان (ص) ينظر في المرآة و يرجل جمته ويمتشط، وربما نظر في الماء وسوى جمته فيه، ولقد كان يتجمل لأصحابه فضلاً على تجمله لأهله، وقال ذلك لعائشة حين رأته ينظر في ركوة فيها ماء في حجرتها و يسوي فيها جمته وهو يخرج الى أصحابه، فقالت: بأبي أنت وأمي تتمرء في الركوة وتسوى جمتك وانت النبي وخير خلقه فقال:

[ان الله تعالى يحب من عبده اذا خرج الى اخوانه ان يتهيأ لهم وتجمل].

وكان لا يفارقه في أسفاره قارورة الدهن والمكحلة والمقراض والمرآة والمسواك والمشط.

وفي رواية: تكون معه الخيوط والأ برة والمخصف والسيور.

وكان (ص) اذا لبس ثوبا جديداً قال:

[الحمد لله الذي كساني ما يوارى عورتي، واتجمل به في الناس].

وكان اذا نزعه نزع من مياسره أولاً.

وكان (ص) اذا لبس ثيابه واستوى قائما قبل ان يخرج قال:

[اللهم بك استترت، واليك توجهت، وبك اعتصمت وعليك توكلت، اللهم أنت ثقتي وانت رجائي، اللهم اكفني ما أهمني، وما لا اهتم به، وما انت أعلم به مني، عز جارك، وجل ثنائك، ولا اله غيرك، اللهم زودني التقوى، واغفر لي ذنبي، ووجهني للخير حيث ما توجهت] ثم يندفع لحاجته .

وعن علي(ع) كان فراش رسول الله(ص) عباء وكانت مرفقته ادم حشوها ليف فثنيت ذات ليلة، فلما أصبح قال:

لقد منعني الليلة الفراش الصلاة (اي النافلة) فأمر (ع) ان يجعل بطاق واحد.

وكان له فراش من ادم حشوه ليف، وكانت له (ص) عباءة تفرش له حيثما أنتقل وتثنى ثنيتين، وكان (ص) كثيراً ما يتوسد وسادة له من ادم حشوها ليف ويجلس عليها،

وكانت له قطيفة فدكيه يلبسها يتخشع بها، وكانت له قطيفة مصرية قصيرة الخمل، وكان له بساط من شعر يجلس عليه، وربما صلى عليه.

وكان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره، وكان يستاك اذا أراد ان ينام و يأخذ مضجعه.

وفي حديث: انه اعتزل (ص) نساءه في مشربة (والمشربة العُلبة)(١) فدخل عليه رجل وفي البيت أُهُب(٢) عطنة(٣) قرط(٤) والنبي(ص) نائم على حصير قد أثر في جنبه فوجد الرجل ريح الاهب، فقال: يا رسول الله ما هذه الريح.

قال: هذا متاع الحى(٥) فلما جلس النبي(ص) قد أثر الحصير في جنبه فقال الرجل: أما أنا فأشهد أنك رسول الله ولأنت أكرم على الله من قيصر وكسرى وهما فيما هما فيه من الدنيا وأنت على الحصير قد أثر في جنبك.

فقال النبي(ص): أما ترضى ان يكون لهم الدنيا ولنا الآخرة.

وعن عبدالرحمن بن الحجاج، عن أبي عبدالله(ع) قال:

أفطر رسول الله(ص) عشية خميس في مسجد قبا فقال: هل من شراب؟ فأتاه أوس بن خولي الأنصاري بعس مخيض بعسل، فلما وضعه على فيه نحاه، ثم قال:

[شرابان يكتفي بأحدهما من صاحبه لا اشربه ولا أحرمه، ولكن أتواضع لله، فأن من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر خفضه الله، ومن أقتصد في معيشته رزقه الله، ومن بذّر حرمه الله، ومن أكثر ذكر الموت أحبه الله].

وعن طلحة بن زيد، عن أبي عبدالله(ع) قال:

ما أعجب رسول الله(ص) شيء من الدنيا الا ان يكون فيها جائعاً خائفاً.

وعن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله(ع) قال:

دخل رسول الله(ص) الى ام سلمه(رض) فقربت اليه كسرة، فقال: هل عندك

١ ــ الغرفة

٢ ــ الجلد

٣ ــ المتننة

٤ ــ ورق يدبغ به

٥ ــ اي متاع الانسان الحيّ

ادام.

فقالت: لا يا رسول الله ما عندي الآ خل.

فقال (ص) نعم الأدام الخل ما افتقر بيت فيه خل.

وعن ابن عباس قال: كان رسول الله(ص) اذا مشى مشى مشيا يعرف انه ليس بمشي عاجز ولا بكسلان.

اكرام النبي(ص) للناس

عن جرير بن عبدالله قال: لما بعث النبي(ص) أتيته لأ بايعه، فقال لي: يا جرير لأي شيء جئت؟

قال: قلت: جئت لأسلم على يديك يا رسول الله.

فألقى لي كسائه، ثم أقبل على أصحابه فقال:

[إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه].

وعن عمار بن حيان قال: قال ابوعبدالله(ع): إن رسول الله(ص) أتته أخت له من الرضاعة، فلما ان نظر اليها سُرّ بها و بسط ردائه لها فأجلسها عليه، ثم أقبل يحدثها و يضحك في وجهها، ثم قامت فذهبت، ثم جاء اخوها فلم يصنع به ما صنع بها، فقيل: يا رسول الله صنعت بأخته ما لم تصنع به وهو رجل، فقال: لأنها كانت أبر بأبيها منه.

حق الحيوان

روي ان النبي(ص) جلس يوما يأكل رطبا فكان يأكل بيمينه ويمسك بيساره ولا يلقيه في الأرض، فمرت به شاة قريبة منه فأشار اليها بالنوى الذي في كفه، فدنت اليه وجعلت تأكل من كفه اليسرى، و يأكل هو بيمينه، و يلقي اليها النوى حتى فرغ وانصرفت الشاة حينئذٍ.

وعن موسى بن جعفر، عن آبائه(ع) قال: قال علي(ع): (بينا رسول الله(ص) يتوضأ إذا لاذ به هر البيت، وعرف رسول الله(ص) إنه عطشان فأصفى اليه الاناء حتى شرب منه الهر وتوضأ بفضله.

ورأى (ص) ديكاً بدون دجاجة فقال (ص) لصاحبه هلاّ اتخذت له أهلاً.
ونامت هرة على كمه (ص) فلما أراد القيام قطع كمه لئلا تنزعج الهرة.

اجتماعيات

عن سفيان بن عتيبة، عن أبي عبد الله(ع) في حديث:
ان النبي(ص) قال:
[من ترك دينا أو ضياعاً فعليّ، ومن ترك مالاً فلورثته].

فالرجل ليست له على نفسه ولاية اذا لم يكن له مال وليس له على عياله أمر ولا نهي اذا لم يجز عليهم النفقة والنبي(ص) وأمير المؤمنين(ع) ومن بعدهما الزمهم هذا فمن هناك صاروا أولى بهم من أنفسهم وما كان سبب اسلام عامة اليهود الا من بعد هذا القول من رسول الله(ص) وأنهم آمنوا على أنفسهم وعلى عيالاتهم.

وعن داود بن عبد الله بن محمد الجعفري، عن أبيه ان رسول الله(ص) كان في بعض مغازيه فمر به ركب وهو يصلي فوقفوا على أصحاب رسول الله(ص) فسائلوهم عن رسول الله(ص) ودعوا واثنوا، وقالوا:

لولا انا عجال لانتظرنا رسول الله(ص) فأقرئوه منا السلام ومضوا فانفتل رسول الله(ص) مغضباً، ثم قال لهم: يقف عليكم الركب و يسألونكم عني و يبلغوني السلام، ولا تعرضوا عليهم الغداء، ليعز على قوم فيهم خليلي جعفر أن يجوزوه حتى يتغدوا عنده.

وعن بحر السقا قال: قال لي ابوعبدالله(ع): يا بحر حسن الخلق يسر.
ثم قال: ألا اخبرك بحديث ما هو في يدي أحد من أهل المدينة.
قلت: بلى.

قال: بينما رسول الله(ص) ذات يوم جالس في المسجد اذ جاءت جارية لبعض الأنصار وهو قائم فأخذت بطرف ثوبه فقام لها النبي(ص) فلم تقل شيئاً ولم يقل لها النبي(ص) شيئاً حتى فعلت ذلك ثلاث مرات، فقام لها النبي(ص) في الرابعة وهي خلفه فأخذت هدبة من ثوبه ثم رجعت، فقال لها الناس: فعل الله بك وفعل حبست

رسول الله ثلاث مرات لا تقولين له شيئاً، ولا هو يقول لك شيئا ما كانت حاجتك اليه، قالت: ان لنا مريضاً فأرسلني أهلي لآخذ هدية من ثوبه ليستشفى بها، فلما أردت أخذها رآني، فقام فاستحييت أن آخذها وهو يراني، واكره ان استأمره في أخذها فأخذتها.

وعن عجلان، عن أبي عبدالله(ع) قال: ان رسول الله(ص) كان لا يسأله أحد من الدنيا شيئاً الا أعطاه فأرسلت اليه امرأة إبنا لها، فقالت: انطلق اليه فاسأله فان قال لك: ليس عندنا شيء فقل: اعطني قميصك، قال: فاخذ قميصه فرمى به اليه.

وعن عبدالله بن طلحة، عن أبي عبدالله(ع) قال: استقبل رسول الله(ص) رجل من بني فهد وهو يضرب عبداً له والعبد يقول: أعوذ بالله فلم يقلع الرجل عنه، فلما أبصر العبد برسول الله(ص) قال: اعوذ بمحمد فأقلع عنه الضرب، فقال رسول الله(ص): يتعوذ بالله فلا تعيذه و يتعوذ بمحمد فتعيذه، والله أحق أن يجار عائذه من محمد.

فقال الرجل: هو حر لوجه الله.

فقال رسول الله(ص): والذي بعثني بالحق نبيا لو لم تفعل لواقع وجهك حر النار.

وعن الفضل قال: سمعت أباجعفر(ع) يقول: خرج رسول الله(ص) يريد حاجة، فأذا بالفضل بن العباس قال: فقال احملوا هذا الغلام خلفي قال: فأعتنق رسول الله(ص) بيده من خلفه على الغلام، ثم قال: يا غلام خف الله تجده أمامك يا غلام خف الله يكفك ما سواه.

العفو العام

عن زرارة، عن أبي جعفر(ع) قال: ان رسول الله(ص) أتى باليهودية التي سمّت الشاة للنبي(ص) فقال لها: ما حملك على ما صنعت.

فقالت: قلت: ان كان نبياً لم يضره وان كان ملكا أرحت الناس منه.

قال: فعفا رسول الله(ص) عنها.

وعن الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبدالله(ع) قال: ان رسول الله(ص) مرّ في بعض طرق المدينة وسوداء تلقط السرقين فقيل لها: تنحي عن طريق رسول الله(ص).

فقالت: ان الطريق لمعرض.

فهمّ بها بعض القوم ان يتناولها، فقال رسول الله(ص): دعوها فانها جبارة. كما انه (ص) عفا عن قاتل عمه حمزة (وحشي) وعن قاتل بنته زينب(ع) (هبّار) الى غير ذلك من أخبار عفوه (ص).

الفصل الثامن:

«اسباب تخلف المسلمين في القرون الاخيرة»

السؤال الكبير الذي يتردد على كل الشفاه، و يطرح في كل الأندية هو:

لماذا لم يتمكن المسلمون من النهوض حتى ينقذوا أنفسهم من براثن الشرق والغرب اولاً وحتى ينقذوا سائر البشر ثانياً مع ما للأسلام من المناهج الصحيحة والحريات الواسعة، على ما قال سبحانه:

«هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله»(٣٣/التوبة).

وقال سبحانه:

«و يضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم»٠(١٥٧/الاعراف).

ومع ان جماعات كثيرة من المسلمين حاولوا ذلك فلم تجد تلك المحاولات؟

وليس هذا سؤالأفحسب، وانما نحن بصدد بيان العلاج للمشكلة بما نراه مناسبا لها، حتى نتمكن من صياغة العالم الجديد الذي يعمه الايمان والحرية والسلام والرفاه.

والجواب على هذا السؤال يتلخص في عدة امور هي التالية:ـــ

١ ــ انحراف الحكومات التي تدعي الاسلام

الأول: ما شاهده المسلمون اولاً والعالم ثانياً من المظالم التي اقترفتها جملة من الحكومات (الاسلامية)!ابتداءاً من معاوية ومن سبقه من الغاصبين وانتهاء بسقوط آخر خليفة عثماني في تركيا، فقد حمل اكثرية أهل العالم انطباعات سّيئة عن الحكومة الاسلامية ظناً منهم ان (الحكومة الاسلامية) هي التي أدارها الأمويون والعباسيون ومن اليهم فرأى الناس (مسلمين وغيرمسلمين) ان في قيام الحكومة الاسلامية إعادة للمأساة، ولذا أخذت الجلود تقشعر من اسم (الخليفة) و (الامير) و (الحكم الاسلامي) وما أشبه.

ومن الواضح ان ذلك لم يكن ذنب الاسلام، وانما كانت ذنب المسلمين الذين رضوا بأن يحكمهم مثل اولئك الحكام المنحرفين عن الاسلام وقد ورد في حديث تقدم عن رسول الله(ص) وجوب عزل الحكام الظالمين لكن المسلمين ــ غالباً ــ خنعوا وخضعوا وقبلوا بحكم اولئك لأسباب مختلفة، فقسم طمعاً، وقسم خوفاً وقسم حيادا وصارت النتيجة:

أولاً: تلك المجازر العظيمة والمظالم الهائلة في كل البلاد الاسلامية.

ثانياً: تلوث سمعة الحكومة الاسلامية، فأصبحت الحكومة الاسلامية تحمل لون (الظلم) و (العدوان) و (الاستهتار) ونحو ذلك، واتّسم الحاكم الاسلامي في أذهان المسلمين وغير المسلمين بالخليفة المستبد الذي يصادر أموال الناس و يقتلهم بغير ذنب و بدون محاكمة، و يهتك الأعراض، ويملأ بيوته بالجواري والقيان والخصيّ، و يشرب الخمر، و يعربد و يلعب بالقمار، ويخاف منه حتى أقرب المقربين إليه، ولا يستشير من احد شيئاً، و يقتل الصالحين و يترك الفاسقين و يعمل على تأخر البلاد والعباد، ومن الواضح ان مثل هذا الحكم لا يرغب اليه أحد.

نماذج من فساد الامويين

ولا بأس بذكر جملة من الأعمال التي ارتكبها الامويون والعباسيون و يقاس على تلك الأعمال ما ارتكبه العثمانيون ومن اليهم من لمآثم والموبقات، حتى يعرف مدى ثقل التركة التي ورثناها نحن المسلمين من هؤلاء مما سبب تنفر كثير من أهل العالم من حكم الاسلام مثلاً:

جرائم معاوية بن أبي سفيان

قال معاوية على المنبر في مدينة الكوفة: (ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصُوموا ــ الى ان قال ــ وانما قاتلتكم لأ تأمّر عليكم).

و يذكر الدميري في كتابه (حياة الحيوان): ان معاوية وجد رجلاً يزني بجاريته فقال له: ما جرأك على هذا؟

قال الرجل: حلمك يا أميرالمؤمنين! فعفا عنه وأعطاه تلك الجارية!

وقد احتال معاوية لكي يطلق رجل زوجته (ارينب) ليزوجها لابنه يزيد لما بلغه من جمالها.

وجرائم معاوية كثيرة من خدعه، وحيله، ومحاربته مع علي(ع)، وارساله السم الى المناوئين له ولو كان الامام الحسن(ع) الذي قال فيه وفي أخيه رسول الله(ص) **[الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا].**

وخيانته بجعدة التي وعدها أن يزوجها يزيد اذا قتلت الامام الحسن(ع) بالسم، ورمي جنازة الامام(ع) بالسهم على يد عامله مروان، وقتله مالك الأشتر عن طريق السم، وقوله: (إن لله جنوداً من العسل)!

واستحلاله البلاد الاسلامية بقتل المسلمين وحرقهم ــ كما أحرق ذات مرة في اليمن أربعين ألفاً من المسلمين ــ واباحته قتل الأطفال ونهب الأعراض ــ كما فعل عامله في اليمن حيث قتل أولاد عبيدالله ــ وسبّه للأمام أميرالمؤمنين(ع) وللخيرة من أصحاب رسول الله (ص)،وشربه الخمر علنا حتى انه كان يهدى اليه زقاق الخمر ــ حتى

خرقها أبوالدرداء في قصة مشهورة ــ واستخلافه ليزيد بالقسر (يزيد المعروف بكل موبقة وأثم) وحمله على رقاب المسلمين بالقوة مما أسفر عن أسوء النتائج، وجعله الملوكية كسروية وقيصرية من دون استشارة من الأمة ولا أشراك لأهل الحل والعقد، وعلى سنن معاوية سار جملة من الأمراء مثل ذلك الأمير الذي قال: (إن السواد «العراق» بستان لقريش) وكان ينهب المال لنفسه ولذويه ويترك المسلمين وغير المسلمين جياعا، ومثل الأمير الآخر الذي كان يشرب الخمر ويصلي صلاة الصبح اربعا، ويستفرغ الخمر في مسجد الكوفة ويقرء في صلاته:

علق القلب الربابا　　بعدما شابت وشابا

وغير ذلك من أمثال هذه المآثم والموبقات التي كان الخلفاء والأمراء يرتكبونها.

يزيد يسير على خطى أبيه

ولما وصل الامر الى يزيد أكثر من الآثام والموبقات بقتل ابن بنت رسول الله (ص) عطشاناً، وقتل أصحابه معه، وتنكيله بجثثهم أسوأ تنكيل، وحرق خيامهم، وذبح أطفالهم، وسبي نسائهم من بلد الى بلد وهن عقائل الوحي، وقطع رؤوس الحسين (ع) وأصحابه وأولاده وأنصاره وجعلها على رؤوس الرماح من كربلاء الى الكوفة ومن الكوفة الى الشام، ثم احضاره الرأس الشريف في مجلسه، وشربه الخمر، ونكثه ثنايا الامام (ع) بقضيب كان بيده، وانشاده الأشعار الألحادية كقوله:

لما بدت تلك الرؤوس وأشرقت　　تلك الشموس على ربى جيرون
نعب الغراب فقلت: صح او لا تصح　　فلقد قضيت من النبيّ ديوني

وقوله:

ليت أشياخي ببدر شهدوا　　جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً　　ثم قالوا: يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم　　وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا　　خبر جاء ولا وحي نزل

وكان يزيد شريباً للخمر، لاعباً بالقمار، يعمل بدماء الناس وأعراضهم ما يشاء، يزني بأرحامه كعمته وغيرها، وقد هدم الكعبة بالمنجنيق في قصة مشهورة، وأباح المدينة المنورة ـ بلد رسول الله(ص) والخيرة من المسلمين والصحابة الأطهار ـ جيشه فزنوا بالنساء حتى في مسجد رسول الله(ص)، وأجروا الدماء الغزيرة حتى في نفس المسجد، ونهبوا الأموال، وقتلوا الأطفال في قصة الحرة المشهورة.

وجاء دور الحجاج

وعلى خطى معاوية و يزيد: سار الحجاج فعندما دخل الحجاج الكوفة ـ كوال من قبل الخليفة الأموي الذي كان بيده نصف العالم الاسلامي الشرقي الى باكستان ـ أخذ معه مجموعة من الجلادين وأمرهم أن يقفوا شاهرين سيوفهم عند أبواب المسجد وأن ينفذوا أوامره ثم صعد المنبر وعمامته تستر وجهه وقد غصّ المسجد بالناس للأستماع الى الوالي الجديد فقرأ الحجاج رسالة عبدالملك ثم سكت، ثم قرأ العبارة التي فيها سلام عبدالملك الى أهل الكوفة مرة أخرى وسكت، وكان ينتظر من الناس ان يردّوا الجواب على سلام الخليفة ولكن من دون جدوى، وفي المرة الثالثة وضع عمامته فبان وجهه وأنشد هذا البيت:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا   متى أضع العمامة تعرفوني

فلما وضعها عرف الناس انه الحجاج المجرم المعروف فقد كانت له سوابق رهيبة في نفوس المسلمين ثم تكلم وقال: (و يلكم عبدالملك يبلغكم السلام ولا تجيبونه؟).

فوقف الناس احتراما للخليفة خوفا، وأجابوا: (وعليك السلام وعلى أميرالمؤمنين السلام).

ولكن الحجاج استمر في كلامه قائلا: (اسمعوا أيها الناس ان عليكم ان تجهزوا جيشاً للاهواز)وسكت.

فقام جماعة من الشباب واعتذروا.

فقال الحجاج للجلادين الذين كانوا ينتظرون أوامره بشغف: (أضربوا أعناقهم) و بعد لحظات كانت الرؤوس تتطاير في الهواء وكانت الجثث تملأ المسجد.

ثم قام جماعة من الشيوخ واعتذروا فأمر الجلادين فضربوا أعناقهم، وكل من أراد الهروب أخذه الجلادون الذين كانوا على أبواب المسجد وقتلوه.

وقد بدأ الحجاج الكلام قبل ضربه الناس بقوله: (ألا واني أرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وإني أرى الدماء تترقرق بين العمائم واللحى).

و بهذا الاسلوب خضع الناس للحجاج وأصبح هذا المجرم إلهاً جديداً يحكم ما يشاء و يفعل ما يريد، يقتل و ينهب، و يشرب الخمر ومعه في كل ذلك جلاوزته وزملاؤه.

ولم يكن الحجاج ليقتصر على قتل المجرم، بل كان يقتل كل من اساء به الظن لا هذا فقط، بل كان يقتل الابرياء لأرواء نفسه المتعطشة للدماء فكان يأمر بالشخص فيقتل، ثم يمدّ على جسمه السماط و يأكل و يقول: اني التذ أن أرى أطراف السماط تتراقص أمامي على أجساد القتلى وان آكل على مثل هذا السماط.

(الله اكبر) جريمة جزاءها : القتل!

وذات مرة سمع الحجاج وهو على شرفة قصره رجلا من المارة يقول: (الله اكبر) (الله اكبر) فدعاه الحجاج وعندما مثل أمامه جرى بينهما الحوار التالي:

أين كنت؟

قال الرجل: في المسجد.

ماذا كنت تفعل؟

قال الرجل: أصلي العشاء.

وإلى أين كنت تذهب؟

قال الرجل: الى البيت.

وماذا كنت تقول؟

قال الرجل: لم أقل شيئاً.

بل قلت: الله اكبر.

قال الرجل: نعم قلته.

قال الحجاج: ماذا قصدت من قولك؟

قال الرجل: لم أقصد شيئا وانما قصدت معنى الله اكبر.

قال الحجاج: لا، لابد أنك قصدت شيئاً آخر.

قال الرجل: لا، لم يكن لي أيّ قصد آخر.

قال الحجاج: انك قصدت الأثارة ضدنا، أليس كذلك؟

فقال الرجل: لا والله.

فقال الحجاج: لا ينفعك الحلف الكاذب، ان اصرارك دليل على قصدك الفاسد!

ثم أمر جلاديه ان يسجنوه تلك الليلة، و ينكلوا به الى الصباح.

وفي الصباح رأى الناس على باب المسجد جلادين يجردون الرجل من ثيابه، و يطوفون به راكباً على حمار بشكل معكوس وعند الظهر أوقفوه على باب المسجد وامام مرأى الناس تقدم اليه الجلادون وشدوا جبهته بالجدار ثم أخرجوا فكه الأسفل الذي تحرك بكلمة الله اكبر، ثم كسروا عظام وجهه وجمجمته بالفؤوس، ثم قطعوا رأسه، وعلقوا المتبقى منه على باب المسجد مصلوباً.

سجون الابرياء : مقابرهم

و ينقل التاريخ ان الحجاج وضع جماعة من الشباب الأبرياء في السجن، وأمر أن تسد في وجوههم منافذ النور والهواء حتى لا يميزوا الليل من النهار، كما أمر أن لا يطعموهم الطعام الآ بعد مزجه بالرمال، وان لا يسقوهم الماء الآ بعد خلطه بالملح، فمات أحدهم، فرفض الحجاج ان يواروا جثته حتى تفسخت ومات الثاني والثالث والرابع والخامس الى الرجل السادس عشر واخبروا الحجاج بذلك فلم يأذن بأخراج الجثث، وانما أمر أن يهدموا السقف عليهم ليتحول السجن الى مقبرة لهم وليموت الباقون مع رفاقهم. وهكذا كان.

صور رهيبة من سجون الحجاج

وكان سجن الحجاج يحتوي على مائة وعشرين ألفاً بين رجل وأمرأة، عارين من اللباس، يعيشون تحت الشمس اللافحة نهاراً والبرد القارص ليلاً.

وكان قد أمر السجانين ان يكونوا على سور السجن فأذا أراد أحد ان يتكىء على الحائط في وقت الظل رموه بالنشاب من على السور حتى يتحوّل الى الشمس.

وكان أحدهم اذا تكلم وتضرع يتلوا عليه السجان قوله تعالى:

«اخسئوا فيها ولا تكلمون»(١٠٨/المؤمنون).

كما ان الحجاج زار ذات مرة السجن فلما ضج السجناء قرأ نفس الآية الكريمة.

وكان يأمر أن يعطي السجناء الخبز الممزوج بالرماد والماء الممزوج بالملح.

وكان سجنه يسبب تغيير لون الانسان الذي يعيش فيه لمدة، حتى ان الامهات لم يكنّ ليعرفن أولادهن اذا زرنهم بعد اصرار كثير لتغير وجوههم وعدم حلق رؤوسهم وقص أظفارهم، اذ كان كل ذلك ممنوعاً في داخل سجون الحجاج.

وكانت المرافق في السجن عارية مكشوفة، فكل سجين يجب عليه ان يتخلى حيث يراه الناس.

الى غير ذلك من موبقات سجن الحجاج.

يخرج قلب الرجل ليرى هل هو أكبر؟

وينقل لنا التاريخ ان موظف ضرائب (جابي ضرائب) من قبل الحجاج دخل على انسان وطالبه بزكاة أغنامه فقال له الرجل: ليس عندي زكاة لأن ماشيتي ماتت بسبب البرد.

فرجع الموظف الى الحجاج، وبدل ان يخبره بالحقيقة ذكر ان الرجل يرفض الايمان بالزكاة.

واستغل الحجاج الموقف فأمر باحضار الرجل وقال له: كيف لا تؤمن بالزكاة؟

قال الرجل: والله إنني مسلم، ولا يسع المسلم الاّ أن يؤمن بالزكاة.

فقال له الحجاج: اذاً كيف قلت انك لا تؤمن بالزكاة؟

قال الرجل: لم أقل ذلك انما قلت ليس عندي ما يتعلق به الزكاة.

ولـم يـقتنع الحجاج فقال لرجل: لابد أن يكون لك قلب أكبر من قلوب الآخرين ولهذا تجرأت على رد كلامي!

ثم صاح: أيها الجلاد اخرج لي قلبه!

و بـعـد لحظـات كـان الـنـطع ينتظر الرجل حيث شدوا يديه، وربطوا رجليه، ثم مدوه وشقوا صدره، واخرجوا قلبه وقدموه الى الحجاج وكان القلب لا يزال يضطرب.

ولما أخذه الحجاج ضحك ضحكة صفراء ثم قال: لا، لم يكن قلبه أكبر ردّوا اليه قلبه وادفنوه.

وهكذا ذهب الرجل ضحية طيش هذا الجبار.

.. ويقتل منقذه!

وذات مـره غـرق الحجـاج في الـفـرات فـنـجـاه رجـل مـن الغرق، ولما خرج قال الحجاج: لماذا نجيتني؟

فأجابه الرجل: بانه رأى أنساناً يغرق فأراد نجاته.

قال الحجاج: لا، انك لم تنجنّي لأنني الحجاج، واذا كنت تعلم أني الحجاج لم تكن تنجيني فانت تستحق القتل ثم أمر بقتله.

ويحرق الأموات!

وفي الـتاريخ: انه نبش اثنين وعشرين ألفاً من القبور الموجودة في ضواحي الكوفة، وأحرق بعض الجثث.

طرق مبتكرة في التعذيب

كـمـا انه كان يعذب الناس بالقصب، فكان يأمر بان يقطع القصب نصفين، ثم

يـأمـر أن تـلـف تـلـك الـقصبات من جهة القطع على جسم الرجل المغضوب عليه شدا محـكـمـا ثـم يأمر الجلادين ان يجروها قصبة قصبة حتى يتناثر لحم الرجل و يصيبه الم كبير ويموت في مكانه.

الى غيرها من الموبقات التي يندى لها جبين الانسانية في كل زمان ومكان.

زياد وابنه يواصلان المسيرة!

ونحو الحجاج زياد بن أبيه وابن زياد، حيث انها أسرفا في القتل والتعذيب وشرب الخمر وانتهاك الاعراض.

وقصة قتل الامام الحسين(ع) التي أمر بها يزيد.

وقصة منعه الناس من التجول في البصرة وأمره بقتل الذين خالفوا امره حتى بلغ عدد المقتولين في يوم واحد ستمائة قتيل جمعت رؤوسهم على باب داره كتلة كبيرة مشهورة.

إعدام بلا إنذار

ولما أعـلـن ابـن زيـاد الـنـفير العامّ لأهل الكوفة نحو قتال الحسين(ع) رأى بعض حـلاوزته في أزقة الكوفة رجلاً فأخذوه وجاؤوا به الى ابن زياد فقال له ابن زياد: لماذا لم تذهب الى قتال الحسين؟

قـال: والله انـي لـسـت من أهل الكوفة، أني من أهل الشام ولا أعلم شيئا، وانما دخـلـت الـكوفة صباح اليوم ولي مأرب في هذا البلد، ولو كنت أعلم الأمر لهرعت الى قتاله.

قـال ابن زياد: اني أعلم انك لصادق ولكن أيها الجلاوزة خذوه واقتلوه، واصلبوا جثته، وعلقوا رأسه على باب القصر،حتى لا يجرأ انسان على مخالفة الأمير.

و بعد لحظة كان الرأس معلقا على باب القصر والجثة معلقة بجنبه.

سحب القتلى في الأسواق

وكذلك قصة قتله لمسلم بن عقيل وهاني بن عروة(ع) وتعليق رأسيهما على باب القصر، وأمره جلاوزته بسحب جثمانهما في الأسواق والأزقة من ارجلهما مشهورة.

الى غير ذلك من موبقات وآثام هذا الجلاد الذي كان يحكم بأسم الاسلام من قبل الامويين.

الوليد يسبح في أحواض الخمر

وكان الوليد ــ الخليفة الأموي ــ يملأ الحوض من الخمر فيقع في الحوض هو وجواريه و يشربون من الخمور الموجودة في الحوض حتى يظهر النقص على حافته.

الجارية تؤمّ الرجال

وكان يقارب جواريه ولا يغتسلون واذا حان وقت الصلاة عمم الجارية المجنبة وأرسلها الى المسجد لتؤم الناس صلاة الجماعة في المسجد.

الوليد يمزّق القرآن

وقصة رميه القرآن وتمزيقه له مشهورة، فأنه ذات مرة تفأل بالقرآن الحكيم فخرج في رأس الصفحة قوله سبحانه:

«واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد * من ورائه جهنم و يسقى من ماء صديد * يتجرعه ولا يكاد يسيغه و يأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ»(١٥ــ١٧/ابراهيم).

فغضب وجعل القرآن في الحائط وأخذ يرميه حتى مزقه قطعة قطعة، وهو ينشد هذا الشعر:

تهددني بجبار عنيد؟ فها أنا ذاك جبار عنيد

اذا مـا جـئـت ربـك يـوم حشر فـقـل يـارب مـزقـنـي الـولـيـد

مفاسد خلقية

وتـذكـر بـعـض الـتـواريـخ انـه كـان يزني بمحارمه، كما انه كان يمارس الشذوذ الجنسي حتى مع أخيه، في قـصـص مـشـهورة، وذات مرة أراد أن يزني ببنته فنهته مر بيتها فأنشد:

مـن راقـب الـنـاس مـات هـمـاً وفـاز بـاللـذة الجـسـور

عيّنات من جرائم العباسيين

ولما انتهى دور الامويين ووصل الدور الى العباسيين لم ينقصوا عنهم في عمل أو جرم بل زادوا عليهم في الجرائم والموبقات.

فقد زخر زمان العباسيين بالقتل الفردي والجماعي، والتمثيل، والتعذيب، وقطع الرؤوس، وانـتشر فـيـه الارهاب، والقتل على الظن والتهمة، واستئثار الحكام بالفيء ومصادرة الأموال بالآثم، والاستهانة بكرامات الناس، حتى أصبح السجن والضرب والـقـتـل والـتـعـذيـب ومـصـادرة الأمـوال لأتـفه الأسباب شيئا عاديا وأصبح النظام امـبـراطـوريـا وراثياً دكتاتورياً يرثه فاسق عن فاسق وخليع عن خليع ومجرم عن مجرم، وأصبح الولاة ـ كأسيادهم العباسيين ـ يعبثون بالناس و بالأموال، و يتصرفو كيف شاؤوا، يـبـنون القصور الشاهقة الوسيعة بأموال الكادحين، في الوقت الذي لا يجد فيه الـنـاس حـتـى لـقـمـة من الخبز، وانتشرت في قصورهم المجون واللهو والطرب والخمر والميسر، وغـصـت بأدوات اللهو، و بالمغنين والمطربين، و بالشعراء المتملقين المتعبدين للدرهـم والـديـنـار، واشـتغل حكام الولايات بأقتناء الجواري ـ اقتداءاً بأسيادهم ـ كـمـا انـهـم اتخذوا عـادة الباس الغلمان ملابس الفتيات، والباس الفتيات ملابس الـغلمان، وكان يرقص في مجالسهم العشرات والمئات من هؤلاء امام الخاصة والعامة، وكانوا يتشببون بنساء الناس والفتيات والغلمان.

ماذا جرى في فخ؟

وفي قصة (فخّ) قتل العباسيون الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب(ع)، وقطعوا رأسه ورؤوس أصحابه، وسبوا نساءهم الى الخليفة العباسي، فلما وصلوا اليه والمجلس غاص بالناس أخذ الخليفة (و بأسم رسول الله(ص) و بأسم الاسلام) يقتل النساء بالسيف في مجلسه.

الجماجم تملأ خزينة الخليفة!

ولما مات أحد الخلفاء العباسيين قام غيره مكانه فسأل الخليفة الجديد بعض نساء القصر عن خزائن الخليفة السابق فدلته على باب سرداب، فلما فتح الخليفة الجديد الباب ودخل في السرداب رآه بهواً كبيراً جداً وهو ممتلىء بالرؤوس المسقطة وفي كل رأس ورقة معلقة بالأذن ــ بسبب خيط ــ مكتوب عليها أسم صاحب الرأس وقد امتلأ السرداب بالديدان وتعفن جو السرداب بشكل يورث التقزز وشوهت الرؤوس والوجوه تشويها كبيراً وسالت منها الدماء والقيح، فغشي على الخليفة واخرج من السرداب.

ثم قالت له تلك المرأة: ان الخليفة الذي سبقك كان يقتل الناس و يقطع رؤوسهم، ثم يضع رؤوس الكبار منهم في هذا السرداب وفي سراديب أُخر، و بهذا الشكل استقام الحكم له، فاذا أردت ان يستقيم الحكم لك فعليك باتباع سيرته.

وهكذا كان.

الأرهاب حتى مع الأصدقاء

واذا علمنا كيف كان العباسيون يعملون مع أصدقائهم نعرف ماذا كانوا يعملون مع عامة الناس أو مع أعدائهم؟

فمثلاً: يذكر التاريخ ان (الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي) الذي كان من

أخلص المقربين من هارون أمر هارون أن يجرد من ثيابه و يضرب و يهان و يلعن في مجلس عام ولم يكن ذنبه الا انه رفّه بعض الترفيه عن الامام الكاظم(ع) في السجن وخفف عنه بعض الآلام فلم يقيده كما شاء هارون، ولم يضيق عليه كما ضيق عليه من بعد ذلك السندي.

وكذلك ما فعله هارون بالبرامكة الذين لم يقم حكمه الآ على سواعدهم حيث قتل رجالهم وصادر ممتلكاتهم وترك نساءهم حتى لم يجدوا لقمة عيش، ولا كسوة جلد، ونكل بكل من نطق باسمهم في قصص مشهورة في التاريخ.

الخوف يعم المقربين

والفضل بن الربيع ــ وكان من ابرز الساسة المقربين لهارون ومن أعمدة البلاط ــ يقول في قصة عن مدى خوفه من هذا الخليفة مع شدة قربه اليه:

كنت ذات ليلة في فراشي مع بعض جواريّ، فلما كان نصف الليل سمعت حركة باب المقصورة، فراعني ذلك، فقالت الجارية: لعل هذا من الريح، فلم يمض الآ يسير حتى رأيت باب البيت الذي كنت فيه قد فتح واذا بمسرور الكبير خادم هارون الخاص قد دخل عليّ فقال لي: أجب أميرالمؤمنين ولم يسلم عليّ فيئست من نفسي، وقلت: هذا مسرور ودخل علي بلا اذن، ولم يسلم، فليس هو الآ القتل وكنت جنباً ولم أجسر أن أسأله انظاري حتى أغتسل فقالت لي الجارية: لما رأت تحيري وتبلدي ثق بالله عزوجل وانهض فنهضت ولبست ثيابي وانا أرجف خوفاً، وخرجتُ معه حتى أتيت الدار فسلمت على هارون حيث رأيته جالسا في بعض غرف القصر، (وهو على فراش نومه فرد عليّ السلام فسقطت ــ حيث انهارت أعصابي من الخوف ــ فقال:

تداخلك رعب؟ قلت نعم فتركني ساعة حتى سكنت (الى آخر القصة).

و يظهر من هذه القصة مدى الخوف والارهاب والاستهانة بكرامة الانسان حتى لاقرب المقربين وان كان من أعمدة السلطة، فيدخل رسول من يسمي نفسه بالخليفة على أقرب المقربين اليه وهو نائم في حجرته مع جاريته دون استئذان ويخرجه من بيته

نصف الليل بدون أن يأذن له حتى في الاغتسال.

الرعب يحكم الجميع

أما سائر الناس فكانوا يرتجفون كالسعفة من هؤلاء الحكام الظلمة.

فقد نقل أن يحيى بن خالد البرمكي لما قدم الى بغداد لتدبير عملية قتل الامام موسى بن جعفر(ع) ـ الذي كان في سجنهم منذ مدة طويلة ـ فوجيء الناس به فاستولى الذعر والخوف، وانتشرت الاشاعات، وترقب الناس الشر.

و يذكر العلامة المجلسي (ره) في قصة هذا الرجل ما هذا نصّه:

ثم خرج يحيى بن خالد بنفسه على البريد حتى أتى بغداد فماج الناس وأرجفوا بكل شيء.

فالناس في بغداد الوسيعة والتي بلغ نفوسها عشرة ملايين كما يقوله المؤرخون يرتجفون خوفا ويموجون و يرجفون بكل شيء من مجيء احد جلاوزة الخليفة.

وأخيراً.. يبيع دينه!

وقصة اخرى يذكرها أحد جلاوزة هارون وهو (حميد بن قحطبة) يقول: ان هارون لما كان بطوس استدعاه وسأله عن طاعته لأميرالمؤمنين؟ فأجاب: انه يفديه بماله.

ثم أجاب ثانياً: إنه يفديه بماله ونفسه.

وأجاب ثالثاً: إنه يفديه بماله ونفسه وعرضه.

واجاب رابعاً: إنه يفديه بماله ونفسه وعرضه ودينه وهنا تهللت أسارير هارون لأنه كان يريد منه ذكر (الدين) وكلما كان يسأله منه ذات مرة ولم يجب بالدين كان يقطب وجهه و يرخصه ان يذهب حيث شاء، فلما ذكر اسم الدين تهلل وجهه، فقال له هارون: خذ هذا السيف واطع هذا الخادم.

فتناول حميد بن قحطبة السيف وذهب الى بيت مغلق في وسطه بئر وفي البيت

ثلاث غرف مغلقة، فقال له الخادم: افتح هذه الغرفة، ولما فتحها رأى فيها عشرين علويأ من ذرية علي بن ابي طالب وفاطمة بنت رسول الله(ص) وهم مقيدون بالسلاسل والقيود، فطلب الخادم من حميد بن قحطبة قتلهم والقاءهم في البئر الذي في وسط البيت ــ وكانت بئرا كبيرة واسعة عميقة ــ فجاء بهم وهم مغللون الى حافة البئر فجعل يضرب أعناقهم واحداً بعد واحد و يلقي جثثهم ورؤوسهم في البئر.

ثم فتح الغرفة الثانية بأمر الخادم ووجد فيها مثل هذاالعددفأمره بقتلهم ففعل بهؤلاء مثل فعلته بأصحاب الغرفة الاولى.

ثم فتح الغرفة الثالثة وفيها مثل ذلكالعددوأمره بقتلهم ففعل.

ولما أراد أن يقتل آخرهم ــوهو شيخ كبيرالسن ــ قال الشيخ له: يا فلان ماذا تقول لجدنا رسول الله(ص) اذا قال لك يوم القيامة لماذا قتلت ستين من ذريتي من غير ذنب؟

فارتجف حميد وأراد ان يترك قتله لكن الخادم زبره وقال له: (اطع الخليفة فيه) فقتله ايضاً.

الأعمدة المجوفة

وقد كان من انواع قتل هارون للأ برياء بناء الأعمدة المجوّفة ووضع الأنسان فيها ثم سد فوهة العمود فيبقى المعذب فيه حتى يأتيه الموت بتلك الحالة.

عمليات التصفية البشعة

كما ان هارون كان يقتل الناس بالسم والسيف وقد قتل الامام موسى بن جعفر(ع) بعد سجنه ما لا يقل عن أربع سنوات، واهانته له وتسليمه الى السندي بن شاهك المجوسي الذي كان من أقسى جلاوزته، فسجن الأمام(ع) في المطمورة، وجعل على يديه ورجليه وعنقه قيوداً ثقيلة حتى ان بعضهم ذكر أن القيود كانت تساوي أربعمائة كيلوغرام، كما ان السندي بأمر من هارون كان يضرب الامام(ع) بالسياط بغير جرم ولا ذنب، وانما كل ذنبه انه حفيد رسول الله(ص) وانه الامام الشرعي، والخليفة من الله سبحانه وتعالى على الخلق أجمعين، وانه كان مشغولاً على الدوام بالعبادة والزهد والفضيلة والتقوى الى ان سقاه السم وقتله مسموماً مظلوماً، ثم لم يكتف بذلك وانما أمر بوضع جثمان الامام(ع) بكل اهانة على جسر بغداد ثلاثة أيام وكانوا يصيحون على الجنازة بنداء منكر، لكن لما تحرك الموالون للامام(ع) في بغداد وخاف هارون من حدوث اضطرابات في البلاد أمر بعض أقربائه وهو سليمان بتدارك الموقف (وكان سليمان ايضا من المجرمين الذين شهدوا فخاً وقتلوا الحسين(ع) واصحابه وأهل بيته) فجعلوا ينادون بخلاف ما نادوا اولاً قائلين (الا من أراد ان ينظر الى جسد الطيب بن الطيب الطاهر بن الطاهر فلينظر الى جنازة موسى بن جعفر).

وشيعوا الامام(ع) باحترام ظاهري حتى دفن (ع) في مقابر قريش.

وفي لهو هارون ومجونه وزناه وشربه الخمر وقتله للأبرياء ومصادرته للأموال قصص مشهورة مما سودت معه التاريخ.

احياء رموز الضلال

والغريب في الأمر ان بعض الجاهلين، وبعض العملاء يقدّسون أمثال هؤلاء الحكام الجائرين الظالمين الذين لم يأت في تاريخ الدنيا من المجرمين أسوء منهم اجراماً ويسمّون المدن بأسمهم (كمدينة المنصور) والشوارع بألقابهم (كشارع الرشيد) في بغداد وما أشبه بينما الواجب ان يفضح هؤلاء، وان لا يذكروا الا بكل سوء يليق بهم.

وهذا يشبه ما فعله عبدالناصر في مصر حيث أحيا فرعون والفرعونية فرعون الذي حارب الله ورسوله وارتكب الجرائم التي سجلها عليه القرآن الحكيم:

«يذبح أبنائهم و يستحيي نسائهم»(٤/القصص).

وما فعله شاه ايران، حيث احيا المجوسية الى غير ذلك من أمثال هؤلاء العملاء الذين لم يكن لهم همّ إلاّ تحطيم الاسلام واحياء الفرعونية والنمرودية والمزدكية وما أشبه.

الخليفة يقامر و يطالب زوجته بالتعرّي!

و ينقل التاريخ ان هارون قامر مع زوجته ذات مرة على شرط ان ايهما غلب فله ما أراد، فغلب هارون فقال لزوجته اني اريد تتعرّي عن جميع ملابسك ثم تمري امام الجند والحرس والخدم عارية! وكلما اصرت الزوجة على ترك هذا الفعل المنكر والطلب الجنوني اصر هارون على ذلك ففعلت ما اراده هارون!

ومن لم يكن له غيرة على زوجته، حتى انه يطالبها بمثل هذا العمل الشنيع كيف تكون غيرته بالنسبة الى سائر أعراض الناس؟

العهد الاسود

وفي بغداد كانت المخازي تملأ مجالس هؤلاء الحكام الذين لم يكونوا يخافون الله سبحانه وتعالى ولم يكونوا يراعون شعور الناس.

وقد كثر الفساد في بغداد والفقر والمناوشات والثورات حتى يصح ان يسمى عهد هارون (بالعهد الاسود) على خلاف ما نفخ فيه الغرب وسموا عهده بـ(العهد الذهبي) مغترين بقوله ذات مرة كذبا للسحاب: (اذهب فامطر حيث شئت فان خراجك في يدي).

ولكن:

اولاً: هذه الكلمة كذبة افتراها هارون فهل الامر كان كذلك؟

وثانياً: هل الملك العريض يدل على شيء من الواقعية والعظمة ــ بَلْهَ الاسلام والايمان والفضيلة ــ والاّ فلو كانت سعة الملك فأن هولاكو كان له ملك عريض وكذلك ملك جماعة من المجرمين الذين اذاقوا الناس الويلات.

جرائم المأمون

وهذا خليفة اخر هو: المأمون العباسي الذي اقترف من الجرائم والموبقات ما لا يحصى، وكان يقتل الناس بالسم والسيف علناً وسراً، وقد قتل أخاه الامين، وجعل رأسه على باب داره، وأمر كل من يدخل داره ان يبصق في وجه أخيه الامين.

وولّى المأمون وزارة القضاء رجلا كان معروفا باللواط مع الغلمان حتى قال احدهم في ذمه:

متى تصلح الدنيا و يصلح أهلها   اذا كان قاضي المسلمين يلوط

لكن الأنسان المنحرف لا يأتي إلا بالمنحرف.

وقضية قتل المأمون للأمام علي بن موسى الرضا(ع) بالسم غدراً وللحسن بن فضل بالسيف مكراً ولغيرهما مشهورة في التواريخ.

المتوكل يستهزء بأمير المؤمنين(ع) و يهدم قبر الحسين(ع)

وهذا خليفة آخر هو المتوكل كان يشرب الخمر يرتكب الموبقات و يستهزء بالأمام أميرالمؤمنين(ع) عبر مخنثه (عبادة) فكان عبادة يجعل مخدة تحت ثيابه ويمشي في المجلس و يقول مستهزءاً (انا الانزع البطين، انا اميرالمؤمنين) استهزاءاً بأميرالمؤمنين(ع) وذات مرة نهر ولد المتوكل (عبادة) عن هذ العمل فقال له: (لا تفعل هذا) واخرجه من المجلس، فقال المتوكل مندّداً بفعل ولده:

غار الفتى لابن عمه   رأس الفتى في حرامه

انظروا الى هذا الانسان الصلف الذي لا يستحي من ذكر عورات زوجته امام الناس فكيف يكون حال أعراض المسلمين عنده.

وقد هدم المتوكل قبر الامام الحسين(ع) في قصة مشهورة بواسطة يهودي من خدمه يسمى (ديزج).

طرق مبتكرة للتعذيب

وقد صنع المتوكل تنوراً في داخله اسياخ حادة فكان اذا أراد تعذيب إنسان القاه في ذلك التنور واشعل فيه النار حتى يحترق ذلك الانسان.

وكان يهيء اكياساً مغلقة يملأها (بالحيات والعقارب)، وعندما كان يجتمع الاشراف والقادة والوزراء والعلماء في المجلس كان يفتح تلك الاكياس و يرمي بالحيات والعقارب على الحاضرين مما يسبب ذعرهم الشديد وفرارهم من المجلس، فيضحك المتوكل ضحكات عالية.

يُحضر الامام الهادي(ع) في مجلس خمره!

وقد أحضر الامام الهادي(ع) في مجلس خمره وقال للأمام(ع) اشرب الخمر، لكن الامام(ع) ابى وامتنع فقال للأمام(ع): انشدني الشعر (وكان يقصد ان يقرأ الامام اشعار اللهو) لكن الامام(ع) قرأ له ابيات جده علي بن ابي طالب(ع) تعريضا به وبمجلسه وجلاوزته:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم ... واسكنوا حفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صائح من بعد ما دفنوا ... اين الاسرة والتيجان والحلل
اين الوجوه التي كانت منعمة ... من دونها تضرب الاستار والكلل
فافصح القبر عنهم حين سائلهم ... تلك الوجوه عليها الدود ينتقل
يا طالما اكلوا دهرا وقد شربوا ... فاصبحوا بعد طول الاكل قد اكلوا

الى آخر الابيات.

الاسلام من هؤلاء براء

وهكذا سطر هؤلاء المجرمون الذين كانوا يسمون انفسهم بـ(الخلفاء) سطوراً سوداء في

التاريخ، فظن كثير من الناس ان هذا هو الاسلام وان عملهم مما يرضاه الاسلام، بينما عرف اصحاب البصائر ان هؤلاء منحرفون عن الاسلام وانهم قفزوا على الحكم ظلماً واعتداءاً، وان الاسلام ليس إلا دين (الشورى) و (العدل) و (العمل) و(النزاهة).

ولذا قال أحد الشعراء مقارناً بين العباسيين والعلويين ــ اصحاب الحق الشرعي ــ:

منكم علية ام منهم؟ وصاحبكم　　شيخ المغنيين ابراهيم ام لهم
تبدو التلاوة من ابياتهم سحراً　　ومن بيوتكم الاوتار والنغم
ليس الرشيد كموسى في القياس ولا　　مأمونكم كالرضا ان انصف الحكم

وقد اتفق ان مات أحدهم وقام آخر مكانه فلما اخبر احد الشعراء بذلك انشد هذين البيتين:

الله اكبر لا صبر ولا جلد　　ولا عزاء اذا اهل البلا فقدوا
خليفة مات لم يحزن له احد　　وآخر قام لم يفرح به احد

جنايات العثمانيين

وعلى سنن اسلافهم سار الخلفاء العثمانيون، فقد اشاعوا القتل، والتنكيل، والتعذيب والاستهتار بحقوق الناس، وسجن الابرياء، وتعذيبهم ومصادرة الاموال وما قصة (جمال السفاح) في سوريا ولبنان ببعيدة عن الاذهان.

وكانت قصورهم تموج بالقيان والخطايا والنساء ومن أشبه.

وقد قتل خليفة عثماني في موقعة واحدة أربعين ألف انسان ظلماً واعتداءاً لمجرد انهم يخالفونه في العقيدة والمذهب.

كما كانوا يقتلون العلماء، وقضاياهم في العراق معروفة حيث قتلوا الناس في كربلاء والنجف والحلة وسبوا النساء المسلمات وهتكوا اعراضهن واسروهن الى غير ذلك من الموبقات.

الامة تتخلى عن الحكام

وقد كانت هذه الجرائم وامثالها هي السبب في تحطم الخلفاء العثمانين امام هجمة

غربية واحدة كما كانت السبب في سقوط الامبراطورية الاموية بهجمة من المسلمين ــ في قصة أبي مسلم الخراساني ــ وكذلك كانت وراء سقوط العباسيين عندما زحف عليهم المغول، فالامة كانت مشمئزة من هؤلاء الحكام، وكانت تنتهز الفرص للأنقضاض عليهم والتخلص منهم، فلما سنحت الفرصة لم يساعدهم المسلمون، فسقطوا كالورق اليابس في عواصف الخريف.

ضرائب باهضة

وقد كان هؤلاء الحكام يأخذون الضرائب المرهقة من الناس.

مثلاً: كان الامويون يأخذون (الجزية) من الذين أسلموا بالاضافة الى أخذ (الزكاة) منهم.

وكان العباسيون ينهبون الناس مهما وجدوا الى ذلك سبيلاً وقد ذكر أبوالفضل البيهقي في تاريخه: ان هارون ارسل علي بن عيسى بن ماهان الى خراسان، فشدد هذا الوالي على الناس في أخذ الضرائب، حتى هيّيء ذات مرة هدية كبيرة لهارون هي عبارة عن الف غلام تركي، بيد كل واحد جامان ملوّنان من أفضل معادن ذلك اليوم، مع الاستبرق والحرير، ووراء الغلمان الف جارية من أفضل النساء وأجملهن، بيد كل واحدة جام مذهب مملوء من المسك والكافور والعنبر وأصناف العطور، وورائهن الف عبد هندي، ومائة وصيفة هندية، وورائهن مائة عبد هندي، ومائة وصيفة هندية في غاية الجمال، مع هدايا وتحف، ومع هذا الموكب خمسة من الفيلة العظام الذكور، واثنان من الفيلة الاناث، وكلها مرصعة بالجواهر والذهب والأحجار الكريمة وورائها مائة فرس خراساني ملبسة بالديباج، وعشرون عقابا، وعشرون كركسأ، والف جمل ملبسة بالديباج والا بريسم: ثلاثمائة منها مع المحامل ومع كل ذلك خمسمائة ألف وثلثمائة من أقسام البلور، ومائة بقرة وعشرون عقدا من اثمن الجواهر، وثلاثمائة الف قطعة من اللؤلؤ ومائة عدد من الاواني البلورية لم تر مثلها عين، والف قطعة بلورية اخرى من الجنس الرفيع، وخوابي كبيرة وصغيرة من البلور وغيره، وثلاثمائة قسم آخر من البضائع الثمينة، ومائتا

معمل لصنع السجاد ومائتا معمل اخر محفورة!

و بهذه الكيفية ورد هذا الموكب بغداد، وكان هارون خارج بغداد لاستقبال الهدية، وكان معه وزرائه وجلاوزته وضباطه وقواده والجيش، ولما رأى الناس هذا الموكب الهائل من الهدايا المبعوثة من قبل والي خراسان اخذوا يكبرّون، ودقت الطبول وكان يوما مشهوداً!!

النهب المنتظم!

وقد جاء في كتاب (مواطنون لا رعايا) انه: شرع السلطان سليم لابنائه وحفدته انتهاب الشعوب، فان جرجي زيدان يحدثنا في كتابه (تاريخ مصر الحديث): ان هذا السلطان بعد فتحه القاهرة والاسكندرية وحين ازمع الرجعة الى بلاده نقل معه الف جمل محمّلة ذهبا وفضة واشياء اخرى وتولى الخلافة بعده ابنه السلطان سليمان فأعلن في فرمان رسمي: انه المالك الحر لجميع أرض مصر، ووزعها اقطاعات على مزارعين دعاهم (الملتزمين) نظير خراج باهض، وكانت الرشوة طريق الوصول الى قلب السلطان وكان الباشا الذي يريد خيراً بالشعب و يقنع بالايراد العام ويجعل الغلبة في مجالسه للعدل يجذب على نفسه سخط مليكه، كان الباب العالي يطلب الرشوة من ولا ته، وولا ته يقتسرونها من الجماهير الجائعة وكانت عملة متداولة مشروعة.

الوالي يقاسم اللصوص

و ينقل ان علي باشا الصوفي أحد ولاة السلطان سليمان كان يقاسم اللصوص سرقاتهم نظير حمايتهم مما اغرى الدهماء والخطرين بأمن الناس، وكان الخلفاء يبيعون المناصب جهرة، فيحدثنا عبدالرحمن الرافعي في كتابه (تاريخ الحركة القومية) ناقلا عن فلان: ان تاريخ مصر من منتصف القرن السابع عشر الى آخره مليءٌ بتعاقب الباشوات الا تراك على ولايتها، فكان الواحد منهم يشتري منصب الولاية من ديوان الاستانة، و يظل الباشا في منصبه لا عمل له الا جمع المال واستصفائه من أهله بمختلف وسائل النهب حتى يغادر منصبه، و بهذا نرى ان الحكام الأ تراك الذين يقاسمون اللصوص نظير

حمايتهم ورعايتهم والذين يرشون و يرتشون في وضح القانون كانوا أساتذة علموا هذ الشعب المطيع السمسرة والرشوة الحرام.

وماذا عن الرسول(ص) وعلي(ع)؟

ولنقس أمثال هذه القضايا بقضايا رسول الله(ص) وعلي(ع).

فقد كانا يجمعان المال من الموارد الاربعة فقط: (الخمس) و (الزكاة) و (الجزية) و (الخراج) لا اكثر وكان الجمع بمنتهى اللطف واللين.

والنبي(ص) لم يبن لنفسه داراً الآ الغرف التي بناها حول المسجد لنسائه من الطين ونحوه وعلي(ع) لم يضع حجراً على حجر كما ورد في الروايات، وكان يرتجف في الليل الشاتي من البرد، كما ان الرسول(ص) كان يشد على بطنه الحجر من شدة الجوع.

ولما توفى الرسول(ص) كان مدينا ثمانين ألف درهم كما انه لما استشهد علي(ع) كان مدينا ثمانمائة ألف درهم كما ورد في الروايات.

أميرالمؤمنين(ع) يوصي الجباة

واليكم ما يرويه محمد بن الحسين الرضي(رحمه الله) في نهج البلاغة عن أميرالمؤمنين(ع) في وصية كان (ع) يوصي بها لمن يستعمله على الصدقات، فكان يكتب اليهم:

(انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروعّن مسلما، ولا تجتازنّ عليه كارها، ولا تأخذن منه اكثر من حق الله في ماله، فأذا قدمت على الحيّ فانزل بمائهم من غير ان تخالط أبياتهم، ثم امضي اليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم، ولا تخدج التحية (اي لا تسلم سلاما ناقصا وسلام كبرياء، وانما سلام تواضع) ثم تقول: عباد الله أرسلني اليكم وليّ الله وخليفته لأخذ منكم حق الله في أموالكم فهل في أموالكم من حق تؤدوه الى وليّه؟ فان قال قائل: لا فلا تراجعه، وإن أنعم لك منعم فانطلق معه من غير ان تخيفه أو توعده أو تعسفه أو ترهقه، فخذ ما آتاك من ذهب أو فضة، فان كانت له ماشية أو إبل فلا تدخلها الا بأذنه، فان اكثرها له، فاذا اتيتها فلا

تدخلها دخول متسلط عليه ولا عنيف به، ولا تمصّرن بهيمة ولا تفزعنها ولا تسوئن صاحبها فيها، ثم اصدع المال صدعين، ثم خيره، فان اختار فلا تعرضن الى اختياره، ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيره فان اختار فلا تعرضن لما اختار، ولا تزل كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله في ماله فاقبل حق الله منه، فان استقالك فاقله ثم اخلطهما ثم أصنع مثل الذي صنعت أولاً حتى تأخذ حق الله في ماله ولا تأخذن عوراً ولا هرمة ولا مكسورة ولا مهلوسة ولا ذات عوار، ولا تأمنن عليها الآ من تثق بدينه رافقا بمال المسلمين حتى يوصله الى وليهم فيقسمه بينهم، ولا توكل بها الا ناصحا شفيقاً وأميناً حفيظاً غير معنف ولا مجحف ولا ملغب ولا متعب ثم أحدر الينا ما اجتمع عندك نصّيره حيث امر الله به، فاذا أخذها أمينك أوصى اليه ان لا يحول بين ناقة و بين فصيلها، ولا يمصّر لبنها فيضر ذلك بولدها، ولا يجهدنها ركوبا، وليعدل بين صواحبها في ذلك و بينها، وليرفه على اللاغب، وليستان بالنقب والضالع، وليوردها ما تمر به من المياه ولا يعدل بها عن نبت الارض الى جواد الطرق، وليروحها في الساعات الحارة وليمهلها عند النطاف و بالأعشاب حتى تأتينا بها باذن الله بدناً غير متعبات ولا مجهودات، لنقسمها على كتاب الله وسنة نبيه(ص)، فان ذلك أعظم لأجرك وأقرب لرشدك انشاء الله).

فانظروا كيف كان الامام(ع) يأخذ الصدقات من الناس؟

وكيف كان يوصي حتى بالحيوان؟

وفي رواية اخري يرو يها رجل من ثقيف استعمله الامام أميرالمؤمنين(ع) على بعض البلاد قال (ع) له في جملة وصيته له:

اياك ان تضرب مسلما أو يهودياً أو نصرانياً في درهم خراج، أوتبيع دابة عمل في درهم فانما أمرنا ان نأخذ منهم العفو.

الرسول(ص) يأمر الجباة بالرفق

وقبل ذلك كان الرسول(ص) يسهل مع الناس في الحقوق، فقد روى علي(ع) ان رسول الله(ص) نهى ان يحلف الناس على صدقاتهم وقال: (هم فيها مأمونون).

ونهى ان يثنى عليهم في عام مرتين وانه لا يؤخذ بها في عام الا مرة واحدة، ونهى ان

يغلب عليهم في اخذها منهم وان يقهروا على ذلك أو يضربوا أو يشدد عليهم أو يكلفوا فوق طاقتهم، وأمران لا يأخذ المصدق منهم الا ما وجد في ايديهم، وان يعدل فيهم.

توصيات متكررة

وفي رواية اخرى، عن علي(ع)، انه أوصى مخنف بن سليم الازدي وقد بعثه على الصدقة بوصية طويلة أمره فيها..

بتقوى الله تعالى ربه في سرائر اموره وخفيات اعماله، وان يلقاهم ببسط الوجه ولين الجانب، وامره ان يلزم التواضع ويجتنب التكبر فان الله تعالى يرفع المتواضعين و يضع المتكبرين، وقال له:

(يا مخنف بن سليم ان لك في هذه الصدقة حقا ونصيبا مفروضا، ولك فيها شركاء فقراء ومساكين وغارمون ومجاهدون وابناء سبيل ومملوكون ومتألفون، وانا موفوك حقك، فوفهم حقوقهم والا فانك من اكثر الناس يوم القيامة خصما و بؤساً لأمرءٍ خصمهم مثل هؤلاء).

وفي رواية اخرى عن علي(ع) انه كان يقول: (يؤخذ صدقات اهل البادية على مياههم ولا يساقون ــ يعني من مواضعهم التي هم فيها ــ الى غيرها.
وقال (ع): (واذا كان الجدب اخروا حتى يخصبوا).

٢ ــ المؤامرات الاستعماريّة

الثاني من اسباب تخلف المسلمين ان الحكومات ــ في العالمين: الغربي والشرقي ــ تبذل كافة الجهود لتحطيم الاسلام والمسلمين ولذا نجد انه بالرغم من ان الهند وباكستان استقلتا في يوم واحد الا ان الهند بقيت شبه مستقلة ديمقراطية (حسب الاصطلاح المعروف) وفيها نوع من الحريات والاكتفاء الذاتي أما باكستان ــ ذات الاكثرية المسلمة ــ فقد سقطت في أيدي الدكتاتوريين ــ بالمؤامرات المحاكة على طول الخط من الغربيين والشرقيين ــ ، وانفصلت باكستان الشرقية (اي بنكلادش) عن باكستان الغربية، وحكمت في باكستان الدكتاتورية المطلقة الا في بعض الفترات القصيرة من حياتها.

وهنا ننقل مقتطفات من كتاب (قادة الغرب يقولون) تأييداً لما ذكرناه من تصميم الغربيين والشرقيين على تحطيم العالم الاسلامي ونهب خيراته واذلال شعبه:

قادة الغرب يقولون: دمروا الاسلام ابيدوا اهله

سوف تشهد لنا: أقوال قادتهم ان للغرب وللحضارة الغربية بكل فروعها القومية وألوانها السياسية موقفاً تجاه الاسلام لا يتغير، انها تحاول تدمير الاسلام وانهاء وجود شعوبه دون رحمة.

وقد حاولوا تدمير الاسلام في الحروب الصليبية الرهيبة، ففشلت جيوشهم التي هاجمت بلاد الاسلام بالملايين، فعادوا يخططون من جديد لينهضوا، ثم ليعودوا الينا بجيوش حديثة وفكر جديد، وهدفهم تدمير الاسلام من جديد.

كان جنديهم ينادي بأعلى صوته حين كان يلبس بزة الحرب قادماً لاستعمار بلاد الاسلام:

أماه اتمنى صلاتك، لا تبكي
بل اضحكي وتأملي
انا ذاهب الى طرابلس
فرحاً مسروراً
سأبذل من دمي في سبيل
سحق الامة الملعونة
سأحارب الديانة الاسلامية
سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن

المسيحيون ينقضون عهودهم

وفي الاندلس تقول الدكتورة سيجريد هونكة (في ٢ يناير ١٤٩٢) رفع الكاردينال دبيدر الصليب على الحمراء القلعة الملكية للاسرة الناصرية، فكان ذلك اعلاناً بانتهاء حكم المسلمين على اسبانيا، وبانتهاء هذا الحكم ضاعت تلك الحضارة العظيمة التي بسطت سلطانها على اوربا طوال العصور الوسطى.

وقد احترمت المسيحية المنتصرة اتفاقاتها مع المسلمين لفترة وجيزة ثم باشرت عملية القضاء على المسلمين وحضارتهم وثقافتهم.

لقد حُرِمَ الاسلامُ على المسلمين وفُرض عليهم تركه، كما حُرّم عليهم استخدامه العربية والاسماء العربية وارتداء اللباس العربي، ومن يخالف ذلك كان يحرق حيّاً بعد أن يعذب أشد العذاب.

(وهكذا انتهى وجود الملاين من المسلمين في الاندلس فلم يبق في اسبانيا مسلم واحد يظهر دينه).

التعذيب في مصر

ويبدو ان دواوين التفتيش هذه قد انتقلت الى بقاع العالم الاسلامي ليسلطها

حكام مجرمون على شعوبهم، فقد ذكر لي شاهد عيان بعض انواع التعذيب التي كانت تنفذ في أحد البلدان الاسلامية (١) ضد مجموعة من العلماء المجاهدين فقال:

بعد يوم من التعذيب الشديد ساقنا الزبانية بالسياط الى زنزاناتنا، وامرنا الجلادون ان نستعد ليوم آخر شديد.

صباح اليوم التالي امرنا الجلادون أن نخرج فورا، كنا نستجمع كل قوتنا في اقدامنا الواهنة هربا من السياط التي كانت تنزل علينا من حرس كان عددهم اكبر منا، وأخيرا أوقفونا في سهل صحراوي تحت أشعة الشمس اللاهبة حول كومة من الفحم الحجري كان يعمل الحرس جاهدين لاشعالها، وقرب النار مصلبة خشبية تستند الى ثلاثة ارجل.

أشتعلت كومة الفحم الحجري حتى احمرت، فجأة سمعنا شتائم تأتي من بعيد التفتنا فوجدنا خمسة من الحرس يقودون شباب عرفه بعضنا كان اسمه (جاو يد خان). أمامي أحد علماء ذلك البلد.

امتلأ ألآفق بنباح كلاب مجنونة رأينا عشرة من الحرس يقودون كلبين يبلغ ارتفاع كل واحد منهما متراً، علمنا بعد ذلك انهما قد حرما من الطعام منذ يومين.

اقترب الحرس بالشاب (جاو يد) من كومة النور الحمراء، وعيناه مغمضتان. بحزام سميك، كنا نتفرج، أكثر من مائة سجين ومعنا أكثر من مائة وخمسين من الحرس معهم البنادق والرشاشات. فجأة اقترب من الشاب (جاو يد) عشرة من الحرس أجلسوه على الارض ووضعوا في حضنه مثلثا خشبيا ربطوه اليه ربطا محكماً بحيث يبقى قاعدا لا يستطيع ان يتمدد، ثم حملوه جميعاً وأجلسوه على الجمر الاحمر، فصرخ صرخة هائلة ثم أغمي عليه سقط اكثر من نصفنا مغمى عليهم، كانوا يصرخون متألمين، وعمت رائحة شواء لحم (جاو يد) المنطقة كلها. ومن حسن حظي انني بكيت بكاء مراً لكنني لم أصب بالأغماء لأرى بقية القصة التي هي افظع من اولها.

حمل الشاب، وفكت قيوده وهو غائب عن وعيه، وصلب على المصلبة الخشبية، وربط بها باحكام، واقترب الجلادون بالكلبين الجائعين، وفكوا القيود عن أفواههما، وتركوهما

---

(١) وهي مصرفي زمان عبد الناصر

يأكلان لحم ظهر (جاو يد) المشويّ بدأت أشعر بالانهيار، انه لا زال حيا والكلاب تأكل لحمه، فقدت وعيي بعدها.

لم افق إلا وانا اصرخ في زنزانتي كالمجنون دون أن أشعر: (جاو يد جاو يد اكلتك الكلاب يا جاو يد جاو يد).

كان اخواني في الزنزانة قد ربطوني وأحاطوا رأسي وفمي بالاربطة حتى لا يسمع الجلادون صوتي فيكون مصيري كمصير جاو يد او كمصير (شاهان خاني) الذي اصيب بالهستيريا مثلي فأصبح يصرخ (جاو يد جاو يد) فأخذه الجلادون ووضعوا فوقه نصف برميل مملوء بالرمل ثم سحبوه على الاسلاك الشائكة التي ربطوها صفاً افقياً، فمات بعد أن تقطع لحمه الف قطعة وهو يصرخ (الله اكبر الله اكبر لابد أن ندوسكم أيها الظالمون) وأخيراً أغمي علي.

فتحت عيوني، فوجئت انني في أحد المشافي، وفوجئت أكثر من ذلك بسفير بلدي يقف فوق رأسي قال لي: كيف حالك يبدو انك ستشفى أن شاء الله، لو لم تكن غريبا عن هذه البلاد لما استطعت اخراجك فاجأني سائلا: لكن بالله عليك قل لي من هو هذا جاو يد الذي كنت تصرخ باسمه؟ اخبرته بكل شيء فامتقع لونه حتى خشيت ان يغمى عليه.

لم نكمل حديثنا الا والشرطة تسأل عني، اقترب من سريري ضابط بولينس وسلمني امرا بمغادرة البلاد فورا ولم تنجح تدخلات السفير في ضرورة ابقائي حتى اشفى، حملوني ووضعوني في باخرة أوصلتني الى ميناء بلدي، كنت بثياب المستشفى ليس معي اي وثيقة تثبت شخصيتي، اتصلت بأهلي تلفونيا، فلما حضروا لم يعرفوني لاول وهلة، حملوني الى أول مستشفى، بقيت فيه ثلاثة اشهر في بكاء مستمر ثم شفاني الله تعالى.

وانهى المسكين حديثه قائلا: بقي ان نعرف ان مدير السجون يهودي، والمسؤول عن التعذيب خبير الماني نازي اطلقت تلك الحكومة في ذلك البلد الاسلامي يده يفعل في علماء المسلمين كيف يشاء.

وفي الحبشة

استولت الحبشة على ارتيريا المسلمة بتأييد من فرنسا، وصادرت معظم أراضيها، وأسلمتها لاقطاعيين من الحبشة، كان الاقطاعي والكاهن مخولين بقتل اي مسلم دون الرجوع الى السلطة، فكان الاقطاعي أو الكاهن يشنق فلاحيه أو يعذبهم في الوقت الذي يريد.

وفتحت للفلاحين المسلمين سجون جماعية رهيبة يجلد فيها الفلاحون بسياط تزن أكثر من عشرة كيلو غرامات، و بعد انزال أفظع أنواع العذاب بهم كانوا يلقون في زنزانات بعد ان تربط أيديهم بأرجلهم، و يتركون هكذا لعشر سنين أو أكثر عندما كانوا يخرجون من السجون كانوا لا يستطيعون الوقوف لان ظهورهم قد اخذت شكل القوس.

كل ذلك قبل استلام (هيلا سيلاسي) السلطة في الحبشة، فلما أصبح امبراطور الحبشة وضع خطة لانهاء المسلمين خلال خمسة عشر عاما، وتباهى بخطته هذه أمام الكونغرس الامريكي فسن تشريعات لاذلال المسلمين، منها: ان عليهم ان يركعوا لموظفي الدولة وإلاّ يقتلوا.

وأمر أن تستباح دمائهم لأقلّ سبب، فقد وجد شرطي قتيلاً قرب قرية مسلمة فأرسلت الحكومة كتيبة كاملة قتلت أهل القرية كلهم واحرقتهم مع قريتهم، ثم تبين ان القاتل هو صديق المقتول الذي اعتدى على زوجته، وحاول أحد العلماء واسمه (الشيخ عبدالقادر) أن يثور على هذه الابادة فجمع الرجال واختفى في الغابات، فجمعت الحكومة أطفالهم ونسائهم وشيوخهم في اكواخ من الحشيش والقصب وسكبت عليهم البنزين واحرقتهم جميعاً، ومن قبضت عليه من الثوار كانت تعذبه عذابا رهيبا قبل قتله، من ذلك اطفاء السجائر في عينيه واذنيه، وهتك عرض بناته وزوجته واخواته امام عينيه، ودق خصيتيه باعقاب البنادق، وجره على الاسلاك الشائكة حتى يتفتت، والقائه جريحا قبل ان يموت لتأكله الحيوانات الجارحة بعد ان تربطه بالسلاسل حتى، لا يقاوم.

وقد اصدر هيلا سيلاسي أمراً بأغلاق مدارس المسلمين، وأمر بفتح مدارس مسيحية، واجبر المسلمين على ادخال أبنائهم فيها ليصبحوا مسيحيين، وعين حكاماً على

مقاطعات ارتيريا، منهم واحد عينّه على مقاطعة جمة فابتدأ عمله بأن أصدر أمراً أن لا يقطف الفلاحون ثمار أراضيهم الا بعد موافقته وكان لا يسمح بقطافها الا بعد أن تتلف، وأخيراً: صادر ٩٠٪ من الاراضي فأخذ هو نصفها، وأعطى الامبراطور نصفها الآخر، ونهب جميع ممتلكات الفلاحين المسلمين، وأمرهم ان يبنوا كنيسة كبرى في الاقليم فبنوها، ثم أمرهم ان يعمروا كنيسة عند مدخل كل قرية أو بلدة، ولم يكتف بذلك بل بنى دوراً للعاهرات حول المساجد ومعها الحانات التي كان يسكر فيها الجنود ثم يدخلون الى المساجد ليبولوا بها و يتغوطوا وليراقصوا العاهرات فيها وهم سكارى، كما فرض على الفلاحين ان يبيعوا ابقارهم لشركة (انكودا اليهودية).

وقد كافأ الامبراطور هذا الحاكم على اعماله هذه بان عينه وزيراً.

وكانت حكومة الامبراطور تلاحق كل مثقف مسلم لتزجه في السجن حتى الموت أو تجبره على مغادرة البلاد حتى يبقى شعب ارتيريا المسلم مستعبدا جاهلاً.

وفي بنغلاديش

قتل الجيش الهندي الذي كان يقوده يهود: عشرة الاف عالم مسلم بعد انتصاره على جيش باكستان عام ١٩٧١، وقتل مائة الف من طلبة المعاهد الاسلامية وموظفي الدولة وسجن خمسين الفاً من العلماء واساتذة الجامعات وقتل ربع مليون مسلم هندي هاجروا من الهند الى باكستان قبل الحرب، وسلب الجيش الهندي ما قيمته (٣٠) مليار روبية من باكستان الشرقية التي سقطت من أموال الناس والدولة.

امريكا تخطط لتحطيم الاسلام

يقول (ابوجين روستو) رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الامريكية، ومساعد وزير الخارجية الاميركية، ومستشار الرئيس جونسون لشؤون الشرق الاوسط حتى عام ١٩٦٧ يقول: (يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الاسلامية والحضارة

المسيحية، لقد كان الصراع محتدما ما بين المسيحية والاسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة، ومنذ قرن ونصف خضع الاسلام لسيطرة الغرب، وخضع التراث الاسلامي للتراث المسيحي..

(أن الظروف التاريخية تؤكد ان امريكا انما هي جزء مكمل للعالم الغربي فلسفته وعقيدته ونظامه، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الاسلامي بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الاسلامي، ولا تستطيع امريكا الا ان تقف هذا الموقف في الصف المعادي للاسلام والى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية، لانها أن فعلت عكس ذلك فانها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها).

ان (روستو) يحدد: ان هدف الاستعمار في الشرق الاوسط هو تدمير الحضارة الاسلامية، وان قيام اسرائيل هو جزء من هذا المخطط، وان ذلك ليس الا استمراراً للحروب الصليبية.

اللنبي يقود حرباً صليبية

يقول (باترسون سمث) في كتابه (حياة المسيح الشعبية): بائت الحروب الصليبية بالفشل، لكن حادثا خطيرا وقع بعد ذلك حينما بعثت انكلترا بحملتها الصليبية الثامنة ففازت هذه المرة. ان حملة (اللنبي) على القدس أثناء الحرب العالمية الاولى هي الحملة الصليبية الثامنة والاخيرة.

وقد نشرت الصحف البريطانية صور (اللنبي) وكتبت تحتها عبارته المشهورة التي قالها عندما فتح القدس: (اليوم انتهت الحروب الصليبية).

ونشرت هذه الصحف خبرا آخر يبين ان هذا الموقف ليس موقف (اللنبي) وحده، بل موقف السياسة الانكليزية كلها، فقد قالت الصحف:

هنأ (لويد جورج) وزير الخارجية البريطاني الجنرال (اللنبي) في البرلمان البريطاني لاحرازه النصر في اخر حملة من الحروب الصليبية التي سماها لويد جورج (الحرب الصليبية الثامنة).

وقال راند ولف تشرتشل: لقد كان إخراج القدس من سيطرة الاسلام حلم

المسيحيين واليهود على السواء، أن سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود، أن القدس قد خرجت من أيدي المسلمين، وقد أصدر الكنسيت اليهودي ثلاثة قرارات بضمها الى القدس اليهودية، ولن تعود الى المسلمين في اية مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين واليهود.

الحقد الصهيوني ضد الاسلام

وعندما دخلت قوات اسرائيل القدس عام ١٩٦٧م تجمهر الجنود حول حائط المبكى، وأخذوا يهتفون مع موشي دايان: (هذا يوم بيوم خيبر).

(يالثارات خيبر) وتابعوا هتافهم:

حطوا المشمش عالتفاح دين محمد ولّى وراح

وهتفوا ايضا: (محمد مات).

(خلف بنات).

وخرج أعوان اسرائيل في باريس بمظاهرات قبل حرب الـ١٩٦٧ يحملون لافتات سار تحت هذه اللافتات (جان بول سارتر) وكتبوا على هذه اللافتات وعلى جميع صناديق التبرعات لاسرائيل جملة واحدة من كلمتين هما:

(قاتلوا المسلمين).

فالتهب الحماس الصليبي الغربي، وتبرّع الفرنسيون بألف مليون فرنك خلال أربعة أيام فقط، كما طبعت اسرائيل بطاقات معايدة كتب عليها (هزيمة الهلال) بيعت بالملايين لتقوية الصهاينة الذين يواصلون رسالة الصليبية الاوربية في المنطقة وهي محاربة الاسلام وتدمير المسلمين.

قادة الغرب يكشفون عدائهم للاسلام

يقول لورنس براون:

(ان الاسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الاوربي).

و يقول غلادستون رئيس وزراء بريطانيا سابقا:

(ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع اوربة السيطرة على الشرق).

و يقول الحاكم الفرنسي في الجزائر في ذكرى مرور مائة سنة على استعمار الجزائر:

(اننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن و يتكلمون العربية، فيجب ان نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم).

وفي افتتاحية عدد ٢٢ ايار عام ١٩٥٢ من جريدة كبزيل اوزباخستان (الجريدة اليومية للحزب الشيوعي الاوزباخستاني)، ذكر المحرر ما يلي:

(من المستحيل تثبيت الشيوعية قبل سحق الاسلام).

و يقول ابن غوريون رئيس وزراء اسرائيل سابقاً:

(أن اخشى ما نخشاه ان يظهر في العالم العربي محمد).

حطموا رجال الدين!

و يقول الكاتب الصهيوني إيرل بوغر في كتابه (العهد والسيف) الذي صدر عام ١٩٦٥ ما نصه بالحرف:

(أن المبدأ الذي قام عليه وجود اسرائيل منذ البداية هو أن العرب لا بد ان يبادروا ذات يوم الى التعاون معها، ولكي يصبح هذا التعاون ممكنا فيجب القضاء على جميع العناصر التي تغذّي شعور العداء ضد أسرائيل في العالم العربي، وهي عناصر رجعية تتمثل في رجال الدين والمشايخ).

الخطر الحقيقي يكمن في الاسلام

و يقول لورانس بروان:

(كان قادتنا يخوفوننا بشعوب مختلفة، لكننا بعد الاختبار لم نجد مبررا لمثل تلك المخاوف، كانوا يخوفوننا بالخطر اليهودي، والخطر الياباني الاصفر، والخطر البلشفي.

ولكنه تبين لناأن اليهود هم أصدقائنا، والبلاشفة الشيوعيون حلفائنا، وأما اليابانيون

فان هناك دولاً ديمقراطية كبيرة تتكفل بمقاومتهم، لكننا وجدنا أن الخطر الحقيقي علينا موجود في الاسلام وفي قدرته على التوسع والاخضاع وفي حيويته المدهشة).

و يقول المستشرق غاردنر: (ان القوة التي تكمن في الاسلام هي التي تخيف أوربة).

و يقول البرمشادور:

(من يدري؟ ربما يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الغرب مهددة بالمسلمين، يهبطون اليها من السماء لغزو العالم مرة ثانية، وفي الوقت المناسب.

(و يتابع) لست متنبئا لكن الامارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة، ولن تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها.

(ان المسلم قد استيقظ واخذ يصرخ: ها أنذا، انني لم امت، ولن اقبل بعد اليوم ان اكون اداة تسيرها العواصم الكبرى ومخابراتها).

و يقول: اشعيا بومان في مقال نشره في مجلة العالم الغربي من الاسلامي التبشيرية:

(أن شيئاً من الخوف يجب ان يسيطر على العالم الغربي من الاسلام، لهذا الخوف أسباب، منها: أن الاسلام منذ ظهر في مكة لم يضعف عدديا، بل أن أتباعه يزدادون باستمرار).

و يقول انطوني ناتنج في كتابه (العرب):

(منذ أن جمع محمد(ص) انصاره في مطلع القرن السابع الميلادي و بدأ أول خطوات الانتشار الأسلامي، فان على العالم الغربي أن يحسب حساب الاسلام كقوة دائمة وصلبة تواجهنا عبر المتوسط).

وصرح سالازار في مؤتمر صحفي قائلاً:

(أن الخطر الحقيقي على حضارتنا هو الذي يمكن أن يحدثه المسلمون حين يغيرون نظام العالم).

فلما سأله احد الصحفيين لكن المسلمين مشغولون بخلافاتهم ونزاعاتهم؟

أجابه: أخشى ان يخرج منهم من يوجه خلافاتهم الينا!

العالم الاسلامي عملاق مقيد

و يقول مسؤول في وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢:

(ليست الشيوعية خطراً على اوربا، فيما يبدو لي أن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديدا مباشراً وعنيفاً هو الخطر الاسلامي، فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي، فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص بهم، و يتمتعون بحضارة تاريخية ذات اصالة، فهم جديرون أن يقيموا قواعد عالم جديد دون حاجة الى اذابة شخصيتهم الحضارية والروحية في الحضارة الغربية، فأذا تهيأت لهم أسباب الانتاج الصناعي في نطاقه الواسع انطلقوا في العالم يحملون تراثهم الحضاري الثمين، وانتشروا في الارض يزيلون منها قواعد الحضارة الغربية و يقذفون برسالتها الى متاحف التاريخ، وقد حاولنا نحن الفرنسيين خلال حكمنا الطويل للجزائر أن نتغلب على شخصية الشعب المسلم فكان الاخفاق الكامل نتيجة مجهوداتنا الكبيرة الضخمة. أن العالم الاسلامي عملاق مقيد، عملاق لم يكتشف نفسه حتى الآن اكتشافاً تاماً، فهو حائر، وهو قلق، وهو كاره لا نحطاطه وتخلفه، وراغب رغبة يخالطها الكسل والفوضى في مستقبل أحسن وحرية أوفر.

فلنعط هذا العالم الاسلامي ما يشاء، ولنقوّ في نفسه الرغبة في عدم الانتاج الصناعي والفني حتى لا ينهض، فاذا عجزنا عن تحقيق هذا الهدف بأبقاء المسلم متخلفا، وتحرر العملاق من قيود جهله وعقدة الشعور بعجزه فقد بؤنا بأخفاق خطير، وأصبح خطر العالم العربي وما وراءه من الطاقات الاسلامية الضخمة خطراً داهماً ينتهي به الغرب، وتنتهي معه وظيفته الحضارية كقائد للعالم).

انتشار الاسلام يفزعنا

و يقول مورو بيرجر في كتابه (العالم العربي المعاصر): (ان الخوف من العرب واهتمامنا بالامة العربية ليس ناتجا عن وجود البترول بغزارة عند العرب، بل بسبب

الاسلام يجب محاربة الاسلام للحيلولة دون وحدة العرب التي تؤدي الى قوة العرب، لان قوة العرب تتصاحب دائما مع قوة الاسلام وعزته وانتشاره، أن الاسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر في القارة الافريقية).

النار لا تزال تحت الرماد!

و يقول هانوتو وزير خارجية فرنسا:

(رغم انتصارنا على امة الاسلام وقهرها، فان الخطر لا يزال موجوداً من انتفاض المقهورين الذين اتعبتهم النكبات التي انزلناها بهم لان همتهم لم تخمد بعد).

الحروب الصليبية كانت تهدف تدمير الاسلام

و يقول غاردنر:

(أن الحروب الصليبية لم تكن لانقاذ القدس، انها كانت لتدمير الاسلام).

سياسة عدائية تجاه الاسلام

(و يقول فيليب فونداس: أن من الضروري لفرنسا أن تقاوم الاسلام في هذا العالم، وأن تنتهج سياسة عدائية للاسلام، وان تحاول على الاقل ايقاف انتشاره).

يجب ابادة خمس المسلمين!

و يقول المستشرق الفرنسي كيمون في كتابه (باثولوجيا الاسلام):

(ان الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس، واخذ يفتك بهم فتكاً واسعاً، بل هو مرض مريع، وشلل عام، وجنون ذهولي يبعث الانسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه من الخمول والكسل الا ليدفعه الى سفك الدماء والادمان على معاقرة الخمور وارتكاب جميع القبائح، وما قبر محمد الا عمود كهربائي يبعث الجنون في رؤوس المسلمين فيأتون بمظاهر الصرع والذهول العقلي الى ما لا نهاية، و يعتادون على عادات تنقلب الى طباع

ككراهة لحم الخنزير والخمر والموسيقى.

(أن الاسلام كله قائم على القسوة والفجور في اللذات اعتقد أن من الواجب ابادة خمس المسلمين، والحكم على الباقي بالاشغال الشاقة، وتدمير الكعبة، ووضع قبر محمد وجثته في متحف اللوفر!).

حتى الاموات لم يسلموا!

وقد هجم قائد الجيوش الانكليزية في حملة السودان على قبر الشخص الذي سبق له أن حرر السودان، هجم القائد الانكليزي على قبره ونبشه، ثم قطع رأسه، وارسله الى بعض الانكليز، وطلب اليه أن يجعله مطفأة لسجائره!

مع اليهود .. ضد المسلمين

وصرح الكاردينال بوركادينال برلين لمجلة تابلت الانكليزية الكاثوليكية يوم سقوط القدس عام ١٩٦٧ بعد أن رعى صلاة المسيحيين مع اليهود في كنيس يهودي لاول مرة في تاريخ المسيحية قائلاً: (أن المسيحيين لابد لهم من التعاون مع اليهود للقضاء على الاسلام وتخليص الارض المقدسة).

اقتراحات لتحطيم المسلمين

وقال لويس التاسع ملك فرنسا الذي أسر في دار ابن لقمان بالمنصورة في وثيقة محفوظة في دار الوثائق القومية في باريس:

(انه لا يمكن الانتصار على المسلمين من خلال الحرب،وانما يمكن الانتصار عليهم بواسطة السياسة باتباع ما يلي:

ــ اشاعة الفرقة بين قادة المسلمين، واذا حدثت فليعمل على توسيع شقتها ما امكن حتى يكون هذا الخلاف عاملا في اضعاف المسلمين.

ــ عدم تمكين البلاد الاسلامية والعربية أن يقوم فيها حكم صالح.

ـ افساد انظمة الحكم في البلاد الاسلامية بالرشوة والفساد والنساء حتى تنفصل القاعدة عن القمة.

ـ الحيلولة دون قيام جيش مؤمن بحق وطنه عليه، يضحي في سبيل مبادئه.

ـ العمل على الحيلولة دون قيام وحدة في المنطقة.

ـ العمل على قيام دولة غريبة في المنطقة العربية تمتد ما بين غزة جنوبا وانطاكية شمالاً ثم تتجه شرقا وتمتد حتى تصل الى الغرب).

قوة المسلمين في اسلامهم

(ولما وقف كرزون وزير خارجية انكلترا في مجلس العموم البريطاني يستعرض ما جرى مع تركيا احتج بعض النواب الانكليز بعنف عل كرزون واستغربوا كيف اعترفت انكلترا باستقلال تركيا التي يمكن أن تجمع حولها الدول الاسلامية مرة أخرى وتهجم على الغرب؟ أجاب كرزون: (لقد قضينا على تركيا التي لن تقوم لها قائمة بعد اليوم، لاننا قضينا على قوتها المتمثلة في أمرين: الاسلام والخلافة!).

فصفق النواب الانكليز كلهم وسكتت المعارضة.

القضاء على القرآن .. اولاً

و يقول المبشر وليم جيفورد بالكراف:

(متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيداً عن محمد وكتابه).

و يقول المبشر تاكلي: (يجب أن نستخدم القرآن ـ وهو امضى سلاح في الاسلام ـ ضد الاسلام نفسه حتى نقضي عليه تماما يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديداً وأن الجديد فيه ليس صحيحاً).

العالم لا يستطيع الصمود امام الاسلام

و يقول مرماديوك باكتول: (أن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في العالم الآن

بنفس السرعة التي نشروها بها سابقاً، بشرط أن يرجعوا الى الاخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الاول، لان هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصمود امام روح حضارتهم).

انشروا الالحاد بين المسلمين

(و يقول صموئيل زويمر رئيس جمعيات التبشير في مؤتمر القدس للمبشرين المنعقد عام ١٩٣٥: (أن مهمة التبشير التي ندبتكم الدول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست في ادخال المسلمين في المسيحية، فان في هذا هداية لهم وتكريما.

أن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الاسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله و بالتالي لا صلة تربطه بالاخلاق التي تعتمد عليها الامم في حياتها، ولذلك تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الاسلامية.

لقد هيأتم جميع العقول في الممالك الاسلامية لقبول السير في الطريق الذي سعيتم له الا وهو اخراج المسلم من الاسلام، انكم اعددتم نشأ لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها، أخرجتم المسلم من الاسلام ولم تدخلوه في المسيحية، و بالتالي جاء النشيء الاسلامي مطابقا لما أراده الاستعمار، لا يهتم بعظائم الأمور، ويحب الراحة والكسل، و يسعى للحصول على الشهوات بأي أسلوب حتى أصبحت الشهوات هدفه في الحياة، فهو أن تعلم للحصول على الشهوات، واذا جمع المال فللشهوات واذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات، انه يجود بكل شيء للوصول الى الشهوات أيها المبشرون أن مهمتكم تتم على اكمل الوجوه).

و يقول صموئيل زويمر نفسه في كتاب الغارة على العالم الاسلامي:

(ان للتبشير بالنسبة للحضارة الغربية مزيتين: مزية هدم ومزية بناء، أما الهدم فنعني به انتزاع المسلم من دينه ولو بدفعه الى الالحاد.

وأما البناء فنعني به تنصير المسلم أن امكن ليقف مع الحضارة الغربية ضد قومه).

تشجيع المدارس العلمانية

و يقول المبشر تكلي: (يجب أن نشجع أنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني لان كثيراً من المسلمين قد زعزع اعتقادهم بالاسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية وتعلموا اللغات الاجنبية).

و يقول زويمر: (ما دام المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية فلابد أن ننشىء لهم المدارس العلمانية ونسهل التحاقهم بها هذه المدارس التي تساعدنا على القضاء على الروح الاسلامية عند الطلاب).

افساد الشباب والقادة

و يقول جب: (لقد فقد الاسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية واخذت دائرة نفوذه تضيق شيئا فشيئا حتى انحصرت في طقوس محددة، وقد تم معظم هذا التطور تدريجيا عن غير وعي وانتباه، وقد مضى هذا التطور الآن الى مدى بعيد، ولم يعد من الممكن الرجوع فيه، لكن نجاح هذا التطور يتوقف الى حد بعيد على القادة والزعماء في العالم الاسلامي وعلى الشباب منهم خاصة كل ذلك كان نتيجة النشاط التعليمي والثقافي العلماني).

مزقوا وحدة المسلمين!

و يقول القس سيمون: (أن الوحدة الاسلامية تجمع آمال الشعوب الاسلامية وتساعد على التملص من السيطرة الاوربية، والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة، من أجل ذلك يجب ان نحول بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الاسلامية).

و يقول ارفوند توينبي في كتابه (الاسلام والغرب والمستقبل):

(أن الوحدة الاسلامية نائمة لكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ).

ومما يذكر هنا أنه في سنة ١٩٠٧ عقد مؤتمر اوربي كبير ضم أضخم نخبة من

المفكرين والسياسيين الاوربيين برئاسة وزير خارجية بريطانيا الذي قال في خطاب الافتتاح: (أن الحضارة الاوربية مهددة بالانحلال والفناء، والواجب يقضي علينا أن نبحث في هذا المؤتمر عن وسيلة فعالة تحول دون انهيار حضارتنا).

واستمر المؤتمر شهراً من الدراسة والنقاش.

واستعرض المؤتمرون الاخطار الخارجية التي يمكن أن تقضي على الحضارة الغربية الآفلة فوجدوا أن المسلمين هم أعظم خطر يهدد أوربة.

فقرر المؤتمرون وضع خطة تقضي ببذل جهودهم كلها لمنع ايجاد ايّ اتحاد أو اتفاق بين دول الشرق الاوسط، لان الشرق الاوسط المسلم المتحد يشكل الخطر الوحيد على مستقبل اوربة، وأخيراً قرروا أنشاء قومية غربية معادية للعرب والمسلمين شرقي قناة السويس ليبقى العرب متفرقين، وبذا أرست بريطانيا أسس التعاون والتحالف مع الصهيونية العالمية التي كانت تدعو الى انشاء دولة يهودية في فلسطين.

ديكتاتوريات عسكرية للقضاء على الاسلام

ويقول المستشرق وك سميث الامريكي والخبير بشؤون الباكستان: (اذا أعطي المسلمون الحرية في العالم الاسلامي وعاشوا في ظل أنظمة ديمقراطية، فان الاسلام ينتصر في هذه البلاد، وبالدكتاتوريات وحدها يمكن الحيلولة بين الشعوب الاسلامية ودينـــها.

وينصح رئيس مجلة تايم في كتابه (سفر اسيا) الحكومة الامريكية أن تنشيء في البلاد الاسلامية ديكتاتوريات عسكرية للحيلولة دون دعوة الاسلام السيطرة على الامة الاسلامية، وبالتالي الانتصار على الغرب وحضارته واستعماره.

محاولة افساد الشباب:ـــ

وقد حكى قادم من الضفة الغربية: أن السلطات الصهيونية تدعو الشباب العربي بحملات منظمة وهادئة الى الاختلاط باليهوديات وخصوصا على شاطىء البحر، وتتعمد اليهوديات دعوة هؤلاء الشباب الى الزنا بهن، وأن السلطات اليهودية تلاحق جميع

الشباب الذين يرفضون هذه العروض بحجة انهم من المنتمين للحركات الفدائية، كما انها لا تدخل الى الضفة الغربية الآ الافلام الجنسية الخليعة جداً، وكذلك تفتح على مقربة من المعامل الكبيرة التي يعمل فيها العمال العرب الفلسطينيون دورا للدعارة مجانية تقريبا، كل ذلك من أجل تدمير أخلاق اؤلئك الشباب).

التعذيب في سجون بغداد

نقل لي أحد العلماء الذين ادخلهم حزب البعث العراقي سجن (قصر النهاية) وهو قصر كان لـ(عبد الاله) وكان يسمى في أيام الملكين (بقصر الرحاب)، وعندما اطاح البريطانيون ــ كما هو المعروف ــ مشتركين مع الاسرائيليين بحكم الملكيين حيث مال الملكيون شيئا ما الى الامريكيين عبر الانقلاب الذي قاده عبدالكريم قاسم سنة الف وتسعمائة وثمان وخمسين ميلادية.. سمي هذا القصر بـ(قصر النهاية) أي نهاية الحكم السابق أو نهاية الانسان، تخويفا ثم اتخذ هذا القصر معتقلاً بعد ما اضيفت اليه أقسام عديدة، والقصر مكان كبير جداً تحيط به أرض واسعة واسوار عالية وحدائق تجعله صالحاً لان يكون معتقلاً لانه بعيد عن انظار الناس ولا يسمع اصوات المعذبين فيه أحد من الخارج.

قال هذا العالم: أن أقسام التعذيب النفسي والجسدي التي كان جلاوزة البعث يمارسونها مع العلماء والشباب المؤمن ومن اليهم لاجل نزع الاسلام عن قلوبهم كانت اكثر من مائة قسم، وكانوا قد عذبوه هو بنفسه (أي هذا العالم بالعشرات من هذه الاقسام لاجل أن يعترف ــ زوراً وكذباً ــ بانه هو وجماعة من علماء النجف وكربلاء من عملاء امريكا، لكن العالم صبر وصمد امام كل اقسام التعذيب حتى حكم عليه بالسجن عشر سنوات، ثم اخرج من قصر النهاية الى المعتقل، وبعد فترة اطلق سراحه ايضا بفضل الله سبحانه وتعالى.

الطائفة الاولى من التعذيب

وقد نقل لنا هذا العالم طائفتين من القصص: طائفة تتناول كيفيات التعذيب، وطائفة تتناول طبيعة اعمال الجلاوزة في قصر النهاية، ننقلها نحن بايجاز حتى نتعرف على مدى تحكم الغربيين ــ و بالاخص البريطانيين والاسرائيليين ــ بالمسلمين، وانهم اخذوا يطبقون في البلاد الاسلامية حلمهم القديم في ابادة المسلمين وتعذيبهم وتفتينهم عن دينهم واذلالهم.

فقد ذكر في الطائفة الاولى من اساليب التعذيب البعثية.

١ ــ اهانة المقدسات

اجبار المعتقل على سب الله تعالى والرسول(ص) والائمة(ع) والقرآن، والاستهزاء بالمقدسات، وقد ذكر أحدهم الزهراء(ع) بسب مقذعلا يمكن التفوه به.

كما انهم كانوا يجبرون المعتقلين على الترحم على (يزيد) لانهم يعرفون ان المسلمين يكنون ليزيد بصورة خاصة العداء والبغضاء، وكذلك الترحم على (ابن زياد) و (ابن سعد) و (شمر) و (هارون) ومن اليهم من العباسيين، خصوصاً الذين كانوا اكثر عداءاً لاهل البيت(ع) كالمتوكل.

٢ ــ اغتصاب اقرباء السجين

يأتون باقرباء المسجون من بنين و بنات لاجل أن يعترف المسجون بما يشاؤون، فاذا لم يعترف جاؤوا باقربائه وهددوه بانه اذا لم يعترف بما يريدون فانهم يغتصبون ذويه، واحيانا يكون القريب صغيراً، كبنت لها ست او سبع سنوات أو ولد كذلك واحيانا ينتهي الامر الى الموت. وكان هذا العالم قد رأى مثل هذا الشيء بأم عينيه مرتين واضاف انهم يرتكبون ذلك امام السجناء الاخرين بغية تخويفهم بانهم اذا لم يعترفوا انتزعوا الاعتراف منهم بهذه الصورة.

٣ ـ تسليط الكلاب الجائعة

تسليط الكلاب الجائعة على الانسان المعتقل، واحياناً كانوا يجيعون الكلاب ثلاثة ايام أو يومين ثم يربطون المعتقل ربطا محكما و يسلطون عليه كلبين أو ثلاثة أو أربعة فتنهش جسمه، وتأكل لحمه، وهو حيّ.

٤ ـ تعرية المرأة والاعتداء عليها

تعرية المرأة عن ملابسها، وامرها ان تقفز امام الجلاوزة، واذا لم تقفز ضربوها بالسياط الشائكة واحيانا بالسياط الكهربائية، ثم يربطونها و يعتدون عليها وكذلك يعملون احيانا مع الشاب فيعرونه من ملابسه و يأمرونه بالقفز ثم يعتدون عليه.

٥ ـ الاختلاط العاري بين الجنسين

يعرون جماعة من النساء والرجال، ويحبسونهم في غرفة واحدة.

٦ ـ بتر الاعضاء

بتر اعضاء الجسم كاليد والرجل والانف والاذن وحتى مواضع الجنس وكذلك أيضاً: فقأ العين.

٧ ـ الغطس في حوض القذارات

تغطيس الرأس في حوض من النجاسة، فاذا أحسوا بانه على وشك الموت رفعوا رأسه وهكذا يكررون العملية مرات مما سبب ذات مرة موت المعتقل.

٨ ـ الموقد الكهربائي

أجلاسه على الموقد الكهربائي واحيانا يمددونه على السرير الحديدي المكهرب حتى

يستشم المعتقلون من هذا المعذب رائحة اللحم المشوي، و يغمى عليه، واحياناً ينتهي الامر الى موته.

٩ ــ شي الجسد

تقطيع اللحم من جسد المعتقل المعذب، وجعل بعض اجزاء جسده على النار و يسمونه (الكّص)، و يطعمون المعذَّب واصدقاءه المعذَّبين مما ينتهي في اكثر الاحيان الى اغماء المعذَّب.

١٠ ــ السرداب الرهيب

انزال المعتقل الى سرداب رهيب فيه جثث الاموات، وشعور النساء، والاظفار المقلوعة، والعظام وما اشبه قال هذا العالم: انزلوني ذات مرة في مثل هذا السرداب وكان السرداب مظلما، وفي آخر السرداب شمعة صغيرة، ولما دخلت السرداب رأيت فيه اناساً جالسين فظننت انهم مثلي، عذبوهم، ثم جاؤوا بهم الى هنا لانتهاء تعذيبهم، فسلمت عليهم ولكنهم لم يردوا السلام، فتعجبت وظننت انهم من الأمن يريدون تعذيبي أو تخويفي، فسلمت مرة ثانية فلم يجيبوا، وسلمت مرة ثالثة وسألت: من أنتم؟ هل انتم من الأمن أو من السجناء؟ ولما لم يجيبوا لمست بعضهم واذا به ميت جاؤوا به هنا لارعاب السجناء، فخفت كثيراً، لكنني توكلت على الله تعالى، وذكرت اسم الله عزوجل، واخذت أتصفح اؤلئك الجالسين، فرأيت بعضهم امواتاً وقد أسندوهم الى الجدار، لئلا يسقطوا، كما رأيت بعض الرؤوس المقطوعة المنفصلة عن أجسادها، ورأيت ألايادي والارجل المكسورة، وكنت اشم الرائحة الكريهة جداً، فأصبت من جراء ذلك بالغشيان والدوران في رأسي وظننت اني سوف اقضي نحبي من كثرة ما أصابني من التقيّؤ والاستفراغ، و بقيت هناك ساعات، ثم اخرجوني وأنا شبه مغمى عليّ وعالجوني بالمعقمات والادو ية المضادة للتسمم حتى رجعت الى ما كنت عليه من الحالة الطبيعية.

١١ ــ كهربة الاعضاء الحساسة

ايصال الكهرباء الى المناطق الحساسة من الجسم كاجفان العين، وتحت الأباط، والاعضاء التناسلية، والاذن، وما اشبه، مما يحدث في المعذب ارتجاجاً شديداً، واحياناً يصاب بمس من الجنون.

١٢ ــ ضرب الارجل

شد الارجل بحبل والضرب بالعصى الغليظة عليها عنيفاً واحيانا يستعملون ذلك مع المعذب حتى تدمى رجله وتتورم ولا يتمكن من الجلوس والمشي.

١٣ ــ القنينة الزجاجية

اجلاس المعتقل بعنف على قنينة زجاجية كقنينة (البيبسي كولا) أو ما شابهها مما يسبب له الاغماء غالبا.

١٤ ــ ثقب الاعضاء

ثقب اليد أو الرجل بآلة كهربائية وكذلك ثقب الاذن والانف.

١٥ ــ التعليق بالمراوح السقفية

تعليق المعتقل بالمروحة السقفية من رجليه، ثم تشتغل المروحة بشدة، والجلاوزة يلتفون حول المعذب يضربونه بالسياط.

١٦ ــ احراق الشعر واللحية

حرق شعور النساء ولحى الرجال، واطفاء السجاير على مختلف مواضع الجسم، واحيانا في داخل العين.

١٧ ـ قلع الاظافر

قلع الأظافر، وادخال الأ بر في الانامل.

١٨ ـ شق طرفي الفم

شق الفم من الطرفين، يعملون هذا مع من يقولون انه سبهم، أو صعد المنبر، و بلّغ للدين الاسلامي.

١٩ ـ النفخ في البطن

نفخ بطن المعذب بالمنفاخ حيث يدخلون المنفاخ الكهر بائي في اسفله ثم ينفخون فيه فتتمزق احشاؤه واحيانا يموت من اثر ذلك بعد ايام قلائل.

٢٠ ـ الكيّ بالنار

الكيّ بالنار، وذلك بان يدخلوا السلك الحديدي في النار ثم يضعونه على يد السجين أو رجله أو ظهره أو بطنه أو صدره، وأحيانا يدخلون هذا السلك من طرف من اطرافه ويخرجونه من الطرف الاخر، و بعد ذلك يتقيح الموضع مما يسبب الآلام الكثيرة للسجين.

٢١ ـ ارض الاوساخ

القاء من يريدون تعذيبه على ارضية تصليح السيارات المملوثة بالزيت والاوساخ والتعفن.

٢٢ ـ تعليق المرأة من شعرها

تعليق المرأة من شعرها بعد ربط الايدي والارجل، واحيانا يعرونها تعرية تامة، ثم يعلقونها من شعرها أو من ثديها، الخ.

٢٣ ـ لسعات النحل

يعرّون المعتقل و يضعونه في مكان ممتلىء بالنحل، فتنقض عليه وتلسع مواضع من جسمه، وكثيرا ما يغمى على هذا المعتقل، واذا لم يريدوا موته حقنوه بعد ذلك بالحقن المضادة.

٢٤ ـ الزنزانات الانفرادية

حبس المعتقل في الزنزانات الانفرادية بحيث لا يتمكن من القيام ولا من المنام، واحياناً يملؤون المكان بالماء الحار والبارد حتى يكون المعتقل الجالس مغموراً بالماء الى نصف جسمه، واحياناً يضعون المعتقل في اسطوانات خاصة عملت لهذا الغرض فيبقى المعتقل فيها واقفا لا يستطيع الجلوس ولا التحرك، واحيانا، يفتحون الباب ليجدوا المعتقل ميتا.

٢٥ ـ نتف الشعر

نتف شعر الرأس واللحية والحاجب والاهداب وما اشبه بجهاز خاص، وكثيراً ما تنقلع بعض أجزاء اللحم مع الشعر مما يوجب المأ مراً للمعتقل.

٢٦ ـ ازعاج النائمين

ازعاج المعتقل في اوقات منامه بمكبرات صوت قوية، وبمصابيح كهربائية قوية، مما يسبب له ازعاجا غريباً، ويخلق فيه الارتجاف الشديد واحيانا يصبون على النائم ماءً حارا جداً أو بارداً جداً مما يسبب له توتر الاعصاب.

٢٧ ـ كبس الاذن بالجدار

كبس الاذن بالحائط بمسمار في حالة جلوس المعذب أو نومه أو وقوفه، واحيانا

يصاب المعذب بالانهيار فيسقط فتنخرق اذنه و يسيل الدم منها.

٢٨ ـ الرمي الى الاسفل

يربطون الرجل بحبل قويّ أو سلك أو ما اشبه ثم يلقون المعتقل من طابق عال أو يرمونه في بئر مما يسبب له (النتل) الشديد عند السقوط، واحيانا يسبب ذلك قطع عصب الرجل أو انخلاع المفصل أو نحو ذلك.

٢٩ ـ قلع الاسنان

قلع الاسنان أو كسرها بالآت حديدية واحيانا يسبب ذلك كسر الفك أو اقتطاع اللحم مع السن.

٣٠ ـ قطع المعتقل عن العالم الخارجي

حبس المعتقل في زنزانات مظلمة واحيانا مرطوبة واحيانا مليئة بالماء، بحيث لا يرى السجين النور ولا يميز الليل من النهار، واحيانا يسلطون انبوبا من فوق رأسه يقطر الماء الحار أو البارد قطرة قطرة على الرأس مما يسبب للمعتقل ازعاجا غريبا.

٣١ ـ التهديدات السافلة

تهديد المعتقل بتهديدات سافلة أو اعدامه أو ما اشبه مما يسبب له الماً نفسياً كبيراً.

٣٢ ـ وضع اليد في شق الباب

وضع اليد في الباب وغلقه عليها، وكذلك احيانا وضع الرجل.

٣٣ ـ عدم السماح بالنوم

تعذيب المعتقل بعدم السماح له بان ينام، وذلك بان يضربونه كلما اراد النوم او

يوخزونه بابرة او ما اشبه، واحيانا يصيبه الانهيار فيسقط على الارض من شدة النعاس، واحيانا ترتجّ اعصابه ارتجاجا شديداً.

٣٤ ـ القير المذاب

وضع رجلي المعتقل أو يديه أو مؤخر رأسه في القير المذاب واحيانا يصبونه على جسده.

٣٥ ـ ربط اليدين عند الاكل

ربط يد المعتقل عند الاكل أو الشرب ليجبر على الانحناء و يأكل و يشرب كالدواب، واحيانا يربطون يده عند أرادته قضاء الحاجة مما يسبب أن لا يتمكن من تطهير نفسه بالماء.

٣٦ ـ غرس الابر في اللسان

سلّ لسان المعتقل، ثم غرس ابرة كبيرة فيه من خارج الفم، مع ربط يديه ورجليه لكي لا يتمكن من اخراج الابرة فيبقى لسانه مدلعاً خارج فمه مما يسبب له تعذيبا جسديا ونفسيا في وقت واحد، واحيانا يرشّون على ذلك اللسان المجروح الفلفل أو الملح أو سائر المواد الحارقة الحادة، كما انهم يجرحون بعض مناطق الجسم الآخر و يرشّون عليه الخل أو الملح أو الفلفل أو ما شابه ذلك.

٣٧ ـ دحرجة السجين

يعصّبون عين المعتقل و يربطون يديه ورجليه حتى لا يتمكن من التحرك ثم يدحرجونه من درج أو نحوه حتى يسقط الى اسفل، وتصيبه الرضوض والكسور والجراح.

٣٨ ـ المواد الحارقة

صب الأسيد أو المواد الحارقة الاخر على

بعض أنحاء الجسم للتشويه والايلام، وأحياناً يصبون الأسيد في عينه أو في فمه أو في بعض أعضائه التناسلية مما يسبب له إيلاماً شديداً.

٣٩ـ الحقن بالماء الحارّ

حقن المعتقل بالماء الحار الذي يغلي، مما يسبب له تورماً في داخل البطن، وحروقاً شديدة، وآلاماً كثيرة.

٤٠ـ الكلب يلعب به!

شد المعتقل بكرسي، واخراج (....) من ثقبة في أسفل الكرسي ثم تسليط كلب معلم ليلعب به، فيوجب ذلك للمعتقل أشد الألم و يغمى عليه في كثير من الاحيان.

٤١ـ كماشة على الأنف

وضع كماشة على أنف المعتقل مما يسبب له ألماً شديداً، ولا يتمكن من التنفس الآ من فمه، وتتغير بذلك نبرة صوته، فاذا أراد أن يتكلم ضحك عليه الجلاوزة، وذلك مع شدّ يديه حتى لا يتمكن من ازاحة الكماشة.

٤٢ـ صبغ نصف الوجه

صبغ نصف الوجه مورباً أو عمودياً أو أفقياً بصبغ ثابت لا يزول مما يسبب للمعتقل آلاماً نفسية بسبب ضحك الجلاوزة عليه.

٤٣ـ تعذيب السجين بزملاءه

ضرب معتقل بمعتقل آخر ضرباً عنيفاً، أو ضرب رأس أحدهما برأس الآخر، أو بالحائط، أو شد اليدين والرجلين وربط المعتقل بالارض وإلقاء معتقل آخر بعد شد يديه ورجليه على ذلك المعتقل، وأحياناً يلقون خمسة معتقلين بعضهم فوق بعض، و يشدونهم

بحبل حتى يسبب لهم ثقلاً وازعاجاً وتعذيباً نفسياً وجسدياً.

٤٤ـ مسحوق دي. دي. تي

ملأ عيون المعتقل بمسحوق (دي. دي. تي) الذي يستعمل لابادة الحشرات، أو صب النفط في عين المعتقل، وأحياناً يمددون المعتقل و يفتحون فمه و يبول الجلاوزة أو يتغوطون في فمه مما يسبب له أذى كبيراً.

٤٥ـ البول بدل الماء

عدم اعطاء الماء للمعتقل، ثم تقديم بول أو ماء وسخ اليه حتى يجبر على شر به من شدة العطش، وأحياناً يمنعون الماء عن معتقل حتى يموت عطشاً خصوصاً في شدة القيظ في تموز.

٤٦ـ تنظيف الأوساخ بالملابس

أمر المعتقل بكنس المراحيض، وجمع القمامة بملابسه، وأحياناً يصبون فوق رأس المعتقل المربوط اناءً من القذارة والنجاسة، وأحياناً لا يتركون المعتقل يخرج من غرفته للتخلي فيجبر على أن يبول و يتغوط في نفس غرفته مما يتسبب له تلوثاً وأذية وتعفناً، وأحياناً يفعلون ذلك بعدة معتقلين في غرفة واحدة.

٤٧ـ جرّ آلة المعتقل

ربط آلة المعتقل بحبل مع ربط نفس المعتقل بالحائط ونحوه، ثم جر الحبل، ونتره مما يسبب له أذى، وأحياناً يوجب له اغماءاً.

٤٨ـ الأموات في الزنزانة

يأتون بالميت في قصر النهاية الى بعض غرف المعتقلين و يتركونه في غرفة المعتقلين مما

بسبب ارهابهم وايذائهم بعفونته بعد يومين أو ثلاثة أيام.

٤٩ ــ حديدة في الفم :

وضع حديدة في فم المعتقل وربطه من وراء رأسه مما يترك المعتقل فاغر الفم و يسبب له آلاماً جسدية ونفسية.

٥٠ ــ تقليد البهائم

ربط رقبة المعتقل بحبل غليظ يسبب له ايلاماً في رقبته، ثم يمسك أحد الجلاوزة طرف الحبل و يؤمر المعتقل بأن ينحني ويمشي على يديه ورجليه، و يصيح فاذا لم يفعل ذلك ضربوه بالسياط.

الى غير ذلك من الأقسام التي رآها هذا العالم رؤية العين.

الطائفة الثانية من التعذيب

قصص نقلها هذا العالم مما رآه في قصر النهاية.

مثلاً قال : انه ذات مرة جاءوا بأربعة من الضباط، الشباب، وربطوهم بالحائط ثم قال أحد المجرمين في قصر النهاية لجملة من حملة البندقيات ــ وكان رئيساً لهم ــ: جربوا بندقياتكم على هؤلاء، واذا بهم يمطرون أولئك الضباط بوابل من الرصاص أجرت منهم الدماء الغزيرة وسلموا أرواحهم الى الله سبحانه في اللحظة.

وذات مرة حكم على انسان بالاعدام، لكن بعد يوم رأيناهم وقد أتوا بأحد المجانين ــ وكانت آثار الجنون ظاهرة عليه ــ واعدموه بالكرسي الكهربائي، وأطلق سراح المحكوم عليه بالاعدام، فتعجبنا من الحادث، و بعد ان خرجنا من قصر النهاية علمنا ان ذوي المحكوم عليه لما سمعوا بحكم الاعدام هرعوا الى خيرالله طلفاح (وهو خال صدام وأبو زوجته) وأرشوه بمائة الف دينار، فاحتال طلفاح للجمع بين أمر محكمة الثورة بالاعدام و بين نجاة السجين بهذا الاسلوب مما ذهب ضحيته مجنون بريء.

وفي ذات مرة اعتقل شاب وعذب ولما سألناه عن سبب اعتقاله؟ قال: انه تزوج من

فتاة وأراد رئيس الحزب في منطقته في بلد (كذا) أن يشترك معه في زوجته مما أدى الامر الى النزاع بينهما، فاتهمه البعثي بأنه قد حاز أسلحة ضد الحكومة ودس في داره سلاحاً، فقادوه الى الاعتقال، قال العالم: وكان ذلك الشاب يبكي و يقول انه لا يعلم ماذا تلاقي زوجته من ذلك الرئيس، بعد أن صفا له الجو.

الى غير ذلك من القصص التي كان يرو يها ذلك العالم، مما لو أردنا سردها لأصبح كتاباً ضخماً، وانما أردنا الالماع فقط، ليُعرف: كيف ان الغربيين يحقدون على الاسلام والمسلمين حقداً لا يشابهه حقد مما سبب تدمير البلاد الاسلامية ومنها العراق ــ الذي ابتلى بحزب البعث عميل بريطانيا واسرائيل ــ.

٣ــ العنف

عدم الرفق، واستعمال العنف في الكلام والعمل والكتابة، مع سائر الناس كما نرى ذلك في بعض الحركات الاسلامية، ويحدثنا التاريخ عن جملة منها أيضاً كانوا قبل نصف قرن وكانوا يتصفون بمثل ذلك مما سبب عدم تمكنهم من النفوذ والتقدم والانتشار.

الرفق في النصوص الدينية

وقد ورد في الرفق روايات كثيرة عن النبي(ص) والأئمة(ع).

فقد روى معاذ بن مسلم، عن أبي عبدالله(ع) قال: قال رسول الله(ص): (الرفق يمن والخرق شؤم).

وعن جابر، عن أبي جعفر(ع) قال: (إن الله رفيق يحب الرفق، و يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف).

وعن موسى بن بكر، عن أبي الحسن(ع) قال: (الرفق نصف العيش).

وعن أبي عبد الله (ع) قال:

[ان الله عزوجل رفيق يحب الرفق].

وعن زرارة، عن أبي جعفر(ع) قال: قال رسول الله(ص): (ان الرفق لم يوضع على شيء الا زانه، ولا نزع من شيء الا شانه).

وعن أبي المقدام رفعه، عن النبي(ص) قال: (ان في الرفق الزيادة والبركة، ومن يحرم الرفق يحرم الخير).

وعن أبي عبد الله (ع) قال :

[ما زوي الرفق عن أهل البيت الآ زوي عنهم الخير].

وعن أبي الحسن (ع) قال : ــوقد جرى بيني و بين رجل من القوم كلام ــ فقال(ع) لي: (أرفق بهم، فان كفر أحدهم في غضبه، ولا خير فيمن كان كفره في غضبه).

وعن أبي عبد الله (ع) :

[من كان رفيقاً في أمره نال ما يريد من الناس].

وقال (ص) :

[ان الله رفيق يحب الرفق في الامور كلها].

وعن هشام بن الحكم، عن الكاظم(ع) انه قال: (ياهشام عليك بالرفق، فان الرفق خير والخرق شؤم، ان الرفق والبر وحسن الخلق يعمر الديار و يزيد في الرزق).

وقال أمير المؤمنين (ع) لولده الحسين(ع):

[يابنيّ رأس العلم الرفق وآفته الخرق].

وعن الصادق (ع) انه قال :

[ما رتج أمر وأحجم عليه الرأي واعيت به الحيل الاّ كان الرفق مفتاحه].

وعن رسول الله (ص) قال :

[الرفق رأس الحكمة، اللهم من ولي شيئاً من أمور أمتي فرفق بهم فأرفق به، ومن شق عليهم فأشقق عليه].

وعن أمير المؤمنين (ع) انه قال :

[الرفق ييسر الصعاب و يسهل الأسباب].

وقال (ع) :

[الرفق بالاتباع من كرم الطباع].

وقال (ع) :

[رأس الجهل الخرق].

وقال (ع) :

[ليكن شيمتك الرفق فمن كثر خرقه قل عقله].

وقال (ع):

[لسان الجهل الخرق].

الحلم (١)

عن محمد بن عبد الله قال: سمعت الرضا(ع) يقول: (لا يكون الرجل عابداً حتى يكون حليماً).

وعن زرارة، عن أبي جعفر(ع) قال: كان علي بن الحسين(ع) يقول: (انه ليعجبني الرجل أن يدركه حلمه عند غضبه).

وعن حفص بن أبي عايشة، قال: بعث ابو عبدالله(ع) غلاماً له في حاجة فأبطأ فخرج على أثره لما أبطاه فوجده نائماً فجلس عند رأسه يروحه حتى انتبه، فقال له ابو عبدالله(ع): (يافلان والله ما بالك تنام لليل والنهار، لك الليل، ولنا منك النهار).

وعن أنس بن محمد، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن آبائه(ع) (في وصية النبي«ص») قال: (ألا أخبركم بأشبهكم بي خلقاً؟ قالوا: بلى يارسول الله، قال: أحسنكم خلقاً، وأعظمكم حلماً، وأبرّكم بقرابته، وأشدّكم من نفسه إنصافاً).

وعن الحسين بن يزيد، عن جعفر بن محمد، عن آبائه، عن علي(ع) قال: قال رسول الله(ص): (والذي نفسي بيده ما جمع شيء الى شيء أفضل من حلم الى علم).

وفي (نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين(ع) انه قال:

[أوّل عوض الحليم من حلمه ان الناس أنصاره على الجاهل].

وقال (ع) :

[ان لم تكن حليماً فتحلّم فانّه قلّ من تشبه بقوم الا أوشك أن يكون منهم].

---

(١) الحلم خاص في قبال الجاهل، والصبر اعم، ولذا يقال حلم فلان عن الجاهل، ولا يقال حلم عند المصيبة، وهكذا.

الرفق في الامور

عن محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلىٰ، عن ابيه، عن ابي جعفر(ع) قال: (إن لكلّ شيء قفلاً، وقفل الايمان الرفق).

وعن أحمد بن زياد بن أرقم، عن رجل، عن أبي عبدالله(ع) قال: (أيّما أهل بيت أعطوا حظهم من الرفق فقد وسع الله عليهم في الرزق، والرفق في تقدير المعيشة خير من السعة في المال، والرفق لا يعجز عنه شيء والتبذير لا يبقى معه شيء ان الله عزوجل رفيق يحب الرفق).

وعن جابر، عن أبي جعفر(ع) قال: قال رسول الله(ص): (لو كان الرفق خلقاً يرى ما كان مما خلق الله شيء أحسن منه).

وعن موسى بن بكر، عن أبي الحسن(ع) قال: (الرفق نصف العيش).

وعن زرارة، عن أبي جعفر (ع) قال: قال رسول الله(ص): (انّ الرفق لم يوضع على شيء إلا زانه ولا نزع من شيء الاّ شانه).

وعن عمر بن أبي المقدام رفعه عن النبي(ص) قال: (ان في الرفق الزيادة، والبركة، ومن يحرم الرفق يحرم الخير).

وعن أبي عبد الله (ع) قال :

[ما اصطحب اثنان الاّ كان أعظمهما أجراً وأحبهما الى الله أرفقهما بصاحبه].

٤ــ الاستبداد الحزبي

هنالك بعض التنظيمات تعاني من الاستبداد، فالقمة تتخذ القرارات دون استشارة القاعدة والوسط ولا استشارة سائر الناس، مما يوجب:

أولا: عدم شد الوسط والقاعدة بالقمة، وكذلك عدم شد القاعدة بالوسط، و يسبب ذلك الانفراط المعنوي في النفوس، و يتبع الانفراط المعنوي الانفراط الخارجي، كما رأينا ذلك في بعض الاحزاب الاسلامية حيث تمزّقت وحارب بعضهم بعضاً ووقع بينهم النزاع والتشاجر.

وثانياً: ابتعاد الناس وعدم تفاعلهم مع التنظيمات، لان الناس يتفاعلون الآ مع من يتفاعل معهم، لا التفاعل معهم في الحاجات فحسب، بل في الآراء والاعمال أيضاً، فان الناس يريدون من هو منهم واليهم، وهم منه واليه، ولا يريدون جماعة يعملون خارج نطاقهم، و يتكبرون عليهم، و يستبدون بالآراء دونهم: ولذا لا تتمكن أمثال هذه التنظيمات من تحريك الناس.

فالواجب على المنظمات الاسلامية واشباهها ــ ممن يريد انقاذ المسلمين ــ أمران: الاستشارة والتواضع.

روايات حول الاستشارة

وقد وردت في الاستشارة آيات وروايات، وقد ذكرنا بعض الآيات في السابق، أما الروايات فهي كثيرة جداً.

منها: ما رواه ابن القداح، عن جعفر بن محمد، عن أبيه(ع) قال: (قيل يارسول(ص): ما الحزم؟

قال: مشاورة ذوي الرأي واتباعهم).

وعن السري خالد، عن أبي عبدالله(ع) قال: (فيما أوصى به رسول الله(ص)

علياً(ع) قال: (لا مظاهرة أوثق من المشاورة، ولا عقل كالتدبير).

وعن أبي الجارود، عن أبي جعفر(ع) قال: (في التوراة أربعة أسطر: من لا يستشير يندم، والفقر الموت الأكبر، كما تدين تدان، ومن ملك استأثر).

وعن سماعة بن مهران، عن أبي عبدالله(ع) قال: (لن يهلك امرء عن مشورة).

وروى السيد الرضي في نهج البلاغة، عن أميرالمؤمنين(ع) انه قال: (لا غنى كالعقل، ولا فقر كالجهل، ولا ميراث كالأدب، ولا ظهير كالمشاورة).

وقال (ع) :

[من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها].

وقال (ع) :

[خاطر بنفسه من استغنى برأيه].

وعن المفضل بن عمر قال: قال الصادق(ع): (من لم يكن له واعظ من قلبه، وزاجر من نفسه، ولم يكن له قرين مرشد استمكن عدوه من عنقه).

وعن المعلى بن خنيس قال: قال ابوعبدالله(ع): (ما يمنع أحدكم اذا ورد عليه مالا قبل له به ان يستشير رجلاً عاقلاً له دين وورع)، ثم قال ابوعبدالله(ع): (أما انه اذا فعل ذلك لم يخذله الله بل يرفعه الله ورماه بخير الامور وأقربها الى الله).

وعن معمر بن خلاد قال: هلك مولى لأ بي الحسن الرضا(ع) يقال له سعد وقال: (اشر عليّ برجل له فضل أمانة).

فقلت : أنا أشير عليك؟

فقال (ع) : ـــشبه المغضبـــ:

(ان رسول الله (ص) كان يستشير أصحابه ثم يعزم على ما يريد).

وعن الفضيل بن يسار قال: استشارني ابوعبدالله(ع) مرة في أمر فقلت: أصلحك الله مثلي يشير على مثلك؟ قال: (نعم اذا استشرتك).

وعن الحسن بن الجهم قال: كنا عند أبي الحسن الرضا(ع) فذكر أباه(ع) فقال: (كان عقله لا توازن به العقول، وربما شاور الاسود من سودانه، فقيل له: تشاور مثل هذا؟ فقال: ان الله تبارك وتعالى ربما فتح على لسانه). قال: (فكانوا ربما أشاروا عليه

بالشيء فيعمل به من الضيعة والبستان).

وعن عمر بن جميل، عن أمير المؤمنين(ع) قال: (من لم يستشر يندم).

وقال :

[من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ].

وعنه (ع) قال :

[لا رأي لمن انفرد برأيه].

وقال (ع) :

[ما عطب من استشار].

وقال (ع) :

[من شاور ذوي الأسباب دل على الرشاد].

وقال عليه السلام :

[لا تشر على المستبد برأيه]

وعن موسى بن جعفر (ع) قال :

[من استشار لم يعدم عند الصواب مادحاً، وعند الخطأ عاذراً].

المعصومون (ع) يستشيرون أصحابهم

ومن المعروف عند العامة والخاصة كثرة استشارة رسول الله(ص) لأصحابه، وكان يقول لهم:

[أشيروا عليّ].

وكذلك جعل الامام أميرالمؤمنين(ع) من حق الامة عليه أن يستشيرهم.

وكذلك وردت روايات في استشارة سائر الأئمة(ع) لأصحابهم.

وفي حديث يرويه مهج الدعوات: ان موسى بن المهدي العباسي هدد موسى بن جعفر(ع)، قال: قتلني الله ان أبقيت عليه.

قال : وكتب علي بن يقطين الى أبي الحسن موسى بن جعفر(ع) بصورة الامر، فورد الكتاب، فلما أصبح أحضر الامام(ع) أهل بيته وشيعته فاطلعهم(ع) على ما ورد عليه

من الخبر وقال لهم: (ما تشيرون فيَ هذا؟)

فقالوا : نشير عليك ــ أصلحك الله ــ ان تباعد شخصك من هذا الجبار.

٥ ــ الحياة المترفة للقادة

مجموعة من قادة الاحزاب والمنظمات الاسلامية يسلكون سبيل البذخ والترف، بسكنى القصور، وامتطاء السيارات الفارهة، والتزوج بالفتيات الجميلات ذوات المكانة المرموقة، وتهيئة وسائل العيش المريحة، و بذلك ينفصلون عن عامة الشعب، حيث ان من طبيعة الناس عدم الاعتراف بقادة يسكنون الابراج العاجية و يرفلون في النعيم ثم يتكلمون باسم الفقراء والمساكين و باسم الاسلام والمسلمين، بالاضافة الى ان من يتكلم باسم الدين لابد وان يكون مثل الرسول(ص) وخلفائه الطاهرين(ع) في السلوك والعمل، فاذا رأى الناس رؤوساء المنظمات والاحزاب والجمعيات الاسلامية يسلكون خلاف سلوكهم عرفوا انهم ليسوا من الاسلام في شيء فانفضوا من حولهم، و يسبّب ذلك فشلهم.

المعصومون (ع): حياة متواضعة

ونحن نرى ان القائدين العظيمين رسول الله وعلي بن أبي طالب(ع) وسائر الأئمة(ع) كانوا يعيشون عيشة متواضعة زاهدة قانعة (بما في هذه الكلمات من معنى).

فقد روى قرب الاسناد، عن أبي عبدالله عن أبيه الباقر(ع): (ان رسول الله(ص) لم يورث ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا وليدة ولا شاة ولا بعيراً، ولقد قبض(ص) وان درعه مرهونة عند يهودي من يهود المدينة بعشرين صاعاً من شعير استلفها نفقة لأهله).

واذا عرفنا : ان كل صاع ثلاثة كيلوات تقريباً كان معنى ذلك ان الرسول(ص) كان محتاجاً ــ لغذاء أهله ــ الى ستين كيلو من الشعير، مع العلم ان الرسول(ص) كان له عند وفاته تسع زوجات وكان حاكماً على سبع دول أو أكثر ــ في خريطة عالم اليوم ــ.

وفي حديث عن الصادق (ع) :

[ان رسول الله مات وعليه دين].

وقال قتادة : بلغنا ان علياً(ع) نادى ثلاثة أعوام بالموسم (من كان له على رسول الله(ص) دين فليأتنا نقضي عنه).

وفي رواية : ان النبي(ص) لما توفي كان عليه من الدين ثمانون ألف درهم فأداها عليّ(ع).

وقد ذكرنا جملة من زهد رسول الله(ص) في بعض فصول هذا الكتاب.

وسار علي (ع) على سنن الرسول فقد حفظ التاريخ انه(ع) لما استشهد كانت ممتلكاته النقدية سبعمائة درهم فقط حصّلها من عطائه من بيت المال وقد جعلها ليشتري بها خادماً لبنته أم كلثوم أما ديونه فقد كانت ثمانمائة ألف درهم.

فقد روى (كشف المحجة) عن الامام الباقر(ع) قال: (قبض عليّ(ع) وعليه دين ثمانمائة ألف درهم فباع الحسن(ع) ضيعة له بخمسمائة ألف درهم فقضاها عنه، وباع له ضيعة أخرى بثلثمائة ألف درهم فقضاها عنه، وذلك انه لم يكن يذر من الخمس شيئاً وكانت تنوبه نوائب).

أقول : أما الضيعتان فقد كانتا من غرس الامام(ع) في مدة اقصائه عن الحكم، وقد وقف علي(ع) أغلب الضياع كما يحدثنا بذلك التاريخ.

وفي الكافي، عن الصادق (ع): انه لما مات الحسن بن علي(ع) كان عليه دين وقتل الحسين(ع) وعليه دين.

وفي رواية السيد، عن الباقر (ع) ان علي بن الحسين باع ضيعة له بثلثمائة ألف ليقضي دين الحسين(ع) وعدات كانت عليه.

وفي رواية أخرى همّ علي بن الحسين بدين أبيه حتى قضاه.

وفي رواية عن الصادق (ع): مات رسول الله وعليه دين، ومات الحسن(ع) وعليه دين، وقتل الحسين وعليه دين.

صور من زهد أمير المؤمنين (ع)

وقد اتبع علي أمير المؤمنين (ع) الرسول في زهده وقال هو(ع) في كلمة له:

[والله لدنيا كم هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم].

وفي حديث آخر:

[من عفطة عنز]

وقد روى (المناقب) عن الامام الباقر(ع) انه قال: (ولقد ولى علي(ع) خمس سنوات وما وضع آجرة على آجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا أقطع قطيعاً ولا أورث بيضاء ولا حمراء).

ومعنى هذا الحديث انه لم يصنع الامام لنفسه داراً، ولا انه جمع مالاً، ولا انه خص لنفسه أرضاً يقطعها باسم نفسه.

وروى المناقب أيضاً عن أميرالمؤمنين(ع) انه كان يقول: (ما كان لنا الا أهاب كبش أبيت مع فاطمة(ع) بالليل عليها ونعلف عليها الناضح بالنهار).

إزار غليظ، وآخر مرقّع

وفي رواية انه رؤي علي(ع) وعليه آزار غليظ اشتراه بخمسة دراهم ورؤي (ع) وعليه إزار مرقوع فقيل له في ذلك؟

فقال (ع) : (يقتدي به المؤمنون، ويخشع له القلب، وتذل به النفس و يقصد به المبالغ، أشبه بشعار الصالحين، وأجدر أن يقتدى به المسلم).

الامام يخرق كمّ قميصه

وفي رواية : (ان علي بن أبي طالب(ع) نظر الى فقير خرق كم ثوبه فخرق كم قميصه والقاه اليه).

ان خرجت بغيرما دخلت فأنا خائن!

وفي البحار عن الأصبغ قال توجه علي(ع) الى أهل البصرة وقال: (ياأهل البصرة ما تنقمون مني؟ ان هذا لمن غزل أهلي (وأشار الى قميصه) ثم قال: دخلت بلادكم بأسمالي هذه ورحلي وراحلتي، فان أنا خرجت من بلادكم بغيرما دخلت فانني من الخائنين).

الامام (ع) يرتجف من البرد

وروى هارون بن عنترة عن أبيه قال: دخلت على علي بن أبي طالب(ع) بالخورنق (وهو موضع بالكوفة آنذاك، والآن بظاهر الحيرة) وهو يرعد تحت سمل قطيفة (أي الثوب الخلق البالي) فقلت: ياأميرالمؤمنين ان الله تعالى جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال ما يعم وأنت تصنع بنفسك ما تصنع؟

فقال (ع) : (والله ما أرزئكم من أموالكم شيئاً وان هذا لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي من المدينة ما عندي غيرها).

الامام (ع) يحلّ ازمة المسكن

وفي المناقب نقلاً عن فضائل أحمد قال علي(ع): (ما أصبح بالكوفة أحد الا ناعماً ان أدناهم منزلة ليأكل البر، ويجلس في الظل، و يشرب من ماء الفرات).

يعني ان عنده الدار والمأكل والمشرب.

وفي رواية أخرى رأيتها في بعض الكتب ان كل أهل بلاد الامام(ع) أصبحوا هكذ في عهد الامام(ع) مع ان بلاده(ع) كانت واسعة جداً آخذة من ليبيا ومنتهية الى داغستان في الاتحاد السوفيتي.

يطعم الناس خبز البرّ، و يأكل خبز الشعير

وفي رواية عن الامام الباقر(ع): (كان علي بن أبي طالب ليطعم الناس خبز البر واللحم و ينصرف الى منزله و يأكل خبز الشعير والزيت والخل).

لبن حامض، ورغيف صلب

وعن سويد بن غفلة قال: دخلت على علي بن أبي طالب(ع) العصر ، وجدته جالساً و بين يديه صحيفة فيها لبن حازر أجد ريحه من شدة حموضته، وفي يده رغيف أرى قشار الشعير في وجهه وهو يكسر بيده أحياناً، فاذا غلبه كسره بركبته وطرحه فيه فقال(ع) لي: (أدن فأصب من طعامنا هذا) ـــ الى أن قال ـــ فقلت: لجاريته وهي قائمة قريباً منه: ويحك يافضة ألا تتقين الله في هذا الشيخ، ألا تنخلين له طعاماً؟

قال علي (ع) لي: (ما قلت لها؟)

قال : فأخبرته.

فقال(ع) : (بأبي وأمي من لم ينخل له طعام، ولم يشبع من خبز البر ثلاثة حتى قبضه الله عزوجل).

يعني بذلك رسول الله(ص).

قد اكتفى من دنياه بطمريه

وفي رواية نقلها العلامة المجلسي عن القطب الراوندي: ان علياً(ع) قال: [واعلموا ان أمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، يسد فورة جوعه بقرصيه، لا يطعم الفلذة (أي الكسرة من اللحم) في حوله إلاّ في سنة أضحيته].

المراد بالطمر: الثوب البالي الخلق، لأن الامام(ع) ـــ في كل زمن الاحيان ـــ كان يلبس قطعتين: مئزراً ورداءاً، وان كان يلبس في بعض الاحيان ثوباً طويلاً، والمراد بالفلذة القطعة من اللحم، والمراد بالقرصين القرصان من خبز الشعير يتغذى بأحدهما

و يتعشى بالآخر، فكان(ع) يأكل في كل يوم قرصين.

الامام (ع) يسمع مقلياً في بيته

وروى الشيخ المفيد ان أميرالمؤمنين(ع) سمع مقلياً في بيته فنهض وهويقول: (في ذمة علي بن أبي طالب مقلى الكراكر).

قال: فقال عياله: ياأميرالمؤمنين انها امرأتك فلانة نُحرت جزور في حيها فأخذ لها نصيب منها فأهدى أهلها اليها.

قال (ع): (فكلوا هنيئاً مريئاً).

وانما خاف (ع) أن يكون هدية من بعض الرعية، وقبول الهدية لوالي المسلمين خيانة (والكراكر) احدى ثفنات البعير أو الصدر خاصة.

الامام (ع) لا يملك ثلاثة دراهم

وفي المناقب انه (ع) كان يأتي عليه وقت لا يكون عنده قيمة ثلاثة دراهم يشتري بها ازاراً وما يحتاج اليه، ثم يقسم كل ما في بيت المال على الناس ثم يصلي فيه فيقول: (الحمد لله الذي أخرجني منه كما دخلته).

ينجز أعماله بنفسه

وروى البلخي قال: ان علي بن أبي طالب(ع) اجتاز بسوق الكوفة فتعلق به كرسي فتخرق قميصه فأخذه بيده ثم جاء به الى الخياطين فقال: (خيطوا لي ذا بارك الله فيكم).

ملابس متواضعة

وعن العبدي قال: رأيت علياً(ع) اغتسل في الفرات يوم الجمعة ثم ابتاع قميص كرابيس بثلاثة دراهم فصلى بالناس الجمعة، وما خيط جربانه بعد.

وفي رواية الزمخشري: انه(ع) اشترى قميصاً فقطع ما فضل عن أصابعه ثم قال لرجل: (خصه رأى خط كفافه).

ذكر الله.. دائماً

وجاء (ع) ذات مرة الى حلاق ليصلح لحيته وشاربه فأراد الحلاق أن يأخذ من شاربه، وكان(ع) مشتغلاً بذكر الله تعالى تتحرك شفتاه، فقال له الحلاق: ياأميرالمؤمنين كف عن الذكر لحظة حتى يعتدل الشارب، فقال(ع): (الأمر أسهل من ذلك) ولم يترك الذكر حتى لحظة.

الامام (ع) يعرض سيفه للبيع

وفي شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة عن أبي رجاء قال: أخرج علي(ع) سيفاً الى السوق فقال: (من يشتري مني هذا؟ فوالذي نفس علي بيده لو كان عند علي ثمن ازار ما بعته).

فقلت له : أنا أبيعك ازاراً وأنسئك ثمنه الى عطائك.

فدفعت اليه ازاراً الى عطائه، فلما قبض عطائه دفع اليّ ثمن الازار.

الهدايا توزع على المسلمين

وقال حكيم بن أوس: أتي الى أميرالمؤمنين(ع) بأحمال فاكهة، فأمر ببيعها، وأن يطرح ثمنها في بيت المال.

وقال حكيم أيضاً كان علي(ع) يبعث الينا بزقاق العسل فيقسم فينا ثم يأمر أن يلعقوه.

وعن عاصم انه أهدي الى علي(ع) سلال خبيص له خاصة، فدعا بسفرة فنثره عليها، ثم أجلس الناس حلقتين يأكلون.

وعن أبي حريز قال: ان المجوس أهدوا الى علي(ع) يوم النيروز جامات من فضة فيها سكر فقسم السكر بين أصحابه وحسبها من جزيتهم.

قال: وبعث دهقان الى علي(ع) بثوب منسوج من ذهب فابتاعه منه عمرو بن حريث بأربعة آلاف درهم الى العطاء يعني انه اذا خرج عطاء عمرو أعطى الثمن للامام(ع) حتى يقسمه على المسلمين.

علي (ع) يقتدي بالرسول(ص) في شؤونه

وعن الامام الصادق(ع) قال: (كان علي(ع) أشبه الناس طعمة وسيرة برسول الله(ص) كان يأكل الخبز والزيت، و يطعم الناس الخبز واللحم، وكان(ع) يستقي ويحتطب، كان يرقع مدرعته بنفسه، وكان يخيط ثوبه بنفسه وكان يخصف نعله بنفسه.

فلسفة زهد الامام(ع)

وقد ذكر هو(ع) في كلام له فلسفة هذا الزهد (كما في الكافي) قال: (ان الله جعلني اماماً لخلقه ففرض عليّ التقدير في نفسي ومطعمي ومشربي وملبسي كضعفاء الناس كي يقتدي الفقير بفقري ولا يطغي الغني غناه).

الطارق المشبوه

وفي كلام له (ع) بعد ما ذكر قصة عقيل وردّه(ع) له بدون أن يعطيه شيئاً من بيت المال، قال: (وأعجب من ذلك ــأي من رجاء عقيــل ان أعطيه أكثر من سائر المسلمين) طارق طرقنا بملفوفة في وعائها، ومعجونة شنآتها كأنما عجنت بريق حية أوقيئها، فقلت: (أصلة أم زكاة أم صدقة فذلك محرم علينا أهل البيت؟).

فقال: لا ذا ولا ذاك، ولكنها هدية.

فقلت: (هبلتك الهبول، أعن دين الله أتيتني لتخدعني؟ أمختبط أنت أم ذو جنة أم

تـهجر، والله لو أعطيت الاقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها حلب شعيرة ما فعلته، وان دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقظمها).

تعاليم اسلامية

(حب الدنيا رأس كل خطيئة)

عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله(ع) قال: (رأس كلّ خطيئة حب الدنيا).

وعن محمد بن مسلم قال: سُئل علي بن الحسين(ع) أي الاعمال أفضل؟ قال: (ما من عمل بعد معرفة الله ومعرفة رسول الله(ص) أفضل من بغض الدنيا فان لذلك شعباً كثيرة وللمعاصي شعب فأوّل ما عصي الله به الكبر «الى أن قال» ثم الحرص ثم الحسد وهي معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله فتشعب من ذلك حب النساء وحب الدنيا وحب الرياسة وحب الراحة وحب الكلام وحب العلو والثروة فصرن سبع خصال فاجتمعن كلّهن في حب الدنيا فقال الانبياء والعلماء بعد معرفة ذلك. حب الدنيا رأس كل خطيئة والدنيا دنيا آن: دنيا بلاغ ودنيا ملعونة).

وعن حفص بن غياث، عن أبي عبدالله(ع) قال: في مناجاة موسى(ع): (ان الدنيا دار عقوبة عاقبت فيها آدم عند خطيئته، وجعلتها ملعونة، ملعون ما فيها الاّ ما كان فيها لي، ياموسى انّ عبادي الصالحين زهدوا في الدنيا بقدر علمهم بي وسائر الخلق رغبوا فيها بجهلهم، وما من أحد عظمها فقرّت عينه بها، ولم يحقّرها أحد الاّ انتفع بها).

وعن درست، عن رجل، عن أبي عبدالله(ع) قال: (حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة).

وعن الكراجكي قال: قال رسول الله(ص): (من أحبّ دنياه أضرّ بآخرته).

وعن اسماعيل بن أبي زياد رفعه عن أميرالمؤمنين(ع) انّه سُئل عن الزهد في الدنيا، فقال: (ويحك، حرامها فتنكبّه).

ترك ما زاد عن قدر الضرورة

عن الحسن بن راشد، عن أبي عبدالله(ع) قال: قال رسول الله(ص): (مالي وللدنيا انما مثلي كراكب رفعت له شجرة في يوم صائف فقا م| تحتها ثم راح وتركها).

وعن إبن بكير، عن أبي عبدالله(ع) قال: قال رسول الله(ص): (في طلب الدنيا أضرارٌ بالآخرة، وفي طلب الآخرة أضرار بالدنيا فاضروا بالدنيا فانها أحق بالاضرار).

عن غياث بن ابراهيم، عن أبي عبدالله(ع) ان في كتاب علي(ع): (انما مثل الدنيا كمثل الحيّة ما ألين مسّها، وفي جوفها السّم الناقع يحذرها الرجل العاقل و يهوى اليها الصبي الجاهل).

وعن أنس بن محمد، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن آبائه(ع) في وصيّة النبي(ص) لعلي(ع) قال: (ياعلي انّ الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، ياعليّ أوحى الله الى الدنيا اخدمي من خدمني، واتعبي من خدمك، ياعلي ان الدنيا لوعدلت عند الله جناح بعوضة لما سقي الكافر منها شربة من ماء، ياعلي ما أحد من الاولين والآخرين الاّ وهويتمنى يوم القيامة انّه لم يعط من الدنيا إلا قوتاً).

قال : وقال رسول الله(ص) :

[ما قلّ وكفى خيرٌ مما كثُر وألهى].

و باسناده عن أمير المؤمنين(ع) في وصيته لمحمد بن الحنفية قال: (ولا مال أذهب للفاقة من الرضا بالقوت، ومن اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة، وتبوأ خفض الدعة والحرص داع الى التقحم في الذنوب).

وفي نهج البلاغة عن أميرالمؤمنين(ع) انه قال:

[ياابن آدم ما كسبت فوق قوتك فأنت فيه خازن لغيرك].

قال : وقال (ع) :

[كل مقتصر عليه كاف].

قال : وقال (ع) :

[الزهد بين كلمتين من القرآن قال الله تعالى: «لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم» الحديد/ ٢٣ **ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد استكمل الزهد بطرفيه].**

ذم الحرص على الدنيا

عن يحيى بن عقبة الازدي، عن أبي عبدالله(ع) قال: قال ابو جعفر(ع): (مثل الحريص على الدنيا مثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لفاً كان أبعد لها في الخروج حتى تموت غمّاً).

قال : وقال ابو عبد الله (ع) :

[أغنى الغني من لم يكن للحرص أسيرا].

وقال :

[لا تشعروا قلوبكم الاشتغال بما قد فات فتشغلوا أذهانكم عن الاستعداد لما لم يأت].

وعن زرارة ومحمد بن مسلم، عن أبي عبدالله(ع) قال: (أبعد ما يكون العبد من الله عزوجل اذا لم يهمّه الاّ بطنه وفرجه).

وعن حفص بن فرط، عن أبي عبدالله(ع) قال: (من كثر اشتباكه في الدنيا كان أشدّ لحسرته عند فراقها).

وعن أبي عبد الله (ع) قال:

[حرم الحريص خصلتين ولزمته خصلتان: حرم القناعة فافتقد الراحة وحرم الرضا فافتقد اليقين].

و.. الطمع فيها

وعن ابن خالد، عن أبيه، عمن ذكره، عن أبي جعفر(ع) قال: (بئس العبد عبد يكون له طمع يقوده، و بئس العبد عبد له رغبة تذلّه).

وعن الزهري قال: قال علي بن الحسين(ع): (رأيت الخير كلّه قد اجتمع في قطع الطمع عمّا في أيدي الناس).

وعن سعدان، عن أبي عبدالله(ع) قال: قلت: ما الذي يثبت الايمان في العبد؟ قال: (الورع). والذي يخرجه منه؟ قال: (الطمع).

وعن محمد بن علي بن الحسين باسناده عن أميرالمؤمنين(ع) في وصيته لمحمد ابن الحنفية قال: (اذا أحببت أن تجمع خير الدنيا والآخرة فاقطع طمعك مما في أيدي الناس).

وعن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر(ع) قال: (أتى رجل رسول الله(ص) فقال: علّمني يارسول الله شيئاً، فقال: عليك باليأس مما في أيدي الناس فانّه الغنى الحاضر، قال: زدني يارسول الله، قال: ايّاك والطمع فانّه الفقر الحاضر).

وفي نهج البلاغة، عن أمير المؤمنين(ع) قال:

[أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع].

وعن معمر ابن خلاد عن علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ(ع) قال: (جاء خالد الى رسول الله(ص) فقال: يا رسول الله اوصني وأوجزلعلّي احفظ، فقال: اوصيك بخمس: باليأس ممّا في أيدي الناس فانّه الغنى الحاضر، وأياك والطمع فانّه الفقر الحاضر، وصلّ صلاة مودّع، وأيّاك وما تعتذر منه، وأحبّ لأخيك ما تحبّ لنفسك).

الزهد في الدنيا

عن الهيثم بن واقد الجريريّ، عن أبي عبدالله(ع) قال: (من زهد في الدنيا أنبت الله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه، و بصّره عيوب الدنياداءها ودواءها وأخرجه منها سالماً الى دار السلام).

وعن أبي حمزة قال: ماسمعت بأحد من الناس كان أزهد من عليّ بن الحسين(ع) الاّ ما بلغني عن عليّ بن أبي طالب(ع)، قال: وكان علي بن الحسين(ع) اذا تكلّم في الزهد

ووعظ أبكى من بحضرته، قال ابو حمزة: وقرأت صحيفة، فيها كلام زهد من كلام علي بن الحسين(ع) فكتبت ما فيها ثم أتيت على علي بن الحسين(ع)، فعرضت ما فيها عليه فعرفه وصحّحه وكان ما فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم: كفانا الله واياكم كيد الظالمين وبغي الحاسدين، وبطش الجبارين أيّها المؤمنون لا يفتننّكم الطواغيت واتباعهم من أهل الرغبة في هذه الدنيا، وأحذروا ما حذركم الله منها، وأزهدوا فيما زهدّكم الله فيه منها، ولا تركنوا الى ما في هذه الدنيا ركون من اتخذها دار قرار ومنزل استيطان «الى أن قال:» وليس يعرف ايامّها، وتقلّب حالاتها، وعاقبة ضرر فتنها إلاّ من عصمه الله، ونهج سبيل الرشد، وسلك طريق القصد ثم استعان على ذلك بالزهد، فكّرر الفكر، واتعظ بالصبر، وزهد في عاجل بهجة الدنيا، وتجافى عن لذتها، ورغب في دائم نعيم الآخرة، وسعى لها سعيها).

وعن محمد بن مسلم، عن أبي عبدالله(ع) قال: قال أميرالمؤمنين(ع): (انّ علامة الراغب في ثواب الآخرة زهد في عاجل زهرة الدنيا أما انّ زهد الزاهد في هذه الدنيا لا ينقصه مما حشم الله له فيها وان زهد، وان حرص الحريص على عاجل زهرة الحياة الدنيا لا يزيده فيها وان حرص، فالمغبون من غبن حظّه من الآخرة).

وعن أبي حمزة، عن أبي جعفر(ع) قال: قال أميرالمؤمنين(ع): (انّ من أعون الاخلاق على الدين الزهد في الدنيا).

وعن حفص بن غياث، عن أبي عبدالله(ع) قال سمعته يقول: (جعل الخير كله في بيت، وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا، ثم قال: قال رسول الله(ص) لا يجد الرجل حلاوة الايمان حتى لا يبالي من أكل الدنيا ثم قال ابو عبدالله(ع): حرام على قلوبكم أن تعرف حلاوة الايمان حتى تزهد في الدنيا).

وعن علي بن هاشم بن البريد، عن أبيه انّ رجلاً سأل علي بن الحسين(ع) عن الزهد فقال: (عشرة أشياء فأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين، وأعلى درجات اليقين أدنى درجات الرضا، الا وان الزهد في آية من كتاب الله، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم).

عن سفيان بن عيينه قال: سمعت ابا عبدالله(ع) يقول: (كلّ قلب فيه شك أو

شرك فهو ساقط، وانّما أرادوا بالزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة).

عن عبد الله بن القاسم، عن أبي عبدالله(ع) قال: (اذا أراد الله بعبد خيراً زهّده في الدنيا، وفقهه في الدين، و بصّره عيوبها، ومن اوتيهن فقد أوتي خير الدنيا والآخرة) وقال: (لم يطلب أحد الحق بباب أفضل من الزهد في الدنيا وهوضّد لما طلبت أعداء الحق) قلت: جعلت فداك مماذا ؟ قال:(من الرغبة فيها) وقال: (الا من صبّار كريم، فانّما هي أيام قلائل الا انه حرام عليكم أن تجدوا طعم الايمان حتى تزهدوا في الدنيا، قال: وسمعت ابا عبدالله(ع) يقول: (اذا تخلّى المؤمن من الدنيا سما و وجد حلاوة حبّ الله فلم يشتغل بغيره)، قال: وسمعته يقول: (ان القلب اذا صفا ضاقت به الأ رض حتى يسمو).

وعن أبي حمزة، عن أبي جعفر(ع) في حديث: (انّ الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة الا انّ الزاهدين في الدنيا قد اتخذوا الأ رض بساطاً، والتراب فراشاً، والماء طيباً، وقرضوا من الدنيا تقريضاً).

وعن عمرو بن سعيد بن هلال قال: قلت لأ بي عبدالله(ع): اني لا القاك الاّ في السنين، فأوصني بشيء حتى آخذ به، قال: (أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد، واياك أن تطمع الى من فوقك، وكفى بما قال عزّوجلّ لرسول الله(ص):

«ولا تمدنّ عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحيوة الدنيا»(طه/١٣١)

وقال :

«ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم»(التوبة/٨٥)

فان خفت ذلك فاذكر عيش رسول الله(ص) فانما كان قوته من الشعير، وحلواه من التمر، و وقوده من السعف اذا وجده).

وعن السكوني، عن أبي عبدالله(ع)، قال: قيل لأميرالمؤمنين(ع): ما الزهد؟ قال: (تنكيب حرامها).

وعن أبي الطفيل قال: سمعت أميرالمؤمنين(ع) يقول: (الزهد في الدنيا قصر الأمل وشكر كلّ نعمة، والورع عما حرّم الله عليك).

وعن اسماعيل بن مسلم قال: قال أبوعبدالله(ع): (ليس الزهد في الدنيا باضاعة

المال، ولا بتحريم الحلال بل الزهد في الدنيا ان لا تكون بما في يدك اوثق منك بما في يد الله عزوجل).

وعن حفص بن غياث قال: سمعت موسى بن جعفر(ع) عند قبر وهويقول: (انّ شيئاً هذا آخره لحقيق انه يزهد في أوله، وان شيئاً هذا أوله لحقيق أن يخاف من في آخره).

وعن عبد الله بن الحسن بن عليّ، عن امّه فاطمة بنت الحسين، عن أبيها(ع) قال: قال رسول الله(ص): (ان صلاح أوّل هذه الامة بالزهد واليقين، وهلاك آخرها بالشّح والأمل).

وعن أحمد بن الحسن الحسيني، عن الحسن بن عليّ العسكري عن آبائه، عن الصادق(ع) انه سُئل عن الزهد في الدنيا، قال: (الذي يترك حلالها مخافة حسابه و يترك حرامها مخافة عقابه).

الذين يجعلون الدين.. وسيلة لنيل الدنيا

عن يونس بن ظبيان قال: سمـعت أبـا عبدالله(ع) يقول: قال رسول الله(ص): (ان الله عزوجلّ يقول: و يل للذين يختلون الدنيا بالدين، وو يل للذين يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، وو يل للذين يسير المؤمن فيهم بالتقيّة، أبي يغترون، أم عليّ يجترّون؟ فبي حلفت لآتيحنّ لهم فتنة تترك الحليم منهم حيرانا).

وعن مسعدة بن زياد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه(ع): (ان الله تبارك وتعالى أنزل كتاباً من كتبه على نبي من أنبيائه وفيه انّه سيكون خلق من خلقي يلمسون الدنيا بالدين، يلبسون مسوك العنان على قلوب كقلوب الذئاب أشد مرارة من الصبر، وألسنتهم أحلى من العسل، وأعمالهم الباطنة أنتن من الجيف، أفبيّ يغترون؟ أم اياي يخادعون؟ ام عليّ يجترون؟ فبعزتي حلفت لآتيحن لهم فتنة تطافى خطامها حتى تبلغ أطراف الأرض تترك الحليم منهم حيرانا)

٦ ـ العزلة عن الجماهير

من أسباب تخلف المسلمين وعدم تمكن المنظمات والأحزاب والجمعيات الاسلامية من النهضة ومن الوصول الى الحكم (عدم الجماهيرية)، فان هذه الأحزاب وأشباهها لا تعمل الا في حقل واحد تنتخبه لأجل تقديم الاسلام مثل تربية الشباب وتوعيتهم وايصالهم الى رتب رفيعة سواء في المجتمع أو في الدولة كجعلهم موظفين أو كتاباً أو خطباء أو من اليهم ـ ثم يتركون الجماهير وشأنها، ومن الواضح ان الطلائع التي تقودها الأحزاب والمنظمات والجمعيات الاسلامية قليلة جداً (حتى وان وصلوا الى مئات الالوف)، بينما الجماهير هي كل شيء وهي انما تلتف حول من أعطاهم الحاجات وشاركهم في أحزانهم وأفراحهم وحل مشكلاتهم أما من لم يعطهم ذلك فانهم يتركونه وشأنه، واذا تركوه وشأنه حصل له (التحجيم) فلا يتمكن من التأثير والتغيير.

وحاجات الجماهير كثيرة أمثال: تزويج العزاب، وتشغيل العاطلين، وعيادة المرضى، وتشييع الجنائز، وزيارة المسافرين، والحضور في المراسم الاجتماعية والدينية ـ كمجالس الوعظ والارشاد والاعراس والفواتح وصلوات الجماعة وما أشبه ـ، والمشاركة في بناء المساجد والمستشفيات والمدارس والحسينيات وغيرها، واسعاف المحتاجين، والقيام بالخدمات الاجتماعية واصلاح ذات البين.. الى غيرها من الامور التي تعطي للانسان ـ الفرد أو المنظمة والهيئة والحزب اذا مارسها ـ (الصبغة الجماهيرية) وحينذاك تتعاطف الجماهير مع مثل هذا الفرد أو الجماعة وتتفاعل معه فكرياً ونفسياً وعاطفياً، أما اذا لم يقم الانسان ـ فرداً أو جماعة ـ بهذه الخدمات فان المجتمع يظل في ناحية وتبقى المنظمة او الحزب او الهيئة او الجماعة او الفرد في ناحية اخرى فلا تتمكن من تحريك الجماهير وتوجيهها الى حيث يريد.

القرآن الكريم.. والجماهيرية

وقد ألمع الى هذا: القرآن الحكيم حيث يقول تعالى:

«لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين»(آل عمران/١٦٤)

وقال عز من قائل نقلاً عن ابراهيم الخليل(ع) ــ في دعائه وتضرعه الى الله تعالى أن يبعث في ذريته الرسول ــ:

«ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم»(البقرة/١٢٩)

وقال تعالى:

«كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون»(البقرة/١٥١)

الرسول الأكرم(ص) يعلمنا الجماهيرية

وقد روى زيد بن ثابت: انا كنا اذا جلسنا الى النبي(ص) ان اخذنا بحديث في ذكر الآخرة اخذ معنا، وأن اخذنا في ذكر الدنيا اخذ معنا، وان اخذنا في ذكر الطعام والشراب اخذ معنا، وكل هذا احدثكم عن رسول الله.

وروى سلمان الفارسي (رحمه الله) انه قال: دخلت على رسول الله(ص) وهو متكأ على وسادة فألقاها اليّ، ثم قال(ص): (ياسلمان ما من مسلم دخل على أخيه المسلم يلقي له الوسادة اكراماً له إلاّ غفر الله له).

وفي رواية جرير بن عبد الله قال ان النبي(ص): دخل بعض بيوته فامتلأ البيت (يعني بالمسلمين) ودخل جرير فقعد خارج البيت، فأبصره النبي(ص)، فأخذ ثوبه فلفّه فرمى به اليه وقال: (اجلس على هذا) فأخذه جرير فوضعه على وجهه فقبله.

و يروى ابن عباس يقول: كان رسول الله(ص))يجلس على الأرض، و يأكل على الأرض، ويحتلب الشاة، ويجيب دعوة المملوك).

وفي حديث عنه (ص) :

[لو أهدي اليّ كراع لقبلت ولو دعيت الى كراع لأجبت].

وعن أبي ذر (رحمه الله) انه قال: كان رسول الله(ص) يجلس بين ظهراني أصحابه، فيجيىء الغريب فلا يدري أيهم هو؟ حتى يسأل.

وعن ابن مسعود انه قال: أتى النبي(ص) رجل يكلمه فارتعد فقال(ص): (هوّن عليك، فلست بملك، انما أنا ابن امرأة كانت تأكل القد). (والقد هو اللحم المجفف بالشمس، ومراده(ص) انه واحد من سائر الناس، فاللازم أن لا يعاشره معاشرة الملوك، وانما معاشرة الاشخاص العاديين فلماذا الارتعاد عند التكلم معه؟ وقد قال سبحانه:

«قل انما أنا بشر مثلكم يوحى اليّ»(الكهف/١١٠)

وروى أنس قال: كان رسول الله(ص) (يعود المريض، و يتبع الجنازة، ويجيب دعوة المملوك، و يركب الحمار العاري، وكان يوم خيبر و يوم قريظة والنظير على حمار مخطوم بحبل من ليف تحته أكاف من ليف).

وكان (ص) ــ كما في جملة من الأحاديث ــ اذا مر على انسان بدأه بالسلام، وكان(ص) يسلم على الرجل وعلى المرأة وعلى الطفل حتى قال بعض أصحابه: انه كلما أراد أن يبدء النبي(ص) بالسلام اذا التقى به، فاذا بالنبي يسبقه و يسلم عليه.

ومن كثرة تبسّمه (ص) مع الناس لقب(ص) (بالضحوك) كما في بحار الأنوار.

و عن بن أنس : ان النبي (ص) أدركه اعرابي فأخذ بردائه فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت الى صفحة عنق رسول الله(ص) وقد أثّرت به حاشية الرداء من شدة جذبته وقال له: يامحمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فانه ليس بمالك ولا مال أبيك.

فالتفت اليه رسول الله(ص) ضاحكاً وقال له: (صدقت ليس المال مالي ولا مال أبي ولكن ماذا فعلت بعنقي؟ فهل عليك قصاص).

قال الاعرابي : لا.

قال النبي : ولم؟

قال : لأنك كريم لا تقابل السيئة بالسيئة.
ثم أمر له النبي باعطاءه حمل بعيرين: حملاً تمراً، وحملاً شعيراً.
و يروي أنس بن مالك قال: كنا اذا أتينا النبي(ص) جلسنا حلقة.

أقول : حتى لا يكون للمجلس صدر وذيل و يتصور بعضهم انه في صدر المجلس و بعضهم انه في ذيله.

وقد روي عن النبي (ص) انه ما صافح أحداً قط فنزع يده من يده حتى يكون هو الذي ينزع يده.

وما فاوضه أحد قط في حاجة أو حديث فانصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف.

وما نازعه الحديث حتى يكون هو الذي يسكت.

وما رؤي مقدماً رجليه بين يدي جليس له قط.

ولا عرض له قط أمران الا أخذ بأشدهما.

وما انتصر لنفسه من مظلمة حتى ينتهك محارم الله فيكون حينئذ غضبه لله تبارك وتعالى.

وما سُئل شيئاً قط فقال : لا.

وما ردّ سائلاً حاجة الا بها، أو بميسور من القول.

وكان يعد الناس اذا لم يتمكن من قضاء حاجاتهم فوراً انه(ص) قال لعلي(ع) في وصيته: (تقضي ديني وتنجز عداتي).

وكان أخف الناس صلاة في تمام اذا صلى جماعة (ملاحظة للمأمومين).

وكان أقصر الناس خطبة اذا خطب (حتى لا ينزعج السامعون).

وكان يعرف بالريح الطيب اذا أقبل حتى يستبشر الناس بقدومه اليهم.

وكان اذا أكل مع القوم كان أول من يبدء وآخر من يرفع يده لئلا يستحي من يريد الاستمرار في الأكل آخراً أو يريد الاسراع في الأكل أولاً.

الآخرين.

وكان اذا دعا دعا ثلاثاً واذا تكلم تكلم وتراً واذا استأذن استأذن ثلاثة.

وكان لا يكلم أحداً بشيء يكرهه قط.

وكان المحدث عنه يقول: لم أر بعيني مثله قبله ولا بعده.

وكان يقول: ان خياركم أحسنكم أخلاقاً.

الى غير ذلك من الصفات والتي ذكرنا بعضها أيضاً في موضع آخر من هذا الكتاب.

الامام علي(ع): دروس في الجماهيرية

ووفق سيرة النبي (ص) سار علي(ع) في كونه جماهيرياً وفي قضاء حوائج الناس والمشاركة معهم في أمورهم وكونه كأحدهم كما قال ضرار بن ضمرة عنه(ع): (كان فينا كأحدنا).

الامام (ع) يتوسط في مشكلة اجتماعية

وفي رواية يرويها الكليني(ره) في الكافي، بسنده عن أبي عبدالله(ع) قال: (أتت الموالي أميرالمؤمنين(ع) فقالوا: نشكوا اليك هؤلاء العرب، ان رسول الله(ص) كان يعطينا معهم العطاء بالسوية، وزوج سلمان وبلالاً وصهيباً، وأبوا علينا هؤلاء وقالوا: لا نفعل.

فذهب اليهم أمير المؤمنين(ع) فكلمهم فيهم فصاحت الأعاريب: أبينا ذلك يا أبا الحسن(ع) أبينا ذلك.

فخرج وهو مغضب يجرّ رداءه وهو يقول: يامعشر الموالي ان هؤلاء قد صيّروكم بمنزلة اليهود والنصارى يتزوجون اليكم ولا يزوجونكم، ولا يعطونكم مثل ما يأخذون، فاتجروا بارك الله لكم، فاني سمعت رسول الله(ص) يقول: (الرزق عشرة اجزاء تسعة أجزاء في التجارة وواحد في غيرها).

فان هذا الحديث يدل على أن الامام(ع) كان يتوسط بين الناس في الامور، وكان

يأمر الموالي بالتجارة ليحصلوا على الكرامة الاجتماعية فمن المعروف (ان الكرامة الاقتصادية توجب الكرامة الاجتماعية) و بالفعل ذكر المؤرخون انهم سلكوا سبيل الكرامة الاقتصادية فحصلوا على الكرامة الاجتماعية وصاروا تجاراً فأخذ العرب ينظرون اليهم نظر عطف ولطف ومساواة، يتزوجون منهم و يزوجونهم.

الامام (ع) يمشي مع جارية الى قصّاب

وروى البحار: ان قصاباً باع اللحم لجارية فجار عليها، فبكت المرأة وخرجت، فرأت علياً(ع) فشكت اليه، فمشى علي(ع) معها نحو القصاب ودعاه الى الانصاف في حقها وكان يعظه و يقول له: ينبغي أن يكون الضعيف عندك بمنزلة القوي فلا تظلم الناس.

وهكذا كان الامام (ع) يتوسط في حوائج الناس، ويحل مشاكلهم، و يقضي لهم ما يطلبون حتى انه(ع) كان يمشي مع الجارية الى القصاب!

الامام (ع) في سوق التمّارين

ونقل (المناقب) عن أبي مطر البصري قال: ان أميرالمؤمنين(ع) مرّ بأصحاب التمر، فاذا هوبجارية تبكي، قال: (ياجارية ما يبكيك؟).

قالت: بعثني مولاي بدراهم فابتعت من هذا درهماًفأتيتهم به فلم يرضوه، فلما أتيته به أبى أن يقبله.

فقال (ع) ــ للتمار ــ: (ياعبدالله انها خادم، وليس لها أمر فأردد درهمها، وخذ التمر).

فقام الرجل ولكز الامام (ع) في صدره.

فقال الناس: هذا أمير المؤمنين!

فربى الرجل (والمراد بربى أخذه الربو وهو علة تحدث في الرئة من شدة الخوف فيخرج النفس بصعوبة) واصفر لونه، وأخذ التمر، ورد اليها درهماً ثم قال:

ياأميرالمؤمنين ارض عني.

فقال (ع) : (ما أرضاني عنك ان أصلحت أمرك) أو قال: ما أرضاني عنك ان وفيت الناس حقوقهم.

عملية إصلاح بين زوج وزوجة

وفي (المناقب) عن الامام الباقر(ع) في خبر (انه رجع الامام أميرالمؤمنين الى داره في وقت القيظ، فاذا امرأة قائمة تقول: ان زوجي ظلمني وأخافني وتعدّى عليّ وحلف ليضربني.

فقال : (يأمة الله اصبري حتى يبرد النهار ثم أذهب معك إنشاء الله).

فقالت : يشتد غضبه عليّ.

فطأطأ أمير المؤمنين رأسه ثم رفعه وهويقول: (لا والله، أو يؤخذ للمظلوم حقه غير متعتع، أين منزلك؟).

فمضى (ع) الى بابه فوقف فقال: (السلام عليكم).

فخرج شاب وهو لا يعرف الامام علي(ع) فقال الامام: (يا عبدالله اتق الله، فانك قد اخفتها واخرجتها).

فقال الفتى : وما أنت وذاك؟ والله لأحرقنها لكلامك.

فقال أمير المؤمنين (ع) : (آمرك بالمعروف وأنهاك عن المنكر تستقبلني بالمنكر وتنكر المعروف؟)

فأقبل الناس من الطرق يقولون: سلام عليكم ياأميرلؤمنين، فسقط الرجل في يديه فقال: ياأميرالمؤمنين اقلني في عثرتي، فوالله لأكونن لها أرضاً تطأني.

فأغمد علي (ع) سيفه الذي كان قد أخرجه من الغمد تخويفاً له وقال(ع): (ياأمة الله أدخلي، ولا تلجئي زوجك الى مثل هذا وشبهه).

وهكذا يمشي الامام أمير المؤمنين(ع) ــ وهو رئيس أكبر دولة في العالم ذلك اليوم تمتد من ليبيا الى داغستان في الاتحاد السوفيتي ــ يمشي مع امرأة للاصلاح بينها و بين

زوجها، ومع ان الشاب تعدى على الامام(ع) فانه(ع) تركه وشأنه ولم يعاقبه.

ما خرجت إلاّ لأعين مظلوماً

وفي حديث آخر ذكره الشيخ المفيد (رحمه الله) قال: ذكر الكوفيون ان سعيد بن قيس الهمداني رأى علياً(ع) في شدة الحرّ في فناء حائط فقال له: ياأميرالمؤمنين بهذه الساعة؟

قال (ع) : (ما خرجت إلاّ لأعين مظلوماً أو أغيث ملهوفاً).

في ميضاة المسجد

وفي رواية أخرى رواها المفيد أيضاً، انه(ع) توضأ مع الناس في ميضاة المسجد فزحمه رجل فرمى به، فأخذ الدرة فضرب به ثم قال له: (ليس هذا لما صنعت بي، ولكن يجيء من هو أضعف مني فتفعل به مثل هذا فتضمن).

وهكذا كان الامام (ع) يعيش كالآخرين، و يتوضأ مع الناس في ميضاة المسجد حتى يزاحمه الرجل و يلقيه الى الأرض.

الامام (ع) ينهى عن سير الرجال خلفه

وروى المجلسي عن الكافي، عن أبي عبدالله(ع) قال: خرج أميرالمؤمنين(ع) على أصحابه وهو راكب فمشوا خلفه فالتفت اليهم فقال: (لكم حاجة؟).

فقالوا : لا ياأمير المؤمنين، ولكنا نحب أن نمشي معك.

فقال لهم : (انصرفوا، فان مشي الماشي مع الراكب مفسدة للراكب ومذلة للماشي).

وفي رواية أخرى : انه ركب مرة فمشوا خلفه فقال(ع) لهم: (انصرفوا فان النعال خلف أعقاب الرجال مفسدة لقلوب النوكا) (نوكا جمع انوك بمعنى أحمق).

الامام (ع) في الأسواق

وفي (المناقب) عن ذازان: انه (ع) كان يمشي في الأسواق وحده وهو يرشد الضالّ، و يعين الضعيف، ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن فيقرأ هذه الآية لهم:

«تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّا في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين»(القصص/٨٣)

وقصة جلوس الامام (ع) على دكان ميثم التمار و بيعه التمر أحياناً فيما اذا كان ميثم غائباً مشهورة.

الى غير ذلك من قصص رسول الله(ص) وعلي بن أبي طالب(ع) وسائر خلفائه الراشدين الذين كانوا يسعون في حوائج الناس ليل نهار، وكانوا شعبيين الى أبعد حد، ولذا قال الامام الباقر(ع) في حديث يرو يه الوسائل:

(ولئن أعدل أهل البيت من المسلمين أشبع جوعتهم وأكسو عورتهم وأكف وجوههم عن الناس أحبّ الي من ان أحج حجةوحجةوحجة وحجة وحجة وحجة وحجة وحجة وحجة وعشر حجج وعشراً وعشراً وعشراً وعشراً وعشراً حتى أنتهي الى تسعين) وفي هذا الباب روايات كثيرة جداً معروفة في كتب الأحاديث وفي كتب الفقه.

.. اذاً.. فلكي تكون المنظمات والاحزاب والجمعيات الاسلامية جماهيرية يجب عليها أن تكون مع الناس ومنهم واليهم، فتقضي حوائجهم، وتكون كأحدهم، لا أن تترفع أو تحبس نفسها في أطر خاصة، فان ذلك يوجب انفضاض الناس من حولها فلا تصل تلك الأحزاب الى الهدف وان دام أمرها ستين سنة.

من اجتماعيات الاسلام

الحقوق الالهية والاجتماعية

عن ثابت بن دينار، عن سيد العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(ع)

قال: حق الله الأكبر عليك أن تعبده ولا تشرك به شيئاً، فاذا فعلت ذلك باخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة.

وحق نفسك عليك أن تستعملها بطاعة الله عزوجل.

وحق اللسان اكرامه عن الخنا وتعويده الخير وترك الفضول التي لا فائد لها، والبرّ بالناس، وحسن القول فيهم.

وحق السمع تنزيهه عن سماع الغيبة وسماع ما لا يحلّ سماعه.

وحق البصر أن تغضه عما لا يحل لك، وتعتبر بالنظر به.

وحق يديك أن تبسطهما الى ما لا يحل لك.

وحق رجليك أن لا تمشي بهما الى ما لا يحل لك، فبهما تقف على الصراط، فانظر ان لا تزل بك فتردى في النار.

وحق بطنك أن لا تجعله وعاءً للحرام، ولا تزيد على الشبع.

وحق فرجك عليك أن تحصنه من الزنا، وتحفظه من أن ينظر اليه.

وحق الصلاة أن تعلم انها وفادة الى الله عزوجل وأنت فيها قائم بين يدي الله، فاذا علمت ذلك قمت مقام العبد الذليل الحقير الراغب الراهب الراجي الخائف المستكين المتضرع المعظم لمن كان بين يديه بالسكون والوقار، وتقبل عليها بقلبك وتقيمها بحدودها وحقوقها.

وحق الصوم ان تعلم انه وفادة الى ربك وفرار اليه من ذنوبك، وفيه قبول توبتك، وقضاء الفرض الذي اوجبه الله عليك.

وحق الصوم ان تعلم انه حجاب ضرب الله عزوجل على لسانك وسمعك وبصرك وبطنك وفرجك يسترك به من النار، فان تركت الصوم خرقت ستر الله عليك.

وحق الصدقة أن تعلم انها ذخرك عند ربك ووديعتك التي لا تحتاج الى الاشهاد عليها وكنت بما تستودعه سرّاً، أوفق منك بما تستودعه علانية، وتعلم انها تدفع عنك البلايا والأسقام في الدنيا، وتدفع عنك النار في الآخرة.

وحق الهدى أن تريد به الله عزوجل، ولا تريد خلقه ولا تريد به الا التعرض لرحمته ونجاة روحك يوم تلقاه.

وحق السلطان أن تعلم انّك جعلت له فتنة، وانّه مبتلى فيك بما جعل الله له عليك من السلطان، وانّ عليك أن لا تتعرض لسخطه فتلقي بيدك الى التهلكة وتكون شريكاً له فيما يأتي اليك من سوء (هذا في مورد التقية وأما في غيره فقد ورد ان افضل من ذلك كلمة حق عند امام جائر).

وحق سائسك بالعلم التعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع اليه، والاقبال عليه، وان لا ترفع عليه صوتك، ولا تجيب أحداً يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدث في مجلسه أحداً، ولا تغتاب عنده أحداً، وان تدفع عنه اذا ذكر عندك بسوء، وان تستر عورته وتظهر مناقبه ولا تجالس له عدوّاً ولا تعادي له وليّاً فاذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بانّك قصدته، وتعلّمت علمه لله جلّ اسمه لا للناس.

وأمّا حق سائسك بالملك فان تطيعه ولا تعصيه الاّ فيما يسخط الله عزوجل فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وأما حق رعيتك بالسلطان فان تعلم انهم صاروا رعيتك لضعفهم وقوتك فيجب أن تعدل فيهم، وتكون لهم كالوالد الرحيم، وتغفر لهم جهلهم، ولا تعاجلهم بالعقوبة، وتشكر الله عزوجل على ما أتاك من القوة عليهم.

وأما حق رعيتك بالعلم فان تعلم ان الله عزوجل إنّما جعلك قيّماً عليهم فيما آتاك من العلم، وفتح لك من خزانته، فان احسنت في تعليم الناس ولم تخرق بهم ولم تضجر عليهم زادك الله من فضله، وان أنت منعت الناس علمك او خرقت بهم عند طلبهم العلم منك كان حقاً على الله عزوجل ان يسلبك العلم و بهاءه، و يسقط من القلوب محلك.

وأما حق الزوجة فان تعلم ان الله عزوجل جعلها لك سكناً وانساً، فتعلم ان ذلك نعمة من الله عزوجل عليك فتكرمها وترفق بها، وان كان حقك عليها أوجب فان لها عليك أن ترحمها، لانها أسيرك، وتطعمها وتكسوها، واذا جهلت عفوت عنها.

وأما حق مملوكك فان تعلم انه خلق ربّك وابن أبيك، وأمك ولحمك ودمك لم تملكه لانك صنعته دون الله، ولا خلقت شيئاً من جوارحه، ولا أخرجت له رزقاً، ولكنّ الله عزوجل كفاك ذلك ثم سخّره لك وأئتمنك عليه واستودعك ايّاه ليحفظ لك ما تأتيه من

خير اليه، فأحسن اليه كما أحسن الله اليك، وإن كرهته إستبدلت به ولم تعذب خلق الله عزوجل ولا قوة إلاّ بالله.

وأما حق أمّك أن تعلم انها حملتك حيث لا يحتمل أحد أحداً، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطي أحد أحداً، ووقتك بجميع جوارحها، ولم تبال أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعرى وتكسوك، وتضحى وتضلّك، وتهجر النوم لأجلك، ووقتك الحرّ والبرد لتكون لها، وانك لا تطيق شكرها الاّ بعون الله وتوفيقه.

وأما حق أبيك فان تعلم انه أصلك فانه لولاه لم تكن، فمهما رأيت من نفسك ما يعجبك فاعلم ان اباك اصل النعمة عليك فيه، فاحمد الله واشكره على قدر ذلك ولا قوة الا بالله.

وأما حق ولدك فان تعلم انّه منك ومضاف اليك في عاجل الدنيا بخيره وشرّه، وانك مسؤول عمّا وليته من حسن الأدب والدلالة على ربّه عزوجل، والمعونة على طاعته، فاعمل في أمره عمل من يعلم انه مثاب على الاحساب اليه، معاقب على الأساءة اليه.

وأما حق أخيك فان تعلم انه يدك وعزك وقوتك فلا تتخذه سلاحاً على معصية الله، ولا عدة للظلم لخلق الله، ولا تدع نصرته على عدوه والنصيحة له، فان أطاع الله والاّ فليكن الله أكرم عليك منه، ولا قوة ألاّ بالله.

وأما حق مولاك المنعم عليك فان تعلم انه أنفق فيك ماله، وأخرجك من ذل الرق ووحشته الى عزّ الحرية وأنسها فأطلقك من أسر الملكة، وفك عنك قيد العبودية، وأخرجك من السجن، وملّكك نفسك، وفرغك لعبادة ربك، وتعلم انه أولى الخلق بك في موتك، وان نصرته عليك واجبة بنفسك، وما احتاج اليه منك، ولا قوة إلاّ بالله.

وأما حق مولاك الذي أنعمت عليه، فان تعلم ان الله عزوجل جعل عتقك له وسيلة اليه وحجاباً لك من النار، وان ثوابك في العاجل ميراثه اذا لم يكن له رحم مكافاة لما أنفقت من مالك، وفي الآجل الجنة.

وأما حق ذي المعروف عليك فان تشكره وتذكر معروفه، وتكسبه المقالة الحسنة، وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله عزوجل، فاذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سرّاً وعلانية ثم ان قدرت على مكافأته يوماً كافيته.

وأما حق المؤذن أن تعلم انه مذكر لك ربك عزّوجل، وداع لك الى حظك وعونك على قضاء فرض الله عزوجل عليك فاشكره على ذلك شكر المحسن اليك.

وأما حق امامك في صلاتك أن تعلم انه تقلّد السفارة فيما بينك وبين ربك عزوجل، وتكلّم عنك ولم تتكلّم عنه، ودعا لك ولم تدع له، وكفاك هول المقام بين يدي الله عزوجل، فان كان نقص كان به دونك، وان كان تمام كنت شريكه، ولم يكن له عليك فضل فوقى نفسك بنفسه، وصلاتك بصلاته فتشكر له على قدر ذلك.

وأما حق جليسك فان تلين له جانبك، وتنصفه في مجاراة اللفظ، ولا تقوم من مجلسك الاّ باذنه، ومن يجلس اليك يجوز له القيام عنك بغير اذنك، وتنسى زلاته، وتحفظ خيراته، ولا تسمعه الاّ خيراً.

وأما حق جارك فحفظه غائباً واكرامه شاهداً، ونصرته اذا كان مظلوماً، ولا تتبع له عورة، فان علمت عليه سوءاً سترته عليه وان علمت انه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه، ولا تسلمه عند شديدة، وتقيل عثرته، وتغفر ذنبه، وتعاشره معاشرة كريمة، ولا قوة الاّ بالله.

وأما حق الصاحب فان تصحبه بالتفضل والانصاف، وتكرمه كما يكرمك، ولا تدعه يسبق الى مكرمة، فان سبق كافيته، وتوده كما يودك وتزجره عما يهم به من معصية الله، وكن عليه رحمة، ولا تكن عليه عذاباً، ولا قوة إلاّ بالله.

وأما حق الشريك فان غاب كافيته، وان حضر رعيته، ولا تحكم دون حكمه، ولا تعمل برأيك دون مناظرته، وتحفظ عليه ماله، ولا تخنه فيما عزّ أو هان من أمره فان يد الله تبارك وتعالى على الشريكين ما لم يتخاونا، ولا قوة إلاّ بالله.

وأما حق مالك فأن لا تأخذه إلاّ من حلّه، ولا تنفقه إلاّ في وجهه، ولا تؤثر على نفسك من لا يحمدك فاعمل به بطاعة ربك، ولا تبخل به فتبوء بالحسرة والندامة مع التبعة ولا قوة إلاّ بالله.

وأما حق غريمك الذي يطالبك فان كنت موسراً أعطيته وان كنت معسراً أرضيته بحسن القول، ورددته عن نفسك ردّاً لطيفاً.

وحق الخليط ان لا تغرّه ولا تغش ولا تخدعه وتتقي الله في أمره.

وأما حق الخصم المدّعي عليك فان كان ما يدّعيه عليك حقاً كنت شاهده على نفسك ولم تظلمه وأوفيته حقه، وان كان ما يدعى باطلاً رفقت به، ولم تأت في أمره غير الرفق، ولم يسخط ربّك في أمره، ولا قوة إلاّ بالله.

وحق خصمك الذي تدعي عليه ان كنت محقاً في دعواك أجملت مقاولته ولم تجحد حقّه، وان كنت مبطلاً في دعواك اتقيت الله عزوجل وتبت اليه، وتركت الدعوى.

وحق المستشير ان علمت ان له رأياً حسناً أشرت عليه، وان لم تعلم له أرشدته الى من يعلم.

وحق المشير عليك أن لا تتهمه فيما لا يوافقك من رأيه، وان وافقك حمدت الله عزوجل.

وحق المستنصح ان تؤدي اليه النصيحة وليكن مذهبك الرحمة له والرفق.

وحق الناصح أن تلين له جناحك وتصغي اليه بسمعك، فان أتى بالصواب حمدت الله عزوجل، وان لم يوافق رحمته ولم تتهمه وعلمت انه أخطأ ولم تؤاخذه بذلك الا أن يكون مستحقاً للتهمة فلا تعبأ بشيء منْ أمره على حال، ولا قوة إلاّ بالله.

وحق الكبير توقيره لسنّه واجلاله لتقدمه في الاسلام ولا تستجهله، وان جهل عليك احتملته وأكرمته لحق الاسلام وحرمته.

وحق الصغير رحمته من نوى تعليمه، والعفو عنه، والستر عليه، والرفق به، والمعونة له.

وحق السائل اعطاؤه على قدر حاجته.

وحق المسؤول ان أعطى فاقبل منه بالشكر والمعرفة بفضله، وان منع فاقبل عذره.

وحق من سرك لله تعالى ان تحمد الله عزوجل أولاً ثم تشكره.

وحق من أساء اليك أن تعفو عنه وان علمت ان العفو يضر انتصرت، قال الله تعالى:

«ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل»(الشورى/٤١)

وحق أهل ملّتك اضمار السلامة والرحمة لهم، والرفق بمسيئهم وتألفهم، واستصلاحهم، وشكر محسنهم، وكف الاذى عن مسيئهم، وتحب لهم ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك وأن تكون شيوخهم بمنزلة أبيك، وشبابهم بمنزلة أخوتك،

وعجائزهم بمنزلة أمك، والصغار منهم بمنزلة أولادك.

وحق الذمّة أن تقبل منهم ما قبل الله عزوجل منهم ولا تظلمهم ما وفوا الله عزوجل بعهده.

إنصاف الناس حتى من النفس

عن ابن محبوب، عن بعض أصحابه، عن ابي عبدالله(ع) قال:

[من أنصف الناس من نفسه رُضي به حكما لغيره].

وعن السّكوني، عن ابي عبدالله(ع) قال: قال رسول الله(ص):

[سيّد الاعمال انصاف الناس من نفسك، ومواساة الأخ في الله وذكر الله على كلّ حال].

وعن زرارة عن ابي جعفر(ع) قال: قال اميرالمؤمنين(ع) في كلام له:

[الا انّه من ينصف الناس من نفسه لم يزده الله الاّ عزاً].

وعن محمد بن مسلم، عن ابي عبدالله(ع) قال:

[ثلاث هم اقرب الخلق الى الله يوم القيامة حتى يفرغ من الحساب: رجل لم تدعه قدرته في حال غضبه ان يحيف على من تحت يده، ورجل مشى بين اثنين فلم يمل مع احدهما على الآخر بشعيرة، ورجل قال بالحق فيما له وعليه].

وعن جعفر بن ابراهيم الجعفري، عن ابي عبدالله(ع) قال: قال رسول الله(ص):

[من واسى الفقير من ماله وانصف الناس من نفسه فذلك المؤمن حقاً].

وعن ابي حمزة الثمالي، عن عليّ بن الحسين(ع) قال: كان رسول الله(ص) يقول في آخر خطبته:

[طوبى لمن طاب خلقه، وطهرت سجيّته، وصلحت سريرته، وحسنت علانيته، وانفق الفضل من ماله، وامسك الفضل من قوله وانصف الناس من نفسه].

وعن معاوية بن وهب، عن ابي عبدالله(ع) قال:

[من يضمن لي أربعة بأربعة أبيات في الجنة: انفق ولا تخف فقراً، وافش السلام في العالم واترك المراء وان كنت محقا، وانصف الناس من نفسك].

وعن أبي عبيدة الحذّاء، عن أبي عبدالله(ع) قال:

[الا اخبرك باشدّ ما افترض الله على خلقه؟ انصاف النّاس من انفسهم، ومواساة الاخوان في الله عزّوجل، وذكر الله عزّوجّل على كلّ حال، فان عرضت له طاعة عمل بها، وان عرضت له معصية تركها].

وعن علي بن ميمون الصّائغ قال: سمعت اباعبدالله الصّادق(ع) يقول:

[من اراد ان يسكنه الله جنّته فليحسن خلقه، وليعط النصفه من نفسه، وليرحم اليتيم وليعن الضّعيف وليتواضع لله الذي خلقه].

وعن معاوية، عن ابيه قال: سمعت أباعبدالله(ع) يقول:

[ما نصح الله عبد في نفسه فاعطى الحق منها واخذ الحق لها الاّ اعطي خصلتين، رزقاً من الله يسعه، ورضا عن الله يغنيه].

احبّ لأخيك ما تحبه لنفسك..

عن أبي البلاد رفعه قال: (جاء اعرابي الى النبي(ص) فقال: يا رسول الله علّمني عملاً أدخل به الجنة فقال:

[ما أحببت أن يأتيه الناس إليك فانه اليهم وما كرهت أن يأتيه الناس اليك فلا تأته اليهم]

وعن يعقوب بن شعيب، عن ابي عبدالله(ع) قال:

[أوحى الله إلى آدم(ع) أني سأجمع لك الكلام في اربع كلمات]

الى ان قال:

[واما التي بينك وبين النّاس فترضى للناس ما ترضى لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك].

وعن عثمان بن جبلة، عن أبي جعفر(ع) قال: قال رسول الله(ص):

[ثلاث خصال من كن فيه أو واحدة منهنّ كان في ظلّ عرش الله يوم لا ظلّ إلاّ ظله: رجل أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم ورجل لم يقدم رجلاً ولم يؤخر رجلاً حتى يعلم ان ذلك لله رضاه ورجل لم يعب أخاه المسلم بعيب حتى ينفي ذلك العيب عن نفسه فانّه لا ينفي منها عيباً إلاّ بدا له عيب وكفى بالمرء شغلاً بنفسه عن الناس].

وعن أبي ذر، عن رسول الله(ص) (في حديث) قال: قلت: يا رسول الله أوصني قال: أوصيك بتقوى الله فانه رأس الأمر كلّه.

قلت: زدني، قال: عليك بتلاوة القرآن وذكر الله كثيراً.

قلت: زدني، قال: عليك بطول الصّمت.

قلت: زدني، قال: إياك وكثرة الضحك.

قلت: زدني، قال: عليك بحبّ المساكين ومجالستهم.

قلت: زدني، قال: قل الحق وان كان مرّاً.

قلت: زدني، قال: لا تخف في الله لومة لائم.

قلت: زدني، قال: ليحجزك عن الناس، ما تعلم من نفسك ولا تجد عليهم فيما تأتي مثله ثم قال: كفى بالمرء عيبا ان يكون فيه ثلاث خصال: يعرف من النّاس ما يجهل من نفسه، و يستحي لهم مما هو فيه، و يؤذي جليسه فيما لا يعنيه، ثم قال: يا ابا ذر لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق.

وقال الصادق(ع):

[من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره، ومن رضى رزق الله لم يحزن على ما فاته (الى ان قال): ومن نظر في عيوب النّاس ثم رضيها لنفسه فذلك الأحمق بعينه].

وقال (ع):

[أكبر العيب أن تعيب ما فيك مثله].

وعن رسول الله(ص) إنه قال:

[كان بالمدينة أقوام لهم عيوب فسكتوا عن عيوب الناس فأسكت الله عن عيوبهم الناس فماتوا ولا عيوب لهم عند الناس، وكان بالمدينة أقوام لا عيوب لهم فتكلّموا في عيوب الناس فاظهر الله لهم عيوباً لم يزالوا يعرفون بها الى ان ماتوا].

كراهة الخُرْق واساءة الخلُق

عن إبن أبي ليلى عن أبي جعفر(ع) قال:

[من قسم له الخرق حجب عنه الايمان].

وعن جابر، عن أبي جعفر(ع) قال: قال رسول الله(ص):

[لو كان الخرق خلقاً يرى ما كان في شيء من خلق الله أقبح منه].

وعن السكوني، عن أبي عبدالله(ع) قال: قال النبي(ص):

[أبى الله لصاحب الخلق السّيء بالتوبة، قيل: وكيف ذاك يا رسول الله، قال لأنه اذا تاب من ذنب وقع في ذنب أعظم منه].

وعن سيف بن عميرة، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله(ع) قال:

[إنّ سوء الخلق ليفسد الايمان كما يفسد الخلّ العسل].

وعن اسحاق بن غالب، عن أبي عبدالله(ع) قال:

[من ساء خلقه عذب نفسه].

وعن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله(ع) قال: أوصى الله عزوجل الى بعض انبيائه:

[الخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل].

وفي (عيون الأخبار) عن الرضا، عن آبائه(ع) قال: قال رسول الله(ص):

[عليكم بحسن الخلق فان حسن الخلق في الجنة لا محالة، وإياكم وسوء الخلق فان سوء الخلق في النار لا محالة].

وعن مسعدة بن صدقة، عن جعفر، عن أبيه(ع) قال: قال علي(ع):

[ما من ذنب إلاّ وله توبة، وما من تائب إلاّ وقد تسلم له توبته ما خلا السيء

الخلق لانّه لا يتوب من ذنب إلاّ وقع في غيره اشرّمنه].

التحلي بمكارم الأخلاق

عن عبدالله بن بكير، عن ابي عبدالله(ع) قال:

[إنّا لنحب من كان عاقلاً فهما فقيهاً حليماً مدارياً صبوراً صدوقاً وفياً، إنَّ الله عزّوجل خص الأنبياء بمكارم الأخلاق، فمن كانت فيه فليحمد الله على ذلك، ومن لم تكن فيه فليتضرع إلى الله عزوجل وليسأله اياها].

قال: قلت: جعلت فداك وما هنّ؟ قال:

[هنَّ الورع والقناعة والصبر والشكر والحلم والحياء والسخاء والشجاعة والغيرة والبر وصدق الحديث واداء الأمانة].

وعن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله(ص): (ألا أخبركم بخير رجالكم؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: ان خير رجالكم التقي النقي السمح الكفين، النقي الطرفين، البر بوالديه ولا يلجىء عياله الى غيره].

وعن الحسن بن محبوب، عن بعض أصحابه، عن أبي عبدالله(ع) قال:

[إن الله عزوجل ارتضى لكم الاسلام ديناً فاحسنوا صحبته بالسخاء وحسن الخلق].

وعن السكوني، عن أبي عبدالله(ع) قال: قال امير المؤمنين(ع):

[الأيمان أربعة أركان: الرضا بقضاء الله، التوكل على الله، وتفويض الأمر إلى الله، والتسليم لأمر الله].

وعن حماد بن عثمان قال: جاء رجل الى الصادق(ع) فقال: يا بن رسول الله أخبرني عن مكارم الاخلاق فقال:

[العفو عمن ظلمك، وصلة من قطعك، واعطاء من حرمك، وقول الحق ولو على نفسك].

وعن جرّاح المدائني قال: قال لي أبوعبدالله(ع):

[ألا أحدثك بمكارم الاخلاق؟ الصفح عن الناس، ومواساة الرجل أخاه في ماله، وذكر الله كثيراً].

وعن المفضل بن عمر، عن الصادق جعفر بن محمد(ع) انه قال:

[عليكم بمكارم الأخلاق فان الله عزّوجل يحبها وايّاكم ومذامّ الافعال فان الله عزوجل يبغضها، وعليكم بتلاوة القرآن ــ الى ان قال ــ وعليكم بحسن الخلق فانه يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم، وعليكم بحسن الجوار، فانّ الله جلّ جلاله أمر بذلك، وعليكم بالسواك، فانه مطهرة وسنة حسنة وعليكم بفرائض الله فادّوها، وعليكم بمحارم الله فاجتنبوها].

أقسام الصبر

عن هشام بن الحكم، عن أبي عبدالله(ع) قال:

[اذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنة فيقال: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر فيقال لهم: على مَ صبرتم؟ فيقولون: كنا نصبر على طاعة الله، ونصبر عن معاصي الله، فيقول الله عزوجل صدقوا أدخلوهم الجنة، وهو قول الله عزوجل:

«إنما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب»(١٠/الزمر).

وعن الأصبغ قال: قال أميرالمؤمنين(ع):

[الصبر صبران: صبر عند المصيبة حسن جميل، وأحسن من ذلك الصبر عند ما حرم الله عليك، والذكر ذكران: ذكر الله عزوجل عند المصيبة، وأفضل من ذلك ذكر الله عندما حرم الله عليك فيكون حاجزا].

وعن أبي حمزة قال: قال أبوجعفر(ع): (لما حضرت علي بن الحسين(ع) الوفاة ضمني الى صدره قال: يابني اوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة، ومما ذكر أن أباه أوصاه به: يا بني أصبر على الحق وإن كان مراً).

وعن عثمان بن عيسى، عن بعض أصحابه، عن أبي عبدالله(ع) قال:

[اصبروا على الدنيا فانما هي ساعة فان ما مضى منه لا تجد له ألماً ولا سرورا،

وما لم يجيء فلا تدري ما هو، وإنما هي ساعتك التي أنت فيها، فاصبر فيها على طاعة الله، واصبر فيها عن معصية الله].

وعن عمرو بن شمر اليماني، يرفع الحديث الى علي(ع) قال: قال رسول الله(ص):

[الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة، وصبر عند الطاعة، وصبر عن المعصية، فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين السماء والأرض، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الأرض الى العرش، ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى منتهىٰ العرش] .

وفي (نهج البلاغة): عن أميرالمؤمنين(ع) إنه قال:

[الصبر صبران: صبر على ما تحبّ، وصبر على ما تكره ،ثم قال(ع): إن وليّ محمد من أطاع الله وان بعدت لحمته، وإنّ عدوّ محمد من عصى الله وإن قربت قرابته].

قال: وقال (ع):

[شتان بين عملين: عمل تذهب لذته وتبقى تبعته، وعمل تذهب مؤونته ويبقى أجره].

الصبر الشامل

عن حفص بن غياث، قال: قال أبوعبدالله(ع) (يا حفص ان من صبر صبرَ قليلاً، وان من جزع جزعَ قليلاً ثم قال: عليك بالصبر في جميع أمورك، فان الله عزوجل بعث محمداً(ص) فأمره بالصبر والرفق، فقال:

«واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً * وذرني والمكذبين أولي النعمة»(١٠ــ١١/المزمل).

وقال:

«ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم* وما يلقاها إلاّ الذين صبروا وما يلقاها إلاّ ذو حظ عظيم»(٣٤ـ٣٥/فصلت).

فصبر حتى نالوه بالعظائم، ورموه بها فضاق صدره فانزل الله تعالى عليه:

«ولقد نعلم انك يضيقُ صدرك بما يقولون* فسبّح بحمد ربك وكن من الساجدين»(٩٧ـ٩٨/الحجر).

ثم كذّبوه ورموه فحزن لذلك فانزل الله تعالى:

«قد نعلم إنّه ليحزنك الذي يقولون فانّهم لا يكذّبوك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون، ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى أتاهم نصرنا»(٣٣ـ٣٤/الانعام).

فألزم النبي(ص) نفس الصبر فتعدّوا فذكر الله تبارك وتعالى فكذّبوه فقال: قد صبرت في نفسي وأهلي وعرضي ولا صبر لي على ذكر الهي فأنزل الله عزّوجل:

«فاصبر على ما يقولون»(١٣٠/طه).

فصبر في جميع أحواله، ثم بشر في عترته بالأئمة(ع) ووصفوا بالصبر فقال جلّ ثناؤه:

«وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون»(٢٤/السجدة).

فعند ذلك قال النبي(ص): الصبر من الايمان كالرأس من الجسد، فشكر الله ذلك له فأنزل الله:

«وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون»(١٣٧/الاعراف).

فقال: انه بشرى وانتقام، فأباح الله تعالى له قتال المشركين فانزل الله تعالى:

«اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد»(٥/التوبة)

فقتلهم الله تعالى على يدي رسول الله(ص) وأحبائه وجعل له ثواب صبره مع ما ادّخر له في الآخرة، فمن صبر واحتسب لم يخرج من الدنيا حتى يقر الله له عينه في أعدائه مع ما يدخر له في الآخرة).

وعن العزرمي، عن أبي عبد الله(ع) قال: قال رسول الله(ص):

[سيأتي على الناس زمان لا ينال فيه الملك إلاّ بقتل الى ان قال: فمن ادرك ذلك الزمان فصبر على الفقر وهو يقدر على العزّ آتاه الله ثواب خمسين صديقاً ممن صدّق بي].

وعن محمد بن علي بن الحسين باسناده الى اميرالمؤمنين(ع) (في وصية لمحمد بن الحنفية) قال:

[ألق عنك واردات الهموم بعزائم الصبر، وعود نفسك الصبر فنعم الخلق الصبر، واحملها على ما أصابك من أهوال الدنيا وهمومها].

وعن عبدالله بن ميمون، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه(ع) قال: قال الفضل بن عباس: قال رسول الله(ص):

[ان استطعت ان تعمل بالصبر مع اليقين فافعل، فان لم تستطع فاصبر فان في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، واعلم انّ النصر مع الصبر وانّ الفرج مع الكرب، فانّ مع العسر يسرا، إنّ مع العسر يسرا].

وعن أبي بصير، عن أبي عبدالله(ع) قال: سمعت أباجعفر(ع) يقول:

[إنّي لأصبر من غلامي هذا ومن أهلي على ما هو امّر من الحنظل انه من صبر نال بصبره درجة الصائم القائم، ودرجة الشهيد الذي قد ضرب بسيفه قدام محمد(ص)].

وقال (ع):

[من لم ينجه الصبر أهلكه الجزع].

وعن الحسن بن محمد الديلمي، عن الصادق(ع) انه جاءت إليه امرأة فقالت ان ابني سافر عني وقد طالت غيبته عني واشتد شوقي اليه فادع الله لي، فقال لها: عليك بالصبر، فاستعملته، ثم جاءت بعد ذلك فشكت اليه طول غيبة ابنها، فقال لها: ألم أقل لك عليك بالصبر، فقالت: يا بن رسول الله كم الصبر فوالله لقد فني الصبر، فقال: ارجعي الى منزلك تجدي ولدك قد قدم من سفره، فنهضت فوجدته قد قدم، فاتت به اليه فقالت: اوحي بعد رسول الله(ص)؟ قال: لا، ولكن عند فناء الصبر يأتي الفرج، فلما قلت فني الصبر عرفت ان الله قد فرّج عنك بقدوم ولدك.

تسكين الغضب

عن صفوان الجمال قال: قال ابوعبدالله(ع):

[انّما المؤمن الذي اذا غضب لم يخرجه غضبه من حقّ، واذا رضى لم يدخله رضاه في باطل، واذا قدر لم يأخذ اكثر ممّا له].

وعن السكوني، عن أبي عبدالله(ع) قال: قال رسول الله(ص):

[الغضب يفسد الايمان كما يفسد الخل العسل].

وعن داود بن فرقد قال: قال ابوعبدالله(ع):

[الغضب مفتاح كل شرّ].

وعن ميسر قال: ذكر الغضب عند أبي جعفر(ع) قال:

[انّ الرجل ليغضب فما يرضى ابداً حتى يدخل النار، فايّما رجل غضب على قوم وهو قائم فليجلس من فوره ذلك، فانّه يذهب عنه رجز الشيطان، وايّما رجل غضب على ذي رحم فليدن منه فليمسه فان الرحم اذا مسّت سكنت].

وعن أبي حمزة، عن أبي جعفر(ع) قال: قال رسول الله(ص):

[من كفّ نفسه عن اعراض الناس أقال الله نفسه يوم القيامة، ومن كفّ غضبه عن الناس كفّ الله تبارك وتعالى عنه عذاب يوم القيامة].

وعن القاسم بن سليمان، عن أبي عبدالله(ع): (في حديث) قال: سمعت أبي يقول: (أتى رسول الله(ص) رجل بدّوي، فقال: إنّي أسكن البادية فعلّمني جوامع الكلم، فقال آمرك ان لا تغضب، فاعاد عليه الاعرابي المسألة ثلاث مرات حتى رجع الرجل الى نفسه، فقال: لا أسأل عن شيء بعد هذا ما أمرني رسول الله(ص) إلاّ بالخير، فقال: وكان أبي يقول: أي شيء أشدّ من الغضب انّ الرجل ليغضب فيقتل النفس التي حرّم الله، و يقذف المحصنة).

وعن عبد الاعلى قال: قلت لأ بي عبدالله(ع): علّمني عظة اتعظ بها، فقال: (ان رسول الله(ص) أتاه رجل فقال: يا رسول الله(ص) علّمني عظة أتعظ بها، فقال: انطلق فلا تغضب، ثم عاد اليه فقال: انطلق فلا تغضب ثلاث مرات).

وعن سيف بن عميرة، عمن سمع اباعبدالله(ع) يقول:

[من كف غضبه ستر الله عورته].

وعن حبيب السجستاني، عن ابي جعفر(ع) قال:

[مكتوب في التوراة فيما ناجى الله به موسى(ع) يا موسى أمسك غضبك عمّن ملكتك عليه اكف عنك غضبي].

وعن أحمد، عن بعض أصحابه رفعه، قال: قال ابوعبدالله(ع):

[الغضب ممحقة لقلب الحكيم].

وقال:

[من لم يملك غضبه لم يملك عقله].

وعن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر(ع) قال:

[انّ هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في قلب ابن آدم، وانّ احدكم اذا غضب احمرّت عيناه، وانتفخت أوداجه، ودخل الشيطان فيه، فاذا خاف أحدكم ذلك من نفسه فليلزم الأرض، فانّ رجز الشيطان ليذهب عنه عند ذلك].

وعن ابي حمزة الثمالي، عن ابي جعفر(ع) قال:

[من كفّ غضبه عن الناس كفّ الله عنه عذاب يوم القيامة].

وعن محمد بن علي بن الحسين(ع) قال: (مر رسول الله(ص) بقوم يتشايلون حجرا فقال: ما هذا؟ فقالوا: نختبر أشدّنا وأقوانا، فقال: الا أخبركم بأشدّكم وأقواكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: اشدّكم وأقواكم الذي اذا رضى لم يدخله رضاه في إثم ولا باطل، واذا سخط لم يخرجه سخطه من قول الحق، واذا ملك لم يتعاط ما ليس له بحق).

وعن عبدالله بن سنان، عن ابي عبدالله(ع) قال: (قال الحواريّون لعيسى(ع): ايّ الأشياء اشدّ؟ قال: اشد الأشياء غضب الله عزّوجل، قالوا: بما نتّقي غضب الله؟ قال: بان لا تغضبوا، قالوا: وما بدء الغضب؟ قال: الكبر والتجّبر ومحقرة الناس).

وعن عبدالله بن الحسن، عن امه فاطمة بنت الحسين(ع) قالت: قال رسول الله(ص):

[ثلاث من كنّ فيه يستكمل خصال الايمان: الذي اذا رضى لم يدخله رضاه

في باطل، واذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق، واذا قدر لم يتعاط ما ليس له].

وعن عبدالله بن سنان قال: قال ابوعبدالله(ع):

[أوحى الله عزوجل الى بعض انبيائه يا بن آدم أذكرني في غضبك اذكرك في غضبي لا أمحقك فيمن أمحق، وأرض بي منتصراً، فان انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك].

٧ ــ التعامل مع السلطات :

الحكومات في بلاد الاسلام مكروهة عند الشعوب عادة وخصوصاً في هذا القرن الأخير لأن هذه الحكومات مستبدة (أولاً).

وعميلة للغرب والشرق على الأغلب (ثانياً).

وسبع ضار ــ حسب تعبير الامام أمير المؤمنين(ع)ــ بالنسبة الى الأمة (ثالثا).

وغير عاملة بقوانين الاسلام، وهو دين الناس (رابعاً).

وعليه فكل اقتراب من الحكومة يوجب انفضاض الناس من حول المتقرب فرداً كان أو هيئة أو جماعة أو جمعية أو منظمة أو حزباً أو ما أشبه.

والاحزاب والتنظيمات الاسلامية على الأغلب تقترب من الحكومات ــ سواء حكومات بلادهم أو الحكومات المعادية لحكومة بلدهم ــ بأخذ المال منهم، ومدحهم، والمسايرة معهم، ولذا تنفصل عن الأمة فلا تتمكن ان تتفاعل معها وتوجهها كما تريد، وبعد ذلك لا ينفع صياح الأحزاب بأن الأمة جاهلة أو متوانية أو غافلة أو تسير مسيراً غير صحيح، فان الأمة تعرف الى من تقترب وعمن تبتعد.

الاسلام ينهى عن التعامل مع الحكام

ولذا نرى التحذير الشديد ــ من قبل النبي(ص) والأئمة(ع)ــ عن العمل مع السلطان والاقتراب معه اذا كان فاسداً.

ففي الصحيح، عن موسى بن جعفر، عن آبائه(ع) قال رسول الله(ص):

[ما قرب عبد من سلطان إلاّ تباعد من الله].

وفي حديث آخر، قال (ص):

[من نكث بيعة، أو رفع لواء الضلالة، أو كتم علما، أو اعتقل مالا ظلما، أو أعان ظالماً على ظلمه وهو يعلم انه ظالم فقد برء من الاسلام].

وقال (ص):

[إياكم وأبواب السلطان وحواشيها، وأبعدكم من الله من آثر سلطانا على الله فجعل الميتة في قلبه ظاهرة وباطنة واذهب عنه الورع وجعله حيران].

وقال (ص):

[من أرضى سلطانا بما أسخط الله خرج من دين الاسلام].

وقال (ص):

[اذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الظلمة وأعوان الظلمة؟ من لاق لهم دواة، أو ربط لهم كيساً، أو مدّلهم مدة أحشروه معهم].

وقال (ص):

[الفقهاء أمناء الرسل مالم يدخلوا في الدنيا]

قيل: يا رسول الله فما دخولهم في الدنيا؟

قال (ص):

[اتباع السلطان، فاذا فعلوا ذلك فاحذروهم على أديانكم].

وفي حديث انه دخل على الصادق(ع) رجل فمتّ له (أي حلف له) بالايمان إنه من أوليائه، فولّى عنه وجهه، فدار الرجل اليه وعاود اليمين فولى عنه، فأعاد اليمين ثالثة فقال(ع) له: (يا هذا من اين معاشك).

فقال: اني اخدم السلطان واني والله لك محب.

فقال (ع): (روى أبي عن أبيه عن جده (ع)، عن رسول الله(ص) انه قال: اذا كان يوم القيامة نادى مناد من السماء من قبل الله عزوجل أين الظلمة أين أعوان الظلمة؟ اين من برىٰ لهم قلماً؟ اين من لاق لهم دواة؟ أين من جلس معهم ساعة؟ فيؤتى بهم جميعاً فيؤمر بهم أن يضرب عليهم بسور من نار، فهم فيه حتى يفرغ الناس من الحساب، ثم يؤمر بهم الى النار).

وروىٰ الحسن بن علي بن شعبة، عن أميرالمؤمنين(ع) انه قال لكميل: (يا كميل لا تطرق أبواب الظالمين للاختلاط بهم والاكتساب معهم، واياك ان تعظمهم وتشهد في مجالسهم بما يسخط الله عليك).

وعن يونس بن يعقوب، عن أبي عبدالله(ع) قال:

[ملعون ملعون عالم يؤم سلطانا جائراً معينا له على جوره].

وعن رسول الله(ص) انه قال:

[من ترك معصية الله مخافة من الله أرضاه الله يوم القيامة، ومن مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم انه ظالم فقد خرج من الايمان].

وقال (ص):

[شر الناس المثلث].

قيل: يا رسول الله ما المثلث؟ قال:

[الذي يسعى بأخيه الى السلطان فيهلك نفسه و يهلك أخاه و يهلك السلطان].

وقال (ص):

[من مشى مع ظالم فقد أجرم].

وعن الباقر(ع) إنه قال:

[العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلا ثة].

وعن صبيح الكابلي، عن أبي عبدالله(ع) قال:

[من سود إسمه في ديوان بني شيصبان ــ أي بني العباس ــ حشره الله يوم القيامة مسوداً وجهه].

وقال (ص):

[ما من عالم أتى باب سلطان طوعاً إلاّ كان شريكه في كل لون يعذب في نار جهنم].

وقال (ص):

[من تعلم القرآن ثم تفقه في الدين ثم أتى صاحب سلطان تملقاً اليه وطمعاً لما في يديه خاض بقدر خطاه في نار جهنم].

وعن أبي عبدالله(ع) إنه قال:

[ومن أحب بقاء الظالمين فقد أحب أن يعصي الله، إنّ الله تبارك وتعالى حمد

نفسه على هلاك الظالمين فقال:

«فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين»](٤٥/الانعام).

وروي في كشف الغمة، عن ابن حمدون قال: كتب المنصور الى جعفر بن محمد(ع): لم تغشانا كما يغشانا سائر الناس؟ فاجابه (ع): (ليس لنا ما نخافك من أجله، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك، ولا أنت في نعمة فنهينك، ولا تراها نقمة فنعزيك بها، فما نصنع عنك؟).

فكتب اليه: تصحبنا لتنصحنا.

فأجابه (ع): (من أراد الدنيا لا ينصحك، ومن أراد الآخرة لا يصحبك).

فقال المنصور: والله لقد ميّز عندي منازل الناس، من يريد الدنيا ممن يريد الآخرة، وانه ممن يريد الآخرة لا الدنيا.

وعن صفوان قال: دخل على مولاي رجل فقال (ع) له: (أتتقلد لهم عملهم؟).

فقال: بلى يا مولاي.

قال: ولم ذلك؟

قال: اني رجل عليّ عيلة وليس لي مال.

فالتفت إلى أصحابه ثم قال: (من أحب أن ينظر الى رجل يقدّر انه اذا عصى الله رزقه، واذا أطاعه حرمه فلينظر الى هذا).

وعن صفوان عن الكاظم(ع) انه قال في حديث:

[إن الله وعد من تقلد لهم عملا أن يضرب عليهم سرادقا من نار حتى يفرغ الله من حساب الخلائق].

وعن محمد بن عذافر، عن أبيه قال: قال أبوعبدالله(ع): (يا عذافر نبئت انك تعامل أبا أيوب والربيع، فما حالك اذا نودي بك في أعوان الظلمة؟

قال: فوجم أبي.

فقال له أبوعبدالله(ع) لما رأى ما أصابه: (أي عذافر انما خوفتك بما خوفني الله عزوجل به).

قال محمد: فقدم أبي فما زال مغموماً مكروبا حتى مات.

وعن جرير قال: سمعت أباعبدالله(ع) يقول:

وعـن أبي بصير قال: سألت أباجعفر(ع) عن أعمالهم؟ فقال لي: (يا أبامحمد لا، ولا مرة قلم، ان أحداً لا يصيب من دنياهم شيئا الا أصابوا منه دينه مثله).

وعن ابن ابي يعفور قال: كنت عند أبي عبدالله(ع) اذ دخل عليه رجل من أصحابنا فـقـال لـه: جعلـت فـداك إنه ربما أصاب الرجل منا الضيق أو الشدة، فيدعى الى البناء يبنيـه أو النهر يكر بـــه أو المسناة يصلحها، فما تقول في ذلك؟ فقال أبو عبدالله(ع):

[ما أحبّ أنّي عقدت لهم عقدة، أو وكيت لهم وكاءاً وان لي ما بين لابيتـــها، لا ولا مـدة بـقـلـم، أن أعـوان الظلمة يوم القيامة في سرادق من نار حتى يحكم الله بين العباد].

وعن جهم بن حميد قال: قال أبوعبدالله(ع): (أما تغشى سلطان هؤلاء؟).

قلت: لا.

قال: (ولم ؟).

قلت: فرارا بديني.

قال: (وعزمت على ذلك؟).

قلت: نعم.

قال لي: (الآن سلم لك دينك).

وعـن الحسين بـن زيـد، عـن الصادق، عن آبائه(ع)، عن رسول الله(ص) في حديث المناهي قال:

[ألا ومـن علق سوطا بين يدي سلطان جعل الله ذلك السوط يوم القيامة ثعباناً من النار طـــول سبعون ذراعاً يسلطه الله عليه في نار جهنم وبئس المصير].

قال: وقال (ع):

[اذا كـان يـوم الـقيامة نادى مناد أين الظلمة وأعوان الظلمة وأشباه الظلمة؟ حـتى من برا لهم قلماً ولاق لهم دواة؟ فيجتمعون في تابوت من حديد ثم يرمي بهم في جهنم].

وعـن صفوان بن مهران الجمال قال: دخلت على أبي الحسن الأول(ع) فقال لي: (يا

صفوان كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئا واحدا).

قلت: جعلت فداك أي شيء؟

قال: (اكـرؤك جمالك من هذا الرجل) يعني هارون.

قلت: والله ما اكريته إلاّ لهذا الطريق (يعني طريق مكة) ولا اتولاه بنفسي ولكن ابعث معه غلماني.

فقال: يا صفوان أيقع كراؤك عليهم؟

قلت: نعم جعلت فداك.

فقال لي: (أتحب بقائهم حتى يخرج كراؤك؟).

قلت: نعم.

قال: (من أحب بقائهم فهو منهم، ومن كان منهم ورد النار).

قال صفوان: فذهبت فبعت جمالي عن آخرها، فبلغ ذلك الى هارون فدعاني فقال لي: يا صفوان بلغني أنك بعت جمالك؟

قلت: نعم.

قال: ولم؟

قلت: انا شيخ كبير، وان الغلمان لا يفون بالاعمال!

فقال: هيهات هيهات! إني لأعلم من أشار عليك بهذا، أشار عليك بهذا موسى بن جعفر.

قلت: مالي ولموسى بن جعفر؟

فقال: دع هذا عنك، فوالله لولا حسن صحبتك لقتلتك.

وقال (ص):

[من ولى جائرا على جور كان قرين هامان في جهنم].

وعن سهل بن زياد رفعه الى أبي عبدالله(ع)، في قول الله عزوجل:

«ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسّكم النار»(١).

قال: (هو الرجل يأتي السلطان فيحب بقائه الى ان يدخل يده الى كيسه فيعطيه).

---

(١) (هود/١١٣)

وعن محمد بن هشام، عمن أخبره، عن أبي عبدالله(ع) قال: (ان قوما ممن آمن بموسى(ع) قالوا: لو أتانا عسكر فرعون فكنا فيه ونلنا من دنياه حتى اذا كان الذي نرجوه من ظهور موسى(ع) صرنا اليه). ففعلوا فلما توجه موسى(ع) ومن معه هار بين من فرعون ركبوا دوابهم وأسرعوا في السير ليلحقوا موسى(ع) وعسكره فيكونوا معهم فبعث الله ملكا فضرب وجوه دوابهم فردهم الى عسكر فرعون فكانوا فيمن غرق مع فرعون).

وعن محمد بن سالم قال: كنا عند أبي جعفر(ع) على باب داره بالمدينة فنظر الى الناس يرمون أفواجا فقال لبعض من عنده: (حدث بالمدينة أمر؟).

فقال: أصلحك الله ولي المدينة وال فغدا الناس اليه يهنونه فقال: **«ان الرجل ليغدىٰ عليه بالأمر يهنىٰ به وانه لباب من أبوب النار»**.

وعن يحيى بن ابراهيم بن مهاجر قال: قلت لأ بي عبدالله(ع) فلان يقرئك السلام وفلان وفلان.

فقال: (وعليهم السلام).

قلت: يسألونك الدعاء.

قال: (وما لهم؟).

قلت: حبسهم أبوجعفر.

فقال: (وما لهم وماله؟).

فقلت: (وما لهم وماله؟) الم أنههم؟ ألم أنههم؟ ألم أنههم؟ هم النار هم النار).

ثم قال: (اللهم اجدع عنهم سلطانهم).

قال: وانصرفنا من مكة فسألنا عنهم فاذا هم قد اخرجوا بعد الكلام بثلا ثة أيام.

وعن داود بن زربى قال: أخبرني مولى لعلي بن الحسين(ع) قال: كنت بالكوفة فقدم أبوعبدالله(ع) الحيرة فـأتيته فقلت: جعلت فداك لو كلمت داود بن علي أبو بعض هؤلاء فادخل في بعض هذه الو يلات؟

فقال: (ما كنت لأفعل).

ــ الى ان قال الراوي ــ : جعلت فداك ظننت انك انما كرهت ذلك مخافة أن أجور أو

أظلم، وأن كل أمرأة لي طالق وكل مملوك لي حرّ وعليّ ان اظلم أحداً أو جرت عليه وان لم اعدل.

قال: (كيف قلت؟).

فاعدت عليه الأيمان، فرفع رأسه الى السماء فقال: (تناول السماء أيسر عليك من ذلك).

وعن حميد قال: قلت لأ بي عبدالله(ع): إني وليت عملا فهل لي من ذلك مخرج؟

فقال: (ما أكثر من طلب المخرج من ذلك فعسر عليه).

قلت: فما ترى؟

قال: (أرى ان تتقي الله عزوجل ولا تعود بعد).

وعن الحسين بن زيد، عن الصادق، عن آبائه(ع) في حديث المناهي قال: قال رسول الله(ص):

[من تولى عرافة قوم أتى به يوم القيامة و يداه مغلولتان الى عنقه، فان قام فيهم بأمر الله عزوجل أطلقه الله، وان كان ظالما هوى به في نار جهنم وبئس المصير].

وعن مسعدة بن صدقة قال: سأل رجل أبا عبدالله(ع) عن قوم من الشيعة يدخلون في أعمال السلطان يعملون لهم ويجبون لهم و يوالونهم؟ قال: (ليس هم من الشيعة ولكنهم من أولئك).

تنبيه

لكن يجب التنبيه على أنه اذا كان اضطرار، لم يكن بالدخول بأس، سواء كان الاضطرار من جهة تقية كما قال سبحانه:

«الا ان تتقوا منهم تقاة»(٢٨/آل عمران).

أو كان الاضطرار من جهة رفع مظلمة عن الناس على شرط ان يعمل العامل معهم بكتاب الله وسنة رسوله وذلك من باب قاعدة الأهم والمهم.

وهناك روايات تدل على ما ذكرناه:

مثل ما رواه زيد الشحام قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد(ع) يقول:

[من تولى أمراً من امور الناس فعدل وفتح بابه ورفع ستره ونظر في امور الناس كان حقا على الله عزوجل ان يؤمّن روعته يوم القيامة و يدخله الجنة].

ـ وهذا الحديث يدل على المنع عن اتخاذ الحاجب كما هو معروف في سيرة الرسول(ص) وعلي(ع) وهناك روايات ايضا تدل على ذلك ـ.

وعن زياد بن أبي سلمة قال: دخلت على أبي الحسن موسى(ع) فقال لي: (يا زياد إنك لتعمل عمل سلطان؟).

قلت: أجل.

قال لي: (ولم؟).

قلت: انا رجل لي مروة، وعليّ عيال، وليس وراء ظهري شيء.

فقال لي: (يا زياد لئن أسقط من حالق ـ والحالق الارتفاع ـ فانقطع قطعة قطعة أحبّ اليّ من أن أتولى لأحد منهم عملا أو أطأ بساط رجل منهم إلا لماذا؟).

قلت: لا أدرى جعلت فداك؟

قال: (إلا لتفريج كربة عن مؤمن، أو فك أسره، أو قضاء دينه، يا زياد إن أهون ما يصنع الله عزوجل بمن تولى لهم عملا أن يضرب عليه سرادقا من نار إلى ان يفرغ الله عزوجل من حساب الخلائق، يا زياد فان وليت شيئاً من أعمالهم فأحسن الى اخوانك فواحدة بواحدة، والله من وراء ذلك، يا زياد أيما رجل منكم تولى لأحد منهم عملا ثم ساوى بينكم و بينه فقولوا له: أنت منتحل كذاب، يا زياد اذا ذكرت مقدرتك على الناس فاذكر مقدرة الله عليك غدا) (الحديث).

وعن علي بن أبي حمزة قال: كان لي صديق من كتاب بني أمية فقال لي أستأذن لي على أبي عبدالله(ع)، فاستأذنت له عليه فاذن له، فلما ان دخل سلم وجلس ثم قال: جعلت فداك اني كنت في ديوان هؤلاء القوم فأصبت من دنياهم مالاً كثيراً وأغمضت في مطالبه؟

فقال أبوعبدالله(ع): (لولا ان بني أمية وجدوا لهم من يكتب ويجبي لهم الفيء و يقاتل عنهم و يشهد جماعتهم لما سلبونا حقنا، ولو تركهم الناس وما في أيديهم ما

وجدوا شيئاً الا ما وقع في أيديهم).

قال: فقال الفتى: جعلت فداك فهل لي مخرج منه؟

قال: (ان قلت لك تفعل؟)

فقال: أفعل.

قال (ع) له: فاخرج من جميع ما كسبت من ديوانهم، فمن عرفت منهم رددت عليه ماله، ومن لم تعرف تصدقت به، وانا أضمن لك على الله عزوجل الجنة).

فأطرق الفتى طويلاً ثم قال له: لقد فعلت جعلت فداك.

قال ابن أبي حمزة، فرجع الفتى معنا الى الكوفة، فما ترك شيئا على وجه الارض إلاّ خرج منه حتى ثيابه التي كانت على بدنه، قال: فقسمت له قسمة واشترينا له ثيابا وبعثنا اليه بنفقة.

قال: فما أتى عليه إلاّ أشهر قلائل حتى مرض فكنا نعوده، فدخلت يوماً وهو في السوق ـ أي الاحتضار ـ ففتح عينيه ثم قال لي: (يا علي وفى لي والله صاحبك) ثم مات، فتولينا أمره، فخرجت حتى دخلت على أبي عبدالله(ع) فلما نظر اليّ قال لي: (يا علي وفينا والله لصاحبك) فقلت: صدقت جعلت فداك والله هكذا قال لي عند موته.

وفي رواية الكليني، عن الحسن بن الحسن الأنباري، عن أبي الحسن الرضا(ع) قال: كتبت اليه أربع عشرة سنة أستأذنه في عمل السلطان، فلما كان في آخر كتاب كتبته اليه ذكرت إني أخاف على خيط عنقي، وان السلطان يقول لي: إنك رافضي ولسنا نشك في انك تركت العمل للسلطان للرفض، فكتب اليّ أبوالحسن(ع): (فهمت كتابك وما ذكرت من الخوف على نفسك، فان كنت تعلم انك اذا دخلت عملت في عملك بما أمر به رسول الله(ص) ثم تصير اعيانك وكتابك أهل ملتك واذا صار اليك شيء واسيت به فقراء المؤمنين حتى تكون واحدا منهم كان ذا بذا والا فلا).

وعن علي بن يقطين قال: قال لي أبوالحسن موسى بن جعفر(ع): (إضمن لي واحدة أضمن لك ثلاثا، اضمن لي انه لا يأتي أحد من موالينا في دار الخلافة إلا قمت له بقضاء حاجته، أضمن لك ان لا يصيبك حر السيف أبدا، ولا يظلك سقف سجن أبدا، ولا يدخل الفقر بيتك أبدا).

وقال الحسن: ذكرت لمولاي (ع) تولّي أصحابنا أعمال السلطان واختلاطهم بهم؟
قال: (ما يكون أحوال أخوانهم **معهم؟**) .
قلت: مجتهد ومقصر.
قال:
[من أعز أخاه في الله وأهان اعدائه في الله وتولي ما استطاع نصيحته اولئك يتقلبون في رحمة الله] (الحديث).

وفي رواية نصب المأمون الامام الرضا(ع) ولي عهد له انه (ع) لم يقبل منه إلاّ اضطراراً حيث قال المأمون له: أقسم لئن قبلت ولاية العهد، والاّ أجبرتك على ذلك، فان فعلت، والاّ ضربت عنقك، فقال الرضا(ع): (نهاني الله أن ألقي بيدي إلى التهلكة، فان كان الأمر على هذا فأفعل ما بدا لك، وانما أقبل ذلك على ان لا أولّي أحداً، ولا أعزل أحداً، ولا أنقض رسماً ولا سنة، واكون في الأمر من بعيد مشيراً) فرضي بذلك منه فجعله ولي عهده على كراهية منه (ع) لذلك.

وفي رواية اخرى قال الامام الرضا(ع): (فاني مجيبك الى ما تريد من ولاية العهد على انني لا آمر ولا أنهى ولا أفتي ولا أقضي ولا أولّي ولا أعزل ولا أغيّر شيئا مما هو قائم) فأجابه المأمون الى ذلك.

الاقتراب الى السلطان يوجب تلويث السمعة:

فحسب القاعدة، الحكومات في بلاد الاسلام مكروه لشعوبها اشد كراهية إذ أنهم يرون انها عميلة، وانها لا تعمل بالاسلام، وانها تهدر الحقوق والكرامات وتسحق القيم والموازين، ولهذا فاذا رأوا شخصا أو منظمة أو جماعة أو هيئة أو جمعية أو حزباً يقترب من الحكومة يجتنبون عنه فلا يتمكن هؤلاء من تحريك الجماهير لأقامة حكم الاسلام ولو كانوا مخلصين حقيقة لأهدافهم.

من دخل مداخل السوء أتّهم

وقد قال الامام الصادق(ع):

[ومن دخل مداخل السوء اتهم].

وعن السكوني، عن أبي عبدالله(ع) قال: قال أميرالمؤمنين(ع):

[من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن].

وعن الحسين بن يزيد، عن الصادق جعفر بن محمد(ع) قال:

[من دخل موضعا من مواضع التهمة فاتهم فلا يلومن إلا نفسه].

وعن أبي الجارود، عن أبي جعفر، عن أبيه، عن جده (ع) قال: قال أميرالمؤمنين(ع):

[من وقف بنفسه موقف التهمة فلا يلومن من أساء به الظن].

وعن العقيلي في وصية أميرالمؤمنين لولده الحسن(ع) انه قال فيها:

[واياك ومواطن التهمة والمجلس المظنون به السوء، فان قرين السوء يغير جليسه].

وعن جامع البزنطي، عن أبي الحسن(ع) قال: قال أبوعبدالله(ع):

[اتقوا مواقف الريب، ولا يقفن أحدكم مع أمه في الطريق فانه ليس كل أحد يعرفها].

وفي نهج البلاغة عن أميرالمؤمنين(ع) إنه قال:

[من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من أساء به الظن].

وقال (ع):

[من سلّ سيف البغي قتل به، ومن كايد الامور عطب، ومن اقتحم اللجج غرق، ومن دخل مداخل السوء أتهم].

وعن أبي حمزة الثمالي، عن الصادق(ع) قال: قال النبي(ص):

[أولى الناس بالتهمة من جالس أهل التهمة].

٨ ـ عدم إرضاء الناس:

إن كثيراً من المنظمات والأحزاب والجمعيات وما اليها تتكلم وتعمل باسم الناس بينما الناس لا يرضون بذلك.

أولاً: لأجل أنها لا تأخذ آراء الناس، بل آراء حزبها وجماعتها على أحسن فرض، والناس لا يحتاجون الى السادة بل الى المستشيرين، فاذا لم تأخذ الأحزاب آراء الناس لم يستعدوا ان تتكلم باسمهم وتعمل باسمهم، ولذلك تحدث الفرقة بينها و بين الناس.

وثانياً: لأجل أنها اذا حصلت مكسباً تستبد بالارباح ولا تشرك الناس فيه، سواء كان الربح مادياً أو معنوياً، والناس يريدون ان يتكلم باسمهم من يشركهم في الربح أيضاً.

ثالثاً: لأجل أنها منفصلة عن الشعب ــ حتى اذا قسمت الارباح واتّبعت آراء الناس ــ فالناس بحاجة الى من هو منهم لا من هو غريب عليهم.

الرسول(ص) يرضي الجميع:

ولذا نرى في سيرة رسول‌الله(ص) أنه كان يستشير الناس، **لا طليعة القوم فقط** بل كافة الذين كانوا يتبعونه و يدخلون في الاسلام، سواء كانوا من قدماء المسلمين، أو جددهم، مهاجرين أو أنصاراً أو غيرهم، ثم اذا حصل ربح قسمه (ص) بين الجميع ولم يكن يستبد بالربح أو يجعل الربح لجماعة دون جماعة أو **لطليعة القوم فقط**، بالاضافة الى انه (ص) كان من الناس والى الناس، ولذا كان الناس ينضوون تحت لوائه وكانوا يتبعونه و بذلك ايضاً استطاع ان يقدم المسلمين الى الامام.

قصتان من السيرة النبوية

وقد ضرب النبي(ص) رقماً قياسياً في إرضاء جميع الناس وتقسيم الغنائم بين الجميع والاستشارة من الجميع ولنقرأ هاتين القصتين:

فقد وفد أعرابي على رسول الله(ص) يطلب منه شيئاً، فأعطاه النبي(ص) وقال له: (أحسنتُ اليك؟).

قال الاعرابي: لا ولا أجملت (وذلك في مجلس النبي(ص) بمحضر من أصحابه المهاجرين والأنصار).

فغضب المسلمون، وشق عليهم تحمل هذه القسوة من الاعرابي، فقام اليه بعض الصحابة ليوبخه و يؤنبه، فأشار النبي(ص): ان كفوا.

ثم قام (ص) ودخل منزله وزاد الاعرابي في العطاء ثم قال له: (ءأحسنتُ اليك؟).

قال الاعرابي: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا.

ثم قال النبي(ص) للاعرابي: اذهب إلى أصحابي وقل لهم إني رضيت عن رسول الله(ص).

ثم توجه النبي(ص) إلى أصحابه قائلاً:

(مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزدها الا نفورا، فناداهم صاحبها: خلوا بيني و بين ناقتي فاني أرفق بها منكم واعلم، فتوجه لها من بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها حيث جاءت واستناخت وشد رجلها واستوى عليها، واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار).

ففي هذه القصة نرى ان رسول الله(ص) لم يترك حتى اعرابياً يسخط عليه، وانه لما رضى الاعرابي عنه قال له (ص): إذهب إلى أصحابي وقل لهم: إني رضيت عن رسول الله(ص) حتى يعرف الأصحاب إنه ليس هناك من ساخط ــ ولو واحد ــ على رسول الله(ص).

وفي قصة ثانية رواها الشيخ الصدوق عن الامام الصادق(ع):

(ان رسول الله(ص) رأى في بعض طريقه جارية قاعدة تبكي، فقال لها النبي(ص): ما شأنك؟

فقالت: يا رسول الله إن أهلي أعطوني أربعة دراهم لأشتري لهم بها حاجة فضاعت فلا أجرء أن أرجع اليهم.

فأعطاها رسول الله(ص) أربعة دراهم وقال: أرجعي الى أهلك.

ومضى رسول الله(ص)، ثم رجع واذا بالجارية قاعدة على الطريق تبكي فقال لها رسول الله(ص): مالك لا تأتين أهلك؟

قالت: يا رسول الله إني قد أبطأت عليهم وأخاف أن يضربوني.

فقال رسول الله(ص): مرّي بين يدي ودليني على أهلك.

فجاء رسول الله(ص) حتى وقف على باب دارهم ثم قال: السلام عليكم يا أهل الدار، مرة ومرة فلم يجيبوه وفي المرة الثالثة قالوا: عليك السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

فقال رسول الله(ص): إن هذه الجارية أبطأت عليكم فلا تؤاخذوها.

فقالوا: هي حرة لممشاك يا رسول الله.

فقال رسول الله(ص): لماذا لم تجيبوني في مرتين؟

قالوا: يا رسول الله كنا نحب أن نسمع صوتك.

وهكذا نرى ان الرسول الله(ص) مع تمكنه من أن يرسل بعض أصحابه لأجل حل القضية ذهب بنفسه لأجل ذلك.. فهو القائد الشعبي إلى أبعد الحدود..

اذاً فمن الواجب على الذين يريدون الوصول الى الهدف النهائي ـ وهو حكومة ألف مليون مسلم ومن ورائها إنقاذ العالم من براثن المشكلات ـ ان يسلكوا هذا الطريق الذى سلكه رسول الله(ص) وسلكه علي(ع).

٩ ــ الأستعلاء على الآخرين:

السادة يلزم أن يكونوا متواضعين دائماً يرون صغار الناس كباراً وكبار أنفسهم صغاراً، و بذلك يلتف الناس حولهم.

وفي كثير من الأحزاب والمنظمات وما أشبه نرى الأمر بالعكس فيرون صغارهم كباراً وكبار الناس صغاراً، وذلك يوجب تنفير الناس عنهم.

التواضع في النصوص الدينية

وقد ورد في أحاديث كثيرة تبعاً للآيات المباركات مدح **التواضع**، خصوصاً من الكبار فان تواضع الصغير طبيعي، أما أذا كان الانسان كبيراً فتواضعه يكون أعلى وأرفع.

ففي الآية الكريمة:

«ولا تصعّر خدك للناس ولا تمشي في الأ رض مرحاً»(١٨/لقمان).

وعن معاو ية بن عمار، عن ابي عبدالله(ع) قال:

[إن في السماء ملكين موكلين بالعباد، فمن تواضع لله رفعاه، ومن تكبر وضعاه].

وعن أبي المقدام، عن أبي عبدالله(ع) قال:

[فيما أوحى الله عزوجل الى داود: يا داود كما أن أقرب الناس من الله المتواضعون كذلك أبعد الناس من الله المتكبرون].

وعن الحسن بن الجهم، عن أبي الحسن(ع) قال:

[التواضع أن تعطي الناس ما تحب ان تعطاه].

وفي وصية النبي(ص) الى علي(ع) قال:

[يا علي والله لو أن الوضيع في قعر بئر لبعث الله عزوجل اليه ريحاً ترفعه فوق الأخيار في دولة الأشرار].

وفي رواية الحسن بن الجهم قال: سألت الرضا(ع) قلت له: جعلت فداك ما حد

التوكل؟ فقال لي: (أن لا تخاف مع الله أحداً).

قال: قلت: جعلت فداك فما حد التواضع؟

فقال: (ان تعطي الناس من نفسك ما تحب ان يعطوك مثله).

قلت: جعلت فداك أشتهي أن أعلم كيف أنا عندك؟

فقال: (انظر كيف انا عندك؟).

وعن السكوني، عن أبي عبدالله، عن آبائه(ع) قال:

[ان من التواضع ان ترضى بالمجلس دون المجلس، وان تسلم على من تلقى، وان تترك المراء وان كنت محقاً، ولا تحب ان تحمد عل التقوى].

وعن العسكري(ع) قال:

[اعرف الناس بحقوق اخوانه وأشدهم قضاء لها أعظمهم عند الله شأناً، ومن تواضع في الدنيا لأخوانه فهو عند الله من الصديقين](الحديث).

وفي حديث عن أميرالمؤمنين(ع) إنه قال:

[طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وتواضع من غير منقصة، وجالس أهل الفقر والرحمة، وخالط أهل الذل والمسكنة، وأنفق مالاً جمعه في غير معصية].

وعن الصادق(ع) قال:

[كمال العقل في ثلاث: التواضع لله، وحسن اليقين، والصمت إلاّ من خير].

وفي وصية الأمام أميرالمؤمنين(ع) (كما في نهج البلاغة) عند موته قال:

[عليك بالتواضع فانه من أعظم العبادة].

وقال (ع):

[بالتواضع تتم النعمة].

وقال (ع):

[ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله، وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء إتكالاً على الله].

وروي: ان محمد بن مسلم كان رجلا شريفاً مؤسراً، فقال له أبوجعفر(ع): (تواضع يا محمد) فلما إنصرف الى الكوفة أخذ قوصرة من تمر مع الميزان وجلس على باب المسجد

الجامع وصار ينادي عليه، فأتاه قومه فقالوا له: فضحتنا، فقال: إن مولاي أمرني بأمر فلن أخالفه ولن أبرح حتى أفرغ من بيع ما في هذه القوصرة فقال له قومه: (اذا أبيت إلاّ أن تشتغل ببيع وشراء فاقعد في الطحانين) فهيىء رحى وجملاً وجعل يطحن.

وعن أميرالمؤمنين(ع) قال:

[التواضع يكسبك السلامة].

وقال (ع):

[زينة الشريف التواضع].

وعن هشام، عن الكاظم(ع) إنه قال:

[طوبى للمتراحمين اولئك هم المرحومون يوم القيامة ــإلى ان قالــ: طوبى للمتواضعين في الدنيا اولئك يرتقون منابر الملك يوم القيامة].

وقال (ع): (يا هشام إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا، وكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر الجبار، لأن الله تعالى جعل التواضع آلة العقل، وجعل التكبر آلة الجهل، ألم تعلم ان من شمخ الى السقف برأسه شجّه ومن خفض رأسه استظل تحته وأكنه؟ فكذلك من لم يتواضع لله خفضه الله، ومن تواضع لله رفعه الله ــالى أن قال (ع)ــ: واعلم ان الله لم يرفع المتواضعين بقدر تواضعهم ولكن رفعهم بقدر عظمته ومجده).

وعن عبدالله بن جندب، عن الصادق(ع) إنه قال في حديث:

[فان أفضل العمل العبادة والتواضع].

وعن أميرالمؤمنين(ع) في الأشعار المنسوبة إليه:

واجعل فؤادك للتواضع منزلاً إن التواضع بالشريف جميل

وفي رواية عن رسول الله(ص):

[إن من التواضع ان يرضى الرجل بالمجلس دون شرف المجلس، وان يسلم على من لقى، وان يترك المراء وان كان محقاً، وان لا يحب ان يحمد على البر والتقوى].

وعن الجعفري، عن الصادق(ع) انه قال في حديث:

[ورأس الحزم التواضع].

وروى لب الألباب، عن النبي(ص) إنه قال:

[طوبى لمن تواضع في غير منقصة، وأذل نفسه في غير مسكنة، وأنفق من مال جمعه من غير معصية].

وعن معاوية بن وهب قال: سمعت أباعبدالله(ع) يقول:

[اطلبوا العلم، وتزّينوا معه بالحلم والوقار، وتواضعوا لمن تعلّمونه العلم، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبّارين فيذهب باطلكم بحقكم].

عيسى(ع) يغسل أرجل الحواريين

وفي رواية قال: (قال عيسى بن مريم(ع) للحواريين لي اليكم حاجة اقضوها لي).

فقالوا: (قضيت حاجتك يا روح الله).

فقام فغسل أقدامهم، فقالوا: كنا أحق بهذا منك.

فقال: إن أحق الناس بالخدمة العالم، أنما تواضعت هذالكي تتواضعوابعدي في لناس كتواضعي لكم.

ثم قال عيسى(ع):

[بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر وكذلك في السهل ينبت الزرع لا في الجبل].

أميرالمؤمنين(ع) يغسل يد الضيف:

وفي رواية: ان الأمام أميرالمؤمنين(ع) ورد عليه أب وأبن، فلما أكلا قام الامام(ع) وأخذ الطشت والأبريق وأراد أن يغسل يد الأب فامتنع الرجل، فقال الامام(ع): (بحقي عليك إلاّ ما تركتني حتى أغسل يدك) فغسل يده ثم أعطى الابريق لمحمد بن الحنفية وقال له: (اغسل يد الأ بن فان الله أبى ان يساوى بين الاب والابن، ولو جاء

الابن وحده لغسلت يده، ولكن الأب يغسل يد الأب والابن يغسل يد الأ بن).

وفي رواية المعراج، عن النبي(ص) إنه قال: قال الله تبارك وتعالى:

[يا أحمد أن عيب أهل الدنيا كثير: فيهم الجهل والحمق، لا يتواضعون لمن يتعلمون منه] (الى آخر الحديث).

ولذا فاللازم على المنظمات الاسلامية التي تريد الوصول الى الهدف وهو سيادة حكم الله في الأرض وإقامة حكم ألف مليون مسلم وانقاذ العالم من براثن المشكلات أن يتحلى أفرادها بأكبر قدر من التواضع في مأكلهم وملبسهم ودارهم واثاثهم ومركبهم وسائر شؤونهم وان يقدروا الناس حق قدرهم فان الناس اذا رأوا هذه الحالة المتواضعة ورأوا إعطاء كل ذي حق حقه التفوا حولهم وساهموا معهم في عملية الأنقاذ.

التواضع للناس

عن محمد بن مسلم قال: سمعت اباجعفر(ع) يذكر إنّه أتى رسول الله(ص) ملك فقال: إن الله تعالى **يخيرك** أن تكون عبداً رسولاً متواضعاً، أو ملكاً رسولاً، قال: فنظر الى جبرئيل وأوصى بيده أن تواضع، فقال: عبداً متواضعاً رسولاً.

التواضع في المأكل والمشرب

عن عبدالرحمن بن الحجاج، عن أبي عبدالله(ع) قال: (أفطر رسول الله(ص) عشية خميس في مسجد قبا، فقال: هل من شراب؟ فأتاه أوس بن خولي الأنصاري **بعس مخيض** بعسل، فلما وضعه على فيه نحّاه ثم قال:

[شرابان يُكتفىٰ بأحدهما من صاحبه لا أشربه ولا أُحرّمه، ولكن أتواضع لله فانه من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبّر خفضه الله، ومن إقتصد في معيشته رزقه الله، ومن بذر حرمه الله، ومن أكثر ذكر الموت أحبّه الله].

وعن هشام بن سالم عن ابي عبدالله(ع) قال: (مرّ علي بن الحسين(ع) على المجذومين وهو راكب حماره وهم **يتغذون** فدعوه الى الغدا فقال: اما لولا **إني** صائم لفعلت، فلما

صار الى منزله أمر بطعام فصنع وأمر أن يتنوقوا فيه، ثم دعاهم فتغدوا عنده وتغدى معهم].

ذمّ التكبر

عن حكيم قال: سألت أباعبدالله(ع) عن أدنى الألحاد قال:

[إن الكبر أدناه].

وعن العلاء بن الفضيل، عن أبي عبدالله(ع) قال: قال أبوجعفر(ع):

[العزّ رداء الله، والكبر أزاره، فمن تناول شيئاً منه أكبه الله في جهنم].

أقول: هذا من باب التشبيه.

وعن زرارة، عن أبي جعفر، وأبي عبدالله(ع) قالا:

[لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر].

وعن إبن بكير، عن أبي عبدالله(ع) قال:

[إنّ في جهنم لواديا للمتكبرين يقال له: سقر شكى الى الله عزّوجل شدة حره وسأله عزوجل ان يأذن له أن يتنفس فتنفس فاحرق جهنم].

وعن داود بن فرقد، عن أخيه قال: سمعت أباعبدالله(ع) يقول:

[إنّ المتكبرين يجعلون في صور الذر تطأهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب].

وعن إبن أبي عمير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبدالله(ع) قال:

[ما من عبد إلاّ وفي رأسه حكمة وملك يمسكها فاذا تكبر قال له:

إتضعْ وضعك الله فلا يزال أعظم الناس في نفسه وأصغر الناس في أعين الناس واذا تواضع رفعه الله عزّوجل ثم قال له إنتعش نعشك الله فلا يزال أصغر الناس في نفسه وأرفع الناس في أعين الناس].

وعن أبي عبدالله(ع) في وصيته قال:

[وإياكم والعظمة والكبر فان الكبر رداء الله عزّوجل فمن نازع الله رداءه قصمه الله وأذله يوم القيامة].

وعن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه(ع) إن علياً(ع) قال:

[ما أحد من ولد آدم إلاّ وناصيته بيد مالك، فان تكبّر جذبه بناصيته الى الأرض، ثم قال له: تواضع وضعك الله، وان تواضع جذبه بناصيته، ثم قال له: أرفع رأسك رفعك الله، ولا وضعك بتواضعك لله].

وعن حسين بن مختار، عن ابي عبدالله(ع) قال:

[ثلاثة لا ينظر الله اليهم: ثاني عطفه، ومسبل أزاره خيلاء، والمنفق سلعته بالأيمان والكبر إنّ الكبرياء لله ربّ العالمين].

وعن سعد بن طريف، عن أبي جعفر(ع) قال:

[الكبر مطايا النار].

وعن عبدالله بن القاسم، رفعه قال: قال رسول الله(ص):

[يحشر المتكبرون يوم القيامة في خلق الذر في صور الناس يوطئون حتى يفرغ الله من حساب خلقه، ثم يسلك بهم الى النار يسقون من طينة خبال من عصارة أهل النار].

وقال: قال رسول الله(ص):

[أكثر أهل جهنم المتكبرون].

وعن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه(ع) قال: قال رسول الله(ص):

[إنّ أحبّكم إليّ وأقربكم منّي يوم القيامة مجلساً أحسنكم خلقاً، وأشدكم تواضعاً وأن أبعدكم منّي يوم القيامة الثرثارون، وهم المستكبرون].

وعن أبن بكير، عن أبي عبدالله(ع) قال: (كان لرسول الله(ص) ناقة لا تسبق، فسابق إعرابيا بناقته فسبقها فاكتأب لذلك المسلمون، فقال رسول الله(ص): إنها ترفّعت، وحق على الله أن لا يرتفع شيء إلاّ وضعه الله].

قال: (وفي حديث آخر) عن أبي عبدالله(ع):

[ما من رجل تكبر أو تجبّر إلاّ لمذلة يجدها في نفسه].

(وورد إنّ رسول الله(ص) مرّ في بعض طرق المدينة وسوداء تلقط السرقين، فقيل لها:

تـنـحـيّ عـن طريق رسول الله(ص)، فقالت: ان الطريق لمعرض،فهمّ بها بعض القوم ان يتناولها، فقال رسول الله(ص): دعوها فانّها جبارة).

وعـن الحسين بـن خـالـد، عن عليّ بن موس الرضا، عن أبيه، عن جعفر بن محمد(ع) قـال: (إنّ الله تبارك وتعالى ليبغض البيت اللحم، واللحم السمين، فقال له أصحابنا: يا ابـن رسـول الله إنّـا لـنـحـبّ اللّـحـم وما تخلوا بيوتنا عنه فكيف ذلك؟ فقال: ليس حيث تـذهـب إنّـمـا الـبـيت اللحم الذي تؤكل لحوم الناس فيه بالغيبة، وأمّا اللحّم السمين فهو المتجّبر المتكبر المختال في مشيته].

وعن عمرو عن جميع، عن أبي عبدالله(ع) قال:

[الجبارون أبعد الناس من الله عزّوجل يوم القيامة].

وعن ميسر، عن أبي جعفر(ع) قال:

[إنّ في جـهنمّ لجبلاً يقال له: الصعدا وانّ في الصعدا لوادياً يقال له: سقر وأنّ في سـقـر لجـبـا يـقـال له: هبهب كلمّا كشف غطاءِ ذلك الجب ضج أهل النار من حرّه، ذلك منازل الجبارين].

وعن إبن فضّال عمن حدّثه، عن أبي عبدالله(ع) قال: قال رسول الله(ص):

[من مشى في الأ رض اختيالاً لعنته الأ رض ومن تحتها ومن فوقها].

وعن أحمد بن محمد، عن أبيه رفعه قال: قال أبوجعفر(ع): قال رسول الله(ص):

[و يل لمن يختال في الأ رض يعاند جبار السماوات والأ رض].

حدود التكبر المذموم

عن محمد بن سالم، عن أحدهما (ع) قال:

[لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الكبر].

قال: فاسترجعت، فقال: (مالك تسترجع؟) فقلت: لما سمعت منك، فقال:

[ليس حيث تذهب أنّما أعني الجحود انما هو الجحود].

وعن عبدالأعلى، عن أبي عبدالله(ع) قال:

[الكبر أن تغمص الناس وتسفه الحق].

وعن عبدالأعلى بن أعين قال: قال أبوعبدالله(ع): قال رسول الله(ص):

[إن أعظم الكبر غمص الخلق وسفه الحق].

قلت: وما غمص الخلق وسفه الحقّ؟

قال:

[يجهل الحقّ ويطعن على أهله، فمن فعل ذلك فقد نازع الله عزّوجل رداءه].

وعن محمد بن عمر عن يزيد، عن أبيه قال: قلت لأبي عبدالله(ع): إنني آكل الطعام الطيب وأشمّ الرائحة الطيبة، وأركب الدّابة الفارهة و يتبعني الغلام فترى في هذا شيئاً من التجّبر فلا أفعله؟

فأطرق أبوعبدالله(ع) ثم قال:

[إنما الجبّار الملعون من غمص الناس وجهل الحق].

قال عمر: فقلت: أما الحق فلا أجهله، والغمص لا أدري ما هو: قال:

[من حقّر الناس وتجبر عليهم فذلك الجبار].

وعن محمد بن مسلم، عن أحدهما (يعني أباجعفر وأباعبدالله(ع) قال:

[لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبّة من خردل من كبر].

قال: قلت: إنا نلبس الثوب الحسن فيدخلنا العجب، فقال:

[إنّما ذلك فيما بينه وبين الله عزوجل].

١٠ ــ عرض الاسلام بصورة منفّرة

إن كثيراً من الأحزاب الأسلامية والمنظمات وما أشبه يعرضون الاسلام بصورة منفرة، **مثل قولهم** : أنهم يريدون (احياء الخلافة) بينما (الخلافة) منفورة في أذهان الناس ــ المسلمين منهم وغير المسلمين ــ لما فعله الأمو يون والعباسيون والعثمانيون ومن أشبه من الجرائم والموبقات ــ كما ذكرنا جملة منها في فصل سابق ــ.

التهديد بالعصا الغليظة!

بالأضافة إلى أنهم يقولون: أننا نريد تطبيق الحدود الشرعية من جلد الزاني وقطع يد السارق وما أشبه كل ذلك بصورة **مشوهة أيضا**، وحيث يتذكر الناس ماقرؤه في التواريخ وما رأوه في بعض الحكومات التي تسمى بالأسلامية من القتل الاعتباطي **والجلد الاعتباطي** وقطع اليد والرجل الاعتباطي وما أشبه مما تسبب اقشعرار **جلود** الناس من إعادة حكم الأسلام أي الاسلام الذي يقترن في أذهانهم بهذه الأمور.

البراهين الغامضة

ثم أن كثيراً من المنظمات يأتون **بالأستدلالات** العقلية على الأصول الدينية، والأستدلالات العقلية وان كانت صحيحة إلاّ أنها للفلاسفة، أما الأستدلالات التي تنفع عامة الناس فهي الاستدلالات الواردة في القرآن والسنة.

بين الحلال والحرام

وكذلك يذكرون تحريم المحرمات، وان الخمر حرام والزنا حرام والربا حرام.. الخ.. بدون توضيح انه في قبال المحرمات توجد في الأسلام ألوف المحللات، بل المحرمات في الأسلام أقل من واحد في **الألف**، بينما المحرمات الموجودة في القوانين الوضعية في العالم الذي يسمى بالحر اكثر من مائة في الألف.

فوارق بين الرجل والمرأة، وبين المؤمن والكافر

وكذلك يذكرون الفروق بين الرجال والنساء والمؤمن والكافر بصورة مزرية جداً، بينما نرى أن الاسلام كان بالعكس يوم طبق ــ كما في أيام رسول الله(ص) وأيام علي(ع)ــ صحيح إن هناك فروقاً بين الرجال والنساء لكنها فروق طبيعية وقليلة، كما أنه من الصحيح وجود الفروق بين المؤمن والكافر لأن الاسلام **دين** عقائدي، لكن الاسلام يعطي للكافر من الحرية والرفاه ما لا يعطيه العالم المسمى بالعالم الحر.

والحاصل: أنهم يذكرون **القوانين** الموجودة في الأسلام بصورة منفرة جداً في كتبهم وخطبهم وما أشبه، و يقولون **مثلاً** ــ إذا نحن وصلنا الى الحكم نفعل كذا وكذا بالمجرمين و بالأثرياء و بالحكام السابقين، مع العلم ان كل ذلك بالعكس مما يقوله الأسلام، انظروا إلى سورة الأ يلاف:

«بسم الله الرحمن الرحيم * لايلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع * وآمنهم من خوف»(١ــ٤/قريش).

فالله سبحانه وتعالى يطلب من عباده الأيمان به في قبال أنه أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف.

وكذلك في الآية الكريمة:

«يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم»(١٥٧/الاعراف).

كما انا نرى احتراما غريباً للمرأة في القوانين الاسلامية واحتراماً للكافر لم تجد المرأة ولا الكافر في الأنظمة الغربية مثل ذلك الاحترام، بل ان الاسلام ــ كما في قصة خيبر وفي قصة علي(ع)ــ لم يأخذ من الكفار الذين أصبحوا تحت ظل الدولة الاسلامية إلاّ أقل مما كانت تأخذ منهم الدول **الكافرة** سابقاً، وانما الاسلام يقول:

«لكم دينكم ولي دين»(٦/الكافرون).

الى غير ذلك مما تقدم شطر منه.

والحاصل: ان كثيراً من الأحزاب والمنظمات الاسلامية يعرضون الاسلام بصورة مرعبة منفرة، وهذا من الأساءة إلى سمعة الاسلام.

إرائة البديل الأفضل

فاللازم أن تُرِي المنظمات الاسلامية للناس برنامجاً سلوكيا أفضل بالنسبة الى الحياة التي يريدونها للمجتمع الاسلامي، فان الناس كما ينتخبون الفاكهة الأفضل والقماش الأفضل اذا دخلوا السوق، كذلك فانهم يرون إن أيّ المبادىء والقوانين أفضل؟ فيتخذونه مبدءاً.

مضافاً إلى أن الناس يجب أن يعرفوا إن المبدأ المرتقب أفضل بكثير، حتى يغيّروا مبدأهم الحالي الى ذلك المبدأ، لأنهم يرون في مبدئهم الذي يمارسونه الآن راحة واطمئناناً، أما تغيير هذا المبدأ إلى مبدأ آخر ـ وإن كان أفضل في الجملة ـ فانهم لا يستعدون له لما يعرفون من أن في تغيير المبادىء أخطار كثيرة.

وعليه فاللازم ان تُرِيَ المنظمات الاسلامية المبدأ الاسلامي بجميع جوانبه، وانه أفضل من المبادىء الغربية والشرقية التي تسود بلادهم حالياً، ومع الأسف: فهذا الشيء غير متوفر غالباً في الوقت الحاضر فغالباً لا يعرف الناس ان الاقتصاد الاسلامي أفضل، أو السياسة الاسلامية أفضل، أو ان الأجتماع الاسلامي أفضل أو أن التربية الاسلامية أفضل وهكذا، بل يرون العكس، فانهم اذا دخلوا بعض البلاد التي تسمى بالحرة يرون فيها الهدوء والاستقرار والسكينة والنظام والنظافة وعدم سفك الدماء وعدم مصادرة الأموال وعدم التعذيب في السجون وعدم الدكتاتورية والاستبداد، بينما اذا دخلوا البلاد التي تدعي الاسلام يرون الأمر بالعكس، فيظنون أن الاسلام صوم وصلاة وحج ومسجد وقرآن ودعاء أو نحوها، أما مناهج الحياة فانها ستكون أفضل على الاسلوب الغربي، ولذا لا يتركون الاستمرار في السير على المناهج الغربية لمنهج اسلامي محتمل وقد رأوا أن تطبيق ما سمي بالمنهج الاسلامي في البلاد الاسلامية أسوء من تطبيق المناهج الرأسمالية والديمقراطية ونحوها في البلاد الغربية وما إليها.

والاسلام انما تمكن من التقدم في إبتداء ظهوره بسرعة فائقة لأن الناس رأوا منهجه خيراً من المناهج السابقة التي كانت تسودهم.

مثلاً: أباح الاسلام التعليم للكل حيث كان التعليم محرّماً على العامة وخاصاً بطبقة معينة كما كان عند الفرس والروم.

و وفر الحريات حيث كانت دكتاتوريات وقوانين كابتة.

وأخرج الناس من ضيق الأرض الى سعتها حيث كانت الأرض ضيقة على الناس واعطى للمرأة الكرامة، حيث كانت المرأة مهانة ذليلة تعد كبضائع الدار، وقد نُقل أنه كانت في قصور كسرى اثنتا عشرة ألف جارية خاصة به، فأيّ مهانة وذلة هذه التي تجعل من المرأة سلعة رخيصة؟ وفي الجزيرة العربية كانوا يئدون البنات و يقتلونهن ويحرمونهن من الأرث الى غير ذلك، و يشبه ذلك ما كان في الروم من الأزدراء بكرامة النساء.

كما ان الاسلام جمع كلمة الناس، حيث كان التناحر والتفرقة، وكانت الحروب سائدة بينهم سواء في الجزيرة أو بين الفرس والروم أو غيرهم.

كما أنه منع القتل حيث كانت العادة سفك الدماء.

و وصل الأرحام حيث كانت مقطوعة.

وأسقط الحدود بين دولة ودولة و بين بلد و بلد و بين عشيرة وعشيرة حيث كانت ترفع الحدود في وجوه الناس.

وأباح للناس خيرات الأرض حيث كانت غير مباحة.

وجعل الحكم بسيطاً حيث كان معقداً إلى أبعد حد.

وجعل النظام في كل شيء حيث كانت الفوضى تسود.

وأمر بالنظافة حيث كانت القذارة ضاربة بأجرانها.. الى غير ذلك مما سبب أن يرى الناس النظام الجديد خيراً من النظام القديم، لا مرّة واحدة، وانما مرات ومرات، ولذلك التفوا حول هذا النظام الجديد.

وعليه فاللازم على المنظمات الاسلامية التي تريد الوصول الى الهدف المنشود ان يروا للناس برامج أفضل من البرامج السائدة فيما يسمى بالعالم الحر حتى يسبب ذلك

التـفـاف الـنـاس حـول الاسـلام، أمـا الـتبشير فقط بأن الأدلة الأصولية تدل على صحة الاسلام دون غير الاسلام أو على أنه توجد للمسلمين في الآخرة جنات دون غير المسلمين، فان ذلك لا يسبب تحريك الناس تحريكاً عملياً حتى يثوروا و يبدلوا المناهج الحاضرة الى مـنـاهـج لا يـعـلمون عنها هل هي أفضل أو لا ؟ بل وكثيراً ما يظنون انها ليست بأفضل ـــلما رأوا مـن الـتـطـبـيـقات الخاطئة عند الخلفاء الامو يين والعباسيين والعثمانيين ومن الـيـهم، ولما يرون من التطبيقات الخاطئة في بعض البلاد التي يدعى ان حكامها يعملون بالاسلام ـــ.

١١ ــ التطبيق المعكوس للأفكار

... وليست المسألة مسألة المبادىء والتاريخ فقط، وانما مسألة التطبيق ايضاً.

فقد رأى المسلمون والعالم أجمع المجتمع الاسلامي الاول ــ الذي بناه الرسول الأعظم(ص) ــ مجتمع مبني على الألفة والثقة والتعاون والمحبة و وحدة الكلمة والأستشارة.. و.. لقد رأوا منهجاً سليماً، وتطبيقاً كاملاً لذلك المنهج.

بينما لا يجد الناس في كثير من المنظمات والأحزاب إلا نموذج الذي تدعو المنظمة أو الحزب أو الجماعة أو الهيئة اليه، بل يرون العكس من ذلك.

مثلاً: المنظمة أو الحزب أو الجماعة تدعو الى الشورى في الحكم، والناس يرون ان الاستبداد والدكتاتورية يسودان التنظيم فيقولون: هؤلاء يمارسون الدكتاتورية فيما بينهم قبل الحكم فاذا وصلوا الى الحكم ماذا يصنعون؟

و يرون بينهم الاختلاف الفاحش في مستوى المعيشة، فبينما يرون الطبقة العليا: من المنظمة والحزب يتمتعون بالدور والأثاث والسيارات والزوجات وما أشبه يرون قاعدة الحزب محرومة عن كل ذلك.

و يرون أن قيادات المنظمة والحزب أو ما أشبه يجلسون في الأبراج العاجية، و يأمرون الأفراد بالأعمال الشاقة من السهر وإلقاء أنفسهم في المهالك والمشاكل ونحو ذلك،.. وكل ذلك مما يزهّد الناس في الانضمام الى هذه الأحزاب وما أشبه (أولاً).

و يوجب عدم اطمئنان الناس بهم حتى يساعدوهم في الوصول الى الحكم (ثانياً).

نموذجية المجتمع الاسلامي الاول

بينما نجد المجتمع الاسلامي الأول على العكس من كل ذلك، فهو مجتمع يعيش افراده في مستوى متقارب بل أن القيادة وطليعة القوم كانوا يعيشون عيشة أدنى مستوى من عيشة سائر الناس ومن هنا كان الناس يمسون بأنهم اذا انضموا الى هذه الجهة وجدوا الاحترام الكافي والعيش المتساوي.

فقد كان الرسول(ص) يساعد الشباب على التزويج بنين وبنات.

كما أنه (ص) زوج بنته فاطمة(ع) **تزويجاً أخفض** مستوى من تزويج كثير من المسلمين لبناتهم، فقد ورد في بعض الروايات:

أن مهر فاطمة(ع) كان ستة وثلاثين درهماً فقط.

الرسول(ص) يعيش كالآخرين

والرسول(ص) كان في طعامه ولبسه وركوبه وداره وسائر شؤونه كفرد عادي من المسلمين او اقل حتى ورد: ان رسول الله(ص) كان يقسم الأموال على المسلمين، ويحرم نفسه وعائلته، حتى غضبن واردن منه الطلاق وفي هذه القضية نزل قوله تعالى:

«يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً * وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيما». الاحزاب/٢٨ـ٢٩

وقد ورد في تفسير القمي(ره) انه لما رجع رسول الله(ص) من غزوة خيبر وأصاب كنز آل أبي الحقيق قالت أزواجه: اعطنا ما أصبت فقال لهن رسول الله(ص): (قسمته بين المسلمين على ما أمر الله عزوجل) فغضبن من ذلك فقلن: لعلك ترى انك ان طلقتنا ان لا نجد الأكفاء من قومنا يتزوجونا! فاعتزلهن رسول الله(ص) في مشربة (أم ابراهيم) تسعة وعشرين يوماً ثم نزلت آية التخيير (المتقدمة) فقامت أم سلمة أول من قامت فقالت: قد اخترت الله ورسوله، فقمن كلهن وقلن مثل ذلك، ورجعن الى رسول الله(ص).

أثر الحصير في جنب الرسول(ص)

وينقل الراوي أنه دخل على النبي(ص) في اعتزاله لهن في مشربة أم ابراهيم فرأى النبي(ص) متكئاً على حصير قد أثر في جنبه فبكى الراوي وقال: يا رسول الله أنت هكذا؟

فأجابه الرسول(ص) بأن الآخرة خير من الأولى ــ في قصة مفصلة مذكورة في التواريخ ــ.[1]

الستر والسواران

وفي قصة أخرى: أن الرسول(ص) رأى على باب بيت فاطمة(ع) ستراً وفي يدي الحسن والحسين(ع) سوارين فلم يدخل البيت ــ كما كانت عادته حيث كان يدخل بيت فاطمة(ع) أول ما يرجع الى المدينة ــ وذهب الى المسجد.

وتفطنت الزهراء(ع) الى السبب فقلعت الستر ونزعت السوارين من يدي الحسن والحسين(ع) وأرسلتهما الى رسول الله(ص)، ففرح النبي(ص) وقال:

(فعلت فداها أبوها) ثم قسم السوارين والستر على فقراء المسلمين.

الرسول(ص) يرعى الأعداء

وكان (ص) يعفو ويغفر، وقد حفظ التاريخ إكرامه لأعدائه، فقد جاء في (اعلام الورى) وفي (السيرة النبوية) انه لما رجع رسول الله(ص) الى (الجعرانة) ومن معه من الناس قسّم بها ما أصاب من الغنائم يوم حنين وفيهم المؤلفة قلوبهم من قريش ومن سائر العرب ومن المنافقين.

قال محمد بن اسحاق: أعطى الرسول(ص) كلاً من أبي سفيان، ومعاوية ابنه، ويزيد بن أبي سفيان، وحكيم بن حزام، ونصير بن حارث بن كلدة، والعلاء بن حارثة، والحارث بن هشام، وجبير بن مطعم، ومالك بن عوف، وعلقمة بن علاءه، والأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، وسهيل بن عمرو، وحويطب، وصفوان بن أمية، كل واحد مائة من الأبعرة.

ومن الواضح أن البعير في ذلك اليوم كان مثله مثل السيارة في هذا اليوم، فقد أعطى النبيّ(ص) كل واحد من رؤساء القبائل والشخصيات البارزة ــ واكثرهم اما كفار أو

منـافـقون ـ مائة مائة من الآبال، كما انه (ص) أعطى أبلاً كثيراً لجملة آخرين أمثال: طليـق بـن سفيان، وخالد بن أسيد، وشيبة بن عثمان، وأبي السنابل، وعكرمة، وزهير، والحـارث، وخالد بن هشام، وهشام بن الوليد، وسفيان بن عبد الأسد، والسائب، ومطيع، وأبـي جـهـم، وأحيحة بن أمية، وعمير، وعدي، وهشام، ونوفل، وعلقمة، ولبيد، وخالد بن هوذة، والعباس وغيرهم.

وهكذا نجد الرسول الله (ص) يعيش كأحد الأفراد العاديين أو أقل حظاً منهم، كما نجده يراعي **أعداءه** كما يراعي **أصدقاءه**، بل يراعيهم أكثر مما يراعي **أصدقاءه**.

النبي (ص) يتزوج ابنة القائد اليهودي

وهـذه قـصـة اخـرى ـ ذكـرهـا هـكـذا بـعـض الـكـتـاب الاسـلاميين ـ في حياة الرسول (ص) فبعد غزوة الخندق اتجه النبي (ص) لأستئصال اليهود من المدينة بعدما تبين أنـهـم يـتـحينون الفرص للانقضاض عليها و بعدما نقضوا هم عهد الأمان وأعلنوا الحرب (كـالـتـي قـادها حي بن أخطب زعيم اليهود وقائدهم وصاحب الجهد الاكبر في تشكيل الحزب بين كل أعداء الدين الجديد ومحاصرة المدينة).

وفي تـلـك المرة هزم المسلمون اليهود، وكانت هزيمة اليهود ساحقة وعقوبتهم صارمة، واذا كـان قـدر الانـسـان هـو الحرب فان خير الحضارات هي التي لا تجعل الحرب نتيجة أحـقـاد مـوروثـة، ولا تـرتـب على الحـرب توارث الأحقاد والتفرقة، واليهود الذين رفضوا الـعـالم ورفضهم العالم كان يمكن أن تسبب خيانتهم للمسلمين في محنتهم أثناء الحصار عـداوة تـاريخـية تضاف الى الشحنة الدائمة الموجودة ضد اليهود بفعل انعزالهم واحتقارهم للجـنـس الـبـشري فتخلق عداوة أبدية بين الحضارة الجديدة البازغة و بين اليهود ولكأن الـعـالـم قـد أطـبـق عـلـيهم فعلاً فهم مرفوضون في العالم المسيحي وقتها بحكم خيانتهم للمسيح، ثم يرفضون في العالم الاسلامي بحكم خيانتهم للنبي (ص).

وهـنـاك تـألـقـت واحـدة مـن اشـراقات حضارة الاسلام، لفتة نبو ية تستأصل كل امكانية ظهور تيار معاد لليهود لأنهم يهود، أو لنمو احتقار لجنس اليهود.

لـيـست المشكلة أن نحارب اليهود ولا ان نبغض بعض اليهود، بل الخطأ هو ان تقوم

حضارة تبغض اليهود كل اليهود وكل الوقت ولأنهم مجرد يهود، ولو بقيت معركة النبي(ص) مع يهود بني قريضة في التاريخ مجرد ذكريات المعركة وما أعقبها من قصاص صارم لولدت عداءاً ربما تحول مع تدهور الحضارة الى عنصرية متعصبة ضد اليهود، ولكن كيف تمتع اليهود بالمكانة السامية التي احتلوها في ظل الحضارة الاسلامية؟

بالطبع: للموقف الاسلامي أبعاده في صميم العقيدة التي تحترم وتؤمّن كل الأديان السماوية التي سبقتها، ولكن الحضارات ممارسة كما هي قيم وتعاليم، وفي تلك الغزوة اتخذ النبي قراراً استأصل كل امكانيات انحراف السلوك المتسامح، اذ تزوج صفية ابنة قائد اليهود الذي قتل في تلك الحرب وألدّ أعداء المسلمين الذي سعى جهده في تكوين الحلف المعادي لغزو المدينة وإبادة المسلمين.

رسول الله(ص) قائد الجيش المنتصر يتزوج يهودية أسيرة تبيح له القوانين وعرف العصر أن تكون جاريته يستنفع بها كيف شاء، ولكنه ينقلها من الأسر الى مرتبة الزوجة وفي نفس ليلة المعركة، حتى لا يبيت الجيش المنتصر إلا وهو يسلّم على إبنة اليهودي (السلام عليك يا أم المؤمنين).

انتهت العداوة بانتهاء القتال لا تمييز ظالم ولا جنس سيد وجنس مقهور، لا شعب مختار ولا شعب ملعون. ابنة اليهودي أصبحت أماً لكل المؤمنين وفي معسكر المسلمين وفي بيت النبي(ص).

وكانت هناك أسيرة يهودية هي (ريحانة) رفضت الاسلام وأصرت على يهوديتها، وكان النبي(ص) يحبّ ان تسلم حتى انه كان اذا سمع صوت أقدام تسير نحوه قال:

لعل أحدهم جاء يبشرني باسلام ريحانة، أسيرة في بيت قائد الجيش المنتصر تصر على تحدّي دعوته وتصر على التمسك بيهوديتها، ولا يفكر النبي(ص) في إجبارها على التخلي عن عقيدتها.

نموذج من عطف النبيّ(ص) على الأعداء

بل نجد النبي(ص) لما رأى أسيرات اليهود وهن متغيّرات توجه اليهن وقال: لهن

مالكنّ هكذا؟

قلن: يا محمد(ص) إن هذا العبد ــ أي بلالاً ــ مرّ بنا على قتلانا.

فغضب النبي(ص) وتوجه الى بلال قائلاً:

(كأنّ الله نزع الرحمة من قلبك، أتمر بالنسوة على قتلاهن؟).

ونلاحظ في هذه القضية ان الرسول(ص) بنفسه يباشر تسلم الأسرى، بينما كان من الممكن أن يأمر غيره بتسلّمهم، كما هي العادة في كل حروب العالم قديماً وحديثاً ــ لأن الملوك والرؤساء ومن اليهم لا ينزلون إلى الميدان إلا نادرا ــ ثم ان رسول الله(ص) يسأل عن سبب تغير حالتهن وعندما أجبْنَ غضب النبي(ص) (رغم أنه من الطبيعي أن تمرّ الأسيرات على المعركة وعلى جثث قتلاهن).

وأراد التنبيه على انه لا يحق ذلك، فقال لبلال الكلمة الآنفة التي تقطر رقة وعطفا وحناناً.

صفية في بيت الرسول(ص)

وينقل التاريخ: أن إحدى زوجات رسول الله(ص) أرادت اهانة صفية ــ بعدما دخلت بيت رسول الله(ص) فأخذت تسأل عن كل واحدة من الزوجات: **أنت** بنت مَن؟ ــ وكان قصدها إيذاء صفية بأن تقول: أنا بنت حي بن أخطب فتتذكر النسوة عداوة أبيها لرسول الله(ص) ومحاربتها للمسلمين ــ فاشتكت صفية الى رسول الله(ص) تلك الزوجة فقال لها **رسول** الله(ص): اذا سألتك فقولي لها:

أبي موسى كليم الله، وعمي هارون نبي الله، وزوجي محمد رسول الله.

التطابق بين القول والعمل

اذاً.. فمن الضروري على الجماعة الاسلامية التي تريد الوصول الى الهدف ان تكون مطبقة للمناهج الأسلامية على نفسها حتى يرى الناس صدقها في قولها وفي عملها، لا أن يروا التناقض الحادّ بين القول والعمل.

قال الله تعالى:

«يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون» . الصف/٢-٣

وفي كلام للأمام أميرالمؤمنين(ع):

[لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له الناهين عن المنكر العاملين به].

رسالة أميرالمؤمنين(ع) الى عثمان بن حنيف

وفي آخر هذا الفصل ننقل كلاماً عن أميرالمؤمنين(ع) يصلح ان يكون درساً لكل من يريد تطبيق الأسلام، قال(ع):

(ألا وأن لكل مأموم إماما يقتدى به و يستضيء بنور علمه ألا وان امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وانكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد، فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنائمها وفراً، ولا اعددت لبالي ثوبيَ طمرا، ولا حزت من أرضها شبراً ولا أخذت منها إلا كقوت اتان دبره، ولهي في عيني أوهى وأهون من عفصة مقرة (أي مرة).

بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء فشحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قوم آخرين، ونعم الحكم الله.

وما أصنع بفدك وغير فدك؟ والنفس مظانّها في غدٍ جدث، تنقطع في ظلمته آثارها، وتغيب اخبارها، وحفرة لو زيد في فسحتها وأوسعتها يدا حافرها لأضغطها الحجر والمدر وسد فرجها التراب المتراكم.

وانما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق.

ولو شئت لأهتديت الطريق الى مصفّى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القزّ، ولكن: هيهات أن يغلبني هواي، و يقودني جشعي الى تخير الأطعمة، ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطانا وحولي بطون غرثى (اي جائعة) واكباد حرّى (اي عطشانة) أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داءاً أن تبيت ببطنة وحولك أكباد تحنّ الى القد

ءأقنع من نفسي بأن يقال: هذا أميرالمؤمنين(ع) ولا اشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش؟

(فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات، كالبهيمة المربوطة همها علفها، أو المرسلة شغلها تقممها، تكترش من أعلافها، وتلهو عما يراد بها، أو أترك سدى، أو أهمل عابثا، أو أجر حبل الضلالة، أو أعتسف طريق المتاهة.

وكأني بقائلكم يقول: اذا كان هذا قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان! ألا وان الشجرة البرّية أصلب عودا، والروائع الخضرة أرقّ جلودا، والنابتات العزية (الزرع الذي لا يسقيه ماء المطر) أقوى وقودا وابطأ خمودا، وانا من رسول الله كالصنو من الصنو، والذراع من العضد، والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها، ولو امكنت الفرص من رقابها لسارعت اليها).

(إليك عني يا دنيا فحبلك على غاربك، قد انسللت من مخالبك، **وأفلتُّ** من حبائلك، واجتنبت الذهاب عن مداحضك، اين القرون الذين غررتهم بمداعبتك؟

أين الأمم الذين فتنتهم بزخارفك؟ هاهم رهائن القبور، ومضامين اللحود، والله لو كنتِ شخصا مرئيا وقالبا حسيا لأقمت عليك حدود الله في عبادٍ غررتهم بالأماني، والقيتهم في المهاوي، وملوك أسلمتهم الى التلف، وأوردتهم موارد البلاء، إذ لا ورد ولاصدر هيهات من وطيء دحضك زلق، ومن ركب لججك غرق، ومن ازورّ عن حبائلك وفق، والسالم منك لا يبالي ان ضاق به مناخه، والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه، اعزبي عني فوالله لا أذل لك فتستذليني، ولا أسلس لك فتقوديني).

(وايم الله يميناً استثني فيها بمشيئة الله ــ لأروضنّ نفسي رياضة تهش معه الى القرص اذا قدرت عليه مطعوما، وتقنع بالملح مأدوما، ولأدعنّ مقلتي كعين ماء نضب معينها، مستفرغة دموعها. أتمتلىء السائمة من رعيها فتبرك، وتشبع الربيضة من عشبها فتربض، و يأكل علي من زاده فيهجع؟ قرّت اذاً عينه اذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة **المرعية!** طوبى لنفس أدت الى ربها فرضها، وعركت بجنبها بؤسها، وهجرت في الليل غمضها، حتى اذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها، وتوسدت كفها، في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم، وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم،

وهمهمت بذكر ربهم شفاههم، وتقشعت بطول استغفارهم جنوبهم، اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون).

ولما كان هذا الكتاب موجها الى عثمان بن حنيف واليه على البصرة حيث حضر مأدبة قوم عائلهم مجفّو وغنيهم مدعوّ، ختم الأمام(ع) الكتاب بقوله:

(فاتق الله يابن حنيف، ولتكفك أقراصك، ليكن من النار خلاصك).

وفي كلمة أخرى للأمام أميرالمؤمنين(ع) مذكورة في نهج البلاغة انه (ع) قال:

(إن الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس، كي لا يتبيّغ بالفقير فقره) «والتبيغ هو التهيج أي لا يهيج به الألم».

١٢ ـ التنافس السلبي

يلزم أن يكون بين الأحزاب والمنظمات والجمعيات والقوى الاسلامية تنافس ايجابي في العلم والعمل و بناء الحياة وجمع الكلمة ونحوها، لا أن يكون بينهم التنافس السلبي وتتبع عثرات الآخرين، واظهار سيئاتهم بينما نجد في كثير من التجمعات الاسلامية التنافس السلبي وذلك مما يسبب تفرق الناس من أطرافهم ولا ينالون في النهاية بغيتهم من التحرير والتقدم الى الأمام.

وقد ورد في أحاديث كثيرة الترغيب الى ذم النفس وانتقادها، وعدم ذكر عيوب الآخرين، بل ذكر مدائحهم ومحامدهم.

كل ينفق مما عنده

وقد ورد عن عيسى(ع) ان جماعة من اليهود سبوه فقال فيهم خيرا فقال تلاميذه: يا روح الله أنهم يسبونك فتقول فيهم خيرا؟

قال: (نعم كل ينفق مما عنده).

أما أنا فأرى أسنانه البيضاء!

ومر عيسى(ع) ذات مرة بكلب ميت قد تعفن جسمه فقال كل واحد من التلاميذ فيه كلاما سيّئاً، لكن عيسى(ع) قال:

(أما أنا فأرى أسنانه البيضاء).

توحيد الكلمة خلق الأنبياء

وفي قصة ان مسيحياً مرّ على المدينة المنورة في إبان زمان الرسول الله(ص) لغرض له، ثم ذهب الى الروم، وكان ملك الروم يتفحص عن الذين يأتون عن المدينة حتى يسأل

عن أحوال رسول الله(ص) **فلما** سمع بقدوم هذا الرجل طلبه وقال له:

هل رأيت **محمداً**(ص)؟

قال: لا.

قال: هل سمعت من أخباره شيئاً؟

قال: لا، إلاّ خبراً واحداً وهو: إنه كان بين الأوس والخزرج ــ وهما قبيلتان عربيتان كبيرتان اسلمتا لرسول الله ــ حرب دامت مائة سنة، ولما جاء محمد(ص) الى المدينة جمع كلمتهما وآخى بينهما.

فلما سمع ملك الروم ذلك قال: انه نبي، فان من أخلاق الأنبياء جمع الكلمة وان من أخلاق الملوك تفريق الكلمة.

الأغماض عن عيوب الآخرين في الروايات

ولنذكر بعض الروايات الواردة بصدد انه يلزم على الانسان ان يحب لغيره ما يحب لنفسه، و يكره له ما يكره لنفسه، وان الانسان يلزم عليه الاشتغال بعيب نفسه عن عيوب الناس، وانه يلزم عليه ان يذم نفسه عوض ان يذم الآخرين.

وفي الحديث: جاء أعرابي الى النبي(ص) فقال:

يا رسول الله علّمني عملاً أدخل به الجنة فقال:

[ما أحببت أن يأتيه الناس اليك فأته اليهم، وما كرهت أن يأتيه الناس اليك فلا تأته اليهم].

وفي حديث آخر، عن أبي عبدالله(ع) قال:

[أوحى الله الى آدم اني سأجمع لك الكلام في أربع كلمات ــ الى ان قال ــ: وأما التي بينك وبين الناس فترضى للناس ما ترضى لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك].

وفي حديث، عن أبي جعفر(ع) قال: قال رسول الله(ص):

[ثلاث خصال من كن فيه أو واحدة منهن كان في ظل عرش الله يوم لا ظل الاّ ظله:

رجل أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم، ورجل لم يقدّم رجلاً ولم يؤخر رجلاً حتى يعلم ان ذلك لله رضا، ورجل لم يعب أخاه المسلم بعيب حتى ينفي ذلك العيب من نفسه، فانه لا ينفي منه عيبا إلاّ بدا له عيب، وكفى بالمرء شغلا بنفسه عن الناس].

وفي رواية عن جابر الأنصاري قال: ان رسول الله(ص) مرّ بنا فوقف وسلم ثم قال:

[مالي أرى حب الدنيا قد غلب على كثير من الناس؟ ــ الى ان قال ــ: طوبى لمن شغله خوف الله عزوجل عن خوف الناس، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب المؤمنين من أخوانه].

وعن أبي جعفر(ع) قال:

[كفى بالمرء عيباً أن يتعرف من عيوب الناس ما يعمى عليه من أمر نفسه، أو يعيب على الناس أمراً هو فيه لا يستطيع التحول عنه الى غيره، أو يؤذي جليسه بما لا يعنيه].

وعن أبي ذر، عن رسول الله(ص) في حديث قال: قلت يا رسول الله أوصني؟

قال:

[أوصيك بتقوى الله فانه رأس الأمر كله].

قلت: زدني.

قال:

[عليك بتلاوة القرآن وذكر الله كثيراً].

قلت: زدني.

قال:

[عليك بطول الصمت].

قلت: زدني.

قال:

[إياك وكثرة الضحك].

قلت: زدني.

قال:

[عليك بحب المساكين ومجالستهم].

قلت: زدني.

قال:

[قل الحق وان كان مراً].

قلت: زدني.

قال:

[لا تخف في الله لومة لائم].

قلت: زدني.

قال:

[ليحجزك عن الناس ما تعلم من نفسك، ولا تجد عليهم فيما تأتي مثله].

ثم قال:

[كفى بالمرء عيبا ان يكون فيه ثلاث خصال: يعرف من الناس ما يجهل من نفسه، و يستحي لهم مما هو فيه، و يؤذي جليسه بما لا يعنيه].

ثم قال:

[يا أباذر لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق].

وعن الصادق(ع) قال:

[إن موسى(ع) لما أراد أن يفارق الخضر(ع) قال: أوصني، فكان فيما أوصاه قال له: إياك واللجاجة، وان تمشي في غير حاجة، وان تضحك من غير عجب، واذكر خطيئتك، وإياك وخطايا الناس].

وقال(ع):

[اكبر العيب أن تعيب ما فيك مثله].

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله(ص):

[كان بالمدينة أقوام لهم عيوب، فسكتوا عن عيوب الناس، فاسكت الله عن عيوبهم، فماتوا ولا عيوب لهم عند الناس. وكان بالمدينة أقوام لا عيوب لهم

فتكلموا في عيوب الناس فأظهر الله هم عيوباً لم يزالوا يعرفون بها الى أن ماتوا].

وعن الباقر(ع) قال: قال رسول الله(ص):

[إن أسرع الخير ثواباً البر، وان أسرع الشر عقاباً البغي، وكفى بالمرء عيبا أن يبصر من الناس ما يعمى عنه من نفسه، وان يعير الناس بما لا يستطيع تركه وان يؤذي بما لا يعنيه].

وقد قال الشاعر:

لسانك لا تبدي به سوأة أمرء ... فكلك سوآت وللناس ألسن

وعينك إن أهدت إليك معايباً ... من الناس قل: يا عين للناس أعين

و يقول شاعر آخر:

ومن هاب الرجال تهيبوه ... ومن وهن الرجال فلن يهابا

وفي رواية الآمدي، عن أمير المؤمنين(ع) قال:

[الكّيس من كان غافلاً عن غيره، ولنفسه كثير التقاضي].

وقال (ع):

[أفضل الناس من شغلته معايبه عن عيوب الناس].

وقال (ع):

[اكبر العيب أن تعيب غيرك بما هو فيك].

وقال (ع):

[شر الناس من كان متتبعاً لعيوب الناس عمياً عن معايبه].

وقال (ع):

[عجبت لمن ينكر عيوب الناس، ونفسه اكثر شيءٍ معابا ولا يبصرها، عجبت لمن يتصدى لصلاح الناس ونفسه أشد شيء فساد أفلا يصلحها ويتعاطى اصلاح غيره].

وقال (ع):

[كفى بالمرء شغلاً بمعايبه عن معايب الناس].

وقال (ع):

[لا تتبعن عيوب الناس فان لك من عيوبك ـ إن عقلت ـ ما يشغلك ان تعيب أحداً].

أنصف الناس من نفسك

ومن الواجب على المنظمات الاسلامية أن ينصفوا الناس فلا يجوز ان يضخّموا حسنات أنفسهم و يصغّروا حسنات الناس ولا أن يشتغلوا بعيوب الناس و ينسوا عيوب أنفسهم.

وفي روايات ان من أصعب الأشياء إنصاف الناس.

فعن علي(ع) قال: قال رسول الله(ص):

[سيّد الأعمال ثلاثة: إنصاف الناس من نفسك، ومواساة الأخ في الله، وذكر الله تعالى في كل حال].

وفي حديث آخر، عن علي(ع) قال:

[ثلاثة من حقائق الايمان: الانفاق من الأقتار والانصاف من نفسك، وبذل السلام لجميع العالم].

وفي حديث آخر عنه (ع) قال: قال رسول الله(ص):

[السابقون الى ظل العرش طوبى لهم].

قلنا يا رسول الله ومن هم؟

قال:

[الذين يقبلون الحق اذا سمعوه، ويبذلونه اذا سألوه، ويحكمون للناس كحكمهم لأنفسهم هم السابقون الى ظل العرش].

وفي رواية عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله(ص):

[أنصف الناس من نفسك، وأنصح الأمة وأرحمهم، فاذا كنت كذلك وغضب الله على أهل بلدة وأنت فيها وأراد أن يترك عليهم العذاب نظر اليك فرحمهم بك].

وفي حديث: إن أحد الأئمة(ع) ورد على أحد الحكام فقال له الحاكم: عظني، فقال

له الامام(ع):

[الناس ثلاثة أصناف: فمنهم من هو أكبر منك سناً، ومنهم من هو في سنك، ومنهم من هو أصغر منك سناً، فاجعل الاكبر كأبيك، والأوسط كأخيك، والأصغر كأبنك، فبّر أباك. وأرحم أخاك، وأحسن الى ابناك].

تحريم احصاء عثرات المؤمنين

وفي جملة من الأحاديث تحريم إحصاء عثرات المؤمنين وعوراتهم لأجل تعييرهم بها.

فقد روي زرارة قال: **سمعت أباعبدالله(ع) يقول.**

[**أقرب** ما يكون العبد الى الكفر: أن يكون الرجل مؤاخياً للرجل على الدين ثم يحفظ زلاته وعثراته ليعنفه بها يوماً].

وعن أبي عبدالله(ع) انه قال:

[من ستر عورة مؤمن ستر الله عزوجل عورته يوم القيامة، ومن هتك ستر مؤمن هتك الله ستره يوم القيامة].

وعن الصادق(ع) قال: قال رسول الله(ص):

[يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه: لا تطلبوا عورات المؤمنين، ولا تتبعوا عثراتهم، فان من اتبع عثرة أخيه اتبع الله عثرته ومن اتبع الله عثرته فضحه ولو في جوف بيته].

وعن الصادق(ع) انه قال:

[من يتبع عثرات أحد من المؤمنين ليفضحه بذلك فضحه الله ولو في بيته].

وعن أبي عبدالله(ع) قال:

[من أحصى على أخيه المؤمن عيبا ليعيبه به يوماً كان من أهل هذه الآية، قال الله عزوجل: «ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم»]. النور/١٩

وعنه (ع) انه قال:

[من أحصى على أخيه المؤمن عيبا ليشينه به ويهدم مروّته فقد تبوءّ مقعده من

النار].

وفي رواية اخرى، عنه (ع) قال النبي(ص):

[من أذاع فاحشة كان كمبتدئها، ومن عيّر مؤمناً بشيء لم يمت حتى يرتكبه].

عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر وأبي عبدالله(ع) قالا:

(إن أبا ذر عيّر رجلا على عهد النبي(ص) بأمّه فقال: يابن السوداء ـ وكانت أمه سوداء ـ فقال له رسول الله(ص): (تعيّره بأمه يا أبا ذر؟) قال: فلم يزل أبوذر يمرغ وجهه في التراب ورأسه حتى رضي رسول الله(ص) عنه .

الصفح المستمر

وفي حديث أن رجلاً سأل يعقوب(ع) لماذا تفضل ولدك يوسف غيره من الأولاد مع أنهم أكبر منه سناً وأكثر قدرة؟

فقال يعقوب(ع): اصبر حتى يظهر ذلك لك، ثم دعا أحد الأخوة وقال له: اذا أساء اليك إنسان ماذا تفعل؟

قال: أقابله بالمثل، ثم دعا آخر وقال له مثل مقالته فأجاب كالأول، ثم دعا يوسف(ع) وقال له: أذا أساء إليك إنسان فماذا تفعل به؟

قال: أعفو عنه، قال: اذا أساء إليك مرة ثانية فماذا تعمل؟

قال: أعفو عنه.

قال: وإذا أساء إليك مرة ثالثة ماذا تعمل؟

قال: أعفو عنه.

فلما ذهب يوسف(ع) قال يعقوب(ع) لذلك الرجل:

لهذا السبب أفضله على غيره.

بل نجد في القرآن الحكيم ان الله سبحانه وتعالى يجعل القاتل أخاً لولي المقتول و يطلب منه العفو عنه فيقول سبحانه:

«فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه بأحسان». البقرة/١٧٨

وفي النصوص تحريض على العفو، قال تعالى:

«فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين». المائدة/١٣

وفي آية اخرى:

«فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره». البقرة/١٠٩

وقال علي(ع) في عهده الى مالك الأشتر:

[ولا تند من على عفو، ولا تبجحن بعقوبة].

وقال (ع):

[أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة].

بل ونجد في نهج البلاغة أن الأمام(ع) لما ضربه ابن ملجم أوصى به خيرا.

من رذائل الأخلاق: السفه وكون الانسان يتقى شره

عن عبدالرحمن بن الحجاج، عن أبي الحسن موسى(ع) في رجلين يتسابّان، فقال:

[البادىء منهما أظلم ووزره ووزر صاحبه عليه مالم يتعدّ المظلوم].

وعن الحلبي، عن أبي عبدالله(ع) قال:

[لا تسفهوا فان أئمتكم ليسوا بسفهاء].

وقال أبوعبدالله(ع):

[من كافأ السفيه بالسّفه فقد رضي بمثل ما أتى اليه حيث احتذى مثاله]

وعن أحمد بن محمد البرقي، عن بعض أصحابه رفعه قال: قال أميرالمؤمنين(ع):

[لا يكون السفّه والغرة في طالب العلم].

وعن الفضل بن أبي قرة، عن أبي عبدالله(ع) قال:

[إن السفه خلق لئيم يستطيل على من دونه، ويخضع من فوقه].

وعن أبي بصير، عن أبي عبدالله(ع) ان النبي(ص) قال:

[ان من شر عباد الله من تكره مجالسته لفحشه].

وعن عيص بن القاسم، عن أبي عبدالله(ع) قال:

[إن أبغض خلق الله عبدٌ أتقى الناس لسانه].

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله(ص):

[شرّ الناس يوم القيامة الذين يكرمون اتقاء شرّهم].

وعن عبد الله بن سنان قال: قال أبوعبد الله(ع):

[من خاف الناس لسانه فهو في النار].

تحريم الفحش ووجوب حفظ اللسان

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله(ع) قال:

[من علامات شرك الشيطان الذي لا يشك فيه ان يكون فحاشاً لا يبالي قال ولا ما قيل فيه].

وعن أبي جميلة يرفعه، عن أبي جعفر(ع) قال:

[إنّ الله يبغض الفاحش المتفحش].

وعن الحسن الصّيقل قال: قال أبوعبد الله(ع):

[إنّ الفحش والبذاء والسلاطة من النفاق].

وعن جابر عن أبي جعفر(ع) قال: قال رسول الله(ص) لعائشة: (يا عائشة ان الفحش لو كان مثالاً لكان مثال سوء).

وعن سماعة قال: دخلت على أبي عبد الله(ع) فقال لي مبتدئا: (يا سماعة ما هذا الذي كان بينك و بين جمالك اياك ان تكون فحاشا او سخابا او لعاناً).

فقلت: والله لقد كان ذلك انّه ظلمني.

فقال: (ان كان ظلمك لقد اوتيت عليه، ان هذا ليس من فعالي ولا آمر به شيعتي، استغفر ربك ولا تعد).

قلت: استغفر الله ولا أعود.

وعن جابر، عن أبي عبد الله(ع) قال:

[إنّ الله يحبّ الحيي الحليم الغني المتعفّف، ألاَ وان الله يبغض الفاحش البذيء السائل الملحف].

وعن الحسن الصيقل، عن أبي عبد الله(ع) قال:

[إن الحياءوالعفاف والعيّ ــأعني عيّ اللسان لا عيّ القلبــ من الايمان، والفحش والبذا والسلاطة من النفاق].

وعن سليم بن قيس، عن أميرالمؤمنين(ع) قال: قال رسول الله(ص):

[إنّ الله حرّم الجنة على كل فحاش بذيء قليل الحياء لا يبالي ما قال لا ما قيل له فانّك ان فتشته لم تجده إلاّ لغيه أو شرك شيطان].

قيل: يا رسول الله وفي الناس شرك الشيطان؟

فقال رسول الله(ص):

أما تقرأ قول الله عزّوجل:

«وشاركهم في الأموال والأولاد».

وعن أبي عبيدة، عن أبي عبدالله(ع) قال:

[البذاء من الجفا، والجفا في النار].

تحريم القذف

عن عمرو بن نعمان الجعفي قال: كان لأبي عبدالله(ع) صديق يكاد لا يفارقه ــالى ان قالــ فقال يوما لغلامه: يا بن الفاعلة أين كنت؟

قال: فرفع أبوعبدالله(ع) يده فصك بها جبهة نفسه ثم قال: (سبحان الله تقذف أمّه قد كنت أرى أنّ لك ورعاً، فاذا ليس لك ورع).

فقال: جعلت فداك أنّ أمّه سنديّة مشركة.

فقال: (أما علمت أنّ لكلّ أمة نكاحاً تنحّ عنيّ).

فما رأيته يمشي معه حتى فرّق بينهما الموت.

وعن أبي حمزة، عن أبي جعفر(ع) قال: قلت له: إنّ بعض أصحابنا يفترون و يقذفون من خالفهم، فقال: (الكفّ عنهم أجمل).

وعن أبي بكر الحضرمي، عن أبي عبدالله(ع) قال: سألته عن الرجل يفتري على الرّجل من جاهلية العرب، فقال: (يضرب حدّا)، قلت: يضرب حدّا، قال: [نعم إن ذلك يدخل على رسول الله(ص)].

أسرع الشرّ عقوبةً : البغي

عن أبي يعقوب السراج، عن أبي عبدالله(ع) قال: قال أميرالمؤمنين(ع):

[أيها الناس إن البغي يقود أصحابه الى النار].

وعن مسمع ابي سيّار أنّ أباعبدالله(ع) كتب اليه في كتاب:

[انظر ان لا تكلّمن بكلمة بغي أبداً وإن أعجبتك نفسك وعشيرتك].

وعن السكوني، عن أبي عبدالله(ع) قال: يقول أبليس لجنوده:

[ألقــوا بينهم الحسد والبغي فانهما يعدلان عند الله الشرك].

وعن ابن القداح، عن أبي عبدالله(ع):

[إنّ أعجل الشر عقوبة البغي].

وعن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر(ع) قال:

[إنّ أسرع الخير ثواباً البر].

وعن أبي عبدالله(ع) في وصيته لأصحابه قال:

[وايـاكـم ان يـبغي بعضكم على بعض فانها ليست من خصال الصالحين فانه مـن بـغـى صير الله بغيه على نفسه، وصارت نصرة الله لمن بغي عليه، ومن نصره الله غلب وأصاب الظفر من الله].

وعن أنس بن محمد، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن آبائه(ع) في وصية النبي(ص) لعلي(ع) قال:

[يـا علي أربـعـة أسـرع شيء عـقـوبـة: رجـل أحـسنت اليه فكافاك بالاحسان إساءة، ورجـل لا تـبـغـي عـليه وهو يبغي، ورجل عاهدته على أمر فوفيت له وغدر بك، ورجل وصل قرابته فقطعوه].

وعن رسول الله(ص):

[لو بغى جبل على جبل لجعله الله دكا، أعجل الشر عقوبة البغي، وأسرع الخير ثوابا البر].

وفي روايـة: دعـا رجل بعض بني هاشم الى البراز فأبى أن يبارزه، فقال له علي(ع):

ما منعك أن تبارزه؟

فقال: كان فارس العرب وخشيت أن يغلبني، فقال: (إنّه بغى عليك ولو بارزته لقتلته، ولو بغى جبل على جبل لهلك الباغي).

التفاخر: من عمل الجاهلية

عن أبي حمزة الثمالي قال: قال علي بن الحسين(ع):

[عجبا للمتكبر الفخور الذي كان بالأمس نطفة، ثم هو غدا جيفة].

وعن السكوني، عن أبي عبدالله(ع) قال: قال رسول الله(ص):

[آفة الحسب الأفتخار والعجب].

و بهذا السند قال: أتى رسول الله(ص) رجل فقال: يا رسول الله انا فلان ابن فلان حتى عدّ تسعة، فقال: رسول الله(ص): (أما انك عاشرهم في النار).

وعن محمد بن حمران، عن أبيه، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر(ع) قال:

[ثلاثة من عمل الجاهلية: الفخر بالأنساب، والطعن بالأحساب، والاستسقاء بالأنواء].

وعن اسماعيل بن ذبيان يرفعه الى ابي عبدالله(ع) قال: افتخر رجلان عند اميرالمؤمنين(ع) فقال:

[اتفتخران بأجساد بالية، وأرواح في النار، ان يكن لك عقل فانّ لك خلقا، وان يكن لك تقوى فان لك كرما، والا فالحمار خير منك، ولست بخير من احد].

وعن الحسين بن مختار رفعه الى اميرالمؤمنين(ع) قال:

[من وضع شيئا للمفاخرة حشره الله يوم القيامة اسود].

وفي (نهج البلاغة) عن أميرالمؤمنين(ع) انه قال:

[ما لآبن آدم والفخر، أوّله نطفة، وآخر جيفة، ولا يرزق نفسه ولا يدفع حتفه].

لا .. للحسد .. نعم .. للغبطة

عن محمد بن مسلم قال: قال أبوجعفر(ع):

[إنّ الرجل ليأتي بأدنى بادرة فيكفر، وانّ الحسد ليأكل الأيمان كما تأكل النار الحطب].

وعن جراح المدايني، عن أبي عبدالله(ع) قال:

[إنّ الحسد يأكل الايمان كما تأكل النار الحطب].

وعن داود الرقي قال: سمعت أباعبدالله(ع) يقول:

[اتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضا] (الحديث).

وعن السكوني، عن أبي عبدالله(ع) قال: قال رسول الله(ص):

[كاد الفقر أن يكون كفرا، وكاد الحسد أن يغلب القدر].

وعن معاوية بن وهب قال: قال أبوعبدالله(ع):

[آفة الدين الحسد والعجب والفخر].

وعن الفضيل بن عياض، عن أبي عبدالله(ع) قال:

[إن المؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط].

وعن أنس بن محمد، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن آبائه(ع) في وصية النبي(ص) لعلي(ع) قال:

[يا علي أنهاك عن ثلاث خصال: الحسد والحرص والكبر].

وعن أبي بصير، عن أبي عبدالله(ع) قال:

[اصول الكفر ثلاثة: الحرص والاستكبار والحسد] (الحديث).

وعن الحسن بن علي بن فضال، عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عن آبائه(ع) قال: قال رسول الله(ص):

[دبّ اليكم داء الأمم قبلكم: البغضاء والحسد].

قال: وقال (ع):

[صحة الجسد من قلة الحسد].

الى غير ذلك مما يعطي درساً بليغاً لكل فرد فكيف بالمنظمة والتجمع والحزب ممن يريد تقديم الاسلام الى الامام؟

١٣ــ محاربة العلماء

للعلماء مكانة خاصة في القلوب واحترام كبير من قبل الناس، فاللازم على المنظمات والأحزاب والهيئات الاسلامية التي تريد الوصول الى الاهداف البعيدة ــ تطبيق حكم الله، وإنقاذ البشرية من ظلمات الجهل والمشاكل ــ ان لا يعارضوا العلماء، لان معارضتهم تعني سقوط المعارضين، بينما نرى في جملة من الأحزاب الاسلامية انها اذا ترعرعت وتمكنت من القيام على رجلها تتصور انها قد صنعت كل شيء وانها وصلت الى ما تريد، فتأخذ في ذم العلماء وسبهم وتنفير الناس منهم والاتهام لهم.

نموذج حيّ

مثلاً حزب اسلامي في احدى لبلاد الاسلامية تجاوز اعضاؤه الالوف، فأخذ يهاجم العلماء في كتبه واجتماعاته و يصفهم بأنهم جامدون، متخلفون، لا يعملون للاسلام.. بينما يوجد في ذلك البلد أكثر من مائة ألف عالم في مساجده ومدارسه وسائر مرافقه الدينية، ومن الواضح ان هذا العمل يعود على نفس ذلك الحزب بالسوء، حيث ان أولئك العلماء لا يسكتون أزاء الاتهام والتهجم،، ولنفرض ان كل واحد منهم يصلي في ثلاثين نفر فقط، و يقوم في هؤلاء الثلاثين برد التهجم على ذلك الحزب، فمعنى ذلك: ان ثلاثة ملايين في ذلك البلد يكونون أعداء لهذا الحزب، وهل يتمكن حزب يحتوي على مليون انسان أن يقابل ثلاثة ملايين؟

دعنا عن ان ذلك يسبب التمزق والتفرق مما يوجب عدم الوصول الى الهدف، كما حصل ذلك بالفعل، ولذا نرى انه مضت على عمر ذلك الحزب مدة مديدة ولم يصل الى شيء يذكر.

إن التهجم على العلماء عمل مخالف للاسلام «أولاً» وعمل ينمّ عن الغرورة «ثانياً» و يسبب عدم النجاح والوصول الى الهدف «ثالثاً» ولذا فمن الضروري على

الاحزاب والمنظمات والهيئات والجمعيات الاسلامية أن يكفوا عن هذا الامر بكل قوة وبكل صلابة، مهما رأوا من التخلف والجمود في الجانب الآخر ــ فرضاً ــ فان التخلف لا يرتفع بالسبّ والتهجم والاتهام والاستهزاء وما أشبه، ولو فرض في جماعة تخلف فاللازم أن يُرشدوا الى الطريق بالتي هي أحسن.

قال سبحانه :

«ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن».

النمل/١٢٥

خصائص العلماء

وتفرض هذه المسألة نفسها بالحاح أكثر عندما نرى العلماء يتحصنون بثلاثة أمور:

أولاً ــ الجماهيرية :

جماهيرية العلماء وخدمتهم للناس وتحركهم بين الناس، فان العالم يكون باستمرار بين الناس ــ بحكم عمله ــ فهو يعقد لهم صيغة النكاح، و يصلي بهم، ويحضر مراسيم دفنهم، ومناسباتهم في الأفراح والأتراح، مما يجعله جماهيرياً، ولذا لا تجد عالماً غير جماهيري في بلد ــ إلاّ الشاذ النادر والشاذ النادر كالمعدوم (كما يقوله العلماء) ــ.

انهيار المحاولات المضادة

وقد رأينا في ايران ان (بهلوي) الأول حارب العلماء وأبعدهم وسجنهم وقتلهم، ولكن لم يمض زمان إلاّ واسترجع العلماء أنفاسهم لما كان لهم من الجماهيرية، وأخرج البهلوي وحلّت عليه اللعنة الى هذا اليوم.

وأتاتورك أيضاً حارب العلماء محاربة لا هوادة فيها، لكنه ذهب، ورجع العلماء الى مواقعهم.

إذاً : فمحاربة العلماء من بعض الشباب الاسلاميين الذين يحبون خدمة الاسلام خطأ محض وعدم معرفة للتاريخ.

ثانياً ــ النصوص الدينية :

روايات كثيرة وردت حول احترام العلماء، وهذه الروايات مذكورة في الكتب، وتذكر على المنابر، وهي مغروسة في أذهان المسلمين جميعاً، ولذا فكل جماعة أو فئة أو منظمة أو فرد يقوم بمهاجمة العلماء فان المسلمين يتنفرون عنه، و يرونه منحرفاً، و يعتبرونه في خط الاستعمار ــ لأن المستعمرين يريدون ابعاد الناس عن العلماء، فقد صرحوا هم مراراً (بانه ما دام العلماء موجودين في المسلمين لن نتمكن من استعمارهم، فالواجب اتهامهم وأخذ الزمام من أيديهم حتى نتمكن من تسيير المسلمين الى حيث ما نريد).

وقد ارتكز في اذهان المسلمين ذلك، ولذا يرون: ان كل مهاجم للعلماء هو في خط الاستعمار مهما برر تهجمه.

أما الروايات فهي كثيرة جداً ونذكر هنا بعضها على سبيل النموذج والمثال:

فقد روى عمر بن حنظلة قال: سألت ابا عبدالله(ع)، عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما الى السلطان والى القضاء أيحل ذلك؟ قال(ع): (من تحاكم اليهم في حق أو باطل فانما تحاكم الى الطاغوت، وما يحكم له فانما يأخذ سحتاً وان كان حقه ثابتاً له، لأنه أخذه بحكم الطاغوت وما أمر الله أن يكفر به، قال الله تعالى:

«يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به»(النساء/٦٠)

قلت : فكيف يصنعان؟

قال : (ينظر ان من كان منكم ممن قد روي حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فاني قد جعلته عليكم حاكماً، فاذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فانما استخف بحكم الله، وعلينا رد، والراد علينا كالراد على الله، وهو على حد الشرك بالله).

وفي رواية أبي خديجة قال: بعثني أبوعبدالله(ع) الى أصحابنا وقال: (قل لهم اياكم اذا وقعت بينكم خصو مة أو تدار في شيء من الاخذ والعطاء: ان تحاكموا الى أحد من هؤلاء الفساق، إجعلوا بينكم رجلاً قد عرف حلالنا وحرامنا فاني قد جعلته عليكم

قاضياً، وإياكم أن يخاصم بعضكم بعضاً الى السلطان الجائر).

وروى الصدوق قال: قال علي(ع): قال رسول الله(ص): (اللهم ارحم خلفائي ـ ثلاثاً ـ قيل: يارسول الله ومن خلفائك؟ قال: الذين يأتون من بعدي يروون حديثي وسنتي).

وعن اسحاق بن يعقوب قال: سألت محمد بن عثمان العمري أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ، فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان(ع): (أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك ـ الى أن قال ـ: وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا، فانهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله).

وفي رواية عن رسول الله(ص) انه قال: (علماء أمتي أفضل من أنبياء بني اسرائيل).

وفي رواية ثانية : (علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل).

وفي رواية عن الصادق (ع) انه قال: (من حكم بين اثنين فأخطأ في درهمين كفر، قال الله عزوجل:

«ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون»(المائدة/٤٤)

فقال رجل من أصحابنا: يابن رسول الله انه ربما كان بين الرجلين من أصحابنا المنازعة في شيء فيتراضيان برجل منا؟

قال : هذا ليس من ذاك، انما ذلك الذي يجبر الناس على حكمه بالسيف والسوط).

وعنه (ع) انه قال يوماً لأصحابه :

[إياكم أن يخاصم بعضكم بعضاً الى أهل الجور، ولكن انظروا الى رجل منكم يعلم شيئاً من قضايانا فاجعلوه بينكم فاني قد جعلته قاضياً فتحاكموا عليه].

وعنه (ع) إنه قال :

[ولاية أهل العدل الذين أمر الله بولايتهم وتوليتهم وقبولها والعمل لهم فرض من الله، وطاعتهم واجبة، ولا يحل لمن أمروه بالعمل لهم ان يتخلف عن أمرهم].

وعن الصادق، عن آبائه(ع) عن رسول الله(ص) إنه قال في حديث: (الفقهاء أمناء

الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا، قيل: يارسول الله وما دخولهم في الدنيا؟ قال: اتباع السلطان، فاذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم).

وعنه (ص) إنه قال :

٢ [يحمل هذا العلم من كل خلف عدول ينفون عنه تحريف الجاهلين وانتحال المبطلين وتأويل الغالين].

وعن أمير المؤمنين (ع) إنه قال :

[الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك].

وروى الآمدي في الغرر، عن أميرالمؤمنين(ع) إنه قال: (العلماء حكام على الناس).

الى غيرها من الروايات الكثيرة الواردة في مدح العلماء مما سبب ان يتركز في أذهان المسلمين احترام العلماء ــ الا من عرفوا منه الانحراف، ومثل هذا ينفض عنه المسلمون بأنفسهم، ولا يعدونه عالماً حقيقةً.

ثالثاً ــ التاريخ النضالي :

ان التاريخ حفظ ــ منذ زمان رسول الله(ص) والى اليوم ــ ان أكثر العلماء كانوا يجاهدون في سبيل الله، ويحاربون الضلال والجهل والكفر الفسق، و ينشرون الدين في مشارق الأرض ومغاربها بألسنتهم وأقلامهم وسلوكهم، وأنهم ضحوا لأجل الاسلام.. فكم من عالم سفّر و بعد عن وطنه؟ وكم من عالم أوذي وسجن؟ وكم من عالم احرق وطرد؟ وكم من عالم قتل وصلب؟ وهكذا. وقد علم كل ذلك على ان يكون للعلماء مكانة في النفوس رفيعة.

شهداء الفضيلة

وقد ذكر العلامة الأميني (ره) في كتاب (شهداء الفضيلة) عشرات من العلماء الذين وقفوا أمام الظلم والطغيان حتى قتلوا وشردوا وأحرقوا وسجنوا وعذبوا. وللالماع الى ذلك نذكر جماعة من العلماء الذين استشهدوا في هذا السبيل ممن ذكرهم (شهداء

الفضيلة) أو (طبقات أعلام الشيعة) ـ للشيخ آقا بزرك الطهراني(ره)ـ أو (أعيان الشيعة) ـ للسيد الأمين(ره)ـ أو (روضات الجنات) ـ للسيد محمد باقر(ره)ـ أو غيرهم:

١ـ الناصر الكبير:

الحسن بن علي الملقب بـ(الاطروش) و(الناصر الكبير) الجد الأمي للشريف الرضي خرج على الظلم والظالمين في بلاد الديلم أيام المقتدر العباسي، وحكم مدة ثلاث عشرة سنة، واستشهد.

٢ـ علي بن محمد بن ابراهيم:

علي بن محمد بن ابراهيم المعروف بعلان أستاذ الكليني(ره) ـ صاحب الكافي ومن شيوخه الذين أكثر الرواية عنهم ـ كانت له صلة بصاحب الزمان(عج)، قتل في أيام الغيبة الصغرى.

٣ـ الحسن الانطاكي:

الحسن بن سليمان الانطاكي من علماء مصر في القرن الرابع الهجري قتله حاكم مصر.

٤ـ بديع الزمان الهمداني:

بديع الزمان الهمداني أحمد بن الحسين بن يحيى الكاتب المشهور والخطيب الذائع الصيت. كان من أصدقاء (الصاحب بن عباد) وكان صريحاً في الحق متكلماً منطقاً، استشهد بالسم.

٥ـ علي بن عبد الله الحلاّء:

الحلاء علي بن عبد الله المعروف بـ(الناشيء الصغير)، ولقب بـ(الحلاء) لأن أباه كان يعمل حلية السيف، وعرف بـ(الناشيء) لأنه ممن نشأ في فن الشعر واشتهر به. كان يقطن مصر، وكان ينظم الشعر، ومن أشعاره قصيدته المعروفة المفتتحة بالبيت التالي:

بآل محمد عرف الصواب وفي أبياتهم نزل الكتاب

قتل حرقاً بالنار من قبل أعدائه.

٦ـ محمد بن هاني الأزدي:

محمد بن هاني الأزدي المعروف بـ(متنبىء الغرب) باعتباره من الاندلس الواقعة غرب البلاد الاسلامية آنذاك، استشهد قتلاً أو خنقاً على خلاف بين المؤرخين في كيفية شهادته.

٧ـ أبو فراس الحمداني:

أبو فراس الحمداني العالم والشاعر المعروف الذي نقل عن الصاحب بن عباد انه قال في حقه: (بدء الشعر بملك وختم بملك) ـ وقصد بهما امرؤ القيس وأبا فراس ـ، وقد حارب الروم عدة مرات وأسروه مرتين وقتل شهيداً في سبيل الله سبحانه وتعالى.

٨ـ سعيد بن حمدان:

سعيد بن حمدان الحمداني والد أبي فراس فقد قتل هذا أيضاً.

٩ـ علي بن الفرات:

أبو الحسن علي بن الفرات قبض عليه وقتل في أيام الغيبة الصغرى.

١٠ـ أبو الحسن التهامي:

أبو الحسن التهامي على بن محمد العاملي الشامي، كان من العلماء والشعراء والأدباء في مفتتح القرن الخامس الهجري، ومن قصائده المعروفة:

حكم المنية في البرية جاري ... ما هذه الدنيا بدار قرار

أراد بنوا العباس قتله فاختفى وجعل يجوب القرى والبلاد متنكراً فراراً من ظلمهم حتى دخل مصر فظفروا به وعرفوه واعتقلوه وأودعوه السجن وعذبوه عذاباً شديداً، ثم قتل في السجن سراً، وقد احتمل إنه قضى نحبه تحت التعذيب.

ومن جميل ما ينقل عنه: انه رؤي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟

فقال : غفر لي.

فقيل له : بأيّ الأعمال.

فقال : بجملة أعمال منها قولي في الشعر:

جاورت أعدائي وجاور ربه ... شتان بين جواره وجواري

حيث كنت أرثي ولدي الذي مات وتألمت لموته كثيراً.

١١ـ ابن السكيت :

ابن السكيت الذي قتله الخليفة العباسي بشق قفاه واخراج لسانه من خلفه، مما سبب موته.

١٢ــ ثابت بن أسلم:

ثابت بن أسلم النحوي، من نوابغ الأدب وعلماء حلب، كان جريئاً في الصدع بالحق، تولى خزانة الكتب بحلب، حمل الى مصر وقتل صلباً.

١٣ــ أبو القاسم القزويني:

أبو القاسم الشيخ عبدالكريم القزويني كان من العلماء البارزين وكان صادعاً بالحق، قتله الملاحدة في القرن الخامس الهجري.

١٤ــ أبو الحسين الكاتب:

أبو الحسين بن طرخان أحمد بن محمد الكندي المعروف بـ(الكاتب) كان صادعاً بالحق ومناهضاً للباطل يقول الحق و يستقيم عليه، قتلوه.

١٥ــ الحسن بن المفضل:

الحسن بن مفضل بن سهلان، تولى الوزارة لسلطان الدولة الديلمي، وقتل في سبيل الله، وهو الذي بنى سور الحائر الحسيني(ع) في كربلاء.

١٦ــ عبد الواحد الطبري:

أبو المحاسن عبد الواحد بن أسماعيل، كان من كبار العلماء في أواخر القرن الرابع الهجري، وتتلمذ عليه القطب الراوندي وكثيرون، عمد الى ثورة فكرية تصحيحية في الاسلام، قتل غيلة وله من العمر فوق الثمانين.

١٧ــ الفتال النيسابوري:

الفتال الشيخ محمد بن الحسن الواعظ النيسابوري صاحب كتاب (روضة الواعظين) وغيره، استشهد في سبيل الله على أثر جرأته في الصراحة بالحق.

١٨ــ ابن القطب الراوندي:

الحسين بن قطب الراوندي قتل في سبيل الله من أجل مناهضته للضلال وصموده للحق.

١٩ــ الحسين بن علي الطغرائي:

الطغرائي الحسين بن علي، من أحفاد أبي الأسود الدؤلي، كان عالماً فاضلاً شاعراً مجيداً، تولى الوزارة مدة، ثم لصموده بالحق ومواقفه قتل ظلماً عام خمسمائة وسبعة عشر وقد بلغ الخامسة والسبعين من عمره.

٢٠ــ أمين الاسلام الطبرسي:

أمين الاسلام الطبرسي الفضل بن الحسن بن الفضل، صاحب تفسير (مجمع البيان) وغيره من الكتب المفيدة، كان يعيش في جو مختلف من الأديان والمذاهب، وكان طوداً في العلم، بطلاً في الايمان، صامداً في ذات الله. استشهد ليلة عيد الفطر من سنة ثمان وأربعين وخمسمائة وحمل نعشه الى مشهد الرضا(ع) ودفن هناك.

٢١ــ يحيى بن أبي الفضل:

السيد أبو القاسم يحيى بن أبي الفضل شرف الدين الذي ينتهي نسبه الى الامام زين العابدين(ع)، كان من أفاضل العلماء، عارضه الملك خوارزم شاه وقتله بالسيف.

٢٢ــ الشهيد الأول:

الشهيد الأول محمد بن مكي العاملي الذي لا تزال كتبه وفتاواه وآرائه تدار في الحوزات العلمية في الفقه والاصولين والحديث وغيرها. جاهد في الله حق جهاده حتى استبيح دمه فقتل وصلب وأحرق بالنار في قلعة دمشق عام سبعمائة وست وثمانين وله من العمر اثنان وخمسون سنة.

٢٣ــ الشهيد الثاني:

زين الدين العاملي، تالي الشهيد الأول في المكرمات والفضيلة والكتب والفتاوى و(شرح اللمعة) و(اللمعة) لهذين الشهيدين مدار البحث من زمانهم الى هذا اليوم، وكان مجاهداً في سبيل الله حتى ضاق به حكام لبنان وحكام الروم، وبحثوا عنه تحت كل حجر ومدر، وأخذوه في أيام الحج فقتل على ساحل البحر، وأهدي رأسه الى ملك الروم، وترك جسده الشريف على الأرض.

٢٤ــ الشهيد الثالث:

الشهيد الثالث الذي هو لقب جماعة من العلماء الأبرار الذين استشهدوا في سبيل الله ومن أجل الصمود للحق، ومن جملتهم: شهاب الدين التستري الخراساني، كان من

أجلّة العلماء أيام دولة السلطان طهماسب، هجم الأ زبكية على خراسان واستأسروا شهاب الدين وأخذوه الى ما وراء النهر وعذبوه وآذوه وسجنوه ثم قتلوه بالخناجر والمدى وأحرقوا جسده الشريف في ميدان بخارى.

٢٥ــ المحقق الكركي:

المحقق الكركي نور الدين على بن عبد العال العاملي المعروف بالمحقق الثاني الغزير العلم صاحب الفضل الكبير، وكان في عهد الملك الصفوي وتولى شؤون السياسة للبلاد وادارة العباد، وكان أمر المحقق الكركي نافذاً على الناس فوق أمر الملك، وكان الملك يُعد من عماله وولاته، دس الأعداء اليه السم غيلة فمات على أثر ذلك مسموماً.

٢٦ــ القاضي نو الله التستري:

السيد القاضي نور الله التستري المعروف، تولى القضاء في الهند، وكان مجاهداً صامداً حتى قتل في سبيل الله شهيداً، وكيفية قتله كما ذكرها المؤرخون: أنهم جرّدوه من ثيابه وضربوه بالسياط الحديدية الشائكة حتى تقطعت أعضائه واختلط لحمه بدمه.

٢٧ــ الشيخ علي العاملي:

الشيخ على الحر العاملي جد صاحب الوسائل وصهر الشيخ حسن صاحب المعالم، ومن أحفاد الحر بن يزيد الرياحي المقتول مع الحسين(ع) يوم كربلاء. كان عالماً زاهداً بطلاً صامداً في دين الله مجاهداً، دسوا اليه السم فمات على أثره.

٢٨ــ السيد نصر الله الحائري:

السيد نصر الله الحائري العالم المدرس الشاعر المعروف في الروضة الحسينية بكربلاء المقدسة، كان مجاهداً في سبيل الله حتى قتل عام ألف ومائة وأربع وخمسين.

٢٩ــ الشيخ صالح الحسيني:

الشيخ صالح الحسيني، من علماء لبنان وتلامذة آية الله السيد مهدي بحر العلوم. كان مجاهداً في سبيل الله صامداً صادعاً بالحق مزاولاً للأمور العامة حتى قتل صابراً محتسباً، قتله أحمد باشا المعروف بـ(الجزار).

٣٠ــ عبد الصمد الهمداني:

المولى عبد الصمد الهمداني الحائري، كان من تلامذة الوحيد البهبهاني وصاحب

الرياض، وكان مجاهداً في سبيل الله عاملاً لرفع راية الاسلام حتى قتل عند باب داره في فتنة الوهابية واستباحتهم لمدينة كربلاء المقدسة ــ التي قتل فيها الالوف من المؤمنين والاخيار وفيهم العشرات من العلماء الفضلاء أمثال الشيخ محمد، والشيخ عين علي، والسيد صادق وغيرهم.

وقد ذكر جملة من المؤرخين ان الوهابيين قتلوا في هذه الفتنة ثمانية عشر ألف إنسان

٣١ــ الميرزا محمد باقر الشيرازي:

الميرزا محمد باقر الشيرازي تلميذ الامام المجدد الشيرازي، ومن شهداء نهضة (المشروطة) في ايران، كان يزاول الامور العامة، يأمر و ينهى و يكافح أعداء الاسلام حتى قتل في شيراز.

٣٢ــ الشيخ فضل الله النوري:

الشيخ فضل الله النوري تلميذ الامام المجدد الشيرازي وابن أخت العلامة المحقق الميرزا حسين النوري صاحب (مستدرك الوسائل) وصهره، قام بثورة تصحيحية للمشروطة البريطانية حيث قال: (انا نريد مشروطة مشروعة لا مشروطة تخرج من قدر بريطانيا) ولذا قتلوه شرّ قتلة صلباً، و بعد ذلك اخذوا يدوسون على جسمه حتى تلطخ جسمه الشريف بالدماء الغزيرة، ونقل الى قم حيث دفن فيها.

٣٣ــ المجدد الكبير:

السيد ميرزا محمد حسن الشيرازي الذي حارب الانكليز حينما أرادوا الدخول في ايران باسم (تجارة التبغ)، حرم استعمال التبغ وسبب ذلك اخراجهم من ايران في قصة مشهورة، دس البريطانيون اليه السم فمات من أثر ذلك.

٣٤ــ الآخوند الخراساني:

الشيخ محمد كاظم الخراساني الآخوند، صاحب الكفاية والكتب الاخر التي هي مدار البحث والدرس في الحوزات العلمية من زمانه الى هذا اليوم. حارب الاستبداد في ايران وأراد إرساء حكم (المشروطة المشروعة) حتى تمكن من طرد الملوكية الجائرة، دس إليه أحد أعوانهم السم على يد أحد خدمه وقتل مسموماً.

٣٥ــ الشيخ محمد تقي الشيرازي:

الشيخ محمد تقي الشيرازي الذي أعلن وجوب مطاردة الاستعمار في العراق، وشكل أول حكومة اسلامية فيها، حارب الانكليز على قوتهم العظيمة حتى تمكن من طردهم من العراق، وانتزع استقلال العراق منهم بالقسر.

.. الى غيرهم من العلماء الكثيرين الذين دونت أسماؤهم في التاريخ.

علماء مجاهدون :

أما العلماء الذين لم يقتلوا ممن حاربوا الكفر والطغيان سواء في أيام الأمويين أو العباسيين أو العثمانيين أو في أيامنا فهم كثيرون جداً، ونذكر منهم بالنسبة الى هذه الفترة الأخيرة:

السيد محمد المجاهد الذي تحرك في العراق الى ايران لمحاربة روسيا الطاغية التي أرادت غزو ايران وهدم الاسلام واستعمار ديار المسلمين، ولذا لقب بـ(المجاهد).

وهكذا : الشيخ النراقي، والسيد نور الله صاحب كتاب (العقل والقرآن) والسيد أبو الحسن الأصفهاني ــالمرجع الديني المعروف، والشيخ ميرزا حسين النائيني، والسيد ميرزا علي الشهرستاني، والسيد محمد علي الطباطبائي، والمرجع الديني السيد حسين القمي ــالذي حارب البهلوي وأخرج من ايران الى العراق.

والمرجع الديني السيد عبدالحسين شرف الدين ــالذي حارب فرنسا وأفتى ضدها حتى أخرج من لبنان الى مصر وكاد أن يقتل، وأحرقت مكتبته التي كانت تضم نفائس الكتبــ وكذلك المرجع السيد حسين البروجردي ــالذي قاوم الظلم والطغيان في ايران مرتين: مرة أيام رضاخان البهلوي حتى حكم عليه بالاعدام ونجا بفضل الله سبحانه وتعالى ومرة في أيام المد الشيوعيــ.

الى غيرهم من العلماء الكثيرين سابقاً ولاحقاً.

ولهذا السبب نرى شدة تعلق المسلمين بعلمائهم في كل الاقطار الاسلامية حيث رأوا منهم على امتداد الخط:

نشر الاسلام، والفضيلة، والتقوى، ومحاربة الانحراف والفسق والعصيان والكفر الاستعمار. ومضادة العلماء والتهجم عليهم لا يرجع ضرره إلا الى المتهجم حيث ينفض الناس من حوله.

نسأل الله أن يوفقنا لجمع الكلمة وما ذلك على الله بعزيز.

١٤ ــ التجارب الفاشلة

لقد وردت كلمة (الحزب) في القرآن الحكيم تارة بعنوان (حزب الله) وتارة بعنوان (حزب الشيطان) فقد قال سبحانه:

«يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم، انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون»(المائدة/٥٣ــ٥٦)

وقال سبحانه :

«فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا، كل حزب بما لديهم فرحون»(المؤمنون/٥٣)

كما قال سبحانه :

«استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إنّ حزب الشيطان هم الخاسرون»(المجادلة/١٩)

وقال سبحانه :

«يحسبون الأحزاب لم يذهبوا، وإن تأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم، ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً»(الأحزاب/٢٠)

الى غيرها من الآيات.

لكن :

١ــ باعتبار ان غالب الأحزاب التي ظهرت في البلاد الاسلامية كانت مرتبطة بالاستعمار وكانت خلاف الاسلام ــ كالحزب الشيوعي، والحزب القومي، والحزب البعثي، والحزب الديمقراطي، والحزب الوجودي وما أشبه.

٢ــ وباعتبار ان غالب الأحزاب الاسلامية أساءت التصرّف في كثير من الأحيان.. لذلك كله اختلطت (الحزبية) في نظر كثير من المسلمين بالصورة التي

شاهدوها، وصار ذلك سبباً في كراهية كثير من المسلمين الأحزاب والحزبيات، ونفورهم منها، وتطلعهم الى نظام يخلو من الأحزاب و يسود فيه الوفاق والوئام.

الأحزاب بين السلب والايجاب

لكن : يجب أن نعلم ان الحزب له جانبان: جانب ايجابي هو: ان الأحزاب ــ التي تتحرك في الاطار الاسلامي وتنتهي الى المرجعية ــ مدارس سياسية لتربية الامة وحقل عملي لتطبيق مباديء الشورى.

وجانب سلبي هو: ان الأحزاب ارتبطت في أذهان المسلمين بالتفرقة والتناحر وشق الصفوف وما أشبه.

ورغم وجود هذه المساويء إلاّ اننا لا يمكننا اغماض النظر عن المحاسن، بل يجب افراغ الأحزاب عن المساويء بربطها بالمرجعية الدينية التي هي الاطار الشرعي الصحيح والموصى به من قبل رسول الله(ص) والأئمة الطاهرين(ع) ولذا ذكرنا في موضع آخر: ان الصيغة الصحيحة للحكومة الاسلامية هي حكومة المراجع الفقهاء والتي ترتبط بها الأحزاب الاسلامية.

محاولة ردّ الاعتبار

.. وحيث ان هذه السلبية حدثت في أذهان كثير من المسلمين فمن الضروري على القائمين بالأحزاب الاسلامية أن يهتموا غاية الاهتمام لأفراغها من السلبيات وارجاعها الى الخط المستقيم، فالحزبية مثلها مثل انسان ساءت سمعته بتصرفات سيئة، فانه اذا أراد أن يبدل سمعته الى الحسن فاللازم عليه أن يبذل جهوداً مضاعفة.

وعليه فمن الضروري على الأحزاب الاسلامية الاهتمام لاستفادة الأخوان والأصدقاء، وقبول العتاب، والاستشارة الدائمة، وذكر محاسن الناس، واشراك الناس في الرأي، وعدم تتبع عثرات الآخرين، الى غير ذلك.

نحو كسب الأصدقاء

وهناك روايات كثيرة في جهة استفادة الأخوان والأصدقاء نذكر جملة منها:

فعن محمد بن يزيد قال: سمعت الرضا(ع) يقول: (من استفاد أخاً في الله استفاد بيتاً في الجنة).

وروى الصدوق ــقدهــ عن أبيه قال: قال لقمان لابنه: (يابني اتخذ ألف صديق، وألف قليل، ولا تتخذ عدواً واحداً، والواحد كثير).

وعن أمير المؤمنين (ع) قال:

[عليك باخوان الصفا، فهم عماداذا استنجدتهم وظهور، وليس كثيراً ألف خليل وصاحب، وان عدواً واحداً لكثير].

وعن رسول الله (ص) انه قال:

[لا يدخل الجنة رجل ليس له فرط، قيل: يارسول الله ولكل فرط؟ قال: نعم ان من فرط الرجل أخاه].

وعن جعفر بن محمد (ع) قال:

[أكثروا من الأصدقاء في الدنيا فانهم ينفعون في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فحوائج يقومون بها، وأما الآخرة فان أهل جهنم قالوا: «فما لنا من شافعين، ولا صديق حميم» الشعراء/ ١٠٠ــ١٠١

وفي رواية أخرى عن الصادق (ع) قال: (استكثروا من الأخوان، فان لكل مؤمن دعوة مستجابة).

وقال:

[استكثروا من الأخوان فان لكل مؤمن شفاعة].

وقال:

[اكثروا من مؤاخات المؤمنين فان لهم عند الله يداً يكافئهم بها يوم القيامة].

وعن علي (ع) كما في نهج البلاغة:

[أعجز الناس من عجز عن اكتساب الأخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم].

وعن علي (ع) قال: سمعت رسول الله(ص) يقول: (المؤمن غر كريم والمنافق خب لئيم، وخير المؤمنين من كان مألفه للمؤمنين، ولا خير فيمن كان لا يألف ولا يؤلف).

قال: وسمعت رسول الله يقول: (شر الناس من يبغض المؤمنين، وتبغضه قلوبهم، المشائون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة البادون للناس العيب، أولئك لا ينظر الله اليهم ولا يزكيهم يوم القيامة ـ ثم تلا هذه الآية:

«هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين، وألّف بين قلوبهم»(الأنفال/٦٢ـ٦٣)

وفي رواية عن علي (ع) قال: قال رسول الله(ص): (من استفاد أخاً لله تعالى زوجه الله حوراء فقالوا: يارسول الله وان واخى أحدنا في اليوم سبعين أخاً؟

قال: أي والذي نفسي بيده، لو آخى ألفاً لزوّجه الله تعالى ألفاً).

وعن داود بن سليمان، عن الرضا(ع) قال: (من استفاد أخاً فقد استفاد بيتاً في الجنة)

وفي الاختصاص عن رسول الله(ص) قال: (ومن جدد أخاً في الاسلام بنى الله له برجاً في الجنة من جوهرة).

وروى العلامة الكراجكي في كنزه انه نشد لأميرالمؤمنين(ع):

وليس كثيراً ألف خل وصاحب ... وان عدواً واحداً لكثير

وفي لب اللباب، عن رسول الله(ص) قال: (ما أحدث عبد أخاً في الله الاّ أحدث الله له درجة في الجنة).

الى غيرها من الروايات الكثيرة بهذا الصدد.

وعليه من الضروري على الأحزاب الاسلامية المرجعية التي هي بصدد إقامة حكم الله سبحانه وتعالى أن تستفيد الأخوان في الله سبحانه وتعالى، وان تتجنب المشاكسات والمهاترات وما أشبه مما يسبب تفرق الناس عنهم و ينتهي بالآخرة الى أن يبقوا بلا أصدقاء أو مع قليل الأصدقاء أو مع كثرة الاعداء ولا يصلوا الى الهدف، فان الهدف فوق كل شيء وكل شيء في طريق الهدف فهو طريقي.

ونـنـهـي هـذا الفصل بذكر كلام لعلي (ع) مما يجب أن تتخذه الأحزاب والتجمعات الاسلامية التي تريد الوصول الى الهدف درساً وعبرة وأسوة.

قال (ع) :

[فـدع الاسـراف مـقـتـصـداً، واذكـر في الـيـوم غـداً، وامـسـك من المال بقدر ضـرورتـك، وقـدم الـفـضـل لـيـوم حاجتك، أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين وأنت عنده من المتكبرين؟ وتطمع وأنت متمرغ في النعيم تمنعه الضعيف والأرملة ان يـوجـب لـك ثـواب المتصدقين؟ وانما المرء مجزيّ بما أسلف، وقادم على ما قدّم والسلام].

الفصل التاسع:

«الاعداد للصياغة الجديدة»

ــ ضرورة الاعداد ــ

يقول القرآن الحكيم:

«ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدةً ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم مازادوكم إلاّ خبالاً ولأ وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سمعون لهم والله عليم بالظالمين»(التوبة/٤٦ــ٤٧)

إن إنتصار أية ثورة في التاريخ وانتصار أي مبدأ في الحياة لا يمكن أن يأتي لشعب على طبقٍ من ذهب.

إنَّ في الثورة تضحيات، وقبل التضحيات هناك العمل الطويل الشاق فالثورة من بدايتها الى نهايتها عمل متواصل من أجل بلوغ الهدف.

والحياة صراع بين قوى الخير ــ التي يمثلها **المؤمنون الصادقون** ــ من جهة و بين قوى الشر والضلال ــ التي يملثها الكفار والمنافقون ــ من جهة أخرى.

هذه هي سُنة الحياة وهي تتطلب من الانسان أن يكون واقعياً مع نفسه ومع الواقع الخارجي، فلا يتمنى، و يضمر في قلبه شيئاً يريد تحقيقه دون عمل حثيث من اجله.

وقد دلت التجارب الحيوية إن أي شعب يريد الانتصار، فأن عليه الاعداد والاستعداد لتقديم الثمن لانتصاره، والثمن هو الوقت والراحة وكل شيء يملكه، وإن سُنة الله في الارض تقول:

«إن الارض يرثها عبادي الصالحون»(الأنبياء/١٠٥)

وإن الحياة السعيدة للذين يجاهدون و يعملون، وإن نصيب القاعدين والمتخاذلين هو الذل والمهانة في الدنيا والآخرة، وسيرث هذه الدنيا عباد الله **الصالحون** الذين يعدون العدة.

لذا فان على الامة الاسلامية التي تجاهد من أجل الحق ضد الباطل ــ المتمثل في الانظمة التي سادت عالم اليوم ــ أن تعد العدة وتبدأ المسيرة لكي تصل الى أهدافها السامية.

ـ الصراع بين جبهة الحق وجبهة الباطل ـ

إن النضال التي تخوضه الامة هو بين جبهتين: جبهة تمثل الحق وهي الشعوب وقياداتها الصالحة، وجبهة تمثل الباطل وهي الانظمة، والصراع بين الشعب والنظام صراع متناقض، فصراع الشَعب مع السلطة انما هو من أجل إسقاطها وإقامة حكم الله في الارض، وصراع السلطة مع الشعب إنما **هو** لاخماد تحركه والتحكم عليه بقوة الحديد والنار وفتح المعتقلات على مصراعيها لاستقبال وخنق كل مؤمن ثائر من أبناء الشعب، ونستطيع أن نقول أن الصراع بين الامة والانظمة إنما هو صراع بين رسالتين متضادتين هما رسالة السماء ورسالة الارض التي وضعها الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، والمواجهة بين أية سلطة وشعب هي قمة الصراع بين تلك الرسالتين ذات المصلحتين المتناقضتين.

إن الصراع في هذه الحياة ضرورة تقتضيها طبيعة الانسان وطبيعة الشعب المضطهد الذي يريد أن يتخلص من الاغلال المفروضة عليه، إن التناقض بين الانسان وأخيه الانسان قائم في إقتسام المغانم والمصالح، فقد خُلق الناس وهم على هذه الشاكلة:تناقض بين الشعب الذي يمثل جبهة الحق و بين الشعب الآخر المضلل الذي يمثل جبهة الباطل، عداوة بين حزب الله وحزب الشيطان يقول الله تعالى:

«وقلنا اهبطوا بعضكم لبعضٍ عدوٌ»(البقرة/٣٦)

والعداوة بين الجبهتين ليست عداوة عنصرية أو طائفبة، إنما هي عداوة بين نظام يمثل القيم والمفاهيم المنحرفة، و بين شعب يؤمن بقيم معاكسة لتلك القيم وهي القيم السماوية السامية وهذا التناقض نابع من طبيعة الانظمة وتركيبتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وطريقة تفكيرها، وسينشأ من البعد بين الامة والانظمة مواجهة حقيقية في يوم من الايام، وهذه المواجهة سوف تحدد مستقبل الدولة الاسلامية وجغرافيتها السياسية بالنسبة الى انقاذ العالم، ومن الطبيعي ان نرى المواجهة او ننتظرها، فالشعب الذي يعيش ابنائه في اقبية السجون وتحت التعذيب و يلفهم الحرمان لابد وان ينتفض و يتخلف من الرق والعبودية في يوم ما ويخلص العالم معه.

وهنا تأتي مرحلة الاعداد وهي المرحلة الصعبة الشاقة في حياة أي شعب يطالب بالتحرر والاستقلال.

ـلنأخذ بزمام المبادرةـ

إن الشعب الذي يهيء نفسه للانتصار واقامة الحكومة القائمة على مباديء التوحيد يجب أن يثبت نفسه في ساحة المواجهة مع الانظمة، أما اذا رفض المواجهة ولم يعدَّ العدَّة لها ولم يخض الصراع مع النظام في سبيل تحقيق أهدافه فأن الصراع سيأتيه و يشمله شاء أم أبى.

إن الشعب الواعي والذكي والذي وصل الى درجة من الوعي السياسي هو الذي يعترف بهذه الحقيقة في الحياة، ويجند طاقاته وامكانياته لخوض المواجهة المصيرية مع الانظمة.

وكذلك فأن أي شعب في دولة يحكمها الانحراف مهدد بالدخول معها في صراع من أجل إزالتها.

ونحن ــالمسلمينــ يجب أن نكون على أتم الاستعداد، ومهيئين نفسياً لدخول الصراع مع الانظمة القائمة، لكن لا بالحرب بل بالسلم،وإلا صار الصراع مفروضاً من قبل الانظمة.

إن الكثير من الصراعات التي وقعت في العالم كانت حسب تخطيط وإرادة الآخرين من الحكام أو القوى العظمى فاذا لم نعدَّ نحن أنفسنا أفلتت المبادرة من أيدينا.

ومن الواجب أن تتخذ الامة الاسلامية المبادرة في ادارة الصراع والمواجهة مع الانظمة لتكسب المعركة وتنتصر بارادة الله تعالى.

ـلا... للانتظار الباردـ

إن إنتظار خوض الصراع بين الشعب وجماهيره و بين الانظمة لا يعني إنتظاراً بارداً صامتاً ساكناً، وإنما إنتظار الصراع يعني اعداداً دائماً ومستمراً من أجل ساعة المواجهة.

إن الكثير من جماهير الامة تُمنّي نفسها بالانتصار على الانظمة وأن تتحرر من

الاغلال والاستبداد والديكتاتورية.

وقطاع آخر من الجماهير المؤمنة يُمنيّ نفسه هو الآخر بخوض الصراع مع الانظمة من أجل مصلحة رسالته وقيمه ومبادئه. وقطاع آخر ثالث يزعم أنه في يوم الصراع يستطيع أن ينتصر على العدو.

ولكن القليل منا يعرف أن هذا الانتصار وهذا الانتظار ليسا بالتمني وإنما بالعمل الجاد والاعداد الدائم والمستمر للنهضة.

ـ كيف ننتصر في المعركة ـ

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المجال هو أنه بماذا ننتصر على الانظمة؟

والجواب: إن إنتصار الاسلام في العالم لأجل صياغة جديدة للعالم وإقامة الحكومة الاسلامية يتطلب إموراً ثلاثة لابد منها وهي:ـ

أولاً : الاعداد النفسي للصراع.

ثانياً : الاعداد البدني.

ثالثاً : الاعداد التنظيمي.

أولاً : الاعداد النفسي

فالاعداد النفسي للصراع عبارة عن صراع إرادة الامة مع ارادة الانظمة، بمعنى أن الشعب يملك الارادة والعزيمة، وخصمه المتمثل في النظام يمتلك أيضاً تلك الخصائص.

وارادة الشعب تتحدى ارادة النظام وعزيمته التي هي عزيمة البقاء، وهذا هو صراع الارادة.

وعندما نقول بصراع الارادة فأنما نقصد أن المسلم يجب عليه القيام بأعداد نفسه وشحذ عزيمته، فان قسماً كبيراً من عملية خوض الصراع مع النظام والانتصار عليه و بلوغ الهدف مرتبطة بالتهيئة النفسية وشحذ الارادة.

وعندما يتصف المسلم بالشجاعة والارادة والاصرار على المواجهة رغم الظروف فانه سينتصر حتماً ــ باذن الله ــ.

وكمثال على ذلك: المواجهة الاولى مع أعوان النظام في الشارع أو في الازقة أو عن طريق الاضرابات العمالية والامتناع عن الذهاب الى مؤسساته كل ذلك بحركة سلمية، هذه المواجهة تحتاج الى شحذ الارادة والاعداد النفسي للانسان لكي يستطيع المقاومة في هذه المرحلة و يكون مستعداً لتقبل ردود الفعل التي سيقوم بها النظام وأجهزته.

يجب على المسلم أن يتحلى بمثل هذه النفسية وأن يتمرن عليها، لأنه عندما تكون نفسيته معدة وارادته حديدية فأن باستطاعته المقاومة حتى النفس الاخير.

وكذلك فأن إنتظار المواجهة مع أعوان النظام في الشارع أو في المصنع أو المدرسة أو الجامعة أو الحوزة أو أي مكان آخر تعطي الانسان دفعة وأرادة قو ية بالاضافة الى النفسية المهيأة لخوض المعركة والاستمرار فيها، وقد تكون مواجهة مع أعوان النظام في أحد الشوارع كافية لأن تدفع الآخرين للوقوف بوجهه وخوض الصراع في قرية من القرى أو مدينة من المدن، إذ أن المواجهة الاولى قد أعطتهم درساً في الارادة والعزيمة والمقاومة.

كما أن التعلم على المناورات وكيفية خوض الصراع مع النظام تعطي شحنة من الخبرة والارادة النفسية المعدة للمواجهة.

إن الظلم والارهاب الذي يشيعه النظام يجب أن يجعلنا مؤمنين بضرورة مواجهة مثل هذه الاجراءات، واعداد أنفسنا الاعداد الذي نستطيع أن نصمد ونقاوم ونحطم هذه القيود.

قال تعالى:

«واستعينوا بالصبر والصلاة»(البقرة/٤٥)

والصبر في مرحلة المواجهة يُنمي إرادة الانسان، وكذلك الصلاة هي الاخرى تنمي الارادة لدى المؤمن وتدفعه نحو الانطلاق دون خوف وجزع إذ أن الخوف لا ينبغي أن يكون إلا من الله (عزوجل).

قال تعالى:

«يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم»(المائدة/٥٤)

وعلينا نحن أبناء الامة ان نتحدى الصعاب والعقبات في طريق الانتصار، فعملية الانتصار ليست سهلة كما يتصورها بعض الناس، بل ان من واجبنا خوض الاعمال الصعبة وتحدي ظروف السجن والاعتقال والتصفية والهجرة والنفي، ونعتبر هذه المسائل

ـإزالة العقبات النفسيةـ

ثم إن هناك عقبات نفسية كالجبن والاستسلام تمنع الانسان من العمل، فاذا خاف الانسان من هذه العقبات **فانه** ليس باستطاعته التخلص من ربقة القيود والاغلال المفروضة عليه، فعلى الانسان أن يزيل هذه العقبات و يربي نفسه على الشجاعة والاقدام حتى يكون بمستوى خوض الصراع لاجل الانقاذ.

تنمية المواهب والتربية الشخصية وصقل النفس ضرورات لابد منها لتحقيق الانتصار.

إن النظام السائد في عالم اليوم يمتلك الوسائل الفتاكة لقمع المظاهرات وسجن المصلحين وتعذيبهم وأحياناً قتلهم ومصادرة أموالهم كما فعل المشركون بالرسول(ص) وأصحابه فعلى الانسان أن يصمم لتلقي كل ذلك.

وهناك حقيقة لابد من معرفتها وهي أن المصلح يجب أن ينتظر من النظام المواجهة العنيفة، لذا فان عليه أن يكون مستعداً في هذه المرحلة لتفويت الفرصة على النظام.

إن النظام كما علمتنا الثورة الاسلامية لرسول الله(ص) لا يتساهل مع الجماهير فانه سيضع كل امكانياته وقدراته في سبيل القضاء على المقاومةالشعبية لحكمه.

ثانياً : الاعداد البدني

دروساً نستفيد منها في تنمية ارادتنا، وإن القيام بالاعمال التربوية كالصوم وذكر الله تعالى والصلاة في جوف الليل من العوامل التي تجعلنا نمتلك الارادة الحديدية التي لا تقهر.

أما الاعداد البدني للصراع فهو ضرورة من الضرورات التي يستطيع بها المسلم

الانتصار على اعوان النظام، فاللازم ان تكون الابدان صلبة وقوية تتحمل المجابهة وتقوى على ما يقوم به النظام من اعمال الفتك والابادة.

إن كلمة نعم في سؤال المسلم هل انه يريد الاصلاح؟ ليست كافية لأن تغيير تاريخاً ونظاماً وتبني حضارة، إنما الاعداد النفسي والبدني هو الكفيل بأن يسقط النظام و يقيم على أنقاضه النظام الاسلامي المنقذ للعالم، وان الوسائل والاعداد الذي نتخذه يجب ان لا يكون قشرياً واهياً ينكسر و يتلاشى مع اول مواجهة.

إنما يجب الاعداد اعداداً ايمانياً راسخاً في النفس، وأن تكون النفس مطمئنة ومسلّمة بضرورة الاعداد للمواجهة، ومستعدة لخوض الصراع حتى النصر أو الشهادة.

ومن جانب آخر يجب أن ندرب أنفسنا على الوسائل التي تعطينا (النفس الطويل) في الصبر عند المواجهة، فلا نتنازل للأنظمة في خلال ساعات أو أشهر، بل يجب خوض المعركة ولو كانت طويلة، فطول المعركة يجب أن يلازمه الصبر وارتفاع درجة الارادة في النفس وصلابة الابدان لتحمل المشاق والمصاعب فان هذه الامور أساسية يجب أن يتدرب عليها المسلمون في كل مكان.

فاللازم اذن أن نتسلح بالروحيات العالية والابدان القوية لخوض المعركة والتسلح بالايمان يجب أن يكون متقدماً فانه هو الذي يضمن صعود الانسان واستقامته في المعركة نظراً لايمانه بعدالة قضيته.

ثالثاً: الاعداد التنظيمي

فاللازم أن نعرف أن الحياة اليوم تعتمد اعتماداً أساسياً على التقنية في جميع المجالات، وهذه التقنية ليست فقط في الادوات التي يقدمها الانسان في حياته، بل في التعاون والتنسيق بين طاقات الانسان نفسه أيضاً.

وحضارة اليوم مبتنية على التعاون في كافة الحقول والمجالات.

ونحن ـ المسلمين ـ الذين نتطلع الى اقامة صرح الامة الاسلامية وإنقاذ العالم يجب علينا أن نعد أنفسنا تنظيمياً في التنسيق بين خبراتنا، وطاقاتنا وتوجيهها التوجيه السليم في التخلص من الحكام الذين يقفون أمام تقدم الامة ـ والحكام الديكتاتوريون هم

عقبات الامم التي تريد التقدم والتحرر والاستقلال.

فان بناء الحضارة في الوقت الحاضر يعتمد اعتماداً كلياً على التقنية وعليه فنحن كأمة تطمع الى بلوغ أهدافها واقامة حكومتها التي ستكون القاعدة لتغيير العالم حضارياً يجب أن نتبع الاسلوب العلمي والتقني فيما بين طاقاتنا حتى نُحسِن تفجير مواهبنا بشكل جيد في عملية الصراع،وضروري أن يكون هذا التعاون قبل مرحلة المواجهة وعندها، فقد يقوم شعب من الشعوب بالمواجهة مع نظامه و يقدم التضحيات الجسام ولكنه بفقدانه التعاون والتنسيق بين طاقاته تذهب تضحياته هباءاً دون أن يستطيع الانتصار، لذلك قال الله سبحانه وتعالى:

«وأعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا»(آل عمران/١٠٣)

فيجب أن نعبأ طاقاتنا الفكرية وقدراتنا المادية وأن ننخرط في التنظيمات الاسلامية التي تبلور عملنا وجهودنا وتصبها في مجاريها السليمة تحت قيادة مراجع الامة.

التنظيم الثوري

إن معرفة التنظيم الثوري والانخراط فيه ضرورة لابد منها وقد قال علي عليه السلام:

[ونظم أمركم]

وكذل معرفة التنظيم الاجتماعي وغيره من التنظيمات التي تصب طاقات الانسان وقدراته في قنواتها المناسبة وتستغلها في الواجبات التي يجب على الناس معرفتها والعمل بها، فاللازم الانخراط فيها وممارسة الاعمال والخدمات داخلها فان:

[يد الله مع الجماعة].

وهكذا فأن تنظيم عملنا وتنظيم أنفسنا والتنسيق فيما بيننا في مرحلة الاعداد شيء نحتاج اليه كما نحتاج اليه بعد الوصول الى الهدف وإننا في هذه المرحلة اذا لم نعمل باتقان وتنظيم فسوف تتأخر مرحلة الانتصار لربما الى سنين طويلة، فعلى المسلم أن يتدرب على جميع الوسائل والاساليب في مقاومة الانظمة حتى اذا جاءت ساعة المواجهة لا يكون كالنعامة التي تدس رأسها في التراب وذيلها لمهب الريح حتى يأخذها الصياد.

فعلينا أن نوجد هذا التعاون وتلك القدرة التنظيمية الواسعة بيننا ونعبأ طاقاتنا على هذا الاساس لكي تتوفر بعد ذلك عوامل وشروط الانتصار، وتصبح المواجهة حينها شيئاً سهلاً ومرحلة نعبرها بسلام ونكسبها أيضاً.

فمن الممكن أن تكون مرحلة الصراع وادارته مع النظام أصعب من مرحلة ما بعد الصراع فيما اذا كسبنا المعركة، فمرحلة ما بعد الانتصار وما فيها من مصاعب ومؤامرات ضد الحركة الاسلامية سواء المؤامرات الداخلية أو الخارجية وكذلك بناء مؤسسات جديدة أسهل من مرحلة المواجهة، إذ سوف تكون كل القدرات حينها بأيدي الامة فنستطيع أن نواجه بها الخصم، ناهيك عن اكتشاف الشعب لنفسه من جديد وفدائه اللامتناهي لمكتسبات ثورته.

والواجب على المسلم أن يلقن الحكام ما لقنه المسلم الأعزل ــ إلا من سلاح الايمان ــ في أول الاسلام فصاروا عبرة للشعوب في نضالها ضد قوى السيطرة والظلم، أما أن لا نحرك ساكناً ولا نبذل جهداً فمعنى ذلك إنّا لا نعترف بمواهبنا وقدراتنا وطاقاتنا، ومن ثم لا نستطيع أن نعرف نواقصنا ونكملها،وقد قال علي(ع) في حكمة بعثة الانبياء:

[ويثيروا لهم دفائن العقول]

التعاون بين الطاقات

إن التعاون بين قطاعات الامة بمستوى علماء الدين والخطباء والتجار والعمال والمهندسين والاطباء والطلبة الجامعيين والحوزويين والفلاحين والعمال وغيرهم واجب ضروري يجب أن نزرعه في أنفسنا، فان التعاون بين هذه القطاعات سيؤدي شيئاً فشيئاً الى نتائج مثمرة بعد مدة من الزمن.

وهذا التعاون الذي نريد أن نوجده بين أفراد الامة بعضهم مع بعض وبين المنظمات والمؤسسات الاسلامية وبين الشعب وقيادته المرجعية وكذلك القدرة التنظيمية داخل الامة ليس شيئاً يمكن أن يوجد بين عشية وضحاها، إن القضية تحتاج الى عمل جاد ومستمر بيننا جميعاً وخاصةً بين الشعب والقيادة المرجعية التي ستقود الصراع.

حواجز نفسية

وهناك حواجز كثيرة تفصلنا عن بعضنا البعض، وهذه الحواجز لا تظهر في فترة الاختلاط والصداقة والسفرات والرحلات السياحية إنما تظهر عندما نبدأ العمل الجدي.

هذه الحواجز التي تقف جداراً سميكاً يجب أن ننسفها حاجزاً بعد حاجز حتى تتحد وتتلاحم الامة ونستطيع بالتالي العمل والتنسيق جميعاً.

ويجب أن نشعر أنفسنا في هذه المرحلة بضرورة تحطيم الحواجز وذلك بمعرفة بعضنا للبعض الآخر، وتقييم كل منا للآخرين كي نكتشف طاقاتنا كشعب ونعترف بهذه الطاقات وتكون لدينا قناعة تامة بطاقاتنا وقدراتنا وإن با ستطاعتنا بلوغ الهدف وهذا هو أهم شيء نحتاجه.

دور الاخلاق في عملية التغيير

ويجب أن لا يخفى علينا شيء مهم وهو السلوك الاخلاقي السيء وجوانب النفاق والحسد والكسل التي تقف عقبات كؤودة أمام عملية البناء والاعداد الذاتي للفرد والامة.

فان هذه الانماط الاخلاقية الفاسدة يلزم أن نقلع جذورها من الاساس بيننا كأفراد وكأمة، حتى تكون نفوسنا صافية وخالية كي ننطلق للبناء الذاتي ونخدم الآخرين ونقيّمهم التقييم السليم، فلا نقيّم الانسان بسنه وبماله وجاهه ونسبه، بل أن هناك مقاييس اسلامية يقيم بها الفرد والتي تتمثل في تقواه وقدرته على القيادة والاخلاق التي يتحلى بها.

هذه المقاييس يجب أن لا نغفل عنها ونحن في مرحلة البناء.

الاعتراف بقيمة الآخرين

ومن الامور الاساسية التي استطاع الاسلام ان يتقدم بها في هذا المجال هو إعتراف

الانسان بقيمة الآخرين.

فـ[قيمة كل إمرء ما يحسنه]

كما قال أميرالمؤمنين عليه السلام، وقبله قال الله في كتابه الكريم:

«إن أكرمكم عند الله أتقاكم».

إن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث بجيش قوامه أربعة آلاف جندي وكان فيه كبار الصحابة وجعل عليهم (إسامة بن زيد) أميراً وقائداً وهو ابن السابعة عشر، فلم يتفوه أحد منهم بكلمةٍ بأن يقول: إنه صغير السن ولا يمتلك الخبرة في أمور الحرب ولا يمتلك القدرة على القيادة وعلمه قليل بالنسبة لعلم الآخرين فشاب عمره سبعة عشر سنةٍ يقوم بقيادة الجيش ويخضع له كل الجنود والضباط والمراتب بما فيهم كبار الصحابة.

وهذا إن دلّ على شيء فانما يدل على المقاييس الصحيحة التي يضعها الاسلام في تقييم المسلمين لأنفسهم التقييم السليم وتسليمهم للقيادة المتمثلة في الرسول الاعظم(ص) وطاعتهم لمثله أسامة بن زيد.

وهذه الامور والمتطلبات لا نستطيع أن نوجدها فجائياً في مجتمعنا، وإنما يتربى المجتمع على هذه القيم والاخلاقيات السامية بصورة تدريجية.

وبهذا نستطيع أن ننمي التنظيم الحقيقي الذي فتته الاستعمار داخل مجتمعاتنا. إن النبي الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) كان أمةً في عصره، لذا استطاع أن يبني أمة قوامها الآن مليار إنسان بالاضافة الى أنه(ص) أصلح قسماً كبيراً من العالم غير الاسلامي فالديمقراطية والنظم والنظافة والعلم واحترام الانسان كلها من آثار نبي الاسلام.

فعندما تتوفر عوامل الاعداد في الامة و يكون هناك ارتباط وثيق بينها و بين القيادة الاسلامية التي تتوفر فيها الشروط والمؤهلات القيادية فانها ستكون قادرة على التخلص من الاستبداد والتبعية ولنا في القيادة الاسلامية خير مثال.

لا.. للتفكير السلبي

ونحن المسلمين يجب أن لا نفكر بأننا غير مؤهلين للقيادة وأخذ زمام الامور في العالم

وبـنـاء حـضـارة الامة الاسلامية، بل علينا أن نطرد كلمة (مستحيل) من قاموس حياتنا وعـنـدهـا سـنـسـتطيع اذا ما أخذنا المبادرة وتفهمنا الرؤية والبصيرة الصائبة أن نرجع الى السيادة.

ضرورة التنظيم الاسري

وإن على أبناء الامة أن يقوموا ببناء الخلايا التنظيمية في المجتمع والأسر أيضاً.

إنـنـا بـحاجة الى تنظيم أسري وأن يكون بين الاسرة مَن ينظم شؤونها و يعمل على تربيتها وتفجير طاقاتها واعدادها لخوض الصراع والمواجهة القادمة.

فـالأسـرة في الاسـلام تـعـتـبـر خـلـيـة إيمـانية واجتماعية وسياسية وإقتصادية، ولكن الاسـتـعمار بعد ان غزا مجتمعاتنا الاسلامية دمر هذه الخلية لانه يعرف أنَّ هذه الاسرة إن ظلـت على طـبـيـعـتـهـا وقـدرتها وتركيبتها فانها سوف تكون قادرة على مقاومة التيارات الخارجية.

والحـقـيـقـة إن النظم الاقتصادية المنحرفة في العالم تدمر الاسرة، لذا رأينا المصانع في الـعالم الغربي والشرقي كيف حاولت و بالدرجة الاولى إفساد وتمييع الاسرة، ذلك لانه لـيـسـت فـقـط خـلـيـة اجـتـماعية تشترك في الاكل والنوم والمسكن وإنما هي خلية إيمانية وإقـتصادية وإجتماعية وسياسية يتنامى فيها الاخذ والعطاء، فالاب حينما يكون سياسياً وذا رسـالـة فـانـه يحـمـل هـذه الرسالة الى أبنائه الذين هم بدورهم يحملونها للآخرين في داخل الاسرة والمجتمع وهكذا بالنسبة الى سائر الفضائل.

لـذا فـان الاسـرة في المـجـتـمع الاسلامي تتحول الى إسرة إيمانية سياسية تحمل القيم والمفـاهيم الاسلامية بجميع أبعادها حتى تستطيع أن تكون اللبنة الاولى للتنظيم ولاقامة المجتمع الاسلامي مجتمع التوحيد والخير والصلاح.

الأهتمام بالعشائر

وهناك لبنة ثانية يجب أن يعمل على إيجادها، وهي التنظيم العشائري الايجابي.

فقد حاولت ثقافة الاستعمار ان تسلب خير ما عندنا وتعطينا شر ما عندها.

فهذه الثقافة الاسلامية قد إسُلبت من التجمعات العشائرية والقبلية التي يجب أن تكون مجتمعة.

والسؤال كيف يكون التنظيم العشائري إسلامياً؟

والجواب:

على هذه القبيلة أو العشيرة أن تجعل لها رئيساً بالمفهوم الاسلامي (لا بالمفهوم الجاهلي).

وليس الواجب أن يكون رئيس القبيلة أو العشيرة ذلك الانسان الكبير السن والافضل في النسب وإنما يكون الأفهم والأعلم والأعدل والأقدر على القيادة، وحتى اذا كانت هناك إنتخابات يجب أن ينتخب واحد من خيرة أبناء العشيرة أو القبيلة، وهؤلاء جميعاً يكونون قوة إجتماعية وسياسية وإقتصادية فلو إستطعنا أن نخلقها في مجتمعاتنا ونبنيها على الاسس الاسلامية، فاننا سنستطيع أيضاً بناء التنظيم في المحيط الاجتماعي للشارع وفي الحي والقرية في لجان بعيدة عن أعين الانظمة تمارس نشاطاتها في تنظيم الجماهير وتوجيهها.

المجالس الحسينية

هناك تجمع وتنظيم أساسي لا يمكن التغافل عنه وعلينا ان نعيره اكبر إهتمامنا ألا وهو (التنظيم الحسيني) فمجالسنا الحسينية التي يقيمها أبناء الشعب في أيام عاشوراء وأربعين الامام الحسين(ع) ووفاة النبي (ص) والصديقة الطاهرة(ع) ومجالس الوفيات للأئمة عليهم السلام والمجالس الاسبوعية والشهرية التي تقام في المساجد والمدارس والبيوت هذه المجالس يجب أن تكون ضمن تنظيم حسيني في كل مدينة وفي كل قرية، وتكون هناك قيادات منتخبة وتنسيق بين المجالس في إختيار الخطباء، وتنظيم المواكب العزائية، وإختيار الشعارات الاسلامية التي تنمي في نفسية الشعب روح الحركة والاندفاع نحو مقاومة الانظمة.

الواقعية

ثم انه يجب أن تكون جماهير الامة المؤمنة واقعية مع نفسها وفي رؤيتها ومنظارها الى الاحداث، وهذه الواقعية تكمن في أننا اليوم نخوض صراعاً مريراً لمواجهة أعدائنا في العالم وعلينا أن نحسم المعركة لصالحنا بأعدادنا الجيد لأنفسنا.

إن بيننا و بين الاعداد حاجزاً سميكاً وهذا الحاجز يكمن في سعة الصدر وضيقه فعلينا أن نربي أنفسنا على شرح الصدر.

«ربي اشرح لي صدري»(طه/٢٥)

وأن تكون قلوبنا منشرحة مع الامة في العمل.

وهذا في الوقت الذي يجب أن يتحول ضيق صدرنا الى عداوة مشحونة ضد الانظمة.

«أشداء على الكفار رحماء بينهم»(الفتح/٢٩)

ان للأنسان اعداءاً في المجتمع ولكن عليه ان يعرف عدوه الحقيقي هو الانظمة الحاكمة التي كانت السبب في تكوين مثل هذه العناصر المنحرفة.

إن الانظمة تريد أن تحطم قوة الامة وهؤلاء الذين يحكمون المسلمين المعادون للأمة يعرفون بأن حزب الله هم الغالبون وإن هذا الحزب الاسلامي العالمي يهدد مصالحهم، لذا فانهم يسعون الى تحطيمنا بشتى الاساليب: بالسجون والمعتقلات، بالتعذيب الجسدي القاسي حتى الموت، بالابعاد عن الوطن، بمصادرة الاموال، وغير ذلك من الممارسات اللاإنسانية.

إن الانظمة تخاف من المجاهدين العاملين، تخاف من الطلائع المؤمنة التي هي طلائع الجيش الاسلامي المشيد لحكومة القرآن في العالم، فالانظمة تعتبر الامة عدو الاول والرئيسي فتحاول وفي كل يوم أن تفتت هذه الامة.

فعلينا أن نستغل كل ساعة من ساعات حياتنا في مقاومة الباطل.

ماذا تعمل الأنظمة وماذا نعمل نحن؟

والأنظمة تعمل الكثير في سبيل الحفاظ على عرشها إنها تستورد الخبراء العسكريين، وخبراء (الأمن) وخبراء التمييع والافساد، وخبراء التعذيب لمجتمعنا، وتبني السجون والمعتقلات لتحبس الثوار المؤمنين.

وأعمال الانظمة هذه لا يمكن التخلص منها إلا بالعمل الجاد والاعداد المستمر من قبل أبناء الامة حتى نكون في مرحلة نستطيع أن نقول للأنظمة (لا) وللاسلام وللحكومة الاسلامية (نعم).

وفي ذلك يجب أن يسبق بعضنا بعضاً.

«وفي ذلك فليتنافس المتنافسون»(المطففين/٢٦)

وعلى الفرد منا أن يقوم بجهود جبارة وأعمال بطولية تساوي أعمال و بطولات العشرات من ابناء الشعب الآخر حتى يكون هذا العمل الخالص لله ثمرة نجنيها بعد حين بأذن الله تعالى، قال تعالى:

«إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مأتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً»(الانفال/٦٥)

وأخيراً:

يجب أن تكون قناعاتنا كاملة بأن الاعداد للمعركة المصيرية ضرورة تقتضيها الحالة المأساوية التي نعيشها، فأن إنتظار الفرج بدون العمل لا يغني الانسان شيئاً.

قال سبحانه:

«وقل اعملوا»

وقال تعالى:

«وأن ليس للانسان إلا ما سعى»(النجم/٣٩)

وفي هذه المرحلة يجب أن نترك ونتجنب النظرات الحزبية الضيقة، ونرتفع عن

الخلافات، ولو كانت هناك خلافات بيننا فيجب أن تتحول الى سلاح لاجل التغيير في مواجهة الانظمة، وأن تكون قلوبنا مفتوحة للآخرين،وأن لا نُفرِّق بين هذا وذاك وأن يكون المقياس هو (التقوى) و(حسن الادارة) فاننا إن إتصفنا بأخلاقيات وسلوكيات فاسدة كالحسد والنفاق والنظرات الضيقة فلن نستطيع أن نؤسس حكومة عالمية ونظاماً أقوى من ألانظمة القائمة.

والله سبحانه وتعالى إنما يرفع العمل الصالح، أما العمل الذي يشوبه النفاق والرياء فيبقى في الارض بل ينتقل الى سجّين.

لذا فعلى الامة أن تكوّن نفوس جماهيرها وتتحمل المشاكل وتجتاز العقبات، ولا تفكر لا في مصلحة الاسلام والامة والعالم أجمع فأن

[آلة الرئاسة سعة الصدر]

ـ كما قال علي(ع)ـ فعلينا بتربية أنفسنا واعدادها وفق هذا المقياس.

إن المجتمع الذي يمتلك سعة الصدر و يبحث عن الكفاءات والمقاييس الصحيحة ولا يبحث عن العلاقات والارتباطات الحزبية الضيقة هذا المجتمع يتقدم على ذلك المجتمع الذي يفكر فقط وفقط في مصالحه الشخصية الضيقة.

وتربية الانسان لنفسه على سعة الصدر، والتفكير الجدي في مصلحة الآخرين في مصلحة امته والعالم وقبل كل شيء في إسلامه وقيمه من الامور التي يجب أن يتحلى بها بناء شعبنا بجميع فئاته وفصائله ففي ذلك خسران العدو وإقتراب نهايته باذن الله تعالى.

إننا نتطلع الى مستقبل مشرق، وهذا المستقبل يتطلب منا الوحدة والتعاون والتنسيق بين طاقاتنا الفكرية وقدراتنا المادية، وتسخيرها في خدمة القضية الاساسية، وأن يكون ولاؤنا للقيادة الاسلامية المرجعية التي تتصدى قيادة الحركة ضد الانظمة ولاء إيمانياً تابعاً من الشعور بالمسؤولية الالهية.

فلتكن نفوسنا صبورة ورؤانا بعيدة، ولتكن أهدافنا وتطلعاتنا سامية، حتى تكون شخصيتنا قادرة على إستيعاب المجموع وتجميع طاقاته وقدراته.

وليعلم المسلمون أن خوض ساحات العمل والاعداد للمواجهة من الامور التي يتوقف عليها إنتصارهم وعزتهم وان الاعداد لخوض الصراع مع الانظمة امر لابد منه وإلا فان

الانظمة ستدوم سنوات اطول وانها ستبدد المسلمين وقدراتهم اكثر فاكثر.

إن الخيال والحلم والتمني لا يصنع شيئاً، إننا اذا أردنا أن نصنع حضارة بالتمنيات فاننا سنكون واهمين فان صنع الحضارة ليس بالحلم والتمني، فالانسان لا يستطيع أن يصنع بالتمنيات والحلم حضارة أو دولة وإنما يكون صنع الحضارة و بناء الحكم بالمساعي والعمل الجاد من أجل بلوغ الاهداف.

«وإن ليس للأنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يُرى»(النجم/٣٩ــ ٤٠)

«ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب»(النساء/٢٣)

أما أن نجلس في بيوتنا ونقول: بأننا نستطيع تحقيق أهدافنا، فان ذلك ما لا يقبله العقل ولا ينتهي الى نتيجة فعلينا أن نسعى من أجل المقاومة و بقوة، ونقف أمام العدو ونصرخ في وجهه دون خوف أو تردد، وأن نقاطع دوائر الانظمة وشركاتها وكل ما يرتبط بها وأن نترك الخدمة فيها.

فاللازم على الأمة أن تبذل جهودها في سبيل إنتصار ثورتها وقيمها ومبادئها وتكوين حضارتها من أجل الله والله فقط، قال تعالى:

«قُلِ الله ثم ذَرهُم»(الأنعام/٩١)

لا أن يكون تفكيرها مادياً يبحث عن المغانم.

والشعب الذي يعد نفسه لانتصاره من الآن أفضل من الاعداد بعد عشر سنوات، لان الاعداد اليوم سوف يعطي النتائج بعد فترة زمنية لا تتعدى فترة الاعداد بعد عشر سنوات باذن الله تعالى.

إن الاناشيد والشعارات والعواطف لا تكفي، فمرحلة الشعارات والاناشيد يجب ان ترافق مرحلة الاعداد النفسي والجسدي والتنظيمي لشخصية الفرد والامة.

ولو أننا ربينا أنفسنا ومجتمعنا الاسلامي على هذه المفاهيم والقيم فاننا سوف نجني ثمرة هذه التربية في القريب العاجل إنشاء الله تعالى.

وإننا بعملنا الجاد وإعدادنا المستمر لمرحلة المواجهة سوف لن تخيب آمالنا وطموحاتنا، والله عزوجل مع الذين يعملون الصالحات لوجهه ومع الذين يكدحون في هذه الدنيا من أجل عزتهم وكرامتهم وتحكيم مبادئهم الخيّرة.

«ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين؟ قل: يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون»(السجدة/٢٨—٢٩)

«كتب الله لأغلبنَّ أنا ورسلي إنَّ الله قويٌّ عزيز»(المجادلة/٢١)

«إن ينصركم الله فلا غالب لكم»(آل عمران/١٦٠)

«إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم»(محمد/٧)

الفصل الأول: هل العالم سليم الصياغة؟

الفصل الثاني: الإيمان

الفصل الثالث: الحرية في الإسلام

الفصل الرابع: السلام

الفصل الخامس: من عوامل تقدم المسلمين عند ظهور الإسلام

الفصل السادس: الأسس الخمسة

الفصل السابع: من وحي السيرة النبوية

الفصل الثامن: أسباب تخلف المسلمين في القرون الأخيرة

الفصل التاسع: الإعداد لصياغة جديدة